جون بولتون

مستشار الأمن القومي السابق في إدارة ترامب

الغرفة التي شهدت الأحداث

مذكرات من البيت الأبيض



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الغرفة
التي شهدت الأحداث

مذكرات من البيت الأبيض

جون بولتون

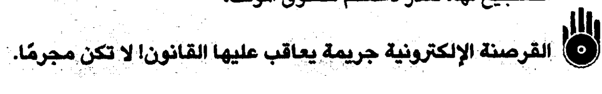
مستشار الأمن القومي السابق في إدارة ترامب

الغرفة
التي شهدت الأحداث

مذكرات من البيت الأبيض



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS s.a.l.

الجناح، شارع زاهية سلمان
مبنى مجموعة تحسين الخياط
ص.ب.: ٨٣٧٥ - ١١ بيروت، لبنان
تلفون: ٨٣٠٦٠٨ ١ ٩٦١+ فاكس: ٨٣٠٦٠٩ ١ ٩٦١+
email: publishing@all-prints.com
tradebooks@all-prints.com
website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

ISBN: 978-6144-58-535-1

Originally published as: **The Room Where It Happened.**

Published by arrangement with the original publisher Simon & Schuster, Inc.

صورة الغلاف: Gage Skidmore
تصميم الغلاف: ريتا كلزي
الإخراج الفني: بسمة تقي

إلى غريتشن وجينيفر ساره

- القصف شديد أيها السادة.

لكن دعونا نرى من سيقصف وقتاً أطول

دوق ولنغتون يشد عزيمة جنوده في معركة واترلو سنة ١٨١٥

المحتويات

الفصل الأول

الرحلة الطويلة
إلى مكتب جانبي في الجناح الغربي

يكمن أحد عناصر جاذبية منصب مستشار الأمن القومي في تعدد التحديات التي يواجهها وحجمها. فليبحث عن منصب آخر من يجد صعوبة في التكيّف مع الهرج والمرج، والالتباس، والمخاطر، كل ذلك في وقت يكون فيه كاهله مثقلاً بالمعلومات، والقرارات التي ينبغي عليه اتخاذها، والأعمال وهو يتخبط في عالم من النزاعات الشخصية والفردية، التي تفوق الوصف سواء محلياً أو عالمياً. وعلى الرغم من الإثارة والأهمية التي ينطوي عليها هذا المنصب، فقد تجد في الكثير من الأحيان صعوبة في أن توضح للدخلاء كيفية تشابك الأجزاء بعضها مع بعض، علماً أنها تفتقر أغلب الأحيان إلى الاتّساق في ترابطها.

ليس بمقدوري أن أقدم نظرية شاملة عن التحول الذي شهدته إدارة ترامب لأنه لا يمكن لأي من النظريات أن تكون محتملة. غير أن حكمة واشنطن التقليدية حول المسار الذي يسلكه ترامب خاطئة. فهذه الحقيقة المسلم بها، والتي يعتبرها جذابة كل من يعاني من كسل على المستوى الفكري، هي أن ترامب كان ولايزال غريب الأطوار، ولكن خلال الأشهر الخمسة عشر الأولى على تبوئه سدة الرئاسة لم يكن مدركاً لموقعه الجديد، ولم يعِ أنه يخضع للرقابة من قبل «محور البالغين»، ما جعله يتردد في الإقدام على أي خطوة. ولكن مع مرور الوقت، تعززت ثقة ترامب بنفسه، ولم يعد لمحور البالغين من وجود، وتداعت الأشياء، وبقي ترامب محاطاً بالأشخاص «الذين لا يقولون له لا».

لعلّ في هذه الفرضية شيئاً من الحقيقة، لكن الصورة الإجمالية تبسيطية. فالمشاكل المستمرة التي تسبّب بها محور البالغين من نواحٍ عديدة لا تعود إلى نجاحهم في السيطرة على ترامب، كما يقول أصحاب المبادئ السامية (وهو وصف ملائم نقلته من الفرنسية للإشارة إلى من يعتبرون أنفسهم أفضل منا من الناحية الأخلاقية)، بل إلى قيامهم بعكس ذلك بالضبط. فالجهد الذي بذلوه لم يكن كافياً لترسيخ النظام، وما فعلوه كان يهدف بشكل واضح إلى خدمة مصالحهم الشخصية وإحباط العديد من أهداف ترامب (المجدية منها والتافهة) الواضحة جداً، ما أثار ريبة ترامب

ذي العقلية التي تقوم على الشك أصلاً، حتى بات من الصعب على الأشخاص الذين جاءوا بعدهم أن يقيموا مناقشات مشروعة بشأن السياسة مع الرئيس. لطالما كنت أشعر بأن دور مستشار الأمن القومي يتمثل في الحرص على أن يكون الرئيس واعياً للخيارات المطروحة أمامه لجهة القرارات التي ينبغي عليه اتخاذها، والتأكد من تنفيذها من قبل الأجهزة الإدارية ذات الصلة. ومما لا شك فيه أن مسار مجلس الأمن القومي يختلف مع اختلاف الرؤساء، ولكننا نتحدث عن أهداف حاسمة يجب أن ينجزها هذا المسار.

وفي ظل التقصير الفاضح لمحور البالغين في خدمة ترامب، شكّك هذا الأخير بدوافع الأشخاص، وشعر بأن المؤامرات تحاك من حوله، كما بقي جاهلاً بصورة مذهلة لكيفية إدارة البيت الأبيض، ناهيك عن الحكومة الفدرالية الهائلة. لم يكن محور البالغين مسؤولاً بالكامل عن هذه الطريقة في التفكير. فترامب هو ترامب. وأدركت في نهاية المطاف أن ترامب يظن نفسه قادراً على إدارة السلطة التنفيذية، وتحديد سياسات الأمن القومي مرتكزاً إلى الغريزة، معتمداً على علاقاته الشخصية مع القادة الأجانب، وعلى مهاراته الاستعراضية التي تليق بمحطات التلفزة. الغريزة، والعلاقات الشخصية، والمهارات الاستعراضية هي من العناصر التي ينبغي أن تتوفر في الرئيس. إلا أنها بعيدة عن أن تكون كافية. فالقدرة على التحليل والتخطيط، والانضباط الفكري والصرامة، وتقييم النتائج، وتصحيح المسارات وما شابه تشكل حجر الأساس في صناعة القرارات الرئاسية التي تعكس الوجه غير المشجّع لهذا المنصب. فتأثير المظاهر الخارجية لا يمكن أن يدوم طويلاً.

من الناحية المؤسسية، لا يمكن إنكار أن الانتقال الرئاسي لترامب والعام الأول من عهده كانا فاشلين بشكل لا يمكن إصلاحه. فالإجراءات التي كان من المفترض أن تتحول إلى طبيعة ثانية، خاصة بالنسبة إلى العديد من مستشاري ترامب الذين لم يشغلوا في مرحلة سابقة أي مناصب تنفيذية رفيعة، لم يتم الالتزام بها. إذ لم يتكبد ترامب ومعظم أفراد فريق عمله عناء قراءة «دليل الخدمات الحكومية». ربما لعدم إدراكهم بأن ذلك لن يجعلهم أعضاء في «الدولة العميقة» بصورة تلقائية. ومع دخولي في عالم الفوضى القائمة، تمكنت من الاطلاع على المشاكل التي كان من الممكن حلها خلال الأيام المئة الأولى من عهد ترامب، أو حتى قبل ذلك.

من الواضح أن التغير المستمر للموظفين لم يجدِ نفعاً، شأنه في ذلك شأن مبدأ حرب الكل ضد الكل الساري في البيت الأبيض. قد يكون من المبالغ فيه القول إن وصف الفيلسوف الإنكليزي توماس هوبس للوجود الإنساني على أنه «متوحد، تعيس، بذيء، وحشي وقصير» ينطبق بشكل دقيق على الحياة في البيت الأبيض، ولكن العديد من المستشارين الرئيسيين كانوا يميلون إلى ذلك مع اقتراب ولايتهم من نهايتها. وكما شرحت في كتابي «الاستسلام ليس

خيارنا (Surender Is Not an Option)»[1] فإن مقاربتي لإنجاز الأعمال في الحكومة ترتكز إلى استيعاب ما يمكنني استيعابه عن الأجهزة الإدارية التي عملت فيها (الخارجية، العدل، الوكالة الأميركية للتنمية الدولية) لأتمكن من الاستعداد بشكل أفضل لتحقيق أهدافي.

خلافاً للتفكير الذي ساد في البيت الأبيض في عهد ترامب، لم يكن هدفي يتمثل في الحصول على بطاقة عضوية بل في لعب دورٍ قيادي. فخلال الزيارات الأولى للجناح الغربي، تمكنت من تسجيل اختلافات صاعقة بين الرئاسة الحالية وتلك التي عاصرتها في مراحل سابقة. إذ تبين لي أن الأسلوب الذي كان يعتمد في يوم معين لمعالجة مشكلة محددة يختلف عن الأسلوب المعتمد في اليوم التالي أو في اليوم الذي يليه. غير أن عدداً قليلاً من الأشخاص كان يعي ذلك، أو يولي الأمر أهمية، أو يرغب في إصلاح الوضع. ولم أكتشف إلا بعد انضمامي إلى إدارة ترامب أن الوضع لن يتحسن كثيراً، ما أثار إحباطي وحزني.

كان بول لاكسالت، السيناتور السابق لولاية نيفادا الذي أعتبره مرشداً لي، يقول: «لا مكان للمفاهيم النظيفة في السياسة». لا شك أن هذا الاستشراف يفسر بقوة التعيينات في المناصب العليا في السلطة التنفيذية. وعلى الرغم من أن التصريحات الصحافية مثل «تفاجأت كثيراً عندما اتصل بي الرئيس سميث...» تتردد دائماً بشكل متواتر، إلا أن هذه العبارات التي تنطوي على درجة عالية من البراءة لا تمت إلى الحقيقة بصلة. فالمنافسة على المراكز البارزة لا تشهد هذه الحدية إلا في مرحلة «الانتقال الرئاسي»، وهي بدعة أميركية اكتسبت المزيد من الوضوح خلال العقود الأخيرة. توفر الفرق المعنية بعملية الانتقال الرئاسي دراسات حالات للمتخرجين من كليات إدارة الأعمال حول كيفية الفشل في العمل. تمارس هذه الفرق عملها لمدة زمنية محددة وقصيرة (من تاريخ الانتخاب إلى تاريخ القسم الرئاسي) لتختفي بعدها إلى غير رجعة. وتغرق خلال هذه المرحلة في بحر هائج من المعلومات الواردة (والتضليل)؛ والتحليلات المعقدة والتنافسية في أغلب الأحيان للسياسات والاستراتيجيات؛ والعديد من القرارات الخاصة بالتوظيفات ذات التبعات بالنسبة للحكومة الفعلية؛ والتمحيص والضغط الذي تمارسه وسائل الاعلام والمجموعات ذات المصلحة.

من الممكن أن تكون بعض عمليات الانتقال الرئاسي أفضل من سواها. وطريقة تطبيقها تكشف الكثير عن الإدارة الجديدة. فالانتقال الرئاسي لريتشارد نيكسون في العام ١٩٦٨-١٩٦٩ شكّل النموذج الأول لعمليات الانتقال الرئاسي المعاصرة، مع تحليلات دقيقة لكل من الوكالات الرئيسية التابعة للسلطة التنفيذية؛ في حين مثل الانتقال الرئاسي لرونالد ريغان في العام ١٩٨٠-١٩٨١ معلماً

(١) John Bolton, Surrender Is Not an Option: Defending America at the United Nations (New York: Simon & Schuster, 2007).

بارزاً في التمسك إلى أقصى حد ممكن بمبدأ أن «الفريق العامل هو السياسة»، مع التركيز باهتمام شديد على اختيار الأشخاص المستعدين للالتزام ببرنامج ريغان؛ أما الانتقال الرئاسي لدونالد ترامب في العام ٢٠١٦-٢٠١٧ فكان... شبيهاً بدونالد ترامب.

أمضيت عشية الانتخابات، في ٨-٩ تشرين الثاني/نوفمبر، في استديوهات قناة فوكس نيوز في مانهاتن، في انتظار الظهور مباشرة على الهواء للتعليق على أولويات السياسة الخارجية «للرئيس المقبل». وكان الجميع يتوقع أن أظهر عند الساعة العاشرة مساءً، عقب الإعلان عن فوز هيلاري كلينتون. غير أنني لم أتمكن من الظهور مباشرة على الهواء إلا نحو الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي. سقطت بذلك كل التخطيطات المسبقة، ليس على مستوى قناة فوكس فحسب، بل أيضاً على مستوى معسكر الرئيس المنتخب. وحيث أن عدد المراقبين الذين توقعوا فوز ترامب كان قليلاً، تميزت الاستعدادات التي أجراها ترامب قبل الانتخابات بتواضعها لتعكس بهذا الفشل المرتقب، وذلك على غرار خسارة حملة روبيرت دول في العام ١٩٩٦ أمام بيل كلينتون. ومقارنة بحملة هيلاري، التي كانت أشبه بجيش كبير يزحف نحو السلطة، لم يجمع ترامب حوله سوى عدد بسيط من الموظفين الذين يتحلون بالجسارة الكافية ويتمتعون بترف الوقت. ولذلك فإن فوزه غير المتوقع أخذ المسؤولين عن حملته الانتخابية على حين غرة، مشعلاً فتيل المنافسة مع المتطوعين للإشراف على الانتقال الرئاسي ومسهماً في تفكيك معظم المجموعات التي شاركت في إجراءات التحضير للانتخابات. لم تكن البداية الحديثة في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر مبشرة بالخير، لاسيما وأن مجموع العاملين المعنيين بعملية الانتقال الرئاسي متواجدون في واشنطن، وترامب والمساعدون المقربون منه في برج ترامب في مانهاتن. قبل فوزه في الانتخابات الرئاسية، لم يكن ترامب على بينة من كيفية عمل العملاق الفدرالي. ولم يتمكن خلال عملية الانتقال الرئاسي من اكتساب الكثير من الوعي لهذه الكيفية، ما أساء إلى أدائه في هذا المنصب.

لم يكن الدور الذي قمت به على مستوى حملة ترامب على قدر من الأهمية باستثناء اللقاء الذي عقدته مع المرشح صباح الجمعة في ٢٣ أيلول/سبتمبر في برج ترامب، أي قبل ثلاثة أيام من أول مناظرة له مع كلينتون. كانت هيلاري وبيل يسبقانني بعام في كلية ييل للحقوق، وبالتالي عرضت على ترامب، إلى جانب مناقشة الأمن القومي، آرائي حول أداء هيلاري المتوقع، بحيث كنت أتوقع أن تكون مهيأة نفسياً وخطياً وتلتزم بخطة اللعبة بغض النظر عن أي أمر آخر. فهيلاري لم تتغير البتة على الرغم من مرور أربعين عاماً. تولى ترامب دفة الحديث على غرار ما فعل في اجتماعنا الأول عام ٢٠١٤ قبل أن يترشح للانتخابات الرئاسية. ومع اقتراب لقائنا من نهايته، قال لي «أتعلم شيئاً؟ آراؤك قريبة جداً من آرائي.. قريبة جداً».

في هذه المرحلة، كانت التزاماتي كثيرة: فعلاوة عن التحاقي بمعهد المشروع الأميركي لأبحاث

السياسة العامة كزميل أعلى، كنت مساهماً في قناة فوكس نيوز، ومشاركاً دائماً في دائرة المحادثات، واستشارياً في شركة محاماة كبيرة، وعضواً في مجالس إدارة شركات، ومستشاراً أعلى في شركة عالمية ذات أسهم خاصة، وكاتب مقالات رأي بمعدل مقال في الأسبوع. في أواخر العام ٢٠١٣، قمت بتأسيس لجنة عمل سياسي ولجنة عمل سياسي خارقة لمساعدة المرشحين لمجلسي الشيوخ والنواب الذين يؤمنون بسياسة قوية للأمن القوي الأميركي، وذلك من خلال توزيع مئات الآلاف من الدولارات مباشرة على المرشحين وصرف الملايين للنفقات المستقلة خلال الحملات الانتخابية في عامي ٢٠١٤ و٢٠١٦، هذا إلى جانب الاستعداد للقيام بذلك من جديد في العام ٢٠١٨. وعلى الرغم من أنني كنت شديد الانشغال، شاركت في الإدارات الجمهورية[١] الثلاث الأخيرة. كما وأن العلاقات الدولية كانت تجذبني منذ أيام الدراسة في جامعة ييل. وكنت مستعداً لخوض غمار ذلك من جديد.

برزت تهديدات ومخاطر جديدة بشكل سريع، وكانت هناك حاجة للقيام بإصلاحات كثيرة بعد ثماني سنوات من تولي باراك أوباما سدة الرئاسة. فكرت طويلاً وملياً بأمن أميركا القومي في خضم هذا العالم العاصف: فنحن نواجه الصين وروسيا على المستوى الاستراتيجي، فضلاً عن إيران وكوريا الشمالية وغيرهما من الدول المخادعة الطامحة إلى إنتاج أسلحة نووية، هذا إلى جانب زوابع التهديدات التي يمثلها الإرهاب الاسلامي المتطور في منطقة الشرق الأوسط التي تشهد صراعات عنيفة (سوريا، لبنان، العراق واليمن)، وأفغانستان وما حولها، والتهديدات التي نواجهها في قارتنا مثل كوبا، فنزويلا ونيكاراغوا. وبالرغم من أنني لا أجد جدوى من توصيف السياسة الخارجية إلا بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من كسل فكري، أود القول إن سياستي «موالية للولايات المتحدة». فأنا أتبع نظريات آدم سميث في الشؤون الاقتصادية، وإدموند بيرك في الشؤون الاجتماعية، وأوراق الفديراليست في الشؤون الحكومية كما وأدمج ما بين نظريات دين آتشيسون وجون فوستر دالاس في شؤون الأمن القومي. وشاركت في أول حملة سياسية في العام ١٩٦٤ لصالح باري غولدووتر.

عرفت كبار المسؤولين عن حملة ترامب الانتخابية أمثال ستيف بانون، ودايف بوسي وكيليان كونواي من خلال علاقات سابقة وتحدثت معهم عن إمكانية الانضمام إلى إدارة ترامب. ومع انطلاق عملية الانتقال الرئاسي، وجدت أنه من المنطقي أن أعرض خدماتي بصفة وزير للخارجية، تماماً كما فعل آخرون. ففي صباح التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر، وبعد الإعلان عن انتهاء المنافسة، أنهى كريس والاس عرضه المباشر في قناة فوكس وجاء ليصافحني قائلاً وعلى ثغره ابتسامة عريضة: «تهانينا سيدي الوزير». في ظل العدد الوافر من المتنافسين على منصب وزير الخارجية، كثرت

(١) John Bolton, Surrender Is Not an Option: Defending America at the United Nations (New York: Simon & Schuster, 2007).

التكهنات في وسائل الإعلام حول المرشح «الأوفر حظاً»، بدءاً من نيوت غينغريتش، مروراً برودي جولياني، وصولاً إلى ميت رومني، رجوعاً إلى رودي. تعاونت على الصعيد المهني مع كل واحد منهم وأكن لكل منهم فائق الاحترام لكونه يتمتع بالمصداقية على طريقته الخاصة. أوليت المسألة اهتماماً خاصاً نتيجة ازدياد حدة الأحاديث (ناهيك عن الضغوطات) التي كانت تطالبني بالاكتفاء بمنصب نائب الوزير، مع أنني لم أكن أحبذ ذلك مطلقاً. ولكن ما حصل بعد ذلك كان خير دليل على أسلوب ترامب في اتخاذ القرارات كما وشكّل (أو كان من المفترض أن يشكل) درساً تحذيرياً.

وفي حين أن كافة «المتنافسين الرئيسيين» محافظون عموماً من الناحية الفلسفية، إلا أنهم جاءوا إلى الطاولة بخلفيات مختلفة، وآراء وأنماط مختلفة، وإضافات وسلبيات. هل توفرت بين هذه الاحتمالات (وغيرها كسيناتور ولاية تينيسي بوب كوكر وحاكم يوتا السابق جون هانتسمان) السمات المشتركة المتجانسة والإنجازات العامة التي كان ترامب يطمح إليها؟ بالطبع لا. وكان ينبغي على المراقبين أن يطرحوا السؤال التالي: ما هو المبدأ الفعلي المعتمد في عملية اختيار فريق عمل ترامب؟ لماذا لم يُسند إلى جولياني، منصب المدعي العام الذي يتوافق مع مؤهلاته؟ لماذا لم يعين رومني كرئيس للموظفين في البيت الأبيض ليحمل معه مهاراته المشهود لها في التخطيط الاستراتيجي والإدارة؟ ولماذا لم يعيّن غينغريتش، صاحب الخبرة الممتدة على عقود طويلة في وضع النظريات الخلاقة، كقطب السياسة الداخلية في البيت الأبيض؟

هل كان ترامب يبحث عن أشخاص يجد أن شكلهم ملائم للوظيفة؟ سمعت الكثير عن امتعاضه المزعوم من شاربيّ. ولا بد من الإشارة إلى أنه قال لي مرة إن شاربيّ لم يشكلا عاملاً معيقاً خاصة وأن والده كان له شاربان. بصرف النظر عن أخصائيي علم النفس والأشخاص الشغوفين بسيغموند فرويد، والذين أؤكد بأنني لست واحداً منهم، لا أظن أن مظهري الخارجي قد أثر في تفكير ترامب. وفي حال أثر فعلاً، فليكن الله بعون البلاد. غير أن النساء الفاتنات ينتمين إلى فئة مختلفة بالنسبة إلى ترامب. الولاء هو العامل الرئيسي، وجولياني نجح في أن يبرهن ولاءه بصورة قاطعة في الأيام التي تلت انتشار شريط «أكسس هوليود» في أوائل شهر تشرين الأول/أكتوبر. يُقال إن ليندون جونسون تحدث مرة عن أحد مساعديه قائلاً: «أحتاج إلى ولاء فعلي. أريده أن يقبل مؤخرتي قرب واجهة مايسي عند الظهيرة ويقول إن رائحة الورد تفوح منها». من كان يعرف أن ترامب يقرأ الكثير من كتب التاريخ؟ تعامل جولياني معي، في وقت لاحق، بلياقة فائقة بحيث قال بعد انسحابه من المنافسة على منصب وزير الخارجية «لو كان الخيار لي لاخترت جون حتماً. جون شخص ممتاز[1]».

(١) See, e.g., Josh Dawsey et al., "Giuliani pulls name from contention for secretary of state," https://www politico.com/story/2016/12/giuliani-pulls-name-from-contention-for-secretary-of-state-232439

اتصل بي الرئيس المنتخب في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر، وهنأته على فوزه في الانتخابات. خلال الاتصال روى لي ما دار في المكالمات الأخيرة التي أجراها مع فلاديمير بوتين وشي جينبينغ وأخبرني بأنه يتطلع إلى لقاء رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي بعد ظهر ذلك اليوم. ووعدني ترامب قائلاً «سنرسل في طلبك خلال اليوم المقبلين. فنحن بحاجة إليك لمعالجة عدد من القضايا». ونشرت في اليوم التالي، أولى قرارات الرئيس الجديد المتعلقة بالموظفين مع الإعلان عن اختيار جيف سيشنز لمنصب المدعي العام (مستبعداً جولياني عن هذا المنصب)، ومايك فلين لمنصب مستشار الأمن القومي (ما شكّل خير مكافأة للجهود الحثيثة التي بذلها فلين في خدمة الحملة الانتخابية) ومايك بومبيو لمنصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية. (بعد مرور بضعة أسابيع على الاعلان عن تعيين فلين، قال لي هنري كيسنجر «سيستقيل من منصبه في غضون سنة». على الرغم من أنه لم يكن على علم بما سيحدث، إلا أن كيسنجر كان يدرك بأن فلين لم يكن في المكان المناسب). ومع مرور الأيام، تم الإعلان عن المزيد من المناصب العليا في الوزارات والبيت الأبيض، بما في ذلك تعيين حاكمة ولاية كارولينا الجنوبية نيكي هالي كسفيرة أميركا لدى الأمم المتحدة في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر، بمرتبة حكومية، وهي خطوة غريبة، خاصة أنه لم يتم بعد اختيار أحد لمنصب وزير الخارجية. لم تكن هالي تتمتع بالمؤهلات اللازمة لتشغل ذلك المنصب، ولكنه أمر مثالي لشخص يطمح للرئاسة أن يضيف إلى سيرته الذاتية خبرة في «السياسة الخارجية». وسواء كان يشغل منصباً وزارياً أم لا، يعدّ سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة جزءاً من الوزارة، وأي سياسة خارجية متماسكة تتطلب تعيين وزير واحد للخارجية. ومع ذلك، كان ترامب حريصاً على ملء المناصب الثانوية في الوزارة من دون أي تلميح للمرشح الأوفر حظاً للوزارة. وبحكم الطبيعة، كنا على قاب قوسين من اندلاع فتيل مشكلة، خاصة بعد أن أخبرني أحد العاملين في فريق هالي أن ترامب درس تعيينها وزيرة للخارجية، كما أضاف أن هالي رفضت العرض لافتقارها إلى الخبرة التي كانت تأمل أن تكتسبها خلال تأدية المهام المطلوبة منها بصفتها سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة[١]".

تلقيت في عيد الشكر اتصالاً من جاريد كوشنر، الذي عرفني عليه بول مانافورت خلال الحملة الانتخابية، وأكد لي أن اسمي لايزال «مطروحاً ضمن مجموعة الأسماء» المقترحة لتولي وزارة الخارجية، و«ضمن مجموعة من السياقات المختلفة. فدونالد من أشد المعجبين بك، تماماً مثلنا جميعاً». في هذه الأثناء، نشرت صحيفة نيويورك بوست نقلاً عن أحد المصادر، تقريراً عن صناعة القرارات في «مارآلاغو» (مقر ترامب في فلوريدا) في عيد الشكر، جاء فيه، «كان دونالد يجول في المكان سائلاً الجميع عن الشخص المناسب لتولي وزارة الخارجية. انتقد الكثيرون رومني

(١) Elise Labott, "Donald Trump Told Nikki Haley She Could Speak her Mind. She's Doing Just That," https://www.cnn.com/interactive/2017/politics/state/nikki-haley-donald-trump-united-nations/

فيما أعرب الكثيرون عن إعجابهم برودي. هذا وأيد العديد من الأشخاص تعيين جون بولتون[1]». أدركت عندها أنه كان عليّ بذل المزيد من الجهد لأكون مستعداً لـ «مارآلاغو». لا شك أنني ممتن كل الامتنان على الدعم الذي حظيت به من الأميركيين الموالين لإسرائيل (اليهود والإنجيليين على حد سواء)، ومؤيدي التعديل الثاني، والأميركيين من أصول كوبية، والأميركيين من أصول فنزويلية، والأميركيين من أصول تايوانية فضلاً عن المحافظين بشكل عام. كما واتصل العديد من الأشخاص بترامب ومستشاريه بالنيابة عني في إطار عملية الانتقال العصيبة من أجل كسب التأييد.

عكس الإرباك المتفشي بشكل متزايد خلال عملية الانتقال الرئاسي ليس فقط قصوراً في الشؤون التنظيمية وإنما أيضاً في أسلوب ترامب في صناعة القرارات بشكل أساسي. ما دفع بتشارلز كروثامر، وهو أحد النقاد اللاذعين لترامب، إلى القول لي إنه أخطأ في وقت سابق عندما وصف سلوك ترامب على أنه أشبه بسلوك فتى في الحادية عشرة من العمر، مشيراً إلى أنه «أصغر من ذلك بعشر سنوات، وأقرب إلى طفل في سنته الأولى، وذلك يتجلى من خلال نظرته إلى الأمور من منظور المنفعة التي تأتي بها على دونالد ترامب». كانت عملية انتقاء أعضاء فريق العمل تبدو في هذه الصورة من الخارج، بحيث قال لي مرة خبير استراتيجي جمهوري إن أفضل وسيلة لترؤس وزارة الخارجية تكمن في أن «أحاول أن أكون آخر الرجال الصامدين».

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر، اتصل بي نائب الرئيس المنتخب بنس وطلب مقابلتي في اليوم التالي في واشنطن. تعرفت على بنس حين كان عضواً في لجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية ووجدت فيه مؤيداً صلباً لإرساء سياسة قوية في التعامل مع شؤون الأمن القومي. تحدثنا بسهولة عن مجموعة من القضايا المتعلقة بالشؤون الخارجية والدفاع، إلا أنني صعقت عندما سمعته يتحدث عن الوزارة قائلاً: «لا يمكنني وصف هذا القرار على أنه وشيك». وإذ بدأت ترد في وقت لاحق تقارير صحافية عن سحب جولياني ترشيحه لمنصب وزارة الخارجية في ذلك الوقت تقريباً، تبين أن عملية الاختيار لمنصب وزير الخارجية قد انطلقت من جديد من نقطة الصفر، وهو تطور غير مسبوق في هذه المرحلة من عملية الانتقال الرئاسي.

عندما وصلت في اليوم التالي إلى المكاتب المخصصة لعملية الانتقال الرئاسي، كان النائب جيب هينسارلينغ يهم بالمغادرة بعد انتهاء لقائه ببنس. وتفيد التقارير بأن هينسارلينغ كان واثقاً كل الثقة من أنه سيحظى بمنصب وزير المالية، بحيث دعا العاملين لديه إلى البدء بوضع الخطط ذات الصلة. غير أن ظنه لم يكن في محله شأنه في ذلك شأن النائبة كاثي رودجيرز التي لم تعين كوزيرة للداخلية على الرغم من أنه تم إبلاغها بأن الخيار قد وقع عليها لتسلم هذا المنصب، والسيناتور السابق

(١) Emily Smith, "Trump spent Thanksgiving asking: Mitt or Rudy?", New York Post, November 27, 2016, /https://nypost.com/2016/11/26/trump-spent-thanksgiving-asking-mitt-or-rudy

سكوت براون الذي أُبلغ بأنه لن يستلم وزارة شؤون المحاربين القدامى. كان الأسلوب المتبع في غاية الوضوح. تبادلت الأحاديث الودية مع بنس على مدى نصف ساعة، حيث استرجعت، كما فعلت مراراً مع ترامب، ما قاله آتشيسون عندما سئل عن سبب نجاح علاقة العمل الوثيقة التي تربطه بالرئيس ترومان: «لا أنسى أبداً من منا رئيساً للجمهورية ومن منا وزيراً للخارجية. وكذلك لم ينس هو».

أعلن ترامب عن تعيين جيم ماتيس كوزير للدفاع في الأول من كانون الأول/ديسمبر، في حين بقي الغموض يلف منصب وزير الخارجية. توجهت في اليوم التالي إلى برج ترامب من أجل المقابلة وانتظرت في بهو منظمة ترامب برفقة مدعي عام ولاية وسيناتور أميركي. تأخر الرئيس المنتخب كالعادة عن موعده، وإذ بوزير الدفاع السابق بوب غيتس يخرج من مكتبه. وتبين لي لاحقاً أن غيتس جاء من أجل حشد التأييد لريكس تيلرسون لمنصب وزير الطاقة أو الخارجية، إلا أنه لم يتحدث مطلقاً عن المهمة التي أتى من أجلها واكتفى بتبادل الدعابات وهو يغادر المكان. دخلت في نهاية المطاف إلى مكتب ترامب حيث دام اجتماعنا أكثر من ساعة بحضور راينس بريبوس (الذي سيُعين قريباً كرئيس موظفي البيت الأبيض) وبانون (الذي سيتولى مهام كبير المستشارين الاستراتيجيين في إدارة ترامب). تحدثنا عن المناطق الساخنة في العالم، والمخاطر الاستراتيجية الأوسع نطاقاً كروسيا والصين، والتهديدات الإرهابية، وانتشار الأسلحة النووية. استهللت حديثي بقصة دين آتشيسون، وخلافاً للقاءاتي السابقة مع ترامب، أمسكت بدفة الكلام، وأجبت عن كافة الأسئلة التي طرحوها علي. كان ترامب يصغي بانتباه؛ ولم يجر أو يتلقَّ أي اتصال هاتفي، كما ولم يقاطعنا أحد إلى أن دخلت إيفانكا ترامب لمناقشة مسألة تجارة عائلية أو ربما لتذكير ترامب بضرورة الالتزام بجدول أعماله.

كنت أتحدث عن الأسباب التي تستوجب إحداث ثورة ثقافية على مستوى وزارة الخارجية لجعلها أداة فعالة في السياسات عندما سألني ترامب: «صحيح أننا نتحدث عن وزارة الخارجية، ولكن هل يمكن أن تقبل بمنصب نائب الوزير؟». أجبته بأنني لا أستطيع القبول لأنه منصبٌ لا يتيح النجاح في إدارة شؤون البلاد. علاوة على ذلك، لا يمكنني العمل مع شخص يُدرك بأنني كنت أنافسه على هذا المنصب وقد يتساءل بشكل مستمر ما إذا كان بحاجة إلى شخص يتذوّق طعامه ويتأكد من سلامته. ومع اقتراب نهاية الاجتماع، أمسك ترامب يدي بين يديه وقال لي: «أنا واثق من أننا سنعمل معاً».

وعقدت بعدها اجتماعاً مع بريبوس وبانون في قاعة صغيرة للمؤتمرات. وبعد أن أكد كلاهما أن اللقاء قد سار «على أفضل ما يرام»، قال لي بانون إن ترامب «لم يسمع كلاماً مماثلاً من قبل» لجهة نطاق النقاش وتفاصيله. وعلى الرغم من ذلك، ألحا علي للقبول بمنصب نائب الوزير الأمر الذي كان يعني أنهما لم يكونا متفائلين بأنني سأحظى بمنصب الوزير. فشرحت لهما من جديد الأسباب

التي تحول دون قبولي بمنصب نائب الوزير. وعلمت في اليوم التالي بأن ترامب سيجري مقابلة مع تيلرسون، الذي كانت تلك المرة الأولى التي يثار فيها اسمه، بشأن وزارة الخارجية، ما يفسر كلام بريبوس وبانون عن ترشيحي لمنصب نائب الوزير. ولم يثر ترامب أو أي من الأشخاص الآخرين مسألة موافقة مجلس الشيوخ. كان معظم المرشحين الذين اختارهم ترامب يتوقعون أن يواجهوا معارضة واسعة أو حتى جماعية من الديمقراطيين. فآراء راند بول الانعزالية تعني أنه سيسبب لي مشكلة، غير أن العديد من أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين (بمن فيهم جون ماكين، وليندسي غراهام، وكوري غاردنر) قالوا لي إنه من الممكن التغلب على معارضته. ومع ذلك، لم يصلني أي خبر من برج ترامب بعد ذلك اللقاء، ما عزز اقتناعي بأنني سأبقى مواطناً عادياً.

أثار تعيين تيلرسون في ١٣ كانون الأول/ديسمبر موجة جديدة من التكهنات (المؤيدة والمعارضة) بشأن ما إذا كنت سأتولى منصب نائب الوزير. شجعني أحد مستشاري ترامب على الإقدام على هذه الخطوة، قائلاً «سيتم تعيينك وزيراً للخارجية في غضون ١٥ شهراً. فالجميع على علم بالقيود التي تعيق مسيرته». ومن بين هذه القيود العلاقة التي توطدت بينه وبين فلاديمير بوتين وروسيا خلال عمله في شركة إكسون موبيل، وذلك في الوقت الذي كان فيه ترامب يتعرض لموجة مطردة من النقد بسبب «تآمره» مع موسكو لهزيمة كلينتون. وفي حين تمكن ترامب في نهاية المطاف من تبرئة نفسه من تهمة التواطؤ، فإنه أراد من خلال رد فعله الدفاعي أن يتجاهل أو أن ينكر تدخل روسيا في الانتخابات الأميركية وسواها من الانتخابات الأخرى، وفي المناقشات المتعلقة بالسياسات العامة بصورة أوسع. ولم يتوانَ الخصوم الآخرون، كالصين وإيران وكوريا الشمالية، عن التدخل أيضاً. شدّدت في التعليقات التي أدليت بها في ذلك الوقت على خطورة التدخل الأجنبي في سياساتنا. وفي بداية شهر كانون الثاني/يناير، توجه ماكين إلي بالشكر قائلاً «إنني صاحب مبدأ». غير أن ذلك لم يكن ليقربني من ترامب لو علم بالأمر.

وشهدت وزارة الدفاع بلبلة بشأن منصب نائب الوزير، حيث طالب ماتيس بتعيين ميشيل فلورنوي التي شغلت مناصب رسمية في عهد أوباما. كانت فلورنوي الديمقراطية مرشحة لتبوّؤ منصب وزيرة الدفاع في حال فوز كلينتون في الانتخابات، ما يجعل من الصعب فهم رغبة ماتيس في تعيينها في الإدارة الجمهورية[١]. وطالب ماتيس في مرحلة لاحقة بتعيين آن باترسون، وهي موظفة متمرسة في

(١) See Gregg Jaffe and Adam Entous, "As a general, Mattis urged action against Iran. Now, as a defense secretary, he may be a voice of caution," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/as-a-general-mattis-urged-action-against-iran-as-a-defense-secretary-he-may-be-a-voice-of-caution/2017/01/08/5a196adc-d391-11e6-a783-cd3fa950f2fd_story.html: Josh Rogin, "Mattis clashing with Trump transition team over Pentagon staffing," https://www.washingtonpost.com/news/josh-rogin/wp /2017/01/06/mattis-clashing-with-trump-transition-team-over-pentagon-staffing/

الشؤون الخارجية، في منصب نائب وزير الدفاع للشؤون السياسية. عملت مع باترسون في مناسبات عدة وأعلم بأنها مؤهلة من الناحية الفلسفية لتشغل منصباً حساساً على مستوى الشؤون السياسية في إدارة ديمقراطية ليبرالية، ولكن من الصعب عليها التكيّف مع إدارة جمهورية. سأل السيناتور تيد كروز ماتيس عن باترسون، ولكن ماتيس لم يتمكن أو لم يرغب في توضيح أسباب ترشيحها، الذي ما لبث أن انهار أمام المعارضة الشرسة لأعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين وسواهم. ودفعت هذه البلبلة بغراهام وآخرين إلى الإيعاز إليّ بعدم الالتحاق بالإدارة في أيامها الأولى والتريث قليلاً، ووجدت كلامهم مقنعاً.

تم التداول لفترة من الزمن، في إمكانية تعييني كمدير للاستخبارات الوطنية، التي عين على رأسها، في نهاية المطاف، السيناتور السابق دان كوتس في أوائل شهر كانون الثاني/يناير. كنت أرى أن الكونغرس قد ارتكب خطأً كبيراً عند إنشاء هذا المنصب عقب اعتداءات ١١ أيلول/سبتمبر لتحسين التنسيق ضمن المجتمع الاستخباراتي، بحيث تحول إلى مجرد غشاء بيروقراطي. لا ريب أنني كنت على استعداد للمشاركة بحماسة في عملية القضاء أو تقليص نفوذ منصب المدير، ولكن سرعان ما استنتجت أن ترامب شخصياً لم يكن مهتماً بما فيه الكفاية بتلك المهمة المتوقع أن تكون شاقة وطويلة على المستوى السياسي. كما وأن الحرب الطويلة واللامنطقية التي انبثقت عن ذلك بين ترامب والمجتمع الاستخباراتي جعلتني أدرك أنني كنت محظوظاً لعدم تعييني في منصب المدير.

انتهت بالتالي عملية الانتقال الرئاسي من دون أن يلوح في الأفق أي مؤشر على انضمامي إلى الإدارة الجديدة. وانطلاقاً من تحليلٍ منطقي للأمور، تبين لي أنه من الأفضل لي البقاء بعيداً لاسيما بعد أن استخلصت أن عملية صناعة القرارات (مع استخدام هذه العبارة بشكل فضفاض) التي تلت حفل تنصيب ترامب رئيساً، كانت غير تقليدية وعشوائية تماماً مثل عملية اختياره لفريق عمله. كان ذلك جيداً لي، ويا ليت بالإمكان القول إنه جيد للبلاد.

لم يكن قد مضى شهر على انضمامه إلى الإدارة الجديدة، حتى دمر مايك فلين نفسه. بدأت المشكلة مع مواجهة فلين الكثير من الانتقادات حيال حديث مزعوم أدلى به لسفير روسيا سيرجي كيسلياك الذي تعرفت عليه، بصفته نظيري الروسي، يوم كنت أشغل منصب وكيل وزارة الخارجية لشؤون مراقبة الأسلحة والأمن الدولي في إدارة بوش الابن. وتضاعفت حدة الانتقادات بشكل كبير عندما تبين أن فلين قد كذب على بنس وآخرين بشأن حديثه مع كيسلياك. ولكن ما السبب الذي دفع فلين للكذب بشأن حديث بريء؟ لم أتمكن قط من معرفة الجواب. فما قاله لي كبار المساعدين وترامب نفسه بعد مرور أيام قليلة كان منطقياً، خاصة لجهة فقدان الثقة في فلين بسبب القصور في أدائه (تماماً كما توقع كسينجر)، و«القضية الروسية» كانت مجرد غطاء ملائمٍ من الناحية

السياسية. قدم فلين استقالته في ١٣ شباط/فبراير، أي بعد يوم واحد من العاصفة التي اجتاحت البيت الأبيض، وبعد ساعات قليلة فقط من تلقي كيليان كونواي الأمر المشؤوم والتعسفي بإخبار الهيئات الصحافية المتوترة بأن ترامب يثق كل الثقة بفلين. هذا هو تعريف الفوضى والإرباك.

والمؤسف في الأمر هو أن العاملين في مجلس الأمن القومي انطبعوا خلال الأسابيع الأولى من تولي الإدارة مهامها بطابع الفوضى والإرباك. فاختيار الموظفين كان مشوباً بالفوضى، بحيث اتخذ مدير وكالة الاستخبارات المركزية مايك بومبيو خطوة صاعقة وغير مسبوقة تقريباً برفضه منح تصريح «معلومات حساسة ومجزأة» لشخص اختاره فلين ليشغل منصب مدير أعلى، وهي إحدى الوظائف العالية المستوى في مجلس الأمن القومي(١). والجميع يدرك أنه من خلال رفضه منح هذا التصريح المهم، حرم الشخص المعني من العمل في مجلس الأمن القومي، ما شكل ضربة مدوية لفلين. وقد واجه أيضاً معارك لا تعد ولا تحصى مع الموظفين الدائمين خلال عهد أوباما وتم إبلاغ مجلس الأمن القومي بها بشكل تفصيلي. إلا أنه بقي في منصبه، كما هي العادة، مع بدء ولاية ترامب. وغالباً ما كانت تنبثق عن تلك المعارك روايات مسربة عن الدماء البيروقراطية المهروقة على أرضية البيت الأبيض ومبنى مكتب آيزنهاور التنفيذي، ذلك البناء الفيكتوري الطراز المصنوع من الغرانيت الرمادي والقائم في جادة ويست إكزكيوتيف والذي يضم مكاتب العاملين في مجلس الأمن القومي.

واقترف البيت الأبيض الأخطاء الواحد تلو الآخر في الأيام الأولى من تسلم ترامب سدة الرئاسة، من خلال محاولة صياغة أوامر تنفيذية وتوجيهات متعلّقة بإحدى المسائل الرئيسية التي بنى ترامب عليها حملته الانتخابية والمتمثلة في قمع الهجرة غير الشرعية. ولكن التحديات القضائية كانت بالمرصاد. ومن المرجح أن تكون تتوالى الدعاوى القضائية خاصة وأن الجسم القضائي شهد تعيينات كثيرة منذ وصول أوباما إلى سدة الرئاسة وعلى امتداد ثماني سنوات خلت. غير أن انهماك البيت الأبيض بمسألة الهجرة أدت إلى قصور في الاستعدادات للانتقال الرئاسي والتنسيق الداخلي. وشقّت عريضةٌ داخلية معارضة في وزارة الخارجية وقع عليها ما يزيد عن ألف موظف وتضمنت نقداً لمبادرة الهجرة، طريقها إلى الإنترنت. فهللت الصحافة لها على الرغم من أن الحجج التي تضمنتها ضعيفة، وغير مترابطة، ومعروضة بشكل سيء. غير أن أحداً لم يستجب لتلك المراسلات وسواها من الحجج المماثلة التي يطرحها المعلقون الإعلاميون والمعارضون في الكونغرس. من المسؤول عن ذلك؟ وما هي الخطة؟

ولعل أكثر ما أثار استغرابي هو الاتصال الذي تلقيته من تيلرسون بعد مضي ثلاثة أيام على

(١) Kenneth P. Vogel and Josh Dawsey, "CIA freezes out top Flynn aide," https://www.politico.com/story/2017/02/mike-flynn-nsa-aide-trump-234923

موافقة لجنة مجلس الشيوخ الأميركي للعلاقات الخارجية على تسميته في ٢٣ كانون الثاني/يناير بواقع (١٠-١١) بفعل الانقسام الحزبي، وذلك أثناء مشاركتي في اجتماع لمجلس إدارة إحدى المؤسسات. تحدثنا معاً لمدة ٣٠ دقيقة تقريباً، وتمحور حديثنا بشكل أساسي حول المسائل التنظيمية للوزارة وكيفية تطبيق آلية صناعة القرارات ما بين الوكالات. تعامل تيلرسون معي بكياسة ومهنية وأعرب بوضوح عن عدم رغبته بتعييني كنائب له. الحق يقال إنني لو كنت مكانه لحذوت حذوته. وبلغني أن تيلرسون قد قال في وقت لاحق لإليوت أبرامز، الذي كان مرشحاً أيضاً إنه بحاجة إلى شخص يعمل خلف الكواليس ويوفر له الدعم، وليس إلى شخص قادر على كسب انتباه الجمهور، ذلك أنني تمكنت من كسب انتباه الجمهور من خلال عملي في الأمم المتحدة وكمعلق إعلامي في قناة فوكس. سأل إن كنت مهتماً بالعمل في الخارجية في غير منصب نائب الوزير فقلت لا لأنني كنت قد حظيت بمنصب السفير في الأمم المتحدة وهو الأفضل بعد الوزير. ضحك تيلرسون وتحدثنا عن العلاقات التي غالباً ما تكون محفوفة بالصعوبات بين الوزراء وسفراء الأمم المتحدة. بدا واضحاً أنه لم يتحدث مع هالي عن علاقتهما ولا يملك أدنى فكرة عن كيفية التعامل مع تلك القنبلة الموقوتة.

كنت أخشى أن يقع تيلرسون فريسة البيروقراطية في وزارة الخارجية. فقد قضى ٤٠ سنة من حياته المهنية في شركة إكسون، ضمن بيئة تلتزم بمعايير واضحة للأداء، حيث يعتبر إعداد بيانات الأرباح والخسائر من المهام الأساسية وحيث الثقافة المؤسسية لم تشهد أي تغير ثوري من داخلها. وبعد سنوات من تربعه على قمة التسلسل الهرمي لشركة إكسون واعتقاده بأن كافة المرؤوسين يعملون ضمن فريق واحد، كان ليكون لافتاً أن يتمكن تيلرسون الجالس في جناح وزير الخارجية في الطابق السابع، من أن يفترض أي شيء عن الموظفين المهنيين العاملين في الطوابق السفلية أو المنتشرين في مختلف أنحاء العالم غير ما افترض أنه يعرفه عنهم. كان حري بتيلرسون، بسبب خلفيته بالضبط، أن يحيط نفسه بأشخاص على بينة من نقاط الضعف والقوة في الخدمات الخارجية والمدنية، إلا أنه اختار أن يسلك مساراً مختلفاً. فهو لم يسع يوماً للثورة الثقافية (كما كنت لأفعل أنا)، أو يلتزم بثقافة «المبنى» (كما اعتاد جميع العاملين في المكان أن يسموه) أو يسعى إلى السيطرة على البيروقراطية من دون إدخال اي تعديلات أساسية عليها (كما فعل جيم باكر). ولكنه اختار عوضاً عن ذلك أن يعزل نفسه مع عدد قليل من المساعدين الذين يثق بهم وكلّفه ذلك ثمناً باهظاً.

ولكن في ظل الفشل الذريع الذي مني به فلين، سواء بشكل منصف أم لا، بات منصب مستشار الأمن القومي الذي لم أضعه في السابق بعين الاعتبار بسبب العلاقة الحميمة التي تربط ما بين فلين وترامب، متاحاً. فتركزت التكهنات الصحافية حول الشخصية التي ستخلف فلين، منوهة إلى أنه من الممكن اختيار جنرال أيضاً، ومشيرة إلى ديفيد بترايوس، وروبرت هاروود (جنرال سابق في القوات البحرية، يعمل حالياً في لوكهيد مارتن، ويحظى بدعم ماتيس) أو كيث كيلوغ (أحد أنصار

ترامب القدامى ويشغل حالياً منصب أمين السر التنفيذي في مجلس الأمن القومي). بدا تيلرسون وكأنه غير معني بما يجري، وهو دليل على وجود مشكلة لأنه لا يشكل، من جهة، جزءاً من الحلقة ولا يعي، من جهة أخرى، الورطة المحتملة التي قد يجد نفسه فيها إذا ما حظي بالمنصب أحد حلفاء ماتيس، بحيث أن ذلك يمكن أن يؤدي إلى جعل علاقته بالبيت الأبيض أكثر تعقيداً. في الواقع، كانت الروايات الإخبارية تتحدث عن تيلرسون وميله بصورة عامة إلى تجنب الأضواء(١).

نهار الجمعة في ١٧ شباط/فبراير، تلقيت رسالة من بانون يطلب مني فيها الحضور إلى «مارآلاغو» لمقابلة ترامب في يوم الرؤساء المصادف في عطلة نهاية الأسبوع. في ذلك اليوم، غرد مقدم البرامج على قناة أم أس أن بي سي جو سكاربورو قائلاً «عارضت بشدة تعيين السفير جون بولتون في منصب وزير الخارجية. ولكن السفير الأسبق لدى الأمم المتحدة هو أشبه بتوماس جيفرسون في باريس مقارنة بمايكل فلين». من الممكن أن يجدي هذا الكلام نفعاً في عالم ترامب. خلال المشاورات في «مارآلاغو» في عطلة نهاية الأسبوع، قال لي أحد الضيوف إنه سمع ترامب يردد في مناسبات عدة «بدأت حقاً أحب بولتون». ألم أستنتج في وقت سابق أنه ينبغي علي أن أبذل المزيد من الجهد في التعامل مع هذا الحشد؟ أجرى ترامب مقابلات مع ثلاثة مرشحين: الفريق هاربرت ماكماستر، مؤلف كتاب «التقصير في أداء الواجب» (Dereliction of Duty) الذي يضم دراسة مميزة عن العلاقات المدنية العسكرية في أميركا؛ والفريق روبرت كاسلين، قائد قاعدة ويست بوينت؛ وأنا. التقيت قبل سنوات طويلة بماكماستر وتحدثت معه وأعجبت باستعداده لتبني مواقف مثيرة للجدل. خلال لقائي الأول بكاسلين، وجدت فيه مسؤولاً ساحراً وصاحب كفاءة عالية. اختار الاثنان ارتداء البزة العسكرية الكاملة ليظهرا من خلال ذلك مهاراتهما في التسويق. أما أنا، فلم أكن قد حلقت شاربي.

رحب ترامب بي بحرارة معرباً عن مدى الاحترام الذي يكنه لي ومدى سعادته لأن يدرس اختياري لمنصب مستشار الأمن القومي. وسألني ترامب أيضاً عما إذا كنت أرغب في الحصول على «لقب مثل بانون» (الذي كان موجوداً في الحانة الخاصة الواقعة في الطابق الأول في مارآلاغو برفقة بريبوس وكوشنير) للإحاطة بكافة المسائل الاستراتيجية. تبين لي من خلال حديثه أنني مرشح لأكون واحداً من «مساعدي الرئيس» الكثيرين، الذين يوجد العديد منهم في البيت الأبيض من دون أن يُبذل أي جهد يذكر لتحديد مهامهم ومسؤولياتهم. لم تكن تلك بداية مقبولة لي، لذا رفضت العرض بطريقة مهذبة مؤكداً له أنني لا أسعى سوى للحصول على منصب مستشار الأمن القومي. ويُقال إن هنري كيسنجر علّق مرة قائلاً «حذار أن تتسلم منصباً حكومياً من دون عنوانٍ بريدي

(١) See Gardiner Harris, "Where Is Rex Tillerson? Top Envoy Keeps Head Down and Travels Light," https://www.nytimes.com/2017/02/15/world/europe/germany-rex-tillerson.html?searchResultPosition=2

لتلقّي الرسائل». أكد لي الرئيس أن خليفة فلين سيحظى بحرية التصرف في المسائل التنظيمية وشؤون الموظفين، وهو أمر أعتقد أنه أساسي لإدارة العاملين في مجلس الأمن القومي والعمليات ما بين الوكالات بشكل فعال. تطرقنا إلى مجموعة كاملة من القضايا في العالم، وقمنا بما يُعرف «بجولة أفق»، كما اعتادت وزارة الخارجية على تسميتها. وقاطعني ترامب عند نقطة معينة، قائلاً «هذا عظيم جداً. يتحدث جون تماماً كما يفعل على شاشة التلفزيون. يمكنني الاستماع إليه من دون ملل. يعجبني ذلك». وسألني كوشنير «كيف تتعامل مع مسألة أنك شخص مثير للجدل إلى حد أن الجمهور ينقسم بين فئة تحبك وأخرى تكرهك؟» وإذ فتحت فمي للإجابة عن سؤاله، قال ترامب، «أجل، إنه يشبهني تماماً! فالجمهور منقسم بين فئة تحبني وأخرى تكرهني. جون وأنا متشابهان تماماً». واكتفيت بالقول إنه لا يمكن الحكم على الشخص إلا من خلال أدائه، منوهاً بعدد مما اعتبرته إنجازاتي على مستوى السياسة الخارجية. وانتهى الاجتماع بنقاش حول روسيا، بحيث قال ترامب، «سمعتك تتحدث عن المعاهدة قبل فترة»، مشيراً بذلك إلى معاهدة الصواريخ النووية المتوسطة المدى الموقعة مع روسيا. وشرح أن الاتفاقية غير منصفة بحيث أنه لا توجد دول ممنوعة من تطوير قدراتها لجهة الأسلحة المتوسطة المدى سوى الولايات المتحدة وروسيا (وقد قصد بذلك دولاً مثل الصين وإيران وكوريا الشمالية)، مؤكداً أن روسيا تنتهك أحكام المعاهدة. كنت قد قلت هذا الكلام في وقت سابق، ما جعلني واثقاً من أنه مازال يتابع باهتمام بالغ ما تبثه قناة فوكس نيوز! فاقترحت عليه أن نطالب بوتين بالالتزام بالواجبات الواقعة على روسيا في ظل معاهدة الصواريخ النووية المتوسطة المدى أو ننسحب منها؛ فوافقني ترامب الرأي.

غادرت المكان برفقة بانون الذي ما انفك يردد «كان ذلك عظيماً». على الرغم من ذلك، كنت واثقاً تماماً من أن ترامب سيختار جنرالاً. بعد عودتي إلى الفندق، تلقيت في وقت لاحق من ذلك النهار اتصالاً من بانون وبريبوس بي أعربا فيه عن رغبتهما بتناول الفطور معاً في صباح اليوم التالي في «مارآلاغو». اقترح بريبوس عليّ مناصب بديلة عن منصب مستشار الأمن القومي، قائلاً عن ترامب، «تذكر جيداً مع من تتعامل». وعداني بأن أحظى بنفوذ حقيقي، مع إمكانية الوصول إلى ترامب. مؤكدين أن الإدارة ستشهد تغيرات حتمية، ما يعني أنني سأتمكن في نهاية المطاف من تسلم وزارة الخارجية. بالارتكاز على خبرتي في الشؤون الحكومية، شرحت لهما أنه لا يمكن إدارة البيروقراطية من دون التحكم بها، بحيث لا يمكن الاكتفاء بمراقبتها من البيت الأبيض. ومجلس الأمن القومي هو بمثابة آلية لتنسيق عمل وكالات الأمن القومي، وهذه الوظيفة تتطلب شخصاً يتمتع بخبرة على المستويات الأدنى ليعرف ما سينجح وما سيفشل. عنى هذا أنني لم أترك انطباعاً إيجابياً لديهما. ما جعلني أستنتج بأن ترامب قد قال لهما. «حاولا إقناعه بالانضمام إلى الإدارة لكي يدافع عنا على شاشات التلفزة». لم أكن أنوي مطلقاً القيام بذلك. في ما يتعلق بسياسات لا دور لي أو لي دور محدود في صياغتها. وفي مرحلة معينة، قال لي بانون «أريدك أن تساعدني أيها

السفير»، مع أنني كنت أبذل ما بوسعي لمساعدته. ولكن المقصود بذلك هو أن أخبره بما يمكن أن يغريني للانضمام إلى الإدارة.

في طريق العودة إلى واشنطن، قرأت عبر خدمة الإنترنت المتاحة على الطائرة أن ترامب اختار ماكماستر. لم يفاجئني الخبر. ولكنني تفاجأت عندما سمعت ترامب يقول: «أعرف جون بولتون جيداً. سنطلب منه العمل معنا بصفة مختلفة. جون رجل مميز، وعقدنا معه اجتماعات ناجحة. فهو يملك الكثير من المعلومات، وعلي الاعتراف بأنني أؤيده بالكثير من الأفكار التي طرحها. لهذا السبب، سأقترح على جون بولتون منصباً آخر».

من الواضح أنني لم أتمكن من إيصال وجهة نظري بشأن الوظيفة الأنسب الي، لاسيما لكوشنير الذي تلقيت منه بعد وقت قصير رسالة جاء فيها، «أمضينا وقتاً رائعاً معاً. نرحب بانضمامك إلى فريق عملنا. علينا أن نتحدث هذا الأسبوع بشأن المنصب الأنسب لك لأنك تملك الكثير لتقدمه لنا والفرصة متاحة أمامنا لنحقق بعض الإنجازات». نهار الثلاثاء، اتصلت بي مادلين ويسترهوت، أمينة سر ترامب في «المكتب البيضاوي الخارجي» (الغرفة التي يجلس فيها مساعدو ترامب الشخصيون) لتوصلني بترامب، ولكنني لم أتمكن من الرد عليها لأن هاتفي كان على وضعية صامت. عندما اتصلت في وقت لاحق، كان ترامب مشغولاً تماماً كما توقعت، فسألت ويسترهوت عما إذا كانت تعلم ما يريده الرئيس مني، خشية أن يمارس علي نوعاً من الضغط. فأجابت قائلة، «يريد أن يعرب لك عن مدى إعجابه بك» وأضافت قائلة بأنه يريد أن يشكرني على حضوري إلى «مارآلاغو». أجبتها بأن هذا لطف منه، مؤكداً أنه لا داعي لأن يتصل بي ثانية حتى لا أثقل جدول أعماله، وذلك في محاولة مني لتجنب أي موقف محرج. ولم تكد تمر بضعة أيام حتى عادت ويسترهوت، التي كانت لاتزال في حينها مليئة بالاندفاع والحماسة، وتركت لي رسالة تقول فيها إن الرئيس يريد رؤيتي. وإذ كنت مقتنعاً بأنه سيعرض علي منصباً غير محدد المعالم، غادرت البلاد لمدة أسبوعين في محاولة ثانية للتملص من المواقف المحرجة.

الهروب ممكن ولكن الاختباء مستحيل؛ حُدد الموعد مع ترامب في ٢٣ آذار/مارس، بعد تناول الغذاء مع ماكماستر في البيت الأبيض. وحرصاً مني على الحفاظ على الشفافية، أرسلت مسبقاً رسالة نصية لبانون: كنت مهتماً بترؤس وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومي، والواضح لي أن المنصبين غير متاحين. دخلت بالصدفة الجناح الغربي للمرة الأولى منذ عشر سنوات فيما كان حشد من ممثلي وسائل الإعلام ينتظرون في الخارج لإجراء مقابلات مع أعضاء مجلس النواب الجمهوريين المجتمعين مع ترامب للبحث في فشل الجهود المبذولة لإلغاء نظام الرعاية الصحية «أوباما كير». صبّ ذلك في مصلحتي، مع أنني لم أكن مستعداً للإجابة عن أي سؤال. ففي عصر التويتر، يمكن بناء قصص مثيرة من لا شيء، كما غرد أحد المراسلين الصحافيين:

> **غلين ثروش** دخل جون بولتون للتو إلى الجناح الغربي- سألته عما يفعله هنا، فابتسم وأجابني قائلاً «أهتم بشؤون الرعاية الصحية».

وتبين لي في وقت لاحق أن الصحافي في واشنطن بوست بوب كوستا قد غرد أثناء دخولي المكان قائلاً:

> **روبرت كوستا** ترامب يرغب في انضمام جون بولتون إلى الإدارة. ولهذا السبب حضر بولتون اليوم إلى الجناح الغربي، بحسب أحد المقربين من ترامب. المحادثات مازالت مستمرة.

أمضيت وقتاً ممتعاً مع ماكماستر خلال تناولنا وجبة الغذاء، حيث ناقشنا مسائل تتعلق بإيران، والعراق وكوريا الشمالية، ثم انتقلنا إلى المكتب البيضاوي للقاء ترامب، الذي كان بدوره يتناول طعام الغداء مع وزير المالية ستيفن منوشين ونيلسون بليتز، وهو مموّل من نيويورك.

كان ترامب يجلس خلف مكتب ريزولوت الخالي من أي أغراض خلافاً لمكتبه في نيويورك الذي كان يعج باستمرار بالصحف، والتقارير والملاحظات. وبعد أن أصر على أن نلتقط صورة معاً، جلسنا ماكماستر وأنا في الجهة المقابلة من طاولة المكتب لنتمكن من النقاش. فتحدثنا قليلاً عن الجهود التي تبذل لإلغاء نظام أوباما كير ثم انتقلنا للحديث عن إيران وكوريا الشمالية مرددين معظم النقاط التي تطرّقت إليها وماكماستر على الغذاء. قال ترامب، «أتعلم شيئاً؟ إننا نتفق على معظم القضايا باستثناء قضية العراق»، فأجبته قائلاً: «هذا صحيح، ولكنك توافقني الرأي على أن قرار أوباما بسحب القوات الأميركية عام ٢٠١١ أدى إلى الفوضى العارمة التي نشهدها حالياً». فقال عندها ترامب، «لا أنوي أن أفعل ذلك الآن، ولكنني سأطلب منك في الوقت المناسب وعند شغور المنصب الملائم أن تنضم إلى الإدارة، وأنا واثق من أنك ستوافق، صح؟». انفجرت ضاحكاً وكذلك فعل ترامب وماكماستر (على الرغم من أنني لم أكن أشعر بالارتياح نيابة عنه) وأجبت قائلاً، «بالتأكيد» وقد خيل إلي أنني تمكنت مرة أخرى من تجنب المواقف المحرجة التي كنت أخشى الوقوع فيها. فالرئيس لم يضغط علي، أو يطلب مني الاستعجال باتخاذ القرار أو يعرض علي وظيفة غير محددة المعالم في البيت الأبيض من دون صندوق رسائل واردة.

استمر الاجتماع لما يزيد عن عشرين دقيقة. وغادرت بعدها برفقة ماكماستر. وإذ مررت لإلقاء التحية على بانون في مكتبه، توجهت برفقته لزيارة بريبوس، والتقينا في البهو سين سبايسر ومن بعدها بنائب الرئيس الذي رحب بي بحرارة. ذكرتني تلك الأجواء بمهجع الجامعة حيث الطلاب يتجولون داخل غرفهم وخارجها ويتبادلون أطراف الحديث. ألم يكن هؤلاء الأشخاص يخوضون

غمار أزمة إلغاء نظام «أوباما كير»، الذي شكل إحدى النقاط الرئيسية في حملة ترامب عام ٢٠١٦؟ مما لا شك فيه أن البيت الأبيض اليوم لا يشبه البيت الأبيض خلال الإدارات السابقة. وعندما سمعت مايك بنس يقول لي، «كم يسعدني أن تنضم إلينا»، شعرت بأن كلامه نذير شؤم، لأنني لم أحضر إلى ذلك المكان لهذه الغاية. غادرت البيت الأبيض قرابة الساعة الثانية والربع وغمرني إحساس بأنني قادر على التسكع في المكان طوال فترة بعد الظهر.

توقعت أن يستمر هذا النمط من التواصل مع ترامب والبيت الأبيض إلى ما لا نهاية، وتوقعاتي كانت في محلها إلى حد ما. ولكن مع انقضاء مئة يوم على مباشرة الإدارة عملها بدأت تتجلى في رأسي الأمور التي كنت مستعداً للقيام بها وتلك التي لم أكن مستعداً لفعلها. ففي النهاية، كان لا بد من ذكر العبارة المفضلة لدى جورج واشنطن التي ترد في مسرحيّته المفضّلة المقتبسة عن حياة كاتو الأصغر: «عندما تسود الرذيلة، ويتحكم الأشرار بزمام الأمور، تتحول رتبة الشرف لمحطةٍ للمصالح الخاصة».

غير أن الحياة في عهد ترامب لم تكن تشبه من حيث طبيعتها الحياة في زمن جوزيف أديسون مؤلف مسرحية كاتو، حيث يجاهد البطل للدفاع عن الجمهورية الرومانية ضد يوليوس قيصر. فالإدارة الجديدة هي أشبه بأغنية «فندق كاليفورنيا» لفرقة إيغلز: «يمكنك تسديد فاتورتك ساعة تشاء/ولكن لا يمكنك المغادرة أبدا».

لم يكد يمر وقت طويل حتى عاد بانون وبريبوس واتصلا بي وأرسلا إلي الرسائل النصية موجهين إلي الدعوة للحضور إلى البيت الأبيض لأمر ما، في الوقت الذي كانا يحاولان التغلب على عدم التوافق القائم بين ترامب، وماكماستر وتيلرسون. وتمثلت المظاهر الأكثر وضوحاً لهذه المشاكل في القضية الإيرانية، وخاصة الاتفاق النووي ٢٠١٥ والذي اعتبره أوباما أعظم إنجازاته (الثاني نظام أوباما كير). فالاتفاق سيّىء من حيث مفهومه، وشائن من حيث المفاوضات التي أجريت بشأنه وصياغته، ويراعي مصالح إيران إلى حد بعيد؛ كما وأنه غير قابل للتطبيق، وغير قابل للمتابعة والتحقّق وغير ملائم من حيث إطاره ومدته. وفي حين أن الهدف المزعوم منه هو إيجاد حل للتهديدات التي يشكلها برنامج الأسلحة النووية الإيراني، لم يتمكن الاتفاق من تحقيق غايته. في الواقع، أدى هذا الاتفاق إلى تفاقم التهديدات عبر إيجاد ما يشبه الحل، وتحويل الانتباه عن المخاطر، ورفع العقوبات الاقتصادية التي تركت أثراً مدمراً على الاقتصاد الإيراني، مع السماح لطهران بمواصلة عملها من دون أي عوائق. كما لم يتطرق الاتفاق إلى التهديدات الأخرى التي تفرضها إيران والمتمثلة في: برنامج الصواريخ الباليستية (جهود مقنعة بقناع خفيف لتطوير مركبات تسليم الأسلحة النووية)؛ الدور الذي تقوم به بصفتها الممول الرئيسي في العالم للإرهاب

الدولي؛ والأنشطة الخبيثة الأخرى التي تمارسها في المنطقة عبر تدخل وتعاظم قوة فيلق القدس، جناح العمليات الخارجية للحرس الثوري الإيراني، في العراق، وسوريا، ولبنان، واليمن ودول أخرى. ومع تحررها من العقوبات، عاد المجتهدون المتطرفون في طهران إلى ممارسة أعمالهم مستفيدين من تحويل ١٥٠ مليون دولار نقداً في طائرات الشحن وفك تجميد ما يقارب ال ١٥٠ مليار دولار من الأصول على المستوى العالمي.

شن ترامب وسواه من مرشحي الحزب الجمهوري حملات ضد خطة العمل الشاملة المشتركة، وهو الاسم الرسمي الثقيل للاتفاق الإيراني، بحيث ساد الاعتقاد على نطاق واسع بأنه كان يستعد لمسحه بشكل حاسم بعد تنصيبه رئيساً. غير أن تكتل تليرسون وماكماستر وماتيس أحبط جهود ترامب للتحرر من ذلك الاتفاق البائس، ما جعلهم يكتسبون استحسان وسائل الإعلام المولهة باعتبارهم يشكلون «محور البالغين» القادرين على التحكم في ترامب ومنعه من الانجرار وراء أهوائه الجامحة. ولكن يا ليتهم يعلمون. في الواقع، كان العديد من مؤيدي ترامب على بينة من الجهود التي يبذلونها لمنعه من تنفيذ ما وعد الناخبين به. ولم يكن ماكماستر يصنع أي معروف باعتراضه على عبارة «الإرهاب الإسلامي المتطرف» في وصف... الإرهاب الإسلامي المتطرف. خلال الفترة التي شغل فيها منصب وزير للخارجية في إدارة بوش الأب وكنت أعمل لديه، كان جيم بايكر يردد على مسمعي في كل مرة ألح فيها لتحقيق رغبة لا يحبذها بوش، «الرجل المنتخب يا جون لا يرغب في ذلك». كانت تلك إشارة إلى ضرورة التوقف عن الإلحاح. ولكن في إطار جهاز للأمن القومي حديث الولادة في إدارة ترامب، لم يكن ما يريده «الرجل المنتخب» سوى عاملٍ واحدٍ من بين العوامل العديدة التي تؤخذ في الحسبان.

في أوائل شهر أيار/مايو، وبعد أن أجريت جلسة نقاش أخرى في البيت الأبيض مع بريبوس وبانون، طلبا مني مرافقتهما للمشاركة في ما تبين لي لاحقاً أنها جلسة تصوير مع ترامب وبنس في صف الأعمدة الذي يصل مقر الإقامة بالجناح الغربي. وبينما كنا نعبر على طول صف الأعمدة محاطين بالمصورين، صاح ترامب قائلاً «جون تسرني رؤيتك». تحدثنا عن الفيليبين وتهديد الصين بإخضاع منطقة بجر جنوب الصين لسيادتها. وعندما انتهينا، قال ترامب بصوت عالٍ ليتسنى لحشد المراسلين الصحافيين سماعه، «هل ريكس تيلرسون في الجوار؟ عليه أن يتحدث مع جون». قال ترامب ذلك ودخل إلى المكتب البيضاوي. فعلق بريبوس قائلاً: «كان ذلك رائعاً. نود أن نراك في هذا المكان بصورة منتظمة».

شهدت الحياة في البيت الأبيض تطورات تتوافق مع إيقاعها الخاص، بحيث طرد ترامب مدير مكتب التحقيقات الفدرالي جايمس كومي في وقت لاحق من شهر أيار/مايو (نزولاً عند اقتراح

كوشنير، بحسب ما قاله بانون). والتقى بوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف (الذي كانت تربطني به علاقة ترقى إلى ما يزيد عن ٢٥ سنة) من دون أن يتوخى أدنى درجات الحذر في مناقشته القضايا ذات الطابع السري، واصفاً كومي «بالمعتوه» بحسب صحيفة النيويورك تايمز غير المتحيزة[١]. كنت في إسرائيل في أواخر شهر أيار/مايو لإلقاء خطاب ولقاء رئيس الوزراء بيبي نتنياهو الذي كنت قد التقيت به للمرة الأولى خلال عهد جورج بوش الأب.

شكلت التهديدات الإيرانية المحور الرئيسي لاهتماماتنا كما يجب أن تشكل المحور الرئيسي لاهتمام أي رئيس للوزراء في إسرائيل، إلا أنه لم يخفِ ارتيابه من إسناد مهمة وضع حد للصراع الإسرائيلي الفلسطيني لكوشنير، الذي كان نتنياهو يعرف عائلته منذ سنوات طويلة. وفي حين أن حنكته السياسة منعته من الاعتراض على الفكرة علناً، إلا أنه تساءل على غرار ما فعل الكثيرون، عن السبب الذي جعل كوشنير واثقاً من أنه قادر على النجاح حيث فشل أمثال كيسنجر.

عدت إلى البيت الأبيض في شهر حزيران/يونيو لمقابلة ترامب. وبينما كنت متوجهاً إلى المكتب البيضاوي الخارجي برفقة بريبوس، رآنا ترامب عبر باب مكتبه المفتوح، فصاح قائلاً «مرحباً يا جون. أريدك أن تنتظرني قليلاً ريثما أوقع لجان الترشيح القضائية». رحبت بكل سرور بطلبه ولم أجد مانعاً من إعطائه الوقت الكافي، لأن سجل ترامب المثقل بالتعيينات القضائية. والتي كانت على مسارها الصحيح نحو التتويج بتعيين القاضيين نيل غورساتش وبريت كافانو، كانت بالنسبة للمحافظين، من الأولويات القصوى والإنجازات البارزة خلال ولايته. عندما دخلت برفقة بريبوس، هنأت ترامب على انسحابه من اتفاق باريس للمناخ، وهو أمر فشل «محور البالغين» في ردعه عن القيام به، في حين شكّل بالنسبة إلي انتصاراً هاماً ضد الحوكمة العالمية. فاتفاق باريس للمناخ كان مجرد تمثيلية مصطنعة بالنسبة للجهات التي تهتم حقاً بالتغيير المناخي. وكما هي الحال في العديد من القضايا الأخرى، توفر الاتفاقات الدولية ما يشبه الحلول الرامية لمعالجة القضايا الرئيسية، إلى جانب منح رجال السياسة ما يستحقون التقدير عليه ولكن من دون إحداث أي فرق ملحوظ في العالم الحقيقي(وفي هذه الحال، أُعطيت فسحة لبعض الدول كالصين والهند، ولكنها بقيت فعلياً غير مقيدة). قدمت لترامب نسخة عن مقال كتبته في العام ٢٠٠٠ ونُشر في مجلة شيكاغو للقانون الدولي تحت عنوان «هل ينبغي علينا أن نأخذ الحوكمة العالمية على محمل الجد؟»، ليس ظناً مني بأنه سيقرأه، بل لتذكيره بأهمية الحفاظ على سيادة الولايات المتحدة.

---

(١) Matt Apuzzo et al., "Trump Told Russians That Firing 'Nut Job' Comey Eased Pressure From Investigation," https://www.nytimes.com/2017/05/19/us/politics/trump-russia-comey.html

حذرت ترامب من مغبة هدر رأس المال السياسي في البحث العقيم عن حل للصراع العربي الإسرائيلي وشدّدت على أهمية نقل سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل إلى القدس، مؤكداً بذلك اعترافه بها كعاصمة إسرائيل. في ما يتعلق بإيران، حثثت الرئيس على المضي قدماً بمسألة الانسحاب من الاتفاق النووي وعرضت عليه الأسباب التي قد تستدعي اللجوء إلى القوة في مواجهة البرنامج النووي الإيراني باعتباره الحل الوحيد المتبقي. قال لي ترامب من دون أن أسأله، «أبلغ بيبي بأنني سأدعمه في حال قرر اللجوء إلى القوة. سبق وقلت له هذا الكلام، ولكن عليك أن تردده على مسمعه من جديد». وفي سياق الحديث، سألني ترامب، «هل تنسجم مع تيلرسون؟» فأجبته بأنني لم أتحدث معه منذ شهر كانون الثاني/يناير. بعد مرور بضعة أيام، أخبرني بانون بأن ترامب كان راضياً عن الاجتماع. في الواقع، لم تكد تمضي بضعة أسابيع حتى اتصل بي تيلرسون وطلب مني أن أكون مبعوثاً خاصاً للمصالحة الليبية، فوجدت في تلك المهمة تمريناً آخر على مستوى التدقيق في اهتماماتي: فإذا سئل، قد يقول تيلرسون لترامب إنه عرض علي مهمة ولكنني رفضتها. وطلب تيلرسون في الوقت نفسه من كورت فولكر المقرب من ماكين أن يصبح المبعوث الخاص في أوكرانيا. لم يكن أي من المنصبين يتطلب العمل بدوام كامل في الحكومة، ولكن بحسب وجهة نظري، إما أن تكون في الإدارة وإما لا. الحلول الوسطية لا تفيد.

لم تغب أيضاً كوريا الشمالية عن حسابات الإدارة الجديدة، خاصة بعد إطلاق سراح أوتو ورمبر الذي تعرض لمعاملة وحشية في بيونغ يانغ وتوفي عقب عودته إلى الولايات المتحدة. فتلك المعاملة الوحشية التي أظهرتها كوريا الشمالية كانت كافية لتخبرنا بكل ما نحتاج إلى معرفته عن نظامها الحاكم. هذا وكانت بيونغ يانغ تستعد لتجربة صواريخها الباليستية في مرحلة أولى في الرابع من تموز/يوليو (هذا لطف منها) وفي مرحلة ثانية في ٢٨ تموز/يوليو، ما دفع فرض عقوبات إضافية في مجلس الأمن الدولي في الخامس من آب/أغسطس. وبعد مرور بضعة أيام، تم حث ترامب على توجيه تهديدات مباشرة إلى كوريا الشمالية[١] بأنها ستشهد «ناراً وغضباً لم يشهدهما العالم»، في حين سارع تيلرسون إلى القول إنه ينبغي على الأميركيين أن «يناموا جيداً في الليل بحيث لا داعي للتفكير والقلق إزاء الخطابات الرنانة التي تعالت في الأيام القليلة الماضية»، من دون إيضاح الأمور كما ينبغي[٢]. وتساءلت في نفسي ما إذا كان تيلرسون يزدري

(١) See "Remarks by President Trump Before a Briefing on the Opioid Crisis," August 8, 2017, https://www. whitehouse.gov/briefings-statements /remarks-president-trump-briefing-opioid-crisis/.

(٢) See Conor Finnegan, "Tillerson: Americans should 'sleep well at night' amid N. Korea crisis," August 9, 2017, https://abcnews.go.com/International /tillerson-americans-sleep-night-amid-korea-crisis/ story?id=49111147.

كوريا الشمالية أم ترامب، لاسيما بعد أن قرر هذا الأخير رفع السقف في ١١ آب/أغسطس معلناً بأن «الخيارات العسكرية جاهزة للاستخدام» ضد كوريا الشمالية[١]. واللافت هو انه لم تتوفر أي أدلة ملموسة تشير إلى أن التحضيرات العسكرية جارية.

في الثلاثين من آب/أغسطس، غرد ترامب على تويتر قائلاً إن المحادثات التي أجريت على مدى ٢٥ سنة مع كوريا الشمالية لم تثمر، ولا جدوى من إجراء المزيد من المحادثات. وأعاد ترامب تكرار النقطة نفسها في السابع من تشرين الأول/أكتوبر:

> أجرى الرؤساء والإدارات المتعاقبة محادثات مع كوريا الشمالية على مدى ٢٥ سنة، ووقعت اتفاقيات ودُفعت مبالغ كبيرة من المال... إلا أن كافة المحاولات باءت بالفشل، وانتُهكت أحكام الاتفاقيات قبل أن يجف حبرها، ما جعل من المفاوضين الأميركيين أضحوكة الجميع. آسف، ولكن ليس هناك سوى شيء واحد! سيكون له مفعول.

سارع ماتيس الموجود في كوريا الجنوبية إلى مخالفة ترامب الرأي مؤكداً أن سبل التفاوض الدبلوماسي لاتزال متاحة، على الرغم من أنه تراجع عن موقفه سريعاً مدعياً بأنه لم يحصل تفاهم بينه وبين الرئيس[٢]. وأخذت حدة التنافر تزداد قوة. فكوريا الشمالية أعلنت عن إجراء الاختبار السادس على الأسلحة النووية، وبالتحديد الأسلحة النووية الحرارية، في الثالث من أيلول/ سبتمبر. وأعقب ذلك، بعد اثني عشر يوماً، إطلاق صاروخ عبرَ فوق اليابان لتثبت بذلك وجهة نظر ترامب التي عبر عنها عبر تغريدته على تويتر. وبعد مضي فترة قصيرة على تلك الأحداث، كتب رئيس الوزراء الياباني مقالاً افتتاحياً لصحيفة النيويورك تايمز حيث خلص إلى أن «المزيد من الحوار مع كوريا الشمالية سيؤدي إلى طريق مسدود» مؤكداً «دعمه المطلق لموقف الولايات المتحدة لجهة طرح كافة الخيارات على الطاولة»، ما يمثل التصريح الأقرب إلى الواقع الذي يمكن أن يدلي به أي رجل سياسي ياباني للتعبير عن دعمه للعمليات العسكرية الهجومية[٣]. في المقابل، صرح تيلرسون قائلاً إننا نرغب «في جلب كوريا

(١) See Peter Baker, "Trump Says Military Is 'Locked and Loaded' and North Korea Will 'Regret' Threats, August 11, 2017, https://www.nytimes.com/2017/08/11/world/asia/trump-north-korea-locked-and-loaded.html

(٢) See Ben Kesling, "On North Korea, Mattis, Mattis Stresses Diplomacy, But Advises Army to Be Ready," https://www.wsj.com/articles/on-north-korea-mattis-stresses-diplomacy-but-advises-army-to-be-ready-1507591261

(٣) Shinzo Abe, "Solidarity Against the North Korean Threat," https://www.nytimes.com/2017/09/17/opinion/north-korea-shinzo-abe-japan.html?searchResultPosition=22

الشمالية إلى طاولة حوار بناءة ومثمرة»[١]، مظهراً من خلال ذلك مدى سيطرته على «المبنى». عند إعلان ترامب فرض عقوبات اقتصادية جديدة على كوريا الشمالية، ردت الصين بالإعلان عن إيعاز مصرفها المركزي إلى كافة المصارف الصينية بوقف التعامل مع بيونغ يانغ، ما شكل خطوة جيدة نحو الأمام، في حال تنفيذها (والجميع كان يشك في إمكانية ذلك)[٢].

غير أن إيران بقيت نقطة الخلاف الاساسية، وفي شهر تموز/يوليو واجه ترامب قراره الثاني المتعلق بالتصديق على التزام إيران بالاتفاق النووي. وعلى الرغم من أن القرار الأول المتعلق بهذه المسألة كان خطأ، كان ترامب على وشك تكراره. كتبت مقالاً افتتاحياً لصحيفة ذا هيل نُشر على موقعها الإلكتروني في السادس عشر من تموز/يوليو[٣]، وأدى على ما يبدو إلى نشوب عراك داخل البيت الأبيض استمر يوماً بكامله. وأجرى كل من ماكماستر ومنوشين مكالمة جماعية لإبلاغ المراسلين الصحافيين بقرار التصديق على امتثال الإيرانيين، فيما أرسل البيت الأبيض، أثناء المكالمة الجماعية، رسالة إلكترونية إلى وسائل الاعلام تحت عنوان «نقاط الحوار» تم فيها عرض شرح مفصل لماهية القرار. غير أن محللاً من خارج البيت الأبيض قال لي إن «البلبة تعمّ مجلس الأمن القومي» بحيث تم سحب نقاط الحوار وتغيّر اتجاه القرار المتخذ بالتصديق على امتثال إيران[٤]. وذكرت صحيفة النيويورك تايمز مستندة إلى مصدر في البيت الأبيض أن مواجهة عنيفة وقعت بين ترامب من جهة وماتيس وتيلرسون وماكماستر من جهة أخرى حول مسألة التصديق على امتثال إيران، واستمرت ساعة بكاملها، ما يؤكد ما سمعته من قبل. هذا وأشارت مصادر أخرى إلى الحادثة عينها[٥]. رضخ ترامب في نهاية المطاف، على

(١) See "Interview with John Dickerson of CBS's Face the Nation," September 17, 2017, https://www.state.gov/interview-with-john-dickerson-of-cbss-face -the-nation/

(٢) Jackie Northam, "China Cuts Off Bank Business With North Korea As Trump Announces New Sanctions," https://www.npr.org/2017/09/21/552708231/china-cuts-off-bank-business-with-north-korea-as-trump-announces-new-sanctions

(٣) John Bolton, "Trump must withdraw from the Iran nuclear deal—now," https://thehill.com/blogs/pundits-blog/foreign-policy/342237-opinion-trump-must-withdraw-from-iran-nuclear-deal-now

(٤) See Peter Baker, "Trump Recertifies Iran Nuclear Deal, but Only Reluctantly," https://www.nytimes.com/2017/07/17/us/politics/trump-iran-nuclear-deal-recertifyhtml?auth=login-email&login=email&searchResultPosition=1

(٥) See Stephen F. Hayes and Michael Warren, "Getting to No: How the Trump Administration Decided to Decertify the Iran Nuclear Deal," https://www.washingtonexaminer.com/weekly-standard/getting-to-no-how-the-trump-administration-decided-to-decertify-the-iran-nuclear-deal-2009955; andPeter Baker,note18 above

مضض، وبعد أن طالب مرة أخرى ببدائل، ولكن المستشارين أكدوا له أنه لا تتوفر أي بدائل. تلقيت رسالة نصية من بانون يقول فيها، «أحبه الرئيس كثيراً.. فمقالك الافتتاحي أثار حفيظته بشأن المسألة الايرانية».

اتصل بي ترامب بعد أيام قليلة للتذمر بشأن الطريقة التي تمت فيها معالجة مسألة التصديق على امتثال إيران، وخاصة من قبل «المسؤولين في وزارة الخارجية» الذين لم يقدموا له أي خيارات. ثم قال لي، مشيراً إلى الحديث الأخير الذي جرى بيني وبين تيلرسون، «بلغني أن المسألة التي طرحها ريكس عليك عديمة الجدوى. لا تقبل بأنصاف المناصب. إذا عرض عليك وظيفة على درجة عالية من الأهمية، لا بأس، وإلا فمن الأفضل أن تتريث قليلاً. سأعاود الاتصال بك». وأنهى الاتصال بالطلب مني الحضور «لمقابلته في الأسبوع التالي» للتحدث بشأن القضية الإيرانية. تلقيت بعدها رسالة نصية من بانون يبلغني فيها، «إننا نتحدث عن ذلك/عنك يومياً». أخبرت بانون بإنني على استعداد لوضع خطة حول كيفية انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق الإيراني، مؤكداً له بأن الأمر لن يكون صعباً.

في اليوم التالي، استقال متحدث البيت الأبيض سين سبايسر على خلفية تعيين أنتوني سكاراموتشي كمسؤول عن الاتصالات. وعُينت ساره ساندرز خلفاً لسبايسر. ولم يكد يمضي أسبوع حتى أقال ترامب بريبوس وعين مكانه جون كيلي، وهو جنرال سابق في القوات البحرية ويشغل منصب وزير الأمن الداخلي، كرئيس موظفي البيت الأبيض. ونهار الاثنين الواقع في ٣١ تموز/يوليو، أقال كيلي سكاراموتشي. وفي منتصف شهر آب/أغسطس، أثارت تعليقات ترامب عن المتظاهرين من النازيين الجدد في تشارلوتسفيل في فيرجينيا موجة من الجدل. وفي الثامن عشر من آب/أغسطس، أعلن ترامب عن إقالته بانون. أهذا ما تُعلمه كليات إدارة الأعمال حول كيفية إدارة المؤسسات الكبرى؟

لم أتلق أي إشارة من البيت الأبيض بشأن استراتيجية الانسحاب من الاتفاقية الإيرانية التي أرسلتها إلى بانون في وقت سابق. وعندما طلبت مقابلة ترامب، اقترحت ويسترهوت علي مقابلة تيلرسون أولاً، ما يعتبر إضاعة للوقت لكلينا. وشككت في أن تكون جهود كيلي لفرض الانضباط على مستوى عمليات البيت الأبيض والحد بشكل خاص من الفوضى في المكتب البيضاوي قد أدت إلى تعليق امتيازات الدخول التي كانت ممنوحة لي وللعديد من الأشخاص الآخرين. وإذ وجدت أنه من المؤسف أن تذهب الجهود التي بذلتها لإعداد الخطة الإيرانية هباءً، اقترحت على رئيس تحرير ناشونال ريفيو ريتش لوري نشرها، فوافق على الفور ونشرها في نهاية شهر آب/أغسطس(١). من

(١) See John R. Bolton, "How to Get Out of the Iran Nuclear Deal," https://wwwnationalreview.com /2017 /08/iran-nuclear-deal-exit-strategy-john-bolton-memo-trump/

جهته، بادر وزير خارجية إيران، جواد ظريف، على الفور إلى إدانة الخطة على اعتبار أنها تمثل «أكبر فشل منيت به واشنطن»[١].

أدركت بأنني على المسار الصحيح. فمعظم الوسائل الإعلامية في واشنطن كتبت عن فقداني امتياز الوصول إلى ترامب، عوضاً عن التركيز على فحوى الخطة. ربما لأنها قادرة على فهم مكائد القصر أكثر من الشؤون السياسية. تلقيت رسالة نصية من كوشنير يقول لي فيها، «أهلا بك في البيت الأبيض ساعة يحلو لك»، مضيفاً «اختلف مع ستيف [بانون] في أمور كثيرة، ولكننا نتفق في شأن إيران». في الواقع، طلب كوشنير مني أن نلتقي في ٣١ آب/أغسطس للاطلاع على الخطة التي وضعها من أجل السلام في الشرق الأوسط، إضافة إلى الخطة الإيرانية. ولا أظن أن ذلك اللقاء كان وليد الصدفة خاصة بعد الانقطاع الذي استمر فترة طويلة.

ومع ذلك، لم يصلني أي خبر من ترامب، علماً أن التصديق على امتثال إيران المطلوب كل تسعين يوماً بموجب النظام الأساسي، استحق في تشرين الأول/أكتوبر. وإذ أعلن البيت الأبيض بأن ترامب سيلقي خطاباً هاماً في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر يتناول فيه المسألة الإيرانية، قررت التخلي عن الخجل والاتصال بويسترهوت لتحديد موعد معه. في تلك المرحلة، أفاد البعض بأن تيلرسون قد وصف ترامب «بالأحمق اللعين» ورفض إنكار ذلك بشكل قاطع. وتكاثرت الشائعات عن رغبة كيلي بالاستقالة من منصبه ككبير موظفي البيت الأبيض على أن يحل محله بومبيو، مع العلم أن بعض الشائعات كانت تتحدث عن تعيين بومبيو خلفاً لماكماستر. كان اهتمامي لايزال منصباً على القضية الإيرانية وكتبت مقالاً افتتاحياً آخر لصحيفة ذا هيل آملاً أن يعطي السحر مفعوله من جديد[٢]. نُشر المقال في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر أي في اليوم نفسه الذي تناولت فيه الغداء مع كوشنير في مكتبه في الجناح الغربي. وفي حين أن حديثنا تمحور حول خطة الشرق الأوسط والقضية الإيرانية، لفتت انتباهه الصورة التي أحضرتها لمكتب المستشار الخاص روبيرت مولر القائم في المبنى حيث مكاتب لجنة العمل السياسي الخارقة الخاصة بي.

أوردت وسائل الإعلام أن مستشاري ترامب كانوا يعولون على رفضه التصديق على امتثال إيران لالتزاماتها بالاتفاق النووي مع التأكيد على عدم انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق. على الرغم من أن تلك الخطوة كانت بالنسبة إلي أشبه بالإذلال الذاتي، إلا أن استماتة المدافعين عن

(١) Omer Carmi, "How Will Iran Prepare for Potential U.S. Withdrawal from the JCPOA?", https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-will-iran-prepare-for-potential-u.s.-withdrawal-from-the-jcpoa

(٢) John Bolton, "Mr. President, don't put America at risk with flawed Iran deal," https://thehill.com/opinion/national-security/354484-john-bolton-mr-president-dont-put-america-at-risk-with-flawed-iran

الاتفاق دفعتهم إلى القبول بالتنازل عن نقطة حاسمة في مسألة الامتثال حرصاً على إنقاذ الاتفاق. اتصل بي ترامب بعد ظهر الثاني عشر من تشرين الأول/أكتوبر (بعد تأجيل الخطاب إلى نهار الجمعة ١٣ منه) بغية تبادل أطراف الحديث. «نحن متفقان على هذه المسألة. صحيح أنك أكثر شدة مني في ما يتعلق بإيران، ولكننا ننظر إلى هذا الأمر من المنظار نفسه». فأجبته بأنني أطلعت على التقارير الصحافية حيث تبين لي أنه لن يصادق على امتثال إيران كما وأنه لن ينسحب من الاتفاق، ما يشكل على الأقل خطوة نحو الأمام. وطلبت منه مناقشة المسألة بشكل مفصل عندما يتسنى له الوقت. فأجابني ترامب، «تماماً. أعرف تمام المعرفة وجهة نظرك. فأنا أتابع ما تقوله باهتمام شديد». سألته ما إذا كان بإمكانه أن يضيف إلى خطابه سطراً يقول إن الاتفاق يخضع للمراجعة على مدار الساعة ومن الممكن إنهاؤه في أي وقت (مستبعداً بالتالي الحاجة إلى الانتظار ٩٠ يوماً قبل إعادة النظر في الانسحاب وحصر النزاع بمسألة الانسحاب بدلاً من مسألة «الامتثال» نزولاً عند رغبة المدافعين عن الاتفاق). تحدثنا عن اللغة التي قد يستخدمها ترامب وهو يملي خطابه على الآخرين في القاعة.

أثار بعدها ترامب موضوع الحرس الثوري الإيراني سائلاً ما إذا كان ينبغي عليه تصنيفه كمنظمة إرهابية أجنبية، وبالتالي إخضاعه للمزيد من العقوبات والقيود. فحثثته على القيام بذلك لاسيما وأن المنظمة تسيطر على البرامج الإيرانية النووية والخاصة بالصواريخ الباليستية، فضلاً عن دعمها الواسع النطاق للإرهاب الإسلامي السني والشيعي المتطرف. وأشار ترامب إلى أنه سمع أحدهم يقول إن إيران ستنزعج بالتحديد من هذا التصنيف، ما قد يترك تأثيراً سلبياً على القوات الأميركية في العراق وسوريا. وتبين لي في وقت لاحق أن ذلك الموقف يعود لماتيس، الذي أثبت أن حجته خاطئة: فإن كان ماتيس محقاً، حري به أن يسعى لتأمين المزيد من الحماية لقواتنا أو سحبها بغية التركيز على الخطر الأساسي المتمثل في إيران. واتضح لاحقاً أن تصنيف الحرس الثوري الإيراني كمنظمة إرهابية أجنبية سيتطلب قرابة السنتين، ما شكل خير دليل على استحواذ البيروقراطية المترسخة على السلطة.

وأعرب ترامب أيضاً عن رغبته في التحدث عن كوريا الشمالية، وشجعته على القيام بذلك. قال لي نهار الجمعة: «يعتقد الكثير من الناس أن إيران تتعامل مع كوريا الشمالية. سأوعز إلى وكالات الاستخبارات لإجراء تحليل دقيق ورفع تقرير بالنتائج التي توصلت إليها إلى جانب ما تمكنت من استعراضه حتى تاريخه»[1]. غمرتني بهجة عامرة وقلت له إنني أتطلع للتحدث معه من جديد،

(١) راجع ملاحظات الرئيس ترامب حول الاستراتيجية الإيرانية، ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧،
https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-iran-strategy/

فأجابني ترامب، «حتماً». (في شهر تشرين الثاني/نوفمبر، وبالتحديد في يوم عيد ميلادي ومن قبيل الصدفة بالتأكيد، أعاد ترامب كوريا الشمالية إلى قائمة الدول الراعية للإرهاب، والتي كانت إدارة بوش الإبن قد شطبتها منها في خطوة خاطئة).

ساهم اتصال ترامب بي في تحقيق أربعة إنجازات: (١) الإعلان من خلال الخطاب أن الاتفاق الإيراني يخضع للمراجعة المستمرة ويمكن للولايات المتحدة أن تنسحب منه في أي وقت؛(٢) تعزيز احتمال وجود ترابط بين إيران وكوريا الشمالية؛ (٣) الإشارة صراحة إلى أنه ينبغي تصنيف الحرس الثوري كمنظمة إرهابية أجنبية؛ (٤) تجديد الالتزام بإمكانية مقابلته من دون الحصول على موافقة الآخرين. ولسخرية القدر أنه كان يتكلم معي عبر ميكروفون الهاتف، فسمع كافة الموجودين معه في المكتب البيضاوي النقاط التي تطرقنا إليها. وتساءلت في الواقع، ما إذا كان بوسعي أن أفعل أكثر من ذلك بكثير إذا ما انضممت إلى الإدارة، عوضاً عن الاتصال به من الخارج قبل بضع ساعات من إلقائه خطاباً كهذا.

طلب مني كوشنير الحضور إلى البيت الأبيض في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر لمناقشة خطته المتعلقة بالسلام في الشرق أوسط. فحثثته على الإسراع في الانسحاب من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، بدلاً من اتباع خطة هالي «لإصلاحه». (راجع الفصل ٨). ففي العام ٢٠٠٦، صَوَّتُّ ضد إنشاء هذا المجلس الذي كان الغرض من تأسيسه على أنقاض المجالس السابقة التي توازيه زيفاً، خداع الناس[1]. ولم يكن ينبغي علينا أن ننضم إليه من جديد، في عهد أوباما. كما أنني أعربت عن تأييدي قطع تمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، المصممة في الأساس لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين، إلا أنها تحولت على مر العقود إلى ذراع متحيّزة لفلسطين وليس للأمم المتحدة. وردد كوشنير مرتين أنني قادر على إدارة وزارة الخارجية بشكل أفضل بكثير من الطاقم الحالي. في أوائل شهر كانون الأول/ديسمبر، نفذ ترامب التزام عام ٢٠١٦ معلناً القدس عاصمة إسرائيل وكاشفاً عن نقل السفارة الأميركية إليها. كان قد اتصل بي قبل أيام قليلة وأعربت عن دعمي لهذا القرار، مع أنني كنت واثقاً من أنه قد قرر بالفعل الإقدام على تلك الخطوة. لم تثر هذه الخطوة التي جاءت متأخرة مطلقاً أزمة «في الشارع العربي»، كما ظل «الخبراء» الإقليميون يتوقعون إلى ما لا نهاية. فالدول العربية بمعظمها حولت انتباهها إلى الخطر الحقيقي المتمثل في إيران وليس إسرائيل. في شهر كانون الثاني/يناير، قطعت الولايات المتحدة تمويلها لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، بحيث ساهمت بستين مليون

(١) See Bolton, Surrender Is Not an Option, especially pp. 233-38

دولار أميركي من أصل الشريحة المتوقعة والبالغة ١٢٥ مليون دولار، أو سدس مساهمة الولايات المتحدة المقدرة في إجمالي السنة المالية ٢٠١٨ ب ٤٠٠ مليون دولار أميركي(١).

دعاني ترامب مجدداً للحضور إلى البيت الأبيض في السابع من كانون الأول/ديسمبر. كنت جالساً في ردهة الجناح الغربي أتأمل بإعجاب شديد شجرة عيد الميلاد الضخمة عندما دخل ترامب المكان، يرافقه كل من تشاك شومر ونانسي بيلوسي اللذين شاركا معه في اجتماع لأعضاء الكونغرس القياديين. بعد أن صافحت الجميع، وقف عدد من القادة أمام شجرة عيد الميلاد لالتقاط الصور. وقفت أراقب ما يجري، وإذا بجون كيلي يمسك بمرفقي قائلاً: «فلنخرج من هنا ونبدأ اجتماعنا». توجهنا إلى المكتب البيضاوي ولحق ترامب بنا بعد لحظات قليلة يرافقه بنس؛ تبادل التحيات وغادر بعدها بنس وجلسنا كيلي وأنا في الجهة المقابلة من مكتب ريزولوت الذي قبع ترامب خلفه. رحبت بفكرة نقل السفارة إلى القدس وانتقلنا بسرعة إلى البحث في مسألة إيران وكوريا الشمالية، وأوضحت لهما بعض أوجه الترابط بين الدولتين المارقتين، بما في ذلك بيع كوريا الشمالية صواريخ سكود لإيران قبل أكثر من ٢٥ سنة خلت؛ والاختبارات الإيرانية الكورية المشتركة للصواريخ التي أجريت في إيران بعد العام ١٩٩٨ (عقب الاحتجاجات اليابانية، أعلنت بيونغ يانغ عن الوقف الاختياري لتجارب إطلاق الصواريخ من شبه الجزيرة بعد وقوع أحد الصواريخ في المحيط الهادىء شرقي اليابان)؛ وأهدافهما المتبادلة المتمثلة في تطوير آليات لإطلاق الأسلحة النووية. في ما يتعلق بالقدرات النووية، كان عالم الفيزياء النووية الباكستاني الأصل عبد القادر خان قد باع كلاً من الدولتين التكنولوجيا الأساسية لتخصيب اليورانيوم (والتي سرقها من شركة يورانكو الأوروبية لصالح باكستان) وتصاميم الأسلحة النووية (التي زودت الصين باكستان بها). فالمفاعل الذي بنته كوريا الشمالية في سوريا ودمرته إسرائيل عام٢٠٠٧ (٢) كان ممولاً من إيران، وأوضحت كيف يمكن لإيران شراء ما يحلو لها من كوريا الشمالية في الوقت الملائم (هذا إن لم تكن قد فعلت ذلك).

إن خطر حصول كوريا الشمالية على أسلحة نووية قابلة للإطلاق يتجلى في أشكال عديدة. أولاً، تتوقف الاستراتيجية على تحليل النوايا والقدرات؛ وفي حين أنه من الصعب في أغلب الأحيان قراءة النوايا، من السهل عامة تقييم القدرات (حتى إذا افترضنا أن معلوماتنا الاستخباراتية غير

(١) See David M. Halbfinger, "U.S. Funding Cut Reignites Debate on Palestinian Refugee Agency," https://www.nytimes.com/2018/01/17/world/middleeast/palestinian-refugee-agency-unrwa.html?searchResultPosition=2

(٢) See Stephen Farrell, "Israel admits bombing suspected Syrian nuclear reactor in 2007, warns Iran," https://www.reuters.com/article/us-israel-syria-nuclear/israel-admits-bombing-suspected-syrian-nuclear-reactor-in-2007-warns-iran-idUSKBN1GX09K

كاملة). ولكن من يود المراهنة على ما يدور فعلاً في أذهان القادة في الدولة الشيوعية الوحيدة في العالم التي تُتوارث فيها الديكتاتورية، وسط وجود أدلة قوية على تسارع القدرات النووية والمتعلقة بالصواريخ؟ ثانياً، يمكن لكوريا الشمالية في حال امتلاكها أسلحة نووية، أن تتبع سياسة التهديد والابتزاز ضد الدول المجاورة التي لا تمتلك أسلحة نووية كاليابان وكوريا الجنوبية (حيث قمنا بنشر عدد كبير من قواتنا) وحتى ضد الولايات المتحدة، خاصة في حال اعتلاء رئيس ضعيف أو عاجز سدة الرئاسة. فالمخاطر لا تنحصر في إمكانية حدوث ضربة أولى ولكن في مجرد حيازة أسلحة نووية، ناهيك عن المحفزات المنبثقة عن التسلح النووي في بيونغ يانغ لتحقيق المزيد من الانتشار في منطقة شرق آسيا وأماكن أخرى. ثالثاً، أظهرت كوريا الشمالية في مناسبات عدة استعدادها لبيع أي شيء لمن يدفع لها نقداً، ما يعني أنه لا يمكن الاستخفاف بخطر تحولها إلى موقع أمازون الإلكتروني لبيع المواد النووية.

وأوضحت أيضاً الأسباب الداعية لتنفيذ ضربة وقائية ضد البرامج النووية والخاصة بالصواريخ الباليستية في كوريا الشمالية وكيفية نجاحها: كما شرحت كيف يمكننا استخدام القنابل التقليدية الضخمة في مواجهة القوات المدفعية الخاصة بيونغ يانغ شمال المنطقة المنزوعة السلاح، والتي تشكل خطراً على سيول، وبالتالي خفض عدد الإصابات بشكل هائل؛ وأظهرت أيضاً الأسباب وراء اقتراب الولايات المتحدة بسرعة فائقة من الخيار المزدوج، بافتراض أن الصين لم تقدم على أي خطوة دراماتيكية، إما بغض النظر عن التسلح النووي لكوريا الشمالية وإما باستخدام القوة العسكرية. أما البدائل الأخرى المتبقية فتتطلب إعادة توحيد شبه الجزيرة تحت جناح كوريا الجنوبية أو تغيير النظام في كوريا الشمالية، ما يقتضي التعاون مع الصين التي لم نتطرق إلى هذه المسألة معها بعد. سألني ترامب، «ما هي احتمالات نشوب حرب مع كوريا الشمالية بحسب رأيك؟ ٥٠ في المئة؟» فأجبته بأن الأمر يتوقف بشكل أساسي على الصين، ولكن الاحتمالات لا تتجاوز على الأرجح ٥٠ في المئة. التفت ترامب نحو كيلي وقال، «إنه يوافقك الرأي».

في سياق هذا اللقاء (الذي دام قرابة الخمس وثلاثين دقيقة)، أعرب ترامب عن عدم رضاه عن تيلرسون، مشيراً إلى أنه عاجز عن إدارة وزارة الخارجية. وإذ تساءل ترامب عن السبب، أجبته بأن السبب يكمن في عدم تعيين تيلرسون في الوظائف المرؤوسة أشخاصاً قادرين على الارتقاء بسياسات الإدارة بحيث بقي أسير الموظفين في الوزارة. كما أوضحت الأسباب التي تدعو إلى «إحداث ثورة ثقافية» في الوزارة التي تحتاج إلى إدارة سياستها الخارجية بنفسها، خاصة في عهد الرؤساء الجمهوريين، وأومأ كل من ترامب وكيلي برأسه بالموافقة. سأل ترامب كيلي عن الأخطاء التي يرتكبها تيلرسون من وجهة نظره. فأجاب كيلي بأن تيلرسون كان يحاول الاستحواذ على صناعة القرارات وربطها به وحده. وافقته الرأي مؤكداً أن تفويض السلطة يجب

أن يقترن باختيار الشخص المناسب للحصول على التفويض. أيد كيلي كلامي قائلاً، «التفويض المرتبط بالإشراف».

قال ترامب لكيلي، «جون يعرف هذا المكان [الوزارة] عن ظهر قلب»، فأومأ كيلي رأسه بالموافقة. واللافت هو أن ترامب لم يأتِ على ذكر ماكماستر. ومع انتهاء الاجتماع، قال لي ترامب، «ما زلت مستعداً للانضمام إلى الفريق لتشغل المكان المناسب، صح؟». أجبته ضاحكاً، «أجل، المكان المناسب». وأثناء عبوري ردهة الجناح الغربي برفقة كيلي، قال لي، «الرجل يحبك. بعد أن أمضينا النهار بكامله هنا، اتصل بي بعد عودتي إلى المنزل عند الساعة التاسعة والنصف مساء ليسألني ما إذا شاهدت بولتون على التلفزيون». طلبت من كيلي أن يتصل بي في حال كان بإمكاني المساعدة وغادرت المبنى.

قبل أسبوع من حلول عيد الميلاد، التقيت مجدداً بكوشنير للبحث في خطة السلام في الشرق الأوسط. دام الاجتماع قرابة الأربعين دقيقة وتلاه عدة اتصالات هاتفية خلال ذلك الشهر. باستثناء ذلك، شهدت الأمور هدوءاً نسبياً في الأيام المتبقية من الشهر. عام جديد سعيد!

في السادس من كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، وفي خضم دوامة لا نهاية لها من التعليقات الصحافية حول كتاب «نار وغضب»(*) عن ترامب، غرد الأخير قائلاً إنه «عبقري متوازن للغاية». ومع اقتراب الموعد القانوني لاتخاذ قرار رئاسي بشأن ما إذا كانت العقوبات التي كانت مفروضة على إيران قبل توقيع الاتفاق ستدخل من جديد حيز التنفيذ، قررت البقاء على الحياد: فالجميع يعرف كيف يجدني ويمكنهم الاتصال بي إن أرادوا ذلك، ولكنني لم أتلق أي اتصال. واتخذ ترامب الإجراء نفسه الذي اعتمده في تشرين الأول/أكتوبر، ممتنعاً عن إعادة إدخال العقوبات حيز التنفيذ ولكن من دون التصديق على امتثال إيران لأحكام الاتفاق. ما يعني أننا لم نحرز أي تقدم.

وعادت بعدها كوريا الشمالية إلى الواجهة مع استضافة كوريا الجنوبية الألعاب الأولمبية الشتوية، حيث مثّلت إيفانكا ترامب وبنس الولايات المتحدة، وسط تصاعد التكهنات حول احتمال إجراء محادثات مع وفد كوريا الشمالية. فأجريت مقابلات أشدت فيها بالمحاولات التي قام بنس بها لمنع كوريا الشمالية من الاستفادة من ترويج إعلامي أو دق إسفين بيننا وبين كوريا الجنوبية. وجاء رد بنس عبر تغريدة على تويتر وجدت فيها لفتة جميلة: «أحسنت قولاً AmbJohnBolton@». مما لا شك فيه أن رئيس كوريا الجنوبية مون جاي إن كان يبذل غاية جهده لأغراض سياسية

(*) نار وغضب، مايكل وولف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٨.

محلية وإبراز «نجاحه» في جذب مشاركة رفيعة المستوى من كوريا الشمالية، خاصة شقيقة كيم جون أون الصغرى، كيم يو جونغ (فرضت الولايات المتحدة عقوبات عليها لخرقها حقوق الإنسان). في الواقع، كانت كيم يو جونغ مكلفة بمهمة تتمثل في توجيه دعوة للرئيس مون إلى كوريا الشمالية، وقد وافق على تلبيتها من دون تردد. وتسربت في وقت لاحق معلومات تفيد بأن سيول قد سددت تكاليف مشاركة بيونغ يانغ في الألعاب، ليس انطلاقاً من الروح الأولمبية ولكن تنفيذاً لمخطط مؤسف ومحدد المعالم(١). كان اليسار الكوري الجنوبي يبجّل «سياسة الشمس المشرقة» التي تمحورت بشكل أساسي حول فكرة التعامل السلمي بهدف إرساء السلام في شبه الجزيرة، ولكن هذه السياسة كانت عوضاً عن ذلك، تدعم الحكم الديكتاتوري في كوريا الشمالية مرة بعد أخرى.

في السادس من آذار/مارس، عقدت اجتماعاً جديداً مع ترامب. أثناء انتظاري في الردهة، شاهدت على شاشات التلفزيون المراسلين الصحافيين يسألون عن سبب اقتناعه بأن كوريا الشمالية أصبحت الآن جاهزة للتفاوض، فأجابهم ترامب مبتسماً «أنا». كنت آمل أن يكون قد فهم أن كوريا الشمالية تخشى أن يكون مستعداً لاستخدام القوة العسكرية، خلافاً لأوباما. دخلت المكتب البيضاوي قرابة الساعة ٤:٤٠ وجلست كالعادة قبالته أمام مكتب ريزولوت الخالي تماماً من أي أغراض. قال لي ترامب بينما كان كيلي يهم بالدخول، «هل كنت أنا من طلب ترتيب هذا الاجتماع أم أنت؟» فأجبته بأنني أنا من طلب ذلك، فرد قائلاً، «حسبت أنني أنا من اتصل بك ولكنني سعيد بحضورك لأنني كنت أرغب في رؤيتك». استهللنا الحديث بالكلام عن كوريا الشمالية وأوضحت له أنني أظن أن كيم جونغ أون يحاول كسب الوقت لوضع اللمسات الأخيرة على المهام القليلة المتبقية (والحاسمة) لتحقيق القدرة على إطلاق الأسلحة النووية. ما يعني أن كيم جونغ أون كان يخشى في ذلك الوقت بالذات التدخل العسكري؛ فهو يدرك تماماً أن العقوبات الاقتصادية ليست كافية وحدها لمنعه من تحقيق غايته. لم أكن واثقاً من أن ترامب قد فهم كلامي، ولكنني رفعت ايضاً تقارير عن بيع كوريا الشمالية تجهيزات الأسلحة الكيميائية ومواد تستخدم في صناعة الأسلحة الكيميائية لسوريا، بتمويل من إيران(٢). فإذا صدقت تلك التقارير، يمكن لهذا الترابط أن يكون محورياً بالنسبة لكوريا الشمالية وإيران على حد سواء، كما ويثبت مدى خطورة بيونغ يانغ، التي تبيع الآن الأسلحة الكيميائية، ويمكن أن تباشر قريباً في بيع الأسلحة النووية. حثثته على استخدام هذه لحجة للانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني

(١) Reuters, "South Korea approves record $2.6 million budget for North Korea's Olympic visit," February 13, 2018, https://www.reuters.com/article/us-olympics-2018-northkorea-payment/south-korea-approves-record-2-6-million-budget-for-north-koreans-olympic-visit-idUSKCN1FY094

(٢) See, e.g., Michael Schwirtz, "U.N. Links North Korea to Syria's Chemical Weapons Program," https://www.nytimes.com/2018/02/27/world/asia /north-korea-syria-chemical-weapons-sanctions.html

واتخاذ موقف أكثر حدة حيال كوريا الشمالية. وافقني كيلي الرأي وطلب مني مواصلة هجومي الإعلامي، وأكدت له أنني سأفعل.

في ما يتعلق بالاتفاق النووي الإيراني، قال ترامب، «لا داعي للقلق، سأنسحب من هذا الاتفاق. قد يدعون بأنهم سيحاولون إصلاح الأمور، ولكن ذلك لن يحصل». وغيّر بعدها دفة الحديث معرباً عن رغبته في طرد تيلرسون قائلاً، «أتعلم ما الذي يزعجني؟ كنت أتمنى لو كنت مكانه». ولكنه عاد وأكد أن المصادقة بأغلبية جمهورية ٥١-٤٩ قد تكون صعبة. «إبن السافلة راند بول سيصوت ضدك، وماكونيل يخشى أن يتمكن من إقناع الجمهوريين الآخرين الذين يحتاجون إلى تصويته من أجل المسائل المتعلقة بالقضاة وسوى ذلك. ما رأيك أنت؟». قلت له إنني واثق من أن بول لن يصوت لي، ولكن نجاحه في إقناع الجمهوريين الآخرين بالاصطفاف إلى جانبه قد يفاجئني فعلاً. (غير أن العدد الحقيقي في مجلس الشيوخ كان ٥-٤٩ لأن صحة جون ماكين استمرت في التدهور ما زاد من احتمال ألا يعود أبداً إلى واشنطن). وأشرت أيضاً، بالارتكاز إلى المحادثات السابقة مع أعضاء مجلس شيوخ جمهوريين، إلى أنه بإمكاننا استدراج حفنة من الديمقراطيين، خاصة في عام الانتخابات الرئاسية. شككت في أن أكون قد تمكنت من إقناع ترامب بحيث سألني قائلاً، «ما هو المنصب الآخر الذي قد تجده مناسباً؟»، فأجبته «مستشار الأمن القومي». خرق كيلي صمته للتنويه إلى أن هذا المنصب لا يحتاج إلى مصادقة مجلس الشيوخ، فسأله ترامب مبتسماً، «أهذا يعني أنه لا يتوجب علي القلق حيال هؤلاء المهرجين؟» فأجبنا سوياً، «كلا».

وبدأت بعدها بوصف ما اعتبرتها المهام الأساسية لمستشار الأمن القومي، مؤكداً أنه ينبغي طرح المجموعة الكاملة من الخيارات على الرئيس ومن ثم العمل على تنفيذ قراراته كلها: فأومأ كيلي برأسه عند هذه النقطة موافقاً. وأشرت إلى أن التدريب الذي خضعت له بصفة مدّعٍ قضائي يجعلني مؤهلاً لهذا المنصب، لأنني قادر على عرض الخيارات بإنصاف مع الاحتفاظ بوجهة نظري الخاصة (كما يحصل مع العملاء)، وأنني أدرك تماماً بأنه صاحب القرار النهائي مردداً على مسمعه مرة أخرى قصة دين آتشيسون/هاري ترومان. انفجر ترامب وكيلي بالضحك وسألني ترامب عن الإنجازات التي حققها ماكماستر، فأجبته بأنه حقق إنجازاً لافتاً خلال السنة الأولى من تولي الرئيس الحكم لجهة صياغته استراتيجية الأمن القومي، وهذا ما لم يحدث مثلاً خلال عهد بوش الإبن. وعندما سألني عن إنجازات ماتيس، أشرت إلى الزيادة اللافتة في ميزانية الدفاع مقارنة بعهد أوباما. وقبل أن أكمل كلامي، صاح ترامب وكيلي معاً أن الزيادة في الميزانية هي من إنجازات ترامب وليس ماتيس. ووجدت في ذلك خير تعبير عن موقف ترامب إزاء ماتيس.

انتهى الاجتماع بعد حوالى ٣٥ دقيقة، ونصحني ترامب بأن أتحلى بالصبر قائلاً «سأتصل

بك». ولدى خروجنا من المكتب البيضاوي، سألني كيلي قائلاً ، «هل فكرت في رد فعل وسائل الإعلام في حال تسميتك؟». فأجبته بأنني عشت هذه التجربة عند تعييني سفيراً للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة. فعلق قائلاً ، «أجل، كان الموقف سافراً. ولكن عليك أن تعيد التفكير في الأمر في مطلق الأحوال لأنه جدي». ذقت الأمرين من وسائل الإعلام على مر السنوات حتى أنني لم أعد أبالي برد فعلها؛ وأحدث ذلك فيّ ندباً. وكما قال دوق ويلنغتون في إحدى المناسبات (ربما على سبيل التلفيق)، كان موقفي يتمثل في «يمكنك نشرها، لا يهمني».

رافقني شعور بالارتياح إلى أن حل المساء. فأثناء مشاركتي في حفل لجمع التبرعات في شمال فيرجينا لصالح عضو الكونغرس باربرا كومستوك وهي جمهورية التقيت فيها للمرة الأولى في وزارة العدل في عهد ريغان، بلغني أن كيم جونغ أون قد دعا ترامب إلى اجتماع، ووافق هذا الأخير على تلبية دعوته. شعرت بنفسي عاجزاً عن الكلام وقد صدمني سماع هذا الخطأ الغبي. فموافقة الرئيس الأميركي على عقد قمة مع كيم لا تشكل دليلاً مطلقاً على أي قرار استراتيجي بشجب الأسلحة النووية، بل كانت أقرب إلى هدية ترويجية تفوق كل المقاييس. كان ذلك أسوأ بكثير من واقعة تبادل الأنخاب بين مادلين أولبرايت وكيم إيل سونغ في عهد كلينتون. لحسن الحظ أنه لم يكن لدي أي مقابلات في قناة فوكس في تلك الليلة بسبب حفل جمع التبرعات، لذا تسنى لي ما يكفي من الوقت للتفكير في الأمر. في اليوم التالي، حاولت ساره ساندرز إعادة الأمور إلى مسارها الطبيعي مع إعلانها أن سياستنا الحالية لم تتغير.

بعد مغادرتي البيت الأبيض نهار الثلاثاء، تم الإعلان عن استقالة غاري كوهن من منصب مدير المجلس الاقتصادي الوطني وتعيين لاري كودلو مكانه. في غضون ذلك، استقال سكرتير موظفي البيت الأبيض بوب بورتر بعدما كشفت التحقيقات حول ماضيه التي أجراها مكتب التحقيقات الفدرالي، عن معلومات شخصية مسيئة، كما استقالت بعده مباشرة هوب هيكس التي كانت تشغل يومها منصب مديرة الاتصالات. واستمر سفك الدماء مع الإعلان في ١٣ آذار/مارس عن إقالة تيلرسون بشكل غير احتفالي من منصبه كوزير للخارجية؛ وتعيين بومبيو خلفاً له على أن تتولى نائبة مدير وكالة الاستخبارات المركزية جينا هاسبل، المتمرسة في الحقل الاستخباراتي، منصب مديرة الوكالة خلفاً لبومبيو. اتصل بي كوشنير في اليوم التالي ليدعوني إلى لقاء جديد من أجل البحث في خطة السلام في الشرق الأوسط، ووجدت صعوبة في الاقتناع بأن اتصاله كان مجرد صدفة. وفي السادس عشر من آذار/مارس، استأنف جيف سيشنز إراقة الدماء مع إقالته نائب مدير مكتب التحقيقات الفدرالي أندرو مكابي.

في المقابل كانت الحياة في العالم تواصل دورانها. فقد أقدمت فرقة اغتيال روسية على محاولة اغتيال عميل أجهزة الاستخبارات الروسي السابق سيرغي سكريبال وابنته في سالزبوري في إنكلترا،

مستخدمة أسلحة كيميائية من سلالة غاز «نوفيتشوك». وبعد رفض موسكو شجب الهجوم، أعلنت رئيسة الوزراء ماي عن طرد ثلاثة وعشرين من عملاء أجهزة الاستخبارات الروسية غير المصرح بهم[1]. خلال المقابلات التي أجريتها، اتخذت موقفاً صلباً من كيفية رد أميركا على هذا الهجوم، موقف ما زلت متمسكاً به. ولا ريب أنني شعرت بالقلق عندما قرأت بأن ترامب قد هنأ بوتين على إعادة انتخابه رئيساً لروسيا، بناء على نصيحة ماكماستر والتي تسربت إلى وسائل الاعلام بسرعة وعلى نطاق واسع. ومع ذلك، أقدم ترامب في وقت لاحق على طرد ما يزيد عن ٦٠ ديبلوماسياً روسياً في إطار الجهود المبذولة من دول حلف شمال الأطلسي لإظهار تضامنها مع لندن[2]. وأبلغني العديد من أعضاء مجلس النواب الذين كانوا يتعاونون معي في سعيي للحصول على منصب مستشار الأمن القومي أننا كنا قاب قوسين من إعلان ترامب عن خلف لماكماستر. فصررت أسناني لأن المنصب قد بدا لي اصعب من ذي قبل، ولكنني قررت عدم التراجع الآن.

نهار الأربعاء الواقع في ٢١ آذار/مارس، رن هاتفي الجوال بينما كنت أعبر نصب جورج واشنطن المكسو بالثلج وأنا في طريقي إلى استديوهات قناة فوكس لإجراء مقابلة (كانت الدوائر الحكومية الفدرالية ومعظم المدارس وقطاعات الأعمال مقفلة). فتحت هاتفي قائلاً، «صباح الخير سيدي الرئيس»، وأجابني ترامب قائلاً، «وجدت منصباً مناسباً لك، على الأغلب هو الأكثر نفوذاً في البيت الأبيض». ولم أكد أفتح فاهي للرد عليه، حتى قال ترامب، «أقسم لك بإنه أفضل من منصب رئيس الموظفين»، وانفجرنا معاً بالضحك لأن تعليقه يعني أن كيلي كان موجوداً في القاعة معه. «ولن تجد نفسك مضطراً للتعامل مع الديمقراطيين في مجلس الشيوخ. لا داعي لذلك على الإطلاق. عليك أن تحضر إلى البيت الأبيض لنتحدث في الأمر. يمكنك الحضور اليوم أو غداً. أحتاج إلى شخص يتمتع بثقل سياسي وليس إلى شخص مغمور. فالناس من مختلف الفئات، بمن فيهم أعضاء تجمع الحرية في مجلس النواب (فريدوم كوكس، وهي مجموعة من الجمهوريين في مجلس النواب)، يؤيدونك كل التأييد». شكرت ترامب واتصلت بعدها بزوجتي غريتشن وابنتي جي أس (جينيفر ساره) لإخبارهما بما جرى، مشدداً على أنه لا يمكن اعتبار المسألة منتهية إلا بعد أن يعلن ترامب عنها بصورة رسمية، وهو ما قد لا يحدث.

ذهبت في اليوم التالي للقاء ترامب في المكتب البيضاوي عند الساعة الرابعة بعد الظهر. استهللنا اللقاء كما اعتدنا أن نفعل في لقاءاتنا السابقة، بالحديث عن إيران وكوريا الشمالية.

---

(١) See Gordon Corera, BBC, "Salisbury poisoning: What did the attack mean for the UK and Russia." March 4, 2020, https://www.bbc.com/news/uk-51722301

(٢) See "Press Briefing by Principal Deputy Press Secretary Raj Shah," https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/press-briefing-principal-deputy -press-secretary-raj-shah-03262018/

واللافت هو أن معظم ما قاله ترامب يعود إلى زمن حملته الانتخابية، قبل أن يلقي سلسلة من الخطابات التي أظهرت التزامه بالتفكير الجمهوري السائد لجهة السياسة الخارجية. وتساءلت في نفسي ما إذا كان أعاد النظر في مسألة العرض الذي ينوي طرحه علي، إلا أنه أكد بشكل قاطع على أنه ينوي الانسحاب من الاتفاق الإيراني. في المقابل، تجنب الحديث عن القمة المرتقبة مع كيم جونغ أون، ووجدت صعوبة بالغة في تحليل هذا الإغفال. أمضينا الجزء الأكبر من الوقت في مناقشة رؤيتي لكيفية إدارة العمليات في مجلس الأمن القومي. وفي حين أنني لم أذكر برنت سكوكروفت، كان النظام الذي تحدثت عنه، والمعروف تماماً من قبل كيلي، مطابقاً للنظام الذي اعتمده سكوكروفت في عهد بوش الأب. أولاً، تقع على عاتق مستشار الأمن القومي مسؤولية عرض كافة الخيارات المتاحة على الرئيس وتحديد إيجابيات وسلبيات كل منها. ثانياً، يقوم مستشار الأمن القومي، بعد اتخاذ القرار، بالحرص على أن يسلك هذا القرار طريقه بيروقراطيًّا. لاقى هذا الكلام صدى لدى ترامب، ومع أنه لم يعرض علي هذا المنصب بشكل مباشر، سألني قائلا، «أتظن بأنك ترغب بالقيام بذلك؟». وبدأت أتساءل ما إذا كان هذا الاجتماع الذي دام ساعة بكاملها سينتهي من دون نتيجة عندما دخلت ويسترهوت لتبلغ ترامب بأن لديه اجتماعاً آخر. فنهض من مكانه وحذوت حذوه، ثم تصافحنا فوق طاولة مكتب ريزولوت. بالرغم من انعدام الوضوح لجهة «العرض» «والموافقة»، أدركنا كيلي وأنا تماماً حقيقة ما جرى، على طريقة ترامب.

ما الذي دفعني إلى قبول هذا المنصب؟ على الرغم من التجارب التي أعدت سردها في هذا الكتاب، كانت أميركا تواجه بيئة دولية محفوفة بالمخاطر، وحسبت نفسي مدركاً تماماً لما ينبغي القيام به، لاسيما في ظل النظر القوية التي أملكها حول مجموعة واسعة من القضايا والتي طوّرتُها خلال عملي في الحكومات السابقة وفي القطاع الخاص. ماذا عن ترامب؟ لا يمكن لأحد أن يدعي في تلك المرحلة، الجهل بالمخاطر المرتقبة، والوشيكة، ولكنني حسبت نفسي قادراً على التعامل مع تلك المسألة أيضاً. لعل الآخرين فشلوا لسبب أو لآخر، ولكن كنت أظن نفسي قادراً على النجاح. هل كنت على حق؟ تابعوا القراءة.

التقيت عند خروجي من المكتب البيضاوي بالمستشار دون مكغان حاملاً معه مجموعة من الملفات المتعلقة بالتعيينات القضائية المحتملة. تحدثت مع كيلي لبضع دقائق، وأوضحت له أنه من الصعب على أي منا تحقيق أي إنجاز إلا في حال تعاونّا معاً، كما وأكدت له على نيتي التعاون ووافقني الرأي من دون تردد. ولما سألته عن الموعد المحتمل للإعلان الرسمي، أجاب أنه يتوقع أن يحصل ذلك في اليوم التالي أو في الأسبوع الذي يلي على أبعد تقدير. وعلمت في وقت لاحق (كما علم كيلي) أنه بعد مرور دقائق قليلة على مغادرتي المكتب البيضاوي، اتصل ترامب بماكماستر لإبلاغه بأنه ينوي الإعلان عن التغير المرتقب بعد ظهر ذلك اليوم. توجهت إلى ردهة الجناح الغربي لاستعادة

معطفي، فأبلغتني موظفة الاستقبال وأحد العاملين في قسم الاتصالات في البيت الأبيض بأن حشداً من المراسلين الصحافين والمصورين ينتظرون خروجي من الباب الشمالي باتجاه المدخل. وسألاني ما إذا كنت أرغب في الخروج من «الجهة الخلفية» عبر بوابة البيت الأبيض الجنوبية الغربية وصولاً إلى الشارع السابع عشر، مروراً «خلف» مبنى آيزنهاور التنفيذي لتجنب الصحافة، فوافقت على ذلك بكل امتنان. اتصلت مجدداً بغريتشن وجي أس وبدأت أفكر بالاستعدادات اللازمة للمباشرة بالعمل في البيت الأبيض.

وبينما كنت في طريقي إلى استديوهات قناة فوكس لإجراء مقابلة في برنامج مارثا ماكالوم التلفزيوني، غرد ترامب على تويتر قائلاً:

> يسرني الإعلان عن تعيين @AmbJohnBolton رسمياً كمستشار الأمن القومي الجديد، على أن يدخل هذا القرار حيز التنفيذ في ٢٠١٨/٩/٤. أشكر الجنرال هـ. ر. ماكماستر جزيل الشكل على المهام المميزة التي اضطلع بها وأعتز به صديقاً إلى الأبد. سيتم إجراء حفل التسليم الرسمي في ٩/٤.

وتحول في تلك اللحظة هاتفي إلى أشبه بقنبلة يدوية تكاد تنفجر مع توافد الاتصالات، والرسائل الإلكترونية والتغريدات والتنبيهات بأخبار جديدة.

كنت أدرك بأن الإجراءات اللازمة للانتقال من الحياة الخاصة إلى العمل الحكومي ستتطلب قرابة الأسبوعين وفق إيقاع متسارع. في اليوم التالي، اتصل ترامب بي أثناء جلسة الإحاطة الاستخبارية ليبلغني بأن تعييني «لاقى صدى جيداً في الصحافة» وأنه تم «تناقله على نطاق واسع جداً» وسجل «تعليقات مميزة... أحبتها القاعدة الشعبية» وإلى ما هنالك. وأضاف قائلاً، «يظن البعض أنك الشرطي السيء» وأجبته قائلاً، «عندما نمارس لعبة الشرطي الجيد/الشرطي السيء، يلعب الرئيس دوماً دور الشرطي الجيد». فرد ترامب قائلاً. «المشكلة هي أنه أصبح لدينا شرطيان سيئان» وتناهت إلى مسمعي ضحكات الأشخاص المتواجدين في المكتب البيضاوي للمشاركة في جلسة الإحاطة الاستخباراتية، التي رافقتها ضحكتي أنا أيضاً.

بعد إعلان ترامب عن بدئي بممارسة المهام الموكلة إليّ في التاسع من نيسان/أبريل، أعطيت الأولوية الأولى لعملية الفحص التي ستجريها اللجنة القضائية في البيت الأبيض. ويشمل ذلك ملء استمارات عديدة وشاملة والخضوع للاستجواب من قبل المحامين التابعين للجنة حول مسائل متعلقة بإقرارات الذمة المالية، وتضارب المصالح المحتملة، وشروط التجريد من ملكية الأصول (مع أنني لم أكن أملك الكثير ليجردوني منه)، وتصفية العلاقات المهنية الحالية، وتجميد العمل في لجنة

الشؤون السياسية ولجنة الشؤون السياسية الخارقة طوال مدة بقائي في هذا المنصب الحكومي، وما شابه. كما وكان علي أن أخضع لمقابلة يطلق عليها الأشخاص المولودين في السنوات التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية «مقابلة معنية بالجنس والمخدرات والروك إند رول» بحيث لا يتمثل الهدف منها في معرفة الأعمال الطائشة التي ارتكبتها، بل في التأكد ما إذا كنت ستعترف بارتكابها عند الإجابة عن الأسئلة أو تتطوع للكشف عنها، في حال كانت الأسئلة غريبة بما يكفي. منذ اعتلائي المنصب الحكومي الأخير كسفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، حظيت بما يكفي من التغطية الإعلامية، لذا كنت حريصاً على ذكر حتى الأمور الأكثر غرابة التي يمكن أن يكون أي مراسل صحافي انحيازي وعديم الكفاءة قد نشرها عني، بما في ذلك محاولة ماريا بوتينا لتجنيدي كعميل روسي. (لا أظن أن الصحافة هي «عدو الناس»، ولكن كما قال دوايت آيزنهاور في العام ١٩٦٤، صفوفها تعج بمعلقين ومحررين يبحثون عن الإثارة وكتاباتهم تدل على أنهم يفتقرون إلى الثقافة). ولا يمكن أن ننسى عينة البول الإلزامية التي تم أخذها أيضاً لإجراء تحليل للمخدرات.

حاولت أيضاً التشاور مع مستشاري الأمن القومي السابقين بدءاً بكيسنجر الذي قال لي، «إنني أثق بك تمام الثقة وأتمنى لك النجاح. فأنت على بينة من كافة الأمور وبعمل البيروقراطيات. وأنا واثق من أنك قادر على تولي الأمر». والأهم من ذلك كله هو أن كيسينجر، وكافة مستشاري الأمن القومي السابقين الذين تواصلت معهم، الجمهوريين منهم والديمقراطيين، أكدوا لي دعمهم الكامل. فقد تحدثت مع كولن باول (الذي كان رئيسي أثناء توليه منصب وزارة الخارجية خلال الولاية الأولى لبوش الإبن)، وبرينت سكوكروفت، وجيمس جونز، وكوندي رايس، وستيف هادلي، وسوزان رايس، وجون بويندكستر، وباد ماكفرلين فضلاً عن بوب غيتس(*) الذي شغل منصب نائب سكوكروفت قبل أن يترأس وزارة الدفاع. قال لي سكوكروفت باختصار مفيد، «يشهد العالم حالة من الفوضى، ولا أحد سوانا يستطيع تصويب الأمور».

تحدثت مع وزراء الخارجية السابقين الذين تعاونت معهم، بمن فيهم جورج شولتز وجيم بايكر (يقع باول وكوندي رايس ضمن هاتين الفئتين) إلى جانب دون رامسفيلد وديك شيني. واتصلت في الختام بالرئيس جورج دبليو بوش الذي لم يبخل علي بوقته متمنياً لي «كل التوفيق». فسألته ما إذا كان بإمكاني الاتصال بوالده الذي عملت معه أيضاً، فأكد لي أن ذلك قد يكون صعباً في هذه المرحلة، لذا اكتفيت بالطلب منه أن يبلغه سلامي.

تناولت الغداء مع ماكماستر في ٢٧ آذار/مارس في غرفة البحرية Ward التي تشكل جزءاً من المرفق المخصص للقوات البحرية في البيت الأبيض. فتعامل معي بالكثير من اللطف والاحترام

(*) صدر له عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر كتاب بعنوان الواجب مذكّرات وزير الدفاع الأميركي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية سابقاً، بيروت، ٢٠١٧.

وأطلعني على تقييمه للقضايا، والسياسات والعاملين. بعد مرور بضعة أيام، تناولت طعام الفطور في البنتاغون برفقة جيم ماتيس الذي أظهر لي أن لديه أسلوباً في التعامل مع الصحافة بحيث رحب بي عند المدخل، قائلا إنه سمع أنني «الشيطان بعينه».خطر لي أن أرد قائلاً إنني «أبذل ما بوسعي» ولكنني كبحت جماح نفسي. كانت مناقشتنا مثمرة واقترح علي ماتيس أن نتناول طعام الفطور مرة في الأسبوع برفقة بومبيو في البيت الأبيض لمراجعة القضايا العالقة. وفي حين أننا كنا نتحدث هاتفياً عدة مرات في اليوم، أثبتت وجبات الفطور بأنها تشكل فرصة مهمة لنكون نحن الثلاثة سوياً بمفردنا ونناقش القضايا المهمة. وفي حال كان أحدنا مسافراً، يلتقي عادة الإثنان الآخران في حجرة الطعام، ولكن في أغلب الأحيان في الوزارة أو في البنتاغون.

بعد انتهاء اجتماعي مع ماتيس، اصطحبني لمقابلة جو دانفورد، رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة والذي كان من المتوقع أن تنتهي ولايته في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩. جلّ ما أذكره عن دانفورد هو الملاحظات التي أدلى بها بشأن القضية النووية في كوريا الشمالية خلال منتدى آسبن للأمن في صيف ٢٠١٨:

> تحدث الكثير من الأشخاص عن الخيارات العسكرية مستخدمين عبارات مثل «مستحيلة التصور». أودّ تعديل ذلك تعديلاً طفيفاً بالقول إن الخيار العسكري سيكون مخيفاً ويحصد عدداً من الأرواح لم نشهد له مثيلاً أبداً من قبل، وأقصد بذلك أنه في حال وقوع نزاع حول شبه الجزيرة الكورية سيدرك كل من بقي على قيد الحياة من الحرب العالمية الثانية أن الخسائر في الأرواح لم يسبق لها مثيل. ولكن كما قلت لنظرائي الأصدقاء منهم والخصوم، فإن البحث في الخيارات العسكرية للرد على قدرات كوريا الشمالية النووية ليس خارج التصور. فمن المستحيل أن أتصور السماح بإلقاء أسلحة نووية على دنفر في كولورادو. فمهمتي الأساسية تفرض علي تطوير خيارات عسكرية والحرص على عدم تطبيقها[١].

فوجيء دانفور لدى معرفته بأنني على علم بملاحظاته، وأجرينا محادثة جيدة. فدانفورد معروف بكونه ضابطاً عسكرياً مميزاً، وتبين لي حينها ولاحقاً أنه لا مجال للشك في ذلك.

بعد بضع أيام، تطرقت مع مايك بومبيو في وكالة الاستخبارات المركزية إلى الفكرة التي اقترحها ماتيس بأن نلتقي نحن الثلاثة على وجبة الفطور، فوافق من دون تردد. كنت قد تبادلت عدة رسائل إلكترونية مع بومبيو، حيث كتب لي في أحداها «إنني أتشوق للبدء بالعمل كمؤسس

(١) Nahal Toosi, " Dunford: Military option for North Korea not 'unimaginable,'" https://www.politico.com/story/2017/07/22/dunford-north-korea -military-option-not-unimaginable-240851

شريك لحكومة الحرب. سأبلغ سلامك للسيناتور بول». كما سنحت لي فرصة اللقاء بجينا هاسبل، نائبة بومبيو التي ستكون في مرحلة لاحقة خليفته.

كنت حريصاً على مراقبة ترامب عن كثب خلال الأشهر الخمسة عشر الأولى من ولايته، ولم تكن لدي أوهام بأنني قد أتمكن من تغييره. فأي مجموعة من «نماذج» مجلس الأمن لقومي يمكن أن تكون سليمة من الناحية الأكاديمية ولكن من الممكن ألا تحدث أي فرق إذا بقيت تدور في حلقة مفرغة، منقطعة عن العالم، لا تبدي إعجاباً بأحد إلا بنفسها، تشيد بها وسائل الاعلام ولكنها لا تتفاعل مع الرئيس الحالي. كنت مصمماً على اتباع إجراءات نظامية ودقيقة، إلا أنه لا يسعني الحكم على أدائي إلا من خلال تأثيرها الفعلي على السياسات، وليس من خلال مقارنتها بالإدارات السابقة من قبل الدخلاء.

انبثق عن هذا التحليل العديد من القرارات ؛ أولاً، لم يكن الموظفون في مجلس الأمن القومي (كان عددهم ٤٣٠ عاملاً لدى وصولي وأصبح عددهم ٣٥٠ عند رحيلي) يشكلون فريق أبحاث، ولم يكن مطلوباً منهم عقد مجموعات نقاش وتقديم الأوراق، وإذ حُصرت مهمتهم بصناعة القرارات الفعلية. ويجب بالتالي أن يتسم العمل في المجلس بالبساطة والمباشرة. وضعت الخطط اللازمة للتخلص من الوظائف المزدوجة، والبنى والموظفين الذين تتداخل مهماتهم. واستغللت السلطة التي منحني إياها ترامب لجهة التوظيف والإقالة، وباشرت على الفور وبصورة جازمة، ضمن أمور أخرى، بتعيين شخص واحد في منصب نائب مستشار الأمن القومي، بدلاً من عدة أشخاص، بهدف تعزيز فعالية الموظفين في مجلس الأمن القومي وتسهيل عملهم. وأسندت هذا المنصب الحساس في المرحلة الأولى إلى ميرا ريكارديل، التي تتمتع بخبرة طويلة في الشؤون الدفاعية وفي العمل الحكومي إلى جانب توليها منصب بارز على المستوى التنفيذي في شركة بوينغ، ومن ثم إلى الدكتور شارلز كوبرمان، وهو خبير في الشؤون الدفاعية ويتمتع بالمؤهلات نفسها (بما في ذلك بوينغ!). ولا ريب أنهما سيكونا بحاجة لاستخدام شخصيّتيهما القويتين.

عند الساعة السادسة مساء من يوم السبت الذي يسبق أحد الفصح، جرى بيني وبين ترامب حديث غريب بعض الشيء، حيث تولى إدارة دفة الكلام، مستهلاً بالقول إن «ريكس فظيع» شارحاً الأسباب ومركزاً على قرار تخصيص ٢٠٠ مليون دولار أميركي لإعادة إعمار سوريا. لم يكن ترامب راضياً عن ذلك القرار: «أريد بناء بلادي وليس بلاد الآخرين». بصفتي خريج الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، كنت أساند سياسة استخدام المساعدات الخارجية للنهوض بأهداف الأمن القومي، ولكنني كنت أدرك أن لهذه الجهود نقاطاً قوية ونقاط ضعف. حاولت التعبير عن رأيي في هذا الشأن ولكن ترامب بقي ثابتاً على موقفه مردداً بشكل متكرر، «أعلم بأنك قادر على معالجة المسألة». ثم عاد وقال لي، «لديك الكثير من مسربي المعلومات

المحيطين بك. يمكنك أن تقيل أي شخص تريده»، وهذا ما كنت أنوي أن أفعله. وفي ختام الحديث تبادلنا التهاني بعيد الفصح.

في إثنين الفصح، اتصل ترامب من جديد فسألته قائلاً، «كيف تسير لعبة دحرجة البيض سيدي الرئيس؟». فأجابني قائلاً فيما كانت ساره ساندرز وأطفالها وآخرون يدخلون المكتب البيضاوي، «على أفضل ما يرام». ثم عاد إلى مونولوجه الخاص بمساء السبت قائلاً، «أريد الخروج من تلك الحروب المشينة [في الشرق الأوسط]». «إننا نحارب تنظيم الدولة الإسلامية من أجل دول معادية لنا»، والمقصود بذلك روسيا، وإيران وسوريا الأسد. ثم استطرد قائلاً إن مستشاريه منقسمون إلى قسمين، قسم يحبذ البقاء «إلى ما لا نهاية» وقسم يفضل البقاء «لفترة معينة». في المقابل، علق ترامب قائلاً، «لا أريد البقاء أبداً. فأنا لا أحب الأكراد الذي لاذوا بالفرار من العراقيين ومن الأتراك. المرة الوحيدة التي لم يهربوا فيها هي عندما ساندناهم بطائرات أف ١٨». ثم سألني قائلاً، «ماذا علينا أن نفعل؟». وإدراكاً مني بأن إثنين الفصح ليس الوقت الملائم لمناقشة استراتيجية الشرق الأوسط، قلت له إنني ما زلت في انتظار الحصول على التصريح الأمني المؤقت. فقال لي بومبيو الذي كان قد وصل إلى المكتب البيضاوي، «أمنحنا القليل من الوقت..» قبل أن يقاطعه وصول المزيد من الأطفال والأهل إلى المكان. بدا واضحاً أن ترامب يرغب في الانسحاب من سوريا. وهذا ما أعرب عنه صراحة في اليوم التالي خلال اجتماع لمجلس الأمن لقومي (راجع الفصل ٢). ومع ذلك، كان ينبغي البت في مسائل كثيرة، ما عزز ثقتي في إمكانية حماية مصالح الولايات المتحدة لاسيما وأن النضال للقضاء على الخلافة الإقليمية لتنظيم الدولة الاسلامية قد شارف على خواتيمه السعيدة».

نهار الجمعة في السادس من نيسان/أبريل، وفيما كنت أستعد للاستمتاع بعطلة نهاية الأسبوع قبل المباشرة بأول يوم عملي رسمي، التقيت مجدداً بكيلي وآخرين لمراجعة إجراءات الجناح الغربي. فأشرت إلى التغييرات التي أنوي إدخالها على مستوى الموظفين في مجلس الأمن القومي فضلاً عن عمليات إعادة التنظيم. كان ترامب قد خولني القيام بذلك، ولكنني لم أجد مانعاً من إعلام كيلي مسبقاً. وقضى الوقت المتبقي من الاجتماع الذي دام ساعة بكاملها، في شرح كيفية أداء ترامب خلال الاجتماعات والاتصالات الهاتفية. وعلق كيلي تعليقاً صحيحاً تماماً قائلاً إن الرئيس يستخدم «كلمات قاسية جداً» مؤكداً أنه «يملك الحق في ذلك». كان ترامب يزدري الرئيسين بوش وإدارتيهما، ما جعلني أتساءل ما إذا كان يجهل أنني قضيت ما يقارب العشر سنوات في خدمة هذين الرئيسين. وعاد ترامب وبدل رأيه كلياً. وبينما كنت أصغي إلى كلام كيلي، تساءلت في نفسي ما إذا كان كيلي على أهبة الرحيل من هذا المكان. ختم كيلي كلامه قائلاً بلطف، «يسرني وجودك هنا يا جون. لم يكن لدى الرئيس مستشار للأمن لقومي خلال العام الماضي وهو بحاجة إلى شخص ليشغل هذا المنصب».

قضيت عطلة نهاية الأسبوع في قراءة ملفات سرية والاستعداد للتاسع من نيسان/أبريل. غير أن الأزمة السورية تأججت بشكل مفاجئ وغير متوقع، كما هو مذكور في الفصل الثاني، وامتدت على طول الأشهر السبعة عشر التالية. كان آتشسون قد كتب عن استبدال روزفلت وزير الخارجية كورديل هل بإدوارد ستيتنيوس الذي أثار موجة من التكهنات الصحافية التي زعمت أن روزفلت «سيقوم بتأدية دور.. وزير الخارجية». وأعرب آتشسون في هذا الصدد عن رأيه المتشدد قائلاً: «لا يمكن للرئيس أن يقوم بدور وزير الخارجية؛ فذلك مستحيل من حيث طبيعة المنصبين. جلّ ما بإمكانه أن يفعله، أو فعله في عدة مناسبات، ولكن من دون تحقيق نتائج جيدة، هو أن يمنع أي شخص آخر من ترؤس وزارة الخارجية[1]». وعلى الرغم من أنه لم يأت على ذكر منصب مستشار الأمن القومي، إلا أن رؤية آتشسون كانت عميقة. ولعل كيلي أراد من خلال تعليقه الأخير الذي سبق تسلمي مهامي الرسمية أن يقول لي ذلك. كما قالت لي كوندي رايس في وقت لاحق إن «منصب وزير الخارجية هو الأفضل في الحكومة ومنصب مستشار الأمن القومي هو الأكثر صعوبة». ولا ريب أنها كانت على حق.

(١) Dean Acheson, *Present at the Creation* (New York, W.W. Norton & Co., 1969), p.88

الفصل الثاني

أنشر الفوضى وأطلق كلاب الحرب!

يوم السبت ٧ نيسان/أبريل ٢٠١٨، شنت القوات المسلحة السورية هجوماً بالأسلحة الكيميائية على مدينة دوما، جنوب غرب سوريا ومواقع أخرى مجاورة لها. وقد أفادت التقارير الأوليّة أن أكثر من عشرة أشخاص قد لقوا حتفهم وأصيب المئات، بمن فيهم أطفال، وأن إصابة بعضهم حرجة بسبب المواد الكيميائية الخطيرة التي تعرّضوا لها(١). يُرجح أن يكون الكلور هو المادة الأساسية المستعملة في هذه الأسلحة، لكن ثمة مزاعم عن انتشار غاز السارين وربما مواد كيميائية أخرى(٢). كان نظام بشار الأسد قد استخدم قبل عام من ذلك أسلحة كيميائية مماثلة، منها غاز السارين، تحديداً في ٤ نيسان/أبريل ٢٠١٧، في خان شيخون، شمال غرب سوريا. وبعد ثلاثة أيام ردّت الولايات المتحدة بقوة مطلقة تسعة وخمسين صاروخ كروز على الموقع الذي يُشتبه أن يكون الهجوم السوري قد انطلق منه(٣).

يبدو واضحاً أن النظام الدكتاتوري في سوريا لم يتعلم الدرس. لقد فشل الردع والمسألة الآن باتت تتعلّق باختيار الطريقة المناسبة للردّ. لسوء الحظ، بعد عام من أحداث خان شيخون، ظلت السياسة المتعلّقة بسوريا مشوّشة وتفتقر إلى اتفاق حول الأهداف والاستراتيجية التي ينبغي اتّباعها(٤). الآن هناك أزمة مجدداً والردّ على استخدام الأسلحة الكيميائية في الهجوم السوري

(١) See Ben Hubbard, "Dozens Suffocate in Syria as Government Is Accused of Chemical Attack," https://www.nytimes.com/2018/04/08/world/middleeast/syria-chemical-attack-ghouta.html

(٢) See Sarah Almukhtar, "Most Chemical Attacks in Syria Get Little Attention. Here Are 34 Confirmed Cases." https://www.nytimes.com/interactive/2018/04/13/world/middleeast/syria-chemical-attacks-maps-history.html?search ResultPosition=2

(٣) See "Statement from Pentagon Spokesman Capt. Jeff Davis on U.S. strike in Syria, April 6, 2017," https://www.defense.gov/Newsroom/Releases/Release/Article/1144598/statement-from-pentagon-spokesman-capt-jeff-davis-on-us-strike-in-syria/

(٤) See Karen DeYoung and Missy Ryan, "Strike on Assad for use of chemical agents unlikely to advance wider US goals in Syria," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/strike-on-assad-for-use-of-chemical-agents-unlikely-to-advance-wider-us-goals-in-syria/2018/04/10/0c5fe3f8-3c0a-11e8-974f-aacd97698cef story.html

الأخير كان أمراً حتمياً، لكن أكثر ما كنّا نحتاجه هو التوصّل إلى رؤية واضحة حول كيفية تعزيز المصالح الأميركية على المدى الطويل. ومع ذلك أشار اجتماع مجلس الأمن القومي الذي عُقد قبل أسبوع من قصف دوما، إلى السير في الاتجاه المعاكس تمامًا، أي إلى الانسحاب الأميركي من سوريا. إن هذا الانسحاب يهدّد بخسارة المكاسب المحدودة التي تحققت في ظل سياسات باراك أوباما الخاطئة في سوريا والعراق، ويؤدي بالتالي إلى تفاقم المخاطر التي عزّزها نهجه. أما المسؤولية عن هذه الحال من الارتباك السياسي، بعد مرور عام كامل على أحداث خان شيخون، فهي تظهر في ذلك الموقع الرمزي، حيث يكون على الرئيس أن يحسم أمره ويتّخذ القرارات ويتحمّل مسؤوليتها، أي على مكتب ريزولوت في المكتب البيضاوي.

في حوالي الساعة التاسعة صباحًا من يوم ٨ نيسان/أبريل، غرّد دونالد ج. ترامب، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، وبأسلوبه الشخصي وأسلوب عصرنا هذا قائلاً:

> **العديد من القتلى، من بينهم نساء وأطفال، حصيلة هجوم كيميائي أرعن في سوريا. المنطقة التي ارتكبت فيها هذه الفظائع مغلقة ومحاصرة من قبل الجيش السوري ما يجعلها معزولة عن العالم الخارجي. إن المسؤولية تقع على الرئيس بوتين وروسيا وإيران عن دعم الأسد الحيوان. لكن الثمن...**
>
> **... سيكون باهظاً. افتحوا المنطقة فورًا لتوفير المساعدات الطبية والتحقق مما يحدث فيها. كارثة إنسانية أخرى لا داعي لها على الإطلاق. يا له من مريض!**

لم تمرّ دقائق معدودة حتى غرّد ثانيةً:

> **لو كان الرئيس أوباما قد تجاوز خطه الأحمر المرسوم في الرمال الذي تكلم عنه، لكانت الكارثة السورية قد انتهت منذ فترة طويلة! ولكان الأسد الحيوان جزءاً من التاريخ الآن!**

كانت تصريحاته هذه واضحة وقوية، لكن ترامب غرّد قبل أن يستشير فريقه للأمن القومي. علماً أن سلفي في منصب مستشار الأمن القومي الجنرال هيربرت ريموند ماكماستر، كان قد ترك منصبه بعد ظهر الجمعة، علماً أنني لم أبدأ مهامي قبل يوم الاثنين. وعندما حاولت عقد اجتماع يوم الأحد، اعترض محامو البيت الأبيض على ذلك، لأنني لن أصبح موظفًا حكوميًا رسميًا حتى يوم الاثنين. وقد أعطى هذا الموقف معنى جديداً لكلمة «إحباط».

اتصل بي ترامب بعد ظهر الأحد، وتحدثنا لمدة عشرين دقيقة (بالأحرى هو من تكلّم معظم

الوقت). قال لي بعد إمعان في التفكير إن الخروج من الشرق الأوسط بالطريقة الصحيحة عملية صعبة، وهو موضوع أثاره مرارًا وتكرارًا أثناء المكالمة التي تخلّلها الكلام عن الخلافات حول الحروب التجارية والرسوم الجمركية. قال ترامب إنه كان يشاهد للتوّ جاك كين (جنرال بأربع نجوم ونائب رئيس هيئة الأركان السابق في الجيش) متحدثاً عبر قناة فوكس نيوز وأعجبه اقتراحه ضرب المطارات العسكرية الرئيسية الخمسة في سوريا، وبالتالي تدمير القوات الجوية للأسد بالكامل. أضاف ترامب، «إن شرفي على المحك»، فذكّرني بملاحظة توسيديدس الشهيرة القائلة «الخوف والشرف والمصلحة» هي المحركات الرئيسية للسياسة الدولية وبالتالي للحرب. وبالفعل كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد اتصل ليقول إن فرنسا تدرس بجدّية إمكانية المشاركة في ردّ عسكري بقيادة الولايات المتحدة[1]. في وقت سابق من ذلك اليوم، أخبرني صهر الرئيس جاريد كوشنر أن وزير الخارجية البريطاني بوريس جونسون اتصل به هاتفياً ليبلغه الرسالة نفسها من لندن. تلك التأكيدات الفورية للدعم كانت مشجعة. ولكن لماذا كان وزير الخارجية يتصل بكوشنر؟ ذلك السؤال كان يجب الرد عليه في الأيام المقبلة.

سأل ترامب عن أحد موظفي مجلس الأمن القومي الذي كنت أنوي صرفه من العمل، وهو من مؤيديه منذ الأيام الأولى لحملته الرئاسية. لم يُفاجأ عندما أخبرته أن ذلك الشخص له يد في «مشكلة التسريبات»، فتابع: «الكثير من الناس يعرفون أكثر مما يجب». سلط هذا الضوء على مشكلتي الأكثر إلحاحًا في الإدارة: التعامل مع الأزمة السورية أثناء إعادة توجيه موظفي مجلس الأمن القومي للسير في اتجاه موحّد، وذلك أشبه بتغيير خطوط لعبة الهوكي والكرة في الجو. لم يكن هنالك وقت للتفكير الهادئ وإلا فستسبقنا الأحداث. في يوم الأحد ذاك لم يكن في وسعي إلا أن «أقترح» على موظفي مجلس الأمن القومي بأن يبذلوا قصارى جهدهم للتأكد مما يمكننا فعله حيال تصرفات نظام الأسد (وما إذا كان من المرجح وقوع المزيد من الهجمات)، وتحديد خيارات الولايات المتحدة في الردّ على هذه التصرفات. وجّهت دعوة إلى اجتماع لموظفي مجلس الأمن القومي الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة صباح يوم الإثنين لتحديد موقفنا وتقييم الأدوار التي ربما تكون روسيا وإيران قد لعبتها. كنا بحاجة إلى اتخاذ قرارات تتناسب مع رؤية جديدة لسوريا والعراق بعد داعش، ولتجنب الردّ بأسلوب عشوائي غير مجدٍ.

غادرت المنزل قبل الساعة السادسة صباحًا بقليل برفقة الحماية الأمنية السرية التي فُرزت لي، متوجهاً إلى البيت الأبيض بمواكبة سيارتيّ دفع رباعي فضيتي اللون. عندما دخلت الجناح

(١) قال بيان البيت الأبيض بعد هذه المكالمة إن ترامب وماكرون اتفقا على «رد مشترك قوي». فهل سيفعل ماكرون في سوريا ما لم يفعله أوباما؟، مونيك الفايزي، https://www.france24.com/en/20180413-france-will-macron-do-syria-what-obama-would-not-russia-ghouta-chemical-weapons

الغربي وجدت أن رئيس الموظفين جون كيلي كان قد وصل إلى مكتبه في الطابق الأول، الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية، على الطرف الآخر من مكتبي الذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية. توقفت لألقي عليه التحيّة. خلال الأشهر الثمانية التالية، كلما كنّا في المدينة، نصل عادةً في حوالي الساعة السادسة صباحًا، وهو وقت ممتاز لتبادل الأفكار في بداية النهار. أكّد اجتماع مجلس الأمن القومي المنعقد في الساعة السادسة وستة وأربعين دقيقة اعتقادي الشخصي، وربما أيضاً اعتقاد ترامب، بأن هجوم دوما يتطلب ردّاً عسكرياً قوياً في أقرب وقت. كانت الولايات المتحدة تعارض استخدام أيّ كان لأسلحة الدمار الشامل، النووية منها والكيميائية والبيولوجية، بوصفه أمراً يتعارض مع مصلحتنا الوطنية. إن أسلحة الدمار الشامل تعرّض للخطر الشعب الأميركي وحلفاءنا، سواء أكانت في أيدي الخصوم الاستراتيجيين أو الدول المارقة أو الإرهابيين.

السؤال الحاسم الذي طرح نفسه أثناء المناقشة التي تلت الاجتماع هو ما إذا كان اللجوء إلى أسلوب الردع ضد استخدام أسلحة الدمار الشامل يعني حتمًا تورّطاً أميركياً أكبر في الحرب الأهلية السورية. والجواب هو كلا. يمكن إثبات مصلحتنا الحيوية في رفض الهجمات بالأسلحة الكيميائية دون الإطاحة بالأسد، على الرغم من مخاوف كل من أراد القيام بإجراء قويّ ضد نظامه وأولئك الذين لم يرغبوا بذلك. الرد العسكري له ما يبرره لردع الأسد والعديد من الآخرين عن استخدام الأسلحة الكيميائية (وكذلك النووية أو البيولوجية) في المستقبل. من وجهة نظرنا، كانت سوريا مسرحاً استراتيجيًا جانبياً، ومن كان يسيطر على الوضع فيها يجب ألا يلهينا عن إيران، مصدر الخطر الحقيقي.

اتصلت بوزير الدفاع جيم ماتيس في الساعة ٨:٠٥ صباحًا، كان يعتقد أن روسيا هي مشكلتنا الحقيقية، وعاد يتحدّث عن اتفاقية أوباما غير الحكيمة التي عُقدت عام ٢٠١٤ مع بوتين «لإزالة» قدرات سوريا الكيميائية، الأمر الذي لم يحدث بالطبع[١]. وها نحن مرة أخرى ندخل في دوامة الاتهامات. اتهمت روسيا إسرائيل بالوقوف وراء هجوم دوما وهو أمر غير مفاجىء أبداً. ناقشنا أنا وماتيس الردود المحتملة على هجوم سوريا. قال إنه سيقترح خيارات «خفيفة ومتوسطة وثقيلة» لينظر بها الرئيس، وتلك كانت المقاربة الصحيحة برأيي. لقد لاحظت أنه على عكس عام ٢٠١٧، كانت كل من فرنسا وبريطانيا تفكران في الانضمام إلى ردّ محتمل، وهذه بحسب رأينا إضافة ممتازة. شعرت عبر الهاتف أن ماتيس كان يقرأ من نص مكتوب.

---

(١) أثار ترامب علانية في وقت لاحق احتمال أن تكون روسيا هي المسؤولة مصرحاً: «إذا كان المسؤول هو روسيا أو سوريا أو إيران، أو كل هذه الدول معًا، فسوف نكتشف الأمر وسنعرف الإجابات قريبًا جدًا». من ملاحظات الرئيس ترامب في اجتماع مجلس الوزراء:
https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/comments-President-trump-cabinet-meeting-7/

بعد ذلك، اتصل بي مستشار الأمن القومي البريطاني السير مارك سيدويل لمتابعة اتصال جونسون بكوشنر[1]. أن يكون سيدويل أول متصل أجنبي بي لهو إشارة رمزية مهمة. إن انسجام حلفائنا مع أهدافنا الرئيسية في السياسة الخارجية والدفاع يعزّز مواقفنا بطرق حاسمة وذلك يُشكّل أحد أهم أهداف سياستي. قال سيدويل إن الردع فشل بشكل واضح، وأصبح الأسد «أكثر مهارة في إخفاء استخدامه» للأسلحة الكيميائية. فهمت من سيدويل أن موقف بريطانيا المحتمل هو التأكد من أن استخدامنا التالي للقوة سيكون فعّالاً عسكريًا وسياسيًا على حد سواء، ما يؤدّي إلى تفكيك قدرات الأسد الكيميائية وإعادة إرساء الردع. بدا كلامه سليماً. اغتنمت الفرصة لإثارة موضوع الاتفاق النووي الإيراني عام ٢٠١٥، حتى في خضم الأزمة السورية، مؤكداً احتمال انسحاب أميركا الآن، بناءً على محادثاتي العديدة مع ترامب. لقد أكد لي ترامب أنه لم يتخذ قرارًا نهائيًا، لكننا كنا بحاجة إلى التفكير في كيفية تقييد إيران بعد الانسحاب الأميركي وكيفية الحفاظ على الوحدة عبر الأطلسي. مما لا شكّ فيه أن سيدويل فوجئ عند سماع هذا الكلام. لم يسمع هو أو الأوروبيون الآخرون بذلك من الإدارة الأميركيّة حيث أن مستشاري ترامب، قبل أن أتسلمّ أنا مهامي، رفضوا الانسحاب بالإجماع تقريباً. استوعب هذه الملاحظة بهدوء وقال إننا سنتحدث في الأمر مطولاً بعد حل الأزمة المباشرة.

عند العاشرة صباحاً، نزلت إلى مجمّع «غرفة العمليات» لحضور الاجتماع المقرر للجنة الرؤساء في مجلس الأمن القومي، وهو اجتماع على مستوى مجلس الوزراء. (القدامى يسمونها «Sit Room» لكن جيل الألفية يسميها غرفة الأزيز في لعب على الكلام بين «WHIZZER» و«WHSR»، الحروف الأولى من عبارة (White House Situation Room) وهي اختصار بالإنكليزية لعبارة: «غرفة العمليات في البيت الأبيض». كان قد تمّ تجديدها وتحسينها بالكامل منذ لقائي الأخير فيها في عام ٢٠٠٦. (ولأسباب أمنية ولتحسين مستوى الفاعلية، أطلقت لاحقًا عملية تجديد إضافية كبيرة تبدأ في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩). كان من المفترض أن أرأس أنا اجتماع الرؤساء إلا أن نائب الرئيس قرر القيام بذلك، فربما أراد أن يساعدني في يومي الأول. على أي حال، قدت أنا المناقشة، كما هو معتاد، ولم يتكرر هذا الأمر مرة أخرى. سمحت هذه الجلسة الأولية التي استمرت لمدة ساعة للإدارات المختلفة بتقديم أفكارها حول كيفية المضي قدمًا. وشدّدت على أن هدفنا الرئيسي كان جعل الأسد يدفع ثمناً باهظاً لاستخدامه الأسلحة الكيميائية وإعادة إرساء قوة الردع حتى لا يتكرّر ما حدث. كنا بحاجة إلى

(١) هذه الأنواع من المشاورات بين الحلفاء شائعة، وغالبًا ما يتم الإعلان عنها، كما في هذه الحالة: «قال مسؤولون بريطانيون يوم الاثنين أنهم يراقبون الوضع بالتنسيق مع الحلفاء». Carol Morello, "U.N. to meet on chemical attack in Syria, though Russia is expected to stick up for Assad government," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/un-to-meet-on-chemical-attack-in-syria-though-russia-is-expected-to-stick-up-for-assad-government/2018/04/09/f2c18176-3bf4-11e8-a7d1-e4efec6389f0_story.html

خطوات سياسية واقتصادية، بالإضافة إلى ضربة عسكرية، لكي نثبت للعالم أن لدينا نهجاً شاملاً، وربما نبني تحالفًا مع بريطانيا وفرنسا. (كان المخططون العسكريون البريطانيون والأميركيون والفرنسيون قد بدأوا يتحدثون في ذلك بالفعل)[1]. كان علينا أن نفكر ليس فقط في الرد الفوري ولكن في ما قد تفعله سوريا وروسيا وإيران بعد ذلك. ناقشنا بإسهاب ما نعرفه وما نجهله بشأن هجوم سوريا وكيفية زيادة فهمنا لما حدث، وخاصة ما إذا كان غاز الأعصاب السارين قد استخدم بالفعل أو مركّبات كلوريّة فحسب. وهنا كرّر ماتيس حرفياً تقريباً تعليقاته السابقة، ذاكراً إن البنتاغون سيوفر مجموعة من خيارات الردّ تراوح ما بين متوسطة وثقيلة.

استمر العمل على موضوع سوريا، ناهيك عن ملء المزيد من النماذج الحكومية، حتى الساعة الواحدة بعد الظهر، عندما تم استدعائي إلى المكتب البيضاوي. كانت سفيرة الأمم المتحدة نيكي هالي (التي شاركت في لجنة الرؤساء عبر طرق اتصالات آمنة من نيويورك) تتصل لتسأل عمّا ستقوله في اجتماع مجلس الأمن بعد ظهر ذلك اليوم. يبدو أن هذه هي الطريقة العادية التي تعلمت فيها ما يجب القيام به في المجلس، وهو أمر يخرج عن طريقة عمل مجلس الأمن القومي العادية تمامًا، وهو ما وجدته مذهلاً. بصفتي سفيراً سابقاً للأمم المتحدة، كنت أتساءل عن أداء هالي غير المقيّد في نيويورك على مدار العام الماضي؛ الآن رأيت كيف تعمل في الواقع. كنت واثقاً من أنني ومايك بومبيو سنناقش هذه القضية بعد أن يتمّ التصديق على تعيينه وزيراً للخارجية. ومع ذلك، بدأ اللقاء بسؤال ترامب لماذا وافق وزير الخارجية السابق ريكس تيلرسون، قبل تركه منصبه، على تقديم ٥٠٠ مليون دولار كمساعدة اقتصادية لأفريقيا. كنت أعتقد أن هذا هو المبلغ الذي وافق عليه الكونغرس في سياق عملية التخصيصات، لكنني قلت له إنني سأتحقق من الأمر. طلب مني ترامب أيضًا أن أنظر في تقرير إخباري عن شراء الهند لأنظمة الدفاع الجوي الروسية S-400 لأن الهند كانت تعتقد أن S-400 أفضل من نظام الدفاع باتريوت الأميركي. ثم تطرّقنا إلى موضوع سوريا. قال ترامب إن على هالي أن تقول بشكل أساسي: «لقد سمعتم كلمات الرئيس [عبر تويتر]، ويجب أن تصغوا». اقترحت أن تتحدث هالي وسفيري فرنسا وبريطانيا بشكل مشترك مع الصحافة خارج قاعة المجلس، بعد اجتماع مجلس الأمن، لتقديم صورة عن جبهة موحدة، ولقد فعلت ذلك عدة مرات، لكن هالي رفضت مفضّلة الحصول على صور لها وحدها وهي تدلي بالبيان الأميركي في المجلس. هذا الموقف كشف لي الكثير.

---

(١) See Catherine Lucey and Jill Colvin, Associated Press, "In run-up to missile strike, an orderly, chaotic White House," https://www.militarytimes.com /flashpoints/2018/04/15/in-run-up-to-missile-strike-an-orderly-chaotic-white-house/; and Dion Nissenbaum, Michael Gordon, and Stacy Meichtry, "U.S. Presses Allies to Back a Military Strike on Syria," https://www.wsj.com/articles/watchdog-agency-to-investigate-syria-chemical-strike-site-1523383551?mod=searchresults&page=1&pos=20

في فترة بعد الظهر، التقيت بموظفي مجلس الأمن القومي الذين يهتمون بقضية الأسلحة النووية الإيرانية، وطلبت منهم الاستعداد للخروج من اتفاق ٢٠١٥ في غضون شهر. كان ترامب بحاجة إلى أن يكون الخيار جاهزًا له عندما يقرّر التراجع، وأردت أن أتأكد من حصوله على هذا الخيار. لم تكن أية مفاوضات جارية مع المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا قادرة على إصلاح الاتفاق؛ نحن بحاجة إلى الانسحاب وإنشاء استراتيجية متابعة فعالة لمنع توجه إيران للاستحصال على أسلحة نووية. ما قلته لا يمكن أن يكون مفاجئًا، لأنني عبرت عنه علانية عدة مرات من قبل، لكنني شعرت أن موظفي مجلس الأمن القومي يحبسون أنفاسهم، وهم كانوا حتى ذلك الحين يعملون بجد لإنقاذ الاتفاق.

عدت إلى المكتب البيضاوي الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة مساءً حيث كان ترامب سيتصل بماكرون[١]. كنت أنضم إلى اتصالات الرئيس بالقادة الدوليين وهي ممارسة اعتيادية متّبعة. أعاد ماكرون التأكيد، كما كان يفعل علنًا، على نيّة فرنسا المشاركة في الردّ على الهجمات الكيميائية (الأمر الذي عاد له الفضل فيه فعلياً بعد حدوثه!)[٢]. كما أشار إلى رغبة رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي في التحرك في أقرب وقت. وكان قد أثار موضوع الهجوم في وقت سابق يوم الإثنين على قاعدة طياس الجوية السورية (مطار تيفور)، التي كانت تأوي منشأة إيرانية، وخطر حصول هجوم إيراني مضاد أثناء التخطيط لعملياتنا الخاصة[٣]. تحدثت لاحقًا مع فيليب إتيان، نظيري الفرنسي والمستشار الدبلوماسي لماكرون، لتنسيق تنفيذ مضمون مباحثات ترامب وماكرون.

بينما كنت أصغي، أدركت أنه في حال بدأ العمل العسكري في نهاية الأسبوع، وهو أمر بدا مرجحاً، عندها لا ينبغي للرئيس أن يكون خارج البلاد[٤]. عندما انتهت المكالمة، اقترحت عليه عدم حضور مؤتمر قمة الأميركتين في البيرو المقرّرة في ذلك الوقت على أن ينوب عنه بنس. وافق ترامب وطلب مني تنسيق الموضوع مع بنس وكيلي. عندما أطلعت كيلي على هذا الأمر تأوه بسبب الإجراءات

(١) See Catherine Lucey and Jill Colvin, Associated Press, "In run-up to missile strike, an orderly, chaotic White House," https://www.militarytimes.com/flashpoints/2018/04/15/in-run-up-to-missile-strike-an-orderly-chaotic-white-house/; and Dion Nissenbaum, Michael Gordon, and Stacy Meichtry, "U.S. Presses Allies to Back a Military Strike on Syria," https://www.wsj.com/articles/watchdog-agency-to-investigate-syria-chemical-strike-site-1523383551?mod=searchresults&page=1&pos=20

(٢) See Associated Press, "Macron: France persuaded Trump to strike in Syria," https://www.usatoday.com/story/news/world/2018/04/15/macron-france-persuaded-trump-strike-syria/518960002/

(٣) Iran clearly thought Israel had conducted the attack, and was threatening retaliation. See Thomas Erdbrink, "Iran Threatens Israel Over Air Strike in Syria," https://www.nytimes.com/2018/04/10/world/middleeast/iran-israel-missile-syria.html?searchResultPosition=1

(٤) See Peter Baker et al., "Trump Weighs More Robust Military Strike Against Syria," https://www.nytimes.com/2018/04/10/us/politics/trump-military-strike-syria.html

التي كان قد تمّ اتخاذها. أجبته: «لا تكرهني في أول يوم عمل لي». وافق كيلي على أن التبديل لا مفر منه. ثم قصدت مكتب نائب الرئيس الذي كان يقع ما بين مكتبي ومكتب كيلي لكي أشرح له الموقف. وبينما كنا نتحدّث دخل علينا كيلي ليقول إن مكتب التحقيقات الفدرالي داهم مكاتب مايكل كوهين أحد محامي ترامب و«المدبّر» الأول للاتفاقات السرّية مع أمثال ستورمي دانيلز، وهي ليست مسألة ذات أهمية كبيرة، بالنسبة للدولة. ومع ذلك، طوال الوقت الذي قضيته مع ترامب بقية الأسبوع، والذي كان طويلاً جداً، لم يتطرّق لقضية كوهين قط. لم يكن هنالك ما يشير إلى أن كوهين كان في بال ترامب، أثناء وجودي معه، إلا عندما كان يضطر للردّ على أسئلة الصحافة الملحّة.

مساء الإثنين، أقام ترامب عشاء نصف سنوي مع هيئة الأركان المشتركة وقادة العسكريين المنخرطين في القتال لمناقشة مسائل ذات أهمية.

أتاحت فرصة وجودهم جميعاً في المدينة المجال للاستماع إلى آرائهم بشأن سوريا. لو لم يكن هذا أول يوم عمل لي، حيث طغت الأزمة السورية على كل شيء، لكنت حاولت مقابلتهم بشكل فردي لمناقشة مسؤوليات كل منهم. لكن كان علي تأجيل ذلك إلى وقت لاحق.

في اليوم التالي، في الثامنة والنصف، تحدثت مرة أخرى مع سيدويل واتصلت للتحضير لمحادثة ماي الهاتفية مع ترامب، المقرّرة بعد ذلك بوقت قصير. أكّد سيدويل مرة أخرى أهمية التوقيت وتساءلت عما إذا كانت الضغوط السياسية الداخلية في بريطانيا تؤثر في تفكير ماي، نظراً إلى أن البرلمان كان سيعود لينعقد في ١٦ نيسان/أبريل. كنت قلقاً من سابقة فشل رئيس الوزراء السابق ديفيد كاميرون في الحصول على موافقة مجلس العموم على مهاجمة سوريا بعد أن تجاوز نظام الأسد «الخط الأحمر» الذي حدّده أوباما بشأن الأسلحة الكيميائية. من الواضح أنه إذا تصرفنا قبل أن يعود البرلمان للالتئام فسوف نتجنب المخاطرة بالرفض[1]. كان سيدويل سعيدًا أيضًا عندما سمع أن البنتاغون كان يفكر برد عسكري ثقيل وليس خفيفاً، الأمر الذي كان يناسب المملكة المتحدة، وكذلك البحث عن إطار أوسع لمسألة سوريا. عندما تحدثت ماي وترامب، جاء

(١) وبالفعل، تعرضت ماي لانتقادات شديدة من قبل المعارضة لأنها تحاول تفادي التصويت في مجلس العموم، لجميع الأسباب التي أوضحها سيدويل. انظر جون رينتول، "Theresa May avoided a vote in parliament on Syrian air strikes because she knew she would lose," https://www.independent.co.uk/voices/theresa-may-trump-syria-strikes-parliament-vote-britain-russia-chemical-weapons-latest-a8303146.html

ليس من المستغرب أن يثير بيان ماي أمام مجلس العموم الشكوك حول ما منعها من أن تسعى للحصول على تصويت برلماني يدافع عن هذا القرار حيث أنه لم تتمّ معالجة هذه النقطة بشكل مباشر. وعرضت أسبابًا أخرى، بما في ذلك أنه «كان قرارًا يتطلب تقييم الاستخبارات والمعلومات التي كان معظمها ذا طبيعة لا يمكن مشاركتها مع البرلمان». المرجع السابق. راجع أيضاً مقالة أليسا ج. روبين وستيفن كاسل:

With Eye on Issues at Home، May and Macron Back Trump on Syria Strikes, https://www.nytimes.com/2018/04/14/world/europe/france-britain-syria-strikes.html?searchResultPosition=21

كلامها صدىً لتعليقات سيدويل حول الحاجة إلى التصرف على الفور[1]. طوال المكالمة، بدا ترامب ثابتاً، على الرغم من أنه كان واضحًا في التعبير عن عدم إعجابه بماي، وهو شعور بدا لي متبادلاً. تحدثت مرارًا وتكرارًا خلال الأسبوع مع نظيري الإسرائيلي، مئير بن شبات، حول التقارير المتعلقة بضربة جوية ضد قاعدة طياس الجوية السورية، والتواجد الإيراني الشديد الخطورة في سوريا[2].

خلال الأسبوع، ورد المزيد من المعلومات حول الهجمات، وصرفت وقتًا طويلاً في مراجعة هذه البيانات، بالإضافة إلى العديد من الملفّات السرية حول بقية العالم. كانت ممارستي في الوظائف الحكومية السابقة تعتمد دائمًا على استيعاب أكبر كمية ممكنة من المعلومات الاستخبارية. ربما أوافق على التحليلات أو الاستنتاجات أو لا أوافق عليها، لكنني كنت دائماً على استعداد لاستيعاب المزيد من المعلومات. كان الدليل على استخدام نظام الأسد للأسلحة الكيميائية واضحًا بشكل متزايد في التقارير العامة، على الرغم من أن المعلقين اليساريين، وحتى البعض على قناة فوكس، كانوا يقولون إنه لا توجد أدلة تدين النظام. كانوا مخطئين.

انعقد الاجتماع الثاني للرؤساء حول موضوع سوريا في الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة ومرة أخرى حضرته عدة وكالات قدّمت تقارير حول خططها ونشاطها المتنامي. واتّفقت كلّها على ضرورة القيام بردّ قويّ. سرعان ما أدركت أن ماتيس كانت مشكلتنا الأكبر. لم يقدم أي خيارات لمجلس الأمن القومي أو لمستشار البيت الأبيض دون ماكغان، الذي كان بحاجة إلى كتابة رأي حول قانونية أي قرار يتّخذه ترامب في النهاية. استناداً إلى تجربة طويلة وغير سعيدة، كنت أقرأ ما بين السطور. كان ماتيس يعرف أين يريد أن يأخذ ترامب عسكريًا، كما أنه يعرف أيضًا أن الطريقة الوحيدة لترجيح وجهة نظره هي حرمان الآخرين من المعلومات وهم يملكون الحق المشروع في المشاركة بالتفكير. ببساطة كان يحرص على عدم تقديم الخيارات إلا في اللحظة الأخيرة، مع الحرص أن هذه الخيارات تم التلاعب بها وتوجيهها في الاتجاه «الصحيح». كان

(١) See Gordon Rayner and Ben Riley-Smith, "Theresa May stands behind Donald Trump on Syria strikes, as Russia warns against 'illegal' intervention," https://www.telegraph.co.uk/politics/2018/04/10/theresa-may-joins -donald-trump-emmanuel-macron-condemning-syria/

(٢) صرحت روسيا علناً إن طائرات F-15 الإسرائيلية أطلقت ثمانية صواريخ على القاعدة. ورفض المسؤولون الإسرائيليون التعليق، لكن إسرائيل ضربت القاعدة نفسها في ١٠ شباط/فبراير. راجع مقالة سكوت نيومان وكاميلا دومونسك:
https://www.npr.org/sections/thetwo-way/2018/04/09/600765750/russia-syria-israeli-jets-strike-air-base-after-alleged-poison-gas-attack-in-dou.

أنكرت الولايات المتحدة الاعتداء على التياس (الصفا) انظر:
The United States denied attacking Tiyas. See "U.S. denies carrying out missile strike in Syria. Russia says Israel did it," https://www.cbsnews.com/news/syria-missile-strike-attack-t4-air-base-not-us-retaliation-douma-gas-attack-israel-russia-says/

الخبط على الطاولات والتأخير والتعتيم لأطول فترة ممكنة، هي التكتيكات التي يمكن بواسطتها لبيروقراطي ماهر مثل ماتيس أن يفرض رأيه. انتهى اجتماع لجنة الرؤساء من دون التوصل إلى قرارات حاسمة. على الرغم من أن ماتيس أعطى بعض الوقت لمكفان في النهاية بعد أن شعر بالتوتر على طاولة «غرفة العمليات». كنت مصمماً على ألا أترك مجالاً لهذا العائق، لكن ماتيس أسّس له بشكل واضح. لم أكن أعتقد أنه تجاوز الخط بعد، لكنه كان يقف عليه تماماً، كما قلت لكل من بنس وكيلي بعد الاجتماع.

ابتداءً من حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، قضيت حوالي ساعتين في المكتب البيضاوي، في «اجتماع» تنقلنا فيه من قضية إلى أخرى. كان ترامب قلقًا بشأن إمكانية وقوع خسائر روسية في سوريا، نظرًا للوجود العسكري الروسي الواسع هناك، والذي ازداد بشكل كبير خلال عهد أوباما. كان هذا مصدر قلق مشروع، وقد عالجنا الأمر عبر استدعاء رئيس هيئة الأركان المشتركة، جو دانفورد، الذي اتصل بنظيره الروسي فاليري غيراسيموف ليؤكد له أنه مهما كان الإجراء الذي قررنا اتخاذه، فهو لن يستهدف لا العسكر ولا العتاد الروسي[١]. كانت قناة دانفورد-غيراسيموف ومازالت ذات قيمة حاسمة لكلا البلدين ثبتت أهميتها بمرور الوقت، ففي كثير من الحالات كانت أكثر ملاءمة بكثير من الاتصالات الدبلوماسية التقليدية لضمان الفهم الواضح المتبادل بين واشنطن وموسكو لمصالحهما ونواياهما. تم إجراء مكالمة أخرى بين ترامب وماكرون في الساعة الثالثة وأربعين دقيقة، حيث دفع ماكرون باتّجاه التحرك الفوري وهدّد بالعمل من جانب واحد إذا تأخرنا كثيراً، وهذا ما كان قد صرّح به علنًا في وقت سابق[٢]. كان الأمر منافياً للمنطق وخطراً، لكن ترامب تمكن في نهاية المطاف من كبح جماح الفرنسيين مرة أخرى. كان ماكرون على حق في سعيه لاتخاذ إجراءات فورية الأمر الذي ضغط على ميل ترامب الخاطئ للتحرك ببطء. وكلما

(١) قدم فلاديمير شامانوف، رئيس لجنة الدفاع في مجلس الدوما، والقائد السابق للقوات الجوية الروسية، تأكيداً على محتوى للمكالمة من بين تأكيدات عامة أخرى. راجع: "President Erdogan, U.S. counterpart Trump, discuss developments in Syria," https://www.dailysabah.com/syrian-crisis/2018/04/11/president-erdogan-us-counterpart-trump-discuss-developments-in-syria

(٢) في وقت سابق صرّح ماكرون علناً أنه سيتصرف من جانب واحد إذا استخدمت سوريا الأسلحة الكيميائية مرة أخرى، وهو تأكيد كرره وزير خارجيته في ٩ نيسان/أبريل: «في إشارة إلى تحذير من الرئيس إيمانويل ماكرون الشهر الماضي بأن فرنسا ستضرب من جانب واحد إذا استخدمت سوريا المواد الكيميائية. الأسلحة مرة أخرى، قال وزير الخارجية جان إيف لو دريان إن الدولة سوف تتحمل مسؤولياتها».

Carol Morello and Jenna Johnson, "Trump tweets condemnation of Syria chemical attack, saying Putin shares the blame." https://www.washingtonpost.com/world/national-security/trump-tweets-condemnation-of-syria-chemical-attack-criticizing-putin-for-sharing-the-blame/2018/04/08/c9c1c0e5-d063-4133-ae4d-e26 496f79fff_story.html

كان الردّ أسرع، كانت الرسالة الموجهة للأسد والآخرين أكثر وضوحا. لم تُطرح خياراتٌ من قِبَل البنتاغون، ولم يناقش الزعيمان أهدافًا محددة. ومع ذلك رسا خيار ماكرون على الردّ المتوسط من بين الخيارات الأخرى المطروحة، بغض النظر عن ما عناه هذا الخيار. قال: الرد الخفيف لن يكون مؤثراً والرد الشديد سيبدو عدائياً. لم يكن لدي أي فكرة عما يقصده، متسائلاً عما إذا كان هو أيضاً يعرف، أو أنه ببساطة يسجل موقفاً.

أثناء إطلاع ترامب على مكالمة لاحقة مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، شدّدت على أن لدينا الصيغة الصحيحة: (١) خيار هجوم ثلاثي مقترح بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا، وليس مجرد ضربة أميركية من جانب واحد كما حصل في العام ٢٠١٧؛ (٢) منهجية شاملة، باستخدام الوسائل السياسية والإقتصادية إضافة إلى العسكرية، إلى جانب الرسائل الفعالة لشرح ما نقوم به ولماذا نفعل ذلك؛ و(٣) اعتماد أسلوب الجهد المستدام وليس مجرد القيام بخطوة يتيمة. بدا ترامب راضياً. كما حثني قائلاً: «سوّقوا لما تريدون القيام به إعلامياً قدر ما تشاؤون» «هاجموا أوباما كما تريدون»، ووصف ذلك بأنه «أمر جيد يجب القيام به». في الواقع لم أكن أرغب في الظهور في وسائل الإعلام في ذلك الأسبوع، فقد كان هناك عدد كاف من الأشخاص الذين يتهافتون للوصول إلى الشاشات، بحيث لن يكون هنالك نقص في الأصواتً التي تنقل أفكار الإدارة.

تبيّن لي أن مكالمة أردوغان تجربة فعلية. عند الاستماع إليه (حيث تتمّ دائماً ترجمة ملاحظاته)، كان يبدو مثل موسوليني يتحدث من على شرفته في روما، باستثناء أن أردوغان كان يتحدث بتلك النبرة والصوت المرتفع عبر الهاتف. كان يتكلّم وكأنه يلقي علينا محاضرة من خلف مكتب ريزولوت الرئاسي في البيت الأبيض. بدا أن أردوغان يتجنب أي التزام بالانضمام إلى خطط توجيه ضربة أميركية في سوريا، لكنه قال إنه سيتحدث إلى بوتين على الفور[1]. حث ترامب أردوغان على التأكيد على أننا نسعى لتجنب الخسائر الروسية. في اليوم التالي وكان الخميس، اتصل نظيري التركي إبراهيم كالين (وأيضاً المتحدث باسم أردوغان أمام الصحافة، وهي تركيبة مثيرة للاهتمام) للإبلاغ عن فحوى مكالمة أردوغان-بوتين. وأكد بوتين أنه لا يريد مواجهة أوسع مع الولايات المتحدة حول سوريا، وأن على الجميع التصرف بحكمة[2].

في الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس، اتصل دانفورد للإبلاغ عن فحوى حديثه مع غيراسيموف في وقت متأخر من الليلة السابقة. بعد الدفاع الروسي الإلزامي عن نظام الأسد، دخل

(١) See Seth J. Frantzman, "Ankara seeks middle path between U.S. and Russia on Syria," https://www.jpost.com/Middle-East/Ankara-seeks-middle-path-between-US-and-Russia-on-Syria-549801

(٢) See Mehmet Celik, "Ankara exerts diplomatic efforts to end US-Russia row in Syria," https://www.daily-sabah.com/diplomacy/2018/04/13/ankara-exerts-diplomatic-efforts-to-end-us-russia-row-in-syria

غيراسيموف في الموضوع، آخذاً على محمل الجد تأكيد دانفورد أن نيتنا لم تكن استهداف الروس. وصف دانفورد غيراسيموف بأنه «محترف للغاية، وموزون جدًا». اتفقنا أنا ودانفورد على أنها نتيجة إيجابية، ونقلت هذه الأخبار إلى ترامب في وقت لاحق ذلك الصباح، وكذلك فحوى المكالمة الهاتفية بين أردوغان وبوتين.

قابلت ترامب وبنس عند الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة في غرفة الطعام الصغيرة الواقعة بالقرب من المكتب البيضاوي. كان ترامب يقضي الكثير من الوقت في غرفة الطعام هذه أمام شاشة تلفزيون كبيرة على الحائط المقابل لمقعده، وغالباً ما تكون القناة المختارة هي فوكس نيوز. هنا كانت تقبع أوراقه الرسمية والصحف والوثائق الأخرى التي تصله، وليس على منضدة ريزولوت في المكتب البيضاوي. أراد ترامب سحب معظم القوات الأميركية من سوريا وإقناع الدول العربية بنشر المزيد من قواتها هناك ودفع كلفة الوجود الأميركي المتبقي فيها. لم يرَ استبدال القوات الأميركية بالقوات العربية على أنه إعادة توجيه استراتيجي، ولكن كوسيلة لتجنب الانتقادات السياسية الداخلية الأميركية بسبب تعليقاته العلنية الصريحة المتزايدة حول الانسحاب من سوريا. قلت إنني سوف أنظر في هذا الخيار. كان اجتماع كامل لمجلس الأمن القومي سيعقد بعد ظهر ذلك اليوم (يكون هذا المصطلح مناسباً فقط عندما يترأس الرئيس الاجتماع). أخبرت ترامب أيضًا أن ماتيس يضغط علينا لتحديد مجموعة الخيارات المستهدفة. بدا ترامب مضطربًا، لكنه لم يقدم أي اتجاه حقيقي.

انعقد اجتماع مجلس الأمن القومي عند الساعة الثالثة في «غرفة العمليات»، واستمر حوالي خمس وسبعين دقيقة، وانتهى من دون قرارات حاسمة. كان الردّ الذي اقترحه البنتاغون على هجوم سوريا بالأسلحة الكيميائية أضعف بكثير مما ينبغي. ويرجع السبب في ذلك إلى أن ماتيس كان قد كدّس عدد الخيارات المقدمة لترامب إلى حدّ أنه لم يعد لديه هامش اختيار حقيقيّ يذكر. فبدلاً من الخيارات الثلاثة (الردّ الخفيف والمتوسط والثقيل) قدم ماتيس ودانفورد خمسة خيارات (هذا الأخير ما كان ليفعل أي شيء لا يريده ماتيس، إلا أنه لم يكن كذلك راضياً عن الوضع برمّته). لم أطّلع على هذه الخيارات إلا قبل بضع ساعات من اجتماع مجلس الأمن القومي، ما حال دون أن يقدّم موظفو مجلس الأمن القومي تحليلاً وافياً للخيارات. ولزيادة التعقيد لم تتّبع الخيارات الخمسة المقترحة ترتيباً معيناً. بدلاً من ذلك، تمّ تصنيف اثنين منها على أن «مخاطرهما منخفضة»، واعتبرت الخيارات الثلاثة الأخرى «شديدة المخاطر». تم تصنيف خيار واحد فقط على أنه جاهز للتنفيذ (وهو أحد الخيارات المنخفضة المخاطر)، وخيار آخر جاهز جزئيًا (وهو منخفض المخاطر أيضاً). أضف إلى ذلك أنه حتى ضمن تلك الخيارات لم يتمّ تحديد الأهداف المحتملة بطريقة مفهومة: والانتقاء من بين العناصر المختلفة للخيارات الخمسة كان سيجعل الأمور

أكثر إرباكًا. لم نكن ننظر في الخيارات ضمن مقياس مفهوم بل إلى مجموعة من التفاح والبرتقال والموز والعنب والإجاص، «غير القابلة للقياس»، وفق التعبير الذي يستخدمه المتخصصون في توجيه الأسلحة النووية نحو أهدافها.

بالنظر إلى ضرورة توجيه ضربة في أقرب وقت ممكن للتأكيد على جديتنا، الأمر الذي قبله ترامب الآن، لم يبقَ أمامنا خيار يُذكر، خاصة أن بريطانيا وفرنسا دفعتانا، لأسبابهما الخاصة، إلى توجيه الضربة عاجلاً وليس آجلاً. لو أصرّ ترامب على أحد «الخيارات الأكثر خطورة» لكانت مرّت عدة أيام أخرى، علماً أن أسبوعاً كاملاً كان قد مضى على هجوم سوريا. لو أننا نتبع الجدول الزمني للعام ٢٠١٧، لكان يجب أن يتمّ الرد اليوم. ولأن ماتيس كان يوصي بضرب الأهداف المرتبطة بالأسلحة الكيميائية فقط، تمّ استثناء الخيارات التي طلبها ترامب وآخرون. علاوة على ذلك، قال ماتيس من دون أي تحفّظ إن التسبب في إصابات روسية يعني أننا سندخل في حالة حرب مع روسيا، على الرغم من جهودنا لتجنب مثل هذه الخسائر، وذكّر بمكالمة دانفورد-غيراسيموف. في نيسان/أبريل ٢٠١٧ ضربت الولايات المتحدة بصواريخ كروز أهدافًا في أحد طرفي مطار عسكري سوري لم يكن فيه تواجد روسي، على الرغم من أننا كنا نعلم أن الروس موجودون بالقرب من مدرج آخر في المطار نفسه[1]. لم يكن أحد مهتماً بالخسائر الإيرانية المحتملة على الرغم من أن الروس والإيرانيين كانوا يتواجدون بشكل متزايد في جميع أنحاء الأراضي السورية التي تسيطر عليها قوات الأسد. كان هذا التواجد الأجنبي المتزايد جزءًا كبيراً من المشكلة الاستراتيجية التي تزداد تعقيداً في الشرق الأوسط، والتصرّف وكأن لا وجود له، سمح للأسد استخدامه كدروع بشرية ببساطة. كان ماتيس يبحث عن أعذار لعدم فعل أي شيء، لكنه كان مخطئًا من الناحية التكتيكية والاستراتيجية.

في النهاية، وعلى الرغم من أن ترامب كان يطالب طوال الأسبوع بردّ حاسم، إلا أنه لم يتّخذ القرار بالقيام بمثل هذا الردّ. وقد أغفل خياره النهائي النقطة الاستراتيجية المركزية التي كان على ماتيس معرفتها. السبب الرئيسي لوجودنا في «غرفة العمليات» هو أن الضربة الأميركية عام ٢٠١٧ فشلت في تهيئة ظروف ردع في ذهن الأسد، قوية بما يكفي لمنعه من استخدام الأسلحة الكيميائية مرة أخرى. علمنا أنه استخدم أسلحة كيميائية ليس فقط في دوما قبل أيام قليلة لكن أيضاً في حالات أخرى منذ نيسان/أبريل ٢٠١٧، وثمة مواضع أخرى يحتمل أن يكون قد

(١) See Dan Lamothe et al., "US strikes Syrian military airfield in first direct assault on Bashar al-Assad's government," https://web.archive.org/web/20170407024143/https://www.washingtonpost.com/world/national-security/trump-weighing-military-options-following-chemical-weapons-attack-in-syria/2017/04/06/0c59603a-1ae8-11e7-9887-1a5314b56a08story.html

استخدمها فيها لكن لم نكن متأكدين من ذلك[1]. كان هجوم ٧ نيسان/أبريل ٢٠١٨ ببساطة الأسوأ بينها جميعاً. لذلك كان الأجدر أن يتناول التحليل في ٢٠١٨ قوة الردّ المطلوب للنجاح في فرض الردع هذه المرة، بالنظر إلى أننا فشلنا في تحقيق هذا الهدف في المرة الأخيرة. كان من المفروض في رأيي أن تشمل تلك الهجمات أهدافاً أكثر من المنشآت التي تضمّ برنامج الأسلحة الكيميائية في سوريا. كان يجب أن ندمر مواقع عسكرية سورية أخرى، بما في ذلك المقرّات والطائرات والمروحيات (أي الأهداف المتعلقة بقرار استخدام الأسلحة الكيميائية وأنظمة نقل القنابل التي تحتوي على الأسلحة نفسها بغرض إلقائها) كما كان ينبغي تهديد النظام نفسه عبر قصف قصور الأسد مثلاً. تلك كانت نقاطاً أثرتها جميعها في الاجتماع لكن دون جدوى فشلنا بشكل ملموس في رفع مستوى ردّنا وهذا ما ضمن فعليًا أن يتنفس كلّ من الأسد وروسيا وإيران الصعداء.

ضغط ماتيس بلا هوادة لاعتماد خياراته غير الحاسمة. وبينما حاول بنس مساعدتي، قدم وزير الخزانة ستيفن منوشين الدعم الشديد لماتيس، على الرغم من أنه بدا غير مطّلع بشكل واضح. أوضحت نيكي هالي أن زوجها كان في الحرس الوطني، لذلك يجب أن نحاول تجنب الخسائر العسكرية البشرية. عندما سعى مكغان مرة أخرى للحصول على مزيد من المعلومات حول الأهداف رفض ماتيس رفضًا قاطعًا تقديمها على الرغم من أن مكغان كان يطلبها فقط لإجراء تحليله القانوني، وليس للعمل عليها كمحلل عسكري الأمر الذي كان خارج نطاق اختصاصه (كما كانت تعليقات منوشين وهالي). كان ذلك مذهلاً حقاً. أخبرني مكغان لاحقًا إنه لم يتحدَّ ماتيس مباشرة لأنه لا يريد تعطيل الاجتماع أكثر؛ لقد تمكن لاحقًا من الحصول على ما يحتاج إليه من معلومات لتكوين رأيه القانوني. أفضل ما يمكن أن نقوله، كما جاء على لسان دانفورد، هو أن ترامب قرّر ضرب «قلب مشروع [الأسلحة الكيميائية السورية]». سنقوم بإطلاق أكثر من ضعف عدد الصواريخ الذي أطلقناه في عام ٢٠١٧، وعلى عدد أكبر من الأهداف المادية[2]. لكن هل يعني ذلك تدمير عدد قليل إضافي من المباني فحسب؟ تلك مسألة أخرى.

حتى لو كان الرئيس قد قرّر توجيه الضربة المثالية يبقى أن عملية صنع القرار كانت غير مقبولة على الإطلاق. لقد وقعنا ضحية حيلة بيروقراطية كلاسيكية نفّذها بيروقراطي كلاسيكي، قام بتقديم الخيارات والمعلومات بهيكلية معيّنة تجعل خياراته فقط تبدو مقبولة من أجل تنفيذ

(١) See "Timeline of Syrian Chemical Weapons Activity," https://www.arms control.org/factsheets/Timeline-of-Syrian-Chemical-Weapons-Activity

(٢) أطلع دانفورد وماتيس الإعلام على هذه النقاط علانية في إحاطة مباشرة بعد الانتهاء من الضربة. راجع الرابط التالي:
"Mattis, Dunford Detail Attacks on Syrian Chemical Arsenal,» https://www.defense.gov/Explore/News/Article/Article /1493636/mattis-dunford-detail-attacks-on-syrian-chemical-arsenal/

الأمر على الطريقة التي يرغب بها. بالطبع فإن عدم توضيح ترامب لما يريده لم يكن عوناً لنا، فراح يقفز بشكل عشوائي من سؤال إلى آخر ما أدّى إلى إحباط الجهود لإجراء مناقشة متماسكة حول عواقب اتخاذ خيار ما دون سواه. صورت وسائل الإعلام الاجتماع، الذي سُرِّبت تفاصيله على الفور. على أنه انتصار لماتيس بسبب «اعتداله». في الواقع، كانت روح ستونول جاكسون تعيش في ماتيس ومساعديه. («يقف جاكسون مثل جدار حجري»، على حدّ قول الكونفدراليين في معركة بول رن الأولى). ومع ذلك، فإن تحقيق نتيجة أفضل يتطلب مزيدًا من التنازع البيروقراطي واجتماعًا آخر لمجلس الأمن القومي، وبالتالي خسارة مزيد من الوقت الحساس. لم يكن ذلك يجدي نفعاً، وكان ماتيس يعرف ذلك. في الواقع، قامت سوريا بالفعل بنقل المعدات والمواد بعيدًا عن العديد من الأهداف التي كنا نأمل أن ندمرها(1). كنت راضياً عن نفسي لأنني لعبت دوري كوسيط نزيه لكن ماتيس كان يلعب بأوراق مكشوفة. كانت معرفته بكيفية استجابة ترامب في مثل هذه المواقف أفضل من معرفتي، بما يتناسب تماماً مع ما كان مكغان يهمس لي به في كثير من الأحيان خلال الفترة التي عملنا معاً فيها في البيت الأبيض المتداخلة، عاكساً التناقض مع تجاربنا السابقة في الحكم: «هذه ليست إدارة بوش».

مع انتهاء الاجتماع، شعرت أن ترامب أراد فقط اتخاذ قرار بشأن شيء ما والعودة إلى المكتب البيضاوي، حيث يشعر بمزيد من الراحة والتحكم. لقد هزمني موظف بيروقراطي خبير. لكني قرّرت ألا أسمح بحدوث ذلك مرة أخرى. الأهم من ذلك بكثير أنه لم تتمّ خدمة البلاد والرئيس بشكل جيد. ولقد عقدت العزم على عدم حدوث ذلك مرة أخرى أيضًا. على مدى الأشهر التالية جرّبت طرقاً عدّة لفتح باب التخطيط العسكري للبنتاغون في حالات الطوارئ المماثلة، والحصول على مزيد من المعلومات مقدمًا، للمساعدة في جعل عملية صنع القرار السياسي العسكري أكثر شمولاً وسرعة. وقد نجحت في ذلك أحياناً وفشلت أحياناً أخرى.

بعد أن غادرنا «غرفة العمليات»، أوضحنا للصحافة أننا لم نتّخذ بعد أي قرارات نهائية وأن مجلس الأمن القومي سينعقد مرة أخرى يوم الجمعة في الساعة الخامسة مساءً. بما أوحى للجميع بأن أي عمل عسكري محتمل لن يحدث قبل بضعة أيام. لكننا كنا واضحين في ما بيننا حول أن ترامب سيوجّه خطاباً للأمة في الخامسة مساءً يوم الجمعة (منتصف الليل بتوقيت سوريا) يعلن فيه الهجوم الثلاثي. أجريت على الفور مكالمة فيديو موجزة مع سيدويل وإيتيان، باستخدام غرفة أخرى في مجمّع غرفة العمليات. شرحت لهما قراراتنا، حتى نكون جميعًا مستعدين للمكالمات

(1) See "Assad forces emptying airports, bases over possible US strikes, Syrian Observatory says," https://www.dailysabah.com/syrian-crisis/2018/04/11/assad-forces-emptying-airports-bases-over-possible-us-strikes-syrian-observatory-says.

القادمة بين ترامب وماكرون وماي. ثم أسرعت إلى المكتب البيضاوي، حيث تحدث ترامب أولاً مع ماي في حوالي الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة. كانت راضية عن نتيجة اجتماع مجلس الأمن القومي، الذي كان الجيشان البريطاني والفرنسي قد ناقشاه بالفعل، وهذه إشارة أخرى على أن ماتيس قد تلاعب بنا تماماً.

أثناء انتظاره لمكالمة ماكرون في المكتب البيضاوي. راح ترامب يتحدّث عن تيلرسون ومدى كرهه له، متذكراً عشاء مع تيلرسون وهالي. قال ترامب إن هالي اختلفت في الرأي مع تيلرسون، فما كان من هذا الأخير إلا أن أجابها: «لا تتحدثي معي بهذه الطريقة مرة أخرى». وقبل أن تتمكن هالي من قول أي شيء تابع تيلرسون: «أنت مجرد امرأة، ولا تنسي ذلك أبدًا». في أي إدارة أخرى كان هذا الكلام سيؤدي إلى طرد تيلرسون، لذلك تساءلت عما إذا كان قد قاله بالفعل أم لا. وإذا لم يفعل ذلك فلماذا أخبرني ترامب بأنه فعل؟ بعد ذلك جاءت مكالمة ماكرون غير جديرة بالذكر. في غضون ذلك سرّعنا من وتيرة استعداداتنا. وبينما كنت أستعد للمغادرة في وقت متأخر من المساء جاء كوشنر إلى مكتبي ليقول لي إن ترامب يعتقد أنني قمت «بعمل رائع». لم أكن موافقاً على هذا الرأي، ولكن هذا يعني أنني سأستمر في عملي، على الأقل حتى نهاية يومي الرابع.

نهار الجمعة، أجريت مكالمات مع دول عربية مختلفة للتحقق من مدى اهتمامها بحشد قوة استطلاعية عربية يسعى ترامب إلى استبدال القوات الأميركية في سوريا والعراق بها. كان يتصور أن العرب سيدفعون للولايات المتحدة «التكلفة زائد خمسة وعشرين في المئة منها»، ثم رفع الكلفة إلى «التكلفة بالإضافة إلى خمسين في المئة» لقاء ما تبقّى من عديد لنا هناك. كنت أتخيل ردود الفعل التي ستصدر. ومع ذلك، كان واضحًا بالنسبة لي أنه ما لم تقدّم الدول العربية شيئاً فمن شبه المؤكد أن ترامب سيسحب القوات الأميركية القليلة المتبقية في سوريا عاجلاً وليس آجلاً. تحدّثت مع وزير الخارجية القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني والشيخ طحنون بن زايد آل نهيان نظيري في دولة الإمارات العربية المتحدة وعباس كامل رئيس المخابرات الوطنية المصرية. أوضحت أن الفكرة جاءت مباشرة من الرئيس، وقد وعدوا جميعًا بأخذها على محمل الجد. في وقت لاحق أطلعت بومبيو على المسألة برمتها عندما أصبح وزيرا للخارجية شارحاً له الخلفية، ومؤكداً أننا لن نصل إلى أي نتيجة بسرعة، فوافق بسهولة على رأيي وانتهت القضية عند هذا الحدّ.

في التاسعة وخمس عشرة دقيقة صباحًا، استدعاني كيلي إلى مكتبه ليخبرني أن ترامب الذي كان مازال في مقر سكنه اتصل به للتو، ومن جملة الأمور التي تحدّث فيها رغبته بإعادة النظر في توليفة الضربة العسكرية التي وافق عليها في اليوم السابق. اتصلنا بماتيس ودانفورد على الهاتف

ثم شبكنا اتصالنا بترامب، الذي كان لايزال في المقر. قال: «الأهداف لا تعجبني، إذ يمكن انتقادها على أنها لا شيء». كلامه هذا ردد بشكل أساسي النقطة التي أثرتها في اجتماع مجلس الأمن القومي الخميس. كما أنه الآن «قلق بعض الشيء» بشأن «التسرب الكيميائي» بعد الهجوم، على الرغم من أن ماتيس أكّد في اليوم السابق أن وزارة الدفاع لا تعتقد أنه سيحدث أيّ تسرّب. قال ترامب إنه كان يفكر في إطلاق تغريدة يقول فيها إنه كان يخطّط للهجوم لكنه ألغاه بسبب انتفاء وجود أهداف جيدة، علماً أنه سيبقي إصبعه على الزناد. كدت أنفجر ورحت أتخيل ما كان ماتيس ودانفورد يفعلانه. بدا كيلي غير مبالٍ بعد أن اختبر هذا التمرين الاستنزافي مرّات لا تحصى. وكرر ترامب: «لن نضرب أي أهداف».

قلت إنه كان يجب أن نتفق على ضربة عسكرية أقوى، لكننا تجاوزنا الآن مرحلة تغيير رأينا وقررنا التغريد فحسب. وافق الآخرون على رأيي هذا. كان ترامب غاضباً من ألمانيا ومستعداً للخروج من حلف شمال الأطلسي، وقرر أيضًا إيقاف «نورد ستريم ٢» (مشروع خط أنابيب غاز البلطيق الذي يربط روسيا بألمانيا مباشرة). لم يكن «نورد ستريم ٢» ذا صلة مباشرة بالقضية المطروحة هنا، ولكن بمجرد تذكيره بذلك، طلب من منوشين متابعة القضية. وقال: «لا تضيّعوا هذه الأزمة [سوريا] على ميركل» في إشارة إلى مشروع خط الأنابيب. ثم بدأ ترامب الحديث عن إجراءات روسية محتملة انتقاماً من ضربة ضد سوريا، مثل إغراق سفينة تابعة للبحرية الأميركية، لكن ماتيس أكّد له أن ذلك غير مرجّح الحدوث، على الرغم من وجود سفن حربية روسية عدة شرق البحر الأبيض المتوسط. بعد المزيد من الأخذ والردّ، بدا أن رأيّ ترامب قد استقرّ على المضي قدمًا في الضربة العسكرية، فقال كيلي بسرعة: «سنعتبر ذلك أمراً بالتنفيذ عند الساعة التاسعة مساء»، في إشارة إلى الوقت المتوقع الآن لخطاب ترامب ليل الجمعة الذي يعلن فيه الهجوم. أجاب ترامب: «نعم». إنّ اتصال ترامب بكيلي، وتدخل هذا الأخير يعكس «مدى قيام كيلي بمهامي أنا» كما شرحها لي ماكماستر في الأسبوع السابق. ومع ذلك، كنت سعيدًا هذه المرة لأن تجربة كيلي في البيت الأبيض مع ترامب وضعت حداً للفوضى الناتجة عن هذا النقاش الهاتفي، وسمحت باتخاذ قرار مدروس بالكامل للمضي قدمًا (ولو بأسلوب غير لائق من وجهة نظري).

لحسن الحظ، لم يجلب ذلك اليوم المزيد من التقلبات، وبدأنا الاتصال بمشرّعي مجلس النواب ومجلس الشيوخ الرئيسيين. اتصل ماكرون مرة أخرى ليقول إنه بعد التحدث مع بوتين بدا كل شيء جيدًا في موسكو. أكد بوتين وجهة نظره المعتادة القائلة إن قوات الأسد لم تشن هجومًا بالأسلحة الكيميائية، ولكن كان من الواضح أنّنا وماكرون نعلم جيداً أن بوتين يكذب. كما لفت بوتين إلى مدى التأثير السيىء على العلاقات العامة الذي سيطال الجميع إذا تمّ الإبلاغ عن أن هجمات الأسد ما

هي إلا أنباء كاذبة. هذه الملاحظة جعلتني أفهم أن ماكرون يلمّح إلى أنّ روسيا تدير حملات تأثير في بريطانيا وفرنسا حول سوريا، وربما أيضًا في أميركا. بعد المكالمة، بقيت مع ترامب في المكتب البيضاوي لمدة نصف ساعة أخرى. سأل ترامب كيف تسير الأمور وعلّق قائلاً: «أهذا ما كنت تتدرّب لأجله». كما فعل قبل ذلك بأيام قليلة، أثار إمكانية العفو عن سكوتر ليبي، الأمر الذي أيّدته بقوة. كنت أعرف ليبي منذ إدارة بوش الأب وشعرت أن معاملته في قضية فاليري بليم أظهرت جميع الأسباب التي جعلت مفهوم «المستشار المستقل» مليئاً بالعيوب وغير عادل البتة. وقع ترامب على العفو بعد بضع ساعات. في فترة ما بعد الظهر، استدعى ستيفن ميلر فريق كتابة خطابات الرئيس للتحدث عن خطابه المسائي للأمة. بدت المسودة جيدة. وفي حوالي الساعة ٥:٠٠ مساءً، عاد ترامب إلى المكتب البيضاوي وأعاد الخطاب كلمة كلمة حتى شعر بالرضا. اتصل بومبيو في حوالي الساعة ٣:٤٠، وهنأته بجلسات الاستماع لتأكيد تعيينه يوم الخميس. كان قد طلب من جينا هاسبل أن تخبر ترامب أنه على استعداد لاتخاذ إجراءات أقوى ضد سوريا، وهو أمر تفيدنا معرفته في حال تعثّر الأمور مرة أخرى في الساعات القليلة القادمة. كان الهجوم سيوضع قيد التنفيذ في وقت مبكر من المساء. ولأنه كان «هجومًا موقوتاً على الهدف»، فقد تم إطلاق بعض الأسلحة قبل الأخرى بوقت طويل بحيث تصل كلها إلى أهدافها في وقت متقارب إلى أقصى حد ممكن.

في الثامنة والنصف، سار العديد منا باتجاه غرفة الاستقبال الدبلوماسية، حيث سيتم بث الخطاب. لم نعبر الرواق، لتجنب لفت نظر أي كان إلى أن شيئًا ما كان على وشك الحدوث، بل مررنا عبر الحديقة الجنوبية المظلمة، ما مكّننا من رؤية البيت الأبيض مضاءً في الليل وهو مشهد يخطف الأنفاس. كان ترامب في الطابق العلوي، في الجناح السكني. أخذ المصعد إلى الطابق الأرضي في حوالي الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. راجعنا الخطاب مرة أخرى بسرعة. ألقى ترامب الخطاب بشكل جيد وصافح المساعدين من حوله وعاد إلى جناحه السكني. وعدت أنا إلى مكتبي لأوضب أوراقي وأعود إلى المنزل لأجد لشدة دهشتي أن الجناح الغربي كان يعجّ بالسياح في التاسعة والنصف ليلاً!

تمّت الضربة بنجاح، حيث أطلقت الدفاعات الجوية السورية أكثر من أربعين صاروخًا أرض-جو، لم يصب أي منها صواريخ كروز التي أطلقناها[1]. اعتقدنا جميعاً أن الأسد فوجئ بمدى الدمار، ولم يحدث أي تسرّب كيميائي. يوم السبت، غرد ترامب بسعادة عن الهجوم وتحدث مع ماي

(١) راجع تعليقات الجنرال كينيث ماكنزي في ١٤ نيسان/أبريل، الواردة في:

"Syria fired 40 missiles 'at nothing' after allied air strikes destroyed three Assad chemical sites," https://www.telegraph.co.uk/news/2018/04/14 /russia-claims-ally-syria-shot-71-103-missiles-launched-us-britain/

وماكرون[١]، اللذين كانا راضيين أيضًا عن طريقة الردّ والوحدة الغربية التي ظهرت. انتقد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس الضربة لعدم حصولها على تفويض من مجلس الأمن، وبالتالي فهي تناقض «القانون الدولي»، الأمر الذي اعتقد البعض منا أنه سخيف. قضيت معظم اليوم في الجناح الغربي في حال الحاجة إلى أي متابعة محتملة.

هل نجحنا في ردع الأسد؟ في النهاية، لا لم نفعل ذلك. بعد استقالتي، علم العالم أن الأسد استخدم مرة أخرى الأسلحة الكيميائية ضد السكان المدنيين في أيار/مايو ٢٠١٩ [٢]، وربما يكون قد استخدمها مرات أخرى أيضاً. باختصار، بينما أنتجت الضربة الأميركية في عام ٢٠١٧ اثني عشر شهرًا من الردع، أدّت الضربة الأكبر منها إلى حد ما في العام ٢٠١٨ إلى ثلاثة عشر شهرًا من الردع فحسب. وفي ما يتعلق بالسياسة المعتمدة في الشأن السوري الأوسع، ومعالجة الهيمنة الإقليمية المتنامية لإيران، فإن هذا النقاش حول سوريا أكّد فقط حالة الارتباك التي ستؤثر على سياسة الولايات المتحدة خلال فترة ولايتي وما بعدها. واستشهد هنا بالعبارة الشهيرة للبروفيسور إدوارد كوروين: بقيت السياسة المتعلقة بسوريا «دعوة للنزاع».

(١) See "Readout of President Donald J. Trump's Call with President Emmanuel Macron of France, April 14, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/readout-president-donald-j-trumps-call-president-emmanuel -macron-france-15/

(٢) See Michael R. Gordon, "US Intelligence Finds Syrian Government Conducted Chlorine Rocket Attack in May," https://www.wsj.com/articles/u-s-intelligence-finds-syrian-government-conducted-chlorine-rocket -attack-in-may-11569513600 and Lara Jakes, "US Concludes Syria Used Chemical Weapons in May Attack," https://www.nytimes.com/2019/09/26/world/middleeast/syria-chemical-weapons-us.html

الفصل الثالث

أميركا تتحرّر

في يوم الإثنين الذي تلى الهجوم على سوريا، سافرت مع ترامب إلى فلوريدا، حيث اصطحبني للمرة الأولى على متن المروحية الرئاسية من الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض إلى قاعدة أندروز المشتركة، ثم استقللنا الطائرة الرئاسية إلى ميامي. كانت وجهتنا قريبة من هياليا، وذلك للمشاركة في حملة تعزّز جهود ترامب لخلق مناخ أعمال إيجابي. كان العدد الأكبر من الحاضرين والذي تخطى الخمسمئة شخص، من الأميركيين الكوبيين والفنزويليين، وعندما قدّمني ترامب في سياق الضربة الأخيرة على سوريا، رُحبّ بي بتصفيق حار، وقوفاً. سأل ترامب متفاجئاً: «هل تعطونه كل الفضل؟ تعرفون أنّ هذا يعني نهاية عمله». يا لها من مزحة. كان السيناتور ماركو روبيو قد بشّر بهذه الحفاوة في وقت سابق، عندما أثار موضوع ترشيحي كمستشار للأمن القومي: «إنّه يوم سيئ لمادورو وكاسترو، ويوم عظيم لقضية الحرية». لقد عملت لفترة طويلة على تلك المسائل، وكان الجمهور يعرف ذلك حتى ولو كان ترامب يجهله. حلّقت الطائرة الرئاسية بعد ذلك إلى بالم بيتش، ثم توجهنا بالسيارة إلى مارآلاغو. كنت أواصل التحضير لقمّة ترامب ورئيس الوزراء الياباني، آبي، مع التركيز الشديد على برنامج الأسلحة النووية لكوريا الشمالية، وهو الهدف الرئيسي لرحلة آبي.

حتى المهمة البسيطة المتمثلة في إعداد ترامب لزيارة آبي كانت شاقة، وشكلت مؤشراً لما سيأتي. قمنا بترتيب جلستَي إحاطة، إحداهما تناولت بشكل عام كوريا الشمالية والقضايا الأمنية، والأخرى حول القضايا التجارية والاقتصادية، بما يتوافق وجدول اللقاءات بين آبي وترامب. على الرغم من أنّ اجتماع آبي- ترامب الأول تمحور حول المسائل السياسية، إلّا أنّ قاعة الاجتماع كانت مليئة بالأشخاص المعنيين بالسياسة التجارية والذين عرفوا أنّ ثمة جلسة إحاطة بهذا الشأن، فحضروا. تأخر ترامب، لذلك قلت إنّنا سنجري مناقشة قصيرة حول التجارة ثم ننتقل إلى موضوع كوريا الشمالية. لكن، اتّضح أنّ ذلك الترتيب كان خاطئًا.

بالفعل، انفعل ترامب حين سمع تعليقاً مفاده أن ليس لدينا حليف أفضل من اليابان، فأخذ يصيح مندّدًا بهجوم اليابان على بيرل هاربور. منذ تلك اللحظة، راحت الأجواء تتأزم. لم يمضِ

وقت طويل حتى وصل آبي، وانتهت جلسة الإحاطة. أخذت كيلي جانبًا لمناقشة جلسة الإحاطة غير المثمرة هذه، فقال: «ستشعر بالإحباط الشديد في وظيفتك هذه». أجبت: «لا، أنا لست محبطاً؛ طالما هناك الحد الأدنى من قواعد النظام. هذه ليست مشكلة ترامب. بل مشكلة موظفي البيت الأبيض». وردّ كيلي قائلاً: «لست بحاجة إلى موعظة منك»، فأجبت: «أنا لا أعظك بل أخبرك بالحقائق. وأنت تعلم أنّها صحيحة». أطرق كيلي مفكراً ثم قال: «كان من الخطأ السماح لهم [جماعة التجارة] بالدخول»، واتفقنا على حلّ المشكلة في المرة المقبلة. لكن في الحقيقة، كان كيلي على حق وكنت أنا المخطئ. كانت تلك مشكلة ترامب، ولم يتم حلّها أبدًا.

عقد آبي وترامب أولاً اجتماعًا ثنائياً، ثم التقيا مع وفديهما، عند الساعة الثالثة من بعد الظهر، في صالة احتفالات «مارآلاغو»، البيضاء والذهبية، وقد كانت فعلاً بيضاء ناصعة وذهبية لامعة. استقبلني آبي بقوله: «مرحبًا بعودتك»، لأنّنا كنا نعرف أحدنا الآخر منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. وكما هو معتاد في مثل هذه الاجتماعات، تدافعت فرقة الصحافة إلى القاعة بكاميراتها المضاءة. أوضح آبي أنّه خلال اللقاء الثنائي، قد توصّل هو وترامب إلى «تفاهم متبادل» بأن تكون جميع الخيارات مطروحة على الطاولة، في ما يتعلق بكوريا الشمالية، حيث كنّا في حاجة إلى «الضغوط القصوى»، وأيضاً التهديد بالقوة العسكرية المتفوّقة[1]. هذا بالطبع كان رأيي الشخصي، على الرغم من أنّ بومبيو كان مشغولاً في تلك اللحظة تحديداً بالتفاوض حول مكان انعقاد قمة ترامب وكيم جونغ أون. إذن، تمّ توقيت زيارة آبي في الوقت المناسب لتشديد عزيمة ترامب، فلا يقوم بأيّ شيء يمكن أن يضعف موقفه في المفاوضات. بعد أن خرجت وسائل الإعلام على مضض، أجرى آبي وترامب مناقشة مطوّلة حول كوريا الشمالية ثم تناولا القضايا التجارية.

أثناء الاجتماع، كان الإعلام يغلي بموضوع آخر. ففي الساعات المحمومة قبل الضربة السورية، وافق ترامب بشكل أولي على فرض المزيد من العقوبات على روسيا. كان وجود موسكو في سوريا حاسماً لتعويم نظام الأسد، وربما تسهيل القيام (أو على الأقل السماح) بهجمات بالأسلحة الكيميائية، وغيرها من الفظائع. لكنّ ترامب غيّر رأيه بعد ذلك. فقد قال لي في وقت مبكر من صباح يوم السبت: «لقد أوضحنا وجهة نظرنا، ويمكننا «أن نضربهم بقوة أكبر إذا لزم الأمر لاحقًا». علاوة على ذلك، كانت الولايات المتحدة قد فرضت في ٦ نيسان/أبريل، عقوبات هامّة على روسيا،

(١) كان آبي قد جادل سابقًا بأنّ «إعطاء الأولوية للدبلوماسية والتأكيد على أهمية الحوار لن ينجحا مع كوريا الشمالية» وأنّه قد «حان الوقت الآن لممارسة أقصى الضغوط على الشمال». وكتب صراحةً: «أنا أؤيد بشدة موقف الولايات المتحدة بأنّ جميع الخيارات مطروحة على الطاولة»، مستخدماً العبارة المألوفة التي تتضمن القوة العسكرية كالخيار غير المذكور.

See Shinzo Abe, "Solidarity Against the North Korean Threat," https://www.nytimes.com/2017/09/17/opinion/north-korea-shinzo-abe-japan.html

وفقًا لما يقتضيه «قانون مكافحة أعداء أميركا من خلال العقوبات[1]، والذي كرهه ترامب لأنّ روسيا كانت المستهدفة فيه. كان ترامب يعتقد أنّ الاعتراف بتدخل روسيا في السياسة الأميركية، أو في العديد من البلدان الأخرى، سواء في أوروبا أو أماكن أخرى، قد يعني اعترافاً ضمنيًا بتواطئه مع روسيا في حملته للعام ٢٠١٦. وهذا الرأي خاطئ من حيث المنطق والسياسة. كان يمكن لترامب أن يكون متشدداً أكثر في التعامل مع روسيا لو أنّه هاجم الجهود التي بذلتها للتلاعب بالانتخابات، بدلاً من تجاهلها، خاصة وأنّ الإجراءات الملموسة مثل العقوبات الاقتصادية، والتي اتخذتها إدارة ترامب كانت في الواقع، صارمة للغاية. أمّا بالنسبة لتقييمه لبوتين نفسه، فهو لم يعطِ أبداً رأياً به، على الأقلّ ليس أمامي. لم أسأل يوماً ترامب عن رأيه به، ربما خوفاً ممّا قد أسمعه. لقد بقي موقفه الشخصي بالزعيم الروسي لغزاً.

حاولت إقناعه بتطبيق العقوبات الجديدة، لكنّه لم يوافق. قلت له إنّني ومنوشين سنحرص على ألّا تصدر الخزانة أيّ إعلان. لحسن الحظ، وبما أنّ العديد من كبار المسؤولين كانوا معتادين كثيراً على تقلّب قرارات الإدارة، فقد راحوا يتريّثون قليلاً، قبل تنفيذ ما وافق عليه ترامب من عقوبات جديدة في الأساس. كان من المقرّر اتخاذ قرار نهائي يوم السبت إمّا بالمضي قدماً بموضوع العقوبات أو تجميدها، لذلك أخبرت ريكي واديل، نائب ماكماستر، والذي كان لايزال في منصبه، بوجوب تعميم الخبر بشأن وقف أيّ إجراء لتطبيق العقوبات. قام موظفو مجلس الأمن القومي بإبلاغ الخزانة أولاً، ثم الآخرين جميعهم، ووافقت الخزانة على أنّها ستنبّه الجميع أيضًا، إلى أنّ العقوبات قد ألغيت.

لكن، في أحد برامج صباح الأحد الحوارية، قالت هالي إنّ وزارة الخزانة ستعلن فرض عقوبات على روسيا يوم الإثنين. على الفور ارتفعت الرايات الحمراء وانطلقت أجراس الإنذار. قام جون ليرنر، المستشار السياسي لهالي، بإخطار واديل بأنّ البعثة الأميركية لدى الأمم المتحدة في نيويورك، كانت على اطلاع على الأوامر المتعلّقة بالعقوبات على روسيا، وعلّق قائلاً: «كانت زلّة لسان منها (ويقصد هالي)». ويا لها من زلّة لسان تحبس الأنفاس! والواقع أنّ ما تسبب بالمشكلة هو حبّ الظهور أمام كاميرات التلفزيون، بتأثيره الذي لا يقاوم، وهو مرض سياسي شائع؛ غير أنّ الخطأ كان عملياً أيضاً، فالعقوبات ينبغي أن تعلن على لسان المسؤولين في وزارة الخزانة. لم يكن للسفيرة لدى الأمم المتحدة دور تلعبه في هذا الصدد، ما خلا أنّها في هذه الحالة، قد سرقت الأضواء عن طريق الخطأ. اتصل بي ترامب في السادسة والنصف مساءً، ليسأل كيف جرت الأحوال في برامج الأحد التلفزيونية، فأخبرته عن الخطأ المتعلّق بروسيا وما كنّا نفعله لإصلاحه. سألني ترامب: «نعم،

(١) See "Treasury Designates Russian Oligarch, Officials, and Entities in Response to Worldwide Malign Activity," https://home.treasury.gov /news /press-releases /sm0338

وما فحوى الأمر؟». أجبته: «إن الأمر كبير». وشرحت له ما ارتكبته هالي، فقال ترامب: «هي ليست تلميذة كما تعلم. اتصل بالروس وأخبرهم». وهذا ما فعلته، فاتصلتُ بعد وقت قصير بسفير موسكو في الولايات المتحدة، أناتولي أنطونوف، والذي كنت أعرفه منذ إدارة بوش الإبن. لم أكن لأخبره بما حدث بالفعل، لذلك قلت له فحسب إنّ هالي ارتكبت خطأً بريئًا. كان أنطونوف رجلاً معزولاً في ذلك الوقت، لأن الناس في واشنطن راحوا يخشون من أن يُضبطوا وهُم يتحدثون إلى الروس، لذلك دعوته للّقاء في البيت الأبيض. هذه الخطوة أعجبت ترامب عندما أطلعته لاحقًا على محادثتنا، هذا لأنّنا سنتمكن الآن من طرح موضوع الاجتماع الذي كان يريده مع بوتين. أطلعت بومبيو أيضاً على المشكلة التي تسببت بها هالي وما حدث من أمور تتعلق بروسيا في هذا اليوم. وشعرت به عبر الهاتف وكأنّه يهزّ رأسه استياء.

على الرغم من أنّ موسكو كانت هادئة، إلّا أنّ الصحافة الأميركية يوم الإثنين بدت محتدمة بشأن قصة العقوبات الروسية. أعطى ترامب لساندرز توجيهات إعلامية، مفادها أنّنا وجّهنا ضربة قاسية لروسيا بالعقوبات، ونفكر بفرض المزيد منها، على أمل أن يوقف هذا التصريح النزيف الناجم عن تعليقات هالي. تحدثت إلى القائم بأعمال وزير الخارجية، جون سوليفان، الذي أقر أنّ وزارة الخارجية تتحمل بعض المسؤولية عموماً، حيث أنّه في أيام تيلرسون-هالي، لم يكن هناك بشكل أساسي أيّ تواصل بين وزارة خارجيتنا وبعثة الأمم المتحدة في نيويورك. كانت هالي حرة الحركة، وقد اعتادت هذا الوضع، لذلك كانت تتواصل مباشرة مع ترامب. أخبرت سوليفان عن معارك الصياح الطاحنة بين ألكسندر هيغ وجين كيركباتريك في الأيام الأولى من إدارة ريغان، فضحك وقال: «على الأقل كانا يتخاطبان».

حتى يوم الثلاثاء، كانت الصحافة لاتزال تنبح حول الموضوع. اتصلت بي هالي في التاسعة وخمس وأربعين دقيقة، قلقة من تركها وحدها في مهبّ الانتقادات: «لن أقبل بذلك. لا أريد أن أتحمل مسؤولية ما حصل». ونفَت أن تكون قد أُبلغت هي أو البعثة الأميركية، بالتراجع عن العقوبات الذي تقرر يوم السبت. قلت إنّني سأتحقق أكثر من الأمر، علماً أنّ فريق عملها قد أقرّ يوم الأحد بأنّها ارتكبت هفوة. طلبتُ من وادبل أن يتحقق مرة أخرى من المسؤولين في وزارة الخزانة، والذين سئموا من إلقاء اللوم عليهم. وأكدوا أنّهم أوضحوا للجميع يوم الجمعة، بمن فيهم ممثل سفير الأمم المتحدة، أنّه ومهما كان قرار ترامب، فلن يتم الإعلان عنه حتى صباح الإثنين، مباشرةً قبل أن تفتح الأسواق الأميركية.

اعتقدت أنّ هذه كانت نقطة ذات مغزى. كما أكّد المسؤولون في وزارة الخزانة أنّهم أجروا اتصالات يوم السبت لمتابعة هذه الإجراءات، وكذلك فعل موظفو مجلس الأمن القومي. في كافة الأحوال، ما كان من المفترض أن يصدر هذا الإعلان عن سفيرتنا لدى الأمم المتحدة! تحدث وادبل

مرة أخرى مع مساعد هالي، جون ليرنر، الذي قال: «ما كان يجدر بها أن تفعل ذلك... كانت زلّة لسان». في هذه الأثناء، كان ترامب يتذمّر من الطريقة التي تعاطت بها الصحافة مع موضوع تغيير القرار السياسي الذي كان قد اتُخذ، لأنّه خشي أن يجعله الأمر يبدو ضعيفًا أمام روسيا.

على جبهة أخرى، كانت النار تكاد تندلع في الهشيم، على خلفية إطلاع لاري كودلو الصحافة، على مناقشات ترامب وآبي. أرادت ساندرز منّي الانضمام إلى كودلو، لكنّني اخترت ألّا أفعل ذلك، وللسبب نفسه كنت أرفض المشاركة في برامج الأحد الحوارية: لم يكن يعنيني أن أصبح نجماً تلفزيونياً في أول أسبوع لي من العمل. في تغطية مباشرة لحديث كودلو، طُرح عليه السؤال المحتوم عن العقوبات الروسية، فأجاب بأنّه قد حصل بعض الارتباك المؤقت، ليس إلّا. ثم أوضح النقاط التي كان ترامب أملاها على ساندرز، وهما على متن الطائرة الرئاسيّة. أرسلت هالي على الفور رسالة إلى دانا بيرينو من قناة فوكس، مفادها: «مع كل الاحترام الواجب، اعلموا أنّني لا أرتبك»، وهكذا عادت المعركة لتحتدم مرة أخرى، على الأقل لفترة من الوقت. وخرجت هالي من الحادث بمزيد من النجاح إذ حافظت على ماء الوجه. ولكن، مع كل الاحترام الواجب، هالي لم ترتبك. بل كانت مخطئة.

بعد أن مارس ترامب وآبي لعبة الغولف صباح الأربعاء، التقيا حول غداء عمل، لم يبدأ حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، وتباحثا خلاله حول المسائل التجارية بشكل عام. وعقد الزعيمان مؤتمراً صحافياً مشتركاً، ثم شاركا في عشاء ضمّ الوفدين وبدأ في الساعة السابعة والربع. هذا كثير من الطعام في وقت قصير. عدت إلى واشنطن على متن طائرة السيدة الأولى، معتبراً أنّ هذه القمة كانت ناجحة فعلاً في قضايا جوهرية مثل كوريا الشمالية.

كان تركيزي الآن منصباً على إيران، والفرصة السانحة التي سيقدّمها القرار المقبل حول تعليق العقوبات، في ١٢ أيار/مايو، لفرض قضية الانسحاب. كان بومبيو اتصل بي في فلوريدا، مساء الثلاثاء، وأمعن في استجوابي حول ما يجب فعله بشأن الاتفاق النووي الإيراني. لم أتمكن من معرفة ما إذا كان لايزال قلقاً بعد عملية تأكيد تعيينه (في مجلس الشيوخ) الصعبة، والتي كانت مفهومة تمامًا، أو إذا كان يخضع لضغط مسؤولين في وزارة الخارجية ممّن يشعرون باضطراب متزايد جرّاء انسحابنا المحتمل في نهاية المطاف. بعد أخذ وردّ صعب، وفظّ أحياناً بشأن الانتقادات التي لا مفرّ منها والموجّهة من أصحاب الأفكار السامية والتي لا بدّ لقرار الانسحاب أن يثيرها، قال بومبيو إنّه سيطلب من الوزارة أن تفكر بشكل أكثر دقة في ما قد يستتبعه خروجنا، الأمر الذي قاوموه بشدّة حتى الآن. شعرت بالقلق من أن تؤدي عصبية بومبيو الواضحة بشأن الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني، إلى مزيد من التأخير. وبالنظر إلى أن بيروقراطيي وزارة الخارجية سوف يستغلّون هذا التردد لعرقلة إلغاء اتفاق دولي مهيب آخر، فإنّ التردد على المستوى السياسي للإدارة قد يكون قاتلاً.

بقي ترامب في فلوريدا بقيّة الأسبوع، لكن عند العودة إلى واشنطن، ركزتُ على موضوع إيران. لطالما اعتقدت أن التهديد النووي لإيران، على الرغم من أنّه ليس متقدمًا من الناحية العملانية بقدر التهديد الذي تمثله كوريا الشمالية، إلّا أنّه خطير للغاية، وربما يكون أكثر خطورة، بسبب الهواجس الدينية العقائديّة الثورية التي تحفّز قادتها. إن برنامج طهران النووي (بالإضافة إلى عملها على تطوير أسلحة كيميائية وبيولوجية) وقدرتها على إطلاق الصواريخ الباليستية، جعلاها تشكّل تهديدًا إقليميًا وعالميًا على حدّ سواء. في الشرق الأوسط المتوتر أصلاً، دفع تقدم إيران في المجال النووي، دولاً أخرى، أي تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية، لاتخاذ خطوات ملموسة نحو امتلاك قدرات نووية خاصة بها، وهو دليل على ظاهرة انتشار التسلح النووي حالياً. كذلك فإن هناك شكوكاً بأن إيران تتميز بكونها البنك المركزي للإرهاب الدولي في العالم، مع سجل ناشط، وخاصة في الشرق الأوسط، في ما يتعلّق بدعم الجماعات الإرهابية بالأسلحة والتمويل، كما وبنشر قدراتها العسكرية التقليدية في الدول الأجنبية، خدمة لأهدافها الاستراتيجية. وبعد أربعين عامًا، لا يبدو أنّ حماسة الثورة الإسلامية في إيران قد تراجعت على مستوى قادتها السياسيين والعسكريين.

التقيت ممثل المملكة المتّحدة، مارك سيدويل، ثم نظيري الألماني، جان هيكر، وتحدثت مطولاً عبر الهاتف إلى ممثل فرنسا، فيليب إتيان. كرّرت مرارًا أنّه لم يتم التوصّل إلى قرار نهائي بشأن الاتفاق النووي، إلّا أنّني حاولت بكلّ الطرق الممكنة أن أشرح أنّه لا توجد أيّ فرصة «لإصلاحه»، كما ناشدت وزارة الخارجية الأميركية لأكثر من عام. كان هذا الخبر صعباً بالنسبة إلى نظرائي الثلاثة وحكوماتهم. لهذا السبب، ظللت أكرّر ذلك، مدركاً، أو على الأقل آملاً، أن ينسحب ترامب من الصفقة في غضون أسابيع. سيقع الخبر على العالم كالصاعقة وقد حرصت على القيام بكل شيء ممكن، حتى لا يتفاجأ أقرب حلفائنا به.

مع زيارة ماكرون وميركل الوشيكتين للبيت الأبيض، سوف تُتاح فرص كثيرة لإجراء مناقشة كاملة حول هذه القضايا. لكن، كان يجب أن يعرفا مسبقًا أنّ ترامب كان ينوي الخروج من الاتفاقية هذه المرة. على الأغلب.

كنت أتوقع من بومبيو، على الرغم من التردد الذي لمسته منه عندما كنت في «مارآلاغو»، أن يضبط شؤون وزارة الخارجية بعض الشيء، لكنه واجه مشكلة خلال تأكيد تعيينه وزيراً للخارجية في مجلس الشيوخ مع راند بول. وفي النهاية، أعلن بول دعم بومبيو، مقابل أن يعترف الأخير بالتالي: (١) أنّ حرب العراق في العام ٢٠٠٣ كانت خطأ، و (٢) أنّ تغيير النظام كان فكرة سيئة، على الأقل وفقًا لتغريدة بول، ويجب علينا الانسحاب من أفغانستان في أقرب وقت ممكن. شعرت بالأسف على بومبيو، لأنّني كنت متأكدًا من أنّ هذه لم تكن وجهات نظره الحقيقية. الواقع أنّني لم أواجه يوماً الحاجة إلى التخلي عن آرائي من أجل الحصول على تصويت، أو حتى الحصول من ترامب

على منصب مستشار الأمن القومي، لذلك لم أضطرّ يوماً إلى اتخاذ القرار الذي يواجهه بومبيو. أخبرني جون سوليفان، وكيل وزير الخارجية، في وقت لاحق من ذلك اليوم، عن الاتصال الذي أجراه مجاملة مع بول خلال عملية تأكيد تعيينه. قال بول إنّه سيصوّت لصالح سوليفان لسبب واحد فقط: «اسمك ليس جون بولتون». وكذلك الأمر، أخبرني كيلي أنّه خلال مفاوضات تأكيد تعيين بومبيو، قال بول إنّني «أسوأ قرار» اتخذه ترامب. وردّ عليه كيلي قائلاً: «يبدو لي رجلاً لطيفاً»، الأمر الذي دفع بول إلى إطلاق خطبة أخرى. كل ذلك جعلني أشعر بالفخر.

خلال هذين الأسبوعين الأولين المحمومين، شاركت أيضًا في العديد من الاجتماعات والمكالمات المتعلقة بالتجارة. كنت مؤيداً للتجارة الحرة، لكنّني وافقت ترامب رأيه بأنّ العديد من الاتفاقيات الدولية لا تعكس «التجارة الحرة» الحقيقية بل التجارة الموجّهة، وبالتالي هي بعيدة كل البعد، عن مصالح الولايات المتحدة. وقد وافقت بشكل خاص على أنّ الصين قامت بالتلاعب بالنظام. لقد اتّبعَت سياسات زيادة التصدير في منظمة التجارة العالمية التي من المفترض أن تكون حرة، بينما كانت تسرق الملكية الفكرية الأميركية وتنخرط في نقل التكنولوجيا القسري الذي حرمنا من أموال طائلة وصفقات تجارية لا تُحصى، على مدى عقود. فهم ترامب أنّ الاقتصاد الأميركي المحلي القوي، هو حاسم في إعداد فعّال للقوتين السياسية والعسكرية الأميركية (وكما بدأت أفهم، ليس لأنّه يريد إعداد الكثير)، وهذا ينطبق على الصين وعلى الجميع. لم يكن لدي أيّ شأن في عمليات صنع القرار والفصل في القضايا داخل منظمة التجارة العالمية والتي كانت تهدف إلى امتصاص عملية صنع القرارات الوطنية. لقد اتفقت تمامًا على هذه النقطة مع ممثل أميركا التجاري، بوب لايتهايزر، وهو زميل سابق من «كوفنغتون أند بورلينغ»، حيث كنا نعمل كشريكين في منتصف السبعينات.

إنّ اتخاذ القرارات بشأن القضايا التجارية كان عملية صعبة في عهد ترامب. علماً أنّه كان من الممكن السلوك فيها عبر مسار منظّم، باستخدام الهيكليات المشتركة بين الوكالات التابعة لمجلس الأمن القومي، بالمشاركة مع كودلو في المجلس الاقتصادي الوطني، لتطوير خيارات السياسة التجارية، ولكنّني كنت الوحيد الذي يعتبر هذه الفكرة جيدة. لا بل وبدلاً من ذلك، نوقشت القضايا التجارية في اجتماعات أسبوعية، برئاسة ترامب، في قاعة روزفلت أو في المكتب البيضاوي، وكانت أشبه بمعارك تقاذف الطعام في المدرسة، أكثر منها اتخاذاً مدروساً لقرارات دقيقة، دونما تعاون أو جهد بين الوكالات على المستوى الأدنى لفرز القضايا والخيارات. بعد هذه الجلسات، لو كنت أؤمن باليوغا، لربما مارستُ شيئاً منها. حضرت أول اجتماع تجاري لي في أواخر نيسان/أبريل، استعدادًا لرحلة منوشين-لايتهايزر إلى بكين. راح ترامب يثرثر كيف أنّ «التعرفات الجمركية هي أفضل صديق للإنسان» وهو أمر مخيف، لكنّه على الأقل قال لمنوشين: «ستذهب إلى الصين لركل مؤخرتهم». وقد أعجبني هذا الكلام. ثم التفت ترامب إليّ وقال: «إنّ الصين تفرض تنفيذاً صارماً للعقوبات على كوريا الشمالية، لأنّها تخشى حرباً

تجارية معنا، وذلك لم يكن صحيحاً بالكامل. فمن وجهة نظري، لم تكن الصين تفرض تنفيذاً صارماً للعقوبات[1]. تنبأ منوشين وكادلو بكساد عالمي إذا اندلعت حرب تجارية حقيقية، لكنّ ترامب تجاهلهما وتابع: «الصينيون لا يهتمون لأمرنا على الإطلاق؛ فهُم قتلة بدم بارد [في التجارة]». حينذاك، استطعت أن أرى أنّ القضايا التجارية ستكون رحلة جامحة.

وصل ماكرون في ٢٤ نيسان/أبريل، في أول زيارة دولة خلال إدارة ترامب، ولقي حفاوة لا بد أنّها أثارت إعجاب الفرنسيين حتى. لسوء حظّ الصحافة، لم يحدث أيّ خطأ. اصطفّ الوفدان الفرنسي والأميركي في الحديقة الجنوبية، ووقف الرئيس والسيدة الأولى في قاعة الاستقبال الدبلوماسية، في انتظار وصول السيد والسيدة ماكرون، بينما الفرقة الموسيقية العسكرية تعزف ألحانها. بعد حين، سألتُ دانفورد عن عنوان إحدى الأغنيات، فسأل بدوره القائد العسكري لمقاطعة واشنطن، لكنّ أيًّا منهما لم يكن يعلم. قال دانفورد «هذه خيبة أمل أخرى»، وضحكنا معاً. كانت الفرقة الاستعراضية العسكرية مثيرة للإعجاب، لا سيّما عندما تقوم فرقة الحرس القديم من عازفي المزمار وقارعي الطبول، في زي الحرب الثورية، بالسير في الاستعراض وهي تعزف أغنية «يانكي دودل». كان ذلك بمثابة تعويض عن الكثير من المعاناة البيروقراطية.

أجرى ماكرون وترامب لقاءً ثنائياً في المكتب البيضاوي، بعد جلسة الأسئلة والصور المألوفة مع الصحافة. وصف ترامب صفقة إيران بأنّها «جنونية» و«سخيفة» وما شابه[2]. وتساءلت عمّا إذا كان الناس سيأخذونها على محمل الجد هذه المرة. مع إجلاء حشد الصحافيين من المكتب البيضاوي، تحدث ترامب وماكرون بمفردهما لفترة أطول بكثير ممّا كان متوقعًا، وكما أخبرني ترامب لاحقًا، قد قضى سواد الحديث، بشرح الأخير لماكرون مسألة خروجنا من الصفقة الإيرانية[3]. حاول ماكرون إقناع ترامب بعدم الانسحاب لكنّه فشل. وبدلاً من ذلك، عمل ماكرون على إقحام ترامب في إطار تفاوضي أوسع يشمل «الركائز الأربع» التي تمّت مناقشتها في الاجتماع الموسّع في غرفة مجلس الوزراء، بعد اللقاء الثنائي (والركائز الأربع هي: برنامج

(١) شاركني العديد من الملقين السياسيين شكوكي. See, e.g., Derek Grossman, "China's Reluctance on Sanctions Enforcement in North Korea," https://www.rand.org/blog/2018/01/chinas-reluctance-on-sanctions-enforcement-in-north.html

(٢) ترامب يصف صفقة إيران بأنها «جنونية» في لقاء مع الرئيس الفرنسي ماكرون،
https://www.cnbc.com/video/2018/04/24/trump-calls-iran-deal-insane-in-meet ing-with-frances-macron.html

(٣) كشف ماكرون ذلك للصحافة من تلقاء نفسه بعد بضعة أيام، يرجى مراجعة:
https://www.efe.com/efe/english/world/macron-believes-trump-will-scrap-iran-nuclear-deal/50000262-3596907

إيران النووي حاليًا؛ وكيفية التعامل معه غداً؛ برنامج إيران للصواريخ الباليستية؛ والسلام والأمن الإقليميان)[١]. كان ماكرون سياسيًا محنّكاً، يحاول أن يحوّل هزيمة واضحة إلى شيء بدا إيجابيًا إلى حد ما، من وجهة نظره. وقال ماكرون متحدثاً خلال الاجتماع باللغة الإنكليزية بشكل شبه كامل، قد قال بطريقة لا لبس فيها حول الاتفاقية: «لا أحد يعتقد أنّها صفقة كافية»[٢] وأضاف مجادلاً أنّه يجب علينا العمل من أجل التوصّل إلى «اتفاقية شاملة جديدة» تستند إلى الركائز الأربع. خلال الاجتماع، سأل ترامب رأيي في الصفقة الإيرانية. قلت إنّها لن تمنع إيران من الحصول على أسلحة نووية، وإنّه لمستحيل «إصلاح» العيوب الأساسية في الاتفاقية. ولأنّني كنت أعرف ميل ترامب إلى عقد صفقة حول أيّ شيء، ذكرتُ ملاحظة آيزنهاور الشهيرة: «إذا لم تكن قادراً على حلّ مشكلة ما، ضخّمها». وقلت إنّني أعتقد أنّ هذا ما يحاول ماكرون فعله، على ما يبدو. وهذا ما يمكننا استكشافه، لكن بعد الانسحاب وبعد إعادة فرض العقوبات الأميركية، الأمر الذي أكّد منوشين أنّنا «على استعداد تام» للقيام به.

قال ترامب البنّاء: «لا يمكنك البناء على أساس سيئ. لقد عقد كيري صفقة سيئة. لن أتكلّم عمّا سأفعله، ولكن إذا أنهيت الصفقة، فأنا منفتح على عقد صفقة جديدة. أفضّل أن أحاول حلّ كل شيء بدلاً من ترك الأمور كما هي». وأضاف: «علينا التوصّل إلى صفقة جديدة بدلاً من محاولة إصلاح صفقة سيئة»[٣]. (أخبر ماكرون ترامب في مكالمة لاحقة بأنّه مستعد للمسارعة إلى التوصّل إلى صفقة جديدة، الأمر الذي لم يلقَ أيّ صدى لدى ترامب.) ثم تحوّل الاجتماع إلى قضايا التجارة وقضايا أخرى، وتمّ فضّه حوالي الساعة الثانية عشر وخمس وعشرين دقيقة، تحضيراً للمؤتمر الصحافي المشترك. في ذلك المؤتمر، لم يقل أيّ من الرئيسين شيئًا جديدًا أو مختلفًا بشأن إيران، على الرغم من ملاحظة ترامب في وقت ما: «لا أحد يعرف ما سأفعله... مع أنّه لديك فكرة جيدة عمّا ستفعله أنت يا سيادة الرئيس»[٤]. كان العشاء الرسمي رائعًا جدًا، هذا إذا كنت تحب تناول

(١) See Peter Baker and Julie Hirschfeld Davis, "Trump Signals Openness to a 'New Deal' to Constrain Iran," https://www.nytimes.com/2018/04/24/world/europe/trump-macron-iran-climate.html?searchResultPosition=22

(٢) استخدم ماكرون هذه العبارة بالذات في المؤتمر الصحافي المشترك بعد الاجتماع الثنائي. See "Remarks by President Trump and President Macron of France in Joint Press Conference," April 24, 2018, https://www.white house.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-president-macron-france-joint-press-conference/

(٣) أثار ترامب عامة النقاط نفسها في المؤتمر الصحافي المشترك الذي أعقب الجلسة المغلقة. يرجى مراجعة الهامش رقم ٢ أعلاه («لكننا سنرى أيضًا، إذا فعلت ما يتوقعه بعض الناس، إذا كان من الممكن أم لا التوصل إلى اتفاقية جديدة على أسس متينة. لأنّ هذه الاتفاقية أسسها فاسدة. إنّها صفقة سيئة. بنيتها متداعية. إنّها تسقط»).

(٤) المصدر نفسه.

الطعام حتى الساعة العاشرة والنصف ليلاً. ومع ذلك، خرجت أنا وغريتشن قبل البرنامج الترفيهي اللاحق، كما فعل جون كيلي وزوجته كارين، إذ التقيناهما بينما كنّا جميعاً نوضّب حقائب وملابس العمل من مكاتبنا، في طريقنا إلى المنزل.

حقّقت الاستعدادات للانسحاب من الاتفاق خطوة عملاقة إلى الأمام، مع إعراب ماتيس عن موافقته، في ٢٥ نيسان/أبريل، «إذا اتُّخذ القرار بالانسحاب، يمكنني التعايش مع ذلك». وفي حين أنّ تأييده لهذا القرار كان يفتقر إلى الحماسة، تبيّن من خلال كلامه بأنّه لن يستميت في الدفاع عن الاتفاق. ومع ذلك، كان ماتيس يجدد تأكيد اعتراضه على ذلك الانسحاب في كل مناسبة تتاح له، ما دفع بترامب، بعد مرور أيام قليلة، إلى القول بنبرة حازمة، «لا يمكنني البقاء مقيّداً به». وهذا ما شكّل تأكيداً واضحاً على انسحابنا. وفي وقت لاحق من صباح الخامس والعشرين من نيسان/أبريل، أكّد ترامب مجدّداً امامي، أنّه يريد أن يكون منوشين على كامل الاستعداد «لفرض أقصى العقوبات الممكنة» فور انسحابنا. والتقيت أيضاً في صباح ذلك اليوم بإتيان، الأمر الذي ترك انطباعاً واضحاً لديّ بأنّ ماكرون لم يحط الجانب الفرنسي بعد بمعطيات اللقاء الذي جمعه بترامب. ما يعني أنّ ماكرون فهم تماماً أنّ ترامب قد أبلغه عن انسحابنا الوشيك.

كانت القمة التي جمعت ترامب بميركل في السابع والعشرين من نيسان/أبريل، أشبه «بزيارة عمل» أكثر منها «زيارة دولة» فلم تتسم بالفخامة كتلك التي جمعته بماكرون. دام اللقاء بين ترامب وميركل خمس عشرة دقيقة فحسب، قبل الاجتماع الموسّع في غرفة مجلس الوزراء، حيث استهل ترامب حديثه بالتذمر من «تغذية ألمانيا للوحش» (والمقصود هنا روسيا) وذلك من خلال خطوط أنابيب نورد ستريم ٢، ثم انتقل إلى الاتحاد الأوروبي، معتبراً أنه يعامل الولايات المتحدة بصورة رهيبة. كان واضحاً بالنسبة إليّ أنّ ترامب يعتبر ألمانيا أسيرة روسيا. وقد استخدم أيضاً عبارة سمعتها لاحقاً في مناسبات لا تعدّ ولا تحصى، قائلاً إنّ «الاتحاد الاوروبي أسوأ من الصين إلا أنّه أصغر مساحة»[1]، مضيفاً أنّه تم إنشاء الاتحاد الأوروبي بهدف استغلال الولايات المتحدة، ما أشعل فتيل الخلاف بينه وبين ميركل (باللغة الإنكليزية، التي اعتمدتها طوال الاجتماع). وطالبت ميركل أيضاً بمهلة تتراوح من ثلاثة إلى أربعة شهور قبل اتخاذ ترامب القرار بفرض تعرفات جمركية شاملة على الصلب والألومنيوم، وذلك ريثما يتسنى الوقت للاتحاد الأوروبي للتفاوض مع الولايات المتحدة. فأجابها ترامب أنّه لا يرغب بالتفاوض مع الاتحاد الأوروبي. من المؤسف ألّا يكون شعوره

(١) See, e.g., Caroline Houck, "Trump Calls Europe "as bad as China" on trade," https://www.vox.com/world/2018/7/1/17522984/europe-china-trade-war -trump,

نقلاً عن ترامب في مقابلة مع ماريا بارتيمورو من فوكس نيوز.

حيال كوريا الشمالية مماثلاً، قلت في قرارة نفسي[١]. كان ترامب قد تحول بالفعل إلى فشل ألمانيا في الايفاء بالتزاماتها حيال منظمة حلف شمالي الأطلسي، لمضاعفة نفقات الدفاع إلى ٢ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، واصفاً ميركل على أنّها «عظيمة في الرقص النقري» بشأن حلف شمالي الأطلسي، وهو ما تحاول القيام به الآن على مستوى التجارة[٢]. واصلت ميركل ممارسة الضغوط للحصول على مهلة شهرين على الأقل لجهة التعرفات الجمركية، ولكنّ ترامب أكّد لها أن ذلك مضيعة للوقت، تماماً مثل حلف شمالي الأطلسي. وسألها متى ستتمكن ألمانيا من الوصول إلى ٢ في المئة، فأجابته ميركل بكل براءة: «في العام ٢٠٣٠»، ما دفع حتى بالألمان إلى الابتسام، وبترامب إلى القول إنها كانت تردد الشيء نفسه على مدى ١٦ شهراً. وفي ما يتعلق بالتعرفات الجمركية، أكدت ميركل في نهاية المطاف، أنّه يستطيع أن يفعل ما يحلو له لأنّه رجل حرّ.

تمّ التطرق إلى موضوع إيران بشكل عَرَضيّ. فطلبت منّا ميركل الإبقاء على الاتفاق، ولكنّ ترامب تعامل مع كلامها بلامبالاة. وخلال المؤتمر الصحافي، قال ترامب عن إيران، «لن تتمكن من تصنيع الأسلحة النووية»، وكان هذا كل شيء. غير أنّ الحدث الأكثر إثارة تمثل في الغارات المفترضة الجديدة التي نفذتها الطائرات الإسرائيلية في اليوم التالي، على مواقع إيرانية في سوريا[٣]، غارات أثارت قلق ماتيس وآخرين في البنتاغون، من إمكانية أن تدفع الإيرانيين إلى الانتقام من القوات الأميركية (على الأرجح بواسطة الميليشيات الشيعية الموالية لها في العراق). لم تكن مخاوفهم في محلها، كما ولم يثر ذلك الحدث ولا غيره اهتمام ترامب على الإطلاق. وخلال إحاطته نتنياهو بوجهة نظره حيال إيران، قال ترامب إنّ الاتفاق كلّه كان قائماً على الأكاذيب، وقد أمعنت إيران في التعامل مع الولايات المتحدة باستخفاف، مانحاً بذلك إسرائيل الحرية المطلقة لتهشيم الاتفاق علناً، وهو ما كان نتنياهو منكبًّا مسبقاً على فعله.

ومع مرور الأيام، أكدت لمنوشين، وهالي، وكوتس، وهاسبل وآخرين أنّ الأمور كلها تدل على أنّ الانسحاب من الاتفاق الإيراني سيتم في بداية شهر أيار/مايو، وينبغي علينا التفكير في الطرق

(١) See Julie Hirschfeld Davis, "Trump and Merkel Meet One on One, but Don't See Eye to Eye," https://www.nytimes.com/2018/04/27/us/politics/trump-merkel.html?searchResultPosition=6

(٢) BBC, "Merkel lobbies Trump on trade and Iran," https://www.bbc.com/news/world-us-canada-43925422

(٣) See Judah Ari Gross, "US officials say Israel behind latest Syria strike, preparing for war with Iran," https://www.timesofisrael.com/us-officials-say-israel-behind-latest-syria-strike-preparing-for-war-with-iran/, quoting Courtney Kube, "Israel seems to be preparing for war with Iran, U.S. officials say," May 1, 2018, https://www.nbcnews.com/news/mideast/israel-seems-be-preparing-war-iran-say-u-s-officials-n870051

المناسبة لتطبيق القرار والخطوات اللاحقة الواجب اتخاذها، كلٌّ في ميدان عمله. أصرّ منوشين، على الرغم من أنّني لم أفهم سبب هذا الإصرار، على أنّه يحتاج إلى ستة أشهر لإعادة إدخال العقوبات حيز التنفيذ. ما الذي يحول دون إعادة فرض العقوبات وتفعيلها على الفور، مع منح فترة سماح قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أشهر، لتمكين المشاريع التجارية من تعديل العقود القائمة وما شابه؟ تلك كانت إحدى المشاكل المتكررة التي كنّا نواجهها مع وزارة الخزانة في عهد منوشين. فقد بدا مهتمًّا بالتخفيف من وقع العقوبات بقدر ما كان قلقاً إزاء فرضها في الأساس. لا عجب إذاً أن تتقن إيران، وكوريا الشمالية ودول أخرى، التملص من العقوبات؛ ففي ظل مقاربة منوشين للمسألة (الأشبه من حيث مضمونها بمقاربة أوباما)، كان أمامها متّسع من الوقت للاستعداد. من جهته، وافقني بومبيو الرأي على أنّه ينبغي أن تدخل العقوبات حيز التنفيذ على الفور. الواقع أنّنا سجّلنا انتصاراً بسيطاً حينما خفض منوشين «فترة الإنهاء التدريجي» لمعظم السلع والخدمات، من ١٨٠ إلى ٩٠ يوماً باستثناء المسائل المتعلقة بالتأمين والنفط، بحيث أبقى على مهلة ١٨٠ يوماً. ولكن، لا ريب أنّ النفط كان يشكّل المسألة الاقتصادية الأكثر أهمية، لذا لم يكن تراجع منوشين عن موقفه ذا جدوى. ولم يكن المقصود بالحديث «الإنهاء التدريجي» للعقود القائمة فحسب، بل وأيضًا فترة سماح يتم خلالها إدخال وتنفيذ العقود الجديدة، من دون أيّ حظر على الاطلاق. كان ذلك أشبه بهزيمة ذاتية لا جدوى منها.

التقيت ببومبيو وماتيس حول فطورنا الأسبوعي الأول في البنتاغون، في الثاني من أيار/مايو، عند الساعة السادسة صباحاً، حيث واصل ماتيس دفاعه عن وجهة نظره الرافضة للانسحاب. كان واضحاً أنّ ترامب قد اتخذ قراره. وتضاعفت الاستعدادات لبقية ساعات النهار، وعلى مدى الأسبوع بكامله، وصولاً إلى عطلة نهاية الأسبوع، تحضيراً للإعلان عن الانسحاب. لاسيّما لجهة صياغة مسودة القرار الرئاسي الرسمي، حرصاً على سد كافة الثغرات التي يمكن أن يتسلّل منها من جديد مؤيدو الاتفاق. وكان العمل على إعداد الكلمة التي سيلقيها ترامب يسير على قدم وساق، بإشراف ستيفن ميلر وكاتبي خطاباته. وإذ أعرب ترامب عن رغبته في إضافة الكثير من النقاط، استمر العمل على المسودة إلى أن حان وقت إعداد النص لأجهزة التلقيم عن بُعد. وفي حين كنت أصبو إلى أن يتم الإعلان في السابع من أيار/مايو، أبلغتني ساندرز أنّ السيدة الأولى ستشارك في إحدى المناسبات المقررة مسبقاً، في هذا التاريخ تحديداً، لهذا تم تأجيل الإعلان عن الانسحاب إلى الثامن منه. هكذا كان يجري ترتيب القضايا الهامة للدولة. وفي الواقع، هنا أيضًا، بقي ترامب متردداً بشأن هذا التاريخ أو ذاك، حتى اللحظة الأخيرة.

تم الاتصال الروتيني الأخير بين ترامب وماي، بشأن القضية الإيرانية وقضايا أخرى، نهار

السبت في الخامس من أيار/مايو[1]. كما ووصل وزير خارجية بريطانيا، بوريس جونسون، إلى واشنطن مساء الأحد، لإجراء المزيد من المناقشات. وفي تلك الليلة أيضاً، تلقيتُ عند عودتي إلى المنزل، وثيقة سرية مرسلة من ماتيس، أعرب فيها عن معارضته الانسحاب، ولكن من دون المطالبة بعقد اجتماع رفيع المستوى لمناقشة الأمر. شعرت برغبة في القول إنّ معارضته هذه محفوظة جيداً وموثّقة لصفحات التاريخ، ولكنّني كبحت جماحي. لم يكن البنتاغون قد أبلغنا بعد بما ينبغي فعله من الناحية العملاتية في حال انسحاب الولايات المتحدة، منتقلاً بذلك من موقع المعارضة العلنية إلى حرب العصابات. غير أنّ ذلك لم ينجح في إعاقتنا.

اجتمعت بجونسون الذي كنت قد التقيته للمرة الأولى في لندن عام ٢٠١٧، في مكتبي عند الساعة التاسعة صباحاً من نهار الاثنين. وناقشنا القضايا المتصلة بإيران وكوريا الشمالية بشكل مطول. هذا واستعرضنا لقاءات ترامب الأخيرة مع ماكرون وميركل، وخطة ماكرون المؤيدة «للركائز الأربع» حيث أكد جونسون أنّ بلاده كانت تنوي الذهاب في الاتجاه نفسه. فقلت له إنّني أرحب بتسمية الخطة «ركائز جونسون الأربع»، وضحك الجميع تعبيراً عن تأييدهم. وعلى غرار ماكرون، شدد جونسون على أنّ بريطانيا على بيّنة من مواقع الضعف في الاتفاق، ما قد يثير على الأرجح دهشة العديد من المؤيدين الذين كانوا لايزالون ينادون به[2]. شرحت له عن الأسباب الداعية للإعلان عن ذلك في أقرب فرصة ممكنة، ممتنعاً عن القول إنّ الموعد قد تحدد في الغد، لأنّني كنت أعرف ترامب جيداً. وفي هذه الحال، لن نقع في هوة التقاعس فحسب، بل ونعيد تفعيل العقوبات الأميركية ذات الصلة بالتسلح النووي والتي كان الاتفاق قد جمّدها. وقبل أن أودعه، ذكّرت جونسون بأنّني أعربت له في الصيف الماضي عن رغبتي في المساعدة بشأن انسحاب المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، مؤكداً له أنّني ما زلت أرغب في ذلك. مع أنّ الفرصة لم تسنح لنا للتحدث في هذا الشأن. أبلغت بعدها سيدويل بالحديث الذي جرى بيننا، ثم اتصلت بإتيان الذي سرعان ما صاح في وجهي بأنّ ترامب قد نشر التغريدة التالية:

> سأعلن قراري بشأن الاتفاق الإيراني غداً من البيت الأبيض عند الساعة الثانية بعد الظهر.

(١) See, "Readout of President Donald J. Trump's Call with Prime Minister Theresa May of the United Kingdom," May 5, 2018. https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/readout-president-donald-j-trumps-call-prime-minister-theresa-may-united-kingdom-7/

(٢) See Boris Johnson, "Don't Scuttle the Iran Nuclear Deal," https://www.nytimes.com/2018/05/06/opinion/boris-johnson-trump-iran-nuclear-deal.html

لم يعد للتشويق من مكان. كان إتيان يتابع تغريدات ترامب بدقة أكثر مني! لم يعد من مجال للشك في ما سيحدث، وهذا ما أكدته للسفير الإسرائيلي رون ديرمير وآخرين، بحيث لم يكن أحد بحاجة إلى الكثير من التوضيح.

في اليوم المنتظر، اتصل ترامب بالرئيس الصيني تشي جينبينغ، عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، لمناقشة بعض القضايا، بما في ذلك مسألة كوريا الشمالية. وأخبره ترامب بأنّه سيصدر بعد قليل بياناً بشأن إيران، وسأله بطريقة طفولية نوعاً ما، ما إذا كان يرغب في معرفة فحواه. قال تشي إنّه شعر وكأنّ ترامب يتشوق لإخباره، والحق يقال إنّ حدسه أصاب الهدف تماماً. إذ لم يكد يقول له «ولمَ لا؟» حتى سارع ترامب، الذي وجد في تشي شخصاً يمكن الوثوق به، إلى القول إنّه سينهي الاتفاق النووي الذي كان يعتبره مسيئاً، ومن ثم يتريث ليرى ما سيحصل. أكد له تشي أنّ الأمر سيبقى طيّ الكتمان، مضيفاً ببساطة أنّ الولايات المتحدة تعرف موقف الصين جيداً، ما يعني أنّ تشي لم يكن ينوي أن يحوّلها إلى قضية ثنائية رئيسية. اتصل ماكرون ليسأل عمّا ينوي ترامب التصريح به بشأن أيران، ولكنّ ترامب أراد التأكد من أنّ ماكرون سيكون حذراً. لذا، نبّهه إلى ضرورة عدم إعلان الخبر، طالباً منه وعد شرف بذلك. ردّ ماكرون بالإيجاب، في حين كان يؤمن بأنّه لا يجدر بإيران أو فرنسا الانسحاب من الاتفاق، في ظل الجهود المبذولة للتوصل إلى اتفاق جديد شامل، وفق المحادثات التي جرت بين الرئيسين في وقت سابق. من جهته، رأى ترامب أنّ إيران لن تنسحب لأنّها كانت تجني جرّاء ذلك الكثير من المال. ورأى ترامب أن عليه في مرحلة معينة أن يلتقي الرئيس الإيراني، روحاني، مثنياً على ماكرون باعتباره الرئيس الأوروبي الأفضل على الإطلاق، ومؤكداً للأخير على ضرورة إخبار روحاني بأنّ ترامب محق.

ألقى ترامب خطابه قرابة الساعة الثانية والربع بعد الظهر، بحضوري وحضور بنس، ومنوشين، وإيفانكا وساندرز، ملتزماً بالنص بحذافيره. عدنا بعد ذلك إلى المكتب البيضاوي، وقد شعرنا بأنّ الأمور جرت كما هو مخطط لها وبأنّ الخطاب سيلقى ترحيباً. بعد الثانية والنصف بدقائق قليلة، عقدت لقاءً مصغراً مع المراسلين الصحافيين في قاعة الإحاطات في البيت الأبيض، كان الكلام فيه علنياً، لكن بعيداً عن الكاميرات، حرصاً على أن تظهر وسائل الاعلام حصراً، صورة الرئيس وهو يلقي الخطاب فحسب. وبذلك، نكون قد أنجزنا المطلوب.

استغرقت عملية تمزيق الاتفاق النووي الإيراني شهراً واحداً، ليثبت بذلك مدى سهولة التنفيذ عند الإمساك بزمام الأحداث. بذلت غاية جهدي لتهيئة حلفائنا في بريطانيا، وألمانيا وفرنسا لما جرى، لأنّهم ما كانوا مستعدين البتّة لمواجهة احتمال انسحاب الولايات المتحدة. بقي أمامنا الكثير لتركيب

إيران أو الإطاحة بالنظام؛ وفي حين أنّ سياسة ترامب المعلن عنها كانت تتعارض مع ذلك، إلّا أنّ الانطلاقة كانت جيدة.

استمر العمل بعد بضعة أشهر من الانسحاب لمتابعة قرار ترامب بإعادة فرض عقوبات اقتصادية، واتخاذ خطوات أخرى لزيادة الضغوط على طهران، انسجاماً مع قرار الانسحاب من الاتفاق النووي. كانت الخطة الأساسية تقضي بإعادة تفعيل العقوبات السابقة التي تم تجميدها إثر توقيع أوباما على الاتفاق النووي، ومن ثم إجراء التعديلات اللازمة لسد الثغرات، وتعزيز الإجراءات التنفيذية وتحويل الحملة إلى «الضغوط القصوى» على إيران[١]. مع حلول ٢٦ تموز/يوليو، كان الوقت قد حان لعقد اجتماع مصغر للرؤساء في مجلس الأمن القومي. وقد عُقد في الثانية بعض الظهر في غرفة العمليات. تمثل الجزء الأكثر أهمية منه في جهود ماتيس للتقليل من أهمية دور إيران في مصفوفة التهديد الدولي الذي تواجهه الولايات المتحدة، مشيراً إلى أنّ روسيا، والصين وكوريا الشمالية تشكل تهديداً أكبر. وعلى الرغم من أنّ أسبابه كانت واهية، سررت بتصدي بومبيو ومنوشين له، على اعتبار أنّ إيران هي أحد أهمّ المخاطر الأربعة الكبرى كما حددتها استراتيجية الأمن القومي، والتي وافق ترامب عليها قبل تسلمي مهامي. غير أنّ شبح اعتراضات ماتيس على أخذ إيران على محمل الجدّ سيطاردنا لغاية نهاية العام ٢٠١٨، تاريخ رحيله من الإدارة، بل وما بعده أيضاً. كان هذا الاجتماع مهماً، إلى حدّ أنّه تم تسريبه إلى الصحافة التي نشرت وقائعه في اليوم التالي[٢]. في هذه الأثناء، كانت العملة الإيرانية تشهد تدهوراً شديداً. في منتصف شهر آب/أغسطس ٢٠١٨، ومن ثم في كانون الثاني/يناير ٢٠١٩، سافرت إلى إسرائيل للقاء نتنياهو وكبار المسؤولين الإسرائيليين ومناقشة عدد من القضايا المهمة، وخاصة موضوع إيران. فإيران تشكل خطراً على وجود إسرائيل، ونتنياهو أصبح عرّاب الاستراتيجية الداعية إلى دحر برامج الأسلحة النووية والصواريخ الباليستية الإيرانية. كما أنّه يدرك تماماً أنّ تغيير النظام هو السبيل الوحيد لإحداث تحوّل دائم على مستوى السلوك الإيراني. وفي حين أنّ تلك لم تكن في الواقع سياسة إدارة ترامب المعلن عنها، فمن الممكن أن يؤدي تطبيق العقوبات إلى النتيجة المذكورة عينها. إلى جانب ذلك، كانت وجهات نظر دول الشرق الأوسط العربية المنتجة للنفط، تؤكد وجود اتفاق في ما بينها، وهو في الواقع اتفاق ضمني

(١) See "Press briefing by National Security Advisor John Bolton on Iran," May 8. 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/press-briefing-national-security-advisor-john-bolton-iran/

(٢) See, e.g., Michael Gordon et al., "After Trump's Threat, White House Convenes a Policy Meeting," https://www.wsj.com/articles/after-trumps-threat-to-iran-white-house-convenes-a-policy-meeting-1532597520?mod=searchresults&page=1&pos=2

يعود لسنوات طويلة، حول التهديد المشترك الذي تشكله إيران عليها وعلى إسرائيل، وإن لأسباب مختلفة. وقد ساهم هذا التوافق حول إيران، في إعطاء زخم جديد لمسألة حل النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني، والتي قد تستفيد أميركا منها استراتيجيًّا إلى حد بعيد. أمّا إذا كنا سنحقق أقصى استفادة من هذه التحالفات الجديدة من الناحية العملياتية، فهو أمر مختلف تماماً.

مع بداية شهر أيلول/سبتمبر، كشفت الهجمات التي تعرضت لها سفارة الولايات المتحدة في بغداد وقنصلية الولايات المتحدة في البصرة، على يد مجموعة من الميليشا الشيعية والتي بحسب وجهة نظري، لا ريب تمارس أنشطتها بأمر من إيران، عن توترات جديدة داخل الإدارة الأميركية، بحيث عارض الكثيرون في وزارتي الدفاع والخارجية أيّ ردود عنيفة محتملة(١). عدم الرغبة في الثأر، وبالتالي زيادة التكاليف على المهاجمين على أمل ردعهم في المستقبل، عكست مخلفات كثيرة لسياسات عهد أوباما. وعلى الرغم من مضي عشرين شهراً على وصول ترامب إلى سدة الرئاسة، لم تكن التعيينات أو السياسات الجديدة قد أنجزت بعد. لو حصل ذلك في بداية العام ٢٠١٧، لكان من الممكن تفهم المشكلة، ولكنّ همود البيروقراطية المتواصل في ما يتعلق بهذه الشؤون السياسية الحسّاسة، يدرج في إطار الممارسات الخاطئة. استمر الجدال حول الرد على هذا النوع من الهجمات طوال فترة ولايتي في مجلس الأمن القومي، ومردّ ذلك إلى العرقلة البرلمانية ورغبة ترامب المتهورة بخفض عدد القوات العسكرية الأميركية في المنطقة، ما دفع الأمور بشكل رسمي في اتجاه أكثر سلبية. والمفارقة الكبيرة هي أنّ ترامب كان يكره إدارة أوباما كل الكره، ولكنّ آراءه غير الاعتيادية لم تفعل سوى المساهمة في تعزيز الاتجاهات القائمة للبيروقراطية، على حساب مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، على صعيد أوسع.

وانتابني أيضاً القلق إزاء عدم رغبة وزارة الخزانة الأميركية بممارسة أيّ ضغط لعرقلة مشاركة إيران في نظام المراسلات العالمي لتنفيذ الحوالات المالية، والمعروف بنظام «سويفت». وقد أظهر عدد كبير من الجمهوريين في الكونغرس رغبتهم في وقف اتصال إيران بالنظام المذكور، ولكنّ منوشين ووزارة الخزانة اعترضا على ذلك. وفي حين يمكن فهم توجّساتهما، إلّا أنّهما لم يبذلا أيّ جهد لإدخال تغيير على السياسات القائمة، وهي من سمات همود البيروقراطية. أمّا الجواب الفعلي فكان يكمن في ممارسة المزيد من الضغوط على إيران والعمل على إيجاد المزيد من السبل لمراقبتها بشكل شامل، وليس فقط منح تصريح يخوّل المضي قدماً بآليات مراقبة

(١) See Michael Gordon, "White House Blames Iranian-Backed Militias for Attacking U.S. Facilities in Iraq," September 11, 2018, https://www.wsj.com/articles/white-house-blames-iranian-backed-militias-for-attacking-u-s-facilities-in-iraq-1536707458,

نقلاً عن سارة ساندرز، الناطقة الإعلاميّة لدى البيت الأبيض.

يمكن استبدالها أو حتى تحسينها مع قليل من الجهد[1]. واصلنا أنا ومجلس الأمن القومي الضغط بهذا الاتّجاه، وخلف الكواليس في أغلب الأحيان، وتمكنّا من النجاح في وقت لاحق من ذلك العام. غير أنّ المزيد من العوائق الأكثر صعوبة في مسار سياستنا إزاء إيران، برز في السنة التالية.

(١) See, e.g., Editorial Board, "A Swift Iran Decision: Iranian banks have to be expelled from the global financing network," https://www.wsj.com/articles/europes-not-so-swift-diplomacy-1539730896

الفصل الرابع

مقلاع سنغافورة(*)

حتى مع دنوِّ انسحابنا من الاتفاق النووي الإيراني الرديء، كان تركيز ترامب على برنامج الأسلحة النووية لكوريا الشمالية لايزال متواصلاً. أما أنا فكنت أزداد تشاؤماً وإحباطاً بشأن قمة ترامب-كيم كلما ازددت اطلاعاً حولها. كنت متشككاً بشدة بخصوص الجهود الرامية للتفاوض مع كوريا الشمالية من أجل إقناعها بالتخلي عن برنامج أسلحتها النووية(١)، الذي باعته بيونغ يانغ مسبقاً مرات عديدة للولايات المتحدة ودول أخرى مقابل منافع اقتصادية. رغم إخلال كوريا الشمالية المتكرر بالتزاماتها، إلا أنها كانت تلاطف دائماً إدارات أميركية ساذجة من أجل العودة إلى طاولة المفاوضات بغرض تقديم مزيد من التنازلات، عبر منح الوقت لدولة مطوّرة للأسلحة النووية تستفيد دوماً من المماطلة. وها إننا نقع في الشرك من جديد، وكأننا لم نتعلّم شيئاً. والأسوأ من ذلك هو أننا كنا نضفي الشرعية على كيم جونغ أون، قائد معسكر الاعتقال الكوري الشمالي، بمنحه لقاءً مجانياً مع ترامب. ذكّرني ذلك بملاحظة ونستون تشرشل القاتمة التي قدّمها في ١٩٣٥ حول سياسات بريطانيا الفاشلة تجاه ألمانيا:

> حين كان الوضع قابلاً للمعالجة أُهمل. والآن مع خروجه كلياً عن السيطرة نقوم متأخرين جداً بتطبيق العلاجات التي كان من الممكن أن تُحدث شفاءً في حينه. لا جديد في هذه القصة. إنها قديمة قِدَمَ كتب العرافة اليونانية، وهي تقع ضمن تلك السلسلة الكئيبة الطويلة من التجربة غير المثمرة، وعدم قابلية البشر المثبَتَة للتعلّم. غياب التبصُّر، والامتناع عن التصرُّف حين يكون الفعل بسيطاً وفعّالاً، والافتقار إلى وضوح التفكير، وارتباك المشورة إلى أن تقع الأزمة، إلى أن يقرع الحفاظ على الذات ناقوسه المزعج؛ هذه هي السمات التي تشكّل التكرار الأبدي للتاريخ(٢).

(*) The Singapore Sling: اسم يطلق على كوكتيل كحولي يعتبر شراب الجين المكون الأساسي فيه.

(١) See Bolton, Surrender Is Not an Option, especially chapters four and eleven

(٢) Winston Churchill, Speech in Parliament, May 2, 1935, quoted in John H. Maurer, "Churchill and the Outbreak of the Second World War in Europe," Orbis, Summer, 2019, p. 313.

بعد أن تحمّلتُ ثماني سنوات من أخطاء أوباما، التي كنت أخشى دوماً من أن تتضمّن تنازلات خطرة لكوريا الشمالية، مثلما فعلتْ سياسته تجاه إيران، ناهيك عن المحادثات السداسية لإدارة بوش الإبن و«اتفاق الإطار» الفاشل في عهد كلينتون، كنت أشعر بالتعاسة في الصميم بسبب حماسة ترامب للقاء كيم جونغ أون. أخبرني بومبيو بأن افتتان ترامب بلقاء كيم يعود إلى بداية انطلاق الإدارة؛ ومن الواضح أن الخيارات حينها كانت محدودة جداً.

في ١٢ نيسان/أبريل، في خضم الزوبعة السورية، التقيت مع نظيري الكوري الجنوبي، تشونغ أوي-يونغ، مدير مكتبهم للأمن القومي الذي كان قد قدَّم في آذار/مارس، في المكتب البيضاوي، دعوة كيم للقاء ترامب فقبلها الأخير من دون دراسة مسبقة. ومما يدعو للسخرية أن تشونغ اعترف تقريباً في ما بعد بأنه هو من اقترح على كيم توجيه الدعوة في المقام الأول![1] كانت هذه المبادرة الدبلوماسية الفارغة من بنات أفكار كوريا الجنوبية، وتتعلق بأجندتها «التوحيدية» أكثر من تعلقها باستراتيجية جدية من جانب كيم أو جانبنا. إن فهم كوريا الجنوبية لشروطنا المتصلة بنزع الأسلحة النووية الكورية الشمالية لم يكن له أي علاقة بالمصالح القومية الأميركية الجوهرية، من وجهة نظري. كان ذلك، برأيي، استعراضاً مسرحياً محفوفاً بالمخاطر أكثر من كونه عرضاً حقيقياً. حثثتُ تشونغ على تجنُّب مناقشة نزع الأسلحة النووية في القمة الكورية الشمالية-الجنوبية القادمة في ٢٧ نيسان/أبريل من أجل منع بيونغ يانغ من دق إسفين بين كوريا الجنوبية واليابان والولايات المتحدة: إحدى استراتيجياتها الدبلوماسية الأثيرة. أخبرتُ ترامب بأننا كنا بحاجة إلى أوثق تنسيق ممكن مع مون جاي-إن لتفادي محاولة كوريا الشمالية زرع بذور الشقاق بين واشنطن وسيول. كنت أريد الحفاظ على التحالف بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وتجنُّب العنوان العريض «ترامب يرفض تسوية كوريا الجنوبية»، لكنه بدا غير مهتم.

في وقت لاحق من ذلك الصباح التقيت مع نظيري الياباني، شوتارو ياتشي، الذي كان يريد مني سماع وجهة نظرهم في أقرب وقت ممكن. كانت رؤية طوكيو للقاء ترامب-كيم الوشيك مختلفة ١٨٠ درجة عن رؤية كوريا الجنوبية. باختصار كانت تشبه إلى حد كبير وجهة نظري. قال ياتشي إنهم يعتقدون بأن تصميم الشمال على الحصول على أسلحة نووية كان راسخاً، وأننا كنا نقترب من الفرصة الأخيرة للتوصل إلى حل سلمي. لم تكن اليابان تريد أي شيء يشبه صيغة «أفعال مقابل

(١) انتشرت الشائعات من هذا القبيل في سيول بعد القمة، وأثرت المشكلة مع تشونغ مباشرة، بعد أن اشتبهت بالأمر بنفسي. حتى قبل السفر إلى بيونغ يانغ، أشار تشونغ إلى أن المحادثات بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية تشكل جزءاً من مهمته: «أنوي إجراء مناقشات متعمقة حول الطرق المختلفة لمواصلة المحادثات بين ليس فقط الجنوب والشمال، ولكن أيضا بين الشمال والولايات المتحدة». انظر: BBC News, "North Korea's Kim Jong-un meets South Korea's envoys," https://www.bbc.com/news/world-asia-43282807

أفعال» التي وسمتْ محادثات بوش السداسية الفاشلة[١]. بدا مبدأ «أفعال مقابل أفعال» معقولاً، لكنه كان يعمل بشكل حتمي لصالح كوريا الشمالية (أو أي دولة مطوِّرة للأسلحة النووية) عبر تخصيص منافع اقتصادية مبكرة إلى الشمال وإطالة تفكيك البرنامج النووي إلى أجل غير مُسمّى. كانت المنافع الهامشية التي ستحصل عليها بيونغ يانغ حتى من المساعدة الاقتصادية المتواضعة (أو تحريرها من الآلام، مثل تخفيف العقوبات) أكبر بكثير من المنافع الهامشية التي كنا سنحصل عليها من التفكيك التدريجي للبرنامج النووي. كان كيم جونغ أون يعرف ذلك تماماً بقدر ما كنا نعرفه نحن. في تلك المرحلة، كانت اليابان تريد بدء التفكيك فوراً بعد حدوث اتفاق بين ترامب وكيم وألا يستغرق ذلك أكثر من عامين. لكنني حثثتُ على وجوب ألا يستغرق التفكيك أكثر من ستة أشهر إلى تسعة، استناداً إلى تجربتنا مع ليبيا. ردَّ ياتشي بابتسامة فقط، ولكن عندما التقى آبي مع ترامب في منتجع «مارآلاغو» في الأسبوع التالي (انظر الفصل الثالث)، طالب آبي بأن تستغرق عملية التفكيك من ستة أشهر إلى تسعة فقط![٢] كما أثار ياتشي قضية قيام كوريا الشمالية باختطاف مواطنين يابانيين على مدار سنوات عديدة، وهي قضية ذات شجون في الرأي العام الياباني وعنصر جوهري في حياة آبي السياسية الناجحة. التزم ترامب -في «مارآلاغو» ولاحقاً- بمتابعة هذه المسألة ووفى بالتزامه بإخلاص في كل لقاء لاحق مع كيم جونغ أون.

كان بومبيو، وهو صلة الوصل الأولية للإدارة مع كوريا الشمالية بصفته مديراً للسي آي إي،- يفاوض مسبقاً على تاريخ ومكان القمة وعلى إمكانية إطلاق سراح ثلاثة أميركيين رهائن. أراد كيم عقد اللقاء في بيونغ يانغ أو بانمونجوم، لكنني وبومبيو كنا متفقيْن على أن هذه لا تمثِّل بداية مقبولة. كان بومبيو يرى أن جنيف وسنغافورة تشكلان الخياريْن الأكثر مقبولية، غير أن كيم لم يكن يحب الطيران. على أي حال، لم يكن باستطاعة طائرات كوريا الشمالية المتداعية بلوغ أي من المدينتين، فضلاً عن عدم رغبته في الابتعاد كثيراً عن بيونغ يانغ. أما أنا فكنت أرجو أن يؤدي ذلك إلى انهيار الأمر برمّته!

في «مارآلاغو»، تحدَّث آبي مطوَّلاً عن برنامج كوريا الشمالية النووي مشدّداً، مثلما فعل ياتشي في اجتماعنا في واشنطن في وقت سابق، على أننا بحاجة للتوصل إلى اتفاق فعّال بحق، بخلاف الاتفاق النووي الإيراني الذي انتقده ترامب مراراً، والذي أصرّت إدارة أوباما نفسها على أنه لم

(١) See point five in the "Joint Statement of the Fourth Round of the Six-Party Talks." Beijing, September 19, 2005, https://2009-2017.state.gov/p/eap /regional/c15455.htm: "The Six Parties agreed to take coordinated steps to implement the aforementioned consensus in a phased manner in line with the principle of "commitment for commitment, action for action."

(٢) اتفقت الولايات المتحدة واليابان في ما بعد على برنامج تفكيك لمدة سنة. انظر الهامش ٣ في الصفحة ٩٤.

يوقّع حتى[1]. بالطبع، كانت بيونغ يانغ قادرة على الكذب بالطريقة نفسها بشأن أي وثيقة، سواء أكانت موقّعة أم غير موقّعة ولكنها قد تكتفي بجعل الأمر يتعثر. كما شدد آبي على مواقف اليابان الثابتة في ما يتعلق بالصواريخ البالستية، وهي أن تشمل مناقشتنا لهذه المسألة الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى (التي يمكن أن تصيب أجزاء هامة من الجزر اليابانية) إضافة إلى الصواريخ البالستية العابرة للقارات (التي تحتاجها كوريا الشمالية من أجل ضرب الولايات المتحدة). وبصورة مشابهة، أرادت اليابان أيضاً إزالة الأسلحة البيولوجية والكيميائية لكوريا الشمالية، ما كان يوافق رأيي الخاص في هذا الشأن وهو وجوب أن يكون ذلك جزءاً من أي اتفاق مع بيونغ يانغ[2]. سأل ترامب آبي عن رأيه في زيارة كيم الأخيرة لمقابلة تشي جينبينغ في الصين، فقال إنها تعكس أثر تهديد أميركا الضمني باستخدام القوة العسكرية وانقطاع جزء كبير من التدفق النفطي من الصين نتيجة العقوبات الدولية. وأكّد آبي بأن الضربة الأميركية على سوريا قبل بضعة أيام أرسلت إشارة قوية لكوريا الشمالية وروسيا. لقد أصيب والد كيم جونغ أون، كيم جونغ إيل، بالرعب عندما أدخل الرئيس بوش الإبن، كوريا الشمالية في «محور الشر»، وكان الضغط العسكري يشكّل التأثير الأمثل على بيونغ يانغ. ظننتُ أن عرض آبي المقنع سيؤثر على ترامب ولكن تبيّن أن الأثر كان محدوداً. كان اليابانيون يملكون ذات الشعور بأن ترامب بحاجة للتذكير المستمر، وهو ما يفسّر لجوء آبي المتكرر إلى التحدث مع ترامب حول كوريا الشمالية على امتداد عمر الإدارة.

في ٢١ نيسان/أبريل، أعلنت كوريا الشمالية وسط ضجيج إعلامي عارم أنها ستتخلى عن إجراء أي اختبارات على الصواريخ البالستية والنووية لأنها أصبحت بالفعل قوة نووية. اعتبرت وسائل الإعلام الساذجة هذا الأمر خطوة هامة إلى الأمام، ووصفه ترامب بـ «تقدُّم كبير»[3]. أما أنا فوجدت ذلك مجرد خديعة دعائية أخرى. لو كانت الاختبارات الضرورية منتهية آنذاك، لكان بوسع بيونغ يانغ ببساطة إكمال العمل الضروري من أجل امتلاك القدرة على إنتاج الأسلحة ونظم

(١) See David French, "A Trip Down Memory Lane: In 2015, the Obama Administration Said the Iran Deal Wasn't Even a 'Signed Document,'" May 10, 2018, https://www.nationalreview.com/corner/iran-nuclear-deal-not-signed-document-not-binding/

(٢) See, e.g., Shinzo Abe, "Solidarity Against the North Korean Threat," September 17, 2017, https://www.nytimes.com/2017/09/17/opinion/north-korea-shinzo-abe-japan.html

(٣) See Adam Mount and Ankit Panda, "North Korea Is Not Denuclearizing," https://www.theatlantic.com/international/archive/2018/04/north-korea-kim-jong-un-trump-nuclear-summit-weapons-missiles/558620/; Joby Warrick, "Suspicious factory underscores challenge of verifying North Korea's nuclear promises," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/suspicious-factory-underscores-challenge-of-verifying-north-koreas-nuclear-promises/2018/04/21/fad9764e-457d-11e8-8569-26fd-a6b404c7story.html

إيصالها. عاد تشونغ في ٢٤ نيسان/أبريل قبل قمة الكوريتين بين مون وكيم في المنطقة منزوعة السلاح. شعرتُ بالارتياح لأن تشونغ كان يفكِّر في أن يكون «إعلان بانمونجوم»، الذي سيتمخض عن الزعيمين، مكوَّناً من صفحتين فقط، ما يعني أن ما سيُقال حول نزع الأسلحة النووية لا يمكن أن يكون شديد التفصيل. أحسستُ بأن كوريا الجنوبية كانت تعتقد بأن كيم جونغ أون بحاجة ماسة للتوصل إلى اتفاق بسبب الضغط الذي كانت تفرضه العقوبات، وبأن التنمية الاقتصادية كانت تمثل الأولوية العليا بالنسبة لكوريا الشمالية بما أنها أصبحت «دولة تملك أسلحة نووية». لم أجد هذا المنطق مريحاً. في تلك الأثناء كان بومبيو يضيِّق الخيارات بشأن موعد وموقع لقاء ترامب-كيم بحصر الموعد بين ١٢ أو ١٣ حزيران/يونيو، إما في جنيف وإما سنغافورة.

تضمَّن مهرجان مون-كيم في ٢٧ نيسان/أبريل في المنطقة منزوعة السلاح كل شيء إلا حمامات تحمل أغصان زيتون وتطير في الأرجاء، لكنه كان في الواقع يخلو تقريباً من أي قيمة عملية. في صباح يوم الجمعة بتوقيت واشنطن، أعطيتُ ترامب نسخة من مقال صفحة الرأي في صحيفة النيويورك تايمز بقلم نيك إبرستات[١]، أحد أشد مراقبي كوريا حنكةً في أميركا، والذي وصف القمة محقاً بأنها «دبلوماسية تولِّد غبياً في كل دقيقة، على طريقة ب. ت. بارنوم (سياسي ورجل أعمال واستعراضي أميركي أسس سيرك بارنوم وبيلي في القرن التاسع عشر)». لم أكن أعتقد بأن ترامب سيقرأها لكنني أردت التشديد على رأيي، وهو أن أجندة كوريا الجنوبية ليست أجندتنا على الدوام، وأننا كنا بحاجة لحماية مصالحنا الخاصة. لحسن الحظ، كان «إعلان بانمونجوم» مريحاً على نحو لافت، وعلى الأخص في المسائل النووية. اتصل مون بترامب في يوم السبت لإبلاغه بشأن محادثاته، وكان لايزال يشعر بالنشوة. لقد التزم كيم بـ «نزع الأسلحة النووية بشكل كامل»، عارضاً إغلاق موقع بونغي-ري الخاص بالتجارب النووية. كان هذا مجرد «تنازل» مزيف آخر، مثل تدمير برج التبريد في مفاعل يونغبيون في عهد كيم جونغ إيل. ضغط مون بشدة لكي يُعقَد اجتماع ترامب-كيم في بانمونجوم ويعقبه مباشرةً اجتماع ثلاثي يضم الكوريتين والولايات المتحدة. كانت هذه، إلى حد كبير، محاولة منه ليكون جزءاً من الصورة التذكارية اللاحقة (كما سنرى مرة أخرى في حزيران/يونيو ٢٠١٩). بدا ترامب مبتهجاً جداً لدرجة أنه اقترح تقديم اللقاء مع كيم إلى منتصف أيار/مايو، بيد أن ذلك كان مستحيلاً من الناحية اللوجستية. لحسن الحظ، قال مون إن كيم يفضِّل سنغافورة، الأمر الذي ساعد على تثبيت مكان الاجتماع. وأخيراً طلب ترامب مني ومن بومبيو العمل مع مون على المواعيد، ما بعث الطمأنينة في نفسي.

كان مون قد طلب من كيم نزع الأسلحة النووية خلال عام واحد، وهي فترة قريبة على نحو

(١) Nicholas Eberstadt, "North Korea's Phony Peace Ploy," https://www.nytimes.com /2018/04/25/opinion/ north-korea-south-korea-peace.html

مرض من المدة التي اقترحتها، فوافق على ذلك[1]. من المثير للسخرية أنه في الأشهر التي تلت، كان حَمَلُ وزارة الخارجية على الموافقة على خطة عام واحد أصعب من إقناع كيم. خطط الزعيمان بشأن كيفية المتابعة فطلب ترامب من مون تحديد ما ينبغي علينا أن نطلبه من كوريا الشمالية. كانت هذه دبلوماسية ذكية لأنه بصرف النظر عما كتبه مون، فقد كان من غير الممكن بالنسبة إليه الاعتراض إن طلبنا ذلك، وإذا أبدينا صلابة أشد منه، فإنه سيكون قد أعطى رأيه على الأقل. أطرى مون على قيادة ترامب. وبالمقابل ضغط ترامب على مون لكي يخبر وسائل الإعلام في كوريا الجنوبية بشأن درجة المسؤولية التي اضطلع بها ترامب في هذا الأمر كله. وبعد ذلك تحدَّث مع آبي للتخطيط أكثر حول قمة ترامب وكيم في ضوء تقرير مون حول اجتماعه مع كيم. كرَّر آبي النقاط الأساسية التي أوضحها في «مارآلاغو»، بخلاف وجهة نظر مون المفرطة في التفاؤل. لم تكن اليابان تثق في كيم ولهذا السبب أرادت التزامات ملموسة لا لبس فيها حول القضية النووية وقضية المختطَفين على حد سواء. أكَّد آبي لترامب أنه أشد صلابة من أوباما مُظهراً بوضوح أنه كان يرى ضرورةً في تذكير ترامب بهذه النقطة.

تحدَّثتُ لاحقاً مع بومبيو، الذي كان يقوم حينئذ بجولة في الشرق الأوسط، فاستمع لاتصاليَ آبي ومون من هناك. قلت له إن اتصال مون على وجه الخصوص كان يشبه «تجربة الاقتراب من الموت» فردَّ بومبيو ممازحاً: «وأنا أتعرض لنوبة قلبية في السعودية». بعد مزيد من الأخذ والرد استقررنا على انعقاد القمة في سنغافورة في ١٢ و١٣ حزيران/يونيو. في صباح يوم الاثنين اتصل ترامب بي ليحدثني بشأن ظهوري في اثنين من برامج الأحد الحوارية، حيث شغلتْ كوريا الشمالية جزءاً كبيراً من النقاش فيهما. قال إنني كنت «جيداً جداً على التلفزيون» ولكن كان ينبغي لي كيل المزيد من المديح له لأنه «لم يحدث أي شيء كهذا من قبل». وخصوصاً أن مون قال إنه سيوصي باسم ترامب لنيل جائزة نوبل للسلام. لكن ترامب قال إن إشارتي إلى «نموذج ليبيا» في الحديث عن نزع أسلحة كوريا الشمالية لم تعجبه بسبب إطاحة معمَّر القذافي بعد ذلك بسبع سنوات في ظروف منفصلة كلياً، خلال الربيع العربي في الشرق الأوسط. حاولتُ أن أشرح له أن «النموذج» بالنسبة لمحللي عدم انتشار الأسلحة النووية يعني إزالة البرنامج النووي الليبي كلياً، وليس موت القذافي اللاحق وغير المتوقّع.

أظهر التاريخ أنني لم أفلح في إقناعه. لم يستطع ترامب أن يفهم أن الربيع العربي غير المتوقّع الذي اجتاح المنطقة على نحو دراماتيكي بدءاً من ٢٠١١ كان السبب وراء سقوط القذافي

(١) بالنظر إلى هذا النجاح النسبي في التوصل إلى توقيت، فقد تبنّيت اقتراح مون-كيم الذي حدّد المدة بعام واحد كاتفاق مقبول انظر: e.g., Hyonhee Shin, "U.S. has plan to dismantle North Korea nuclear program within a year Bolton," https://www.reuters.com/article/us-northkorea-missiles-usa/u-s-has-plan-to-dismantle-north-korea-nuclear-program-within-a-year-bolton-idUSKBN 1JR1KP

وليس تخليه عن الأسلحة النووية في ٢٠٠٣. ولكن، لم يكن ذلك خطأ ترامب وحده فالكثيرون غيره كانوا مشاركين في المغالطة المنطقية الكلاسيكية التي تقول: «بعد هذا، إذن بسبب هذا»، المتمثّلة بوضوح في هذه الجملة المأخوذة من قصة نُشرتْ في النيويورك تايمز في ٢٠١٩: «قُتل الدكتاتور الليبي معمَّر القذافي في ٢٠١١ بعد التخلي عن برنامجه النووي الناشئ»[١]. مع ذلك، أنهى ترامب المحادثة بقوله: «عمل رائع». ومن المثير للسخرية أن ترامب نفسه قال في مؤتمر صحافي لاحق إنه بإشارته إلى «نموذج ليبيا» كان يقصد «التدمير الكلي لليبيا»: «الآن، سيحدث ذلك النموذج [مع كوريا الشمالية] إذا لم نتوصل إلى اتفاق، على الأرجح»[٢]. بعد بضع دقائق من قول ترامب هذه الكلمات، رفع نائب الرئيس يده عالياً وضرب كفّه بكفي ثم قال: «إنه يدعمك!» قال ترامب بنفسه: «لقد بُرئتْ ساحتك، لقد أصلحتُ الأمر!»

كما حدثتْ تطورات هامة على جبهة الرهائن، حيث كنا نحصل على إشارات متزايدة بأن كوريا الشمالية سوف تفرج عن السجناء الأميركيين الثلاثة في حال ذهب بومبيو بنفسه إلى كوريا الشمالية لاستلامهم وإعادتهم إلى أميركا. أنا وبومبيو لم تعجبنا فكرة ذهابه إلى بيونغ يانغ لكن تحرير الرهائن كان هاماً بما يكفي لتقبُّلها (لم يكن ترامب يكترث لمن يجلب السجناء، ولم يكن يعتبر ذلك مشكلة). جاء تشونغ لرؤيتي للمرة الثالثة في ٤ أيار/مايو، وزوَّدني بالمزيد من التفاصيل حول اجتماع بانمونجوم. أكَّد تشونغ أنه ضغط على كيم بقوة للموافقة على إجراء «نزع أسلحة نووية كامل وقابل للتحقق منه ونهائي»، الأمر الذي لطالما كان يمثّل صيغتنا منذ إدارة الرئيس جورج بوش الإبن[٣]، فضلاً عن كونها ستشكّل خطوة خطابية هامة بالنسبة لكوريا الشمالية. وفقاً لمون، بدا كيم متعاوناً في مرحلة ما قبل سنغافورة، لكنه لم يقدّم الالتزام بشكل علني أبداً. حثّ مون كيم على التوصل إلى «صفقة كبرى» مع ترامب يمكن من بعدها مناقشة التفاصيل على مستويات عملية، مشدِّداً على أن المنافع التي قد تتلقاها كوريا الشمالية ستأتي بعد تنفيذ نزع الأسلحة النووية. فقال كيم -وفقاً لتشونغ، إنه يفهم كل هذا. أراد مون التحدث مع ترامب في واشنطن في الفترة ما بين منتصف أيار/مايو وأواخره، قبل قمة ترامب-كيم، فوافقنا على ذلك في نهاية المطاف. في وقت

(١) Choe Sang-Hun, "North Korea Envoy Hails Bolton's Ouster and Trump's Talk of a New Approach," https://www.nytimes.com/2019/09/20/world/asia/north-korea-us-nuclear-talks.html?searchResultPosition= 1

(٢) «"Remarks by President Trump and Secretary General Stoltenberg of NATO Before Bilateral Meeting," https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-secretary-general-stoltenberg-nato-bilateral-meeting/

(٣) See Statement of Ambassador John Bolton, reported in "Security Council Condemns Nuclear Test by Democratic People's Republic of Korea, Unanimously Adopting Resolution 1718 (2006)," https://www.un.org/press/en/2006/sc8853.doc.htm

لاحق من ذلك اليوم، جاء ياتشي أيضاً إلى مكتبي لمناقشة قمة مون-كيم مظهراً متابعة اليابان الوثيقة للعملية برمّتها. كان ياتشي يريد مجابهة مشاعر البهجة الغامرة الصادرة من سيول (لا يعني هذا أنني كنت منجرفاً معها)، مشدداً على وجوب عدم الانخداع بمقاربة كوريا الشمالية التقليدية التي تتمثل في صيغة «أفعال مقابل أفعال».

غادر بومبيو نحو بيونغ يانغ في يوم الثلاثاء ٨ أيار/مايو، وتسلم الرهائن الأميركيين الثلاثة. ثم عاد بهم إلى واشنطن، ووصل إلى قاعدة أندروز بعد الساعة الثانية من صباح الخميس. رحَّب ترامب بالرجال العائدين في حفل استقبال مدهش نُظِّم على عجل وبُثَّ على الهواء مباشرة بعد منتصف الليل. خرج الأميركيون المحرَّرون الثلاثة إلى الأضواء الساطعة رافعي الأذرع في الهواء احتفالاً برجوعهم سالمين. تحدثوا بابتهاج مع الصحافة مستمتعين بكونهم نجوم تلك الليلة، وبعودة من كوريا الشمالية مختلفة أشد الاختلاف، لحسن الحظ، عن عودة أوتو وورمبر، الذي تعرَّض لتعذيب وحشي مميت. كانت رحلة عودة المروحية الرئاسية إلى البيت الأبيض، التي عبرت على مقربة شديدة من نصب واشنطن المضاء، أشبه بحلم غريب. عند هبوطنا على المرج الجنوبي كان ترامب في قمة السعادة -حتى في الساعة الثالثة والنصف صباحاً- لأن ما حدث كان يمثِّل نجاحاً لم يكن باستطاعة حتى وسائل الإعلام المعادية التقليل من شأنه.

تواصلت المناورات المتعلقة باجتماع ترامب-كيم بخطىً حثيثة. كنا قلقين على نحو خاص مما كانت تفعله الصين للتأثير على الكوريين الشماليين، وتابعنا عن كثب ما كان يقوله لاعبون صينيون رئيسيون، مثل يانغ جيتشي -السفير الصيني السابق في واشنطن خلال إدارة جورج بوش الإبن، ووزير الخارجية السابق، والعضو في مجلس الدولة في ذلك الحين (منصب أعلى من منصب وزير الخارجية في النظام الصيني)- لنظرائهم على الملأ. كنت أخشى أن تكون بكين تمهِّد الأرضية لتحميل الولايات المتحدة المسؤولية في حال فشلت المحادثات محذِّرةً من أن «المتشددين» الكوريين الشماليين كانوا ينتقصون من كيم جونغ أون للإفراج عن الرهائن الأميركيين من دون أي «مقابل» من قبل الولايات المتحدة. بحسب هذا السيناريو، لم يكن هناك إجماع ضمن النظام في كوريا الشمالية، وكانت المقاومة القوية من جيش بيونغ يانغ تعني أن المحادثات مهددة بالخطر حتى قبل أن تبدأ. وما هو الرد؟ مزيد من التنازلات الاستباقية من الولايات المتحدة. كانت تلك إحدى الألاعيب الأقدم في استراتيجية العقل الشيوعي؛ تخويف الغربيين السذج بحكايات عن انقسامات بين «المعتدلين» و«المتشددين» كي نقبل بنتائج غير مستساغة من أجل دعم «المعتدلين». كان تشونغ قلقاً بحق بشأن إعلان كوريا الشمالية أخيراً بأنه لن يُسمَح إلا للصحافيين بحضور «إغلاق» موقع بونغي-ري للتجارب النووية، وليس الخبراء النوويين، بحسب التزامهم السابق. لعل بيونغ يانغ كانت

ستدعو أيضاً توائم عائلة بوبسي(*). وعلى الرغم من أن هذا التكتيك المخادع كان «يدمر» شيئاً ما بدلاً من أن «يبني» أي شيء، إلا أن شبح غريغوري بوتمكين(أمير روسي مات خلال المفاوضات حول معاهدة جاسي التي أنهت الحرب مع الأمبراطورية العثمانية) كان بالتأكيد يحتفل بأهميته المستمرة.

بقينا أنا وتشونغ على تواصل هاتفي دائم خلال الأسبوع التالي للتحضير لزيارة مون جاي-إن إلى واشنطن واجتماع ترامب-كيم في سنغافورة. تحدثنا مراراً حول «إغلاق» بونغي-ري، الذي كان غير ذات أهمية، بدءاً من غياب أي عمليات تفتيش أميركية أو دولية للموقع، وخصوصاً معاينة الأنفاق والمنشآت تحت الأرضية قبل أي استعدادات في ما يتعلق بالدهاليز (مداخل الأنفاق) أو تدميرها. كانت كوريا الشمالية تخفي معلومات جوهرية عبر الحيلولة دون إجراء عمليات تفتيش كهذه. كان خبراء الأدلة النووية قادرين، كما جرت العادة، على استخلاص استنتاجات هامة بخصوص حجم ونطاق برنامج الأسلحة النووية، ومواقع أخرى في المعتقل النووي الكوري الشمالي الذي أردنا كشف النقاب عنه وتفتيشه، وغير ذلك[1]. كنا نعرف من تجربة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العراق في العام ١٩٩١ وما بعده. وهي التجربة التي عشتها شخصياً خلال إدارة الرئيس، جورج بوش الأب، أن هناك قدراً هائلاً من المعلومات التي يمكن إخفاؤها بفعالية كبيرة إذا لم تُجرَ عمليات تفتيش ميدانية مناسبة ومتكررة للمواقع قبل أي إزالة للأسلحة النووية وخلالها وبعدها. إن إجراء رصد دولي لاحق، كأن تأخذ الوكالة الدولية للطاقة الذرية عيّنات من التربة خارج مداخل الأنفاق، لا يشكّل بديلاً للتفتيش داخل جبل بونغي-ري، وهذا ما كانت تعيه تماماً كوريا الشمالية. تلك التمثيلية الدعائية الهزلية كانت دليلاً ليس على حسن نوايا بيونغ يانغ بل على سوء نواياها الجليّ. حتى السي إن إن وصفتْ طريقة كوريا الشمالية لاحقاً بأنها «تشبه العبث بمسرح جريمة»[2]. كان تشونغ يعتقد بإمكانية إثارة القضية في اجتماع بين الكوريتين في بانمونجوم في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، لكن كوريا الشمالية ألغت الاجتماع في الدقيقة الأخيرة: مناورة نموذجية أخرى من مناورات بيونغ يانغ. وبعد ذلك هدّدوا بوضوح بإلغاء اجتماع ترامب-كيم احتجاجاً على

(*) سلسلة قصص أميركية للأطفال من القرن الماضي (The Bobbsey twins).

(١) Jamie Tarabay, "To experts, North Korea dismantling nuclear site is like destroying evidence," https://www.cnn.com/2018/05/22/asia/north-korea-destroy-nuclear-site-intl/index.html. نقلاً عن شيريل روفر: «لو كنت ذاهباً إلى هناك لكنت طالبت بإمكانية أخذ عينات ولأحضرت معي عالم جيولوجيا وكاشف الإشعاع، ولزرت النفق لمعرفة ما إذا كانت أجزاء خلفية منه أصبحت أعمق، وكنت طالبت بأخذ قياس للإشعاع. «كل تلك العينات والاختبارات يمكن أن تعطي معلومات عن أنواع الأسلحة التي تمّ اختبارها. «يمكن أن لقياسات النظائر أن تخبرنا عن تصميم الجهاز ونوع القنابل التي يصنعونها ومما يصنعونها ومقدار اليورانيوم والبلوتونيوم في قنابل. قد نكون قادرين على استنتاج ما يخططون له ومدى تقدّمهم»».

(٢) المصدر نفسه.

تدريبات عسكرية أميركية-كورية جنوبية سنوية تُدعى «ماكس ثندر». وكانت تلك خديعة دعائية أيضاً، ولكن تبيّن أنها، إلى جانب احتجاجات لاحقة بشأن هذه التدريبات العسكرية التي تتّسم بأهمية فائقة بالنسبة لاستعدادنا العسكري المشترك، تؤثر على ترامب بدرجة تفوق أعظم توقعات كوريا الشمالية.

أخبرتُ ترامب بشأن هذا الثوران البركاني الكوري الشمالي حوالى الساعة السادسة والنصف مساء، فقال إن بياننا الصحافي يجب أن يقول: «أياً يكن الوضع لا مشكلة لدي معه. إذا كانوا سيحبّذون اللقاء فأنا مستعد. وإذا كانوا لن يحبّذوا اللقاء فلا بأس بذلك بالنسبة إليّ أيضاً. سوف أتفهّم تماماً». اتصلتُ مجدداً في الساعة السابعة تقريباً واستمعت مطوّلاً إلى انتقاد ترامب للتدريب العسكري الأميركي-الكوري الجنوبي: كان معارضاً له منذ سنة، ولم يكن بوسعه فهم سبب تكلفته الباهظة، وكان استفزازياً جداً، ولم يكن يعجبه أن تطير طائرات B-52 من غوام من أجل المشاركة، وسوى ذلك الكثير. لم أستطع تصديق أن سبب هذه التدريبات، أي أن نكون على أهبة الاستعداد لأي هجوم كوري شمالي، لم يُشرَح من قبل. وإذا كان قد شُرح فمن الواضح أنه لم يُفهَم. إن الجيوش القوية تتدرب باستمرار. ويكون التدريب فائق الضرورة في الأحلاف بصورة خاصة كيلا تسبّب الدول المتحالفة مشكلات لبعضها في وقت الأزمة. كان شعار القوات الأميركية في كوريا «القتال الليلة»، أي أن مهمتها تتمثّل في ردع الاعتداء وهزيمته. وأن أي انخفاض في سويّة الاستعداد كان يمكن أن يعني «القتال في الشهر القادم». لكن ترامب -كما أصبحتُ أدرك حينئذ- لم يكن يريد سماع كل هذا. كانت التدريبات تزعج كيم جونغ أون وكانت باهظة التكلفة على نحو غير ضروري، وانتهى الأمر.

في تلك الأثناء، كنا نعمل على الأمور اللوجستية المتصلة باجتماع سنغافورة. وعند نقطة حساسة، اقترح بومبيو أن يكون هو وكيلي وأنا مع ترامب في أي وقت يكون فيه متواجداً مع كيم، فوافقنا أنا وكيلي على ذلك من دون تردد. كنت قلقاً أيضاً بشأن قدرتنا على العمل بشكل موحّد نظراً للتفجيرات اليومية التي بات الجميع معتاداً عليها في البيت الأبيض في عهد ترامب. وقعت إحدى حلقات ذلك المسلسل في منتصف أيار/مايو حين تفوّهتْ كيلي سادلر، مساعدة ترامب لشؤون الاتصالات، بتعليقات مهينة حول جون ماكين. تسرَّبتْ تعليقاتها، التي انتقصتْ فيها من ماكين ومن إمكانية تصويته على ترشيح جينا هاسبل لمنصب مديرة السي آي إي لأنه «سيموت على أي حال»، وأثارتْ زوبعة على الفور. كان ترامب يريد ترقيتها، في حين أراد آخرون طردها، أو على الأقل دفعها للاعتذار علناً لعدم اكتراثها بمشاعر الغير. بيد أن سادلر رفضت الاعتذار وأفلتت بفعلتها لأن ترامب الذي كان يحتقر ماكين سمح لها بذلك. ولم تكتفِ سادلر بذلك بل حوَّلتْ عدم مراعاتها لمشاعر الغير إلى سلاح عبر اتهامها آخرين بالتسريب، في تكتيك عدواني متكرر في البيت الأبيض

في عهد ترامب. ومع ذلك، كافأها ترامب بعناق وقبلة في اجتماع في المكتب البيضاوي. رغم أن هذه المهزلة لم تكن تخصني، إلا أنني ذهبتُ ذات مرة إلى مكتب كيلي متصوِّراً أن بإمكان الأشخاص العاقلين حتماً حمل هذه المساعِدة العنيدة على الاعتذار. وبعد نقاش وجيز بيننا نحن الإثنين فقط، قال كيلي: «لا يمكنك أن تتخيَّل كم أتحرَّق للخروج من هنا. إنه مكان سيئ للعمل، كما ستكتشف». كان كيلي الشخص الأول الذي يرى ترامب في الصباح وآخر شخص يراه في الليل، ولم يكن بوسعي سوى تخمين مقدار الأخطاء التي حال دون حدوثها خلال مدة خدمته. هاجم كيلي الصحافة، على نحو مبرر تماماً من وجهة نظري، قائلاً: «سوف يأتون إليك أيضاً». لم يكن لدي شك في ذلك.

واصلتْ كوريا الشمالية تهديدها بإلغاء اجتماع ترامب-كيم وهاجمتني بالاسم. لم يكن هذا جديداً ففي عهد الرئيس جورج بوش الإبن شرَّفتني كوريا الشمالية حين دعتني «وغداً بشرياً». لقد هاجموا إشارتي إلى نموذج ليبيا لنزع الأسلحة النووية (تساءلتُ إن كان لديهم مصدر داخل البيت الأبيض عَلِمَ برد فعل ترامب) قائلين: «لقد سلَّطنا الضوء على نوعية بولتون بالفعل في الماضي، ونحن لا نخفي مشاعر اشمئزازنا منه»[1]. بالطبع، كان واضحاً لجميع من يقف إلى جانبنا من المفاوضات أنهم كانوا يرفضون حقاً فكرة «نزع الأسلحة النووية بشكل كامل وقابل للتحقق منه ونهائي» بحد ذاتها. ظلت كوريا الجنوبية تشعر بالقلق بشأن جهود كوريا الشمالية لتقليص التدريبات العسكرية المشتركة. حتى إدارة مون الحمائمية كانت تعي تماماً أن التدريبات ضرورية على نحو حيوي بالنسبة إلى أمن بلدها وكانت تخشى من أن تكون هذه محاولة أخرى من بيونغ يانغ لدق إسفين بين سيول وواشنطن. قال تشونغ إن كوريا الشمالية كانت تحاول بالفعل إبعاد ترامب عني، وأخبرني بأن عدة مسؤولين كوريين شماليين سألوا خلال اجتماع مون-كيم الذي جرى في ٢٧ نيسان/أبريل حول دوري في اجتماع ترامب-كيم. شعرتُ بالتشريف مرة أخرى. لكن الأهم من ذلك هو أن كوريا الشمالية استمرت في انتقاد التدريبات العسكرية المشتركة مهاجمةً مون هذه المرة: «لقد تبيَّن بوضوح أن السلطة الكورية الجنوبية الحالية ما هي إلا مجموعة جاهلة وغير مؤهلة...»[2] كانت كوريا الشمالية تسعى عبر هذه الهجمات إلى ترهيب مون ودفعه للقيام بعمل كوريا الشمالية بالنيابة عنها من خلال الضغط علينا: خديعة كنا مصممين على إفشالها.

والأخطر من ذلك هو عدم مجيء رئيس موظفي كيم إلى سنغافورة حسبما كان مقرراً في ١٧

(١) See Christina Maza, "China Tells Trump to Stay Calm as North Korea Threatens to Cancel Historic Talks," May 17, 2018, https://www.newsweek.com/china-tells-trump-stay-calm-north-korea-threatens-cancel-historic -talks-931275

(٢) See Joyce Lee and Heekyong Lee, "North Korea won't hold talks with 'incompetent' South unless differences settled," Reuters, https://www.reuters.com/article/us-northkorea-missiles-southkorea/north-korea-says-wont-hold-talks-with-incompetent-south-unless-differences-settled-idUS KCN1II0B7

أيار/مايو. كانت التحضيرات من أجل الزعيم الكوري الشمالي المصاب بهوس الارتياب فظيعة، حتى وإن قُزّمتْ بمتطلبات قيام رئيس أميركي بمثل هذه الرحلة. والتأخير في أعمال التحضير كان يمكن أن يؤدي في نهاية المطاف إلى إرجاء أو حتى إلغاء الاجتماع نفسه. بحلول يوم الاثنين ٢١ أيار/مايو، لم يحضر أي فريق كوري شمالي معنيّ بالقيام بالأعمال التحضيرية، ونتيجة لذلك لم تُعقَد أي اجتماعات مع فريقنا في سنغافورة. بدأ ترامب بالتساؤل بقوله لي: «أريد الخروج [من سنغافورة] قبلهم»، الأمر الذي بدا واعداً. ثم حكى لي كيف أنه كان يكره السماح للنساء اللواتي واعدهن في الماضي بالانفصال عنه -أراد دائماً أن يكون هو الذي يقوم بالانفصال. (عندما أخبرتُ كيلي بذلك لاحقاً، قال: «أمر موح جداً»)[١]. كما تساءل بشأن وجوب إلغاء اجتماع سنغافورة عند مجيء مون أو الانتظار إلى حين مغادرته. حثثتُ ترامب على التصرُّف فوراً لأن فعل ذلك بعد مغادرة مون سيعطي الانطباع بأنه صدٌّ واضح لمون، وهذا لم يكن ضرورياً. فأيَّدني ترامب قائلاً: «قد أغرِّد الليلة». وبناءً على طلب ترامب، تحدَّثتُ مع بنس وكيلي فوافقا على ضرورة التغريد. أخبرتُ ترامب بذلك فبدأ بإملاء ما يمكن أن تقوله تغريدته. وبعد عدة مسودّات (أعيد صياغتها على نحو مناسب بواسطة ويسترهاوت)، خرجت التغريدة كما يلي:

> استناداً إلى حقيقة تغيُّر النقاش بشأن كوريا الشمالية ونزع أسلحتها النووية، طلبتُ من ممثليَّ إبلاغ كوريا الشمالية مع كامل الاحترام إنهاء اجتماع ١٢ حزيران/يونيو في سنغافورة. وإذ أتطلَّع بشدة إلى الاجتماع والتفاوض مع كيم جونغ أون، لربما سنحظى بفرصة أخرى في المستقبل. أما في الوقت الحالي، فإنني أقدِّر عالياً الإفراج عن الأميركيين الثلاثة الذين يتواجدون الآن في منازلهم مع عائلاتهم.

وتقول تغريدة تالية:

> أشعر بخيبة الأمل لأن الصين لم تتمكن من فعل ما هو ضروري، بشكل أساسي عند الحدود [بمعنى تنفيذ العقوبات]، من أجل مساعدتنا على إحلال السلام.

كان المكتب البيضاوي حينئذ يعج بالمساعدين من أجل تحضير ترامب لتناول العشاء مع حكّام الولايات. عند مغادرته قال ترامب إنه قد يغرِّد بعد العشاء في «الساعة الثامنة أو التاسعة». عدتُ

(١) يوم الاثنين ٨ أيار/مايو ٢٠١٩، فيما كنت أناقش القضايا التجارية مع بوب لايتهايزر، أخبرته دعابة عن «الانفصال عن الفتاة أولاً». فوجىء لايتهايزر وقال لي: «هذا بالضبط ما قاله لي ترامب يوم الجمعة عندما كنت أطلعه على كيفية سير المفاوضات في بكين!» كانت تلك إشارة نادرة إلى تماسك في سياسة ترامب.

إلى مكتبي لإبلاغ بومبيو فقال: «فهمت، لنتبع الاستراتيجية». توجهتُ إلى مكتب بنس لإخباره بشأن التغريدات -كلانا كنا واثقيْن بأن ترامب سيلغي اجتماع سنغافورة في تلك الأمسية. لكننا عندما استيقظنا في الصباح التالي، لم نرَ أي تغريدات صدرت. قال ترامب لكيلي مفسِّراً إن هاتفه الخلوي لم يكن يعمل في الليلة السابقة، لكنه أخبرني بأنه كان يريد سماع رأي مون قبل الإلغاء. ولهذا السبب قابلتُ تشونغ وزملاءه، بغياب واضح للحماس، من أجل تناول طعام الإفطار في قاعة الطعام في غرفة البحرية ومناقشة اجتماع ترامب-مون الذي كان سيجري في وقت لاحق من ذلك اليوم. كانت كوريا الجنوبية ماتزال تريد وجود مون في سنغافورة من أجل عقد قمة ثلاثية تلي اجتماع ترامب-كيم.

كما تناولنا في نقاشنا موضوعاً هاماً آخر هو إعلان «إنهاء الحرب الكورية». كنت أعتقد في الأساس بأن «إعلان إنهاء الحرب» كان فكرة كوريا الشمالية، لكنني بدأت أشك لاحقاً بأنها فكرة مون، نابعة من، وتدعم، أجندته التوحيدية -سبب وجيه آخر لرفضها. في الحقيقة، لم يكن لفكرة «إنهاء الحرب»، بشكل جوهري، أي مسوِّغ منطقي سوى أنها كانت تبدو جيدة. مع احتمال عدم خروج أي شيء آخر عن اجتماع سنغافورة، كنا نجازف بإضفاء الشرعية على كيم جونغ أون ليس فقط عبر منحه لقاءً مع رئيس أميركي، وإنما أيضاً عبر عقد «قمة سلام» ضبابية تقوِّض العقوبات الاقتصادية من خلال الايحاء بأن كوريا الشمالية لم تعد خطرة، وليس فقط على المستوى النووي. كنتُ عازماً على إيقاف أي شيء ملزم قانونياً، وعلى تقليص الضرر من أي وثيقة إشكالية يمكن أن يوافق عليها ترامب. كنت أخشى أن يقنع مون ترامب بهذه الأفكار ولكن، في نهاية المطاف، لم يكن بوسعي الحيلولة دون ذلك.

توجّهتُ مشياً إلى بلير هاوس [مبنى الضيافة الرئاسي] قبل اجتماعنا مع مون، ووزير الخارجية كانغ كيونغ-وا، وتشونغ، المقرر في العاشرة صباحاً. كان مون كالعادة متفائلاً بخصوص اجتماع سنغافورة. وبعد ساعة عدتُ إلى البيت الأبيض (توجَّه بومبيو إلى وزارة الخارجية) لإبلاغ ترامب بما دار بيننا من نقاش. انضممتُ إلى إحاطات استخبارية كان ترامب يتلقاها أسبوعياً من مدير الاستخبارات الوطنية كوتس، ومديرة السي آي إي هاسبل، إضافة إلى إحاطات قدَّمها آخرون كانوا يرافقونهما. لم أكن أجد تلك الإحاطات مفيدة جداً، وهذا ما كانت تعتقده الأوساط الاستخبارية أيضاً، لأن الكثير من الوقت كان يُنفَق في الاستماع إلى ترامب بدلاً من استماع ترامب إلى مقدِّمي الإحاطات. قمت بعدة محاولات لتحسين نقل المعلومات الاستخبارية إلى ترامب لكنني أخفقت مرة تلو المرة. هذا هو واقع الحال. عند وصولي من بلير هاوس كان ترامب يخبر مقدِّمي الإحاطات بأنه كتب تغريدتين حول إلغاء اجتماع سنغافورة في الليلة السابقة. لكنه خلص إلى أن بوسعه الانتظار لفترة أطول بقليل «لأنه كانت ماتزال هناك فرصة لحدوثه». وهو

لم يشأ إلغاءه «قبل اللحظة الأخيرة تماماً». أشعرني ذلك بسوء أكبر، لأننا كنا قريبين جداً من الإلغاء.

بعد وصول مون بفترة وجيزة حيا الزعيمان حشد الصحافيين في المكتب البيضاوي. قلّصت الأسئلة الكثيرة، المتعلقة معظمها بقضايا صينية، جزءاً كبيراً من مدة اجتماع مون مع ترامب. وبعد دخول الزعيمين إلى قاعة الاجتماعات في غرفة الحكومة، افتتح ترامب الاجتماع بالقول إن هناك فرصة نسبتها ٢٥ في المئة لحدوث اجتماع سنغافورة -أظن أنه أخبر مون بهذا الأمر على انفراد أيضاً. رداً على ذلك شدّد مون على تأييده إجراء نزع أسلحة نووية كامل وقابل للتحقق منه ونهائي، وعلى رأيه المتفائل بأن نسبة عدم حدوث اجتماع سنغافورة كانت «صفر في المئة». أبدى ترامب قلقه بشأن الظهور بمظهر الـ «متلهف بشدة» فسارع مون لطمأنته بأن كوريا الشمالية كانت هي المتلهفة في الواقع لأنه لم يحدث شيء كهذا أبداً من قبل. قال ترامب إنه يريد اجتماعاً يضم خبراء في سنغافورة، الأمر الذي صدمني (والذي لم يحدث على أي حال). ثم سأل حول سبب عدم السماح لأي خبراء بزيارة موقع بونغي-ري فشرحنا له بأن الكثيرين كانوا يعتقدون -ومنهم أنا- أن كيم قدّم التزاماً شفهياً بإغلاق موقع الاختبار من دون أن يعي حقاً ما كان يقول.

وكأن الأمور لم تكن فوضوية بالفعل، اتصل نيك آيرس، رئيس موظفي نائب الرئيس، في وقت متأخر من المساء ليقول إن نائب وزير خارجية كوريا الشمالية، تشو سون هوي شنَّ هجوماً لاذعاً على بنس واصفاً إياه بـ «دمية سياسية» ومهدِّداً، بصورة رئيسة، بحرب نووية بسبب تعليقات بنس في مقابلة حديثة مع مارثا ماكالوم في شبكة فوكس[1]. أخذ بنس الهاتف ليقترح عليَّ إبلاغ ترامب، وهو ما كنت عازماً على فعله في الحال. بعد الحصول على بيان بيونغ يانغ الكامل ومراجعته على عجل، اتصلتُ مع ترامب في الساعة العاشرة ليلاً. شرحتُ له الوضع مقترحاً المطالبة باعتذار، أو على الأقل التهديد بإلغاء اجتماع سنغافورة في حال لم يُقدَّم اعتذار. كان ترامب يريد التمهُّل في هذا الشأن، الأمر الذي نقلته إلى بنس (وهذا ما فعله ترامب بنفسه أيضاً). اتصلتُ مع بومبيو في العاشرة وخمس وعشرين دقيقة لإبلاغه بما حدث مقترحاً عليه الانضمام إلينا في وقت مبكر من الصباح التالي. كان بنس، كنائب للرئيس، مايزال محتفظاً بآرائه القوية بشأن الأمن القومي، التي كان يصدح بها عندما كان عضواً في مجلس النوّاب، وأنا كنت أعتبره حليفاً موثوقاً. وفي الوقت نفسه، كان بنس يحذو حذو نوّاب الرؤساء الآخرين الذين كانوا يتبنّون مقاربة حذرة في دعمهم لسياسات معينة من دون معرفة توجُّهات الرئيس مسبقاً. كنتُ أقدِّر الصعوبات المتأصلة في وظيفته، وواثقاً بأنه بذل أقصى ما بوسعه في حوارات خاصة مع الرئيس.

(١) See Joshua Berlinger, "North Korea warns of nuclear showdown, calls Pence 'political dummy,'" https://www.cnn.com/2018/05/23/politics/mike-pence-north-korea-intl/index.html

في اليوم التالي، وصلتُ في وقت أبكر من المعتاد، واستطلعتُ التغطية الصحافية الآسيوية الواسعة للتهجُّم الكوري الشمالي، لكنني لاحظت القليل من التغطية الأميركية، ربما بسبب توقيت صدور البيان. أخبرتُ كيلي بما حدث وقلت له إن لدينا اتصالاً مع الرئيس في البيت الأبيض في الثامنة صباحاً. دخل آيرس وقال إنه وبنس يعتقدان بوجوب إلغاء اجتماع سنغافورة فأيّده كيلي، وكذلك بومبيو الذي كان قد انضم إلينا. كنا جميعنا متحلّقين حول سمّاعة الهاتف للاتصال بترامب. زوّدته بوصف كامل لتهجُّم كوريا الشمالية على بنس، والتغطية الصحافية الدولية والأميركية للأمر. طلب مني ترامب قراءة النص الكامل لتعليقات نائب وزير الخارجية تشو سون هوي ففعلت. وفي النهاية، قال ترامب: «يا يسوع. هذا قوي». اتفقنا جميعنا على أن بياناً لاذعاً كهذا لا يمكن أن يصدر إلا بموافقة صريحة من كيم جونغ أون. كان من المرجح أن يتهمنا منتقدونا بالمبالغة في رد الفعل لأن كوريا الشمالية، في نهاية الأمر، كانت تتحدث دائماً بألفاظ حادة. هذا صحيح، ولكن صحيح أيضاً أن إدارات أميركية سابقة قبلتْ ببساطة خطاب كوريا الشمالية من دون فرض أي عواقب. كان يجب وضع حد لهذا الأمر، وكان ذلك هو الوقت المناسب لفعل ذلك.

لم يتردد ترامب في إلغاء اجتماع سنغافورة. أملى علينا رسالة مرَّت عبر عدة نسخ لكنها خرجت في نهاية المطاف كما لو أنها رسالة ترامب حقاً. ظهرتْ النسخة الأخيرة، التي أجريت عليها تصحيحات صغيرة، إلى العلن حوالى الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة، تلتها تغريدتان رئاسيتان. كما كتبنا مسودة بيان كان بوسع ترامب قراءته في مراسم توقيع مشروع قانون مقررة مسبقاً في ذلك الصباح، مشدّدين فيه على استمرار تطبيق «الضغوط القصوى» على كوريا الشمالية. اتصلتُ مع وزير خارجية سنغافورة، فيفيان بالاكريشنان، لأخبره بالمستجدات، وكان آنذاك يبدّل طائرته في دبي. تلقى الخبر بتهذيب شديد، كما فعل قبل عدة أسابيع حين تلقى الخبر الأولي المتعلق بـ «فوز» سنغافورة بجائزة استضافة قمة ترامب-كيم. لكن الكوريين الجنوبيين لم يكونوا على ذلك القدر من اللطف. اتصل تشونغ معي في أواخر الفترة الصباحية ليقول إن إلغاءنا للاجتماع كان يمثّل إحراجاً كبيراً لمون بصدوره بعد عودته من واشنطن مباشرة -الرحلة التي أثارت آمالاً كبيرة في كوريا الجنوبية. طلبتُ من تشونغ قراءة ما قاله تشو سون هوي بعناية عن نائب الرئيس الأميركي، لكن ذلك لم يفلح في تهدئته، ولم يفلح كذلك في تهدئة مون، مع أن تعليقاته كانت أقل حدّة من تعليقات تشونغ(١). أما ياتشي من اليابان فقال إنهم

(١) See Thomas Maresca and Jane Onyanga-Omara, "South Korean president calls cancellation of Trump-Kim summit 'very regrettable,'" https://www.usatoday.com/story/news/world/2018/05/24/trump-cancels-summit-kim /640452002/

يشعرون بارتياح كبير بسبب إلغاء اجتماع سنغافورة[١]. بينما كانت أحداث هذه الدراما تتكشَّف، قدَّمتْ كوريا الشمالية عرضاً مسرحياً صغيراً خاصاً بها عبر «إغلاق» موقع بونغي-ري بالطريقة المخادعة التي توقعناها تماماً.

في ذلك المساء نفسه، بعد أقل من اثنتي عشرة ساعة على إعلان إلغاء اجتماع سنغافورة، انهار السقف. استغلَّ ترامب تصريحاً أقل عدائية بدرجة طفيفة أصدره مسؤول آخر في وزارة الخارجية الكورية الشمالية ليأمرنا بإعادة وضع اجتماع الثاني عشر من حزيران/يونيو في موعده المقرر. كان ذلك خطأً واضحاً من وجهة نظري -اعتراف صريح بأن ترامب كان متلهفاً لعقد الاجتماع بأي ثمن، الأمر الذي أثار تقارير إعلامية عن «دبلوماسية المفاجآت» التي أزعجت أصدقاءنا في شتى بقاع العالم. بالطبع، لم تكن وسائل الإعلام تعلم بأننا كدنا أيضاً أن نلغي اجتماع سنغافورة في يوم الإثنين قبل تراجع ترامب. وبعد إعادة الاجتماع إلى جدول الأعمال، اتصل بومبيو مع كيم جونغ تشول، نظيره في المفاوضات الأميركية-الكورية الشمالية عندما كان مديراً للسي آي إي، وقرر أن يأتي كيم هذا إلى نيويورك من أجل القيام بمزيد من التحضيرات. اتفقنا أنا وبومبيو وكيلي على وجوب الإصرار على إصدار بيان من كيم جونغ أون نفسه، وليس الاعتماد على تصريحات من مسؤولين في وزارة الخارجية، وتأجيل اجتماع سنغافورة شهراً على سبيل الضمان. اتصلنا مع ترامب في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة تقريباً لتقديم هذه التوصيات، لكنه لم يكن سيعمل بأي منها. بدلاً من ذلك، راح يتحدث بحماس حول «رسالة ودية إلى حد بعيد» (يقصد بذلك تصريح كوريا الشمالية) تلقيناها. لم يكن يريد «تعريض الزخم» الذي كنا نشهده آنذاك «للخطر». شعرتُ برغبة في الرد عليه: «أي زخم؟» لكنني كَبَتُّها. وواصل الحديث: «هذا نصر كبير. إذا عقدنا صفقة، فإنها ستكون من أعظم الصفقات في التاريخ. أريد أن أجعله [كيم] وكوريا الشمالية ناجحيْن». كان الأمر محبطاً. بعدما كنا قد أوشكنا على الإفلات من الشرك.

في يوم السبت، أُصبنا جميعنا بالدهشة حين علمنا بأن مون وكيم التقيا لمدة ساعتين في وقت سابق من ذلك اليوم في المنطقة منزوعة السلاح[٢]. أخبر وزير الخارجية، كانغ، بومبيو بأن كيم هو من طلب الاجتماع، فوافق مون على الفور، كما هو متوقع. أخبرني تشونغ أيضاً بأنه لم يكن متواجداً

(١) كان رد فعل اليابان العلني محدوداً ومؤيدًا للإلغاء الذي اقترحه ترامب. انظر: Reiji Yoshida and Daisuke Kikuchi, "Tokyo shows united front on Trump-Kim summit cancellation, calling for cooperation with U.S. and South Korea," https://www.japantimes.co.jp/news/2018/05/25/national/politics-diplomacy/tokyo-understands-trumps-cancelation-u-s-north-korea-summit-officials/#.XmEfbKhKiF4

(٢) See "Full address by South Korean President Moon Jae-In on May 26 inter- Korea summit," May 27, 2018, https://www.straitstimes.com/asia/east-asia/full-address-by-south-korean-president-moon-jae-in-on-may-26-inter -korea-summit

في الاجتماع لكن الأمور سارت على ما يرام حيث أعاد الزعيمان التأكيد على اتفاقهما على نزع الأسلحة النووية بطريقة كاملة وقابلة للتحقق منها ونهائية ومسائل أخرى. قال كيم لمون إنه يتوقع التوصل إلى «صفقة شاملة» في سنغافورة وإن الكوريين الشماليين يبنون آمالاً عريضة عليها. كان كيم متفاجئاً بعض الشيء بشأن قرار ترامب المتصل بـ «تعليق» الاجتماع لكنه ارتاح كثيراً عندما غيّرت الولايات المتحدة موقفها. وبالمقابل، شدَّد مون على أن الولايات المتحدة لن تقبل بصيغة «أفعال مقابل أفعال» لكنه أوحى بعد ذلك بإمكانية أن تكون هناك تعويضات سياسية أميركية في حال حققت كوريا الشمالية تقدماً هاماً بخصوص مفهومنا لنزع الأسلحة النووية، مُظهراً بذلك، من وجهة نظري، سبب حاجتنا لإخراج مون من مسألة التفاوض في هذه القضية. وفي الوقت نفسه ازدادت مخاوفي بشأن إمكانية رجوع بعض الأشخاص على المستوى التنفيذي في وزارة الخارجية، على نحو متوقع وسريع، إلى مقاربة «المحادثات السداسية» الفاشلة من دون حتى أن يلاحظوا التحوُّل الحاصل من خلال مقاربتنا الحالية. في غضون ذلك كان ترامب منشغلاً بالتغريد حول عدم وجود أي انقسام في فريقه:

> بخلاف ما تود النيويورك تايمز الفاشلة والفاسدة أن يصدقه الناس، هناك صفر خلاف ضمن إدارة ترامب في ما يتعلق بكيفية التعامل مع كوريا الشمالية... وإذا كان هناك خلاف، فإنه لن يؤثر. يتوقع @nytimes [حساب النيويورك تايمز على تويتر] أشياء خاطئة عني منذ البداية!

في اليوم التالي، رفضتْ كوريا الشمالية في المنطقة منزوعة السلاح، بقيادة اللطيف دوماً، تشو سون هوي، في محادثات ثنائية مع الجانب الأميركي حتى استخدام عبارة «نزع الأسلحة النووية» في الأجندة المتعلقة باجتماع ترامب-كيم. كانت هذه منطقة مألوفة على نحو غير سار وسبباً لخشيتي بأنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن تبدأ وزارة الخارجية بالاستسلام، حتى لا نذكر ترامب، الذي كان متلهفاً جداً لـ «النجاح» في سنغافورة. كنا على تواصل شبه مستمر مع نظرائنا الكوريين الجنوبيين، وكانت سرعة تحضيراتنا تزداد على نحو كبير. وكان آبي واليابانيون أيضاً يقومون بعملهم بلا كلل آملين بحمل ترامب على الوفاء بالتزاماته السابقة. قال آبي لترامب في عيد الشهداء إن الطريقة التي تعامل بها مع القمة كانت مختلفة كليا عن طريقة تعامل رؤساء أميركيين آخرين معها، وأن كيم لم يكن يتوقع أبداً أنه سيتجرّأ على إلغاء الاجتماع، مضيفاً أن ترامب كان في موقع قوة آنذاك: من الواضح أنه كان يأمل بألا يرتكب ترامب أخطاء أسلافه. ضغط آبي على ترامب ليدعم ليس فقط مفهومنا لنزع الأسلحة النووية، وإنما أيضاً -بما يعكس مواقف اليابان الثابتة- تفكيك برامج بيونغ يانغ للأسلحة البيولوجية والكيميائية، إضافة إلى صواريخها الباليستية، أياً تكن مَدَياتها.

ناقشتُ الظروف الراهنة مع ترامب في اليوم الذي تلى عيد الشهداء، فقال على نحو غير متوقّع: «لا يمكننا السماح لمجموعة من الحمائم بأن تتولى مسؤولية الوفد. أبلغْ بومبيو. سوف أضطر إلى تولي زمام هذه الصفقة. يجب علينا مناقشة نزع الأسلحة النووية [في البيان الصادر عن سنغافورة]، يجب علينا ذلك». ثم قال: «ضعوا رئيس الوفد على الهاتف»، وهو ما فعلناه بسرعة، بالتحدث إلى موظف متفاجىء بشدة في الخدمة الخارجية الأميركية في سيول. وبعد مجاملات أولية، قال ترامب: «أنا الذي سأنجز الصفقة... يجب عليك ألا تفاوض بشأن نزع الأسلحة النووية، ويجب عليك إبلاغهم بذلك. عليك أن تقول 'نزع الأسلحة النووية' من دون أي مجال للمناورة». وأضاف ترامب أنه لا يريد «أجندة رسمية كبيرة» ولا «شكليات عظيمة». هذا كل ما في الأمر. بعد بضع دقائق، اتصل بومبيو معرباً عن استيائه لتحدُّث ترامب بشكل مباشر مع الوفد. شرحتُ له ما حدث، بما في ذلك قلقي بشأن اللغة الضعيفة في مسودة البيان، فقال بومبيو: «أنا أتفق معك تماماً حول هذا الأمر»، قاصداً بذلك أننا كنا بحاجة لمناقشة «نزع الأسلحة النووية»، ولكن لم يكن واضحاً إدراكه لحقيقة أن مفاوضي وزارة الخارجية لم يكونوا «متفقين معنا تماماً» حول الثبات في المفاوضات. بعد ذلك أخبرني بومبيو بأن ترامب يريد جلب كيم جونغ تشول لمقابلته في المكتب البيضاوي معتقداً -أي ترامب- بأن ذلك كان «عبقرياً». غير أننا كنا كلانا نرى أنه خطأ، وكذلك الأمر بالنسبة لكيلي عندما أبلغته بذلك، رغم أن بومبيو بدا راضخاً للأمر. في تلك الفترة تقريباً تساءلتُ إن كان يتوجب عليّ التخلي عن قضية كوريا الشمالية وتركها لترامب بدلاً من المقاومة باستمرار في الصفوف الخلفية ومجابهة التقلُّبات الهوجاء لسياسته. لكننا في المقابل كنا نتعامل مع أسلحة نووية في أيدي نظام غريب، من منظوري للأمر، ولهذا السبب لم أكن راغباً في إدارة ظهري لهذه القضية أو الاستسلام.

بدا ترامب شخصياً أنه كان مايزال متردداً بشأن رغبته في حدوث اجتماع سنغافورة. عندما كنا نناقش الاستراتيجية قبل مغادرة بومبيو إلى نيويورك لمقابلة كيم جونغ تشول، ظل متردداً حيال الأمر إلى أن خلص في نهاية المطاف إلى القول: «أفضِّل حدوثه [اجتماع سنغافورة] على عدم حدوثه. لكننا إذا لم نحصل على نزع الأسلحة النووية، فلا يمكننا فعل أي شيء آخر». وبعد ذلك أضاف: «[إذا فشل الاجتماع] سوف أفرض رسوماً جمركية هائلة [إما أنه كان يعني عقوبات أو أنه كان يشير إلى الصين، وليس كوريا الشمالية]. قررتُ إرجاءها في الوقت الحالي، لكنها قيد الانتظار». وبعد ذلك جاءت الخلاصة: «أريد الذهاب. سوف يكون عرضاً عظيماً». لم يتطرَّق إلى مسألة مجيء كيم جونغ تشول إلى البيت الأبيض، وأنا وبومبيو كنا متفقيْن عند خروجنا من المكتب البيضاوي على أننا قد نتمكَّن رغم ذلك من تفادي حدوثه، إلا أن هذا، لسوء الحظ، كان يُعتبَر تغافلاً عن كيم جونغ تشول الذي -حسبما قال بومبيو لي ولكيلي بُعيْد التاسعة في ذلك المساء- «كان عازماً بشدة على الوقوف أمام ترامب» لتسليمه رسالة من كيم جونغ أون. وكان كيم جونغ تشول عنيداً أيضاً في

كل القضايا الهامة. أما الخبر الجيد الوحيد فهو أنه لم يكن يعير بالاً لمون ولم يكن مهتما بأي قمة ثلاثية؛ كان هذا الأمر بيننا فقط، ولم تكن هناك حاجة للكوريين الجنوبيين. اتصلنا مع ترامب، وقدَّم بومبيو تقريره بشأن العشاء، ووصلنا أخيراً إلى رغبة كيم جونغ تشول بتسليمه رسالة كيم جونغ أون فقال ترامب بغبطة: «أنيق جداً. لنفعل ذلك». شرحنا له أنا وكيلي سبب معارضتنا لذلك ولكن من دون جدوى. لم تنفع الحجج بشأن الأثر السياسي المحتمل ولا بشأن كيم جونغ تشول نفسه (وهو قاتل متوحش والمسؤول شخصياً، على الأرجح، عن التعذيب المميت لأوتو وورمبر) في إحداث أي تأثير. حاولنا لاحقاً، بموافقة نائب الرئيس، على الأقل نقل الاجتماع إلى خارج المكتب البيضاوي، بيد أننا لم ننجح في هذا الأمر أيضاً. كما صوَّرتُ له جلوس بيل كلينتون مع جنرالين كوريين شماليين سابقاً لإظهار أن بيونغ يانغ لعبت هذه اللعبة من قبل، ولكن حتى هذه لم تفلح.

قاد عناصر من الأمن الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية كيم من نيويورك من أجل الاجتماع مع ترامب في المكتب البيضاوي المقرر في الساعة الواحدة ظهراً. التقينا لإبلاغ ترامب فاستغل بنس الفرصة لإقناعه مجدداً بعقد الاجتماع في مكان آخر، مثل قاعة الاستقبال الدبلوماسية. لكن ترامب لم يكن مصغياً. بل إنه، في الحقيقة، بدأ التفكير في أخذ كيم جونغ تشول إلى غرفة نوم لينكولن، الأمر الذي حاولنا أيضاً إقناعه بالعدول عنه. أحضرتُ المترجم الأميركي واتجهنا إلى المدخل الجنوبي للبيت الأبيض حيث كان كيلي ينتظر بالفعل مقابلة الكوريين الشماليين ومرافقتهم إلى المكتب البيضاوي. بينما كنا هناك، أخبرني عنصر من الخدمة السرية بأن الرئيس يريدني أن أعود إلى المكتب البيضاوي. كنت محتاراً، لكنني ذُهلتُ تماماً عندما دخلت إلى المكتب البيضاوي وقابلت بنس الذي أخبرني بأننا لن نكون متواجدَيْن في الاجتماع مع كيم. كان بوسعي التكهُّن من ملامح بنس وآيرس بأنهما كانا مصدومَيْن إلى حد ما. قال آيرس إن ترامب يريد «إبقاء الاجتماع صغيراً» -لن يكون متواجداً فيه سوى ترامب وبومبيو والمترجم من الجانب الأميركي، وكيم ومترجمه من الجانب الكوري الشمالي. وبذلك لن يسمع ما سيقوله ترامب سوى أقل عدد ممكن من الأشخاص. في ذلك الحين، كان ترامب في حالة شبه هستيرية وهو يكدِّس هدايا البيت الأبيض التقليدية (مثل دبابيس الأكمام). رأى إحدى العلب مجعَّدة بشكل طفيف فقال لمادلين ويسترهاوت بفظاظة: «لقد أفسدتِ هذه، إجلبي واحدة أخرى». وبعد ذلك وبَّخ المصوِّر الرسمي للبيت الأبيض الذي كان يريد بقاءه لمدة وجيزة فقط في أثناء وجود كيم جونغ تشول. لم أرَ ترامب أبداً في مثل تلك الحالة من الارتباك من قبل. عندئذ قال لي بنس، في لفتة كريمة منه: «لمَ لا تجلس في مكتبي؟» كلانا كنا نظن بأن تسليم رسالة كيم جونغ أون لن يستغرق أكثر من بضع دقائق. كنت ما أزال مذهولاً لاستبعادي، لكنني لم أكن أقل ذهولاً من بنس الذي ظل جامداً طوال الوقت.

وصل كيم جونغ تشول في الواحدة والربع، ورافقه كيلي إلى المكتب البيضاوي عبر الرواق.

أخبرنا كيلي لاحقاً بأن كيم بدا متوتراً جداً، وأنه تذكَّر عند دخولهما إلى الجناح الغربي أنه ترك رسالة كيم جونغ أون في السيارة، فأرسل المترجم الكوري الشمالي ليجلبها على وجه السرعة. لم يكن باستطاعة المرء إلا أن يتخيّل كيم جونغ تشول يفكر في طريقة يشرح بها لـ «الخَلَف العظيم» نسيانه لرسالته. في مكتب نائب الرئيس شاهدنا على التلفزيون كيف كان الصحافيون في الحديقة الجنوبية يحاولون بشكل مستميت رؤية ما كان يجري في الداخل. أقلُّ ما يمكن أن يُقال عن تلك الفترة هو أن الوقت انقضى ببطء شديد. عرفنا لحظة مرحة وحيدة عندما جاء دون مكغان ليخبرنا بأن هدايا ترامب كانت تُعتبَر بشكل شبه مؤكد انتهاكاً للعقوبات. ما سيضطرُّه لتعليق تطبيقها بأثر رجعي. لم يكن ذاك بيت بوش الأبيض، على حد تعبير مكغان الذي كان يكرره كثيراً. أخيراً، انتهى الاجتماع في الثانية وخمس وأربعين دقيقة. خرج ترامب وبومبيو من المكتب البيضاوي مع كيم جونغ تشول ورافقاه إلى الطريق الفرعي حيث كانت سياراته منتظرة، ثم تحدَّث ترامب إلى الصحافة في طريق عودته إلى المكتب البيضاوي.

حالما رأينا أن كيم يغادر المكتب البيضاوي، ذهبنا أنا وبنس إلى هناك. أعطاني كيلي النسخة الأصلية لرسالة كيم جونغ أون لترامب مع ترجمة سريعة لها قائلاً: «هذه هي النسخة الوحيدة». لم تكن الرسالة أكثر من إطراء مغالى فيه، كُتبتْ على الأرجح بواسطة موظف ما في مكتب الدعاية السياسية في كوريا الشمالية، لكنها أعجبت ترامب. كانت تلك هي بداية الصداقة الحميمة بين ترامب وكيم. في ذلك الحين، كانت «العائلة الأولى» ستتوجه إلى كامب ديفيد من أجل قضاء عطلة نهاية الأسبوع. وكانوا كلهم مجتمعين للذهاب إلى المروحية الرئاسية التي كانت قد هبطت في تلك الأثناء. ابتسم ترامب لي ورفع إبهامه إلى الأعلى بينما كان يغادر المكتب البيضاوي مجدداً.

توجهنا نحن البقية إلى مكتب بنس حيث أحاطنا كيلي وبومبيو بالمستجدات. لم يقل كيم جونغ تشول أي شيء جديد أو مختلف حول موقف كوريا الشمالية. كان واضحاً أنهم أرادوا ضمانات سياسية قبل الموافقة على أي تفكيك للأسلحة النووية، وبدا ترامب أنه يميل إلى منحهم ذلك. من المثير للدهشة أن العقوبات الاقتصادية -كما حدث في نقاشات سابقة مع كوريا الشمالية- كانت على ما يبدو ثانوية بالنسبة إليهم. لعل هذا يعني أن كوريا الشمالية كانت تخشى القوة العسكرية الأميركية أكثر من خشيتها من الضغط الاقتصادي، ومن المرجح أن ذلك كان يشير أيضاً إلى أن العقوبات لم تكن فعَّالة بقدر ما كنا نعتقد. قال كيلي إن كوريا الشمالية يمكن أن تخرج بأي انطباع تريده في ما يتعلق بما يمكن أن يفعله ترامب، الذي قال إنه كان مستعداً لتقليص التدريبات العسكرية الأميركية-الكورية الجنوبية مكرراً رأيه المتصل بكلفتها الباهظة وطبيعتها الاستفزازية. لربما كانت هذه النقطة الأسوأ لأن كوريا الشمالية سمعت حينئذ من القائد الأعلى للقوات المسلحة الأميركية أن إمكانياتنا العسكرية في شبه الجزيرة الكورية كانت مفتوحة للتفاوض، على الرغم

من إنكاراتنا السابقة. كان هذا تنازلاً يمكن أن يغضب حتى مون جاي-إن ومناصري «سياسة الشمس المشرقة» الخاصة به. الذين كانوا يستندون في حساباتهم إلى الحضور الأميركي القوي. بالنسبة للكثيرين من الأشخاص، كان الحضور الأميركي هو الذي سمح لليسار السياسي الكوري الجنوبي بالانخراط في وهم «سياسة الشمس المشرقة» في المقام الأول. إذا حدث وغادرنا كوريا فإنهم سيكونون لوحدهم عملياً وسيشعرون بعواقب حماقتهم، التي أعتقد أنهم هم أنفسهم كانوا يخافون منها. على أي حال، وعلى الرغم من سوء الوضع، إلا أنني أحسستُ بأننا كنا قادرين على إنزال ترامب من حافة الجرف، وتفادي ربما حدوث أي ضرر حقيقي. ولكن، كيف استغرق ذلك الاجتماع ساعة وخمس عشرة دقيقة؟ قد تكون الترجمة المتعاقبة هي السبب، ولكن في الحقيقة أي اجتماع مع ترامب يمكن أن يستغرق هذه المدة أو حتى أطول من ذلك. لقد سمعت ترامب يقول عدة مرات خلال فترة خدمتي: «أنا متحدّث. أحب التحدُّث».

وماذا كنا سنفعل بعد ذلك؟ قال كيلي إنه يعتقد بأن ترامب كان مستعداً لاحتمال عدم حدوث أي شيء في سنغافورة. وجدتُ بأن هذا موقف إيجابي. تحدّثنا حول وضع جدول زمني لإظهار أننا لم نكن نملك كل الوقت للانتهاء من هذا الأمر، بينما كانت كوريا الشمالية ماتزال تطوّر و/أو تصنّع مكوِّنات نووية وصواريخ باليستية. افترقنا في الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة تقريباً وعدتُ إلى مكتبي. رن هاتفي في الساعة الرابعة وعشر دقائق تقريباً وكم دُهشت حين سمعت صوتاً يقول: «هذا مقسم هاتف كامب ديفيد». كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذه التحية. قال عامل المقسم إن الرئيس يريد التحدث معي. سألني ترامب: «كانت الرسالة ودية جداً، ألا تعتقد ذلك؟» فأيَّدته لكنني أضفت بأنها كانت «خالية من أي قيمة». فقال ترامب: «إنه مسار. أنا أفهم ذلك الآن. سوف نعقد اجتماعاً فقط لنتعرَّف إلى بعضنا ومن ثم سنرى ما يحدث. سوف يستغرق الأمر فترة أطول مما كنت أعتقد في البداية». أكّدتُ على وجهة نظري بضرورة عدم إزالة العقوبات ولا إصدار إعلان «إنهاء الحرب الكورية» إلى أن يتم الانتهاء من تفكيك الأسلحة النووية بشكل كامل وقابل للتحقق منه ونهائي، الأمر الذي كان يمثّل سياسة الإدارة منذ البداية. بدا أنه كان متقبِّلاً لهذا التحليل والنصح. وقلت أيضاً إن ترك المباحثات تجري على مدة زمنية غير محددة كان مقبولاً، ولكن مع عائق أساسي واحد، وهو أن الزمن كان بصورة شبه دائمة يصبُّ في صالح الدولة الناشرة للأسلحة النووية، وأن ترك الساعة تجري كان دائماً جزءاً جوهرياً من استراتيجية كوريا الشمالية. ووقتنا لم يكن لا نهائي، الأمر الذي بدا أنه يقبله أيضاً. وفي النهاية، ختم بالقول: «كان هذا جيداً جداً»، وأنهى المكالمة. في الواقع، حصل ترامب على ما أراده بالضبط من الصحافة؛ كانت العناوين الرئيسية تقول، فعلياً: «عودة اجتماع ١٢ حزيران/يونيو في سنغافورة إلى موعده».

خلال عطلة نهاية الأسبوع، أطلعتُ تشونغ على اجتماع كيم جونغ تشول فقال إن مون كان

مسروراً بالنتيجة. ومن دون أن يعلم، كرر تشونغ ما قاله ترامب لي، وهو أننا كنا نواجه «مساراً» وليس اجتماعاً واحداً فقط في سنغافورة. كان ذلك بالضبط هو رد الفعل الذي خشيته. في غضون ذلك، رفض الكوريون الشماليون، في المباحثات الأميركية-الكورية الشمالية في المنطقة منزوعة السلاح، مقاربتنا لاجتماع سنغافورة. ورداً على هذا الرفض، أرادت وزارة الخارجية عرض تسوية تقول في جوهرها عملياً: «لا تعجبكم هذه؟ ما رأيكم بهذه؟» وإذا لم يحب الكوريون الشماليون «هذه» الثانية، لعل مفاوضي وزارة الخارجية كانوا سيقدّمون «واحدة أخرى»، وكأنهم كانوا يتفاوضون مع أنفسهم لرؤية ما إذا كانوا يستطيعون استخراج ابتسامة من الكوريين الشماليين. لقد رأيت ذلك مرات عديدة من قبل. لحسن الحظ، وافق بومبيو على وجهة نظري المتمثلة بوجوب عدم تقديم أي مسودات جديدة وانتظار رد بيونغ يانغ على مقاربتنا. وأخيراً علّق الكوريون الشماليون لفظياً على مسودتنا وقالوا إنهم سيقدِّمون ملاحظات مكتوبة في اليوم التالي. كان مذهلاً نجاح تلك الطريقة. كما ضغطتُ لنقل المفاوضات إلى سنغافورة بهدف إخراج الكوريين الشماليين من منطقتهم المريحة منزوعة السلاح. وبعد صراع أكبر مع الوفد الأميركي من الصراع مع الوفد الكوري الشمالي، فعلنا ذلك. حتى تشونغ وافق على أن الوقت حان لوصول تلك الوليمة المتنقلة إلى سنغافورة.

بعد ذلك قررتُ مواجهة التوقعات الصحافية المتنامية عن أنني كنت سأُستبعَد من المسائل الكورية الشمالية وبأنني لن أذهب إلى سنغافورة. قلت لكيلي: «لقد تواجدت حول هذا المسار بضع مرات من قبل»، ولم أكن أعتقد بأن استبعادي من اجتماع كيم جونغ تشول كان عرَضياً. فقال كيلي إنه كان «مندهشاً» لعدم تواجدي في القاعة عند دخوله إلى المكتب البيضاوي برفقة كيم. شرحتُ له ما قاله لي بنس ولماذا ذهبنا إلى مكتب نائب الرئيس من دون أن أسأل ترامب شخصياً بشأن سبب استبعادي، فقال كيلي إنه لم يكن يتوقع حضوره للاجتماع أيضاً، لكن ترامب طلب منه البقاء. أخبرته بشأن التخمين المتعلق بعدم ذهابي إلى سنغافورة، الأمر الذي كان يعني، إن كان صحيحاً، أنني لن أستطيع القيام بعملي وأنني سأستقيل نتيجة لذلك، فقال كيلي: «لم أكن لأتوقع منك قول أي شيء آخر». ثم قال إنه سيتحدث مع ترامب فقبلتُ ذلك كخطوة أولى. وفي وقت لاحق من ذلك الصباح أبلغني كيلي بأن ترامب «لم يقصد شيئاً» بعدم إشراكي في اجتماع كيم جونغ تشول وبأنني سأكون متواجداً في جميع اجتماعات سنغافورة. وقد أرضاني هذا الكلام في الوقت الراهن.

بعد تناوله طعام الغداء مع ترامب في ذلك اليوم -٤ حزيران/يونيو- جاء ماتيس لمناقشة قمة ترامب-كيم حيث شدَّد على شعوره بالقلق حيال ضعف موقفنا من برنامج كوريا الشمالي النووي، وسألني -استناداً إلى التكهنات الصحافية- إن كنت سأذهب إلى سنغافورة. وعندما أجبته: «أجل»، قال ماتيس بقوة: «جيد»، قبل أن يستطرد قائلاً إنه كان واثقاً، بحسب تقديراته، من أن اليابان وعدة

دول رئيسية أخرى في المنطقة كلها تدعم موقفي بشأن عدم رفع العقوبات قبل نزع الأسلحة النووية بشكل كامل، الأمر الذي كان يُظهر درجة التأييد لمقاربتنا. لقد تعجّبتُ من تلك المحادثة لأنني شعرت للمرة الأولى بأن ماتيس كان متردداً ومتوتراً. ولم أفهم السبب إلى أن أخبرني آيرس بعد بضعة أيام بأن ترامب أمضى جزءاً كبيراً من الغداء مع ماتيس في انتقاده، بحسب ما تناهى إلى سمعه -لأنه ديمقراطي، من بين أشياء أخرى- بـ «أساليب لم يشهدها أحد من قبل». كان ماتيس يريد معرفة ما يعنيه ذلك.

في يوم الثلاثاء ٥ حزيران/يونيو، تناولنا أنا وبومبيو طعام الغداء مع ترامب، وكان من بين المواضيع الهامة التي ناقشناها آنذاك رغبة مون المستمرة في التواجد في سنغافورة -موضوعٌ أثير مسبقاً في الصحافة الآسيوية نتيجة تسريبات في كوريا الجنوبية[1]. شرحنا أنا وبومبيو لنظرائنا في سيول وجهة نظرنا. كان الخبر السيئ في الغداء يتمثّل في افتتان ترامب بإمكانية أن يتمكّن من القول إنه أنهى الحرب الكورية. لم أكن أمانع بيع ذلك التنازل للكوريين الشماليين في إحدى المراحل، ولكن بالتأكيد ليس بالمجان، الأمر الذي كان ترامب مستعداً لفعله. كان ذلك ببساطة غير ذي أهمية بالنسبة إليه. كان يعتقد بأنها مجرد إيماءة، نجاح إعلامي ضخم، ولم يكن يرى أي عواقب دولية. بعد الغداء، عدنا أنا وبومبيو سيراً على الأقدام إلى مكتبي. قررنا أننا كنا بحاجة لتطوير شيء ما لعرضه كبديل لكننا لم نخرج بأي أفكار جيدة. كنت أعلم بأن اليابان، على وجه الخصوص، ستكون منزعجة إذا أقدمنا على هذا التنازل، ولهذا السبب لم أستطع الانتظار لسماع ما يمكن أن يقوله ياتشي لي خلال زيارة أخرى إلى واشنطن في عصر ذلك اليوم.

كما انتهزتُ الفرصة لأسأل بومبيو إن كانت لديه أي مشكلة معي، حسب زعم بعض القصص الإعلامية، فنفى ذلك نفياً قاطعاً، مذكِّراً بأنني، في الأيام القليلة السابقة فقط، ساعدته على منع سفير أميركي مغامر من تحديد موعد مع ترامب بشكل مباشر من دون الحصول على إذنه أولاً. قال بومبيو في حينه: «بارك الله فيك يا جون»، وضحكنا كلانا على ذلك. لا أستطيع القول إن كان هناك شيء أكثر من ذلك حتى في تلك المرحلة المبكرة، ولكن حسبما كان يبدو لي، لم يكن يوجد أي شيء. عندما تناولنا أنا وبومبيو طعام الإفطار معاً في غرفة البحرية في صباح اليوم التالي (كان ماتيس خارج العاصمة مرة أخرى)، ناقشنا ما يجب انتزاعه من كوريا الشمالية مقابل إعلان «إنهاء الحرب»، كأن يقدّموا، على سبيل المثال، بياناً مرجعياً ببرامجهم الخاصة بالأسلحة النووية والصواريخ الباليستية. كنت أشك في موافقة كوريا الشمالية على ذلك، أو على أي من أفكارنا

(١) See "South Korea's Moon Jae In might join Trump, Kim in Singapore for 3-way summit: Official," https://www.straitstimes.com/asia/east-asia/south-koreas-moon-jae-in-might-join-trump-kim-in-singapore-for-3-way -summit-official

الأخرى، لكن هذا كان يمكن على الأقل أن يحول دون تقديم تنازل أميركي مجاني عبر «إنهاء» الحرب الكورية.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، توقف رئيس الوزراء آبي لفترة وجيزة في واشنطن في طريقه لحضور قمة الدول الصناعية السبع السنوية، التي أقيمتْ في ذلك العام في شارليفوا الكندية، من أجل الضغط على ترامب مجدداً كي لا يُقْدم على مقايضة خاسرة. شدَّد آبي على أن الكوريين الشماليين «مقاتلون» قائلاً: «إنهم يجازفون بحياتهم مقابل ذلك النظام. إنهم سياسيون أشدّاء جداً، ومحنّكون... إذا اعتقدوا الأمور تسير كالمعتاد، فسيعودون إلى أساليبهم القديمة». على الرغم من أن الزعيمين أجريا نقاشاً جيداً حول بيونغ يانغ، إلا أن القضايا التجارية لم تكن مشرقة إلى هذه الدرجة، حيث تحدَّث ترامب مطوَّلاً حول العجوزات غير العادلة في الميزان التجاري، وخصوصاً منذ أن وافقت الولايات المتحدة على الدفاع عن اليابان: «نحن ندافع عنكم، بموجب المعاهدة. نحن ندافع عنكم، ولكن ليس العكس. كان لدينا مفاوضون سيئون-»، -نظر إليَّ- «أليس كذلك يا جون؟ سوف ندافع عنكم من دون معاهدة. هذا ليس منصفاً».

بعد ذلك، تحوَّل اهتمامنا من اجتماع كيم جونغ أون إلى حضور قمة الدول السبع. تبيَّن أن الطريق إلى سنغافورة كان معبَّداً بحطام شارليفوا. كانت اجتماعات قمة السبع واجتماعات دولية مشابهة تملك مبرراً منطقياً في مرحلة ما من التاريخ، وفي بعض الأحيان قامت بعمل جيد، لكنها أصبحت، في نواحٍ عديدة، مجرد مخاريط آيس كريم ذاتية اللعق. إنها موجودة لأنها موجودة.

في ٨ حزيران/يونيو، كان ترامب متأخراً أكثر من ساعة على مغادرة البيت الأبيض على متن المروحية الرئاسية للتوجه إلى قاعدة أندروز. هبطت الطائرة الرئاسية في القاعدة الجوية الكندية باغوتفيل، ومن هناك ركبنا مروحية وتوجهنا إلى موقع القمة، الكائن في فندق فيرمون لي ما نوار ريشيليو في مدينة مالبي، التابعة لمقاطعة كيبيك، وكنا مانزال متأخرين ساعة تقريباً. كان الموقع جميلاً، ومنعزلاً إلى حد كبير. ولكن، لم يكن ذلك مهماً فنحن لم نكن نرى، كالعادة. سوى الجزء الداخلي من الفندق الفسيح حيث كان يقيم رؤساء الدول السبع والوفود المرافقة لهم. كان ترامب عازماً على دعوة روسيا للعودة إلى قمة الدول السبع، التي طُردتْ منها في ٢٠١٤ بعد غزو وضم شبه جزيرة القرم. ووجد حليفاً له في رئيس الوزراء الإيطالي الجديد، جيوسيبي كونتي، الذي كان قد مضى على تسلمه منصبه أقل من أسبوع حين وصل إلى شارليفوا[1]. وصل كونتي إلى سدة رئاسة

(١) See "South Korea's Moon Jae In might join Trump, Kim in Singapore for 3-way summit: Official," https://www.straitstimes.com/asia/east-asia/south-koreas-moon-jae-in-might-join-trump-kim-in-singapore-for-3-way-summit-official

الحكومة نتيجة تحالف شعبوي غير عادي بين اليمين واليسار جعل من الحياة السياسية الإيطالية واحدة من الأكثر اضطراباً في أوروبا. كانت الجلسات العامة الافتتاحية حافلة بالجدل، وكان فيها ترامب محاصَراً بسبب سياساته التجارية، إلى أن أتاهم بالرد: يجب على الدول الصناعية السبع إلغاء جميع الرسوم الجمركية، وجميع الحواجز التجارية غير الجمركية، وجميع الإعانات. أخضع كلامه هذا الأوروبيين بشكل خاص، الذين لم يكونوا ينوون فعل أي شيء من هذا القبيل. أظهر النقاش حقاً النفاق المتفشي في المحادثات التجارية الدولية، حيث التجارة الحرة تناسب الجميع دوماً ولكن ليس بالنسبة لقطاعات محلية مفضلة، وعلى الأخص المزارعين في أماكن مثل فرنسا واليابان، من دون ذكر أميركا وكندا.

عقد ترامب اجتماعات ثنائية مع جاستن ترودو، رئيس وزراء كندا، وماكرون رئيس جمهورية فرنسا، وخلت المحادثات عن التجارة الثنائية من الودّية. لم يكن ترامب يستلطف أياً منهما، ولكنه كان قادراً على تحملهما بحيث كان يشاكسهما بشكل هازئ ليعود ويمازحهما. وأظن أنهما كانا يدركان تماماً ما يفعله، لأنهما كانا يتعاملان معه بالمثل، مع الحرص على مجاراته لأن مصالحهما الأوسع نطاقاً تفرض عليهما تجنب أي خصام دائم مع الرئيس الأميركي. اشتكى ترامب بشكل صحيح أمامهما من الصين التي لم تلتزم القواعد المعمول بها لجهة التجارة الدولية وتمكنت من الإفلات بفعلتها على مدى سنوات طويلة. في ما يتعلق بكندا، أراد ترامب المصادقة على الاتفاقية الجديدة للتجارة الحرة في أميركا الشمالية (نافتا)، والتي من شأنها أن تحقق أهدافه التجارية في المكسيك وكندا إلى حد بعيد، فيما شكل الاتحاد الأوروبي الهدف الأساسي للتواصل مع الرئيس الفرنسي. فقال متباهياً بالعبارة الشهيرة التي اعتاد على أن يردّدها: «الاتحاد الأوروبي أسوأ من الصين، ولكنه أصغر حجماً». وتذمّر ترامب أيضاً من أن الصين والعديد من دول الأخرى الأعضاء في منظمة التجارة العالمية، تسمي نفسها «دولاً نامية» لتتمكن من الحصول على معاملة تجارية تفضيلية. كان ذلك أحد المجالات العديدة التي على منظمة التجارة العالمية أن تجري فيها إصلاحاً جذرياً: إصلاح أعلنت الدول الأعضاء في مجموعة الدول الصناعية السبع عن تأييدها له ولكنها لم تباشر بتطبيقه. أنهى ترامب اجتماعه بماكرون قائلاً، «أتعلم شيئاً؟ كان جون يستعد طوال حياته لتسلم هذا المنصب. أظهر عبقرية على قناة فوكس، وها هو الآن مسؤول عن اتخاذ القرارات الصعبة، وهي مسؤولية لم تكن ملقاة على عاتقه أثناء ظهوره في التلفزيون. ولكنه يبلي بلاءً حسناً». شعر الفرنسي بشيء من الإثارة عند سماعه هذا الكلام، وكذلك أنا.

وكما جرت العادة في اجتماعات قمة الدول الصناعية السبع، تم تنظيم عشاء مترف للرؤساء، تلاه عرض ترفيهي لسيرك دو سولاي. غير أنني لم أتمكن من المشاركة في هذه الأنشطة المسلية لاستكمال الترتيبات لقمة سنغافورة. ولسوء الحظ، وعلى غرار ما يحصل عادة خلال انعقاد

الاجتماعات المشابهة، واجه المسؤولون المعنيون بتحضير القضايا الجوهرية للقمة، عقبات لجهة البيان الختامي التقليدي. فالأوروبيون يميلون إلى ممارسة الألاعيب في ما يتعلق بهذه النوع من البيانات، ليضعوا بذلك الأميركيين بين خيارين كريهين. فإما القبول بالمساومة على المبادئ السياسية الأساسية أو الظهور بمظهر «المعزولين» عن الآخرين. كان معظم الدبلوماسيين المحترفين يعتبرون العزلة أسوأ من الموت، ما يعني أن المساومة على المبادئ أفضل بكثير. ومن النتائج الأخرى التي لا يمكن للأوروبيين تحمّلها استحالة وضع بيان ختامي: فإذا لم يصدر البيان الختامي فقد يعني ذلك أن القمة لم تنعقد ربما، وأي كارثة قد يشكلها ذلك للبشرية! وبالتالي، عمد الرؤساء الآخرون إلى مضايقة ترامب، عوضاً عن الاستمتاع بعرض سيرك دو سولاي، مدعين بأن «رئيس الفريق التحضيري» الأميركي متشدّد جداً. وتفاقمت أيضاً حدة الجدال خلال حفل العشاء حيث اعترض الرؤساء الآخرون على اقتراح ترامب غير المرحب به بإعادة ضم روسيا إلى مجموعة الدول الصناعية السبع، ليخيّم الفشل على أجواء الحفل. ونظراً لأن مجموعة الدول الصناعية السبع التي شُكلت في السبعينات هي عبارة عن منتدى لمناقشة المسائل الاقتصادية، وقع الجزء الأكبر من الأعمال على عاتق لاري كودلو رئيس المجلس الاقتصادي الوطني، علماً أن التقارير المشتركة التي يعمل على إعدادها رئيس الفريق التحضيري وكوادره المعنيون بالاقتصاد الدولي كانت تُرفع إليّ وإلى كودلو في آن معاً.

كان بإمكان ترامب أن يعلق قائلاً، «دعوا رؤساء الوفود التحضيرية يعالجون المسألة. يمكنهم العمل على معالجتها طوال الليل». إلا أن ترامب، الذي يميل بطبيعته إلى حسم الأمور بنفسه، قرّر في نهاية المطاف أن يجتمع بالرؤساء الآخرين في إحدى الردهات للتفاوض بأنفسهم حول تلك المسائل. في هذه المرحلة، انضم كودلو إلى المجموعة بهدف التقرب من الرؤساء الأوروبيين لجهة القضايا الاقتصادية الدولية. وإذ شعر كيلي بأنه في مأزق، أرسل في طلبي عند الساعة العاشرة والنصف مساءً. لدى دخولي المكان، كان كيلي في طريقه للخروج. قال لي: «هذه كارثة»؛ وسرعان ما تبين لي بعد دقائق من مراقبة ما يحصل أنها فعلاً كارثة. كان الرؤساء موزعين على الأرائك والمقاعد الوثيرة بينما مساعدوهم يحومون في المكان. لم يكن المشهد يبشر بالخير: فقد بدا ترامب منهكاً جداً، ولكن حتى أكون منصفاً، كان شأنه في ذلك شأن العديد من الرؤساء الآخرين، باستثناء ماكرون وترودو ومساعديهما الذين كانوا يمارسون ضغوطات لفرض سياسات عامة مخالفة لسياساتنا. كان ذلك المشهد اعتيادياً جداً بالنسبة لي؛ إذ كنت شاهداً على مر السنين على العديد من الانتكاسات البطيئة المشابهة. حاولت التكهن ما إذا كان ترامب يرغب في صدور بيان ختامي عن مجموعة الدول الصناعية السبع، ولا يمانع بالتالي في تقديم المزيد من التنازلات أو ما إذا كان غير مكترث للأمر. ولكنني لم أتمكن من معرفة ذلك لاسيما وأن ترامب (الذي لم يبذل عناء الاستعداد لهذا الموقف)، لا يملك أدنى فكرة عمّا كان

على المحك. في الوقت الذي وصلت فيه، كان ترامب وكادلو قد تنازلا عن عدد من المواقع التي كنّا قد حققناها بجهد جهيد. عند أحد منعطفات الحديث، تدخلت لأعلن معارضتي لطرح ألماني بشأن منظمة التجارة العالمية. ولكن تبين لي أن لا أحد يدرك ماهية الموضوع المطروح للبحث، ما يدل على أن ترامب لم يكن الشخص الوحيد غير المدرك للتفاصيل التي يناقشها رؤساء الوفود التحضيرية. في النهاية، ومع تجاوز الساعة الحادية عشرة، وافق الرؤساء على أنه ينبغي على رؤساء الوفود التحضيرية متابعة النقاش بمفردهم. وقد قاموا بذلك على النحو الواجب لغاية الساعة الخامسة والنصف من فجر نهار السبت. كنت أود أن أقول لهم جميعاً: «ما الداعي لكل هذا العناء؟ لا أجد أي داعٍ لإصدار بيان»، قاطعاً الطريق على الدول الأوروبية وكندا. ولكن جيم بايكر كان ليذكرني في هذا الموقف بأنني «لست الشخص الذي تم انتخابه». التقيت بكادلو ورئيس الوفد التحضيري الأميركي قرابة الساعة السابعة وعشرين دقيقة صباحاً، وأكدا لي أنه لا يمكن تحقيق إنجازات هامة بين ليلة وضحاها. ولكن تأخر ترامب في الاستيقاظ حال دون تمكننا من عقد جلسة إحاطة قبل استئناف أحداث قمة الدول الصناعية السبع. لم يكن لديّ مانع من مغادرة شارليفوا من دون إصدار أي بيان، لكني أردت التأكد من أن ترامب على بينة من المضاعفات المترتبة عن ذلك. لم يتسنّ لنا أبداً التحدث في هذا الموضوع. واقترحت عوضاً عن ذلك تقديم موعد عودتنا من كندا إلى العاشرة صباحاً في محاولة للضغط للتوصل إلى قرار. كنا ننوي المغادرة قبل الموعد المحدد لانتهاء قمة الدول الصناعية السبع لنتمكن من الوصول إلى سنغافورة مساء الأحد في وقت معقول، واقترحت أن نغادر قبل ذلك بقليل. فمن وجهة نظري، لن يتمكن ترامب من التوصل إلى قرار والتعامل بروية مع مسألة البيان الختامي إلا بعد ابتعاده عن الاجواء المستعرة التي تخيم على القمة، ووافقني كل من كيلي وكادلو الرأي. كان ترامب يشعر بالملل، ومنهكاً ووصل متأخراً على الفطور المخصص للبحث في المساواة بين الجنسين. ولم يكد يصل خبر مغادرته العاجلة آذان الأوروبيين، الذين كان لديهم رأي آخر في الموضوع، حتى سارعوا إلى النزول قبل أن نتمكن من إخراجه من الغرفة. الصورة التي أصبحت اليوم مشهورة (التقطها مصوّر ألماني) تثبت أننا لم نتمكن من إخراجه في الوقت المناسب:

بدا الوضع أشبه بمعركة «كاسترز لاست ستاند» (أو لتل بيغهورن). فما يجري مضيعة للوقت ولكن النقاش استمر إلى ما لا نهاية وأمسكت أنا وكادلو بدفة المفاوضات. كنّا نناقش أموراً لا أهمية تذكر لها (مستبعدين مثلاً بنداً أوروبيّاً متعلقاً بامتثال إيران لأحكام الاتفاق النووي، في حين أنها لم تكن ممتثلة له). ولكن جلّ ما تمكنّا من فعله هو إنتاج انبعاثات كربون إضافية ساهمت في تعزيز الاحتباس الحراري الذي أعلن الأوروبيون عن قلقهم حياله. كان ترامب لايزال يشعر بالملل، ولكننا اتفقنا على وثيقة نهائية، وعقدنا مؤتمراً صحافياً قبل الصعود إلى متن المروحية الرئاسية والتوجه إلى قاعدة باغوتفيل الجوية، تاركين كودلو ليهتم بكافة التفاصيل في غيابنا. انضممنا إلى بومبيو

واقلعت الطائرة الرئاسية باتجاه سنغافورة قبل ١٢ ساعة من الموعد المحدد وفقاً للمناطق الزمنية، مروراً بقاعدة حلف شمالي الأطلسي في خليج سودا في جزيرة كريت حيث سنتوقف للتزود بالوقود. بالنسبة لي، كانت قمة الدول الصناعية السبع قد اصبحت وراءنا.

كان ترامب يشعر بالغبطة وهو في طريقه لمقابلة كيم جونغ أون. بعد إقلاع الطائرة، شرحت لبومبيو ما حصل في شارليفوا، ثم حاولت أن آخذ قيلولة للتكيّف مع توقيت سنغافورة، وإذا بي أستيقظ نهار الأحد بحسب التوقيت اليوناني قبل دقائق من هبوط الطائرة في خليج سودا. باستثناء المساحة المخصصة لرئيس الولايات المتحدة الأميركية، لم تكن الطائرة الرئاسية مصممة للسفر المترف، وتفتقر إلى المقاعد التي تتيح لك التمدّد في وضع مسطح بحيث أن العديد من الأشخاص كانوا ممددين على أرضية الطائرة. وبينما كنت استغرق في النوم أطلق ترامب تغريدتين أعلن فيهما عن سحب تأييده للبيان الختامي لمجموعة الدول الصناعية السبع، وهو أمر لم يسبق له مثيل. كان قد أيقظ بومبيو من نومه قبل بضع ساعات طالباً منه الحضور إلى مكتبه حيث انفجر غضباً بشأن استخدام ترودو مؤتمره الصحافي الختامي لتسجيل نقاط ضده. ففي حين أن ترامب كان حريصاً على مراعاة ترودو في مؤتمره الصحافي، لم يتمكن ترامب من كبح غضبه لدى إدراكه بأن ترودو لم يبادله بالمثل. تبين أن للبيان الختامي أضراراً جانبية. لم يقم أحد باستدعائي. وعندما استيقظت حاولت، من دون جدوى، سحب التغريدتين اللتين شكلتا، كما هو متوقع، موضوع كافة الأخبار إلى حين وصولنا إلى سنغافورة. اتصلت بكادلو للاطلاع على ما جرى، فأخبرني أنه تمكن من إعادة كافة الأمور إلى نصابها باستثناء المؤتمر الصحافي الذي عقده ترودو. غير أن المشكلة العاجلة التي كنا نواجهها تتمثل في ما سيقوله كودلو في البرنامج الحواري نهار الأحد، وتوجيهات ترامب كانت واضحة في هذا الشأن: «هاجم ترودو فحسب. لا تتعرض للآخرين. فترودو هو الشخص الذي سيطعنك في ظهرك». كما طلب ترامب منه ذكر الاجتماع الوشيك مع كيم جونغ أون، مؤكداً أن رفض البيان الختامي لمجموعة الدول الصناعية السبع سيُثبت أننا «لا نقبل بأيّ هراء»، وهي نقطة تستحق بالتأكيد تسجيلها. لا ريب في أن ترامب قد سمح لكادلو وبيتر نافارو (مساعد آخر للرئيس كنت قد قدمت له إحاطة شاملة) وليندسي غراهام (الذي قدمت له أيضاً إحاطة شاملة) بإطلاق العنان لألسنتهم، بحيث قال نافارو لترودو «ثمة مكان مميز في الجحيم» رداً على طريقة تعامله مع ترامب؛ ما أثار الكثير من الانتقادات. ولكن نافارو كان ينفذ رغبات ترامب فحسب. انشغل ترامب، الذي بدا أكثر إرهاقاً من قبل لاسيما وأنه لم ينم كثيراً خلال الرحلة، بمشاهدة التغطية الإعلامية لوصول كيم جونغ أون إلى سنغافورة متسائلاً عما ستكون عليه التغطية الاعلامية لعملية وصوله صباح الأحد. بعد هبوط الطائرة، قرر ترامب أنه لا داعي للانتظار حتى يوم الثلاثاء للقاء كيم مطالباً بلقائه نهار الإثنين، فوافقته الرأي. وعلى الرغم من أننا خصصنا وقتاً كافياً ليتمكن ترامب من الاستعداد والتخلص من الإرهاق المترتب عن السفر الطويل قبل مواجهة كيم، وجدنا أنه من

الأفضل تقليل المدة الزمنية التي سنمضيها في سنغافورة لتقليص الوقت المتاح لتقديم التنازلات. فإذا كان من الممكن مغادرة سنغافورة من دون وقوع كارثة فعلية، قد يتسنى لنا أن نعيد الأمور إلى مسارها الصحيح. التقى ترامب برئيس الوزراء السنغافوري لي هسين لونغ في [قصر] استانا، المقر السابق للحكام العامين البريطانيين والمقر الحالي لرئيس الوزراء حيث يقع مكتبه الأساسي. عندما صعدت مع بومبيو في «الوحش» (الاسم غير الرسمي لسيارة الليموزين الرئاسية) وجدنا ترامب في حالة مزاجية سيئة. فقد كان يخشى أن يفشل لقاؤه بكيم بسبب الضغوطات التي تمارسها الصين. عقد ترامب اجتماعاً ثنائياً مع لي قبل أن يتناولا معاً غداء عمل. كان وزير الشؤون الخارجية السنغافوري بالاكريشنان قد أنهى للتو زيارته إلى بيونغ يانغ حيث كان يضع اللمسات الأخيرة على الترتيبات الجارية استعداداً للقمة، وأفاد بأن كوريا الشمالية لا تعاني من أزمات اقتصادية مؤكداً أنها دولة مصنعة للأسلحة النووية. فأجاب ترامب أنه قطع هذه المسافة الطويلة كلها من أجل لقاء مقتضب. فرد بالاكريشنان بأن الولايات المتحدة قد كشفت عن ثلاثة أمور: أولاً، الموافقة على عقد الاجتماع، ما يدل على «مرونة» تمكن الجميع من لمسها باستثناء ترامب؛ ثانياً، صعوبة العودة إلى حملة «الضغوط القصوى»، الواضحة أيضاً للجميع باستثناء ترامب؛ وثالثاً، التركيز على كوريا الشمالية في حين أن الصين تمثل اللعبة الاستراتيجية الفعلية. كان كلام بالاكريشنان مقنعاً على الرغم من أن ترامب لم يكن سعيداً أبداً بسماعه.

بعد انتهاء الغداء، عدنا إلى الفندق حيث أطلعنا بومبيو على ما توصلت إليه المفاوضات مع كوريا الشمالية مؤكداً أننا قد وصلنا إلى طريق مسدود. علق ترامب قائلاً، «إنه مجرد تمرين دعائي»، معرباً بذلك عن رأيه بالقمة برمتها. قال لي كيلي بينما كان ترامب يستقبل الموظفين العاملين في السفارة الأميركية في سنغافورة، «بحسب علم النفس، سيبادر ترامب إلى الانسحاب لتكون له الأفضلية على كيم جونغ أون». وافقته الرأي لأنني كنت آمل أن نتمكن من تجنب تقديم تنازلات هامة. بعد انتهاء حفل الاستقبال، أبلغني ترامب كما أبلغ ساندرز وكيلي بأنه أصبح مستعداً للتوقيع على بيان خالٍ من أي مضمون، وعقد مؤتمر صحافي لإعلان انتصاره ومن ثم مغادرة المدينة. وتذمر ترامب من الاجتماعات التي عقدها كيم مع الصين وروسيا والرامية إلى زجنا في موقف حرج. إلا أنه أشار إلى أن قمة سنغافورة «ستكون ناجحة مهما كلف الأمر» قائلاً، «علينا أن نفرض المزيد من العقوبات حتى على الصين، لأنها فتحت حدودها[1]. وكيم رجل سافل، ولدينا ما يزيد عن

(١) There was constant public speculation that China was not enforcing sanctions strictly. See, e.g., Derek Grossman, "China's Reluctance on Sanctions Enforcement in North Korea," https://www.rand.org/blog/2018/01/chinas-reluctance-on-sanctions-enforcement-in-north.html; and "China is quietly relaxing its sanctions against North Korea, complicating matters for Trump," https://www.latimes.com/business/la-fg-china-north -korea-sanc tions-2018-story.html

٣٠٠ عقوبة إضافية يمكننا فرضها نهار الجمعة». أثار كلامه نوعاً من الفوضى على مستوى الأمور اللوجيستية (هذا لا يعني أنها لم تكن في حالة من الفوضى منذ مغادرتنا كندا)، فاقترحنا عليه أنا وكيلي أن نلتقي به في وقت لاحق من ذلك النهار لطرح المزيد من الخيارات. تحدث ترامب مع مون جاي إن الذي كان لايزال يرغب في الحضور إلى سنغافورة، إلا أنه سرعان ما أدرك أن الاجتماع الثلاثي الأطراف أصبح بعيد المنال: لم يكن حتى في البلد الصحيح. عرضنا أيضاً على ترامب شريط الفيديو القصير عن «التوظيف» الذي أعده الموظفون في مجلس الأمن القومي وآخرون لجذب كيم جونغ أون من خلال وعد النجاح الاقتصادي لبيونغ يانغ إذا ما تخلت عن الأسلحة النووية. وافق ترامب على عرضه على كيم نهار الثلاثاء (وعرضه لاحقاً في مؤتمره الصحافي الختامي).

استمرت المفاوضات مع الجانب الكوري طوال النهار، وزُعم أنها كادت أن تفضي إلى شبه اتفاق. وبعد ذلك بوقت قصير، قمت بمراجعة ما وصف على أنه «نص الساعة السادسة مساءً» مع مجموعة من المسؤولين من وزارتي الخارجية والدفاع ومجلس الأمن القومي، وقلت لهم صراحة إنني لا أنصح ترامب بالتوقيع عليه. وصل بعدها بومبيو وعدد من العاملين في وزارة الخارجية، واجتمعنا في المساحة المخصصة لموظفي البيت الأبيض لمناقشة النص. فشرحت مجدداً الأسباب التي تجعلني أرفض التوقيع عليه، حتى في حال تمّ التوصل إلى تسوية على كل اللغة التي كانت ماتزال موضع خلاف لصالح الولايات المتحدة، وهو أمر مستبعد. فقد رفضت كوريا الشمالية الإعلان عن نزع السلاح النووي بشكل كامل ولا رجوع عنه، على الرغم من أنها فعلت ذلك مراراً من قبل. فهي لم تعلن عن رفضها «العبارات السحرية» فحسب بل أيضاً المفهوم برمته، ما يعني أن القمة لم تعد مجدية. فألححت على عدم الموافقة على أي بند متعلق بإنهاء الحرب من دون الحصول على أي شيء ملموس بالمقابل. ثارت ثائرة بومبيو، تماماً كما فعل في أحد الأيام بينما كان يتحدث معي على الهاتف في «مارآلاغو» في شهر نيسان/أبريل بشأن الانسحاب من الاتفاق الإيراني. فأوضحت له أن أعضاء الكونغرس الديمقراطيين سينتقدوننا بقسوة تماماً كما سيفعل أعضاء الكونغرس الجمهوريون لأن النص يتعارض كلياً مع ما نؤمن به جميعاً. لم يدافع بومبيو عن البنود التي انتقدتها، وأدرك أنه من الأفضل لنا ألا نوقع على أي وثيقة من أن نوقع على وثيقة مسيئة. جلّ ما كان بومبيو يعرفه هو أن ترامب كان يرغب في التوقيع على شيء ما. كما أنه لم يكن قادراً على الاعتراف، أقله أمام المسؤولين في وزارة الخارجية، بما كنا نعرفه كلينا: فقد بدا واضحاً أنهم تمكنوا من زجنا في مأزق حرج، حيث اضطررنا لتقديم تنازلات من دون الحصول على اي شيء في المقابل. وها نحن الآن قد وصلنا إلى نهاية الطريق، وفي جعبتنا خيارات قليلة، أهونها سيء.

خيم الصمت على المكان لبضع ثوانٍ قبل أن يغادر الجميع المكان، وكأنهم اتفقوا على ذلك بطريقة غير معلنة، وبقيت في القاعة بمفردي مع بومبيو. بعد أن ذرعنا المكان جيئة وذهاباً لبعض

الوقت، اتفقنا على إدراج إشارة إلى مفهومنا المتعلق بنزع السلاح النووي وقرار مجلس الأمن رقم ١٧١٨ (الذي يحظر على كوريا الشمالية إجراء اختبارات نووية أو إطلاق صواريخ باليستية)، وإضافة بنود عن قضية اختطاف المواطنين اليابانيين والتعهد بإعادة رفات الذين قضوا في الحرب الأميركية الكورية. وفي حال فشلت هذه المحاولة، يمكننا الاكتفاء ببيان مقتضب، على أن يتميّز بشكل أساسي بإيجازه. عرضنا بومبيو وأنا هذا الاقتراح على المسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع ومجلس الأمن القومي فيما كان الجميع يدرك أن المفاوضات قد تستغرق الليل بطوله. كان ترامب قد انسحب إلى غرفته في وقت مبكر حيث تمكن، لحسن حظه، من الاستغراق في النوم حتى صباح الثلاثاء.

عند الساعة الواحدة فجراً، أيقظني من النوم مات بوتينغر، المدير الأعلى لشؤون آسيا في مجلس الأمن القومي، ليبلغني بأن المفاوضات قد تعثرت، تماماً كما توقعنا، وبأن بومبيو سيلتقي بكيم يونغ تشول عند الساعة السابعة صباحاً في فندق كابيلا، حيث سيلتقي ترامب بكيم في وقت لاحق من النهار، للتباحث في ما يمكن فعله. خرج ترامب من غرفته عند الساعة الثامنة، وانطلقنا جميعاً إلى فندق كابيلا. أعرب ترامب عن موافقته على «البيان الموجز» الذي توصلنا إليه، ما أثار استغرابي لأن البيان لا يتطرق إلى مسألة إنهاء الحرب الكورية. فالحق يقال إن البيان لا يتضمن أي نقاط جوهرية، بل هو مجرد محاولة للخروج بأقل ضرر ممكن من المأزق الذي وقعنا فيه. في خضم ذلك، كان ترامب يستعد لإطلاق تغريدة عن الانتصار الذي سجلته المحكمة العليا بنتيجة ٥-٤ في التصويت على مسألة تتعلق بأوهايو، متمنياً أيضاً الشفاء العاجل لكادلو الذي تعرض لأزمة قلبية بسيطة، أزمة هي على الأرجح ثمرة الأحداث المثيرة التي شهدتها قمة الدول الصناعية السبع.

شاركنا بعدها في حفل الاستقبال الذي تمّ تنظيمه على شرف ترامب وكيم. وتلى ذلك اجتماع بين الرئيسين، ليعود بعدها كيم جونغ أون مع أربعة من مساعديه ويدخل القاعة، حيث كان الاجتماع الرئيسي منعقداً. بعد مصافحته ومجاملته أعضاء الوفد الأميركي، جلسنا جميعاً للمشاركة في جلسة التصوير الإعلامية التي استمرت إلى ما لانهاية. بعد مغادرة الحشد الغوغائي المكان، تساءل كيم (من خلال المترجمين الفوريين) عن القصص التي سيحيكونها، فيما اعترض ترامب على التضليل الإعلامي الفاضح. وإذ أكد ترامب أن الاجتماع الثنائي كان إيجابياً جداً، توقع أن يتواصل الرئيسان مباشرة عبر الهاتف في مرحلة لاحقة. ضحك كيم وعلق قائلاً، في محاولة منه لإظهار ترامب في مظهر الرئيس المتميز عن أسلافه الثلاثة، إنهم كانوا يفتقرون إلى الميزات القيادية اللازمة لعقد قمة مماثلة. فأجابه ترامب متباهياً بنفسه، بأن أوباما كان مستعداً لارتكاب أخطاء فاضحة في قضية كوريا الشمالية، من دون السعي للتفاوض، ملمحاً بذلك إلى اجتماعهما الأساسي (خلال عملية الانتقال إلى الإدارة الجديدة في الولايات المتحدة). وإذ أكد ترامب أنه كان واثقاً من

أنه سيتمكن من التوصل إلى تفاهم مع كيم، سأل كيم ترامب عن تقييمه له، فرد الأخير قائلاً إن السؤال قد أعجبه. كان يجد في كيم رجلاً ذكياً، متحفظاً، طيب القلب، صادقاً وصاحب شخصية مميزة. فعلق كيم قائلاً إن السياسة تحول ممارسيها إلى أشبه بممثلين.

كان ترامب محقاً في نقطة واحدة. فكيم جونغ أون كان يعي تماماً ما يفعله عندما طلب من ترامب تقييمه: إذ كانت الغاية من السؤال استجلاب رد إيجابي أو المجازفة بإنهاء الاجتماع في تلك اللحظة. فمن خلال طرحه ذلك السؤال الذي بدا ظاهرياً ساذجاً أو مزعجاً، أراد كيم إلقاء عبء الإجابة وما تنطوي عليه من مخاطر، على الطرف الآخر. ما يعني أنه كان يسعى إلى إيقاع ترامب في الفخ.

أكد بعدها كيم التزامه بنزع الاسلحة النووية من شبه الجزيرة الكورية. وعلى الرغم من إدراكه أن البعض يشكون في مصداقيته، إلا أنهم كانوا يخطئون في الحكم عليه من خلال أعمال أسلافه، لأنه كان مختلفاً كلياً عنهم. ووافق ترامب على أن كيم غيّر الأمور كلياً. لكن كيم بقي على النهج الثابت الذي اتبعته كوريا الشمالية على مدى عقود طويلة، محملاً المسؤولية عن التاريخ المضطرب للعلاقات الأميركية الكورية إلى السياسات المعادية التي اتبعتها الإدارات الأميركية السابقة. وأشار إلى أنه من الممكن، من خلال اللقاءات المتواترة التي جمعته بترامب، العمل على تبديد انعدام الثقة وتسريع وتيرة عملية نزع الأسلحة النووية. صحيح أنني سمعت هذا الكلام كله من قبل، ولكن ترامب لم يكن قد فعل. فأيد تقييم كيم خاصة في ما يتعلق بانتقاد كيم للإدارات الأميركية السابقة. مؤكداً أن بعض الأشخاص في الجانب الأميركي يميلون إلى التشدد، واللافت للاهتمام هو أن ترامب وعد بالسعي للحصول على موافقة مجلس الشيوخ على أي اتفاقية نووية مع كوريا الشمالية. مقارناً بذلك بين مقاربته وعدم رغبة أوباما بالسعي إلى التصديق على الاتفاق النووي الإيراني. في هذه المرحلة، مرر لي بومبيو ملاحظة مكتوبة دوّن عليها «إنه مجبول على الكذب والهراء». فأومأت برأسي بالموافقة. قطع كيم وعوداً بعدم إجراء المزيد من التجارب النووية. مؤكداً أنه سيعمل على تفكيك برنامجهم النووي بطريقة لا رجعة فيها.

وحان بعدها وقت لعبة الصيد الثمين التي أتقنها جوزيف ستالين خلال اجتماعات القمة التي كان يعقدها مع فرانكلين روزفلت في زمن الحرب، حيث ظهر «المتشددون» للمرة الأولى في المكتب السياسي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي. فقد «اعترف» كيم بأنه يواجه صعوبة في تخطي العقبات السياسية المحلية المتمثلة بالمتشددين في كوريا الشمالية وأميركا على حد سواء. وأعرب كيم عن سعيه إلى إيجاد سبيل للحصول على دعم الجمهور في كوريا الشمالية، من خلال الحفاظ على الجدية والصراحة، كما لم يخفِ تململه من المناورات المشتركة بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة التي، بحسب قوله، تثير عصبية الناس. فطلب كيم منا تقليص تلك المناورات أو إلغائها

بشكل كلي، مشيراً إلى أنه أثار قضية المناورات العسكرية مع مون خلال القمة الأولى التي جمعتهما (وأثمرت عن إعلان بانمونجوم)، في حين أعلن مون أن القرار يعود للولايات المتحدة فحسب. فجاء رد ترامب على قدر مخاوفي، بحيث أكد لكيم من جديد تحفظه حيال تلك المناورات التي كان يعتبرها استفزازية ومضيعة للوقت والمال. وأشار إلى أنه سيتخطى الجنرالات، الذين أظهروا عجزهم عن عقد الاتفاقيات، مشدداً على عزمه إيقاف المناورات طالما أن الجانبين يتفاوضان بنية حسنة. وأضاف وعلى ثغره ابتسامة مشرقة، أن كيم قد وفر على الولايات المتحدة الكثير من المال. كان كيم منفرج الأسارير، يضحك بين الفينة والأخرى، ومعه كيم جونغ تشول. لا ريب أننا كنا نمضي وقتاً ممتعاً. وفي التقارير الصحافية التي ظهرت لاحقاً في وسائل الإعلام الأميركية، تم التطرق إلى تسريبات صادرة عن وزارة الدفاع، تؤكد استياء ماتيس من ترامب لأنه لم يستشره قبل تقديم هذا التنازل. والحق يقال إنني وبومبيو وكيلي كنا نشاركه مشاعر الاستياء مع أننا كنا حاضرين خلال القمة. قال ترامب إنه كان يعلم، منذ اليوم الأول الذي تسلم فيه منصبه، أن عقد الصفقات أو إجراء المفاوضات كما هي الحال في القمة الحالية، لن يكون صعباً عليه، وسأل كيلي وبومبيو ما إذا كانا يوافقانه الرأي. فأجابا كلاهما بالموافقة. لحسن الحظ أنه لم يطرح علي ذلك السؤال. قال كيم إن قرار ترامب بشأن المناورات سيترك تأثيراً إيجابياً على المتشددين في كوريا الشمالية، كما أكد أنه من الممكن اتخاذ خطوات إضافية في المرحلة التالية من المفاوضات. وعلق مازحاً بأن المقارنة بين ترسانتهما النووية لم تعد تجدي نفعاً لأن الولايات المتحدة لم تعد عرضة لتهديدات كوريا الشمالية التي وافقت على تفكيك منشأة لتجربة محركات الصواريخ.

مع تقدم الاجتماع، هنأ كيم نفسه كما هنأ ترامب على كافة الإنجازات التي تمكنا من تحقيقها في غضون ساعة واحدة فقط، فيما أكد ترامب أنه لم يكن من الممكن لأسلافه أن يحققوا هذه الإنجازات كلها. فانفجرا معاً بالضحك، ثم أشار ترامب إلى كيم قائلاً إنه الحلقة الأهم. فاعترف كيم بأنه يلتزم بأسلوبه الخاص في معالجة الأمور، ما يمكن أن يساعده على تعزيز أواصر التعاون مع ترامب. عاد ترامب ليتحدث عن المناورات العسكرية منتقداً من جديد الجنرالات الذين نقض قراراتهم بغية إرضاء كيم. وضحك كيم من جديد بينما راح ترامب يتذكر كيف أطلق لستة أشهر خلت على كيم لقب «رجل الصواريخ الصغير» سائلاً ما إذا كان كيم يعرف من يكون إلتون جون. لقد ظن أن لقب «رجل الصواريخ» مديحٌ. استمر كيم في الضحك، فطلب منا ترامب في هذه المرحلة، عرض النسخة الكورية لفيلم «التوظيف»، الذي شاهده أعضاء وفد كوريا الشمالية باهتمام شديد على أجهزة الآي باد التي زودناهم بها. عند انتهاء الفيلم، سارع كل من كيم وترامب إلى التوقيع على البيان المشترك، إلا أنّ بعض أخطاء في الترجمة أخّرت ذلك، فقررا مواصلة حديثهما ريثما تتم معالجة المسألة. عاد كيم ليكرّر مدى سعادته بنجاح المفاوضات والتوصل إلى اتفاق على الالتزام بمقاربة «أفعال مقابل أفعال». تبين لي أنني لم أسمع ترامب وهو يقدم هذا التنازل، إلا أن

تلك العبارات السحرية هي بالضبط ما كنت أحاول تجنبه، في حين أن كيم كان يظن أن بإمكانه تمريرها. سأل كيم ما إذا كانت الخطوة التالية ستشمل العقوبات الأميركية، وأجابه ترامب بأنه منفتح على هذا الاحتمال ويريد التفكير فيه، مع الإشارة إلى أن المئات من العقوبات الجديدة كانت مهيأة للإعلان عنها. لم نكن بومبيو وأنا ندرك ما يقصده، وشعرنا وكأن ترامب يوزع السكاكر على كوريا الشمالية. أعرب كيم عن تفاؤله بالتقدّم السريع وتساءل عن السبب الذي منع أسلافهما من الإقدام على هذه الخطوة. فأجابه ترامب على الفور بأنهم كانوا أغبياء. فوافقه كيم الرأي مشدداً على أن هذه الإنجازات تحتاج إلى أمثاله وأمثال ترامب.

ثم جاءت لحظة حساسة، إذ نظر كيم عبر الطاولة وسأل الآخرين الجالسين لناحيتنا عن رأيهم. طلب ترامب من بومبيو البدء بالكلام، فقال بومبيو إن الزعيمين وحدهما يمكنهما الاتفاق على وثيقة اليوم التاريخية. قال ترامب بفرح إن الولايات المتحدة ما كانت لتنجز هذا الاتفاق مع تيلرسون، الذي كان متصلّباً مثل كتلة من الغرانيت.

لحسن الحظ، غير كيم الموضوع ليتحدّث عن إعادة رفات الجنود الأميركيين الذين قتلوا أثناء الحرب، ولم أضطر للحديث. هكذا أكون قد تجنبت رصاصة أخرى. ثم دخل المصورون الرسميون من الجانبين، وانتهى الاجتماع حوالي الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق. توقفنا لفترة وجيزة في غرفة الانتظار حتى يتسنّى لترامب مشاهدة التغطية التلفزيونية الضخمة والمستمرة، ثم انتقلنا إلى غداء عمل في الساعة الحادية عشرة والنصف. دخلت علينا مجموعة أخرى من الصحافيين ثم خرجت فعلّق كيم قائلاً: «إنه مثل يوم في أرض الأحلام». أخيرًا قال شيئاً أتفق معه عليه تمامًا. كانت المحادثة الافتتاحية مع كيم خفيفة إذ راح يصف زيارته في الليلة السابقة لكازينو ومجمع الفنادق «شيلدون أديلسونز ساندز» وهو أحد أبرز معالم الحياة الليلية في سنغافورة. تحدث كيم وترامب عن الغولف ودينيس رودمان، وهزيمة فريق كرة القدم الكوري الشمالي للسيدات أمام الفريق الأميركي في دورة الألعاب الأولمبية ٢٠١٦.

دارت الأحاديث بين الحاضرين ثم استدار ترامب نحوي وقال لي: «كان جون في السابق صقرًا، لكنه أصبح الآن حمامة. هل لديك ما تقوله بعد هذه المقدمة؟» لحسن الحظ، ضحك الجميع. فحاولت المحافظة على وجه خال من التعابير وأجبت: «السبب الأساسي لانتخاب الرئيس هو أنه مختلف عن السياسيين الآخرين. إنه يحب تحريك الأشياء. أتطلع إلى زيارة بيونغ يانغ، سيكون ذلك مثيراً للاهتمام بالتأكيد».

اعتقد كيم أن كلامي مضحك لسبب ما وقال: «سنرحب بك بحرارة. قد تجد صعوبة في الإجابة عن سؤالي، لكن هل تعتقد أنه يمكنك الوثوق بي؟»

كان سؤاله عبارة عن فخّ، أحد تلك الأسئلة التي كان يجيد طرحها. لم أستطع أن أقول الحقيقة ولا أن أكذب، فأجبت: «لقد اكتسب الرئيس منذ أن كان رجل أعمال نظرة ثاقبة مع الأشخاص. فإذا كان بإمكانه أن يثق بك، فسوف نحذو حذوه جميعاً».

وأضاف ترامب أنني كنت على قناة فوكس نيوز طوال الوقت داعياً إلى الحرب مع روسيا والصين وكوريا الشمالية، لكن الأمر كان مختلفًا كثيرًا من الداخل. راح الكوريون الشماليون يضحكون مقهقهين. قال كيم: «لقد سمعت كثيراً من الكلام السيىء عنّا على لسان السفير بولتون. علينا أن نأخذ صورة في نهاية اللقاء لأتمكن من أريها للمتشددين وأقول لهم أنك لست سيئاً إلى هذا الحدّ».

سألته عندئذٍ: «هل يمكنني الذهاب إلى مركز الأبحاث النووية في يونغبيون؟». فتعالى الضحك أكثر فأكثر.

قال ترامب: «أؤكّد لكم أن جون مؤمن جداً بهذا»، موضحاً إلى أي مدى يمكن تبسيط الحقيقة.

أضفت: «سيدي الرئيس، أنا سعيد لأنك تشاهد قناة فوكس نيوز»، وضحك الجميع. (أخبرني ترامب في رحلة العودة إلى واشنطن: «لقد قمت بإعادة تأهيلك لديهم». هذا ما كنت أحتاجه بالضبط).

انتهى الغداء بعد قليل، في الثانية عشرة والنصف، لكن كان علينا الانتظار بعض الوقت لأن البيانات المشتركة لم تكن جاهزة بعد. قرر ترامب وكيم السير في حديقة الفندق. تلك النزهة لم تنتج سوى لقطات تلفزيونية لا نهاية لها، ولا شيء آخر. أخيراً، أقمنا مراسم التوقيع. كان الوفد الكوري الشمالي مثيراً جداً للإعجاب.

لقد صفقوا جميعًا في تناغم تام، تصفيقاً حاراً وصاخباً، خاصة عندما كان كيم يقول أو يفعل شيئًا جديرًا بالملاحظة. وهو ما بدا متناقضاً مع أداء الوفد الأميركي المرتبك. أجرى ترامب العديد من المقابلات الصحافية الفردية قبل الحدث الإعلامي الضخم الذي بدأ بعد الساعة الرابعة عصراً بقليل. عندما تمّ عرض فيديو «التوظيف» بشكل غير متوقع. كانت التغطية استثنائية، ثم عدنا إلى واشنطن، قبل أن يحدث أي خطأ، وفق ما تمنّيت من صميم قلبي.

عندما أصبحت الطائرة الرئاسية في الجو، اتصل ترامب بمون ثم آبي لإطلاعهما على مجريات الحدث. (بقي بومبيو في سنغافورة، وسافر منها إلى سيول وبكين وطوكيو لتقديم قراءات أكثر تفصيلاً لما حدث). أخبر ترامب مون أن الأمور سارت على نحو ممتاز، وتحدث كلاهما بحماس شديد عمّا تمّ إنجازه. سأل ترامب مون، متأخراً قليلاً، عن كيفية تنفيذ الاتفاقية، مكرّراً ما قاله في المؤتمر الصحافي عن أنه لم ينم منذ سبع وعشرين ساعة متواصلة، وهو أمر كنت أنا وكيلي نعرف بالتأكيد أنه ليس صحيحًا. شدّد مون، كما فعل ممثلو سيول لاحقًا في البيانات العامة، على

أن كيم قد تعهد بشكل واضح بنزع السلاح النووي. أعرب آبي عن امتنانه لكون ترامب أثار قضية المختطفين في محادثاته الثنائية مع كيم، فهو لم يكن يريد أن يفسد فرحة ترامب. قال ترامب إنه يعتقد أن كيم أراد عقد اتفاق. وقد حان الوقت لإغلاق أحد الملفات.

أجريت أنا أيضًا مكالمات موجزة وتحدثت بشكل خاص إلى بنس لمناقشة نقطة «المناورات الحربية»، التي كان الجمهوريون في الكونغرس قد بدأوا ينتقدونها. تأخّر بومبيو في سنغافورة لأن طائرته تعرّضت لمشاكل في المحرك، فأخبرني أن ماتيس اتصل به، قلقًا للغاية بشأن التنازل. اتفقنا أنا وبومبيو على أنه علينا نحن وماتيس ودانفورد أن نلتقي بمجرد عودتنا جميعًا إلى واشنطن للتفكير في ما يجب فعله لتفادي أيّ ضعف خطير في استعداد الولايات المتحدة في شبه الجزيرة الكوريّة. يجب أن نعتمد نهج «لا تفعل شيئاً بلا معنى، إبق في مكانك» حتى نقوم بتقييم الخطوات التي ينبغي اتّخاذها. وقد أكّدت على هذه النقطة عندما كنت في مكتب ترامب في الطائرة الرئاسيّة أشاهد معه قناة فوكس نيوز.

وقال مراسل نقلاً عن متحدث باسم البنتاغون لم يذكر اسمه، إن التخطيط للتدريبات مستمر كما كان من قبل، ما جعل ترامب يستشيط غيظاً. أراد ترامب أن أتصل بماتيس وأجعله يوقف كل شيء، لكنني طلبت بدلاً من ذلك إلى ميرا ريكارديل، التي كانت أيضًا على متن الطائرة الرئاسية الاتصال بآخرين في البنتاغون لتطلب إليهم تجنب التصريحات الإعلامية حتى صدور أوامر أخرى.

يوم الأربعاء ١٣ حزيران/يونيو هبطنا في قاعدة أندروز بعد الساعة الخامسة والنصف صباحاً بقليل، وعاد ترامب إلى البيت الأبيض. قاد مرافقي السيارة عبر الطريق الدائري حول واشنطن وأوصلني إلى منزلي. ولاحظت في الطريق أن ترامب قد أطلق تغريدة:

> هبطت للتو. كانت الرحلة طويلة. يستطيع الجميع الشعور الآن بأمان أكثر من اليوم الذي توليت فيه منصب الرئاسة. لم يعد هناك تهديد نووي من كوريا الشمالية. كان لقاء كيم جونغ أون تجربة مثيرة وإيجابية للغاية. كوريا الشمالية لديها إمكانات كبيرة للمستقبل!

لم يعد هنالك مجال لوقف هذا المنحى. تحدثت مع ياتشي في اليوم التالي. كان اليابانيون، في رأيي، قلقين بشأن ما قدمناه من تنازلات مقابل مكاسب قليلة. حاولت الحفاظ على الهدوء، لكن نتيجة لقاءات سنغافورة كانت ملتبسة بما فيه الكفاية لدرجة أننا كنا بحاجة إلى إعادة الأمور إلى نصابها أو المخاطرة بفقدان السيطرة بسرعة على الأحداث. كانت كل من اليابان وكوريا الجنوبية مرتبكتين بشكل خاص حول المنحى الذي تتخذه محادثات ترامب مع مون وآبي، قائلتين إن مون هو من سيوصل الاتفاق النووي إلى «خواتيمه». ما الذي كان يفكر به الرئيس بالضبط؟ أرادا أن يعرفا

ذلك. لم يكن لديّ ولا لدى بومبيو أدنى فكرة. ولكننا كنا على يقين أيضًا من أنّ ترامب نفسه لا يعرف. في الواقع، كنت أقوم بمراجعة لوجهة نظري السابقة، متسائلاً عما إذا كان انخراط كوريا الجنوبية بشكل أكبر في عملية نزع السلاح النووي، قد لا يعقد الأمور لدرجة أنه يمكننا منع الانهيار الكامل لسياسة منع الانتشار النووي التي وضعناها واستراتيجية الردع التقليدية في شبه الجزيرة، وفي شرق آسيا على نطاق أوسع.

تحدثت أيضًا إلى ماتيس في ما يتعلق «بالمناورات الحربية» وشرحت له كيفيّة التصرّف من وجهة نظري. قال ماتيس إن نظراءه اليابانيين والكوريين الجنوبيين يتصلون به بالفعل، وهو أمر مفهوم. قال أيضًا كلاماً لم أسمعه من قبل وهو أنه قبل ستة أشهر، كان ترامب قد ألغى التدريبات لأن روسيا والصين اشتكتا منها، وهو أمر مزعج، على أقل تقدير. كان دانفورد يقوم بتدوين قائمة بالتدريبات التي قد تتأثر، واتّفقنا على اللقاء في واشنطن. لكن ماتيس أبى أن يغادر بسلام، قائلاً في وقت لاحق من ذلك اليوم إنه يريد إصدار بيان صحافي. أيا كان محتوى هذا البيان فإنه سيجلب عليه تأنيباً رئاسيّاً آخر لن يعجبه أبداً. لماذا المخاطرة برمي هذا النرد إذاً؟ ربما لأنها كانت حيلة بيروقراطية لوزارة الدفاع: فإذا كان البنتاغون قادرًا على إحداث رد فعل سلبي كاف في الكونغرس، فقد يتجنب تحمّل المسؤولية عن أي تراجع في الاستعدادات في كوريا. لكنها كانت استراتيجية محفوفة بالمخاطر فمن المحتمل جداً أن تؤدي إلى فرض ترامب إجراءات أكثر صرامة وتضييقاً على التدريبات. في النهاية، وافق ماتيس على أن وزارته ستبقى صامتة، لكنها كانت محاولة.

يوم الاثنين ١٨ حزيران/يونيو التقيت بومبيو وماتيس على مائدة الإفطار في غرفة البحرية، وكانت قائمة تمارين دانفورد قد اكتملت. جادل ماتيس قائلاً إن الجهوزية تبدأ بالتدهور عندما يتمّ إلغاء أي تمارين، ويزداد التراجع كلما مرّ الوقت. لقد كنّا جميعاً قلقين من تراجع الجهوزية، على المدى القريب والبعيد، في شبه الجزيرة الكورية. مع بدء عمليات تبديل الضباط المجدولة بانتظام على اختلاف رتبهم، واستبدال أشخاص ذوي خبرة بأشخاص جدد. يمكن أن يؤدي نقص التمارين إلى نتائج وخيمة. جعلت هذه المناقشة الأول من شهر أيلول/سبتمبر موعداً مهماً جداً.

كان ماتيس قلقًا بشأن إلغاء عدد قليل من التمارين وبالتالي إثارة غضب ترامب. لكنني اعتقدت أنه من السخف إلغاء عدد كبير منها، فنثير بذلك مواجهات غير ضرورية مع جمهوريي «الكونغرس» ما يزيد الوضع سوءًا. اتفقنا أخيراً على أن البنتاغون سيصدر بياناً يقول فيه إن أكبر تمرينين سنويين سيتمّ «تعليقهما»، وهي كلمة اعتبرناها مفتاحية (أي «غير ملغاة»). بصورة عامة، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن الصين كانت قد اقترحت على بومبيو في بكين أن نضغط بشدة في الشهرين المقبلين لإحراز تقدم مع بيونغ يانغ، حدّدنا الأول من شهر أيلول/سبتمبر موعدًا لتقييم ما إذا كانت المفاوضات مثمرة بالفعل.

طوال الأسبوع الذي تلى عودته من سنغافورة، ظلّ ترامب مبتهجًا. يوم الجمعة، أثناء اجتماع إحاطة أجهزة الاستخبارات، هتف قائلاً: «لم يكن بإمكاني فعل ذلك مع ماكماستر وتيلرسون. بومبيو يقوم بعمل رائع. وهذا الرجل أيضاً». قال ذلك مشيراً إلي. كان ترامب سعيدًا لأنه لن يكون هناك المزيد من المناورات الحربية وقال إنه سعيد لأنه تم «رفض طلبه» في محاولاته السابقة لإلغائها لأنه بخلاف ذلك، «ما كان يمتلك شيئاً ليعطيه!» وقال ترامب أيضًا إن كيم جونغ أون «لديه ناحية شريرة» وإنه يمكن أن يكون «زئبقيًا»، متذكّرًا نظرة غضب أطلقها كيم جونغ أون على أحد مسؤوليه أثناء المحادثات. وقّع ترامب على مذكرات وصور ومقالات صحافية كذكرى من ألق سنغافورة، الذي لم يتلاش بسرعة بالنسبة لي.

أبرزت إحدى النقاط المهمة التي أثارها ترامب في نهاية حزيران/يونيو، احتمال حصول شرخ بين الولايات المتحدة ومون جاي إن: الأمر الذي يقلقنا بشكل متزايد. بعد مشاهدة مون وهو يعمل، أدرك ترامب أن مون لديه أجندة مختلفة عن أجندتنا، لأن أي حكومة تعطي الأولوية لمصلحتها الوطنية. بالنسبة لمون، هذا يعني على الأرجح أن التركيز على العلاقات بين الكوريتين أهم من مسألة نزع السلاح النووي. علاوة على ذلك، أراد ترامب أخبارًا جيدة عن كوريا الشمالية قبل انتخابات الكونغرس ٢٠١٨. لهذه الغاية، أراد أن يخفف الجنوب من الضغط لأجل استعادة الوحدة مع كوريا الشمالية، لأن نزع السلاح النووي كان أولوية الولايات المتحدة. لطالما كان ذلك دائمًا إعلاناً دقيقًا لمصالح الولايات المتحدة. إن تركيز ترامب على هذا الأمر أنشأ على الأقل حاجز أمان يمنعنا من فقدان البوصلة تماماً. شعرت بالقلق من أن ترامب كان يريد سماع أخبار جيدة فحسب قبل الانتخابات، وهو أمر يستحيل ضمانه. كما كنت قلقاً من أن بومبيو تحديداً لا يريد أن يكون ناقل أخبار سيئة، وهو دور يمكن تجنبه بسهولة من خلال تقديم تنازلات لكوريا الشمالية.

تسارعت الخطوات الدبلوماسية مع كوريا الشمالية وقرّر بومبيو العودة إلى بيونغ يانغ في ٦ تموز/يوليو.

فرح البيروقراطيون في الإدارة باستئناف المفاوضات الأمر الذي جعلني أشعر بالقلق من أن يتكرر ما حصل في المحادثات السداسية، حيث كان كل اجتماع مناسبة لتقديم المزيد من التنازلات.

في الواقع، كانت وزارة الخارجية تقوم بالفعل بعمل رسوم بيانية تشمل «إجراءات بديلة» للوفد الأميركي قبل حتى أن يعقدوا جلسات فعلية مع الكوريين الشماليين بعد قمة سنغافورة. لقد شدّدت بقوة على بومبيو أنه لا ينبغي أن تبدأ مفاوضات جادة حتى نلزم بيونغ يانغ بتقديم إعلان أساسي كامل حول برامجها النووية وصواريخها الباليستية. بالنسبة لمراقبي الأسلحة، كانت هذه خطوة أساسية لا بل إحدى أهم الخطوات التي تضمن النجاح. فمن العناصر الجوهرية في المفاوضات أن يقارن المفاوضون ما تمّ الإعلان عنه بما كان معروفًا بالفعل عن قدرات الأسلحة لدى الخصم. هذه

المقارنات ترقى إلى مستوى اختبار حسن النية في المفاوضات، وفي حالة كوريا الشمالية، يعتبر ذلك اختباراً لصدقهم في «الالتزام» بنزع السلاح النووي. إذا تعمدت هذه الدولة عدم التصريح بقدراتها النووية الفعلية، فسيظهر لنا ذلك بالضبط مدى جدية هذه المفاوضات. لقد قلت في مناسبات عدّة «إنني أثق بكوريا الشمالية على عكس الكثير من الأشخاص الآخرين. فهي لم تخذلني يوماً». لقد ضغطت أيضًا على بومبيو بشأن ما اتفق عليه خبراء مجلس الأمن القومي ومجلس التعاون الدولي لمنع انتشار الأسلحة النووية، ومفاده أنه إذا كان الكوريون الشماليون جادين في نبذ أسلحة الدمار الشامل، فإنهم سيتعاونون في عملية نزع السلاح الحساسة (وهو اختبار آخر لجدّيتهم)، والتي يمكن إتمامها خلال عام واحد أو أقل. أراد موظفو وزارة الخارجية تمديد مهلة نزع السلاح، لكن ذلك يشكّل وصفة أكيدة للمتاعب. لم يكن بومبيو متحمسًا لجدول زمني سريع لنزع السلاح النووي، ربما لأنه كان قلقًا من أن الشمال سيقاوم، وهذا يعني بالتالي أنباء سيئة لترامب، الذي لم يكن يريد أن يسمع أي شيء من هذا القبيل قبل الانتخابات، الأمر الذي سيتسبب بصداع محتمل لبومبيو.

غادر بومبيو إلى بيونغ يانغ بعد استعراض الألعاب النارية في الرابع من تموز/يوليو في «ناشيونال مول»، والتي شاهدها من وزارة الخارجية، حيث استضاف حفل الاستقبال التقليدي للسفراء الأجانب. اتصل بواشنطن مساء الجمعة عند الساعة السادسة والنصف (أي صباح يوم السبت بتوقيت كوريا) للتحدث إلى ترامب وكيلي وإليّ أنا. قال بومبيو إنه أمضى خمس ساعات في اجتماعين منفصلين مع كيم جونغ تشول: اجتماعين «محبطين للغاية»، لم يتحقّق فيهما «أي تقدم». كان لدى بومبيو اجتماعات أخرى يوم السبت، واتصل مرة أخرى بواشنطن في الساعة الخامسة والربع عصراً للإبلاغ عن أنه اجتمع بكيم يونغ تشول مرة أخرى، ولكن ليس بكيم جونغ أون، الأمر الذي أوضح عمّن يريد الشمال التفاوض معه. (أخبرني تشونغ الكوري الجنوبي بعد ذلك ببضعة أيام إنهم شعروا بالمفاجأة والخيبة لأنه لم يحصل اجتماع مع كيم جونغ أون). بعد أن غادر بومبيو بيونغ يانغ وصفت كوريا الشمالية المحادثات بأنها «مؤسفة»، وأنها بمثابة «طلب أحادي بنزع السلاح النووي أشبه بعمل العصابات»[1]. يا لها من أخبار سارة! قال بومبيو إن كوريا الشمالية أرادت «ضمانات أمنية» قبل نزع السلاح النووي، ولن تتمّ أيّ عملية «تحقق» إلا بعد نزع السلاح النووي، وليس قبل ذلك، ما يعني عدم وجود إعلان مبدئي، وبالتالي لا مجال لإجراء مقارنة مفيدة بين الترسانة النووية «قبل عملية نزع السلاح النووي وبعده». لم يكن ذلك يبشّر بالخير برأيي.

وافق ترامب على ذلك قائلاً: «بناء الثقة هذا هراء». وهو أذكى ما قاله عن بيونغ يانغ منذ

(١) See Gardiner Harris and Choe Sang-Hun, "North Korea Criticizes 'Gangster-Like' U.S. Attitude After Talks with Mike Pompeo," July 7, 2018,
https://www.nytimes.com/2018/07/07/world/asia/mike-pompeo-north-korea -pyongyang.html

شهور. وأضاف بومبيو: «أنها محاولة لإضعاف العقوبات، وهو أسلوب تقليدي هدفه التأخير»، وهذا صحيح. أشار بومبيو محاولاً نقل بعض الأخبار السارة إلى ما ورد في البيان الصحافي لكوريا الشمالية ومفاده أن كيم جونغ أون «مازال يثق بالرئيس ترامب». في مكالمتين هاتفيتين يومي الجمعة والسبت، سأل ترامب عن تأثير الصين في كوريا الشمالية. كان بومبيو يعتقد أن تأثير الصين فيها ليس كبيراً، في حين رأى ترامب أنه أكبر بكثير مما يُعتقد. كنت أميل إلى رأي بومبيو الأكثر دقة على الرغم من أن دور الصين كان يستحق المراقبة. ثم انتقل ترامب للحديث عن أنه لم يفهم لماذا خضنا الحرب الكورية ولماذا نشرنا الكثير من الجنود في شبه الجزيرة، ناهيك عن تلك المناورات الحربية. قال ترامب: «سنتوقّف عن التصرّف بغباء». وانتقل إلى كوريا الشمالية. قال: «هذا مضيعة للوقت. من الواضح أن كلامهم يشير إلى عدم رغبتهم بنزع السلاح النووي»، ولقد كان على حق طبعاً. حتى نهاية المكالمة، بدا أن ترامب لم يدرك أن بومبيو لم يقابل كيم جونغ أون، متسائلاً عما إذا كان بومبيو قد سلم كيم جونغ أون نسخة من القرص المدمج للمغني إلتون جون، «الرجل الصاروخ»، موقعة من ترامب نفسه، وهو ما لم يفعله بومبيو. ظل تسليم هذا القرص المدمج لكيم أولوية عالية لعدة أشهر. اتصل بي بومبيو بعد المكالمة الهاتفية مع ترامب لمناقشة كيفية التعامل مع الصحافة في اليابان، حيث توقف للتزود بالوقود. الشيء الوحيد الذي فاجأني في سلوك كوريا الشمالية هو مدى السرعة التي عادت بها إلى التصلّب بعد سنغافورة. لم يضيعوا أي وقت.

من الواضح أن ترامب أراد قمع الأخبار السيئة حتى لا يتم الإعلان عنها في منتصف حملة الكونغرس، خاصة عدم توفّر أي دليل يُذكر على أن كوريا الشمالية جادة بشأن نزع السلاح النووي. وبدلاً من ذلك، شدّد على أن كوريا الشمالية لا تختبر في هذه الآونة الصواريخ أو الأسلحة النووية. حاولت أن أوضح له أن التأخير يعمل لصالح كوريا الشمالية، كما هي الحال عادةً بالنسبة إلى الدول التي تعمل على انتشار هذه الأسلحة. من المرجّح جداً أن تكون كوريا الشمالية تعمل الآن على نقل أسلحتها وصواريخها ومراكز إنتاجها إلى مواقع جديدة أكثر أمانًا، كما تفعل منذ عقود. وتستمر في إنتاج الأسلحة وأنظمة الإطلاق، مدركين أن برامجهم النووية الاختبارية قد أنجزت مهامها، حتى الآن على الأقل[1].

كانت هذه بالتأكيد وجهة نظر اليابان، التي شاركتنا بها مراراً، كما في تلك المكالمة الهاتفية التي أجريتها مع ياتشي في العشرين من شهر تموز/يوليو. من المحتمل أيضاً أن يكونوا قد خزّنوا بعض الأسلحة في بلدان أخرى. لم يزعج هذا ترامب الذي قال: «لقد كانوا يفعلون ذلك لسنوات». بالطبع كانوا يفعلون ذلك وهذا هو جوهر المشكلة! لكنه أشار مرة أخرى إلى التناقض بين أجندة الجنوب

(١) See, e.g., Nuclear Threat Initiative, "North Korea," https://www.nti.org/learn/countries/north-korea/nuclear/

الهادفة إلى إعادة الوحدة مع الشمال وهدفنا المتمثل في نزع السلاح النووي. بالتالي قرر عدم التوقيع على اتفاق كوريا التجاري «كوريوأس» حتى تثبت سيول أنها لاتزال تطبّق العقوبات الصارمة على بيونغ يانغ. ربما كان يعتقد أن بإمكانه استخدام اتفاق «كوريوأس» كرافعة في المساومة، إذا تأخر توقيع الصفقة قليلاً. تم التوقيع على الاتفاق في النهاية في ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٨ [(١)]. كما ظنّ أنه يمكنه تجاهل المخاطر من كوريا الشمالية لفترة، خاصة وأن ترامب يعتقد أن الصين كانت وراء تردّد كوريا الشمالية. لعلّه كان يعتقد أنه سوف يحلّ مسألة التجارة مع الصين فتترتّب كل الأمور من تلقاء ذاتها. إذا كان يفكر بذلك فعلاً، فلا بدّ أنه يحلم.

يوم الجمعة ٢٧ حزيران/يونيو، عقدتُ اجتماعاً للّجنة الرؤساء في مجلس الأمن القومي لمناقشة ما حدث منذ قمة سنغافورة ولم يعترض أحد على استنتاجنا بأن ما تحقّق «ليس كثيراً». أكد بومبيو أن كوريا الشمالية لم تتخذ خطوات ملموسة لنزع السلاح النووي وأن «احتمالات النجاح معدومة». ذلك كان رأيي بالتحديد. توصلنا إلى اتفاق عام حول ضرورة تشديد العقوبات بطرق متنوعة. دبلوماسيًا واقتصاديًا وعسكريًا. لم يذكر أحد منّا، أنا وماتيس وبومبيو، موعدنا المستهدف في الأول من أيلول/سبتمبر. ولكنه كان بالتأكيد في ذهني، ولم يكن يبعدنا عنه سوى خمسة أسابيع.

كان نهج كوريا الشمالية مختلفًا. أرسل كيم لترامب إحدى «رسائل الحب» الشهيرة التي يرسلها في بداية آب/أغسطس، منتقدًا عدم إحراز تقدم منذ قمة سنغافورة واقترح أن يلتقيا مرة أخرى قريبًا[(٢)]. اتفقنا أنا وبومبيو على أن هذا اللقاء ينبغي أن يتمّ تجنّبه بأي ثمن وبالتأكيد ليس قبل انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر.

ففي ظلّ هذه الضغوط السياسية من يمكن أن يتنبأ بما يمكن أن يتنازل عنه ترامب؟ كما اتفقنا على أن أفضل رد على الرسالة هو القول إن بومبيو مستعد للعودة إلى بيونغ يانغ في أي وقت. عندما عرضت رسالة كيم جونغ أون على ترامب وشرحت له توصيتنا، قال ترامب على الفور: «يجب أن أقابل كيم جونغ أون. علينا أن ندعوه إلى البيت الأبيض». جوابه هذا كان يهدّد بكارثة هائلة. اقترحت أن يجتمعا بدلاً من ذلك في نيويورك، في افتتاح الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر، لكن ترامب اعترض قائلاً: «لا، سنكون منهمكين بأمور عدّة في ذلك الوقت». في هذه الأثناء دخل أشخاص آخرون إلى المكتب البيضاوي، ومنهم كيلي، الذي همست له وأنا أغادر: «لن ندعه يقابل كيم مرة أخرى». وافق كيلي تماماً على ذلك. اتصل بومبيو الذي يقوم بجولة في آسيا، في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم فشرحت له ما حدث. قال: «كم أودّ أن أرى النظرة التي ارتسمت على

(١) See https://ustr.gov/trade-agreements/free-trade-agreements/korus-fta/final-text

(٢) المصدر نفسه.

وجهك عندما قال رئيس الولايات المتحدة إنه يريده أن يزور البيت الأبيض! «وقلت إن ذلك سيكون صعبًا لأن عليهم أولاً أن يقشروني عن سجادة المكتب البيضاوي. غرد ترامب لكيم بعد ظهر ذلك اليوم قائلاً: «شكرًا لك على رسالتك اللطيفة. إني أتطلع إلى رؤيتك قريبًا!» على الرغم من أن في ذلك شيئاً من التلاعب، قمنا بصياغة رسالة وقعها ترامب في اليوم التالي، تعرض زيارة بومبيو لبيونغ يانغ. قال ترامب إن الفكرة لم تعجبه وهو يظنّ أنها مهينة لكيم وأضاف: «أنا أختلف معكما أنت وبومبيو. قال ذلك وهو يكتب بخطّ يده في أسفل الرسالة: «إنّي أتطلع إلى رؤيتك قريبًا»[١]. على الأقل وقّع على الرسالة.

على الرغم من التخطيط لرحلة أخرى يقوم بها بومبيو إلى كوريا الشمالية في نهاية آب/ أغسطس، وقبل أن يغادر إلى بيونغ يانغ، حذّر الكوريون الشماليون من أن بومبيو لن يرى كيم جونغ أون في هذه الزيارة، وينبغي ألا يزعج نفسه بالمجيء حتى، ما لم يحمل معه مقترحات جديدة تمامًا، بما في ذلك إعلان نهاية الحرب. لقد حذروا بشكل أساسي من أن نزع السلاح النووي لم يكن على جدول الأعمال، لكن بومبيو أراد تجاهل التهديد، وغرّد أنه يتطلع إلى لقاء كيم جونغ أون. أطلق ترامب موقفاً غير متوقّع قائلاً إنه على بومبيو ألا يذهب على الإطلاق.

ضغط بنس وبومبيو من أجل إتمام الزيارة، لكن ترامب كان لايزال يفكّر بالرسالة التي يريد أن يوجهها. عاد في النهاية إلى وضع تويتر المريح، وكما كان يفعل في كثير من الأحيان، بدأ في إملاء تغريدة. سألني: «ما رأيك في ذلك يا جون؟» قلت له على الفور «أوافقك الرأي. لا داعي لأن يذهب مايك إلى بيونغ يانغ بعد [كل] ما قيل». وافق بنس على ضرورة أن نظهر القوة بدلاً من الضعف. وسرعان ما أطلقت التغريدات:

> لقد طلبت من وزير الخارجية مايك بومبيو عدم الذهاب إلى كوريا الشمالية في الوقت الحاضر، لأنني أشعر أننا لا نحرز تقدماً كافياً في ما يتعلق بنزع السلاح النووي من شبه الجزيرة الكورية...
>
> ...بالإضافة إلى ذلك، بسبب موقفنا التجاري الأكثر صرامة مع الصين، لا أعتقد أنهم يساعدون في عملية نزع السلاح النووي كما كانوا يفعلون من قبل (على الرغم من عقوبات الأمم المتحدة المعمول بها).

---

(١) غرد ترامب في وقت لاحق من ذلك المساء قائلاً إنه يتطلّع إلى رؤية كيم. راجع مقالة جون واغنر:
"Trump says he is looking forward to meeting again 'soon' with Kim Jong Un," https://www.washington-post.com/politics/trump-says-he-is-looking-forward-to-meeting-again-soon-with-kim-jong-un/2018/08/02/7084654e-963b-11e8-a679-b09212fb69c2_story.html

... يتطلع الوزير بومبيو إلى الذهاب إلى كوريا الشمالية في المستقبل القريب، على الأرجح بعد حل مسألة علاقتنا التجارية مع الصين. حتى ذلك الوقت، أود أن أقدم أحر تحياتي واحترامي للرئيس كيم. إنني أتطلع لرؤيته قريباً!

شعرت بالفرح لأنني تجنبت الوقوع في فخّ آخر. بعد ذلك بوقت قصير تحدثت مع بومبيو الذي تقبّل قرار ترامب. وقال ترامب بعد بضعة أيام: «يجب أن تكون العقوبات صارمة قدر الإمكان. لا تعطهم مجالاً للتنفس. إفرض عليهم المزيد من العقوبات».

ظلّ ترامب يتساءل عما كان تشي جينبينغ يقوله لكيم جونغ أون، وقلت له إن ما يقوله ليس مفيداً بالتأكيد. أعطيت ترامب صفحة واحدة قمت بصياغتها بناءً على تكهناتي الخاصة حول ما يقوله تشي جينبينغ، بناءً على سنوات خبرتي في هذه القضايا. تمنّيت أن توقظه تلك الصفحة أو تجعله يفكّر؛ لقد جربت كل شيء آخر، لذا رأيت أنه ليس لدي ما أخسره. قرأ ترامب «النص» لكنه لم يرد عليه. على الأقل عرف رأيي بواقع الحال.

في ما يلي «نص» نسختي من «تعليقات» تشي التي نقلها إلى كيم:

«اسمع يا جونغ أون، لا يمكنك الوثوق بترامب بغض النظر عن عدد الرسائل اللطيفة التي يكتبها. إنه يحاول أن يستميلك مثل جميع البائعين الرأسماليين. لا تقع في هذا الفخ. ما يريده ترامب حقًا هو تحويل كوريا الشمالية إلى كوريا الجنوبية. ترامب وبومبيو وبولتون متشابهون. يتظاهرون بالاختلاف ليتمكنوا من خداعك فحسب. الأميركيون يفكرون على المدى القصير. إنهم غير منظّمين وسياستهم غير ثابتة لذا لا يمكن الوثوق بهم. والأكثر من ذلك، يفكّر مون جاي إن مثلهم، إلا أنه أسوأ منهم. إنه مهادن. يمكننا التغلب على مون، لكن الأميركيين يعرفون معنى القوة».

«لهذا السبب ينبغي أن تبقى معي. إنها الطريقة الوحيدة لديك للاحتفاظ ببرنامج الأسلحة النووية والحصول على مساعدة مالية حقيقية والبقاء في السلطة. إذا واصلت السير في طريق المفاوضات هذا مع الأميركيين، فسرعان ما ستجد نفسك مشنوقاً على شجرة في بيونغ يانغ، أؤكد لك ذلك. إبقَ معي».

«كل ما عليك فعله هو الاستمرار في إخفاء أسلحتك النووية وصواريخك ومنشآتك الإنتاجية. سيستمر أصدقاؤنا في إيران في اختبار صواريخك كما فعلوا منذ عقدين. في المقابل، يمكنك أن تصنع لهم رؤوساً حربية نووية في مصانعك السرية تحت الأرض. سأشتري المزيد من

النفط الإيراني وأزيد استثماراتنا المالية هناك، للتعويض عن العقوبات الأميركية. ستفعل إيران ما أطلبه منها بعد ذلك.

«لخداع الولايات المتحدة، استمر في إعادة عظام جنودهم. إنهم عاطفيون للغاية في ما يتعلق بهذه الأشياء. كذلك الأمر بالنسبة لليابان. أعد جثث الأشخاص الذين اختطفهم والدك. سوف يبكي آبي أمام الناس، ويبدأ في إعطائك حقائب مليئة بالدولار.

«أنا الآن في حرب تجارية مع ترامب. إنه يلحق بعض الضرر بالاقتصاد الصيني، وإذا استمرت هذه الحرب التجارية، فقد تضر بنا بشدة. لحسن الحظ أن ترامب محاط بمستشاري وول ستريت الذين يفكرون على المدى القصير مثل معظم الأميركيين وضعفاء مثل مون جاي إن. سأوافق على شراء المزيد من فول الصويا الثمين منهم وبعض التكنولوجيا (التي سأقوم بعد ذلك بسرقتها وبيعها للمستهلكين بأسعار أقل)، وهذا سيجعلهم يتراجعون.

«عندما نلتقي في الشهر المقبل، سأشرح لك الأمور بمزيد من التفصيل. سأطرح أيضًا حزم المساعدات التي لا يمكن لليابان منافستها. لن أخلّ بأي من عقوبات الأمم المتحدة لأنني لن أضطر لذلك. سأوفر الإمدادات والمساعدة التي لا تغطيها العقوبات، وسأسعى كي تراقب شرطة الحدود ما يجري عن كثب. ستكون بخير. لن تكون مجبراً على التخلي عن أسلحتك النووية، وقريبًا جدًا ستسقط كوريا الجنوبية في حضنك مثل الفاكهة الناضجة.

«فكر على المدى الطويل يا جونغ أون. أنت تريد أن تكون في صفوف المنتصرين في التاريخ. وهذه الصين. الأميركيون ليسوا أصدقاءً لنا».

في ٢٩ آب/أغسطس، لسبب غير معروف، عقد ماتيس ودانفورد مؤتمراً صحافياً كارثياً. سُئل فيه ماتيس عن مدى جهوزية القوات الأميركية في كوريا في ظلّ تعليق المناورات الحربية. فإذا به يعطي جواباً طويلاً ومربكاً لكن جوهر كلامه أشار إلى خلاف في الرأي مع ترامب بشأن هذه القضية. أثار هذا الكلام غضب ترامب، وراح يتساءل بلهجة حادة عما يحصل مع ماتيس والجنرالات والمناورات الحربية وما إلى ذلك. قلت له إن ماتيس كان يعمل لتوضيح الصورة الملتبسة، لكن ترامب أراد أن يغرد، وهذا ما فعله في وقت لاحق:

> **بيان من البيت الأبيض** يشعر الرئيس دونالد ج. ترامب شعوراً عميقاً بأن كوريا الشمالية تتعرض لضغوط هائلة من الصين بسبب نزاعاتنا التجارية الكبرى مع الحكومة الصينية. في الوقت نفسه، نحن نعلم أن الصين تقدم لكوريا الشمالية

مساعدات كثيرة، بما في ذلك المال والوقود والأسمدة وسلع أخرى متنوعة. هذا غير مفيد! ومع ذلك يعتقد الرئيس أن علاقته مع كيم جونغ أون علاقة جيدة وودّية للغاية، ولا يوجد سبب في هذا الوقت لإنفاق مبالغ كبيرة من المال على المناورات المشتركة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية.

من ناحية أخرى يستطيع الرئيس أن يبدأ على الفور التدريبات المشتركة مرة أخرى مع كوريا الجنوبية واليابان، إذا اختار ذلك. إذا أقدم على فعل ذلك فستكون أوسع بكثير من أي وقت مضى. أما بالنسبة للنزاعات التجارية بين الولايات المتحدة والصين، والخلافات الأخرى،

فسيتم حلّها في الوقت المناسب من قبل الرئيس ترامب والرئيس الصيني العظيم تشي جينبينغ. فعلاقتهما وروابطهما لاتزال قوية للغاية.

كل هذا الكلام كان برأيي مثيرًا للضحك، لكنه لم يقوض مواقفنا الأساسية. كان هذا انتصارًا بحسب معايير ترامب في البيت الأبيض، وهو يوم مجيد للإدارة. في اليوم التالي، انتقدت الصين التغريدات، ما يشير إلى مزيد من التقدم في رأيي. أخبرنا ماتيس، أنا وبومبيو، أثناء تناول إفطارنا الأسبوعي في غرفة البحرية، يوم الثلاثين من شهر آب/أغسطس، أنه آسف حتى على عقد ذلك المؤتمر الصحافي الذي أدّى إلى صدور تلك المواقف، بينما رحت أنا أفكر بأنه سيعقد مؤتمراً صحافياً آخر في أقرب وقت.

التقى مون وترامب في ٤ أيلول/سبتمبر واشتكى ترامب من أن قمة سنغافورة كانت ناجحة بشكل استثنائي، وأنه استطاع بناء صداقة جيدة مع كيم، وفجأة لم يعد هناك اتفاق. وتساءل عما حدث. بالطبع، لم تكن قمة سنغافورة «استثنائية»، إلا إذا كنت كوريًا شماليًا. كيم جونغ أون ما كان ليعقد صداقة مع أعدائه، ولم تكن هناك صفقة حقيقية. في المقابل كان مون لايزال يعيد أسطوانة السياسة المتفائلة، قائلاً إن كيم ملتزم تمامًا بتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ونزع الأسلحة النووية، ولكن كيم جونغ تشول وآخرين ممن حوله كان سلوكهم فجّاً، وهو أمر مثير للاهتمام. اقترح مون أن يجتمع ترامب مرة أخرى بكيم جونغ أون. لم يكن ينقصنا إلا ذلك. ظلّ مون يضغط لعقد قمته مع كيم في منتصف أيلول/سبتمبر، وهو أمر كان يريده على الأرجح لأسباب سياسية محلية.

سلّمنا أنا وبومبيو وكيلي لترامب رسالة أخرى من كيم جونغ أون في ١٠ أيلول/سبتمبر[١]، فقرأها في المكتب البيضاوي، معلقاً وهو يقرأها قائلاً: «هذه رسالة رائعة»، «هذه رسالة جميلة حقًا» و«استمع إلى ما يقوله عني»، ويستتبع هذا التعليق بقراءة مقطع مداهنة تلو الآخر. وكما قلت أنا وكيلي لاحقًا، كأن من كتب الرسالة كتاب كلاسيكيون على طريقة العالم الروسي إيفان بافلوف الذي تحدث عن «غريزة البحث»، وكانوا يعرفون بالضبط كيف يعزفون على الأوتار التي تعزز تقدير ترامب لنفسه. أراد ترامب مقابلة كيم، ولم يكن يريد سماع أي شيء مخالف لقراره، وربما هذا هو السبب الذي جعله لا يصغي إليّ وأنا أشرح له إن فكرة لقاء قريب كانت سيئة. قال لي: «جون، لديك الكثير من العدائية» وأجبته: «الرسالة كتبها ديكتاتور دولة صغيرة. إنه لا يستحق لقاءً آخر معك حتى يلتقي بومبيو، وقد وافق على ذلك منذ بضعة أسابيع فقط». قال ترامب: «لديك الكثير من العدائية، بالطبع لدي منسوب العدائية الأعلى، لكن أنت لديك الكثير منها». وتابع على هذا المنوال حتى قال فجأة: «أريد أن يتمّ هذا الاجتماع في الأسبوع الأول بعد الانتخابات. قل لمايك أن يتّصل اليوم ويطلبه. يجب أن تقول له إن الرسالة [رسالة كيم] لطيفة للغاية وإنّ الرئيس يكنّ مشاعر إيجابية للرئيس كيم وهو يرغب بنشر الرسالة لأنه من الجيد جدًا للجمهور أن يلمس قوة العلاقة بين الرئيسين ويريد عقد اجتماع بعد الانتخابات. فأين يود مقابلته؟»

قال لي كيلي خارج المكتب البيضاوي: «أنا آسف لأن الاجتماع كان قاسيًا عليك للغاية» وبدا بومبيو محبطًا. قلت إنني كنت سعيداً بالنتيجة، فقد حصلنا للتو على تأخير لمدة خمسة أسابيع في أي اجتماع محتمل بين ترامب وكيم، في الانتظار يمكن أن يحدث أي شيء في عالم ترامب. يجب أن نأخذ هذه النتيجة ونهرب. كانت المشكلة المستمرة والخطيرة للغاية هي رغبة ترامب التي لا هوادة فيها بسحب القوات العسكرية الأميركية من شبه الجزيرة الكورية، وهو جزء من تخفيضه العام للقوات الأميركية المنتشرة في جميع أنحاء العالم. جاء الأول من أيلول/سبتمبر ومضى، وأكد ماتيس في أوائل تشرين الأول/أكتوبر قلقه حول مدى جهوزيتنا العسكرية في شبه الجزيرة الكورية. سيضطر هو ودانفورد للإدلاء بشهادتهما في الكونغرس بعد الأول من شهر كانون الثاني/يناير أثناء مناقشة الميزانية، وبدا من الصعب ألا تظهر المشكلة عندئذٍ. حصل بومبيو أخيرًا على اجتماع آخر مع كيم جونغ أون في منتصف تشرين الأول/أكتوبر حيث اشتكى كيم مطولاً من عقوباتنا الاقتصادية، لكنه لم يقدم من ناحيته أيّ أفكار جديدة. كانت النتيجة الرئيسية للاجتماع هي استئناف المناقشات العمليّة والتي اعتبرتها حتمية، ولكنه مع ذلك

(١) راجع التقرير الصحافي الذي أعدته الصحافية سارهساندرز ورئيس مجلس لمستشارين الاقتصاديين كيفين هاسيت،

https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/press-briefing-press-secretary-sarah-sanders-cea-chairman-kevin-hassett-091018/

خبر سيئ. ففيها ستبدأ سلسلة التنازلات الأميركية. لكننا اجتزنا بأمان على الأقل انتخابات الكونغرس التي جرت في تشرين الثاني/نوفمبر من دون حصول كوارث كبيرة، ويمكننا الآن مواجهة الجولة التالية من حماس ترامب للقاء كيم جونغ أون.

الفصل الخامس

قصة ثلاث مدن - قمم في بروكسل ولندن وهلسنكي

بعد شهر من المقابلة مع كيم جونغ أون في سنغافورة في حزيران/يونيو، عقدت ثلاث قمم متتالية خلال شهر تموز/يوليو: اجتماع للناتو في بروكسل مقرّر منذ مدة طويلة، مع شركائنا في أهم تحالف لأميركا؛ ثم اجتماع بين ترامب وتيريزا ماي في لندن، وهو عبارة عن اجتماع ثنائي يتمحور حول «العلاقة الخاصة بين البلدين»؛ من ثم اجتماع بين ترامب وبوتين في هلسنكي، وهي أرض محايدة سنلتقي فيها مع رئيس غريمتنا سابقاً وراهناً، روسيا. قبل مغادرة واشنطن، قال ترامب: «إذن، لدي الناتو. ثم المملكة المتحدة-الواقعة في حالة اضطراب نوعاً ما... ثم بوتين. بصراحة، قد يكون بوتين الأسهل بينهم جميعاً. من يتخيل؟ من يتخيل؟» سؤال جيد. وفق ما لاحظته خلال تموز/يوليو المزدحم بالأعمال ذاك، إن لم أكن قد لاحظته آنفاً، لم يكن ترامب يتّبع أية استراتيجية دولية كبرى، أو حتى مساراً متساوقاً. إذ إن تفكيره أشبه بأرخبيل من النقاط (نظير الصفقات العقارية الفردية)، تاركاً لنا نحن البقية مهمة تبيّن-أو رسم- السياسات. وهذا له حسناته وسيئاته.

بعد سنغافورة، سافرت إلى عدة عواصم أوروبية للتحضير للقمم. واحدة من الرحلات التي اعتزمت القيام بها كانت إلى موسكو. ولكن انطوت تلك المحطة على تعقيدات. حينما أبلغت ترامب بمسألة توجهي إلى هناك لتحضير الأرضية من أجل رحلته، سألني: «هل عليك الذهاب إلى روسيا؟ ألا يسعك إتمام الأمر عبر الهاتف؟» في النهاية، لم يعترض على ذهابي حينما شرحت له لماذا مراجعة المسائل مسبقاً من شأنها أن تفيدنا في تحضيراتنا. بُعيد ذلك، سألتُ كيلي عن سبب تذمر ترامب، فأجابني: «الجواب سهل. يخشى أن تغطي عليه». وهذا قد يبدو غير معقول بالنسبة إلى أي رئيس غير ترامب، وفيما بدا ذلك إطراءً، إن ثبتت صحته، إلا أنه كان خطراً أيضاً. ماذا يفترض بي أن أفعل الآن لأتخطى المشكلة؟ من الجلي أنني لم أخرج بجواب جيد.

لقد رغب ترامب بشدة في زيارة بوتين إلى واشنطن، بينما لم يكن لدى الروس أية نية لفعل ذلك، وقد كنا نتناوش حول هلسنكي وفيينا كمكانين محتملين للقاء. دفعت روسيا باتجاه اختيار

فيينا، ونحن دفعنا باتجاه هلسنكي، ولكن تبين أن ترامب لم يفضّل هلسنكي. سأل قائلاً: «أوليست فنلندا تدور في فلك روسيا؟» (في وقت لاحق من صباح ذاك اليوم، عمد ترامب إلى سؤال كيلي ما إذا كانت فنلندا جزءاً من روسيا). حاولتُ أن أشرح له التاريخ ولكن لم أكد أوغل في الشرح حتى قال ترامب إنه هو أيضاً يريد فيينا. «فليكن ما يريدونه (أي الروس). قل لهم إننا سنفعل ما يريدونه». ولكن بعد مزيد من الأخذ والرد، توافقنا على هلسنكي.

هبطتُ في مطار فنوكوفو في موسكو يوم الثلاثاء في ٢٦ حزيران/يونيو، وتوجهت صباح اليوم التالي إلى سباسو هاوس، مقر سكن السفير الأميركي في موسكو منذ أمد بعيد. كان جون هانتسمان قد رتب لفطور مع مفكرين ومؤثّرين روس، منهم وزير الخارجية السابق إيغور إيفانوف الذي عرفتُه وعملت معه خلال عهد إدارة بوش الإبن، وكذلك مع مسؤولين من مجلس الأمن القومي والسفارة. أبدى الروس شبه إجماع على تشاؤمهم حيال احتمالات تحسين العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة، على الرغم مما قرأوه حول ترامب. إذ يعتقدون أن الآراء الأميركية الأساسية حول روسيا، في الكونغرس ولدى عامة الشعب على حد سواء، لم تتغير. وقد كان ذلك صحيحاً. ركزت تماماً على مسألة التدخل في الانتخابات، مدركاً أن أغلب الحاضرين سيبلغون سريعاً معارفهم في الكرملين وعلى نطاق أوسع. فقد أردتُ نشر المسألة.

ثم توجه هانتسمان مع وفدنا إلى مكاتب مجلس الأمن للاتحاد الروسي في ستارايا بلوشاد، قرب الكرملين، للقاء نظرائنا. كان نظيري، نيكولاي باتروشيف، أمين مجلس الأمن، خارج البلاد، ولكن توفر لدينا فرق كاملة من الطرفين لتغطية كل المسائل، من مسألة إيران إلى مسألة الحد من التسلح، التي قد يناقشها بوتين وترامب لاحقاً. بوتين نفسه كان قد شغل لفترة وجيزة منصب أمين مجلس الأمن الروسي، وباتروشيف، الذي كان كحال بوتين ضابطاً سابقاً في جهاز الاستخبارات السوفييتي «كي.جي.بي» (وجهاز الأمن الفيدرالي، خَلَفه والذي يمسك الشؤون الأمنية والاستخباراتية المحلية). خَلَفَ بوتين في العام ١٩٩٩ كمدير لجهاز الأمن الفيدرالي. يُعتقد أن باتروشيف لايزال مقرباً جداً من بوتين، وهذا ليس مفاجئاً بالنظر إلى خلفيتهما المشتركة. تناولنا الغداء مع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في استراحة أوسوبنياك، وهي مكان يملكه منذ ما قبل حقبة الثورة رجل صناعي ثري يتعاطف مع البولشفيين، وقد حللت عدة مرات ضيفاً عليه. واصلت التركيز على مسألة التدخل في الانتخابات، التي تهرّب منها لافروف بالقول إن الحكومة الروسية لم يكن لها يد في ذلك، رغم أنه لا يسعهم استبعاد تدخل المقرصنين.

من أوسوبنياك توجهنا إلى الكرملين للقاء بوتين في الساعة الثانية والنصف. وصلنا باكراً، وفيما كنا ننتظر، دخل وزير الدفاع سيرغي شويغو وبرفقته وفد عسكري من نوع ما، كي يعرّفنا عن نفسه (ثم انضم لاحقاً إلى الاجتماع). تم اصطحابنا إلى الغرفة التي سيُقام فيها الاجتماع، وهي

حتماً الغرفة نفسها التي التقيتُ فيها لأول مرة ببوتين في تشرين الأول/أكتوبر من العام ٢٠٠١، برفقة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد عقب هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر مباشرة.(١) كانت الغرفة واسعة، ومطلية باللونين الأبيض والأزرق، ومزركشة باللون الذهبي على الأطراف، وتضم طاولة اجتماعات بيضاء وزرقاء بيضاوية ملفتة. كانت مجموعة الصحافيين حاضرة قبلنا، وجاهزة لالتقاط الصور لبوتين لدى دخوله عبر الباب في الطرف الآخر من الغرفة (وقد كان طرفاً بعيداً). بتوجيهات من موظفي المراسم الروس، انتظرتُ في وسط الغرفة لكي يلقي علي بوتين التحية، وتصافحنا أمام الكاميرات. بدا مرتاحاً وواثقاً تماماً من نفسه، أكثر مما كان عليه حسبما أذكر في ذاك الاجتماع الأول في العام ٢٠٠١. ألقيتُ التحية أيضاً على لافروف وشويغو ويوري أوشاكوف (المستشار الدبلوماسي لبوتين والسفير السابق إلى الولايات المتحدة)، ثم جلسنا حول طاولة الاجتماعات الفاخرة. أفادت الصحافة الروسية لاحقاً (على نحو عار عن الصحة) بأن بوتين وصل إلى الاجتماع على الوقت، بخلاف عادته حيث يبقي الزوار منتظرين له، بمن فيهم البابا وملكة إنكلترا. لم أر أي داع لتصحيح معلوماتهم.

بحضور الإعلام، استهل بوتين الاجتماع بالإشارة إلى تراجع العلاقات الأميركية الروسية، ملقياً اللوم على السياسة المحلية الأميركية. لم أبتلع الطعم. لم أكن أعتزم مساجلة بوتين على الملأ فيما هو يمتلك أفضلية اللعب على أرضه. بما أن موسكو كانت ستستضيف آنذاك كأس العالم في كرة القدم للعام ٢٠١٨، وكانت الولايات المتحدة (إلى جانب المكسيك وكندا) قد فازت باستضافة كأس العالم في العام ٢٠٢٦، أجبته بأنني أتطلع قدماً كي أسمع منه حول كيفية استضافة دورة كأس عالم ناجحة. من ثم أخلى الإعلام المكان بطريقة منضبطة، وأخذنا نتطرق إلى الأعمال.

كان بوتين، على الأقل في البداية، يعتمد أسلوب القراءة من بطاقات الفهرسة، ثم التوقف للمترجم، ولكن غالباً ما يضع البطاقات من يده ليقول كلاماً ما مثل، «قل للرئيس ترامب هذا». لم يتفوه أوشاكوف وشويغو ولافروف بكلمة في الاجتماع باستثناء الإجابة على أسئلة بوتين، وكذلك فعل فريقنا (السفير هانتسمان، فيونا هيل المديرة البارزة في مجلس الأمن القومي والمختصة بالشؤون الأوروبية وروسيا، وجو وانغ مدير مجلس الأمن القومي المختص بالشؤون الروسية، ومترجمنا). تكلم بوتين لحوالى ٤٥ دقيقة، بما فيها الترجمة المتعاقبة، وتمحور جزء كبير من كلامه حول أجندة الحد من التسلح الروسية (قدرات الدفاع الصاروخي الوطنية الأميركية، معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، الاتفاقية الجديدة للحد من الأسلحة الاستراتيجية (ستارت الجديدة)، وانتشار أسلحة الدمار الشامل). وحينما حان دوري، قلت إن بوسعنا اتباع واحد من منهجين فكريين في ما يخص الحد من التسلح: مفاوضات بين خصمين لكبح بعضهما

(١) My earlier encounters with Putin are described in Surrender Is Not an Option, especially chapter three

البعض، أو مفاوضات بين متنافسَين لدرء النشاطات التي قد تؤدي إلى مشاكل. استخدمتُ الانسحاب الأميركي عام ٢٠٠١ من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية التي أبرمت في العام ١٩٧٢ كنموذج عن المنهج الفكري الأخير، مما دفع ببوتين إلى التعبير عن شعوره بأن بوب غيتس وكوندي رايس قد خدعا روسيا لاحقاً في تلك المسألة. وكان ردي أن بوتين قد غفل عن كثير من الأحداث التاريخية من العام ٢٠٠١ إلى العام ٢٠٠٣، حيث حاولنا أن نحث موسكو أيضاً على الانسحاب من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية والتعاون بشكل متبادل حول القدرات الدفاعية الصاروخية الوطنية، وقد رفض بوتين فعل ذلك لأنه-حسب تخميني- كانت تتوفر لديهم آنذاك تكنولوجيا دفاعية صاروخية فاعلة لم تكن تتوفر لدينا. مسألة الحد من التسلح لم تكن حتى ذلك الوقت قد نوقشت كثيراً في إدارة ترامب. ويبدو جلياً أنها تستدعي محادثات أطول بكثير قبل أن يمسي ترامب جاهزاً للانخراط بها.

حول سوريا. أشار بوتين إلى رغبتنا في رؤية القوات الإيرانية تنسحب من سوريا متسائلاً: «من سينجز ذلك؟». وكانت هذه واحدة من تلك اللحظات التي توجه فيها بوتين إلي، وقال إنه يجدر بي إخبار ترامب مباشرة بأن الروس لا يحتاجون إلى وجود الإيرانيين في سوريا، وبأنه ما من مصلحة لروسيا في وجودهم هناك. إيران تتبع أجندتها الخاصة، نظراً إلى أهدافها في لبنان ومع الشيعة، التي لا علاقة لها البتة بالأهداف الروسية، وتسبب المشاكل لهم وللأسد. قال بوتين إن هدف روسيا هو تعزيز الدولة السورية لمنع وقوع الفوضى، كما حصل في أفغانستان، بينما تمتلك إيران أهدافاً أوسع. ولكن بينما ترغب روسيا في خروج إيران من سوريا، إلا أن بوتين لا يعتقد بأنه يمكنه ضمان حدوث الانسحاب الكامل، ولا يرغب بأن تقطع روسيا وعوداً لن يسعها الإيفاء بها. وفي حال انسحب الإيرانيون، فمن الذي سيحمي القوات السورية من عدوان واسع النطاق، ويُفترض أنه يعني بذلك المعارضة السورية وداعميها الغربيين. ليس لبوتين أية نية في استبدال القوات الإيرانية بالقوات الروسية في الصراع السوري الداخلي، بينما تجلس إيران مسترخية وتقول «خوضوا أنتم القتال في سوريا». أراد تفاهماً واضحاً مع الولايات المتحدة بشأن سوريا، ثم تطرق إلى جوانب مختلفة من الترتيبات العسكرية الروسية والأميركية هناك، مع التركيز بشكل خاص على منطقة الحظر حول قاعدة التنف (قرب المثلث الحدودي السوري والأردني والعراقي). قال بوتين بثقة، مكرراً جملة دعائية روسية مستخدمة منذ فترة طويلة، إن حوالى ٥٠٠٠ شخص من السكان المحليين قرب التنف هم في الواقع من مقاتلي داعش، الذين سيتّبعون ظاهرياً التوجيهات الأميركية، لكنهم يخوننا عندما يناسبهم ذلك. (قال بوتين إن مقاتلي داعش يمكن لهم تقبيل عضو معين من جسمنا، إلا أن المترجم لم يترجم الجملة بهذه الطريقة!) وجدت أن هذا الحديث حول الوضع في سوريا شكل أهم نقطة في الاجتماع كله. بالإشارة إلى المعارضة السورية، شدد بوتين بقوة على أنهم ليسوا حلفاء موثوقين لنا، ولا يمكن

الوثوق بهم من يوم إلى التالي. بدلاً من ذلك، حثنا على دفع عملية السلام السورية إلى الأمام. ولكني قلتُ إن أولوياتنا هي تدمير داعش وإزالة كل القوات الإيرانية. لسنا نخوض الحرب الأهلية في سوريا: فأولويتنا هي إيران.

اتخذ بوتين موقفاً صارماً جداً حول أوكرانيا، حيث ناقش تفصيلياً الجوانب العسكرية والسياسية للصراع. ثم مضى ليتكلم بنبرة صدامية أكثر، فقال إن المبيعات العسكرية الأميركية لأوكرانيا غير قانونية، وإن تلك المبيعات ليست الطريقة الفضلى لحل المسألة. رفض حتى مناقشة مسألة القرم، إذ وضعها جانباً لكونها باتت بكل بساطة جزءاً من التاريخ. ثم في أهم ثاني لحظة من الاجتماع، قال إن أوباما قال له بوضوح في العام ٢٠١٤ إنه في حال لم تذهب روسيا إلى ما هو أبعد من ضم القرم، فإن المواجهة الأوكرانية يمكن تسويتها. ولكن غيّر أوباما رأيه، لسبب ما، ووصلنا إلى هذا الوضع المأزوم الحالي. وحينما تسنى لي الرد عليه، عند قرابة الدقيقة التسعين، بعد أن شعرت بأن اللقاء شارف على الانتهاء، لم أقل إلا أننا نختلف كثيراً حول أوكرانيا بحيث لا نملك الوقت كي نعالج المسائل تفصيلياً، لذا يجدر بنا بكل بساطة أن نتفق على ألا نتفق.

طرح بوتين كذلك مسألة كوريا الشمالية، حيث تدعم روسيا مبدأ «أفعال مقابل أفعال» الذي تريده كوريا الشمالية، ولكنه بدا بشكل أساسي غير مهتم تماماً بالمسألة. حول إيران، سخر من انسحابنا من الاتفاق النووي، متسائلاً: الآن، بعدما انسحبت الولايات المتحدة، ماذا سيحدث في حال انسحبت إيران؟». قال إن إسرائيل تعجز عن شن أي تحرك عسكري ضد إيران بمفردها، لأنها لا تملك الموارد أو القدرات، خاصةً إذا اتحد العرب خلف إيران، الأمر الذي سيكون غير معقول. أجبت بأن إيران لا تمتثل للاتفاق، مشيراً إلى الارتباط بين إيران وكوريا الشمالية في ما يخص المفاعل النووي في سوريا الذي دمرته إسرائيل عام ٢٠٠٧، وأضفت أننا نترقب بعناية الوضع بحثاً عن دليل يثبت تعاون هاتين الدولتين حالياً. بأي حال، إعادة فرض العقوبات على إيران قد أرخى بثقله الشديد بالفعل، من الناحية المحلية وكذلك من ناحية إثارتهم للمشاكل دولياً. ولأن ترامب كان لايزال مبتهجاً حيال كوريا الشمالية، بالكاد شرحت نصيحة تشي جينبينغ بالتقدم سريعاً في مفاوضاتنا.

لم يطرح بوتين مسألة التدخل في الانتخابات، ولكني حتماً طرحتها، مشدداً على أن هذه المسألة باتت أهم من ذي قبل بسبب اقتراب انتخابات الكونغرس للعام ٢٠١٨. فلكل عضو في الكونغرس يترشح لإعادة انتخابه، وكل خصومه، مصلحة شخصية مباشرة في هذه المسألة، التي لم تعجبهم كثيراً في العام ٢٠١٦، حين كان التركيز بالتدخل على المستوى الرئاسي. قلت إنه ضار سياسياً على ترامب أن يلتقي ببوتين، ولكنه يفعل ذلك لحماية المصالح الوطنية الأميركية بغض النظر

عن التبعات السياسية، وللنظر في إمكانية دفع العلاقة قدماً. بعد بضع مجاملات ختامية، انتهى اللقاء الذي استمر حوالى ٩٠ دقيقة. صدمني بوتين بشدة تحكمه بذاته وهدوئه وثقته بنفسه، بغض النظر عما قد تكون عليه التحديات الاقتصادية والسياسية المحلية في روسيا. لقد أبدى إلماماً تاماً بالأولويات الأمنية الوطنية لموسكو. لذا لم أكن أتطلع لتركه بمفرده داخل غرفة مع ترامب.

بروكسل

في السنوات السابقة، شكلت قمم الناتو أحداثاً هامة في مسار التحالف. ولكن على مر العقدين الماضيين، أمست الاجتماعات سنوية تقريباً، وبالتالي لم تعد مثيرة. هذا إلى حين انعقاد قمة الناتو عام ٢٠١٧ في بروكسل. نشّط ترامب الوضع من خلال عدم ذكره للمادة الخامسة البارزة من معاهدة شمال الأطلسي، التي تنص على «أن أي هجوم بحق دولة أو أكثر من الدول الأعضاء في أوروبا أو أميركا الشمالية سوف يُعتبر هجوماً على دولهم كلها». في الحقيقة، هذا البند أقل إلزاماً مما يُشاع عنه، لأن كل دولة من دول التحالف «ستتخذ مثل هذه الخطوة وفق ما تراه ضرورياً فحسب». طُبق هذا البند مرة واحدة فقط، عقب هجمات ١١ أيلول/سبتمبر على نيويورك وواشنطن. مع ذلك، شكل حلف الناتو بنية ردع ناجعة، حيث منع طوال عقود الجيش الأحمر من اختراق منطقة فولدا غاب في ألمانيا والتوغل إلى قلب أوروبا الغربية. بالطبع، لطالما مثلت الولايات المتحدة القوة المساهمة العظمى. إنه تحالفنا، وقد عُقد لمصلحتنا بشكل أساسي، وليس لأننا نؤجّر أنفسنا للدفاع عن أوروبا، وإنما لأن الدفاع عن «الغرب» يصب في المصلحة الاستراتيجية لأميركا. وكسد منيع إبان الحرب الباردة في وجه التوسع السوفياتي، شكّل الناتو أنجح تحالف عسكري سياسي في التاريخ.

هل عانى الناتو من المشاكل؟ بالطبع. فكتاب هنري كيسنجر الشهير عام ١٩٦٥ الذي حمل عنوان «الشراكة المضطربة: إعادة تقييم للتحالف الأطلسي» لم يأت دون سبب. قائمة عيوب الناتو طويلة، حيث تتضمن، عقب تفكك الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٩١، التخلي الطائش لعدة دول أوروبية عضو في التحالف عن مسؤولياتها في تغطية تكاليف دفاعاتها الذاتية. وفي ظل حكم الرئيس كلينتون، عانت أميركا من مشاكلها العسكرية الخاصة، إذ رأى هو وآخرون انهيار الشيوعية «كنهاية للتاريخ»، محولاً ميزانيات الدفاع إلى الإنفاق على برامج رعاية محلية ذات منفعة سياسية. إن وهم «فوائد السلام» هذا لم ينته كثيراً في أوروبا، ولكنه انتهى في أميركا مع جرائم القتل الجماعي التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر في نيويورك وواشنطن على أيدي إرهابيين إسلاميين. ما فتئ مستقبل الناتو يُناقش كثيراً بين خبراء الأمن القومي لعقود من الزمن، حيث يحث العديد منهم على أجندة أوسع لمرحلة ما بعد الحرب الباردة. انتقد باراك أوباما الأعضاء في الناتو لكونهم «ركّاباً بالمجان»،

بحيث لا ينفقون على ميزانياتهم الدفاعية بالشكل المناسب، ولكنه كالعادة أنعم بكل بساطة على العالم بآرائه، ولم يفعل شيئاً ليراها تتحقق.(١)

اشتكى ترامب في أول قمة يحضرها للناتو في عام ٢٠١٧ من أن الكثير من الحلفاء لا يستوفون التزامهم المنصوص عليه العام ٢٠١٤ بشكل جماعي في كارديف، وايلز، والذي ينص على إنفاق ٢ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي على الدفاع بحلول العام ٢٠٢٤، والذي يعني بالنسبة إلى أغلب الأوروبيين الدفاع في المسرح الأوروبي. ألمانيا تُعتبر الأسوأ بين المنتهكين لهذا الالتزام، حيث تنفق حوالى ١,٢ في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي على الدفاع، ودوماً تخضع لضغط من الديمقراطيين الاشتراكيين وغيرهم من اليساريين كي تنفق أقل. ترامب، على الرغم من أصول والده الألمانية، أو ربما بسبب ذلك، انتقد ذلك باستمرار. خلال المشاورات حول ضرب سوريا في نيسان/أبريل، وجّه ترامب لماكرون سؤالاً حول سبب عدم انضمام ألمانيا للضربة العسكرية ضد نظام الأسد. كان سؤالاً جيداً، لم يكن له جواب إلا «السياسة الألمانية المحلية»، ولكن ترامب أكمل لينتقد ألمانيا قائلاً إنها شريكة مريعة في حلف الناتو، ومن جديد هاجم خط أنابيب «نورد ستريم ٢»، الذي يجعل ألمانيا تدفع لروسيا التي تُعتبر خصم الناتو عائدات كبيرة. ترامب اعتبر أن حلف الناتو «عفا عليه الزمن» خلال حملة العام ٢٠١٦ الانتخابية وإنما حاجج في نيسان/أبريل ٢٠١٧ بأن المشكلة قد تم «حلها» خلال رئاسته. إن امتناعه الجدير بالملاحظة عن ذكر المادة الخامسة عام ٢٠١٧ قد فاجأ كما يبدو حتى أبرز مستشاريه، لأنه عمد شخصياً إلى محو أية إشارة إليها من مسودة خطابه.(٢) سواء صح ذلك أم لا، هيأت قمة عام ٢٠١٧ الأجواء للأزمة المحتملة التي واجهناها عام ٢٠١٨.

كانت هذه العاصفة تتجمع قبل وقت طويل من وصولي إلى الجناح الغربي في البيت الأبيض، ولكنها باتت الآن على وشك الهبوب. كان ترامب محقاً في نقطة مشاطرة الأعباء، تماماً كما كان أوباما محقاً، وهو تلاقٍ للرأيين كان ليهز ثقة ترامب برأيه لو أنه انتبه له. المشكلة، من منظور المصداقية والعزم وإدارة التحالف للجانب الأميركي، هي لغة النقد اللاذع التي غالباً ما يستخدمها ترامب للتعبير عن امتعاضه جراء عدم تحقيق الحلفاء للهدف، أو في بعض الحالات عدم اكتراثهم لمحاولة تحقيقه حتى. في الواقع، الرؤساء السابقون لم يوفقوا في إبقاء دول التحالف على المستوى المطلوب من ناحية مشاطرة الأعباء خلال حقبة ما بعد الحرب الباردة. حتماً أعتقد بأنه، في عهدَي كلينتون

(١) See Jeffrey Goldberg, "The Obama Doctrine," https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2016/04 / the-obama-doctrine/471525/; Mark Landler, "Obama Criticizes the 'Free Riders' Among America's Allies," https://www.nytimes.com/2016/03/10/world/middleeast/obama-criticizes-the-free-riders-among-americas-allies.html.

(٢) See Susan B. Glasser, "Trump National Security Team Blindsided by NATO Speech," https://www.politico.com/magazine/story/2017/06/05/trump-nato-speech-national-security-team-215227.

وأوباما تحديداً، لم تنفق الولايات المتحدة من جهتها ما يكفي على الدفاع، بغض النظر عما كان يفعله أي من الحلفاء أو لا يفعلونه. لو كان هذا مجرد انتقاد لأسلوب ترامب، وقد بدا كذلك بالنسبة إلى العديد من النقاد، فسيكون شيئاً تافهاً. أنا شخصياً لم أشعر بحرج أبداً من التكلم بصراحة، حتى مع أقرب أصدقائنا الدوليين، وبوسعي القول لكم إنهم لم يشعروا بحرج قط من إخبارنا برأيهم، وتحديداً بخصوص عيوب أميركا. في الواقع، ليست صراحة ترامب وإنما العدائية المقنعة عنده للتحالف نفسه هي التي أثارت توتر الدول الأعضاء الأخرى في حلف الناتو وكذلك مستشاريه الخاصين.

طلب ترامب الاتصال بالأمين العام لحلف الناتو ينس ستولتنبيرغ في الساعة التاسعة صباحاً من يوم الجمعة ٢٩ حزيران/يونيو، قبل بضعة أسابيع فقط من القمة القادمة. حينما التقينا في المكتب البيضاوي آنفاً، قال ترامب إنه سيبلغ ستولتنبيرغ بأن الولايات المتحدة ستخفّض «مساهمتها» في حلف الناتو إلى حدود مساهمة ألمانيا وسيطلب منه إبلاغ الدول الأعضاء الأخرى بذلك قبل القمة التي ستُعقد في ١١-١٢ تموز/يوليو. (هنا نواجه مشكلة دائمة مع التسميات. الالتزام الذي عُقد في مدينة كارديف لا يدور حول «المساهمات» في حلف الناتو، وإنما حول إجمالي الإنفاق على الدفاع. لا أعرف ما إذا فهم ترامب ذلك من الأصل، وإنما أساء فقط استخدام كلمة «مساهمة». ولكن القول إنه سيخفض «مساهمة» الولايات المتحدة إلى حدود مساهمة ألمانيا يعني أن الولايات المتحدة ستخفض نفقاتها الدفاعية البالغة أكثر من ٤ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بحوالى ٧٥ في المئة. ولا أعتقد أنه قصد ذلك. وما يزيد من الالتباس، هو أن حلف الناتو لديه صندوق مشترك لتمويل نفقات تشغيل مقراته وما شابه، بقيمة تبلغ حوالى ٢٫٥ مليار دولار سنوياً. الدول الأعضاء تقدم فعلاً «مساهمات» للصندوق، ولكن لم يكن ترامب يقصد في كلامه نفقات الصندوق. عملاً باقتراحي في وقت لاحق، عمدت إلى حث ألمانيا على زيادة مساهمتها في الصندوق المشترك، والولايات المتحدة على تخفيض مساهمتها بالمقابل، رغم أن هذا الأمر لم يصبح نهائياً حتى كانون الأول/ديسمبر من العام ٢٠١٩)[1].

قال ترامب لستولتنبيرغ لدى اتصاله به إنه ورث فوضى اقتصادية وإن حلف الناتو في وضع رديء، متذمراً من أن إسبانيا (كان قد التقى تواً بالملك) أنفقت ٠٫٩ في المئة فقط من ناتجها المحلي الإجمالي على الدفاع. بعد انتقاد ترامب لألمانيا، فرح حينما قال له ستولتنبيرغ إنه يوافقه الرأي حول وجوب دفع ألمانيا للمزيد، وبصراحة هذا ما دأب ستولتنبيرغ على قوله باستمرار، حيث حث الدول الأعضاء في حلف الناتو على وضع خطط للإيفاء بالتزاماتها المتفق عليها في قمة حلف الناتو في كارديف بحلول العام ٢٠٢٤ إن لم يكن قبل ذلك. أكمل ترامب قائلاً إن الولايات المتحدة دفعت

(١) Nicholas Fiorenza, "Allies agree to reduce US contributions to NATO common funding," https://www.janes.com/article/92915/allies-agree-to-reduce-us-contributions-to-nato-common-funding

من ٨٠ إلى ٩٠ في المئة من تكاليف حلف الناتو، وهو رقم لم يعرف أي منا مصدره. تعادل النفقات الدفاعية الأميركية المجمعة (حول العالم) زهاء السبعين في المئة من كل النفقات العسكرية لكل الدول الأعضاء في حلف الناتو، ولكن بالطبع أغلب الإنفاق الأميركي ينصب على البرامج العالمية أو على مناطق معينة أخرى. صرّح ترامب لاحقاً بأنه اعتقد بصراحة أن الولايات المتحدة تدفع ١٠٠ في المئة من تكاليف حلف الناتو. وكذلك لا يُعرف مصدر هذا الرقم. قال لستولتنبيرغ إنه من تلك اللحظة فصاعداً، ونظراً إلى أن التباين بين الدفعات للناتو مجحف جداً، لن تدفع أميركا إلا بقدر ما تدفعه ألمانيا. اعترف ترامب بأن ستولتنبيرغ لطالما أثنى على جهوده الرامية لزيادة إنفاق الحلفاء الأوروبيين على حلف الناتو، ولكنه حاجج بأن السبب الوحيد لارتفاع النفقات يعود إلى أن الحلفاء خالوا بأن ترامب سيعمد إلى سحب الولايات المتحدة من حلف الناتو في حال لم يدفعوا. شدد ترامب مجدداً على القول إننا لن نستمر أبداً بتحمل عبء تكلفة غير متكافئ. قال ستولتنبيرغ إنه يوافق ترامب الرأي تماماً بأن الوضع غير منصف، ولكنه حاجج قائلاً إنه عقب سنوات عديدة من تراجع الإنفاق على حلف الناتو، نحن الآن نشهد ارتفاعاً. رد ترامب بأن حث ستولتنبيرغ على قول ذلك للإعلام، وطلب منه التكلم معي لمناقشة الوسائل التي من خلالها ستكف الولايات المتحدة عن «المساهمة» بالطريقة الراهنة غير المبررة لدفع تكاليف الناتو، وهو أمر غير مبرر ولا يفيد الولايات المتحدة. قال ترامب إن الولايات المتحدة ما فتئت حتى الآن تُدار من قبل أغبياء وليس أكثر. الأوروبيون لا يقدّروننا، ويخدعوننا من الناحية التجارية، ولن ندفع بعد الآن ثمن ذلك، وإنما سندفع بمقدار ما تدفعه ألمانيا فحسب. واستمر الحديث على هذا المنوال. قال ترامب في النهاية إنه سيقدم اعتراضاً رسمياً.

اتصل بي ستولتنبيرغ حوالى الساعة العاشرة، وطلبتُ من كل أعضاء مجلس الأمن القومي وعناصر غرفة العمليات ترك الاتصال لي حتى يتسنى لي أن أكون صريحاً قدر الإمكان مع ستولتنبيرغ. قدمت له تقييمي، حيث قلت إن «محور البالغين»، الذي تفكك إلى حد كبير الآن والذي يعشقه الإعلام الأميركي، قد أحبط ترامب لدرجة أنه بات الآن مصمماً على فعل ما يريده في عدة مسائل أساسية، مهما قال له مستشاروه الحاليون. قلت له إن لدينا فكرة واضحة عما قد يحصل في قمة الناتو. لا يجدر الاعتقاد بأن تدابير صغيرة وطفيفة قد تعوقه. من الجلي أنه كان أمراً فكر ترامب في فعله وأراد فعله بطريقته، وقد فعله الآن. بدا أن ستولتنبيرغ لم يسعه تقبل مدى سوء الوضع، ولكن عقب هجوم لفظي متواصل من قبل ترامب امتد لنصف ساعة، وبعد شرحي، فهم الفكرة. اتصلت بي سفيرتنا إلى حلف الناتو، كاي بايلي هتشيسون، عند الظهر تقريباً، وقدمتُ لها شرحاً مقتضباً حول الاتصال الذي جرى بين ترامب وستولتنبيرغ. قلتُ إننا جميعاً لن نقدم لأنفسنا خدمة إن ادعينا بأن الاتصال لم يحدث واستأنفنا عملنا كالمعتاد.

في وقت لاحق من ذاك اليوم، أطلعتُ بومبيو على الأمر. عوضاً عن قيامنا بالتعامل مع مسألة الناتو بشكل مباشر، اقترح أن نقنع ترامب بأنه نظراً لوجود الكثير من المعارك التي تنتظرنا (أبرزها حملة تثبيت كافانو في المحكمة العليا)، لا يسعنا أن نرهق الجمهوريين بمشاكل خلافية أخرى. لا يوجد سوى ٥١ سيناتوراً جمهورياً، ولا نريد أن نخسر أياً منهم بسبب التهديدات لحلف الناتو. توافقنا بومبيو وأنا على وجوب قيامنا نحن الإثنان وحدنا بطرح هذه المسألة على ترامب، بدون حضور أي جنرالات. حتى لا يعتقد ترامب أن «محور البالغين» يتكتل ضده من جديد. وافق كيلي فوراً على استراتيجيتنا، وكذلك فعل ماتيس، الذي وافق كذلك على عدم وجوب مشاركة دانفورد. أطلعت مكغان على الأمر، وهو الذي جعله تركيزه على تثبيت كافانو أكثر من مستعد ليكون «الخطة البديلة» في حال فشلنا بومبيو وأنا.

التقينا بترامب يوم الإثنين في الثاني من تموز/يوليو، وتبين أن المهمة كانت أسهل وأقصر مما توقعت. شرحنا له منطق عدم فتح جبهات تفوق قدرتنا، نظراً إلى أهمية ترشيح كافانو، وقمنا بحثه لمواصلة الضغط على الأعضاء الآخرين في الناتو لرفع إنفاقهم على الدفاع إلى مستوى ٢ في المئة من ناتجهم المحلي الإجمالي. فوافق ترامب من دون جدال. ولكن على مدى الأيام القليلة التالية، سألني مجدداً عن سبب عدم انسحابنا من حلف الناتو بشكل تام، وهو تحديداً الأمر الذي كنا نحاول منع حدوثه. من الجلي أن مهمتنا لم تنته. اتخذت خطوة للتخفيف من إمكانية حدوث مواجهة مع حلفائنا في بروكسل، وبالتالي التخفيف من احتمالية تنفيذ ترامب لوعده بالانسحاب من الناتو، تمحورت حول تسريع المفاوضات للتوصل إلى اتفاق حول البيان الختامي الذي سيصدر في النهاية. وهو بيان آخر لن يقرأه أحد، حتى بعد أسبوع من الإجماع على أنه نقطة اشتباك محتملة! شددت على هتشيسون وجوب إتمام البيان. حتى قبل وصول القادة إلى بروكسل، بهدف التخفيف قدر الإمكان من فرص وقوع كارثة أخرى كتلك التي حدثت في قمة الدول الصناعية السبع. كان هذا جديداً على الناتو، ولاحظتُ أنه يسبب تبرماً شديداً من دول أعضاء مثل فرنسا التي–ويا للمفاجأة– استفادت من الاستقواء على الآخرين قرابة نهاية الاجتماعات الدولية من خلال توجيهها التهديد الدبلوماسي الأكثر إخافة: توافقوا معنا وإلا فلن يكون هنالك بيان ختامي! دوماً أرحب بتلك النتيجة، ولكن تحضير الوثيقة الختامية مقدَّماً تطلب من الناتو تعديلاً كبيراً في السلوك. نجحنا، ولكن فقط عقب تصعيد متواصل.

في غضون ذلك، بدأ ترامب يوم الإثنين في ٩ تموز/يوليو بالتغريد قائلاً:

> تنفق الولايات المتحدة على حلف الناتو أكثر من أي دولة أخرى. هذا ليس منصفاً، ولا هو مقبول. في حين أن هذه الدول تزيد من مساهماتها مذ توليت منصبي، ولكن عليها أن تنفق أكثر بكثير. تنفق ألمانيا واحداً في المئة والولايات المتحدة ٤ في المئة والناتو يفيد...

...أوروبا أكثر بكثير مما يفيد الولايات المتحدة. وفق بعض الحسابات، تدفع الولايات المتحدة أكثر من ٩٠ في المئة من نفقات الناتو، وكثير من الدول لا تدفع أكثر من ٢ في المئة من نسبة التزاماتها. وعلاوة على ذلك، يبلغ الفائض التجاري للاتحاد الأوروبي مع الولايات المتحدة ١٥١ مليون دولار، وهناك عوائق تجارية كبيرة على البضائع الأميركية. كلا!

كررت هذه التغريدات فحوى الكلام الذي قاله ترامب لستولتنبيرغ وغيره، ولكنها كانت المرة الأولى التي يراها كثيرون تُطرح على الملأ. وهناك المزيد من التغريدات في الطريق.

غادرنا على متن المروحية الرئاسية إلى قاعدة أندروز في الصباح الباكر من يوم الثلاثاء، حيث بدا ترامب مبتهجاً حيال تسمية كافانو قبلها بيوم. قال ترامب: «العائلة تبدو بأبهى طلة». قبيل الركوب على متن المروحية، صرح ترامب للصحافيين المتجمعين، كدأبه دوماً في مثل هذه الظروف، مشيراً إلى أنه مع كل الاضطراب في الناتو والمملكة المتحدة، لقاؤه مع بوتين «قد يكون الأسهل بين كل اللقاءات. من كان ليتخيل؟»[1] ولكن في عدة أحاديث مع ترامب خلال الرحلة، بدا لي أنه ليس سعيداً لسبب ما. هبطت المروحية، وركب مع ٣ سفراء في بروكسل (سفير إلى بلجيكا، وآخر إلى الاتحاد الأوروبي، وثالث إلى حلف الناتو) في السيارة الرئاسية متجهين إلى بيت سفيرنا إلى بلجيكا، حيث كان يقيم. في السيارة، انتقد هتشيسون على مقابلتها في البرنامج الحواري يوم الأحد والذي دار حول حلف الناتو، قائلاً إنها بدت كسفيرة من إدارة أوباما. ثم أكمل ليتكلم حول الإنفاق غير المتوازي من قبل الحلفاء في حلف الناتو والعجز التجاري الظالم مع الاتحاد الأوروبي. لم أكن موجوداً في السيارة الرئاسية، ولكن يمكن لي تلاوة نص الكلام من ذاكرتي. لم تكن بداية مبشرة.

صباح يوم الأربعاء، توجهت كي أحيط ترامب مسبقاً بالنقاط الأساسية قبل موعد الفطور الذي سيجمعه بستولتنبيرغ ومستشاريه. دخل ترامب إلى غرفة طعام صغيرة في الطابق الثاني من المسكن، حيث كنا ماتيس وبومبيو وكيلي وهتشيسون وأنا ننتظره وقال: «أعرف أنه ليس لدي الكثير من الداعمين في هذه الغرفة». من ثم مضى لينتقد حلف الناتو. لم تكن بالإحاطة المجدية. ثم وصل ستولتنبيرغ، ودخلت أجهزة الإعلام إلى غرفة الفطور، فقال ترامب: «يدين لنا العديد (من حلفائنا في الناتو) بمبالغ مالية ضخمة. ما لبث هذا الوضع مستمراً منذ عقود». شرح ستولتنبيرغ الزيادة السنوية التي بلغت حوالى ٤٠ مليار دولار في إنفاق الدول الأعضاء في الناتو على الدفاع منذ تولي ترامب منصبه. أكمل ترامب قائلاً: «من المحزن جداً أن تعقد ألمانيا اتفاقية غاز ونفط ضخمة مع

(١) See Veronica Stracqualursi, "Trump says Putin meeting "may be the easiest of them all," https://www.cnn.com/2018/07/10/politics/trump-putin-meeting/index.html

روسيا. إننا نحمي كل هذه الدول، وهم يعقدون صفقة خط أنابيب. من المفترض أننا نحميكم ومع ذلك أنتم تدفعون كل هذه الأموال إلى روسيا... ألمانيا تتحكم بها روسيا تماماً. تدفع ألمانيا زهاء الواحد في المئة، ونحن ندفع أكثر من ٤ في المئة. ما لبث هذا الوضع يتواصل منذ عقود... سيتعين علينا فعل شيء ما، لأننا لن نحتمل ذلك. ألمانيا تأسرها روسيا»[١].

حاول ستولتنبيرغ أن يستهل الحديث عقب مغادرة الإعلام بالتعبير عن سروره لوجود ترامب في بروكسل. لم يكن ترامب راضياً، حيث قال إنه حتى الزيادات التي تحققت في إنفاق الدول الأعضاء في الناتو على الدفاع هي نكتة. كان منزعجاً جداً حيال الناتو وحيال الاتحاد الأوروبي. وتذمر مجدداً بخصوص المبنى الجديد الذي يضم مقر الناتو، إذ إن الأموال التي صُرفت عليه كان يمكن إنفاقها على الدبابات- نقطة سديدة، كحال العديد من النقاط التي طرحها ترامب، كان لها أهميتها ولكن غالباً ما يغطي عليها فيض الكلمات الأخرى. ثم تساءل لاحقاً عن سبب عدم بناء حلف الناتو خندقاً محصناً بتكلفة ٥٠٠ مليون دولار عوضاً عن بناء المقر، الذي قال إنه يمثل هدفاً يمكن ضربه وليس مقراً، بإمكان دبابة واحدة تدميره. أكمل قائلاً إن حلف الناتو هام جداً لأوروبا، ولكن قيمته بالنسبة إلى الولايات المتحدة أقل وضوحاً. إنه يؤيد الناتو بنسبة مئة في المئة ولكن أميركا تدفع أكثر مما هو منصف بالنسبة إليها. حاول ستولتنبيرغ بين الفينة والأخرى أن يتدخل ليرد، ولكن لم يتسن له فعل ذلك كثيراً. ولم يعتق ترامب المفوضية الأوروبية، إذ انتقد جان كلود يونكر (رئيس المفوضية الأوروبية) معتبراً إياه رجلاً شريراً يكره الولايات المتحدة للغاية. قال ترامب إن يونكر يضع ميزانية الناتو، ولكنه لم يشرح كيف يتم ذلك. شدد ترامب مجدداً على رغبته في تخفيض عوضاً عن زيادة دفعات الولايات المتحدة إلى نفس معدل دفعات ألمانيا، تماماً كما تناقشا سابقاً عبر اتصالهما الهاتفي. أعاد ترامب التأكيد على صداقته الشخصية مع ستولتنبيرغ، ولكنه عاد واشتكى من أن الجميع يدركون أنه يتم استغلالنا، بحيث ندفع مبالغ أكبر بكل الطرق، وهذا الأمر لن يستمر. في هذه المرحلة، حاول ماتيس أن يتفوه ببضع كلمات دفاعاً عن الناتو، ولكن ترامب أسكته.

أكمل ترامب كلامه متسائلاً، لمَ عسانا نخوض حرباً عالمية ثالثة نيابة عن دولة لا تدفع مستحقاتها مثل مقدونيا، من ثم اعترف بأن هذه الدولة لا تزعجه بقدر ألمانيا، التي تُعتبر دولة ثرية ولا تدفع ما يكفي. ثم انتقل ليشتكي من مستشاريه، قائلاً إننا لم نفهم المشكلة، على الرغم من أنه أخبرنا الحقيقة. من الواضح أن ترامب اعتقد بأن الطريقة الوحيدة لدفع الحلفاء إلى

(١) See "Remarks by President Trump and NATO Secretary General Jens Stoltenberg at Bilateral Breakfast," July 11,2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-nato-secretary-gene ral-jens-stoltenberg-bilateral-breakfast/

الإنفاق أكثر هي بجعلهم يعتقدون أن الولايات المتحدة ستنسحب من الناتو، وهو أمر لم يزعجه، لأنه لا يجد حلف الناتو مفيداً لأميركا. حاول ستولتنبيرغ التدخل مجدداً، ولكن ترامب أكمل قائلاً إن كثيراً من الدول الأعضاء في الناتو لا تدفع، وكرر خشيته من دخول الولايات المتحدة حرباً عالمية ثالثة نيابة عن واحدة منها. أكمل في الموضوع نفسه متسائلاً لمَ عسى الولايات المتحدة تحمي دولاً مثل ألمانيا، وتتحمل نتيجة ذلك حصة غير متكافئة من نفقات الناتو. ظل يكرر سؤاله عن سبب قيام الولايات المتحدة بالدفع، مشتكياً من أن الحلفاء يتضاحكون خلف ظهورنا في غياب الولايات المتحدة، مستهزئين بمدى غبائنا. ثم تطرقنا إلى مسألة أوكرانيا والقرم، فتساءل ترامب عما لو لم تقم روسيا بإنفاق الكثير من المال في القرم، وهو أمر ما كان ليسمح لهم بفعله، رغم أن أوباما سمح بذلك. تساءل ترامب قائلاً لمَ عسى الولايات المتحدة تخاطر بخوض حرب؟، فأجابه ستولتنبيرغ قائلاً إن مسألة أوكرانيا مختلفة، نظراً إلى أنها ليست عضواً في حلف الناتو. أجاب ترامب قائلاً إن أوكرانيا دولة فاسدة جداً، ثم أخيراً وصل الفطور إلى نهايته. طمأن ستولتنبيرغ بأنه يقف تماماً إلى جانبه، مشيراً إلى أنه كان قد أيّد تمديد فترة ولايته كأمين عام لحلف الناتو. مع ذلك، يتعين على الحلفاء الآخرين أن يدفعوا الآن، وليس على فترة ٣٠ سنة، وبأي حال سينخفض إنفاقنا إلى مستوى إنفاق ألمانيا. في تلك المرحلة، التفت ماتيس إلي وقال بصوت خافت: «أمسى الوضع سخيفاً جداً»، وبعدها بقليل قال ترامب إنه سيطلب من الجنرال ماتيس عدم إنفاق المزيد من الأموال على الناتو. قال ستولتنبيرغ ختاماً إننا متوافقون حول الرسالة الأساسية.

يا له من فطور! هل يمكن أن يزداد اليوم سوءاً؟ نعم. توجهنا في موكب سيارات إلى مقر حلف الناتو الذي أزوره للمرة الأولى. وحتماً بدا المبنى مزخرفاً هندسياً، وعلى الأغلب ينعكس ذلك في تكلفته. تم الاستهلال بمراسيم افتتاح القمة، وبسبب التقلبات في توزيع أماكن الجلوس، جلست بقرب جيريمي هنت، في يومه الثاني من الوظيفة كوزير خارجية للمملكة المتحدة. لدى مشاهدة القادة يتخالطون من أجل «الصورة العائلية» الضرورية قال: «يتبادل بعض القادة أحاديث صغيرة، والبعض الآخر لا يفعلون؛ بوسعك أن تعرف في غضون دقيقة من يكونون»، إنها فكرة ملفتة. بعد المراسم، افتُتحت الجلسة الأولى لمجلس شمال الأطلسي حيث أعلن ستولتنبيرغ تبني مسودة البيان وغيرها من وثائق القمة، وهي نقطة صغيرة هنا، ليس كالحال في مجموعة الدول الصناعية السبع، وذلك بسبب التخطيط المسبق. شكراً. كان ترامب المتكلم الأول. خطابه الافتتاحي الذي وضعه بعناية كَتَبة خطاباته، بمساعدة مني ومن آخرين، أتى بسيطاً وودياً، عن عمد.

أول لقاء ثنائي لترامب جمعه بميركل التي قالت بخفة: «لم نخضع بعد لسيطرة روسيا الكاملة

علينا»[1]. سألتُ عن بوتين، ولكن تفادى ترامب الإجابة قائلاً إنه ليس لديه جدول أعمال. عوضاً عن ذلك، أراد التكلم من جديد حول التعرفات الجمركية المرتفعة التي كان يدرس فرضها على الواردات الأميركية من سيارات وشاحنات، وهذا قد يوجه لطمة قوية لألمانيا، مشتكياً كدأبه دوماً من أن التعرفات الجمركية الحالية لألمانيا على السيارات الأميركية أعلى بأربعة أضعاف من تعرفاتنا على سياراتهم. ثم التقى بماكرون، الذي اتهمه ترامب بتسريب أحاديثهما دوماً، فأنكر ذلك ماكرون راسماً على وجهه ابتسامة عريضة. فابتسم ترامب كذلك، ناظراً إلى ماتيس وكأنه يشير إلى مصدر التسريبات من الجهة الأميركية. أراد ماكرون معرفة الغاية النهائية لترامب في الحروب التجارية مع الصين والاتحاد الأوروبي، ولكن ترامب قال إن هذا غير مهم. بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي، قال إنه يعتقد بأن الأمر سيقتصر على التعرفات الجمركية على السيارات والشاحنات التي يُرجّح أن تبلغ ٢٥ في المئة، من ثم انتقل ليتكلم عن جان كلود يونكر، الذي برأيه يكره أميركا. لايزال ماكرون يرغب في عقد «صفقة واسعة» مع إيران، تماماً كما تناقشا في شهر نيسان/أبريل، ولكن بدا ترامب غير مهتم بذلك. وبعد ذلك، ذهبنا في موكب سياراتنا إلى وسط مدينة بروكسل. تركت مقعدي في عشاء القادة لهتشيسون تلك الليلة، كبادرة لطيفة مني لقاء ما خاضته. كما أنني ضقتُ ذرعاً. وبدا أن الأمور تستقر.

غير صحيح. غادرت الفندق في الساعة السابعة و٤٥ دقيقة صباح الخميس للقاء ترامب، ولكنه اتصل بي إلى السيارة قبل أن أصل ليسألني: «هل أنت جاهز للعب في الدوري الكبير اليوم؟ هذا ما أود قوله»، ثم أكمل ليملي التالي: «إننا نكّن احتراماً بالغاً للناتو، ولكننا نُعامل بإجحاف. بحلول الأول من كانون الثاني/يناير، على كل الدول أن تلتزم بإنفاق نسبة ٢ في المئة، وسنعفو عن المتأخرات، وإلا فسننسحب، ولن ندافع عن أولئك الذين لم يدفعوا. طالما أننا لسنا متفقين مع روسيا، لن نشارك في ناتو تدفع دوله المليارات إلى روسيا. سننسحب إن عقدوا اتفاقية خط الأنابيب». لم يكن هذا الكلام مصقولاً بإتقان، ولكن بدا الاتجاه واضحاً. وفيما رحت أتساءل ما إذا كنت سأستقيل بنهاية اليوم، انقطع الاتصال. فكرت بيني وبين نفسي أن لدي ١٠ دقائق إلى أن أقابل ترامب، حتى أتفكر خلالها في ما يجدر بي فعله. فاتصلت بكيلي، وشرحت له الوضع، وقلت له، إنه خلافاً لخططه، عليه أن يأتي إلى مقر الناتو. فلتتضافر كل الجهود. حينما وصلتُ إلى مقر السفارة، وجدت المساعد العسكري للرئيس (الذي يحمل «المحفظة» الشهيرة التي تضم شيفرات إطلاق الأسلحة النووية) وطلبت منه أن يجد ماتيس، الذي لم أتمكن من التواصل معه فوراً (من الجيد أننا لم نكن في

(١) كانت ميركل تعيد ما كانت قد قالته آنفاً لدى دخولها إلى مقر حلف الناتو، حيث بدا جلياً أنها سمعت بشأن الفطور الذي جمع ترامب بستولتنبيرغ. راجعوا

Steve Erlanger and Julie Hirschfeld Davis, "Trump versus Merkel: Blistering Salvo Meets Quiet Rejoinder," https://www.nytimes.com/2018/07/11/world/europe/germany-merkel-russia-trump-nato.html

حالة حرب). ولكن تبين أن ماتيس كان يجمعه لقاء مع ترودو في مقر الناتو. عندها انتابني حس من الفكاهة السوداء، فتساءلت ما إذا كان ماتيس ينشق. كان بومبيو ينتظر في المقر، فشرحت له مزاج ترامب: «سيهدد بالانسحاب اليوم». لحسن الحظ، تأخر ترامب كعادته، لذا رحنا نتفكر في ما يجدر بنا فعله، فخلصنا إلى أن لعبة كافانو لاتزال أفضل أسلوب نتبعه. وفكرنا أيضاً في تقليص مساهمة الولايات المتحدة في ميزانية تشغيل الناتو، الصندوق المشترك، لتساوي مساهمة ألمانيا، بحيث سنخفض حصة الولايات المتحدة الراهنة من ٢٢ في المئة إلى ١٥ في المئة.

دخل ترامب إلى الاجتماع الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وسأل: «هل تريدون أن تفعلوا شيئاً تاريخياً؟»، من ثم كرر ما قاله آنفاً: «سننسحب. لن نقاتل جهة يدفعون لها المال». ثم ذكر أنه لم يرغب في هتشيسون معه على العشاء. قال لي: «وجب عليك أن تتواجد في العشاء الليلة الفائتة». ثم أكمل ترامب ليقول: «أريد القول إننا سننسحب لأننا غير راضين البتة». وبعدها التفت إلى بومبيو وقال: «أريدك أن تنفذ ذلك».

ثم فجأة قال ترامب: «كيث كيلوغ [مستشار الأمن القومي لبنس] يعرف كل شيء عن الناتو. تعلمون أنني أردته كمستشار أمن قومي بعد ماكماستر. إنه لا يقدم أراءه أبداً ما لم أطلبها منه. وهو ليس مشهوراً لأنه لم يظهر قط على التلفاز. ولكن يروقني جون، لذلك اخترته». (تفكرنا بومبيو وأنا بالأمر لاحقاً، ووجدنا أن هذه العبارة تنبئنا بمن سيكون بديلي المحتمل بالضبط في حال استقلت قريباً. قلت: «بالطبع إن استقلتَ أنت، فربما كيث سيصبح وزير الخارجية». ثم ضحكنا. سكت بومبيو لوهلة ثم قال: «أو في حال استقلنا كلانا، يمكن لكيث أن يمسي كهنري كيسنجر ويحصل على الوظيفتين». فأطلقنا ضحكة عالية. كانت تلك أمتع لحظة في اليوم).

مع ترامب، قدمنا طرح كافانو بأقوى شكل ممكن، من ثم غادر كل منا إلى سيارته الخاصة به في موكب السيارات. تواصلت مع ماتيس في طريقي إلى مقر الناتو، فحررته من الجلسة العامة التي كانت تتطرق على ما يبدو إلى مسألتَي أوكرانيا وجورجيا، والتي بدأت بغياب ترامب، وأطلعته على الأمر.

حينما وصلنا توجه ترامب نحو مقعده الواقع بين ستولتنبيرغ وتيريزا ماي (تم إجلاس القادة حول طاولة مجلس شمال الأطلسي الضخمة بحسب الترتيب الأبجدي للدول). أشار لي ترامب بيده وسأل: «هل سنفعلها؟» ألححت عليه ألا يفعلها، قائلاً له إن عليه تأنيب الدول الأعضاء المقصرة لعدم إنفاقها كما ينبغي على الدفاع ولكن لا يجدر به التهديد بالانسحاب أو تخفيض التمويل الأميركي. أنهيتُ كلامي بالقول: «إذن، إذهب إلى الحد الفاصل ولكن لا تتجاوزه». هز ترامب إذ ذاك رأسه إنما لم يتفوه بكلمة. عدتُ إلى مقعدي دون علم مني بما سيقوم به. شعرت وكأن كل من في الغرفة ينظرون إلينا. تكلم ترامب في حوالى الساعة التاسعة و٢٥ دقيقة لمدة ١٥ دقيقة، ولم يأت على ذكر

مسألتَي أوكرانيا وجورجيا، وإنما استهل كلامه بالقول إنه يرغب في تسجيل شكوى. أشار إلى أن الوضع صعب، لأن كثيراً من الأشخاص في الولايات المتحدة يشعرون بأن الدول الأوروبية لا تدفع حصتها العادلة، التي يجب أن تبلغ ٤ في المئة (على عكس ما تنص عليه اتفاقية كارديف لعام ٢٠١٤ التي تحدد النسبة بـ٢ في المئة). قال ترامب: «طيلة سنوات كان الرؤساء الأميركيون يأتون ويشتكون، ولكن ما يلبثون أن يغادروا دون أن يحصل أي شيء، على الرغم من أننا ندفع ٩٠ في المئة. كانت تتم المماطلة بنا، ولم يتم فعل الكثير. تعتبر الولايات المتحدة حلف الناتو مهماً، ولكنه أهم لأوروبا، وهي بعيدة». كان يكنّ احتراماً شديداً للمستشارة ميركل، مشيراً إلى أن والده كان ألمانياً ووالدته اسكتلندية. تذمر قائلاً: «ألمانيا تدفع ١٫٢ في المئة فقط من ناتجها المحلي الإجمالي. وسترفع إنفاقها إلى ١٫٥ في المئة فقط بحلول عام ٢٠٢٥. ٥ فقط من بين ٢٩ دولة عضواً في الناتو تدفع حالياً ٢ في المئة». لو لم تكن هذه الدول غنية، اعترف ترامب، كان ليتفهم الأمر. ولكنها غنية. أضاف قائلاً إن الولايات المتحدة ترغب في مواصلة حماية أوروبا. ولكن ما لبث أن انحرف حديثه نحو موضوع متشعب يتعلق بالتجارة والاتحاد الأوروبي، وبرأيه وجب ربط هذا الموضوع مع موضوع الناتو لأهداف تحليلية. لا يقبل الاتحاد الأوروبي بالمنتجات الأميركية، وهذا أمر لا يمكن للولايات المتحدة أن تسمح باستمراره، ولكن وحدها ألبانيا عالجت هذه المسألة خلال العشاء الليلة الفائتة. وهذا كله يتركنا في الموقع نفسه الذي ما لبثنا عليه من ٤ سنوات. اختلف ترامب في الرأي مع الأوروبيين في بعض الأمور، مثل الهجرة وافتقار الاتحاد الأرووبي للسيطرة على حدوده. فأوروبا تسمح للناس بالدخول إلى دولها، وهؤلاء الأشخاص قد يكونون مقاتلين أعداء، خصوصاً وأن غالبية الوافدين هم من الشبان.

وراح يكمل حديثه. حيث كرر ترامب مجدداً أنه يكنّ احتراماً بالغاً لحلف الناتو وللأمين العام ستولتنبيرغ. تذمر من أن الدول الأعضاء في الناتو أرادت معاقبة روسيا، بينما ستدفع ألمانيا لروسيا مليارات الدولارات مقابل خط أنابيب «نورد ستريم ٢»، وبالتالي هم يطعمون الوحش، وهي قصة كبيرة في الولايات المتحدة. يرى ترامب أن روسيا تستغفلنا جميعاً، حيث ندفع المليارات لأجل خط أنابيب جديد، ولا يجدر بنا أن نسمح بحدوث ذلك[1]. تريد الولايات المتحدة عقد شراكة متينة مع أوروبا، ولكن يجدر بالحلفاء أن يدفعوا حصتهم؛ إذ قال: «ألمانيا على سبيل المثال، يمكنها أن تحقق هدف تسديد نسبة الـ٢ في المئة الآن، لا أن تنتظر حتى العام ٢٠٣٠»، مسمياً ميركل بالاسم وسط الغرفة الرحبة. ثم أضاف: «تقع الولايات المتحدة على بعد آلاف الأميال، بينما ألمانيا على سبيل المثال لا تساعد في مسألة أوكرانيا. على أي حال، أوكرانيا لم تساعد الولايات المتحدة، بل ساعدت أوروبا، وتُعتبر حداً لأوروبا مع روسيا». بالعودة إلى نقطة مشاطرة الأعباء، أعرب ترامب عن رغبته في أن يستوي كل الحلفاء هدف دفع نسبة الـ٢ في المئة الآن، وهذا الهدف لا تحققه سوى ٥ من أصل

(١) كانت هذه ملاحظات أدلى بها ترامب آنفاً بشكل علني. راجعوا المصدر السابق.

٢٩ دولة فقط، حتى من بين أثرى الدول، وحتى بين دول صديقة مثل فرنسا. أضاف ترامب إنه لا يريد أن يرى تقارير صحافية تصدر عن قمة الناتو هذه تفيد بأن كل الأطراف سعداء. في حين أنه هو ليس سعيداً، لأنه يتم التلاعب بالولايات المتحدة. ثم استفاض أكثر وأكثر بالكلام.

ثم حينما أوشك على الانتهاء من الكلام، أفاد ترامب بأنه يقف إلى جانب الناتو مئة في المئة، لا بل ألف مليون في المئة. ولكن يتعين على الحلفاء أن يسددوا نسبة الـ٢ في المئة بحلول الأول من كانون الثاني/يناير، وإلا فستقوم الولايات المتحدة بما ترتأيه مناسباً. ثم عاد ليتطرق إلى سبب عدم إعجابه بمبنى المقر حيث نجلس جميعاً، مكرراً أن قذيفة واحدة من دبابة قادرة على تدميره. وختم ترامب كلامه بالقول إنه ملتزم تماماً بحلف الناتو، ولكنه غير ملتزم بالوضع الحالي. يريد من الدول الأعضاء أن تدفع ما يمكنها دفعه، وليس على مدى ٤ أو ٦ سنوات، لأن الوضع الراهن غير مقبول بالنسبة إلى الولايات المتحدة. أراد تسجيل كلامه هذا.

لقد فعل ترامب ما أملت منه فعله، على الرغم من أنه داس عدة مرات على ذاك الخط الذي لا يجدر به تجاوزه. ولكن على الرغم من الصدمة التي لفت أرجاء قاعة مجلس شمال الأطلسي الرحبة، كان ترامب قد أسلف القول إنه يدعم حلف الناتو، فصعّب بذلك على الحاضرين تأويل ملاحظاته على أنها تهديد مباشر بالانسحاب. لعل درجة الحرارة انخفضت. حينما يسأل الناس عن سبب بقائي في الوظيفة طيلة تلك المدة، فهذا كان أحد الأسباب.

بعد بضع دقائق، أتت ميركل لتتكلم مع ترامب في مقعده، مقترحةً أن يعقد ستولتنبيرغ «طاولة مستديرة» غير رسمية حيث يتسنى للجميع فرصة التفاعل مع قاله ترامب. خلال الاجتماع، وصفت مختلف الحكومات مشاكلها السياسية المحلية، وكأن علينا أن نشعر بالأسى عليهم أو كأننا نحن أنفسنا ليس لدينا أية مشاكل سياسية محلية. أشار رئيس الوزراء الهولندي مارك روتي إلى أبرز نقطة، حيث شدد على أنه لطالما قال إن ترامب كان محقاً، وإنه غرس حس الاستعجال مذ تسلم منصبه. أضاف روتي قائلًا: «بالمقابل، وكما بات الأوروبيون الآن يفهمون، مع أوباما هدف دفع نسبة ٢ في المئة كان صورياً تماماً». لقد تغير الزمن. بدا جلياً أنه فهم الرسالة. صدر أتفه تعليق عن رئيس وزراء جمهورية التشيك، حيث أشار إلى أنه يبذل كل جهده لبلوغ هدف تسديد ٢ في المئة بحلول العام ٢٠٢٤، ولكن الناتج المحلي الإجمالي لبلده يرتفع بسرعة شديدة، وهو ليس واثقاً ما إذا كان الإنفاق على الدفاع يمكن أن يجاريه. في الواقع، كلامه هذا يعني أنهم يحققون الثراء بوتيرة سريعة جداً تمنعهم من الدفاع عن أنفسهم بالشكل المناسب. تلقف ترامب هذا التعليق قائلاً إن لديه مشكلة مشابهة وإنما أكبر حجماً بكثير بسبب النمو الاقتصادي الأميركي. قال إن الوضع غير منصف وغير قابل للاستدامة، ويجدر وضع حد له، حيث على الحلفاء أن يتحملوا مسؤولياتهم، وإلا فستقع المشاكل. شرح ترامب أن قصة «نورد ستريم» تشكل القصة الأكبر في واشنطن. يقول الناس إن

ألمانيا استسلمت لروسيا (وحتماً هذا ما كان يقوله هو بطبيعة الحال). تساءل ترامب قائلاً: «كيف يمكن لنا الدفاع عن أنفسنا في وجه الروس، إن لم يدفع الحلفاء تكاليف ذلك؟» أعرب ترامب عن حبه لهنغاريا وإيطاليا، ولكن من غير المنصف للولايات المتحدة ألا تدفعا حصتهما المتوجبة عليهما. إن الولايات المتحدة تحمي دولاً لا يُسمح لها بإجراء تبادل تجاري معها. ثم لم يعد لديه ما يضيفه، ولكنه شدد مجدداً على وجوب الخلوص إلى نتيجة مُرضية، وبعدها ستمسي الولايات المتحدة شريكاً ممتازاً. قال ترامب إنه لم يود أن يسيء لبلاده بالقول إننا كنا في غاية الغباء، لقيامنا مثلاً بإنفاق المال لحماية «نورد ستريم».

كان ترامب يساوم مباشرة القادة العالقين داخل قاعة، من دون أن تكون لديهم نصوص مُعدّة مسبقاً. بدا مشهداً ملفتاً. قال بعض القادة إنه لا يسعهم قبول ما يطلبه ترامب من ناحية نسبة الإنفاق على الدفاع لأن هذا يتناقض مع البيان الذي تم تبنيه مسبقاً، والذي نقلتُ لستولتنبيرغ أنه سيكون غلطة حقيقية. وافقني الرأي وساعد في التصدي لهذه المشكلة، ولكن بدا جلياً أن الأمور في حالة يُرثى لها. سأل رئيس وزراء كندا، ترودو قائلاً: «يا جون، هل هذه المسألة ستنفجر أيضاً؟» فأجبته: «بقي لدينا متسع من الوقت، أي ضير عساه يقع؟» وضحكنا كلانا. أعطيتُ لترامب ورقة عليها ملاحظة تتعلق بتخفيض إنفاق الولايات المتحدة على الصندوق المشترك، ونقلها إلى ستولتنبيرغ، الذي شحب وجهه حينما رآها. ولكن على الأقل، بات هذا الأمر مطروحاً أيضاً على الطاولة. بعد بضعة تعليقات إضافية من الحاضرين، انتهى الاجتماع، وانتقلنا للتحضير للمؤتمر الصحافي الختامي لترامب، والذي كان هادئاً مقارنة مع مؤتمر سنغافورة. قدم ترامب نفحة إيجابية عن أحداث اليوم. والنتيجة كانت واضحة لا لبس فيها: تتوقع الولايات المتحدة من حلفائها في حلف الناتو أن يكونوا على قدر التزاماتهم التي وعدوا بها بشأن الإنفاق على الدفاع. لا بد وأنها بدت جملة غير ملفتة، ولكن كم استنفدنا من جهد كي نصل إلى هذه الجملة العادية! فعلاً، هذا حتماً ليس عهد رئاسة أوباما. عرّج ترامب على المؤتمر الذي استأنفه القادة للتطرق إلى موضوع أفغانستان وذلك لإعطاء بعض الملاحظات المحضّرة مسبقاً، لافتاً أيضاً إلى الروحية العالية التي برأيه تتنامى في حلف الناتو. ولكن اضطررنا عندها إلى الضغط عليه كي يتوجه إلى المطار، كما هو مقرر بصورة أو بأخرى، قبل أن تصبح زحمة السير في بروكسل أكبر مما هي عليه أصلاً. لدى مغادرتنا، كانت ميركل تتكلم. توجه ترامب إليها كي يودعها، فنهضت كي تصافحه. ولكن عوضاً عن مصافحتها، قبّلها ترامب على وجنتيها، قائلاً: «أحب أنجيلا». فعلا التصفيق في القاعة، وغادرنا وسط وقوف الحاضرين وتصفيقهم الحار. تلك الليلة، غرّد ترامب قائلاً:

> حققنا نجاحاً باهراً اليوم في اجتماع حلف الناتو! مليارات الدولارات الإضافية دفعتها الدول الأعضاء منذ انتخابي. روحية عالية!

كان اجتماعاً شيقاً، ولكن بعث الناتو ترامب للقاء بوتين في هلسنكي مسنوداً بتحالف موحد بشكل علني، عوضاً عن مفاقمة خطورة وضعنا الصعب جداً من الأصل والذي يشمل مستقبل حلف الناتو نفسه.

لندن

حلقت الطائرة الرئاسية إلى مطار ستانستيد في لندن، حيث استقللنا المروحية الرئاسية للتوجه إلى وينفيلد هاوس، مقر سفيرنا. من ثم توجهنا في موكب السيارات إلى فندقنا كي نغير ملابسنا ونرتدي الهندام الرسمي، وعدنا بسرعة إلى وينفيلد هاوس، وتوجهنا بالطوافة إلى قصر بلاينهايم، حيث كانت تقيم رئيسة الوزراء ماي مأدبة العشاء. بُني قصر بلاينهايم المميز لمكافأة جون تشرشل، دوق مارلبورو، على نصره عام ١٧٠٤ على جيوش لويس الرابع عشر في حرب الخلافة الإسبانية، مما جعل من بريطانيا دون جدال واحدة من القوى العظمى في العالم آنذاك. قيل لنا إنه المبنى البريطاني الوحيد الذي شُيد على طراز «قصر» ولا تملكه العائلة المالكة. وُلد ونستون تشرشل هناك، وهو يتحدر مباشرة من الدوق الأول. مراسم الوصول التي أداها الجنود ذوو السترات الحمراء والفرقة العسكرية عند غروب الشمس كانت من أروع ما يكون، وكذلك كان الفضاء الداخلي للقصر الرحيب. جلسنا سيدويل وأنا حول الطاولة الرئيسية إلى جانب القادة وأزواجهم، ودوق مارلبورو الحالي وسفيرَي المملكة المتحدة والولايات المتحدة وزوجتيهما. أمكن لي البقاء لبعض الوقت، ولكن كان الطقس على وشك التحول إلى غائم. إما نعود بالطوافة إلى لندن في الساعة العاشرة والنصف مساء، وإلا لن يكون هنالك سبيل لمعرفة موعد عودتنا. حان وقت المغادرة! إلى اللقاء!

استُهل اليوم التالي، الجمعة في ١٣ من الشهر، بقصص في الصحافة تدور حول مقابلة أعطاها ترامب في بروكسل لصحيفة صن، ينتقد فيها بشكل أساسي استراتيجية البريكست لماي. برأيي كانت الاستراتيجية في حالة سقوط حرّ على أي حال، ولكن كما يقال في لندن من المزعج أن يحدث ذلك بينما كان الزعيمان يلتقيان لإظهار تفعيل العلاقات الخاصة بين البلدين، كما يُفترض. شكلت البريكست مسألة وجودية بالنسبة إلى المملكة المتحدة، ولكنها حملت أهمية حاسمة كذلك بالنسبة إلى الولايات المتحدة. الدافع الأساسي لخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي كان الفقدان المتسارع لسيطرة المواطن العادي على آليات عمل الاتحاد الأوروبي الذي يتخذ من بروكسل مقراً له. راحت البيروقراطيات تضع شروطاً يتعين على البرلمانات الوطنية تقبلها بشكل ملزم، وباتت خسارة السيادة الديموقراطية ملموسة بشكل متزايد. ولكن المثير للسخرية، أنه بالنسبة إلى البريطانيين كانت بروكسل بمثابة جورج الثالث الجديد: ماكينة نائية (سياسياً إن لم يكن جغرافياً)، غير قابلة للمحاسبة، وقمعية نبذتها غالبية الناخبين البريطانيين في العام ٢٠١٦، فأنهت ٤٣ سنة من العضوية

في الاتحاد الأوروبي. ولكن نتيجة التصويت أُسيء تطبيقها بشكل كارثي، مما هدد الاستقرار السياسي في بريطانيا نفسها. وجب علينا أن نفعل المزيد لمساعدة المؤيدين لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وأنا حتماً حاولت فعل ذلك. لسوء الحظ، عدا عن ترامب وأنا، بدا أن أحداً في الإدارة لا يعبأ. يا لها من مأساة محتملة!

توجه الوفد الأميركي بالطوافة إلى ساندهيرست، الأكاديمية العسكرية البريطانية، حيث تقيم وزارة الدفاع تدريباً مشتركاً بين القوات الخاصة الأميركية والبريطانية يتمحور حول القضاء على معسكر إرهابيين. اعتذر ترامب من ماي خلال إلقائه التحية عليها، وهي تناست حادثة الصحافة. كان التدريب صاخباً وملفتاً، فلفت بشكل جلي اهتمام ترامب. فأنبتُ نفسي على حقيقة عدم قيام أحد ما على مدى الثمانية عشر شهراً الفائتة بأخذ ترامب إلى تدريب أميركي. لو أنه رأى مثل هذه الأمور من قبل، لكنا ربما أنقذنا المناورات الحربية في شبه الجزيرة الكورية. من ساندهيرست، توجهنا بالطوافة إلى تشيكيرز، المنزل الريفي الذي تمضي فيه رئيسة الوزراء البريطانية عطلة نهاية الأسبوع، من أجل عقد لقاءات العمل الأساسية في الزيارة.

انضم جيريمي هنت وآخرون إلى ماي وسيدويل، وبدأنا الاجتماع أمام مدفأة وسط غرفة معيشة مركزية تتألف من طابقين. بعد البدء بمسألة اليمن، وهي هوس بريطاني، انتقلت ماي للتطرق إلى مسألة سوريا، وتحديداً إلى كيفية التعامل مع الوجود الروسي هناك، مؤكّدة أن بوتين يقدّر فقط القوة، آملة على ما يبدو أن ترامب سيولي الاهتمام. شرحت ما قاله لي بوتين قبل بضعة أسابيع (أنظر أعلاه) بشأن العمل لإخراج إيران من سوريا، الأمر الذي كان البريطانيون يشككون فيه. قلت: «أنا لا أشهد على مصداقية بوتين»، وردت ماي على ذلك بالقول: «حسناً، لم نتوقع ذلك منك أنت على وجه الخصوص يا جون!» ليسود الضحك في المكان بعدها.

قادنا ذلك إلى الحديث عن محاولة قتل روسيا لسكريبال (وهو ضابط استخبارات روسي سابق منشق) وابنته[1]، ووصفها سيدويل بالهجوم بأسلحة كيميائية على قوة نووية. فسأل ترامب: «أوه، هل انتم قوة نووية؟»، وقد أيقنت أنه لم يقصد المزاح بقوله هذا.

سألت ماي عن سبب قيام الروس بذلك، فقال ترامب إنه طرح السؤال نفسه الليلة الفائتة في بلاينهايم، معتقداً أن الهدف قد يكون بعث رسالة. اعتقدت ماي أن الهدف من الهجوم هو إثبات أن روسيا يمكنها معاقبة المنشقين والمتمردين دون أن تتعرض لعقاب، لكي تروعهم هم وأمثالهم. أكدت على ترامب أنه حينما يتوجه إلى هلسنكي، يجدر به الدخول إلى الاجتماع من موقع القوة، فوافقها

(١) See "Statement from the Press Secretary on the Expulsion of Russian Intelligence Officers," March 26, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-state mentsstatement-press-secretary-expulsion-russian-intelligence-officers/

ترامب الرأي، مدعياً أن بوتين طلب الاجتماع (على عكس الحقيقة)، وأكد لها أنه لن يتنازل عن أي شيء. (تناهى إلى علمي آنفاً أن وزارة العدل كانت تعلن إدانة مولر لـ١٢ ضابطاً روسياً في مديرية الاستخبارات الرئيسية الروسية جراء التدخل في الانتخابات[١]، ووجدت أنه من الأفضل إعلان ذلك قبل القمة، لكي يتفكر فيه بوتين).

خلال غداء العمل الذي أعقب الاجتماع، ناقشنا متاعب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ورأي ترامب بالمفاوضات مع كوريا الشمالية، ثم زيارة ترامب إلى الصين في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧. قال: «لقد استقبلني ١٠٠ ألف جندي. كان أمراً لا نظير له في تاريخ العالم». خلال المؤتمر الصحافي الختامي، بذل ترامب مجهوداً مضاعفاً لإخماد العاصفة النارية التي تسببت بها مقابلته مع صحيفة صن، والتي دفعت بالصحافة البريطانية إلى وصف هذا المجهود بـ «التراجع التام»، وحتماً بدا كذلك. وصف ترامب العلاقات بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بأنها «أعلى مستوى من العلاقات الخاصة»، وهي فئة جديدة من التصنيف[٢]. بعد أن استقللنا المروحية الرئاسية للعودة إلى وينفيلد هاوس، توجهنا بالطوافة إلى قصر وندسور لكي تلتقي عائلة ترامب بالملكة إليزابيث، وقد شمل ذلك المزيد من مظاهر الأبهة، وعدداً أكبر من الجنود ذوي المعاطف الحمراء والفرق الموسيقية. استعرض ترامب والملكة حرس الشرف، والتقيا لمدة ساعة تقريباً (إلى جانب السيدة الأميركية الأولى). أما نحن البقية فقد احتسينا الشاي وتناولنا شطائر صغيرة برفقة أفراد العائلة الملكية، وقد كان لقاء أنيقاً جداً وإنما صعب على البعض منا غير المتمرسين في اللياقات الملكية. ثم عدنا إلى المروحية الرئاسية، متوجهين إلى ستانستيد وركبنا على متن الطائرة الرئاسية متجهين إلى اسكتلندا، لنبيت في منتجع الغولف (ترامب ترنبيري).

يتسم المنتجع الذي يقع عند مصب نهر كلايد بالرحابة، وتجمع عدد كبير منا خارجه للتمتع بالإطلالة، إلى أن عمد شخص يستقل آلية خفيفة للغاية، وهي أشبه بدراجة لها جناحان ملحقان بها (تبين لنا لاحقاً أنه متظاهر من منظمة غرينبيس)، إلى التقدم نحونا بدراجته حاملاً راية تنعت ترامب «بالشخص دون المستوى». أسرعت عناصر الاستخبارات السرية بنقل ترامب إلى الداخل، وكذلك كل الباقين باستثنائنا كيلي وأنا، حيث بقينا لسبب من الأسباب في الخارج لمشاهدة هذه الأداة الخرقاء وهي تقترب منا أكثر فأكثر. أخيراً قرر عناصر الاستخبارات السرية وجوب توجهنا كيلي وأنا أيضاً إلى الداخل. كان خرقاً أمنياً كبيراً، ولكن لحسن الحظ كان مسلياً فحسب.

(١) See Mark Mazzetti et al., "12 Russian Agents Indicted in Mueller Investigation," https://www.nytimes.com/2018/07/13/us/politics/mueller-indictment-russian-intelligence-hacking.html

(٢) See "Remarks by President Trump and Prime Minister May of the United Kingdom in Joint Press Conference," July 13, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-prime-minister-may-united-kingdom-joint-press-conference/

مكثنا في ترنبيري حتى يوم الأحد، حيث مارس ترامب لعبة الغولف، وأجرينا عدة اتصالات مع رئيس الوزراء الإسرائيلي، نتنياهو. تمحور الموضوع الأساسي حول اللقاء الأخير الذي جمع نتنياهو ببوتين، وتحديداً ما ناقشاه بخصوص سوريا. كما أشار في اجتماعه السابق معي، أخبر بوتين نتنياهو بأن إيران يجب أن تغادر سوريا، قائلاً إنه يشاطرنا هدفنا، ولكن الأسد لديه مشاكل تمنع بوتين من دفعه للضغط على الإيرانيين؛ الأسد، بالطبع، يعتمد على القوات الإيرانية لإحراز تقدم في إدلب ضد المعارضة السورية والعديد من الجماعات الإرهابية. التعامل مع إدلب شيء، ولكن ليس ثمة عذر للأسد لاستيراد منظومات أسلحة لا يمكن أن تُستخدم إلا لتهديد إسرائيل. قال بوتين إنه يتفهم ذلك، ولكن لم يتمكن من إعطاء أية وعود. اعتقدت إسرائيل عن حق أن الولايات المتحدة متوجسة أيضاً من التواجد المستمر لإيران في سوريا، وقد قال بوتين كذلك إنه يتفهم ذلك، حتى لو كان لا يوافق عليه. ضغط نتنياهو على بوتين من أجل «حدود دائمة» على مرتفعات الجولان، وهو هدف قديم لإسرائيل، حيث تقف سوريا من جهة وإسرائيل من الجهة الأخرى، وهذا يعني بالنسبة إلي، إزالة قوة فض الاشتباك التابعة للأمم المتحدة ومناطق الفصل، والعودة إلى ترسيم «عادي» للحدود. كانت إسرائيل قد ضمت منذ أمد بعيد مرتفعات الجولان وأرادت تسوية ذاك الواقع، وبالتالي تطبيع وضع الحدود سيمثل خطوة مهمة. شككت بأن يثير ترامب هذه المسألة بالتحديد مع بوتين، إذ تتضمن تفاصيل دقيقة لم يسبق لترامب الخوض فيها.

غادرت الطائرة الرئاسية مطار بريستويك عند منتصف العصر من يوم الأحد، في ١٥ تموز/يوليو، متجهة إلى هلسنكي. كان ترامب يشاهد مباراة كرة قدم من كأس العالم في موسكو حينما حاولت إطلاعه على مسائل الحد من التسلح التي قد نناقشها مع بوتين. شرحت له سبب كون معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية الجديدة (ستارت الجديدة) التي عقدها أوباما وانتقدها ترامب خلال الحملة الانتخابية للعام ٢٠١٦، كارثية وهي حتماً ليست بالشيء الذي نود تمديده لخمس سنوات أخرى، وهذا ما ترغب في فعله موسكو. بيّنتُ له أن السيناتورات الجمهوريين صوتوا ضد المعاهدة في العام ٢٠١٠ بهامش ٢٦-١٣، وأملت أن يكون ذلك مقنعاً لترامب. تكلمنا أيضاً حول معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى (وعن سبب رغبتي في الانسحاب منها) وعن برنامج دفاعنا الصاروخي الوطني (الذي قلت إنه لا يجدر بنا مناقشته مع الروس)، ولكني لم أصل بعيداً في كلامي. خلال كلامنا، لدى مشاهدة ترامب لكأس العالم، قال عن ماتيس، «هو ديمقراطي ليبرالي، تعلم ذلك، أليس كذلك؟» سألني ترامب ما إذا كنت أعرف مارك مايلي، رئيس أركان الجيش آنذاك، وقد كان سؤاله ملفتاً لأن مايلي كان «مرشحاً» ليكون رئيس هيئة الأركان المشتركة حينما تنتهي ولاية دانفورد في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩. ساد الاعتقاد في البنتاغون بأن ماتيس مصمم على منع تعيين مايلي. قلت لترامب إنه يجدر به أن يأتي بثلاثة أسماء على الأقل من وزارة الدفاع لشغل مناصب القيادة العسكرية ومناصب الأركان الهامة. جرت العادة لدى وصولي أن يقوم ماتيس

بإرسال اسم واحد لكل منصب، ووجدتُ أن ذلك يعكس تدهوراً كبيراً في السيطرة المدنية على السلك العسكري، وهي مسألة تابعتها خلال مدة تولي منصبي كمستشار للأمن القومي ولكن لم أحرز فيها سوى نجاح متفاوت.

تناقشنا ترامب وأنا كذلك في كيفية التعامل مع مسألة التدخل في الانتخابات مع بوتين، خصوصاً وأنه تم الإعلان الآن عن إدانة مولر لعملاء مديرية الاستخبارات الرئيسية الروسية. بما أننا لم نعقد مع روسيا معاهدة تسليم المجرمين، و«دستور» روسيا يمنع تسليم المجرمين على أي حال، فإن احتمالات تسليم هؤلاء المجرمين ضئيلة للغاية. استناداً إلى ذلك، نصحته بعدم مطالبة روسيا بفعل ذلك، كما اقترح الكثير من الديمقراطيين والجمهوريين. فطلب شيء نوقن أننا لا نستطيع الحصول عليه سيجعلنا نبدو عاجزين. عوضاً عن ذلك، اقترحت على ترامب أن يقول: «أتمنى لو يعودوا إلى الولايات المتحدة كي يثبتوا براءتهم»، وبدا أن هذا الكلام أعجبه. فقال ترامب: «يجب أن تنال التقدير على هذا!». أراد القول إنه لو كانت القرصنة الروسية في العام ٢٠١٦ خطرة جداً، وجب على أوباما أن يكون قد فعل المزيد حيالها، وكان هذا صحيحاً تماماً.

أعطيتُ لترامب ورقة كنت قد طلبت من مكتب المستشار القانوني في البيت الأبيض أن يصوغها، وتضم الورقة أوجه اعتراضنا على التدخل الروسي في الانتخابات. أجرى ترامب عدة تغييرات عليها، عاكساً عدم ارتياحه عموماً حيال الموضوع. ولأجل معالجة عدم الارتياح هذا تحديداً، طلبتُ الورقة. بمقدور ترامب أن يوضح فكرة معارضتنا الشديدة للتدخل في الانتخابات من خلال إعطاء بوتين الورقة، فيتفادى الحاجة إلى إجراء حديث مطول. في النهاية، قرر ترامب عدم استخدام الورقة. أراد مني أن أطرح مسألة التدخل في الانتخابات، وقلت إنني سأفعل ذلك خلال غداء العمل المقرر، ولكن من الجلي أنني لن أكون حاضراً في الاجتماع الانفرادي الذي سيجمعه ببوتين، والذي رغب فيه بشدة.

هلسنكي

هبطت طائرتنا في هلسنكي وتوجهنا بالسيارات إلى فندق كالاستاياتوربا (هيا، حاولوا لفظ اسمه). صباح يوم الإثنين، سرت عبر النفق متجهاً إلى المضافة في الفندق لإطلاع ترامب على النقاط التي سيناقشها خلال الفطور الذي سيجمعه بالرئيس الفنلندي، ساولي نينيستو. أول مرة سرت فيها عبر هذا النفق كانت في أيلول/سبتمبر ١٩٩٠ برفقة جيم بايكر، للمساعدة في تحضير جورج بوش الأب لاجتماعاته مع ميخائيل غورباتشيف، عقب اجتياح صدام حسين للكويت في شهر آب/أغسطس. خلال النهار، راح التلفزيون الفنلندي يعرض صوراً لا حصر لها للقمة التي ستجمع بين بوش وغورباتشيف، وهي على الأرجح المرة الأخيرة التي التقى فيها القادة الأميركيون بالقادة

الروس/السوفيات في هلسنكي. كنتُ من بين القلائل في حاشية ترامب الذين يتذكرون حتى تلك القمة، فما بالكم الذين حضروها. خلال اجتماعنا التحضيري الوجيز، تذمر ترامب غالباً من جيف سيشنز جراء تجاوزه الأخير، قائلاً «إنه فقد عقله». ثم تمحور نقاشنا الأساسي حول التدخل الروسي في الانتخابات. ظل ترامب، تماماً كما كان عليه منذ البداية، غير مستعد أو غير قادر على الاعتراف بأي تدخل روسي، لأنه اعتقد أنه في حال فعل ذلك فهذا سيقوّض شرعية انتخابه وروايته عن «صيد الساحرات» الذي يستهدفه.

انطلقنا في الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلى مجمّع مانتينييمي المجاور، منزل رئيس فنلندا، لتناول الفطور. على الرغم من أننا غطينا عدداً من المواضيع، إلا أن نينيستو أراد إبراز ٣ نقاط حول روسيا، النقطة الأولى هي كيفية التعامل مع بوتين. فقام نينيستو بتذكير ترامب بأن بوتين مقاتل، وبالتالي يجدر بترامب أن يرد الضربة في حال هوجم. النقطة الثانية، شدد نينيستو على أهمية احترام بوتين، وأنه في حال تم ترسيخ الثقة، قد يمسي أكثر سلاسة. أخيراً، ومجدداً كأننا نستعد لمباراة في الملاكمة، قام نينيستو بتنبيه ترامب إلى ضرورة عدم توفير أية ثغرة أو تقديم أي تنازل ولو كان طفيفاً. ثم ختم كلامه التحميسي بقول فنلندي يفيد، «القوزاق يأخذون كل ما هو سائب». أفاد نينيستو بأن فنلندا لديها جيش يبلغ عديده ٢٨٠ ألفاً، إن تم استدعاء الجميع[1]، موضحاً أن الثمن سيكون باهظاً إن تم غزو بلدهم. سأل ترامب ما إذا كانت فنلندا ترغب في الانضمام إلى حلف الناتو، فقدم نينيستو الجواب الفنلندي المعقد، حيث لم يجب بنعم أو كلا، وإنما ترك باب الجواب مفتوحاً. عاد نينيستو إلى كلامه التحميسي، فقال إن بوتين ليس غبياً ولن يهاجم دول حلف الناتو. رغم أن بوتين ارتكب خطأً في إثارة الصراع في دونباس، أوكرانيا، إلا أنه لا يعتقد بأن بوتين سيعيد القرم. ألقى ترامب باللوم على أوباما، ووعد بعدم قبول مثل هذا السلوك، مما أراحني بشدة، مؤكّداً أن بوتين ما كان ليتصرف بهذا الشكل لو أنه كان رئيساً آنذاك.

في كالاستاياتوربا، وصلنا خبر مفاده أن طائرة بوتين تأخرت في الإقلاع من موسكو، كعادته حيث يدأب على إبقاء ضيوفه منتظرين. أملت أن يدفع ذلك إلى إزعاج ترامب بما يكفي. فيتصرف بشكل أقسى مع بوتين. فعلاً فكرنا في إلغاء اللقاء برمته إن تأخر بوتين جداً، وقررنا أنه بأي حال سنجعل بوتين ينتظر لبعض الوقت في قصر فنلندا الرئاسي (حيث ستُقام القمة، كما في العام ١٩٩٠) بمجرد وصوله.

لقد تعرقنا بانتظار انتهاء اللقاء الانفرادي الطويل جداً، الذي استمر زهاء الساعتين. خرج

(١) See "Fearing Russian aggression, Finland tells 900K military reservists to be prepared 'in the event of war,'" https://nationalpost.com/news/world/fearing-russian-aggression-finland-tells-900k-military-reservists-to-be-prepared-in-the-event-of-war, which cites a figure of 285,000 army reservists.

ترامب في حوالى الساعة الرابعة والربع وأطلعنا كيلي وبومبيو وهانتسمان وأنا على مجريات اللقاء. حيث تمحور معظم الحديث حول سوريا، مع التركيز بشكل خاص على المساعدة الإنسانية وإعادة الإعمار (التي أرادت روسيا منا نحن ومن الغرب عموماً تمويلها)، وإخراج إيران. قال ترامب إن بوتين تكلم لوقت طويل، وهو أصغى إليه، وقد شكل هذا تغيراً في عادته. في الواقع، قالت المترجمة الفورية الأميركية لفيونا هيل وجو وانغ في وقت لاحق إن بوتين تكلم ٩٠ في المئة من الوقت (عدا عن الترجمة): كما قالت أيضاً إن ترامب طلب منها ألا تدوّن أية ملاحظات، لذا لم يسعها إحاطتنا بفحوى اللقاء إلا من خلال ذاكرتها المجردة. قال ترامب: إنه بدا جلياً أن بوتين يرغب في «الخروج» من سوريا وأن نتنياهو يروق له. أضاف ترامب أيضاً أن بوتين لا يبدو مهتماً كثيراً، بطريقة أو بأخرى، بانسحابنا من الاتفاق النووي الإيراني، رغم أنه قال إن روسيا ستبقى. بشأن المسائل التجارية مع الصين، علق بوتين على وضع الولايات المتحدة الصعب، فأجاب ترامب بأنه لا يملك خياراً. رغب بوتين من الولايات المتحدة أن تقوم بمزيد من المشاريع التجارية في روسيا، مشيراً إلى أن الاتحاد الأوروبي ينفذ مشاريع في روسيا أكثر من أميركا بعشرين مرة. النقطة الرئيسية هي أنه لم تُعقد أية اتفاقيات حول أي شيء، ولم تحصل أية تنازلات، ولم يحدث أي تغير حقيقي في السياسة الخارجية الجوهرية. مما أفرحني. وأراحني. لم يتم إحراز أي نجاح، ولكن هذا لم يزعجني على الإطلاق، لأنني لطالما رأيت هذه القمة برمتها كتمرين ضخم على الحد من الأضرار.

ثم تطرقنا لموضوع التدخل في الانتخابات، الذي قال ترامب إنه هو من بادر إلى طرحه. لسوء الحظ، كان بوتين قد جهز عرضاً مفاجئاً، حيث عرض أن تتم في روسيا محاكمة عملاء مديرية الاستخبارات الرئيسية الروسية الذين وُجهت إليهم الاتهامات للتو (يا لعمق التفكير!). وفق معاهدة غير محددة، مضيفاً أنه سيسمح لمحققي مولر بالقدوم للقيام بعملهم، شرط أن يكون هنالك معاملة بالمثل في ما يخص بيل براودر، وهو رجل أعمال تعرض محاميه في روسيا سيرغي ماغنيتسكي إلى الاعتقال والقتل من قبل نظام بوتين. جد براودر إيرل براودر كان يحتل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي الأميركي لعدة سنوات في الثلاثينات والأربعينات، حيث تزوج من مواطنة سوفياتية. الحفيد الرأسمالي للرجل، الذي بات اليوم مواطناً بريطانياً، قد حقق نجاحاً مالياً في روسيا، ولكن جريمة قتل ماغنيتسكي والإجراءات التي اتُخذت بحق استثماراته دفعته إلى إطلاق حملة دولية ضد موسكو. فحث الكونغرس على سن قانون يمكّن الولايات المتحدة من معاقبة منتهكي حقوق الإنسان الروس؛ وحذت عدة دول أخرى هذا الحذو. بحسب رؤية بوتين للأمر، قدم براودر لحملة هيلاري كلينتون الإنتخابية ولمؤسستها ولأجزاء أخرى من إمبراطوريتها الضخمة مبلغ ٤٠٠ مليون دولار، كان قد سرقها بشكل أساسي من روسيا، مما لفت اهتمام ترامب. كان كله كلاماً فارغاً، ولكن أبدى ترامب حماسة شديدة حياله. حاولتُ أن أخفف من حماسته، على الأقل إلى أن

أتمكن من اكتشاف المزيد حول المعاهدة التي طرحها بوتين. بدا ذلك أشبه بفخ، إن كان هنالك من فخ. من ثم اتجهنا إلى غداء العمل، والذي بات يبدو عشاء مبكراً.

طلب ترامب من بوتين أن يصف اللقاء الانفرادي الذي جمعهما. فقال بوتين إن ترامب بادر إلى طرح مسألة التدخل في الانتخابات، ثم أضاف أنه يأمل أن نتمكن من توفير تفسير مشترك للمسألة (أياً يكن ما قصده). قال بوتين إن علينا جميعاً أن نعد بعدم شن هجمات سيبرانية بعد الآن. طبعاً، هذا سيجدي نفعاً. ثم أكمل قائلاً إنهما تكلما حول أوكرانيا وسوريا وإيران وكوريا الشمالية، وقدم ترامب بضعة تعليقات، وبدا أن اللقاء كان برمته خالياً من الأحداث المهمة. تماماً كما وصفه ترامب آنفاً. تطرقا كذلك إلى موضوع الحد من التسلح، وإنما بشكل سطحي فقط. قررتُ أن أترك تلك المسألة الأخيرة على حالها، خشية مني من أن إعادة فتحها ستشكل خطر إثارة مشاكل أخرى. سأل ترامب ما إذا كان هنالك من أسئلة، لذا طلبت من بوتين التوسع حول مسألة الحدود الإسرائيلية السورية للعام ١٩٧٤، كي نتبين ما إذا أمكننا أن نعرف المزيد حول ما قاله لنتنياهو. فأوضح بوتين بأنه كان يتكلم فقط حول تعزيز تطبيق خطوط فك الاشتباك، وليس «حدوداً» حقيقية. سألتُ أيضاً حول المساعدة الإنسانية وإعادة الإعمار في سوريا، لأنني كنت واثقاً أنه كلما استفاض بوتين في الحديث عن مقدار المساعدة الضرورية، سيقل اهتمام ترامب بالأمر. ما أراد كل منهما مناقشته فعلياً كان زيادة التجارة والاستثمار الأميركي في روسيا، حيث فوجئنا بأنه دام لمدة طويلة رغم عدم توفر الكثير لقوله، حيث أن قلة من الشركات الأميركية تتوق إلى الغوص في المستنقع السياسي والاقتصادي الروسي.

بعد انتهاء الغداء، توجهنا إلى المؤمر الصحافي المشترك بين ترامب وبوتين، الذي بدأ في حوالى الساعة السادسة مساء[1]. كما أشار إلي كيلي في مرحلة معينة، بات يتواجد في القاعة مساعدان عسكريان، ويحمل كل منهما محفظة الشيفرات النووية لبلده. قرأ بوتين بياناً محضراً مسبقاً، حيث تمت صياغته قبل الاجتماع بوقت طويل، ولكنه صرح علناً بأن ترامب بادر إلى طرح مسألة التدخل في الانتخابات، ورد على ذلك بالقول «إن الدولة الروسية لم تتدخل قط ولن تتدخل في الشؤون الأميركية الداخلية، بما في ذلك عملية الانتخابات»، تماماً كما قال في اجتماعي السابق معه. تنبّهتْ فيونا هيل، وهي ناطقة باللغة الروسية، إلى اختياره للكلمات، لأنه بطبيعة الحال إن أقدمت «منظمة غير حكومية» أو «مؤسسة» (هذا لا يعني أنه يوجد الكثير من هذه المنظمات أو المؤسسات المستقلة بحق في روسيا) على هذا التدخل، يمكن للمرء القول بوجه يخلو من التعابير تماماً إن «الدولة

(١) All attributed comments to the two Presidents in this and the following paragraphs are from "Remarks by President Trump and President Putin of the Russian Federation in Joint Press Conference," July 16, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-president-putin-russian-federation-joint-press-conference/

الروسية» ليست الفاعلة. وجب علينا فعل المزيد للتركيز على تلك النقطة، ولكن من جديد، كان ذلك ليستلزم التوافق علنياً على أن التدخل قد حدث في المقام الأول. قرأ ترامب بيانه الملطّف، وبدأت الصحافة بطرح أسئلتها. كان بوتين قد ذكر في مرحلة ما بأن ترامب التزم بالموقف الأميركي المعروف القائل بأن ضم القرم غير قانوني، ولكن تاه هذا الموضوع وسط المعمعة.

خلت أن وضعنا سيكون على ما يرام، لفترة من الوقت. من ثم سأل مراسل صحافي بوتين لماذا يجدر بالأميركيين تصديق إنكاره للتدخل في انتخاباتنا عام ٢٠١٦؟ فأجابه بوتين: «من أين خطرت لك هذه الفكرة بأن الرئيس ترامب يثق بي أو أنني أثق به؟ هو يدافع عن مصالح الولايات الأميركية المتحدة وأنا أدافع عن مصالح الاتحاد الروسي... هل يسعك تسمية واقعة واحدة من شأنها أن تثبت تماماً التواطؤ؟ هذا هراء تام». ثم بعد إظهار إلمامه الزائد عن الحد بشأن الاتهامات الأخيرة لمولر، طرح بوتين معاهدة المساعدة القانونية المتبادلة للعام ١٩٩٩. أساء بوتين تسميتها (أو ربما أسيئت ترجمتها) خلال المؤتمر الصحافي، رغم أننا استنتجنا عندها أنه حتماً طرح هذه المسألة خلال لقائه الانفرادي مع ترامب. قال بوتين إن بإمكان مولر الاستفادة من هذه المعاهدة. ويجب أن تتمكن روسيا أيضاً من الاستفادة منها لملاحقة بيل براودر على جرائمه المزعومة، كما سبق وشرح لترامب خلال اللقاء. إن وصف بوتين لما يمكن إنجازه وفقاً للمعاهدة بعيد كل البعد عما توفره المعاهدة فعلياً، ولكن خلال الوقت الذي أخذناه لنشرح ذلك للصحافة، كان بوتين قد سجل نقطته الدعائية.

ولكن المثير للقلق أن بوتين قال أيضاً إنه رغب في فوز ترامب في انتخابات عام ٢٠١٦ «لأنه كان قد تكلم حول إعادة العلاقات الروسية الأميركية إلى طبيعتها»، وهو انحراف تام عن الجملة العامة المعيارية التي تفيد بأن الدول لا تتدخل في السياسات الداخلية للدول الأخرى وهي مستعدة للعمل مع أي مسؤول يتم انتخابه. وهذه الجملة بدورها خفت بريقها أمام رد ترامب قبيل نهاية المؤتمر الصحافي، حينما قال ترامب: «أتى بعض مساعديّ إلي-أتى دان كوتس وآخرون إلي- وقالوا إنهم يظنون أن روسيا الفاعلة. وها هو الرئيس بوتين قد قال للتو إن روسيا ليست الفاعلة. وأنا سأقول التالي: لستُ أرى سبباً يشير إلى أنها الفاعلة، ولكني أرغب بشدة في رؤية الخادم الإلكتروني. ولكن لدي- لدي ثقة في الجهتين... إذن لدي ثقة كبيرة في أجهزة استخباراتي، ولكني سأقول لكم إن الرئيس بوتين أبدى قوة وصلابة شديدتين في إنكاره اليوم». كيلي وأنا، كنا جالسين جنباً إلى جنب وسط الجمهور، كدنا نتجمد على مقعدينا بسبب جواب ترامب. بدا جلياً أنه سيلزمنا القيام بإجراء تصحيحي كبير بسبب هذا الأذى الذاتي، ولكن ليس واضحاً لنا ما سيكون عليه بالضبط هذا الإجراء. كانت التغطية الإعلامية الفورية كارثية.

بعد انتهاء المقابلات الفردية لترامب، هرعنا إلى المطار لنركب على متن الطائرة الرئاسية، التي أقلعت في الساعة الثامنة مساء بالتوقيت المحلي. كان دان كوتس يحاول الاتصال بي، فاتصلت

به فور تحليقنا في الجو. أقل ما يقال عنه إنه كان منزعجاً. قال: «الهزات الارتدادية لكلام الرئيس تضرب واشنطن»، ويريد مجتمع الاستخبارات بياناً منه لمنع إلحاق أذى تام بهذا المجتمع. كان كوتس قد حضّر شيئاً، يجده ضرورياً للدفاع عن الأجهزة. ولكني طلبت منه أن يمتنع عن إصداره لبضع دقائق فقط إلى أن يتسنى لي التكلم مع كيلي. لم ألمس لديه أية إشارة إلى أنه كان يفكر بالاستقالة، ولكن بدا جلياً أنه كان مستعجلاً. أقفلت الخط وذهبت إلى كيلي، الذي رأى أن إصدار بيان قد يكون مفيداً في حال تحدث فيه كوتس حول جهود إدارة ترامب في مكافحة التدخل، وهي جهود أكبر بكثير من تلك التي بذلها أوباما. لم يشأ كوتس إجراء أي تعديل على البيان، الذي قرأه لي عبر الهاتف. لم أجده، على افتراض بقاء العوامل الأخرى على حالها، سيئاً أو غير متوقع. ما زلت لم أر أية إشارة إلى أن كوتس قد يستقيل، لذا طلبت منه أن يمضي قدماً ويعلن البيان.

تعليقات كوتس، التي أصدرها بعد لحظات، صبت الزيت على النار ولكنها كانت طفيفة مقارنة بما كانت الصحافة تفعله أصلاً. كنا نعمل جاهدين لإجراء بحوث حول معاهدة المساعدة القانونية المتبادلة، لتأكيد الرأي الأولي بأن بوتين قد حرّف تماماً المعاهدة، من ناحية تطبيقها على بيل براودر وكذلك من ناحية ما يمكن لفريق مولر أن يستحصله. إنها حملة دعائية محض، بالأسلوب السوفياتي. اتصل نيك آيرس للقول إن بنس يود الإشارة إلى أن ترامب قد ذكر مرتين من قبل بأنه يثق بالأجهزة الاستخباراتية الأميركية، وقلت له إن هذه فكرة سديدة. نقلتُ لترامب ما يوشك بنس على فعله، فأيد ذلك، وفي الواقع نشر بنفسه تغريدة تصب في السياق نفسه. مع ذلك، ظلت العاصفة الصحافية تهب دون هوادة. بعد مزيد من التفكر، دوّنت النقاط الأربع التي ارتأيت أن على ترامب توضيحها: «أولاً، لطالما دعمتُ الأجهزة الاستخباراتية؛ ثانياً، لم يحدث قط أي تواطؤ روسي؛ ثالثاً، التدخل الروسي (أو من أي جهة أجنبية أخرى) غير مقبول؛ رابعاً، لن يحدث في العام ٢٠١٨». طبعت هذه النقاط وسلمتها إلى كيلي وساندرز وسارة تينسلي (مديرة الاتصالات البارزة في مجلس الأمن القومي) وميلر وبيل شاين (المدير التنفيذي البارز السابق في محطة فوكس نيوز) ودان سكافينو (قطب وسائل التواصل الإجتماعي لدى ترامب) وغيرهم، ثم أخذت قيلولة (في حوالى منتصف الليل بتوقيت فنلندا). هبطت طائرتنا في أندروز في الساعة التاسعة والربع مساء بتوقيت واشنطن وتوجهت إلى بيتي.

في اليوم التالي، اجتمع كل أفراد فريق الاتصالات في البيت الأبيض مع ترامب في المكتب البيضاوي. كان لايزال متفاجئاً من ردة الفعل السلبية، فراجع نسخة عن المؤتمر الصحافي وقرر أنه أساء التعبير. في الجملة التي قال فيها «لا أرى أي سبب يفيد بأن روسيا الفاعلة»، كان يقصد القول «بألا تكون روسيا الفاعلة»، وبالتالي عكس معنى الجملة. يُعرف ترامب بأنه لا يتراجع أبداً عن أي كلام يقوله، بل في الواقع يتمسك بكلامه هذا أكثر حينما يتم تحديه، لذا كان هذا تحولاً مفاجئاً.

بالطبع، هذا التغير وحده لا يلغي مشكلة أن جمله الأخرى عبّرت عن تقبّل التكافؤ الأخلاقي بين رأي بوتين ورأي أجهزتنا الاستخباراتية. ولكن بالنسبة إلى موظفي المكتب الصحافي، يُعتبر قيام ترامب بأي نوع من البيان التصحيحي تقدماً ملفتاً. لذا صاغ ستيفن ميلر بعض الملاحظات المحضّرة، فتلاها ترامب في بداية فترة العصر.

هذه ليست الطريقة القويمة لتصحيح العلاقة مع روسيا، ولا بد وأن بوتين يضحك بشكل هستيري جراء ما أفلح في تحصيله خلال قمة هلسنكي. اتصلت كوندي رايس لتخبرني بأنها لن تدلي بأي تعليق علني حول قمة هلسنكي، ولكنها قالت: «تعلم يا جون أن بوتين لا يجيد التعامل مع الناس إلا بطريقتين، إما إذلالهم أو الهيمنة عليهم، ولا يسعك السماح له بالنفاذ بفعل ذلك». فوافقتها الرأي. كثير من الأشخاص كانوا يدعون مختلف المسؤولين الكبار للاستقالة، بمن فيهم كيلي وبومبيو وكوتس وأنا. لم يكن قد مضى على وجودي في منصبي هذا سوى ٣ أشهر. حتماً تسير الأمور بسرعة في إدارة ترامب!

الفصل السادس

التصدّي لروسيا

التخلّص من معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى

عملتُ منذ أيام خدمتي في إدارة جورج دبليو بوش على تخليص الولايات المتحدة من معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى. ويُحتمل أن يبدو ذلك أمراً صعباً، لكن سبقَ لي أن عملتُ في هذا المجال من قبل. كنت أعلم ما عليّ القيام به، وذلك لأنني ساعدتُ بوش على إخراج أميركا من المعاهدة الخطرة والبالية المتعلقة بالصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية، التي تعود إلى العام ١٩٧٢، والتي منعت الولايات المتحدة من نصب نظام دفاع صاروخي وطني فعّال. لم نكن قد تعلمنا من تلك التجربة. وبما أن إحدى النتائج الملموسة لمعاهدة هلسنكي كان يجب أن تكون تحقيق المزيد من التعاون بين مجلسَي الأمن القومي الأميركي والروسي، فإن وسائل تحقيق ذلك التعاون كانت جاهزة. وهكذا اقترحتُ على نيكولاي باتروشيف أن نلتقي في جنيف، فوافق على عقد الاجتماع في ٢٣ آب/أغسطس.

دأبت روسيا منذ سنوات عدة على خرق معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى، بينما حافظت أميركا على التزامها وقامت بتطبيق بنود المعاهدة. وإذ حظرت تلك الاتفاقية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي التي وقعها الرئيسان ريغان وغورباتشيف، الصواريخ التي يتراوح مداها بين ٥٠٠ و٥٥٠٠ كيلومتر، ومنصات إطلاقها، فإن هدفها كان منع وقوع حربٍ نووية في أوروبا. ومع مرور الوقت أُبطل هذا الهدف الأساسي بسبب الخروقات الروسية المستمرة للمعاهدة، الأمر الذي أدّى إلى تغيير حقائق الاستراتيجيات العالمية، والتطور التكنولوجي في العالم. بدأت روسيا، حتى قبل أن يتسلّم ترامب منصبه، بالنشر الفعلي للصواريخ في منطقة كالينينغراد، الواقعة على بحر البلطيق، وهو الأمر الذي يُعتبر خرقاً لمحظورات معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى، بحيث وضعت الأساس لتهديد جوهري للدول الأوروبية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (ناتو). أكثر من ذلك، هناك تداعيات أعظم على المدى البعيد، لأن المعاهدة لا تلزم أي دولة أخرى (عدا

عن دول الاتحاد السوفياتي السابق، نظرياً) بما في ذلك تلك التي تشكل أكبر التهديدات للولايات المتحدة وحلفائها. فالصين، على سبيل المثال، نشرت بالفعل النسبة الأكبر من قدراتها الصاروخية الكبيرة والمتزايدة، والمشمولة بالحظر بحسب المعاهدة، مهددة بذلك دولاً حليفة للولايات المتحدة مثل اليابان وكوريا الجنوبية، وكذلك الهند وروسيا نفسها. يُشكّل هذا الأمر مفارقةً مثيرة للسخرية. كذلك، تهدد القدرات الصاروخية الباليستية المتوسطة المدى التي تمتلكها إيران، أوروبا، وهي مرشحة للتوسع، وهو الأمر الذي ينطبق على كوريا الشمالية، وباكستان، والهند، وكذلك الدول التي تستعد بدورها لتكون دولاً نووية في المستقبل. وأخيراً يمكننا القول إن معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى أصبحت قديمة العهد من الناحية التكنولوجية. فبينما تورد بنود المعاهدة الصواريخ التي تُطلق من الأرض ضمن المدى المحظور، فإنها لا تمنع الصواريخ التي تُطلق من البحر والجو من مناطق بحرية قريبة، أو من الأجواء التي يُمكنها إصابة الأهداف ذاتها التي تستهدفها الصواريخ التي تُطلق من البر.

وخلاصة القول أن معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى تلزم دولتين فقط، وإحداهما تقوم بالغش. وهناك دولة واحدة فقط في العالم مستبعَدة، عملياً، من تطوير الصواريخ المتوسطة المدى، وهي الولايات المتحدة. هذا الواقع بلا معنى اليوم، حتى لو لم يكن كذلك عند تبنّي المعاهدة في منتصف الثمانينات من القرن الماضي. والزمن يتغيّر على حد قول الليبراليين.

اجتمعتُ مع باتروشيف في مقر بعثة الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة في جنيف. وسبق ذلك مشاورات واسعة حول بنود الاجتماع أجراها أعضاء مجلس الأمن القومي داخل الإدارة الأميركية. وكذلك تشاورتُ عدة مرات مع بومبيو حول قضايا الحد من التسلّح، ووافق بومبيو على النهج الذي أريد اتّباعه أثناء لقائي مع باتروشيف. بدأنا الحديث في الاجتماع على نحو ما كان يجري أيام الحرب الباردة، أي تحدّثنا عن قضية الحد من التسلّح، ومنع انتشار الأسلحة النووية، وعلى الأخص بالنسبة إلى إيران وكوريا الشمالية.

اتّبع الروس في هذا الاجتماع الأسلوب الذي انتهجه بوتين عندما اجتمعتُ معه في موسكو، أي التركيز على «الاستقرار الاستراتيجي». وكانت تلك العبارة ركيزة هجومهم على انسحابنا من المعاهدة المتعلقة بحظر الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية. وأكّد الروس أن أنظمة الدفاع الصاروخي من شأنها، استراتيجياً، إثارة عدم الاستقرار، علماً أنهم لم يفعلوا ذلك في العام ٢٠٠١ عند انسحابنا من المعاهدة. وكان من الواضح كذلك أنهم يسعون إلى عقد مفاوضات أكثر تفصيلاً بين مجلسَي الأمن القومي في بلدينا حول هذا الاقتراح. سارعتُ على الفور إلى تبيان عدم صوابية طرحهم، كما أوضحت لهم مجدداً أن انسحابنا من معاهدة الأسلحة المضادة للصواريخ الباليستية كان الهدف منه، في البداية على الأقل، مواجهة المخاطر المحيطة ببلادنا من الدول التي تستعد

لدخول نادي الدول النووية. وكذلك مواجهة خطر إطلاق الصواريخ الباليستية عن طريق الخطأ من قِبَل روسيا والصين. قال باتروشيف إن مستوى الثقة عند الوفدين هو الذي يحدّد مدى نجاحنا. وكان يشير بذلك إلى معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وأضاف أنه توجد «مزاعم» متناقضة حول «التقيد» بتنفيذ بنود هذه المعاهدة. كان هذا الزعم محض دعاية، لأن روسيا كانت تخرق بنود معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى منذ أكثر من عقد من الزمن. وهو الأمر الذي أشارت إليه إدارة أوباما تكراراً، لكن من دون أي نتيجة. وكما في كل المعاهدات، فإن المحامين الذين تغصّ بهم وزارتا الدفاع والخارجية قالوا لنا إننا لا نستطيع خرق أي معاهدة، حتى لو أردنا ذلك.

كالعادة، كانت لدى الروس لائحة طويلة من الخروقات الأميركية التي يشتبهون فيها للمعاهدة، والتي يريدون مناقشتها بتفصيلٍ مفرط. ونحن من جهتنا كانت لدينا لائحةً أطول بمجمل الخروقات الروسية الفعلية لهذه المعاهدة التي كنت لا أرغب شخصياً في تضييع وقتي عليها. استعرضنا خلال هذا اللقاء الإمكانية النظرية لـ«تعميم» معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وذلك عن طريق إدخال الصين، وإيران، ودول أخرى، إليها. لكن توقّع قيام تلك الدول بتدمير كمياتٍ كبيرة من ترساناتها الصاروخية الموجودة لديها بصورة طوعية، وهو الأمر الضروري للالتزامٍ ببنود المعاهدة، كان ضرباً من الخيال. وبدلاً من ذلك أردتُ أن أوضح أن انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة حظر الأسلحة النووية المتوسطة المدى احتمالٍ حقيقي، حتى لو لم يكن هناك موقف رسمي للولايات المتحدة، ولا بد أن هذا الأمر قد أذهلهم كثيراً.

قلت كذلك إنه من غير المرجح أن نوافق على التمديد خمس سنوات لاتفاقية تقليص الأسلحة الاستراتيجية «ستارت» الجديدة التي عقدها أوباما، وهو الأمر الذي كانت موسكو ومعظم الليبراليين الأميركيين يسعون وراءه. كانت لدينا أسباب عديدة تدفعنا إلى عدم الرضوخ لتمديد آلي، وكان من بينها الحاجة إل ضمّ الصين إلى المفاوضات المتعلقة بالأسلحة الاستراتيجية للمرة الأولى، وهو رأي لاحظت إنه أدهش الروس. احتجنا كذلك إلى تغطية موضوع الأسلحة النووية التكتيكية (وهو الموضوع الذي أغفلته اتفاقية ستارت الجديدة) وكذلك التكنولوجيات الجديدة التي كانت تسعى إلى تحقيقها جاهدة روسيا والصين (مثل المركبات الانزلاقية فائقة السرعة) والتي كانت في مراحل تصميمها الأولى عند تبني اتفاقية ستارت الجديدة في العام ٢٠١٠، وهو الأمر الذي شرحته بشكلٍ مطولٍ نسبياً. احتجنا أخيراً إلى استعراض إمكانية العودة إلى النموذج الأكثر بساطة لمعاهدة موسكو الموقعة في العام ٢٠٠٢ (التي شاركت شخصياً في المفاوضات حولها). كانت هناك مواضيع أكثر بكثير ينبغي علينا تغطيتها، لكن هذه كانت بداية جيدة. توجهت إلى كييف بعد جنيف من أجل المشاركة في احتفالات عيد استقلال أوكرانيا، وكذلك من أجل التشاور مع الرئيس بيترو بوروشينكو، ورئيس وزرائه، ومسؤولين آخرين. قدّمت لهم إيجازاً بشأن المفاوضات الجارية حول

معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى والتي من شأنها التأثير مباشرة على خططهم الدفاعية. من كان يعلم عندها أنه بعد سنة سوف تحتل أوكرانيا مركزاً أساسياً إلى هذا الحد في السياسات الأميركية؟

عند عودتي إلى واشنطن أمضيت الأشهر التالية في التحضير لخطوة انسحابنا الدراماتيكي من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى. وأردت إبقاء تحضيراتنا المسرّعة بعيداً عن الأضواء بهدف منع التسريبات التي من شأنها إثارة الصحافة و«مؤسسة» السياسة الخارجية. وذلك بدلاً من عقد اجتماعات لا نهاية لها بين الموظفين الذين عاشوا طيلة حياتهم المهنية مع معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، ولا يتحملون رؤية إلغائها.

اعتبرت أن ترامب سوف يوافق على اقتراحي على الرغم من أنني لم أكن متأكداً تماماً من فهمه أن معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى لا تنظم الأسلحة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة، بل آليات إطلاقها فقط. أردت كذلك أن أبدأ بعملية انسحاب الولايات المتحدة من المعاهدة، (الأمر الذي من شأنه إعطاء إشارة هامة إلى الصين وغيرها)، أو ربما حتى انسحاب متبادل، وذلك قبل اجتماعي التالي مع باتروشيف في موسكو المزمع عقده في أواخر شهر تشرين الأول/أكتوبر. وعلّمتني تجاربي في الحياة أنه من دون وضع حد زمني ملزم لتنفيذ الأعمال فإن البيروقراطيات تتمكن من مقاومة تغيير أي شيء بعناد ونجاحٍ كبيرين.

كان من الضروري في ذلك الوقت تحضير حلفائنا في الناتو للإلغاء الذي ينتظر المعاهدة. وكان عدد كبير من القادة السياسيين الأوروبيين يعتقدون أنهم يعيشون في ما بعد «نهاية التاريخ» وأن لا شيء خارجياً يمكنه تعكير صفو قارتهم المرتاحة. كانت هذه فكرة رائعة: قولوا ذلك لروسيا والصين، ناهيكم عن كل أصدقاء أوروبا الطيبين في إيران. وسبق لي أن أجريت محادثات تُعتبر مثالاً عن تلك التي نحتاجها الآن، وذلك في الثالث من شهر تشرين الأول/أكتوبر مع وزير خارجية ألمانيا، هايكو ماس، والذي ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي. وكان الحزب جزءاً من الائتلاف الذي شكّل حكومة ميركل، وبلا شك داعماً لاتفاقية الأسلحة النووية المتوسطة المدى. لم أفصح له عن الحد الذي تصل إليه أفكارنا في هذا الموضوع، لكنني شدّدت أمامه على أن أوروبا تواجه بالفعل أخطاراً متزايدة لأن روسيا تمضي قُدُماً من دون رادع. شرحت للوزير كذلك سبب امتناعنا عن مناقشة موضوع «الاستقرار الاستراتيجي» مع موسكو، وقصدت بذلك ما يُزعج روسيا بشأن برنامج الدفاع الصاروخي الوطني الأميركي، وهو الموضوع الذي لا رغبة لدينا بفتح باب المفاوضات بشأنه، فضلا عن تعديله أو التخلي عنه.

جاءت الأخبار الطيبة بعد مرور أيامٍ قليلة. أثناء تناولي طعام الفطور في غرفة البحرية في البيت الأبيض مع ماتيس (لأن بومبيو كانَ متغيباً في الخارج)، وذلك بعد اجتماع لوزراء الدفاع

في حلف الناتو كان قد انتهى لتوه. شرح ماتيس لنظرائه، بإسهاب، أن روسيا تقوم بانتهاك مادي للمعاهدة، وكان يعتقد أن وزراء الدفاع قد فهموا الأمر تماماً. اقترح ماتيس أن يقوم بومبيو بتكرار تلك الحجج في الأسبوع الأول من شهر كانون الأول/ديسمبر خلال الاجتماع الذي سيعقده وزراء خارجية دول الناتو، وإعطاء روسيا، لنقل، مهلة تسعين يوماً، للعودة إلى الالتزام بالمعاهدة، وإلا ستنسحب الولايات المتحدة منها. اعتقدت في ذلك الوقت أنه ينبغي علينا حذف فترة التسعين يوماً، لأنه لا سبيل إلى عودة روسيا للالتزام بالمعاهدة. يُضاف إلى ذلك أن المعاهدة ذاتها تعطي فترة انتظار مدتها ستة أشهر قبل أن يصبح الانسحاب نافذاً، وذلك بعد تقديم إخطار بالانسحاب. كان ذلك شرطاً معيارياً تتضمنه الاتفاقيات الدولية، وهو البند نفسه الذي أثرناه أساساً في موضوع معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية، في العام ٢٠٠١.

في ظل بند فترة الانتظار في المعاهدة، لم يكن هناك سبب لإعطاء موسكو وقتاً أطول لزرع مزيدٍ من التشويش والشكوك بين الأوروبيين. لذا حضضت على تقديم إخطار بالانسحاب وبدء الفترة التي تستغرقها العملية والبالغة ١٨٠ يوماً.

خلال أحد اجتماعاتنا الأسبوعية على مائدة الفطور، في ١١ تشرين الأول/أكتوبر، أكّدنا ماتيس وبومبيو وأنا إننا ما زلنا، نحن الثلاثة، على موقفنا المؤيد للانسحاب من المعاهدة. لكن ماتيس، على الرغم من ذلك، أعرب عن عدم موافقته على فكرة الانسحاب المتبادل منها، وقال إنه يخشى من أن ذلك يشير ضمناً إلى «التعادل الأخلاقي». لم يكن أحد منا يؤمن بوجود تعادل أخلاقي، وذلك على الرغم من النقطة التي أثارها ماتيس بأن الانسحاب المتبادل من شأنه إعطاء ترامب شيئاً يُمكنه الإعلان عنه على أنه «نجاح» مع روسيا، وربما يؤدي ذلك إلى تقليص الضغط عليه لتقديم تنازلات حقيقية في مجالات أخرى. اتصلت في ذلك المساء بالأمين العام لحلف الناتو، الجنرال ستولتنبيرغ، وشرحت له الاتجاه الذي نمضي إليه. شدّد الجنرال على أنه لا ينبغي علينا إعطاء روسيا السرور الذي يسبّبه انقسامنا، وعلى الأخص من ألمانيا. وافقتُه الرأي، لكنني شرحت لستولتنبيرغ وكل من هو على استعداد كي يسمع، أن انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى لا يشكّل تهديداً لأوروبا، لأن التهديد الحقيقي يأتي من الخروقات الروسية للمعاهدة، ومن القدرات التي بات الروس يمتلكونها الآن، والتي تسمح لهم بضرب معظم أوروبا بالصواريخ التي تشكل انتهاكاً للمعاهدة. طرح ستولتنبيرغ بعد ذلك سؤالاً عن مفهومنا لمعنى «الخرق المادي»، وما إذا كنا قد استبعدنا كلياً إمكانية عودة روسيا إلى التقيّد ببنود هذه المعاهدة. اعتبرت أن العرض الذي قدّمه ماتيس خلال اجتماع وزراء الدفاع قد برهن «الخرق المادي» كما يفهمه الجميع. أما بالنسبة إلى روسيا، فهل يمكن لأي إنسان أن يعتقد بصورة جدية بأنها على استعداد لتحويل ترسانتها الحالية التي تُعتبر خرقاً للمعاهدة إلى خردة، وعلى الأخص منذ تزايد تهديدات الصين

الصاروخية على طول حدودها الآسيوية، وهو الأمر الذي كان يمثل على الأرجح بالنسبة لموسكو دافعاً يساوي أو يزيد عما كانت تسعى إليه بخصوص أوروبا؟ كان ستولتنبيرغ متفائلاً بأنه بإمكاننا المراهنة على أوراقنا في هذه القضية بالذات.

وفي يوم ١٧ تشرين الأول/أكتوبر، وقبل اجتماعي مع باتروشيف في موسكو، في الأسبوع التالي، قدّمت إلى ترامب إيجازاً حول أين وصلت الأمور، بما في ذلك العمل الذي قامت به الوكالات في ما بينها، وكذلك خطواتنا الدبلوماسية التمهيدية مع حلفائنا في الناتو بالإضافة إلى دول أخرى، وكذلك الجدول الزمني المرجح للانسحاب من المعاهدة مع توجيه بومبيو إنذاراً لموسكو في ٤ كانون الأول/ديسمبر بضرورة استئناف التزامها بالمعاهدة، وإلا. رد ترامب: «لماذا نحن مضطرون للانتظار هذه المدة الطويلة؟ لماذا لا ننسحب على الفور، وببساطة؟» أجبته بأنني جاهزٌ تماماً. وشرحت للرئيس بأنه ما إن نعلن عن نيّتنا الانسحاب، فمن المتوقع أن يحذو الروس حذونا بعد توجيه الاتهام لنا بخرق الاتفاقية، وهو أمر ليس صحيحاً بالمرة، إلّا أنه يمكن أن يقحمنا في سلسلة من الاتهامات المتبادلة بين موسكو وواشنطن. أما أنا فقدّمت اقتراحاً بديلاً، يقضي بأن أطلب من باتروشيف أن يقوم البَلَدان بالانسحاب من المعاهدة بشكلٍ متزامن. كان من شأن هذا النهج أن يوفر علينا قدراً كبيراً من المعاناة، كما أنه سوف يسمح لنا بالإعلان عن اتفاقية مع روسيا حول قضية هامة. لكن ترامب قال مع ذلك: «لا أريد أن أفعل ذلك. كل ما أريده هو الانسحاب». كنت أعتقد بأن الانسحاب المتزامن سوف يكون نهجاً مقبولاً لدى ترامب، لكن إذا لم يعجبه فليكن. أما بالنسبة لي فلم يكن ممكناً أن أكون أقل اكتراثاً بما فعلته موسكو.

غادرت قاعدة أندروز المشتركة يوم السبت، وتهادت بنا الطائرة لفترة عشرين دقيقة، إلى أن سمعنا جواب ترامب على سؤالٍ طرحه عليه أحد الصحافيين خلال مهرجان انتخابي في إلكو، نيفادا. قال ترامب في جوابه إننا سوف ننسحب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى. كانت أول فكرة خطرت في ذهني هي، «حسناً، هذا يحسم الأمر». لم يكن ذلك هو التوقيت الذي اتفقت عليه مع ماتيس وبومبيو، لكن ترامب قرر الانسحاب الفوري. (مع مراعاة فترة انتظار لمدة ١٨٠ يوماً، والتي تنص عليها المعاهدة بطبيعة الحال). سارعت إلى إجراء اتصال بساندرز في واشنطن والتي لم تكن قد سمعت بعد بالملاحظة التي ساقها ترامب، واقترحت أنه من الأفضل تحضير بيانٍ من أجل تجسيد تصريح ترامب، فوافقت على الفور. أجريت اتصالاً بعد ذلك مع بومبيو الذي قال إنه من المريع أن يُقدم ترامب على إعلانٍ بأهمية الانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى في سياق الرد على سؤالٍ من مراسلٍ صحافي. كان موقف بومبيو هذا أحد المناسبات النادرة التي ينتقد فيها عملاً قام به ترامب بشكلٍ صريح. لكني لم أوافقه رأيه، لأن كل ما فعله الرئيس هو تسريع برنامجنا للانسحاب، وهو أمر جيد بالنسبة لي. ولأن قرارنا علني فلا بأس من تقديم إخطار

رسمي بالانسحاب لكي نبدأ فترة العد العكسي للانسحاب التي تستمر ستة أشهر. قلت كذلك إنه يجب علينا كذلك إعلان التعليق الفوري لكل التزاماتنا بموجب المعاهدة، وهكذا يمكننا البدء في سباق اللحاق بروسيا، والصين، وبقية الدول التي تمتلك قدرات نووية متوسطة المدى. طلبت بعد ذلك من أعضاء مجلس الأمن القومي الذين كانوا برفقتي البدء بالاتّصال بزملائهم في وزارتَي الخارجية والدفاع كي يبدأوا بتحضير مسودة بيان والحصول على موافقة عليه. لكن للأسف فإن هذا البيان لم يصدر، وذلك لأسبابٍ لم أفهمها حتى الآن، إلّا أنني متأكد تقريباً أن السبب هو أن ماتيس وبومبيو ربما لم يرغبا في التعليق على شيء سبق أن أعلنه ترامب على الملأ.

توجهنا إلى موسكو بعد تزويد الطائرة بالوقود في مطار شانون، إيرلندا، وأجريت اتصالاً مع ستولتنبيرغ صباح يوم الأحد بتوقيت أوروبا. أبلغني الرجل بأنه سمع التصريح الذي أدلى به ترامب، فشرحت له الأمور التي حدثت، وأنه لم يبقَ إلّا تسريع مشاوراتنا مع الحلفاء وأطرافٍ أخرى. لأننا ببساطة لا نستطيع أن نتراجع بشأن ما قاله ترامب علناً، ثم أعرب ستولتنبيرغ عن قلقه من أنه الآن لم يعد ممكناً اتخاذ أي قرارٍ بشأن الانسحاب من المعاهدة بالإجماع، ولذلك يحتاج إلى وقت لترتيب الأمر على هذا النحو. لم يمثّل الأمر مشكلةً بالنسبة لي لأن أياً منا لم يكن يسعى، على أية حال، إلى الحصول على قرارٍ من الناتو بهذا الخصوص في وقت مبكر. ولم يكن ستولتنبيرغ يشعر بالقلق الشديد مثلما كانت الحال بالنسبة إلى بعض المسؤولين الأوروبيين، لكنّه بدا لي متوتراً قليلاً. قلت له أخيراً إنني أنوي الاتصال به مجدداً بعد انتهاء اجتماعاتي مع الروس.

قابلني السفير جون هانتسمان عند نزولي من الطائرة في موسكو، وقال لي إن الروس يثيرون التوتر، ويستغلون مخاوف الأوروبيين من احتمال تركهم وتخلّينا عن الدفاع عنهم. وسبق لهذه المشاعر أن غمرت أوروبا خلال مفاوضات الانسحاب من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية. لم يكن الأمر صحيحاً عندها وهو ليس صحيحاً الآن. لكن كان ينبغي على أحدهم أن يقول، «اثبتوا في أماكنكم أيها الأوروبيون». وعلى أيّ حال ما زلت أجهل السبب الذي جعل ترامب يدلي بتلك التعليقات في نيفادا، أو سبب عدم إصدار البيان الذي يشرح أسبابها. علمت كذلك بأن ريكارديل، وعلى نحو لا يمكن تفسيره، قد تسلّمت خبراً عن اجتماع عند الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الأحد مع ترامب طلبه ماتيس. أجريت بعد ذلك اتصالاً مع بومبيو الذي لم يفهم سبب اعتبار ذلك الاجتماع عاجلاً، حتى بعد تحدّثه مع ماتيس يوم السبت. اعتقد بومبيو أن ماتيس سوف يطلب العودة إلى برنامجنا الأصلي للإعلان عن الانسحاب من المعاهدة، وليس إعادة فتح موضوع القرار الخاص بهذا الأمر. أما من جهتي فلم أكن أتصور كيف يمكن التراجع عن الإعلان بما أن ترامب قد صرّح به علناً. وافقني بومبيو الرأي. ولم يكن هناك اختلافٌ بيننا على أننا نحتاج إلى إجراء المزيد من المناقشات مع حلفائنا. لكننا الآن أصبحنا في موقعٍ مختلفٍ جوهرياً عما كان عليه

الأمر قبل تعليقات ترامب. لماذا إذن لا نرسل إخطاراً بالانسحاب من المعاهدة، وتعليق الالتزامات التي تفرضها علينا، والمضي في ذلك؟ قال بومبيو إن هذا هو ما أراد ماتيس تجنّبه، وهو الأمر الذي جعلني أتساءل ما إذا كان ماتيس يريد فقط إبطاء وتيرة الانسحاب من المعاهدة، أو أنه غيّر رأيه بشأن الانسحاب ويحاول شراء الوقت. أمكنني عندها أن أتصور أن علية القوم في واشنطن على الخط مع ماتيس عبر الهاتف، لكن ما أدهشني هو أنه لم يكلّف نفسه عناء الاتصال بي، بل سارع بدلاً من ذلك إلى ترتيب اجتماع في نهاية الأسبوع أثناء غيابي عن البلاد. سألت بومبيو عن رأيه بشأن مسألة التوقيت، فقال إنه لا يدري، لكن الأمر لا يهمّه كثيراً.

اجتمعت مع باتروشيف في اليوم التالي في المبنى الذي يحمل اسم أولسوفيفسكي بريولوك ١ إي. وبسرور، شرح لي أن هذا المبنى كان سابقاً مقر «مجموعة ألفا» التابعة لوكالة الأمن الفيدرالي، والتي هي قسم من السبيتسناز، أو قوات العمليات الخاصة، والتي أنشأها جهاز الاستخبارات السوفياتي في العام ١٩٧٤. كانت «مجموعة ألفا» هذه بمثابة «وحدة مكافحة الإرهاب». ساعدتني هذه المعلومات على تذكّر وظيفة باتروشيف السابقة عندما كان رئيساً لوكالة الأمن الفيدرالي. بدأنا الاجتماع كما فعلنا في المرة السابقة، أي بمناقشة موضوع الحد من التسلح. وأبلَغنا الروس برزانة بأن العقيدة الروسية الرسمية لا تمتلك خططاً لاستخدام القوة العسكرية لغايات هجومية، وأن القوة الدفاعية كانت الوسيلة الأساسية لتحقيق الاستقرار الاستراتيجي. وشرح لنا باتروشيف لماذا لا يريدوننا أن ننسحب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، ملاحظاً الانتقادات التي وجهّها لقرارنا بعض حلفائنا من الأوروبيين. رداً على ذلك، عددت الأسباب التي تجعلنا نشعر بأن روسيا تقوم بخرق المعاهدة، وكذلك الأسباب التي تجعلنا نعتقد بأن قدرات الصين، وإيران، ودول أخرى، تجعل من المستحيل تعميم المعاهدة، على الرغم من اعتقادنا بأن الأمر كان ممكناً في السابق. أما وزير الخارجية السابق إيغور إيفانوف، فقدّم لنا تلخيصاً ممتازاً عن الموقف الروسي: «إذا أردتم الانسحاب من المعاهدة فافعلوا ذلك. لكن روسيا سوف تظل ملتزمة بها». لم يكن لدي أي اعتراضٍ على ذلك الموقف.

سمعنا بعد ذلك محاضرة عن خروقاتنا المزعومة لمعاهدة ستارت الجديدة (معاهدة تقليص الأسلحة الاستراتيجية). شرحت للسيّد باتروشيف وفريقه، للمرة الثانية، الأسباب التي تجعل من غير المرجح لنا تمديد العمل بمعاهدة ستارت الجديدة، وذلك بالنظر إلى مناقشات التصديق على تمديدها، حيث اعترض عددٌ كبير من النواب الجمهوريين لأن المعاهدة تجاهلت تماماً قضايا أساسية، مثل الأسلحة النووية التكتيكية. ضغطت من أجل اتّباع صيغة معاهدة موسكو ٢٠٠٢، والتي كانت أبسط، وأوضح، وأنجح. لم يستبعد باتروشيف هذه الفكرة. لكنه شدّد، بدلاً من ذلك، على أن معاهدة العام ٢٠٠٢، كانت أكثر تعقيداً مما بدت عليه، وذلك لأنها اعتمدت على شروط إبرام

معاهدة ستارت ٢، لكن ذلك لم يكن صحيحاً بالكامل، إلّا أنه لم يتسنّ لي الوقت لمراجعة الموضوع. لكن ما أدهشني في واقع الأمر هو أنه مع اختفاء معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، فقد كان الروس على استعداد لدراسة نموذج العام ٢٠٠٢. وهذا يعني بقاء بصيص أمل.

انتهت اجتماعات اليوم فيما عدا استضافة وزير الخارجية لافروف لنا على مائدة العشاء في أوزوبنياك، فأجريت في وقت متأخر من ذلك المساء اتصالاً مع ريكارديل لمعرفة ماذا حدث في اجتماع نهار الأحد مع ترامب. قالت لي ريكارديل إن ماتيس بدأ بالمماطلة حول خطة الثمانية عشر شهراً التي لدينا للانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وهي التي شارفت على نهايتها. أراد العودة إلى النقطة التي توقفنا عندها قبل أن يتحدث ترامب في نيفادا ويصدر بياناً لهذا الغرض. لكني لم أتمكن حتى الآن من فهم كيفية تمكّننا من إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، والتظاهر بأننا كنا نتشاور حول مسألة الانسحاب أو ما إذا كانت روسيا سوف تتخذ خطوة ما للعودة إلى تطبيق الاتفاقية (لكن لم تظهر أي دلالة ولو صغيرة على هذا التوجّه). ما كان هدف هذه التمثيلية؟ قال ترامب إنه لا يرى أي سبب يمنعه من المضي قُدُماً في الانسحاب من المعاهدة، لكنه لا يعارض إصدار بيان رسمي في الرابع من شهر كانون الأول/ديسمبر، الأمر الذي يتناقض ويتجاهل الواقع الجديد الذي فرضه تصريحه الذي سبق أن أدلى به. انشغل ماتيس، وبومبيو، وريكارديل بمناقشة مسودة البيان الذي أعدّه ماتيس، والذي أقلّ ما يُقال فيه إنه يعكّر الأجواء، لكنه كان في الواقع يهدف إلى العودة إلى ما سبق أن قاله ترامب. وهكذا طلبتُ من ريكارديل أن تفعل كل ما بوسعها لإلغاء البيان.

أربكني الأمر بأكمله، لكن ترامب جعله جدلياً أكثر (لو كان ذلك ممكناً) في وقت لاحق من يوم الإثنين، وذلك في إحدى مواجهاته المعتادة في المؤتمرات الصحافية، والتي جرت أثناء مغادرته المدخل الجنوبي كي يستقل المروحية الرئاسية. قال الرئيس: «أعلن إلغاء الاتفاقية. لقد خرقَتها روسيا. إنني ألغيها الآن...» سئل ترامب ما إذا كان ذلك تهديداً موجهاً إلى بوتين. أجاب ترامب: «إنه تهديدٌ إلى كل مَن تريده. وهذا يشمل الصين، وروسيا، وكل مَن يريد المشاركة في تلك اللعبة. وما من أحد يمكنه تمرير اللعبة عليّ»[1]. ماذا ترك لنا ترامب لنقوله بعد ذلك؟ لم أنتبه للأمر في البداية، إلّا أنني تساءلت في وقت لاحق، أي قبل استقالة ماتيس بشهرين من الزمن، عما إذا كان ذلك محاولة منه لتكريس نهج سياسي له بهدف أن يُظهر أنه حارب حتى النهاية من أجل الحفاظ على معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى. كانت القضية بأكملها مجرد تضييع للوقت والطاقة، ناهيك عن إثارة أجواء الارتباك عند الصديق والعدو على حد سواء. تحدثت في وقت لاحق من المساء مع بومبيو الذي أصرّ على أن ماتيس لم يكن يسعى بالفعل إلى تغيير في السياسات. شعرت

(١) See “New START: Treaty Text,” https://2009-2017.state.gov/t/avc/newstart /c44126.htm

بالبُعد والإحباط، لكني صمّمت على متابعة العمل لتقليص الوقت أمام معارضي الانسحاب الذين يرغبون في إلغاء ما قاله ترامب لتوه مرّتين علناً. أجريت بعد ذلك اتصالاً عند الساعة الرابعة من بعد الظهر بتوقيت موسكو بالرئيس ترامب، وأكّد لي خلال الاتصال أنه لا يفهم سبب كل هذه الفوضى، وما الذي دفع ماتيس إلى اعتبار أن الأمر في غاية الأهمية. قلت للرئيس ترامب إنني أعتزم إبلاغ الروس بأنه صرّح برغبتنا في الانسحاب من الاتفاقية. قال ترامب: «أحب طريقتنا للقيام بذلك». كان ذلك كل ما احتجتُ سماعه.

التقيت في اليوم التالي وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو. بدا لي شويغو أقل اهتماماً من ماتيس بمعاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وقال لي، من خلال مترجم، إن رسالة ترامب كانت واضحة، كما أن الروس قد فهموها. ومضى بعد ذلك إلى القول إنه في ظل الظروف الراهنة، فإن أي رجلٍ عاقل سيتمكن من ملاحظة أن الوضع في ظل معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى غير واقعي، وذلك بسبب الصين، والتغيّرات التكنولوجية التي حدثت منذ توقيع تلك المعاهدة في العام ١٩٨٧. أضاف شويغو أنه يفضل محاولة إعادة صياغة المعاهدة من أجل حمل دول أخرى على الانضمام إليها، وذلك لأنه يعتقد أن انسحابنا من جانب واحد هو من مصلحة أعدائنا المشتركين، وهو موقف كرّره لاحقاً. وأعتقد الآن أن إشارته الضمنية إلى الصين كانت واضحة تماماً. وأضاف شويغو أن المعاهدة أصبحت قديمة العهد، لكن التحدي الآن هو أن التكنولوجيات أصبحت في أيدي دولٍ لا ينبغي عليها امتلاكها. وأذكر أنه ختم حديثه بالاتفاق معنا على أن فعالية المعاهدة لم تعد قائمة، وكان ذلك أكثر الآراء صوابية التي يصرّح بها أي روسي حول هذا الموضوع. لكن ما يثير الاهتمام بالفعل هو أن شويغو وماتيس لم يلتقيا أبداً. وكذلك فإن بومبيو ولافروف لم يلتقيا حتى الآن، وها أنا اليوم أتحدث مع هؤلاء الروس أنفسهم في كل مرة.

وضعت أنا وهانتسمان في عصر ذلك اليوم، إكليلاً من الزهر فوق جسرٍ قريب من الكرملين، يقع على بُعد أقل من ٩٢ متراً من كاتدرائية القديس باسيل، أي في المكان الذي اغتيل فيه بوريس نيمتسوف. ويعتقد كثيرون بأن الرجل قُتل على يد عملاء تابعين للكرملين. وضعنا بعد ذلك أكليلاً آخر من الزهر على قبر الجندي المجهول بمحاذاة سور الكرملين، وهي مناسبة سبق لي أن حضرتها للمرة الأولى مع دونالد رمسفيلد قبل ثمانية عشر عاماً بالضبط.

بدأت اجتماعي مع بوتين بعد ذلك مباشرة، كما في المرة السابقة بالضبط، وفي القاعة المزخرفة ذاتها، وبترتيبها ذاته، وطاولة المفاوضات ذاتها. كان من الواضح أن بوتين مصممٌ على إظهار أسفه أمام وسائل الإعلام على انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى. ولاحظ بوتين كذلك أن النسر الذي يظهر في شعار الولايات المتحدة العظيم يُمسك بأغصان الزيتون

بأحد مخالبه (على الرغم من عجزه عن ملاحظة أنه يُمسك بالسهام بالمخلب الآخر). وسألني بوتين ما إذا كان النسر قد أكل كل حبوب الزيتون، فأجبته بأنني لم أحضر معي أياً منها. وهذا رد يُعتبر قوياً على الدعابات على الطراز السوفياتي.

قال بوتين فور مغادرة مراسلي الصحف للقاعة إنه تسلّم تقارير حول الاجتماعات التي سبق لي أن عقدتها مع الروس، وأضاف أنهم يقدّرون اتصالاتنا كثيراً، وأنه من دواعي سرورهم الاجتماع بي. ناقشنا مطولاً موقف بلدينا من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى. لكن الأمر الذي أثار اهتمام بوتين بالفعل كان، «ماذا بعد؟». وكان يتساءل بذلك عن الخطوات التي كنا ننوي اتخاذها بشأن نشر الأسلحة النووية المتوسطة المدى في أوروبا. شدّد بوتين في وقت سابق على أن روسيا وأميركا هما البلدان الوحيدان المقيدان فعلياً بمعاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، فأجبته بأنني أعتقد بأنه قال في آخر اجتماع لنا إن روسيا تتفهم جيداً العواقب الاستراتيجية لذلك الواقع، وكنت أشير بذلك إلى الترسانة الكبيرة والمتنامية للصين سواء من الصواريخ الباليستية أو الانزلاقية فوق الصوتية. وافق بوتين على أنه أقر بمسألة الصين، لكنه قال إنه لم يذكر رغبته بالانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، واتفق معي على أن روسيا والولايات المتحدة وحدهما مقيدتان بالمعاهدة. لكنه تابع أنه في الوقت الراهن ليس الانسحاب النقطة الأهم لدينا، بل خطط واشنطن المستقبلية. أبلغت بوتين، بأن الولايات المتحدة لم تتخذ بعد أي قرارات نهائية تتعلق بمستقبل نشر صواريخها متوسطة المدى٣، وكررت ذلك في مؤتمري الصحافي الذي عقدته لاحقاً. لاحظت كذلك أن أكثر ما يثير قلق بوتين هو نوعية الأسلحة التي ننوي نشرها في أوروبا، لكنه بعد مرور أسبوع من الزمن اغتنم الفرصة ليخيف الأوروبيين عندما أوحى ضمنياً بأننا سوف نعود إلى مناخ المواجهة الذي كان سائداً في منتصف ثمانينات القرن الماضي، مشيراً إلى نشر صواريخ بيرشينغ ٢ الأميركية الموجّهة. وتعمّد بوتين التركيز علناً على هذه النقطة، مهدداً باستهداف أي بلد يقبل بنشر الصواريخ الأميركية التي تخرق الالتزام ببنود معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى(١).

لكن، بطبيعة الحال، قامت روسيا بالأمر ذاته من خلال نشرها لصواريخها في كالينينغراد، من بين أمور أخرى، وكان كل ذلك السبب الرئيس لدينا الذي يدفعنا إلى الانسحاب من المعاهدة.

ذكر بوتين بأن كلينا محاميان، وقال: «يمكننا المضي بالتحدث بهذه الطريقة حتى الفجر». تبادلنا بعد ذلك بعض النكات حول المحامين. أما بموضوع معاهدة ستارت الجديدة فقد قمنا بمراجعة موقفينا على التوالي، ومن جهتي قمت بالتشديد مجدداً على فوائد الاستفادة من صيغة

(١) See Deutsche Welle, «INF: Vladimir Putin Threatens to mirror US deployment of nuclear missiles Europe,» October 24, 2018, https://www.dw.com/en/inf-vladimir-putin-threatens-to-mirror-us-indeployment-of-nuclear-missiles-in-europe/a-46031790

معاهدة موسكو، والتوصّل إلى اتفاقية على شاكلتها. تساءلت كذلك عن السبب الذي يدفعنا إلى الدخول في عناء إعادة التفاوض حول معاهدة ستارت الجديدة، وإضافة تخفيضات أو تحديدات للأسلحة النووية التكتيكية، وهو الموضوع الذي يتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة، وذلك نظراً للأعداد الكبيرة من هذه الأسلحة التي تمتلكها روسيا[1]. وقلت، رداً على أسئلة بوتين، إننا لا ننوي أبداً الانسحاب من معاهدة ستارت الجديدة، لكننا متأكدون تماماً من عزمنا على عدم السماح ببساطة بتجديدها لفترة خمس سنوات، كما تطالب روسيا (بالإضافة إلى جميع الأعضاء الديمقراطيين في مجلس الشيوخ تقريباً). تجنبنا، لحسن الحظ، المناقشات الطويلة عن الدولة التي تنتهك معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، أو معاهدة ستارت الجديدة، وتلك التي لا تنتهكهما، لكني شدّدت على أن الحديث عن مخالفات كهذه تُظهر العراقيل التي قد تحملها مثل هذه المعاهدات، وذلك بدلاً من تعزيز الهدف المنشود منها والمروّج لها، وهو تخفيف التوترات في العالم.

أما بالنسبة إلى سوريا، فقد شدّد بوتين على أن الروس ليسوا بحاجة إلى وجود الإيرانيين فيها، وأن الشيء الصائب بالنسبة إلى بلدينا هو تقديم الإغراءات لهم لمغادرة البلاد. وقال لي بوتين كذلك إنه بحث الموضوع مع نتنياهو، وكان ردّي أنه بعد انسحابنا من الاتفاق النووي مع إيران فقد عمدنا إلى إعادة فرض العقوبات عليها، ونحن نتوقع بأن تلك العقوبات سوف تؤلمها بشدة، كما لا يمكننا رفع العقوبات عنها مقابل انسحابها من سوريا. ردّ بوتين بأنه يفهم المنطق الذي نسير عليه ويدرك وجهة نظرنا بأن شعب إيران قد ضاق ذرعاً بنظام بلاده، لكنه حذّرنا مع ذلك من أننا إذا أعلنا الحرب الاقتصادية عليهم فذلك من شأنه تعزيز دعم النظام. فشرحت لبوتين سبب رؤيتنا المختلفة للأمر، والسبب الذي يجعل العقوبات الشديدة تؤدي إلى تقليص الدعم للنظام الذي يعاني بالفعل من ضغوط شديدة. أقرّ بوتين بعد ذلك بأن كلينا يمتلك نظريته الخاصة بشأن كيفية التعامل مع إيران، وأنه ينبغي علينا رؤية أي من هاتين النظريتين سينجح. ومازحني بوتين بشأن دعمنا للمملكة السعودية، بعد اغتيال خاشقجي، وقال إن روسيا مستعدة لبيع السلاح للسعوديين إذا امتنعنا نحن عن ذلك. لم يخالجني أي شك في صحة كلامه وهو يفسر سبب امتناع ترامب عن إلغاء صفقات مبيعات الأسلحة المعقودة معهم. انتهى اجتماعنا، الذي استغرق ساعة وثلاثة أرباع الساعة من الوقت، عند حوالي الساعة السابعة وخمس دقائق. (أبلغ بوتين ترامب في ما بعد وأثناء اجتماعه به في باريس خلال احتفالات الذكرى المئوية للهدنة (في الحرب العالمية الأولى)، في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر، بأننا تحادثنا بشكل جيّد في موسكو، وأنني كنت مهنياً تماماً ومحدداً في

(١) See U.S. Department of Defense, «Nuclear Posture Review,» 2018, https://media.defense.gov/2018/Feb/02/2001872886/-1/-1/1/2018-NUCLEAR-POSTURE-REVIEW-FINAL-REPORT.PDF, at pp.9 and 53

طروحاتي، لكن هذا لم يؤثر بترامب أبداً). ابتسم بوتين أثناء مصافحة الوداع وقال إنه رتّب أمر ذهابي إلى القوقاز.

عدت إلى الوطن مع شعوري بأن روسيا تستمتع بإلقاء اللوم علينا على الدوام، وعلى الأخص بالنسبة إلى الأوروبيين المتوترين على الدوام، والذين يعتزمون القيام بحملة معارضة قوية ضد انسحابنا من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وأعتقد أن هذه الحملة تثير الانزعاج لكنها تخلو من التهديد. ولم أتوقع حصول حملة دعائية كبيرة، أو أي شيء يمكنه إحباط عملية انسحابنا المحتم من المعاهدة. وكانت عملية إحاطة حلفائنا في حلف الناتو في بلجيكا. وفي العواصم، تسير بشكلٍ جيّد.

بعد مغادرتي تفليس، عاصمة جورجيا، محطتي الأخيرة في رحلة العودة، اتصلت مع ستولتنبيرغ الذي قال لي إن أعداداً متزايدة من حلفائنا قد بدأت بتفهّم المنطق الذي يستند إليه موقفنا.

لكنه قال لي كذلك إن بلداناً عدة ماتزال ترفض الاعتراف بأن روسيا تقوم بخرق معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى لأن هذه الدول تخشى، إذا وافقت على هذا الاعتراف، أن تضطر إلى قبول نشر أسلحة نووية في أراضيها. اعتبرتُ هذا أمراً جنونياً، لأن دول حلف الناتو كانت جاهزةً لإنكار الواقع لأنها تخاف العواقب إذا اعترفت بالأمر. لكن، هل تعتقد تلك الدول بالفعل بأنها إذا لم تعترف بالأمر فلن يصبح واقعاً؟ يُضاف إلى ذلك أن عدة دول منها قد ضغطت علينا لمزيدٍ من التأخير قبل الانسحاب من المعاهدة، وهي طريقة مقنّعة لكنها غير كافية لشراء الوقت بهدف منع الانسحاب كلياً، ولعل هذا هو الذي أثار قلقي من الممانعة الواضحة التي أظهرها ماتيس. التقيت سيدويل، إتيان، وجان هيكر (نظيرنا الألماني) في تشرين الأول/أكتوبر في باريس، خلال احتفال الذكرى المئوية لإعلان الهدنة من أجل مناقشة رغبة ألمانيا في تمديد مهلة انسحابنا من المعاهدة لستين يوماً. لم أوافق على هذا الطلب، على الأخص بسبب رغبة ترامب الواضحة بتحقيق الخروج عاجلاً وليس آجلاً. لكن مسألة التمديد بقيت من دون حل.

رافقتُ نائب الرئيس، بنس، إلى القمة التي عقدها اتحاد دول غرب آسيا، والتي عُقدت في سنغافورة في منتصف شهر تشرين الثاني/نوفمبر. وهناك عقدنا خلوة ثنائية مع بوتين في إحدى زوايا غرفة البحرية الواسعة. كنا محاطين بالعملاء السريين وموظفي أمن آخرين، وهكذا أثرنا الكثير من الانتباه أثناء مغادرة الآخرين القاعة. أراد بنس أثناء هذه الخلوة إثارة موضوع التلاعب الروسي بالانتخابات الأميركية. لكن سرعان ما تحوّل النقاش إلى مواضيع أخرى. سألَنا بوتين عن موقف ترامب من عقد اجتماع ثنائي معه خلال قمة العشرين، المزمع عقدها في الأرجنتين، لمناقشة مسألة الاستقرار الاستراتيجي، ومعاهدة ستارت الجديدة، وهي مواضيع سوف تكون مثيرة للاهتمام من دون شك. بدا بوتين كأنه فقد اهتمامه بموضوع معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة

المدى. وقال لي، من خلال مترجم. إنه يتفهّم حججنا والمنطق الذي يقف وراء قرارنا بالانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وهو الأمر الذي اعتبرتُه اعترافاً بنظرتنا المشتركة إزاء الصين. قلت له إنني سوف أعود للتشاور معه حول جدول أعمال قمة العشرين.

لكن ألمانيا تابعت، على أي حال، الضغط من أجل تأخير الانسحاب، ولهذا شرحت للرئيس ترامب في ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر بأنه يتوجب علينا الإعلان عن انسحابنا من المعاهدة يوم ٤ كانون الأول/ديسمبر خلال اجتماع وزراء خارجية الناتو، وعدم قبول اقتراح ألمانيا بتأخير هذا الإعلان ستين يوماً أخرى. تابعت روسيا في هذه الأثناء محاولاتها إخافة الأوروبيين، ولذا فإن المخاطرة بالتأخير ستين يوماً تصبح بلا معنى. وافق ترامب على اقتراحي، وهو الذي بات يشعر بالقلق من أن أي تأخيرٍ آخر سوف يجعلنا نبدو ضعفاء في أعين روسيا. وهذا يعني أن ترامب اتخذ الموقف الصحيح. ناقشنا الأمر مجدداً في اليوم التالي، وذلك خلال اجتماع مع ترامب لبحث مواضيع أخرى، عندما أيد ماتيس الموقف الألماني بتأخير الإعلان ستين يوماً. تساءلتُ عما إذا كان هذا الرجل يعمل على تنفيذ برنامجٍ غير معلن. نصحت ترامب مجدداً بإنهاء الأمر في يوم ٤ كانون الأول/ديسمبر. فقال لي: «أنا موافق. وهذا سوف يكون مكسباً لصالح جون. سوف نعلن الانسحاب من المعاهدة في ٤ كانون الأول/ديسمبر». ألححتُ عليه بعد ذلك لكي يُعلن في الوقت عينه تعليق كل التزاماتنا المفروضة علينا بموجب المعاهدة بسبب الخرق المادي الذي يقوم به الروس، وهو موضوع منفصل عن موضوع الانسحاب، يسمح بالبدء بانتهاكها حتى خلال فترة الإنذار البالغة ١٨٠ يوماً. وافق ترامب. وكان كيلي حاضراً معنا وسرعان ما طرح سؤالاً: «هل تقصد الاتفاقية بأكملها، يا سيدي؟» أجاب ترامب، «نعم».

لكن الأمر لم ينتهِ واقعاً عند هذ الحد بطبيعة الحال، لأنه في قمة العشرين التي عقدت في بوينس آيريس، في ١ كانون الأول/ديسمبر، واجهت ميركل ترامب مجدداً في الاجتماع الثنائي الذي عقدته معه، وذلك عندما قالت إنها توافق كلياً على أن روسيا تقوم بخرق المعاهدة، لكنها شكت من عدم وجود محادثات سياسية بين روسيا والولايات المتحدة، وهو أمرٌ بلا معنى، ذلك لأننا عقدنا محادثات كهذه ليس في عهد ترامب فقط بل في عهد أوباما كذلك. سألَني ترامب عن رأيي بالموضوع فنصحته بشدة بالمضي قدماً بحسب ما هو مخططٌ له، وإعلان الانسحاب في يوم ٤ كانون الأول/ديسمبر. قال ترامب إنه لا يريد أن يبدو ضعيفاً أمام روسيا، كما أن ميركل وعدت بأنها سوف تدعمنا إذا أمهلناها ستين يوماً. قال ترامب، بعد مرور دقائق عدة من الأخذ والرد، إنه يوافق معي، لكنه مع ذلك سوف يعطي ميركل مهلة الشهرين التي طلبتها، وذلك بشرط أن نتمكن من الانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى بعد انتهاء المهلة. وهكذا شدّدتُ أنا وبومبيو على فترة الشهرين فقط، فوافقت ميركل، وكذلك شدّدتُ على أن الألمان، وبعد نهاية المهلة سوف يقولون إنهم

يدعمون قرارنا بالانسحاب، وبشرط ألا يستخدموا كلمات أخرى مثل، «نتفهم»، والتي سبق أن حاول هيكر استخدامها معي، ووافقت ميركل. ظننت في ذلك الوقت بأن ذلك هو كل ما أستطيع الحصول عليه، لكنه كان قليلاً جداً بالمقارنة مع المتاعب التي كنا سنتحملها لو أعلنّا الانسحاب ببطء. ناقشنا بعد ذلك مسألة شرح الأمر لحلفائنا في حلف الأطلسي، فاقترح ترامب أن يقول: «نزولاً عند طلب ألمانيا وغيرها من الدول سوف نقوم بتفعيل الانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى بعد ستين يوماً بدءاً من الآن». أدهشني لدى سماعي هذا الكلام أنه لم يقدّر فترة الإنذار لمدة ١٨٠ يوماً، والتي يجب أن تنتهي قبل أن يتحقق الانسحاب فعلياً، لكن تأخّر الوقت لإعادة فتح باب مناقشة هذا الموضوع.

سار الإعلان عن الانسحاب في ٤ كانون الأول/ديسمبر على ما يرام، وأرسلنا إخطاراً بالانسحاب من المعاهدة في ١ شباط/فبراير، ٢٠١٩. أعلن الروس على الفور تعليقاً فورياً لأي مفاوضات جديدة متعلقة بالحد من التسلّح، وهو أمرٌ مفيد لنا لم يكن في الحسبان.

أطلق عليّ المسؤول الأميركي الأعلى لهيئة الرقابة على الأسلحة لقب «بطل اتفاقيات الأسلحة النووية». أما أنا فاعتبرتها مجاملة. وبطبيعة الحال حصل بعض الهرج مع مرور الأشهر ببطء، لكن عند الساعة ١٢:٠١ من صباح يوم الجمعة، ٢ آب/أغسطس، تخلّصت الولايات المتحدة من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وكان ذلك يوماً عظيماً!

تبقى معاهدات أخرى ثنائية ومتعددة الأطراف، تشمل روسيا والولايات المتحدة، بحاجة إلى إعادة النظر فيها، هذا إذا لم نذكر العديد من الاتفاقيات متعددة الأطراف والتي عقدتها الولايات المتحدة بطريقة متسرعة. وافق ترامب من دون تردد، على سبيل المثال، على إلغاء توقيع معاهدة الاتجار بالسلاح والتي عُقدت في عهد أوباما، والتي رفض مجلس الشيوخ تصديقها، كما وقفت ضدها طويلاً المجموعات المعارضة لتنظيم بيع الأسلحة الفردية في الولايات المتحدة. تعود تلك المعاهدة إلى الأيام التي شغلتُ فيها منصب وكيل وزارة الخارجية في عهد إدارة بوش الإبن(١). كان ترامب يتحدث في المؤتمر السنوي للجمعية الوطنية للبندقية، والذي عُقد في ٢٦ نيسان/أبريل من العام ٢٠١٩ في إنديانابوليس، حين قوبل بعاصفة من التصفيق والتهليل، أثناء إعلانه الانسحاب من الاتفاقية أمام الحشود.

كما أعلن ترامب الانسحاب من اتفاقية باريس حول التغيّر المناخي، وهي خطوة حظيت بدعمي. تضمنت هذه الاتفاقية كل التأثيرات التي يصدرها العالم على التغيّر المناخي، بدءاً من سبحات الصلاة، وإضاءة شمعة في الكنيسة (سيأتي أحدهم في يوم قريب ليحاول منعك من إشعال

(١) See Bolton, Surrender Is Not an Option, pp.87–92, 97

تلك الشموع نظراً لمخلفات الكربون التي تبثها في الجو!) تتطلب هذه الاتفاقية من الموقّعين عليها وضع أهداف قومية، لكنها لا تحدّد ما هي تلك الأهداف، كما أنها لا تتضمن آليات التطبيق الخاصة بها. إنها العقائد الدينية المختبئة وراء السياسات، وهي ظاهرة دولية تزايد انتشارها في العلاقات الدولية.

أما قائمة الاتفاقيات الأخرى والتي يجب التخلّي عنها فهي طويلةٌ جداً، بما فيها قانون معاهدة البحار، وقانونان آخران يتوجب على الولايات المتحدة أن تتخلى عنهما، وأولّهما معاهدة السماوات المفتوحة في ١٩٩٢ (التي دخلت حيّز التنفيذ في العام ٢٠٠٢) وهي التي تسمح، نظرياً على الأقل، للدول الموقّعة عليها بتسيير طلعات رصد ومراقبة جوية غير مسلّحة فوق مناطق الدول الموقّعة على الاتفاقية، والتي يزيد عددها عن الثلاثين دولة، لكنها كانت مدار جدالٍ منذ صدورها(١). وتبيّن لنا أن تلك المعاهدة كانت بمثابة هدية مجانية لروسيا(٢) لكن تقادمَ عليها العهد، وفقدت قيمتها عملياً بالنسبة إلى الولايات المتحدة، لأننا لم نعد بحاجة لتسيير رحلات رصد ومراقبة فوق أراضيهم. وليس هناك من شك بأن انسحابنا سوف يخدم مصالحنا القومية، وسوف يحرم روسيا، على سبيل المثال، من قدرتها على القيام بطلعات جوية على ارتفاعات منخفضة فوق واشنطن العاصمة، بالإضافة إلى مواقع أخرى ذات حساسيةٍ عالية. وكانت مسألةً الانسحاب من معاهدة السماوات المفتوحة قيد الدرس عند تقديمي لاستقالتي، والتقارير الصحافية أشارت إلى الجهود المبذولة بهذا الصدد، كما أنني ما زلت داعماً لهذه الجهود المستمرة بكل قوة(٣).

وبالمثل، فإن الخروج من معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية يجب أن يكون أولوية لدينا، وبحيث تتمكن الولايات المتحدة من استئناف تجاربها النووية تحت الأرض. لقد امتنعنا عن تجربة الأسلحة النووية منذ العام ١٩٩٢، لكن بينما نمتلك برامج واسعة للتحقق من سلامة مخزوناتنا وموثوقيتها، إلّا أنه لا يمكننا التأكد من ذلك قطعياً من دون إجراء تلك الاختبارات. لكن على الرغم من أننا لم نصادق أبداً على معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية، إلّا أننا عالقون في مصيدة القانون الدولي. فالمادة ١٨ من اتفاقية فيينا حول قانون المعاهدات، والمستندة ضمنياً على «القانون الدولي العرفي» تنص على أن البلدان التي وقّعت على معاهدة، ولم تصادق عليها، تُمنع من اتخاذ إجراءات تناقض «هدف المعاهدة وغايتها». إن الخروج من معاهدة الحظر الشامل للتجارب

(١) See Aaron Mehta, «US, Russia remain at 'impasse' over Open Skies treaty flights,» https://www.defense-news.com/air/2018/09/14/us-russia-remain-at-impasse-over-nuclear-treaty-flights/

(٢) Aric Jenkins, «Why Russia Was Allowed to Fly a Surveillance Plane Over the Capitol and the Pentagon,» https://time.com/4895574/open-skies-treaty-russia-surveillance-plane/

(٣) Julian Borger, «Trump administration determined to exit treaty reducing risk of war,» April 5, 2020, https://www.theguardian.com/us-news/2020 /apr/05/trump-administration-treaty-war-russia-withdraw

النووية يوضح أن الولايات المتحدة سوف تعيد النظر في المستقبل بمسألة الاختبارات النووية تحت الأرض، وذلك بناءً على مصالحنا القومية. وللمفارقة كذلك، فإن الولايات المتحدة قد وقّعت، لكن لم تصادق أبداً، على اتفاقية فيينا، وهذا يعني أن قابلية «القانون العرفي الدولي» للتنفيذ مازالت عرضةً للنقاش الحاد. أما بعض الدول النووية الأخرى، مثل الصين والهند، فإما لم تصادق، أو لم توقّع على المعاهدة، وهكذا لم تأخذ المعاهدة طريقها إلى التطبيق. وخرجت الولايات المتحدة من معاهدات أخرى، وعلى الأخص أثناء إدارة بوش الإبن، وذلك عندما خرجنا من نظام روما الذي أسّس المحكمة الجنائية الدولية[١].

حماية الانتخابات الأميركية من أعمال الحرب

أطلقتُ، خلال حملة العام ٢٠١٦ الانتخابية، على الجهود التي بذلتها روسيا للتدخل في الانتخابات، وصف «عملٍ حربي» ضد البنى الدستورية لدينا[٢] وراقبت بامتعاض التقارير الواردة عن اجتماع بوتين وترامب خلال قمة العشرين، والتي عُقدت في العام ٢٠١٧ في هامبورغ، ألمانيا، حيث نفى بوتين نفياً قاطعاً أي تدخلٍ روسي في الانتخابات[٣].

إننا نحتاج ليس فقط إلى رد على التهديدات السيبرانية الدولية، بل نحتاج كذلك إلى قدرات عسكرية وسرية كبيرة. وتبعاً لذلك، فإن أولى الأمور التي عالجتها هي قدرتنا على شن الهجمات السيبرانية ضد خصومنا، بمن فيهم المجموعات الإرهابية، «والمجموعات الفاعلة من غير الدول». ويجري صراعٌ وراء الكواليس منذ مدة طويلة بين الذين يناصرون نهج إدارة أوباما من الذين يؤمنون بأن الجهود السيبرانية الدفاعية فقط كانت كافية، مع استثناءات نادرة، وبين الرؤية الأكثر صلابة، والتي ترى أن القدرات الهجومية حاسمة. واعتمدت استراتيجية أوباما على مغالطة تفيد أن المجال السيبراني غير مؤذٍ نسبياً، وحتى أنه غير فاسد، وأن النهج الأفضل هو تخفيف المشكلة، وليس المخاطرة بجعل الأمور أسوأ. لكني لم أفهم السبب الذي يفرض على المجال السيبراني أن يكون مختلفاً فعلياً عن باقي التجارب الإنسانية: إذا كنا أساساً في حال من الفوضى، فإنه يمكن للقوة

(١) هناك ملخص لقصة خروجنا من ميثاق روما في كتاب: "Surrender Is Not an Option", pp 85–87

(٢) See John R. Bolton, «Vladimir Putin looked Trump in the eye and lied to him. We negotiate with Russia at our peril,» at https://www.telegraph.co.uk/news/2017/07/10/vladimir-putin-looked-trump-eye-lied-negotiate-russia -peril/

(٣) David Filipov et al., «Putin denies election hacking after Trump pressed him, Tillerson says,» https://www.washingtonpost.com/world/heres-whats-at-stake-whentrump-finally-meets-putin/2017/07/07/a5c577d2-627c-11e7-80a2-8c226031ac3f_story.html

والحسم، المدعومين بالأسلحة الهجومية الكثيرة، من تكوين بُنى ردعية ضد الخصوم المحتملين، وهي التي تفرض السلام في النهاية. إذا كانت روسيا، والصين، وكوريا الشمالية، وإيران، وبلدان أخرى تنافسنا في المجال السيبراني، وهو أمر نعرفه بيقين متزايد[1]، فذلك يعني أن الوقت قد حان للمواجهة.

لم تصمّم استراتيجية كهذه لزيادة الصراع في هذا المجال الجديد، بل للجمه. وفي الواقع فإن استراتيجية الدفاع فقط تعني حدوث المزيد الاستفزازات، والصراعات، والضرر، بالنسبة للمتاجر، والكيانات الخاصة الأخرى، وكذلك بالنسبة إلى الحكومة الأميركية.

هذا النهج ذو الميل الهجومي بالكاد يُمكن اعتباره ثورياً. فقبل وصولي إلى الجناح الغربي، كانت هناك نقاشات مكثفة بين الوكالات، والتي تهدف إلى تغيير القواعد التنظيمية التي تحكم اتخاذ القرارات السيبرانية، والتي كانت سائدة في عهد أوباما. كانت هذه القواعد مركزية إلى حد كبير في منح السلطة لشن هجوم سيبراني، كما كانت مُتعِبة بشكلٍ كبير من الناحية البيروقراطية، إلى حد أن العمليات السيبرانية الحقيقية التي جرت في عهد أوباما كانت نادرة. ومن خلال التركيز على الطريقة بدلاً من السياسات، كبحَ أوباما العمليات الأميركية في المجال السيبراني من دون أن يُفصح عن ذلك بوضوح. مكّنه هذا الأسلوب من تفادي النقاشات العامة المشروعة، والتي كان من الضروري إجراؤها بشأن هذا المجال الحربي الجديد. ومما يؤسف له هو أن الجمود البيروقراطي والمواجهات الجانبية، وبعض القضايا الهامة التي بقيت دون حل، أصابت إدارة ترامب بالشلل شهراً بعد شهر. كان ينبغي أن يتغيّر ذلك. كان أحد أول الأمور التي قمت بها هو توضيح خطوط الصلاحيات بين أعضاء مجلس الأمن القومي المولجين بقضايا الأمن القومي والداخلي، وذلك لأنهما كانا الشيء ذاته في حقيقة الأمر. قمت كذلك بإلغاء مجالات الصلاحية المكرّرة والمتنافسة والإقطاعيات داخل المجلس، وجعلت من الممكن لأعضاء مجلس الأمن القومي التحدث بصوتٍ واحد. بالتخلص من كل الأمور التي لا قيمة لها، انطلقنا، على الرغم من أن المعارك البيروقراطية، والمعوقات بقيت أمامنا.

احتجنا بعد ذلك للقيام بأمرين: الأول، كان من الضروري وضع استراتيجية سيبرانية لإدارة ترامب، والثاني كان لا بد من إلغاء القواعد التي سادت في عهد أوباما واستبدالها بهيكلية سريعة، وأكثر مرونة، لاتخاذ القرارات. وعند تسلمي لمنصبي كان تحقّق قدر كبير من العمل، لكن الأمر تطلب بذل قدرٍ كبير من الجهد لإسقاط آخر الأولويات البيروقراطية القليلة المتبقية وتحقيق الغاية. ولطالما فكّرتُ أنه إذا واجه البيروقراطيون عندنا خصومنا الأجانب بالجهد الذي يبذلونه لمواجهة بعضهم بعضاً عندما تكون مصالحهم الخاصة على المحك، فعندها سوف نحصل على قدرٍ أكبر

(١) See «National Cyber Strategy of the United States of America,» September, 2018, https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2018/09/National-Cyber-Strategy.pdf, pp.1-2 and throughout

بكثير من الراحة. وعلى الرغم من الجهود المضنية التي بذلناها، كان علينا الانتظار خمسة أشهر، أي حتى ٢٠ أيلول/سبتمبر قبل أن نتمكن من نشر الاستراتيجية السيبرانية الجديدة علناً[١]. وعلى الرغم من أن تصميمنا على تفعيل العمليات السيبرانية الهجومية قد احتل عناوين الصفحات الأولى من الصحف، فإن الاستراتيجية بشكل عام كانت شاملة، ومتعقلة، وبداية جيدة[٢]. حتى أن أحد خبراء المجالات السيبرانية في عهد أوباما علق بالقول: «تُظهر هذه الوثيقة ما يمكن أن تكون عليه الاستراتيجية القومية عندما يتعلق الأمر بقضية غير حزبية بحق. وترسي هذه الاستراتيجية توازناً جيداً بين الإجراءات الدفاعية، وتهدف إلى فرض عقبات على الفاعلين الخبثاء. يُضاف إلى ذلك أنه من الواضح أن هذه الاستراتيجية هي انعكاس لتطوير عملية سياسية قوية عابرة للإدارات»[٣].

كان تجديد الاستراتيجية صعباً بما فيه الكفاية، لكن تمزيق القواعد القديمة كان أصعب بكثير، وكذلك كان التعامل الجاري بين الوكالات جامداً للغاية. وأرادت وزارة الأمن الداخلي، ووزارات أخرى، إبقاء الخناق على وزارة الدفاع، وهو ما أراده كذلك مجتمع الاستخبارات. لكن البنتاغون رفض أي إشراف عليه من أية جهة كانت، بما في ذلك البيت الأبيض، وانتهج سياسة «إما كل شيء أو لا شيء» في المفاوضات، وهو الأمر الذي أغضب جميع الجهات المعنيّة. كانت نتيجة ذلك تصلّب المواقف السياسية في الأشهر الثمانية عشر التي مضت منذ تسلّم الإدارة الجديدة زمام الأمور. وشعرتُ حينها بما أعلنه يوليسيس س. غرانت عندما قال أمام أسوار ريتشموند: «أقترح أن نحارب على هذه الجبهة، ولو استغرق الأمر كل فصل الصيف». بدا الأمر تفاؤلياً. وزعم ماتيس تكراراً بأننا لن نتمكن من القيام بأي عمليات سيبرانية هجومية قبل الانتخابات، المقرّر إجراؤها في شهر تشرين الثاني/نوفمبر (وهو الذي يعرف أن هذه الانتخابات كانت أولوية عندي) إذا لم تؤخذ رؤيته بعين الاعتبار. وهذه كانت طريقة العمل المعتمدة عنده: التأكيد على أن التوقيت ملح، وهو ما يقوله ماتيس عندما يناسبه الأمر، ثم يتوقع الفشل والشؤم إذا لم يؤخذ برأيه.

(١) The December 14 call is noted at p. 138 in https://www.govtinfo.gov/content/pkg/DCPD-2018DIGEST/pdf/DCPD-2018DIGEST.pdf. See also Barbara Starr et al., «Trump orders rapid withdrawal from Syria in apparent reversal,» https://www.cnn.com/2018/12/19/politics/us-syria-with drawal/index.html; and Karen DeYoung, «Trump Administration tries to head off Turkish assault on Kurds in Syria,» December 14, 2018, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/trump-administration-tries-to-head-off-turkish-assault-on-kurds-in-syria/2018 /12/14/6d614120-ffe5-11e8-ad40-cdfd0e0dd65a_story.html

(٢) See Mark Landler et al., «Trump to Withdraw US Forces From Syria, Declaring 'We Have Won Against ISIS,'» https://www.nytimes.com/2018/12/19/us /politics /trump-syria-turkey-troop-wthdrawal.html

(٣) See p. 140 at https://www.govinfo.gov/content/pkg/DPCD-2018DIGEST/pdf/DPCD-2018DIGEST.pdf

احتجنا في ذلك الوقت إلى التحرّك، ففي السابع من شهر آب/أغسطس عقدنا اجتماعاً للجنة الرؤساء. افتتحتُ الاجتماع بالقول إنه على مدى تسعة عشر شهراً، وبعد عشرات الاجتماعات الأخرى على مستويات أقل، والتي كانت عقيمة، عجزت إدارة ترامب عن استبدال القواعد التي وضعها أوباما. لكن الآن أصبح لدينا مسودة مذكرة رئاسية، تعطي صناع السياسة قدراً أكبر من المرونة وحرية التصرّف، لكن من دون استبعاد الذين يتمتعون بمصالح شرعية في النتيجة المتوخاة، من عملية اتخاذ القرارات. وقلت في ذلك الاجتماع إنه إذا بقيت هناك معارضة، فإنني سوف أقوم بتحويل الأمر إلى الرئيس ليتخذ القرار. حاز كلامي هذا على انتباه جميع الحاضرين. لكن، وكما يحدث في هذه الاجتماعات ذات المستوى الحكومي، فإن عدداً من الرؤساء لا يتمكنون من الكلام إلّا استناداً إلى ورقة محضرة سلفاً، عليها رؤوس أقلام النقاط التي يريدون الكلام عنها، وعادة ما يعتمدون على مرؤوسيهم لمساعدتهم. لكني شعرت بأنه ينبغي وضع قاعدة تقول إنه إذا وجد الوزراء والمدراء أن من غير الضروري لهم شخصياً أن يفهموا المسائل المطروحة، فإنه من الأفضل ألا يحضروا الاجتماع على الإطلاق. ماتيس أصرّ على أنه يريد إحداث تغييرات جوهرية في طريقة العمل. لكن جينا هاسبل، وسو غوردون (نائبة دان كوتس)، وجيف سيشنز، وكذلك مكتب التحقيقات الفدرالي، وافقوا على المسودة كما هي. أما بومبيو ومنوشين فلم يقولا الكثير إلّا أنهما لم يعارضا. ومما يؤسف له، أن ماتيس إما أنه لم يتمكن من شرح أسباب التغييرات التي يريدها، أو أنه لم يرغب في ذلك. في فترة ما يزيد عن السنة من تسلّم الإدارة الجديدة لمهامها أخبروني أن النمط المتبع كان يقضي بأن يتمسك ماتيس بموقفه، وتيلرسون سوف يوافق، أما الباقون فيجلسون صامتين من دون الإدلاء بآراء هامة، وهكذا ينتهي الاجتماع. من المحتمل أن يكون هذا النمط ناجحاً من قبل، لكني لا أقبله من جهتي. وهكذا أنهيت الاجتماع بالقول إننا نمتلك إجماعاً واسعاً في طريقنا (حتى وإن لم يوافق ماتيس)، كما أنني آمل بأن نتمكن من المضي قدماً بسرعة من أجل الانتهاء من درس مسودة مذكرة اتخاذ القرارات.

غادر ماتيس بسرعة، لكن محامي وزارة الدفاع، وآخرين تابعوا الاجتماع، وافقوا معي على أننا قريبون جداً من شيءٍ يناسب الوزارة، على الرغم من موقف ماتيس. حافظ ماتيس على مدى الأيام القليلة التالية من المفاوضات المفصلة على تعنّته، كما أنني لاحظت بعض التراجع من قِبل عناصر مجتمع الاستخبارات، وهم الذين شعروا بالغيرة من السلطات التي يتمتع بها مجلس الأمن القومي. ويعكس هذا الموقف التوتر، شبه الوجودي، وقديم العهد، بين وكالة الاستخبارات المركزية والبنتاغون. وعلى الرغم من كل ذلك فقد أخبرت ترامب بأننا نحرز تقدماً. أخيراً، وقّع ترامب مذكرتنا التوجيهية، وانطلقنا بالعمل في ١٥ آب/أغسطس، بعد التأخير البيروقراطي من داخل البيت الأبيض، لأسباب يثير ذكرها الملل ولا يمكن تفسيرها.

ركّزنا في البداية على المسائل المتعلّقة بالانتخابات من أجل الانطلاق بعملنا الذي يهدف إلى تكوين رادع ضد التدخل فيها، ليس فقط في انتخابات العام ٢٠١٨، ولكن في الانتخابات الأميركية المستقبلية كذلك. وكان من المقرر اتخاذ خطواتٍ أخرى من أجل إرساء أسس قدرات سيبرانية شاملة.

وضعنا كذلك مسودة أمرٍ تنفيذي بموجب السلطات الرئاسية القائمة، وهو ما يجعل من الأسهل تنفيذ عقوبات ضد جهود الجهات الأجنبية للتدخل بالانتخابات(١). وكان من شأن هذه الخطوة تجنيبنا الحصول على قانون جديد، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعلق في مماحكات بين الحزبين. حتى بعض الجمهوريين، نتيجة خشيتهم من ردود ترامب الضعيفة على الاستفزازات الروسية، أرادوا المضي في طلب الحصول على تشريعاتٍ جديدة، لكننا شرحنا لهم، بصبر، السبب الذي يجعل الأمر التنفيذي أكثر فعالية، ويجنّبنا التصويب الحزبي على أي قانون يُمكن أن يظهر. الأهم من كل ذلك كان غياب أي ضمانة بأن يتمكّن الكونغرس من إصدار قانون قبل انتخابات العام ٢٠١٨، فالبديل يجب أن يظهر بسرعة. شرحت للرئيس ترامب في ١٢ أيلول/سبتمبر السبب الذي يجعل الأمر التنفيذي بديلاً مناسباً، عندما جلست معه في غرفة طعام صغيرة مع عددٍ من الأشخاص الذين يتناقشون في قضية جدار الفصل على الحدود المكسيكية. شرحت للرئيس الفكرة وراء إصدار أمرٍ تنفيذي، وقلت له إنه طريقة جيدة لإظهار جدّيتنا، ودحض الانتقادات القائلة إن الإدارة لا تبذل جهداً استباقياً في الدفاع عن نزاهة الانتخابات، وكذلك لصد أي إجراء غير حكيم من قِبل الكونغرس. سألني الرئيس: «فكرة مَن كانت هذه؟» قلت له إنها فكرتي» فردّ عليّ، «أوه» وأسرع إلى توقيع العقد. وقالت لي شهيرة نايت، التي كانت وقتها مديرة الشؤون القانونية في البيت الأبيض، وكانت سعيدة لأن موضوع قانون الانتخابات قد أقفل بفعالية: «تهانينا. لقد كان ذلك رائعاً بالفعل».

في نهاية شهر أيلول/سبتمبر أصبحت لدينا هيكلية سياسة انتخابية- أمنية جوهرية، تمكنا من تسريع جهودنا الهادفة إلى تأمين انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، لكن هذا لا يعني أننا لم نبذل جهداً كبيراً بالفعل في موضوع السياسة الدفاعية بما يتعدى الأمن السيبراني لوحده. بعد شهرٌ واحد على تسلّمي لمنصبي، أي في ٣ أيار/مايو، ٢٠١٨، أطلع مدير وكالة الاستخبارات المركزية راي، ووزيرة الأمن الداخلي كيرشتين نيلسن، ومدير الاستخبارات القومية كوتس، وآخرون، ترامب على العمل الجاري بهدف زيادة الأمن في شهر تشرين الثاني/نوفمبر. أراد ترامب أن تكون الوكالات

(١) See "Executive Order on Imposing Sanctions in the Event of Foreign Interference in a United States Election," September 12, 2018, https://www.whitehouse.gov/presidential-actions/executive-order-imposing-certain-sanctions-event-foreign-interference-united-states-election/

العاملة أكثر وضوحاً في إصدار الأخبار حول العمل المكثف الذي أُنجز، والذي تقلّل وسائل الإعلام من الحديث عنه. شعر المسؤولون في الوزارات والوكالات بأنهم يقومون بعملٍ صائب، لأنهم يعرفون طبيعة التهديد، كما أن أحداً لم يمنعهم من محاولة الدفاع ضده.

عقدنا اجتماعاً ثانياً لمجلس الأمن القومي في ٢٧ تموز/يوليو من أجل إلقاء نظرة أخرى على جهودنا، وحضرت الاجتماع كل الوكالات العاملة التي أوردت كلها بأنها جاهزة، وفي حالٍ أفضل بكثير مما كانت عليه في حملات العام ٢٠١٦، وأكثر وعياً بكثير بطبيعة المخاطر التي سوف تواجهها في دوائرها كافة.

أتبعنا اجتماع مجلس الأمن القومي هذا بجلسة إحاطة في مكتب الصحافة التابع للبيت الأبيض، وذلك في ٢ آب/أغسطس. وشارك في الاجتماع كوتس، ونيلسن، وراي، والجنرال بول ناكازوني مدير وكالة الأمن القومي، والتي كانت كذلك مركزاً للقيادة السيبرانية الأميركية، بالإضافة إلى حضوري شخصياً. روى كل مسؤولٍ في هذا الاجتماع العمل الذي تقوم به وكالته، والذي كان يجب أن يتم في وقت أبكر. ولقيت جلسة الإحاطة هذه صدى حسناً لدى الصحافة، وإن مع بعض التذمر. ووصف أحدُ المقالات جلسة الإحاطة هذه بأنها «عرضٌ للقوة» من الإدارة، وذلك للبرهان على أننا نقوم بالفعل بشيء ما في قضية التلاعب في الانتخابات. لكن وسائل الإعلام عجزت عن توجيه انتقادٍ لكفاية المجهود الذي نقوم به بشكلٍ عام، فتحولت إلى القول إن ترامب كان يتبع سياسة معينة بينما نتبع نحن سياسة أخرى[1]. ولسوء الحظ كان هناك شيء من هذا إذ أن ترامب دأب على الاعتراض على انتقاد روسيا، وحثّنا على ألا نُكثر من انتقادها علناً.

كان كل هذا العمل التحضيري ضرورياً، على الأخص لأنه قد يكون من الواجب إحاطة الكونغرس علماً بتهديداتٍ معيّنة. كانت هناك داخل المجموعة المحدودة من الوكالات – التي قد تكون مصالحها السيبرانية الهجومية على المحك – انقسامات واضحة في الآراء حول الأمور التي يجب أن تُنقل إلى الكونغرس، ومدى السرعة التي سوف تصل بها هذه الأمور إلى الصحافة. كانت هذه أمور معقدة عادة لأن أحد أهداف خصومنا لم يكن فقط التأثير على انتخابات معينة، بل الهدف كان بذر الخوف وانعدام الثقة في أرجاء الجسم السياسي، وهو ما يؤدي إلى تدمير ثقة المواطن في نزاهة النظام ككل. يمكن أن تتسبب معلومات غير أكيدة وناقصة، ولا تصدر عنها استنتاجات صلبة على الفور، بإحداث ضررٍ أكبر إذا ما صدرت قبل أوانها وبشكلٍ واسع، وهكذا نكون قد خاطرنا في جعلها ذخيرة دسمة في المعارك السياسية الحزبية. إنني لا أؤمن بأنه يتوجب علينا القيام بأعمال الذين يهاجموننا بالنيابة عنهم، بنشر معلوماتٍ مغلوطة سواء للكونغرس أو للحملات الانتخابية التي قد

(١) See, e.g., Eric Geller, "Trump silent as top officials warn of Russia threat," https://www.politico.com/story/2018/08/02/trump-russian-election-hacking-720428

تكون عرضة للهجوم. لكن، ولحسن الحظ، فإن التدخل الأجنبي قد تقلّص كثيراً في العام ٢٠١٨ إلى درجة أن الحوادث القليلة التي شهدناها قد تمّ حلّها بطريقة مرضية.

لكن كان من الواضح أن غريزة «تغطية المؤخرة» لبعض الرسميين والبيروقراطيات كانت تمثل مشاكل خطيرة محتملة إذا ما تزايدت المخاطر.

فرضت إدارة ترامب في العام ٢٠١٧، عقوبات اقتصادية جديدة جوهرية على مواطنين روس، وكذلك على بعض المؤسّسات الروسية، لعلاقة هؤلاء بضم منطقة شبه جزيرة القرم. شكّلت تلك العقوبات إضافةً جديدة لما فعله أوباما، وكذلك شملت توسيع العقوبات الأخرى، مثل إغلاق القنصليتين الروسيتين في سان فرنسيسكو وسياتل، وطرد ما يزيد عن ستين من عملاء الاستخبارات الروسية (العاملين في الولايات المتحدة بصفة دبلوماسيين) وذلك بعد عملية التسميم التي قامت بها موسكو لسكريبال وابنته[١]، كما فرضت عقوبات عليها بسبب خرقها قانون مراقبة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وإنهاء الصراعات بهذه الأسلحة، وذلك أيضاً نتيجة عملية تسميم سكريبال وابنته. وإضافة إلى ذلك فرضت عقوبات على وكالة أبحاث الإنترنت الروسية، التي تُعتبر ذراع الهجوم السيبراني الروسي، وعاقبت ما يزيد على ٣٦ موظفاً رسمياً روسياً بسبب خرقهم العقوبات الأميركية المفروضة على سوريا[٢]. وكانت تُفرض عقوبات إضافية على كل شخص ومؤسسة متورطة.

فاخر ترامب بهذه العقوبات معتبراً إياها إنجازات هامة، لكن معظمها استدعى معارضة، أو على الأقل تذمراً مطولاً وشكاوى من ترامب ذاته. أحدُ الأمثلة على ذلك يتعلّق بالعقوبات الخاصة بتسميم سكريبال وابنته بمواد كيميائية. ويُعتبر هذا القانون حديث العهد، واستُخدم لأول مرة بعد أن أمر كيم جونغ أون بقتل أخيه غير الشقيق في ماليزيا بواسطة الأسلحة الكيميائية، وبعد قيام نظام الأسد بهجمات بالأسلحة الكيميائية في سوريا. وظهرت انتقادات كثيرة تقول إن العقوبات التي فُرضت لم تكن قاسية بدرجة كافية، لكن ترامب اعترض على مبدأ فرض العقوبات بالكامل، إلّا أنه وافق عليها أخيراً قبل قمة هلسنكي، وأرجأ الإعلان عنها حتى انتهاء القمة. شرحنا لترامب أن هذه العقوبات كانت فقط الأولى على ما يبدو من بين سلسلة طويلة، لأن القانون الذي تُفرض

(١) See "Executive Order on Imposing Sanctions in the Event of Foreign Interference in a United States Election," September 12, 2018, https://www.whitehouse.gov/presidential-actions/executive-order-imposing-certain-sanctions-event-foreign-interference-united-states-election/

(٢) See Ivan Gutterman et al., "A Timeline of All Russia-Related Sanctions," https://www.rferl.org/a/russia-sanctions-timeline/29477179.html

العقوبات بموجبه يسمح بفرض عقوبات أكثر صرامةً إذا لم تقدّم الدولة المتهمة دليلاً مقنعاً على أنها تخلت عن الأسلحة الكيميائية و/ أو البيولوجية، بما في ذلك السماح للمفتشين الدوليين بالتأكد من التزامها بالتخلّص من تلك الأسلحة. لكن أحداً لم يصدق أن روسيا قد تفعل ذلك. أما عند اختتام قمة هلسنكي فقد أعلنت الحكومة عن العقوبات، وذلك لأنه لم تكن هناك حاجة إلى اتّخاذ قرارٍ جديد. أراد ترامب إبطال الإعلان عن العقوبات فور سماعه بهذه الأخبار، فتساءلتُ عندها ما إذا كانت هذه الأزمة برمّتها قد تسبّبت بها زيارة راند بول التي قام بها منذ وقت قريب إلى موسكو. حظيت الزيارة بتغطية صحافية هامة، حيث لا بد وأن الروس قد شدّدوا أمامه على أنهم غير مسرورين بشأن العقوبات. كان هذا الأمر مثيراً للسخرية لأن سياسياً تحررياً مثل بول كان قلقاً جداً بشأن أحاسيس الكرملين الرقيقة. سمع منوشين بهذه المسألة فأجرى اتصالاً مع بومبيو، ومعي، ليلقي علينا بالملامة لأننا لم نخبره بالعقوبات الجديدة. لكن كلامه افتقد إلى الدقة لأن العقوبات خضعت مسبقاً لمراجعة في مجلس الأمن القومي، ومن دون أن يعترض عليها أحد. وهكذا أعرب ترامب في غضون ساعات عن ارتياحه بشأن هذا القرار بالذات، لكنه اعتبر مع ذلك أننا نتعامل مع بوتين بقسوة، كما طلب من بومبيو إجراء اتصالٍ مع لافروف ليقول له إن أحد البيروقراطيين قد قام بالإعلان عن العقوبات، وهو الاتصال الذي قد يكون، أو لا يكون، جرى بالفعل.

إضافة إلى الاعتراض على العقوبات فقد أوقف ترامب إصدار بيانٍ مخفف ينتقد روسيا، كان من المقرر أن يصدر في الذكرى العاشرة لغزو جورجيا، وهذا يُعتبر خطأً ذاتياً من جانبه. كانت روسيا ستتجاهل هذا البيان في حال صدوره، لكن الأوروبيين لاحظوا غيابه، وأصبحوا أكثر قلقاً بشأن العزيمة الأميركية. لم يكن الأمر مستغرباً من ترامب، وهو الذي أقدم في شهر حزيران/ يونيو من العام ٢٠١٩، على إيقاف مسودة بيان كان سيصدر عن الذكرى الثلاثين لمجازر ساحة تيان آن مين، كما انتقد وزارة الخارجية على إصدارها بياناً صحافياً قبل أن يعلم به. بدا ترامب وكأنه يعتقد بأن انتقاد سياسات الحكومات الأجنبية وأفعالها قد يصعّب عليه إقامة علاقات شخصية جيّدة مع قادتها، ولعل ذلك هو انعكاسٌ للصعوبة التي يعانيها في الفصل بين العلاقات الشخصية والرسمية. لا أتذكّر أي مرة أحجمت فيها روسيا أو الصين عن انتقاد الولايات المتحدة بسبب الخشية من إزعاج قادتنا ذوي المشاعر الرقيقة.

إن آراء ترامب وقراراته غير الثابتة بالنسبة إلى روسيا أدّت إلى تعقيدات في عملنا، وكثيراً ما تداخلت القضايا السيبرانية وغير السيبرانية. يُضاف إلى ذلك أن تأسيس ردعٍ سيبراني كان أسهل بالقول مما هو بالفعل، ويعود ذلك إلى أن جميع العمليات السيبرانية الهجومية التي أردنا القيام بها بقيت سريّة بالضرورة. يعني ذلك أن المستهدفين مباشرة سوف يعلمون بانهم قد استُهدفوا، لكن لن يعرفوا بالضرورة مَن الذي استهدفهم إلّا إذا أبلغناهم. يستتبع كل ذلك أن ينشأ نوع من النقاش

العلني عن قدراتنا، وتنبيه خصومنا إلى أن سنوات التساهل قد انتهت، وكذلك طمأنة أصدقائنا إلى أن أميركا تمضي قدماً في الفضاء السيبراني. وهكذا أعلنتُ في أواخر شهر تشرين الأول/ أكتوبر بعض الملاحظات في واشنطن، والتي كان القصد منها الإعلان عما قمنا به بعبارات محدّدة. من أجل استئصال القواعد التي كانت سائدة في عهد أوباما[١]. وفعل مسؤولون آخرون في الإدارة، مثل الجنرال ناكازوني الأمر ذاته[٢]. كان ذلك مجالاً معقداً من عملية اتخاذ القرارات، وحافلاً بإجراء مناقشات صعبة حول ما يجب أن يُعلن على الملأ، وما يجب أن يبقى سرياً. اعتبرتُ حينها أنه كلما تكلمنا أكثر عن هذا الموضوع كلما زادت قدرة الردع التي نغرسها في عقول الناس وصانعي القرارات حول العالم. لكني لاحظت، وللأسف، أنه كلما زاد مقدار كلامنا العلني عن الأمر كلما زاد مقدار ما نكشفه عن قدراتنا التي يمكن للآخرين استخدامها لتحسين برامجهم السيبرانية، سواءً الهجومية منها أو الدفاعية. سيكون هذا مجال نقاش للإدارات القادمة، لكن مهما كان موقف ترامب الشخصي فإنني متأكد من أننا قمنا بقدرٍ كبير من العمل لحماية الانتخابات الأميركية، سواءً من روسيا أو من أي جهةٍ أخرى.

---

(١) Ellen Nakashima and Paul Sonne, "Bolton says US is conducting 'offensive cyber' action to thwart would-be election disrupters," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/bolton-acknowledges-us-has-taken-action-to-thwart-would-be-election-disrupters/2018/10/31/0c5dfa64-dd3d-11e8-85df-7a6b4d25cfbb _story.html

(٢) Ellen Nakashima and Paul Sonne, "Bolton says US is conducting 'offensive cyber' action to thwart would-be election disrupters," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/bolton-acknowledges-us-has-taken-action-to-thwart-would-be-election-disrupters/2018/10/31/0c5dfa64-dd3d-11e8-85df-7a6b4d25cfbb_story.html

الفصل السابع

ترامب يبحث عن مخرج في سوريا وأفغانستان، ويعجز عن إيجاده

بدأت الحرب التي شنّها الإرهابيون الإسلاميون المتطرفون ضد الولايات المتحدة قبل وقت طويل من ١١ أيلول/سبتمبر، وسوف تستمر بعد ذلك التاريخ لوقت طويل. يُمكن للمرء أن يتفق مع هذا الرأي أو يخالفه، لكنه الواقع. لم يتفق دونالد ترامب مع هذه الحقيقة، ولهذا تصرّف على أساس أنها غير موجودة. عارض «الحروب التي لا تنتهي» في الشرق الأوسط لكنه لم يضع خطة متماسكة لما سوف يتبع سحب القوات الأميركية، والتخلي فعلياً عن حلفاء إقليميين أساسيين مع بدء عملية الانسحاب. دأب ترامب على القول إن تلك البلدان تبعد عنّا «آلاف الأميال»، وهذا التفكير خاطىء. وعلى عكسه حاولت خلال عملي في البيت الأبيض أن أتعاطى مع الواقع، وقد فعلت ذلك بنجاح متفاوت.

سوريا: لورنس العرب، راجِع رؤساءك

بعد الضربة التي نفذّناها في سوريا. في شهر نيسان/أبريل، ردّاً على هجوم الأسد على دوما بالأسلحة الكيميائية، عادت سوريا لتظهر على الساحة بصورة غير مباشرة، عبر اعتقال تركيا القس آندرو برونسون. كان الرجل مبشراً إنجيلياً لا يتعاطى السياسة، وهو الذي عاش مع عائلته وعمل في تركيا لفترة عقدين من الزمن قبل اعتقاله في العام ٢٠١٦، وذلك بعد فشل الانقلاب العسكري ضد الرئيس رجب طيّب أردوغان. كان برونسون مجرد أداة مساومة، وكان من السخرية توجيه الاتهام إليه بالتآمر مع أتباع فتح الله غولين، وهو مدرّس إسلامي يعيش في أميركا. كان غولين ذات يوم حليفاً لأردوغان، ولكنه اليوم يعاديه فيُتهم بشكل مهووس بالإرهاب. أجرى أردوغان اتصالاً مع ترامب فور عودته من هلسنكي، من أجل استئناف اتصالاتهما حول قضية برونسون وعلاقته بغولين، وذلك بعد لقائهما القصير خلال اجتماع الناتو (حلف شمال الأطلسي)، والمكالمة الهاتفية التي تبعته.أثار أردوغان كذلك موضوعاً آخر أثيراً لديه، وعادةً ما يناقشه مع ترامب وهو إدانة محمد أتيلا، وهو مسؤول رفيع في مصرف هالكبنك التركي الذي تديره الدولة، وذلك بسبب

تلاعب مالي ناتج عن خروقات كبيرة للعقوبات التي فرضناها على إيران[1]. إن هذا التحقيق الجرمي المستمر يهدد أردوغان نفسه بسبب اتهامات تطاله وأسرته عن استغلال مصرف هالكبنك لأغراض شخصية. الأمر الذي سهله أكثر تعيين صهره وزيراً للمالية في تركيا[2].

اعتبر أردوغان أن غولين و«جماعته» مسؤولون عن الاتهام بالتلاعب الموجّه إلى هالكبنك، وهذا يعني أن كل ذلك كان جزءاً من مؤامرة ضده وبالطبع ضد ثروة أسرته المتنامية. أراد أردوغان إقفال قضية هالكبنك، وهو الأمر الذي أصبح مستبعداً لأن المدّعين العامين وضعوا أيديهم على تفاصيل عمليات التلاعب في المصرف. وأخيراً، أبدى أردوغان قلقه الشديد بسبب مشروع قانون في الكونغرس من شأنه إيقاف صفقة بيع طائرات أف-٣٥ إلى تركيا لأن أنقرة كانت تنوي شراء نظام أس-٤٠٠ للدفاع الجوي من روسيا. وإذا تمت الصفقة فقد تسفر عملية الشراء عن إطلاق عقوبات إجبارية ضد تركيا، بموجب قانون العقوبات ضد روسيا الصادر في العام ٢٠١٧. يعني ذلك أن أردوغان لديه الكثير من أسباب القلق.

غير أن ما كان ترامب يريده محدود جدا: أراد أن يعرف متى سيتمّ إطلاق برونسون ليعود إلى أميركا، وهو ما ظنّ أن هذا ما وعده به أردوغان. لكن أردوغان لم يقل إلّا إن الإجراءات القضائية التركية مستمرة، وأن برونسون لم يعد سجيناً، لكنه تحت الإقامة الجبرية في إزمير، تركيا. ردّ ترامب بأنه يظن أن هذا الكلام لا يُسهّل الأمور أبداً، وأنه كان يتوقع أن يسمع من أردوغان إن برونسون، الذي كان مجرد قسّ محلي، سيعود إلى الوطن. أكّد ترامب على صداقته مع أردوغان، لكنه لمّح إلى أنه سوف يكون من المستحيل، حتى بالنسبة له، تسوية المسائل الصعبة التي تواجه علاقة الولايات المتحدة وتركيا، إلّا إذا عاد برونسون إلى الولايات المتحدة. شعر ترامب بالاستياء الشديد. وبعد انتقاد تيلرسون وتعبيرات تنم عن حيرة حول غولين (زعم ترامب أنه يسمع بها للمرة الأولى)، قال بذهول (وبشكل غير دقيق) إن أردوغان أخبره بأن برونسون لن يعود إلى أميركا.

تذمّر ترامب بالقول إن ذلك يفسّر لماذا لا أحد يريد التعامل مع أردوغان. خاصة أن المجتمع المسيحي بأكمله في أميركا كان غاضباً من أجل هذا القسّ، وغضبه وصل إلى أوجه. أجاب أردوغان إن المجتمع الإسلامي في تركيا كان غاضباً إلى حدّ الجنون. لكن ترامب قاطعه بقوله إن المسلمين

(١) See Greg Farrell and Christian Bertelsen, "Turkey's Halkbank Could Suffer from Ex-Banker's US Conviction," https://www.bloomberg.com/news/articles/2018-01-04/turkey-s-halkbank-could-suffer-from-ex-banker-s-u-s-conviction, and Amanda Sloat, "Why Turkey cares about the trial of Reza Zarrab," https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2017/11/22/why-turkey-cares-about-the-trial-of-reza-zarrab/

(٢) See "A court case in New York rattles Turkey's president, Recep Tayyip Erdogan," https://www.economist com/europe/2017/12/09./a-court-case -in-new-york-rattles-turkeys-president-recep-tayyip-erdogan

يتصرفون بجنون في جميع أنحاء العالم، ويدهم مطلقة ليفعلوا ذلك، وغنيٌّ عن القول إن الحديث قد ساء بعد ذلك.

عثر ترامب أخيراً على شخص يستمتع بفرض العقوبات عليه، وقال إن «عقوبات كبرى» سوف تفرض على تركيا إذا لم يعد برونسون إلى الولايات المتحدة. في ٢ آب/أغسطس فرضت وزارة الخزانة عقوبات على وزيرَي العدل والداخلية التركيين[١]، ولم يمضِ يومان على ذلك حتى ردّت تركيا بفرض عقوبات على نظيريهما الأميركيين، سيشنز ونيلسن[٢]. لكنَ على الرغم من أننا ناقشنا هذه الإجراءات مع ترامب إلّا أنه أبلغني في وقت لاحق من ذلك اليوم بأنه يعتقد بأنه من المهين لتركيا أن نفرض عقوبات على وزراء في الحكومة. أراد ترامب عوضاً عن ذلك مضاعفة الرسوم الجمركية الموضوعة على الفولاذ لتصل إلى ٥٠ في المئة. لكن هذا الاقتراح روّع الفريق الاقتصادي. يُذكر أن ترامب كان قد فرض رسوماً جمركية تشمل جميع دول العالم على الفولاذ والألومنيوم لأسباب تتعلق بالأمن القومي. وذلك في شهر آذار/مارس من العام ٢٠١٨، وبموجب القسم ٢٣٢ من قانون توسيع التجارة الصادر عام ١٩٦٢، وهو قانون غير معروف نسبياً، لكنّه لقي استحساناً كبيراً في سياسة ترامب التجارية. أما حجة «الأمن القومي» التي استند إليها ترامب فقد كانت واهية على أقل تقدير، وذلك لأن الرسوم بموجب القسم ٢٣٢ كانت حمائية تقليدياً واستخدامها الآن للضغط السياسي بهدف إطلاق سراح برونسون ما هو إلّا مخالفة صريحة للمنطق التشريعي، وذلك مهما كانت القضية ذات قيمة. وأحسّ ترامب بطبيعة الحال بأن أحداً لن يواجهه في هذه الظروف، وهكذا تمادينا في هذا الإجراء.

شعر الأتراك بقلق كبير حيال المشاكل المتفاقمة مع أميركا، وأرادوا التوصّل إلى مخرج ما، أو على الأقل هذا ما اعتقدناه. فحاولوا مبادلة برونسون بمسألة التحقيقات الجنائية المتعلقة بمصرف هالكبنك التركي. لكن ذلك كان في أفضل الأحوال أمراً غير مناسب. لكن ترامب أراد إخراج برونسون من تركيا. ولذلك تفاوض بومبيو ومنوشين مع نظيريهما التركيين (منوشين بصفته المشرف على الموجودات الأجنبية في وزارة الخزانة، ومشاركاً في النظر في قضية هالكبنك)[٣]. أجرينا محادثات ثلاثية، منوشين، وبومبيو، وأنا، واتفقنا على أننا لا نستطيع القيام بأي شيء من دون الموافقة الكاملة من المدّعين العامّين في وزارة العدل في المقاطعة الجنوبية لمدينة نيويورك، المكان الذي لاتزال عالقةً فيه قضية التلاعب بمبلغ ٢٠ مليار دولار نتيجة خرق العقوبات على إيران

(١) See "Andrew Brunson: US hits Turkey with sanctions over jailed pastor," https://www.bbc.com/news/world-us-canada-45036378

(٢) See Zeynep Bilginsoy, "Turkey slaps sanctions on 2 US officials in retaliation," https://www.apnews.com/4d47a56373e64669b80a3a14f87c0bc2

(٣) "Turkey expects no fine for Halkbank: finance minister," https://www.reuters.com/article/us-turkey-currency-albayrak-usa/turkey-expects-no-fine-for-halkbank-finance-minister-idUSKCN1LJ0L6

(في الفترة التي عملت فيها في وزارة العدل كنا نطلق على المقاطعة الجنوبية اسم «مقاطعة نيويورك السيادية»، لأنها عادة ما كانت تمانع محاولة التحكّم بها التي تقوم بها وزارة العدل، ناهيك عن البيت الأبيض). بدا منوشين في مناسبات عدّة مبتهجاً لأنه توصّل إلى اتفاق مع وزير المالية التركي. إلا أن ذلك كان اعتيادياً: في كل مرة يتفاوض فيها منوشين مع المتلاعبين الماليين الأتراك، أو مع التجار الصينيين الماندارين فإن ذلك يعني أن صفقة ما قد أصبحت قريبة التحقّق. لكن في كل مرة كان الاتفاق يصل إلى طريق مسدود عندما يصبح في عهدة وزارة العدل، لهذا السبب لن يفضي اتّباع هذا المسلك للتوصّل إلى إطلاق سراح برونسون، إلى أي نتيجة. قال بومبيو: «لا يمكن للأتراك أن يكفّوا عن عرقلة أمورهم بأنفسهم»، لكن الواقع هو أن وكلاء النيابة العامة في وزارة العدل كانوا يرفضون، عن حق، أي اتفاق لا قيمة تذكر له من وجهة نظر حكومة الولايات المتحدة. في هذه الأثناء استمرّ تدهور العملة التركية بسرعة كما أن أسواقها المالية لم تكن في حالٍ أفضل.

واجهنا مشكلة تعدّد المفاوضين من كلا الجانبين، فقد كانت هالي تجري محادثات مع سفير تركيا في الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي قال الأتراك إنهم لم يفهموه: ولا نحن فهمناه. قال بومبيو بتجهم إنه يقوم بحل المشكلة عن طريق الطلب من هالي التوقّف عن إجراء اتصالاتٍ غير رسمية مع الأتراك، وهو الأمر الذي زاد حجم التشويش الكبير الحاصل. لكن لحسن الحظ نجح الأمر هذه المرة. لكن لم تُسفر الجهود الدبلوماسية عن أي شيء بالنسبة إلى قضية برونسون. أما ترامب فقد سمح باستمرار المفاوضات، لكن حدسه بالنسبة إلى أردوغان كان مصيباً: الطريقة الوحيدة لإطلاق سراح برونسون هي الضغوط الاقتصادية والسياسية. وهنا على الأقل لم يكن لدى ترامب أي مشكلة في فرضها على الرغم من حديث منوشين المتفائل. وهكذا تحوّل أردوغان تلقائياً من أحد أفضل أصدقاء ترامب الدوليين المقربين إلى هدف لعدائية حادة. أسفر هذا التحوّل عن انتعاش آمالي بأنّ كلاً من فلاديمير بوتين، وتشي جينبينغ، وكيم جونغ أون وغيرهم، سوف يكشفون للرئيس ترامب عن وجوههم الحقيقية، فنتمكّن عندئذ من تصويب سياساتنا وربطها بالواقع. كان من الممكن كذلك أن يعود ترامب مجدداً إلى اعتبار أردوغان «أفضل صديق»، وهذا ما حدث بالفعل بعد مرور أشهرٍ قليلة فقط. وللمفارقة، على الرغم من أن وسائل الإعلام صوّرت ترامب على أنه معادٍ للإسلام حتى الصميم إلّا أنه لم يفهم أبداً أن أردوغان ذاته إسلامي متطرف، وذلك على الرغم من الجهود المتكرّرة التي بذلها قادة حلفاء بارزون في أوروبا والشرق الأوسط ومستشاروه الخاصون لشرح ذلك له. لقد انشغل بتحويل تركيا من دولة كمال أتاتورك العلمانية إلى دولة إسلامية. وكذلك ساند الإخوان المسلمين، والمنظمات المتطرفة الأخرى الناشطة في الشرق الأوسط، وموّل حماس وحزب الله، ناهيك عن أنه معادٍ لإسرائيل بشدة، كما ساعد إيران على التملص من العقوبات الأميركية. لكن كلّ ذلك لم يُفلح في إقناعه.

في هذه الأثناء، نفد صبر ترامب من التأخير والتعتيم اللذين تعتمدهما تركيا، ولذلك أمر في ١٠ آب/أغسطس بمضاعفة الرسوم الجمركية على صادرات تركيا من الفولاذ بنسبة ٥٠ في المئة، وزيادة الرسوم على صادراتها من الألومينيوم بنسبة ٢٠ في المئة، وذلك على الرغم من احتمال عدم وجود مسوّغ قانوني كافٍ لهذا الإجراء. ولعلها المرة الأولى في التاريخ التي تُرفع بها الرسوم الجمركية بواسطة تغريدة على موقع تويتر:

> أصدرت لتوي قراراً بمضاعفة التعرفة الجمركية على صادرات تركيا من الفولاذ والألومينيوم، في الوقت الذي تستمر فيه عملتها، الليرة التركية، بالتدهور أمام دولارنا القوي جداً! ستزيد التعرفة الآن ٢٠ في المئة على الألومينيوم، و٥٠ في المئة على الفولاذ. إن علاقتنا مع تركيا ليست بحالة جيدة في هذه الأيام!

لم يتأخر رد تركيا، ففرضت الرسوم الخاصة بها، وردّ ترامب بطلب فرض المزيد من العقوبات. حاول منوشين إبطاء سرعة ترامب في فرض العقوبات، الأمر الذي كان من شأنه أن يُغضب ترامب أكثر. اقترح نائب الرئيس بعد ذلك أن يقوم جاريد كوشنير بالاتصال بوزير مالية تركيا، بما أن كليهما صهر رئيس بلاده. ما الذي يمكن أن يسير بشكل خاطئ حقاً؟ تحدثت مع بومبيو ومنوشين عن هذه القناة الجديدة بين الصهرين، فانفجرا غضباً: غضب منوشين لأن الصهر التركي هو نظيره وزير مالية، وبومبيو لأن هذا الإجراء كان مثالاً إضافياً على تدخّل كوشنير في المفاوضات الدولية، وهو أمرٌ يجب عليه ألّا يُقحم نفسه فيه (بالإضافة إلى خطة السلام في الشرق الأوسط، والتي لم تكن أبداً جاهزةً بالكامل). أما أنا فلطالما استمتعت بالإبلاغ عن الأخبار الطيبة. كان ترامب وكوشنير مسافرين إلى منتجع هامبتونز للمشاركة في حفل سياسي لجمع التبرعات وحيث كان منوشين قد سبقهما. اتصل بي كوشنير بعد ذلك ليبلغني بأن منوشين قد هدأ، وأضاف أنه أبلغ الصهر التركي بأنه يتصل به بصفته الشخصية من قبيل الصداقة، وأن هذا الاتصال ليس أبداً إشارة ضعف أمام للأتراك. أما أنا فقد ساورني الشك بأن الأتراك قد صدّقوا ذلك الكلام.

اتصل بي ترامب في ٢٠ آب/أغسطس من إسرائيل بشأن حادثة إطلاق نار جرت في ذلك الصباح بالقرب من السفارة الأميركية في أنقرة. وكنت قد استعلمت عن الحادثة، وتبيّن لي أنها حادثة إجرامية محلية، ولا علاقة لها بالولايات المتحدة. تساءل ترامب خلال الاتصال ما إذا كان من الأفضل لنا أن نقفل السفارة، الأمر الذي يزيد الضغط باتجاه حلّ قضية برونسون، وربما نقوم بخطوة أخرى، كأن نلغي صفقة طائرات أف-٣٥ المعقودة مع تركيا. أجريت بعد ذلك اتصالاً مع بومبيو وآخرين لوضعهم في الأجواء، كما طلبتُ من أعضاء مجلس الأمن القومي الذين رافقوني استطلاع الخيارات التي قد تكون متوافرة أمامنا. قال لي بومبيو إنه يتعيّن علينا إعلان السفير التركي شخصاً غير مرغوب فيه في

بلادنا، كما أصدر توجيهات للمحامين في وزارة الخارجية بالاتصال بمستشار البيت الأبيض لإجراء المزيد من المشاورات. كانت تلك الخطوات خارجة عن الأصول المرعية، لكننا كنّا قد بذلنا جهداً كبيراً في قضية برونسون من دون أن نتمكن من تأمين إطلاق سراحه. وفي غضون أيام قليلة بدّل ترامب رأيه، وقرّر ألا يفعل شيئاً بشأن سفارتنا، أو السفير التركي، وهكذا عاد إلى فكرة المزيد من العقوبات. قال لي الرئيس: «إنني أضع تركيا بين يديك». كان ترامب يعني بأنه أوكل لي التفكير بما يجب أن نفعله، كما أكّد لي موقفه هذا بعد أيام قليلة عندما قال لي: «إني أفوضك لتوجيه صفعة لتركيا وتلقينها درساً قاسياً». وكذلك أبلغ ترامب ميركل، في اتصالٍ هاتفي، بأن أردوغان كان غامضاً جداً في قضية برونسون، وأضاف أننا سوف نقوم بفرض عقوباتٍ قاسية على تركيا في الأيام القليلة القادمة. وكان القطريون الذين يمدّون تركيا بشريانٍ مالي كبير(١)، قد تبرعوا كذلك بتقديم المساعدة في قضية برونسون، لكن كان من الصعب تقدير النجاح الذي يمكن أن يحرزوه.

لم تكن المساعي الدبلوماسية تحقّق أي تقدم يُذكر حتى مع تأثير العقوبات والخلاف الواضح مع الولايات المتحدة حول قضية برونسون، وقضايا أخرى (مثل شراء تركيا نظام الدفاع الجوي الروسي أس- ٤٠٠) التي كانت تعيث الفوضى في الاقتصاد التركي. كانت تركيا تسير في الاتجاه المعاكس حيث أنها كانت تحتاج بشدة إلى استثمارات أجنبية مباشرة، الأمر الذي أثّر في النهاية على عملية اتخاذ القرارات في البلاد. واتجّه النظام القضائي التركي في هذا الوقت إلى عقد جلسة استماع يوم الجمعة، ١٢ تشرين الأول/أكتوبر في إزمير حيث بقي برونسون تحت الإقامة الجبرية منذ شهر تموز/يوليو. وظهرت إشارات قوية إلى أن المحكمة تعمل على إطلاق سراحه، ولذلك جهّزت وزارة الدفاع طائرة في ألمانيا تحسباً لإمكانية استعادة برونسون وأسرته. وبقرار مستغرب جداً أدانت المحكمة برونسون بقضايا تجسّس وجرائم متعلقة بها (وهي تهم مثيرة للسخرية) وحكمت عليه بالسجن خمس سنوات، وقرّرت بعد ذلك أن له حرية مغادرة البلاد بسبب مرور الزمن، وأسباب تخفيفية أخرى. أبرزت نهاية هذه القضية المأزق السياسي الذي وقع فيه أردوغان بعد أن زعم أن برونسون كان جاسوساً بسبب أنشطته السياسية المحلية. إلّا أنه أطلق سراحه في النهاية(٢).

أجريت اتصالاً مع ترامب عند الساعة ٩:٣٥، وكان مازال في مقرّ سكنه كالمعتاد، فقال لي إننا متأكدون بنسبة ٩٥ في المئة أن برونسون قد أطلق سراحه. كان ترامب مغتبطاً، وغرّد الخبر على

(١) See Jack Ewing and Carlotta Gall, "Qatar Comes to Aid of Turkey, Offering $15 Billion Lifeline," https://www.nytimes.com/2018/08/15/world/europe/turkey-andrew-brunson-tariffs.html.

(٢) See Carlotta Gall, "Turkey Frees Pastor Andrew Brunson, Easing Tensions With US," https://www.nytimes.com/2018/10/12/world/europe/turkey-us-pastor-andrew-brunson.html

الفور، لكنه أردفه بتغريدة حول السبب الذي يجعل من إيفانكا سفيرة ممتازة في الأمم المتحدة. وأراد الرئيس إحضار برونسون إلى البيت الأبيض حالاً، ومن دون أن تتوقف طائرته عند مركز صحّي أميركي في لاندشتول، ألمانيا، لكي يخضع العائدون للفحوصات والعناية الطبية إذا لزم الأمر. لكن تأخُّر وصول الطائرة التابعة للبنتاغون المتجهة إلى إزمير كان من نتيجته أن يقضي برونسون ليلته في ألمانيا. كان ذلك يعني في المقابل أن زيارته المقرّرة إلى البيت الأبيض سوف تتأخر إلى ما بعد ظهر يوم السبت حيث سيكون بانتظاره أعضاء مجلس الشيوخ من كارولاينا الشمالية، وهي ولاية القس، وأفراد إضافيون من عائلته وأصدقائه. دخل برونسون وزوجته إلى الجناح الغربي بعد الخضوع لفحص طبي أولي أجراه طبيب البيت الأبيض للتأكد من أنهما جاهزان للقاء الرئيس. تحدثتُ مع برونسون لفترة وجيزة، وفوجئت عند سماعي أنه يتابعني منذ فترة طويلة، ويوافقني على كل شيء تقريباً. توجهت أسرة برونسون إلى سكن الرئيس للقاء ترامب ثم سارت العائلة معه عبر الرواق إلى المكتب البيضاوي حيث رحّب الحاضرون في المكتب بهم بالتصفيق. أما المراسلون الصحافيون فقد دخلوا إلى المكتب بينما كان الرئيس يتحدّث مع برونسون. في النهاية، ركع برونسون بجانب مقعد ترامب، ووضع يده على كتفه، ثم بدأ يصلّي له. ولا حاجة بي إلى القول إن الصورة المأخوذة لهذا المشهد قد تحولت إلى أكثر الصور انتشاراً لذلك اليوم. هكذا انتهت قضية برونسون، لكن العلاقات الثنائية مع تركيا كانت في أسوأ حالاتها.

تدهورت الأحوال كثيراً في سوريا قبل إطلاق سراح برونسون، وساورنا القلق بأن الأسد كان يخطط في شهر أيلول/سبتمبر هجوم ساحق على محافظة إدلب[1]، التي شكّلت لفترة طويلة قلعة للمعارضة في شمال غرب سوريا. كانت إدلب قد تحوّلت الآن إلى معقل لمئات آلاف النازحين السوريين الذين أصبحوا بلا مأوى، لكن عدداً كبيراً من الإرهابيين المتطرفين اختلط بهم، بالإضافة إلى وجود عسكري تركي جاهز لصد أيّ هجوم يمكن أن يشنّه الأسد. لكن روسيا وإيران كانتا ستدعمان الأسد من دون شك، ما سيؤدي إلى إراقة دماء وفوضى كبيرة وتدفّق اللاجئين بأعداد كبيرة من سوريا إلى تركيا، ومعهم آلاف الإرهابيين الذين سيتسلّل عدد كبير منهم إلى أوروبا، وجهتهم المفضلة. كنت قلقاً على وجه الخصوص من قيام الأسد باستخدام الأسلحة الكيميائية مجدداً، لذلك طلبت على وجه السرعة من وزارة الدفاع التفكير في رد عسكري محتمل في حال وقع هذا الهجوم (على أمل أن تشارك فيه مجدداً بريطانيا وفرنسا). لم أرغب في أن نكون غير جاهزين، كما حدث في شهر نيسان/أبريل. على ألا يقتصر هدفنا هذه المرة على استهداف إمكانيات سوريا الكيميائية بل تدمير

(١) See, e.g., Atlantic Council, "The sticky situation of the final Idlib offensive," August 15, 2018, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/syriasource/the-sticky-situation-of-the-final-idlib-offensive/

قدرة الأسد على استخدامها نهائياً. أعطى ماتيس هذه المرة رؤساء الأركان الحرية للقيام بما يجب عليهم القيام به. وبالفعل تمّ وضع خطط موسعة على أساس الافتراضات البديلة والأهداف والمحاذير (منها على سبيل المثال درء خطر وقوع إصابات في صفوف المدنيين). شعرتُ في ذلك الوقت، أنه إذا حصل الأسوأ، فسوف نكون مستعدين لتقديم خيارات حقيقية للرئيس ترامب، الأمر الذي لم نفعله في شهر نيسان/أبريل.

في هذه الأثناء، لم تكن إسرائيل في حال انتظار، بل كانت توجّه تكراراً ضربات عديدة استهدفت شحنات الأسلحة والذخائر الإيرانية التي يُمكن أن تشكّل تهديداً مباشراً[١]. كانت القدس قد فتحت قنوات اتصال خاصة مع موسكو، ذلك أن نتنياهو لم يكن يستهدف الجنود والأهداف الروسية، بل الإيرانيين والإرهابيين فقط. مشكلة روسيا الحقيقية كانت حلفاءها السوريين الذين أسقطوا طائرة استطلاع روسية في منتصف شهر أيلول/سبتمبر[٢]، وهي حادثة دفعت موسكو إلى تسليم السوريين أجزاءٍ من نظام الدفاع الجوي أس- ٣٠٠، الأمر الذي أقلق إسرائيل كثيراً[٣].

أما في العراق فقد هاجمت الميليشيات الشيعية، التي تتسلح من إيران من دون شك، السفارة الأميركية في بغداد، وكذلك قنصليتنا في البصرة، في ٨ أيلول/سبتمبر. كما أطلقت إيران صواريخ موجهة على أهداف بالقرب من أربيل في كردستان العراق.[٤] عشية الاحتفال بذكرى الحادي عشر من أيلول/سبتمبر وذكرى الهجوم الذي وقع في العام ٢٠١٢ على مجمّعنا الدبلوماسي في بنغازي. كان علينا التفكير استراتيجياً بالرد الذي يتوجب علينا القيام به، لكننا لم نفعل ذلك. أبلغني كيلي أنه أثناء إحدى الحملات الانتخابية «أسرّ» إليه ترامب، مرةً أخرى، برغبته في الانسحاب من الشرق الأوسط كلياً.

(١) See, e.g., "Israel says it launched 200 strikes in Syria since 2017," September 5, 2018, https://www.aljazeera.com/news/2018/09/israel-launched-200-strikes-syria-2017-180905063755959.html.

(٢) «See Barbara Starr et al., "Syria accidentally shot down a Russian military plane," https://www.cnn.com /2018/09/17/politics/syrian-regime-shoots-down-russian-plane/index.html.

(٣) See Jonathan Marcus, "Is Russia taking control of Syria's air defenses?", https://www.bbc.com/news / world-middle-east-45625388.

(٤) See, e.g., Michael Knights, Washington Institute, "Responding to Iranian Harassment of U.S. Facilities in Iraq," https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/responding-to-iranian-harassment-of-u.s.-facilities-in-iraq; Al Jaazeera, "Rockets hit Iranian Kurdish opposition office's in Iraq's Koya," September 8, 2018, https://www.aljazeera.com/news/2018/09/rockets-hit-iranian-kurdish-opposition-offices-iraq-koya-180908090605503.html; and Edward Wong, "Blaming Iran, U.S. Evacuates Consulate in Southern Iraq," https://www.nytimes.com/2018/09/28/world/middleeast/iraq-iran-consulate-basra-closed.html

إن من شأن مشهد القتلى الأميركيين في العراق، وهو أمرٌ مأسوي بحد ذاته، أن يسرّع انسحابنا، الأمر الذي قد يصيب مصالحنا، ومصالح إسرائيل وحلفائنا العرب بالضرر على المدى الطويل إذا لم نفكّر ملياً بالأمر. ولم يحلّ يوم الاثنين حتى كان «ردّنا» قد اقتصر على بيان يدين دور إيران في الهجومين. عارض ماتيس حتى إصدار ذلك البيان، واستمر في المجادلة بأننا لسنا متأكدين تماماً من علاقة الميليشيات الشيعية بإيران. وهو أمرٌ يكاد لا يصدّق. استمر التردّد حتى يوم الثلاثاء حين طالب ماتيس باجتماع عاجل يُعقد في المكتب البيضاوي حول هذا البيان المؤلف من فقرة واحدة يشارك فيه ترامب، بنس، ماتيس، بومبيو، كيلي وأنا. كان الوقت متأخراً بحيث أن قلائل سيلاحظون ما جاء فيه. كان ذلك أسلوب ماتيس في العرقلة: غياب الاستجابة السريعة، وحتى عدم إطلاق بيان صحافي رداً على الهجمات التي استهدفت الموظفين الدبلوماسيين الأميركيين ومنشآتهم. فأي درس استنتجته إيران والميليشيات التابعة لها من سلبيتنا الكاملة؟

كما كان متوقّعاً، تجدّدت تهديدات الميليشيات الشيعية في غضون أسابيع قليلة، مع هجومين صاروخيين إضافيين على القنصلية في البصرة. سارع بومبيو، على الفور تقريباً، إلى إغلاق القنصلية (التي توظّف ما يزيد عن ألف شخص، بمن فيهم موظفون حكوميون ومقاولون) وذلك لتجنّب كارثةً تشبه ما حصل في بنغازي. لم يتمكن حتى ماتيس هذه المرة من إنكار علاقة إيران بالهجمات. وعبر ماتيس الذي لم يحد عن مفارقاته، وأصرّ على معارضته لأي إجراء فوري رداً على الهجمات، عن قلقه من أن يكون إقفال القنصلية سيوحي بأننا ننسحب من العراق. ومع ذلك أعلن بومبيو في ٢٨ أيلول/سبتمبر عن إقفال القنصلية[1]. وحين نأتي على ذكر أحداث صيف العام ٢٠١٩، وإسقاط الطائرات الأميركية بدون طيار، والإجراءات الإيرانية الحربية الأخرى في المنطقة، تذكّروا جيداً فشل الإدارة في الرد على الاستفزازات قبل سنة.

بعد فترة قصيرة تغيّر موقف ترامب من أردوغان وتركيا، وكان قد مضى على موضوع برونسون ستة أسابيع. التقى الزعيمان في اجتماع ثنائي في ١ كانون الأول/ديسمبر في قمة العشرين التي عُقدت في بوينس آيريس، ودار معظم حديثهما حول قضية مصرف هالكبنك. قدّم أردوغان خلال هذا اللقاء مذكرةً حضّرها مكتب المحاماة الذي يمثّل هالكبنك. لم يفعل ترامب شيئاً غير تقليب صفحات المذكرة قبل أن يُعلن أنه يعتقد بأن هالكبنك بريء تماماً في قضية خرق العقوبات الأميركية المفروضة على إيران. سأل الرئيس بعد ذلك ما إذا كنا نستطيع الاتّصال بالقائم بأعمال المدعي العام مات ويتاكر، لكني تجنّبت طلبه هذا. أبلغ ترامب أردوغان بأنه سوف يهتم بالموضوع، وشرح له أن المدّعين العامّين في المقاطعة الجنوبية في نيويورك لا يتبعون له، بل يتبعون أوباما، وهي مشكلة يجب عليه تسويتها باستبدالهم بأشخاص خاضعين لسلطته.

---

(١) راجع إدوارد ونغ، المصدر نفسه في الهامش الأخير في الصفحة السابقة.

كان كلام ترامب بهذا الخصوص مجرد هراء، لأن المدّعين العامّين كانوا موظّفين محترفين تابعين لوزارة العدل، أي أنهم كانوا سيمضون في القضية بالطريقة ذاتها لو أن التحقيقات المتعلقة بمصرف هالكبنك بدأت في السنة الثامنة من رئاسة ترامب بدلاً من السنة الثامنة من رئاسة أوباما. بدا الأمر برمّته وكأن ترامب يحاول إظهار أنه يتمتع بالسلطة الاستنسابية ذاتها التي يمتلكها أردوغان، والذي قال قبل عشرين سنة، عندما كان رئيس بلدية إسطنبول: «تشبه الديمقراطية الترامواي الذي تستطيع أن تستقلّه إلى المحطة التي تريدها، ثم تنزل منه»(١).

تابع ترامب حديثه زاعماً أنه لا يريد أن يحدث أي سوء لأردوغان أو تركيا، وأنه سوف يبذل قصارى جهده في هذا الموضوع. اشتكى أردوغان كذلك بشأن القوات الكردية المتواجدة في سوريا (وهو الأمر الذي لم يتحدث عنه ترامب بشيء) ثم أثار موضوع فتح الله غولين مجدداً، طالباً تسليمه إلى تركيا. وهنا علّق ترامب قائلاً إن غولين لن يصمد أكثر من يوم واحد إذا عاد إلى تركيا. ضحك الأتراك، لكنهم قالوا إن غولين يجب ألا يقلق من أي شيء، لأنّ تركيا لا تطبّق حكم الإعدام. لم يطل أمر هذا الحديث الثنائي لحسن الحظ فانتهى بعد وقتٍ قصير. ومن جهتي فإنني لم أتوقع حصول أي شيءٍ مطمئن من هذه العلاقة الحميمة المتجددة مع حاكمٍ استبدادي أجنبي آخر.

نقل الأوروبيون اهتماماتهم في هذه الأثناء من مخاطر هجوم الأسد على محافظة إدلب، إلى القلق بشأن هجوم تركي في شمال شرق سوريا، أي في المنطقة المثلثة الواقعة بين شرق نهر الفرات، وجنوب تركيا، وغرب العراق. وتقع هذه المنطقة بمعظمها تحت سيطرة قوى المعارضة السورية، ويحكمها المقاتلون الأكراد، وبضعة آلاف من القوات الأميركية وقوات التحالف، المتمركزون فيها لتقديم الدعم في الهجوم المستمر على مناطق ما يسمى خلافة تنظيم داعش. بدأت هذه الحملة في عهد أوباما الذي أدت سياساته الخاطئة في العراق إلى بروز داعش ونشوء «الخلافة» في مناطق سيطرتها، وكانت الحملة على وشك إتمام مهمتها بنجاح. لقد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من إخراج داعش من مناطق سيطرتها في غرب العراق وشرق سوريا، حتى لو لم تقضِ على تنظيم داعش نفسه، الذي كان لايزال يستحوذ على ولاء آلاف المقاتلين والإرهابيين الذين يعيشون ويتنقلون في أنحاء العراق وسوريا من دون أن يسيطروا على أي منطقة محدّدة.

كان أردوغان يزعم أنه مهتم بإنهاء خلافة داعش، لكن الأكراد كانوا عدوّه الحقيقي. كان

(١) See Glenn Harlan Reynolds, "Turkey's new sultan," July 20, 2016, https://www.usatoday.com/story/opinion/2016/07/20/turkey-coup-islam-erdogan-sharia-sultan-caliphate-crackdown-democracy-column/87344676/.

يعتقد، بدافع من مبررات عدّة، أنهم متحالفون مع «حزب العمال الكردستاني» في تركيا، وهو الحزب الذي اعتبرته الولايات المتحدة منذ وقتٍ طويل منظمةً إرهابية. لكن السبب الكامن خلف تحالفنا مع منظمة إرهابية بهدف تدمير منظمةٍ إرهابية أخرى يعود إلى فشل أوباما في ملاحظة أن إيران تمثّل تهديداً أكبر بكثير مما كان يعتقد في الوقت الحاضر وفي المستقبل. ويتواجد فرقاء عديدون في هذا الصراع يعارضون داعش، بمن فيهم إيران، وحزب الله، حليفه الإرهابي، وكذلك سوريا الدولة الموالية لها التي تدور في فلكها. لكن طهران، بخلاف أوباما، كانت تركز على الحرب التالية، أي تلك التي ستبدأ بعد إلحاق الهزيمة بداعش. ومع تقلّص دولة خلافة داعش كانت إيران تستمر بتوسيع رقعة سيطرتها في المنطقة، تاركةً الولايات المتحدة محرجة مع الدول الحليفة لها. خلاصة القول إن أميركا دعمت، منذ زمنٍ طويل الجهود الكردية للحصول من العراق على قدرٍ أكبر من الحكم الذاتي، أو حتى الاستقلال عنه. لكن تحقيق الدولة الكردية سوف يتطلب تعديلات حدودية مع دول الجوار الحالية. تبدو هذه القضية معقدّة، لكن ما هو ليس معقّداً هو الولاء الأميركي تجاه الأكراد الذين حاربوا معنا ضد داعش. والخوف من أن يكون التخلي عنهم ليس تخلياً عن الولاء فقط، بل سوف ينتج عنه عواقب وخيمة في كافة أنحاء العالم، إزاء أيّ جهود مستقبلية هادفة إلى تجنيد حلفاء يتمّ التعاطي معهم لاحقاً كبضاعة مستهلكة يمكن التخلي عنها.

في هذا الوقت، كان هناك اضطراب داخل البنتاغون. ففي يوم الجمعة، ٧ كانون الأول/ ديسمبر، وعلى مائدة الفطور التي نقيمها أسبوعياً، قال ماتيس متجهماً، وموجهاً الحديث لي ولبومبيو: «أيها السيدان، أنتما تمتلكان رصيداً سياسياً أكبر من ذاك الذي أملكه أنا الآن». بدا لنا هذا التصريح نذيراً بالسوء. وأضاف إن ترشيح مارك مايلي لخلافة دانفورد في منصب رئيس الأركان سوف يُعلن في اليوم التالي، وقبل مناورة الجيش- البحرية. كنا نعلم بأن الأسوأ آت. كان مايلي في ذلك الوقت رئيس أركان الجيش، وسبق له أن أثار إعجاب ترامب وحصل على الوظيفة عن جدارة. لكن ماتيس حاول فرض مرشحه المفضّل على ترامب. إلّا أن عدداً من داعمي ترامب اعتبروا أن آخر ما يحتاج إليه في رئاسة الأركان هو شخصٌ تابع لماتيس. لعلّ السبب الذي جعل ماتيس يستعجل الضغط من أجل المنصب قبل أوانه هو أنه سوف يترك منصبه قبل انتهاء خدمة دانفورد في ٣٠ أيلول/سبتمبر، ٢٠١٩، وهكذا ألحق ماتيس الضرر بقضيته بنفسه. أما في لقائنا التالي على الفطور في غرفة البحرية، يوم الخميس ١٣ كانون الأول/ديسمبر، فلم يكن الجو مريحاً أبداً. أما السبب فهو أننا شعرنا جميعاً، دون أن نأتي على ذكر ذلك بطبيعة الحال، بأن ماتيس قد وصل إلى نهاية مشواره. لم يزعجني أن نزعة

العرقلة التي رافقته ستنتهي بغيابه، لكن مغادرته تخلق نقطة إشكالية لا مفرّ منها تقريباً وهي أن الإدارات الجمهورية الثلاث التي خدمتُ فيها لم تشهد تغييراً كهذا على مستوى كبار الموظفين ولا الطريقة التي يتمّ فيها هذا التغيير.

أجرى ترامب وأردوغان في يوم ١٤ كانون الأول/ديسمبر مكالمة هاتفية. قبل ذلك كنت قد قدّمت إلى ترامب إحاطة عن الوضع في سوريا. فقال لي: «يجب أن ننسحب من هناك في أسرع وقت ممكن». خشيت عندها أن يقول هذا الكلام لأردوغان مباشرة. بدأ ترامب حديثه مع أردوغان بالقول إننا قريبون جداً من حلّ قضية هالكبنك، وكان قبل ذلك قد تحادث مع منوشين وبومبيو، وقال لهما إنه سوف يهتم بقضية الصهر الأكبر لأردوغان للانتهاء من هذه القضية. كان أردوغان ممتناً جداً وتكلم باللغة الإنكليزية بصورة مفاجئة. تحوّل الحديث بعد ذلك إلى موضوع سوريا. فقال إن ترامب يعرف توقعات تركيا بالنسبة إلى «وحدات حماية الشعب الكردي» (ميليشيا سورية كردية، وجزء من قوات الدفاع في المعارضة السورية)، وكذلك شبكة فتح الله غولين الإرهابية، واللتان وصفهما أردوغان بأنهما تهديد للأمن القومي التركي، كما أنهما تسمّمان العلاقات الثنائية بين واشنطن وأنقرة. وقال أردوغان بأسى، ومن دون وجه حق، إن أميركا مستمرة في تدريب قوات «وحدات حماية الشعب الكردي» بمن فيهم عدد يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ألفاً من المجندين الجدد. واشتكى أردوغان كذلك من التباين بين إرادة ترامب السياسية والأنشطة العسكرية الأميركية على الأرض. ما يجعل أسئلة كثيرة تدور في ذهنه. وأضاف أردوغان أن تركيا تريد التخلص من داعش وحزب العمال الكردستاني، وهو برأيي حين يتكلم عن «حزب العمال الكردستاني» يشير إلى المقاتلين الأكراد بشكلٍ عام.

قال ترامب إنه جاهز لمغادرة سوريا إذا ما كانت تركيا تريد القضاء على ما تبقى من داعش. وأضاف أن تركيا ستتكفل بالقضاء على ما تبقى من هذا التنظيم ونحن سنخرج من سوريا. وعدَ أردوغان بأن يهتم بهذا الأمر لكنه قال إنّ قواته تحتاج إلى الدعم اللوجستي. ثم جاء القسم الصعب من المسألة. قال ترامب إنه سوف يطلب مني (وكنت أستمع إلى المكالمة كما جرت العادة) البدء فوراً بإعداد خطة الانسحاب الأميركي على أن تتولى تركيا مسؤولية القتال ضد داعش. طلب مني الرئيس كذلك أن أنفّذ المهمة دون ضجيج. لكننا سوف ننسحب لأن داعش قد انتهت. سأل ترامب ما إذا كنت أستطيع الكلام. فأجبت بأنني أستطيع وقلت إنني سمعت تعليماته. في نهاية المكالمة بعد نقاشٍ إضافي حول هالكبنك، قال ترامب إن أردوغان يجب أن يتعاون معي في ما يتعلق بالشأن العسكري (وطلب مني أن أعمل بفعالية)، ومع منوشين في شأن قضية هالكبنك. شكر أردوغان ترامب في نهاية المكالمة ووصفه بأنه زعيم عملي جداً. قال ترامب بعد انتهاء المقابلة بقليل إن علينا صياغة بيان يفيد بأننا قد ربحنا الحربَ ضد داعش، وأننا أنهينا مهمتنا في سوريا، وأننا سوف

ننسحب منها الآن[1]. لم يكن لدي أدنى شك بأن ترامب قد اختار الانسحاب من سوريا لأنه كان وعداً من وعود حملته الانتخابية، مثل أفغانستان، وهو كان مصمماً على القول إنه قد صدق بهذين الوعدين. سرعان ما اتصلت بماتيس لأطلعه على فحوى المكالمة، ولا داعي طبعاً لقول إنه لم يكن متحمّساً أبداً.

كانت هذه أزمة شخصية بالنسبة إليّ، فقد كنت اعتبر الانسحاب من سوريا خطأً كبيراً، بسبب التهديد المستمر الذي تمثّله داعش بالنسبة إلى العالم، وواقع أن نفوذ إيران الواسع سوف يتزايد من دون شك. وسبق لي أن تحدثت مع بومبيو وماتيس في هذا الأمر في حزيران/يونيو وشرحت لهما إنه يتوجب علينا إنهاء سياستنا المجزّأة في سوريا والكف عن التعامل مع كل إقليم أو منطقة على حدة (منبج، إدلب، ومنطقة الحظر في جنوب غرب البلاد، وغيرها) والتركيز على الصورة الكبرى.

مع خسارة خلافة داعش معظم أراضيها (على الرغم من أن التهديد الذي تشكله مازال قائماً ولم ينته) فإنّ الصورة الكبرى أضحت وقف توسّع نفوذ إيران. والآن إذا قامت الولايات المتحدة بالتخلي عن الأكراد فسوف يضطرون إما إلى التحالف مع الأسد ضد تركيا، والتي يعتبرها الأكراد تهديداً أكبر لهم (ما يقوّي الأسد، حليف إيران)، أو أنهم سوف يقاتلون لوحدهم، ويواجهون بذلك هزيمة شبه مؤكدة، أي أنهم سيعلقون بين فكّي كماشة الأسد وأردوغان. فما العمل؟

أولاً، في ١٨ كانون الأول/ديسمبر عقدنا أنا وماتيس ودانفورد وكوتس وهاسبل، وبومبيو، (وعدد آخر من الأشخاص) اجتماعاً مغلقاً في غرفة الاجتماعات التابعة لرئاسة هيئة الأركان المشتركة والتي يطلق عليها اسم «ذي تانك» داخل البنتاغون وليس في غرفة العمليات، تجنّباً للفت الانتباه. استناداً إلى المكالمة التي أجراها ترامب مع أردوغان، كان من المؤكّد أن الأتراك يقولون لكل من يصغي لهم إننا سوف نتنازل عن شمال شرق سوريا ونترك المنطقة تحت رحمتهم.

كانت الأخطار المحتملة على الأرض مقلقة للغاية، بدءاً من آلاف الأسرى من داعش الذين يحتجزهم الأكراد بانتظار قرارٍ ما بشأن مصيرهم. لكن التقديرات بشأن أعدادهم تفاوتت كثيراً، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف توصيفهم: هل هم «مقاتلون إرهابيون أجانب»، أي من خارج منطقة

(١) The December 14 call is noted at p. 138 in https://www.govtinfo.gov/content/pkg/DCPD-2018DIGEST/pdf/DCPD-2018DIGEST.pdf. See also Barbara Starr et al., "Trump orders rapid withdrawal from Syria in apparent reversal," https://www.cnn.com/2018/12/19/politics/us-syria-withdrawal /index.html; and Karen DeYoung, "Trump Administration tries to head off Turkish assault on Kurds in Syria," December 14. 2018, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/trump-administration-tries-to-head-off-turkish-assault-on-kurds-in-syria/2018/12/14/6d614120-ffe5-11e8-ad40-cdfd0e0dd65a story.html

الشرق الأوسط؟ أم هم من خارج سوريا والعراق؟ أم هم مقاتلون محليون؟ لكن مهما كان عدد هؤلاء الأسرى فإننا لا نريدهم أن ينتقلوا بأعدادٍ كبيرة إلى الولايات المتحدة أو أوروبا.

في منتصف شهر كانون الأول/ديسمبر، اقترح ترامب إحضار أسرى داعش في شمال شرق سوريا إلى غوانتانامو، لكن ماتيس عارض الفكرة. أصرّ ترامب بعد ذلك على أن تستعيد البلدان الأخرى مواطنيها من المعسكرات الكردية. لم يكن في هذه الفكرة الكثير من المغالاة لكن الدول الأخرى عارضتها بشدة لأنها لا تريد عودة إرهابيين إلى أراضيها. ما من دولة تقبل بذلك، لكن معارضتها لهذا الاقتراح لم تساهم في إيجاد حلٍ لهذه المعضلة. ومع تطوّر الأحداث، فشلنا في حل هذه القضية قبل مغادرتي البيت الأبيض.

أخيراً، كم من الوقت بالضبط ستستغرق الولايات المتحدة، وقوات التحالف الأخرى لمغادرة المنطقة بطريقة آمنة ومنظّمة؟ مخطّطو دانفورد قدروا الوقت المتوقع بمئة وعشرين يوماً، وليس ٤٨ ساعة طبعاً. تساءلت عن إمكانية الاحتفاظ بمنطقة التنف المحظورة، الواقعة في الداخل السوري عند المثلث الحدودي بين سوريا، الأردن، والعراق، وليس في منطقة شمال شرق سوريا. كانت التنف واقعة تحت سيطرة القوات الأميركية الأمر الذي ساهم في تحييد نقطة عبور هامة بين بغداد ودمشق، وهو الأمر الذي أجبر إيران وآخرين على العبور من العراق إلى سوريا عبر نقطة حدودية شمالية أبعد. كان من المفاجئ أن يشكك ترامب بقيمة نقطة التنف ولعلّ ذلك يعود إلى تركيزه على داعش، وليس على إيران. وكانت إيران المحور الرئيس لاهتمامي وقد أصررت على الاحتفاظ بنقطة التنف طيلة فترة عملي كمستشار الأمن القومي. إضافة إلى ذلك، ما الذي يدفعنا إلى التنازل عن تلك النقطة مقابل لا شيء؟ اتفقنا، أنا وماتيس ودانفورد، وبومبيو على الاتصال بحلفائنا لإعلامهم بالخطوات التي نوشك على اتخاذها، لكننا لم نتسلم منهم أي إشارة تدل على الدعم. وأبلغني إتيان من فرنسا بأن ماكرون يريد التحدث مع ترامب بشأن ذلك القرار، وهو الأمر الذي لم يشكّل مفاجأة لي. أما ردود الفعل الأخرى فكانت متوقعة بنفس القدر. كنت في المكتب البيضاوي في ذلك المساء عندما اتصل ماكرون، لكنه لم يكن سعيداً لسماع الخبر. سارع ترامب إلى تجاهله قائلاً إننا انتهينا من داعش، وإن تركيا وسوريا سوف تهتمان ببقاياها. ردّ ماكرون بأن تركيا تركّز على مهاجمة الأكراد، أي أنها على استعداد للتساهل مع داعش والتوصل إلى تسوية معها. وناشد ماكرون ترامب عدم الانسحاب من سوريا، قائلاً إننا سوف نربح المعركة خلال وقتٍ قصير، وإن علينا إنهاء المهمة. وافق ترامب على معاودة استشارة مستشاريه، وقال لي إنه يجب عليّ التشاور مع مساعِدي ماكرون (وهو الأمر الذي قمت به بالفعل)، كما طلب الرئيس من ماتيس ودانفورد التشاور مع نظيريهما الفرنسيَّين. سرعان ما اتصل ماتيس ليقول إن وزيرة الدفاع الفرنسية، فلورنس بارلي، ليست راضية أبداً بقرار ترامب.

أما سفير إسرائيل، رون ديرمر، فقد أبلغني بأن ذلك أسوأ يوم مرّ عليه حتى الآن في عهد ترامب.

التقيت في اليوم التالي، أي نهار الأربعاء في ١٩ كانون الأول/ديسمبر بماتيس وبومبيو، على مائدة الفطور الأسبوعية في غرفة البحرية في البيت الأبيض. كانت سوريا محور حديثنا على الرغم من نقاشنا المطول في البنتاغون في اليوم السابق. ظهرت في ذلك اليوم مقالات صحافية كثيرة لكنها مليئة بالمعلومات المغلوطة[1] وأعتقد أن مصدرها كان البنتاغون عبر حلفاء في الكونغرس. سارع ترامب في وقت لاحق من ذلك اليوم إلى نشر مقطع فيديو على موقع تويتر، وأرفقه بشرح أعدّه بنفسه، كما انهالت على البيت الأبيض المكالمات من الصحافة وأعضاء الكونغرس، والتي كانت تركّز، عدا عن مجلس الأمن القومي، على موضوع الجدار الحدودي مع المكسيك، ومواضيع االهجرة المتعلقة به. أما أعضاء الكونغرس من الجمهوريين فأجمعوا، تقريباً، على معارضة قرار ترامب المتعلق بسوريا، لكن معظمهم قال إنهم سوف يتجنبون وسائل الإعلام، وهو تجنب لم يشارك فيه الديمقراطيون. لكن سياسة الإذعان التي اتّبعها الجمهوريون إزاء سياسات الأمن القومي الخاطئة لم تساعد البلاد، أو الحزب، في نهاية الأمر. وفي ذلك الصباح نقلت لترامب ردّ فعل الكونغرس السلبي، لكن ترامب لم يصدق، وربما استند في ذلك مجدداً إلى تأكيدات راند بول بأنه يمثّل قاعدة الحزب الحقيقية. وكأن ذلك لم يكن كافياً، فقد أقدمت تركيا على احتجاز رجل تابع لـ«حرس تكساس القومي» أثناء قيامه بعمله في قاعدة آنجرليك الواقعة بالقرب من أضنة (ولكن هذه الواقعة لقيت حلاً سريعاً على خلاف ما حصل في قضية برونسون).

يوم الخميس، أدرك ترامب أنه يتعرض لانتقادات شديدة في التغطية الإعلامية لمسألة الانسحاب من سوريا، وهذه عيّنة صغيرة مما يمكن حدوثه إذا أقدم على الانسحاب التام من أفغانستان. استنتجنا عند ذلك أنه ليس من الحكمة تحديد مهلة زمنية أخيرة للانسحاب، لكن شدّدنا على أن الانسحاب يجب أن يكون منظماً. وقد وفّر الجيش التركي مخرجاً محتملاً. فالأتراك يعرفون جيداً أنه لا بد من إجراء محادثات بين الجيشين الأميركي والتركي حول مسألة تسليم السلطة في منطقة تعمّها الفوضى، حتى تنجح خطة التسلّم والتسليم التي اقترحها ترامب. لكن هذه المحادثات قد تأخذ وقتاً طويلاً. وواقع الأمر أن الوفد الأميركي بدأ في وضع خطط السفر إلى أنقرة في يوم الإثنين الذي يصادف عشية عيد الميلاد في الأسبوع التالي.

علمت عصر ذلك اليوم أن ماتيس وترامب كانا مجتمعَين لوحدهما في المكتب البيضاوي، وأن حفل توقيع مشروع قانون سبق ترتيبه بدأ يتأخر جداً عن موعده. بينما كنا نتحدث، خرج ماتيس وكان ترامب يسير خلفه. شعرت على الفور بأن أمراً ما قد حدث، وبدا ماتيس مذهولاً عندما رآني

(١) See Mark Landler et al., "Trump to Withdraw US Forces From Syria, Declaring 'We Have Won Against ISIS,'" https://www.nytimes.com/2018/12/19/us/politics/trump-syria-turkey-troop-wthdrawal.html

منتظراً، لكنه صافحني بدون ان تظهر على وجهه أي تعابير. قال ترامب، «تعالَ يا جون»، وهذا ما فعلته. حين أصبحنا وحدنا في المكتب البيضاوي. قال لي ترامب: «سوف يستقيل... في الواقع أنا لم أحبه يوماً». تحدثنا لنحو عشرين دقيقة أنا وترامب، بعد انتهاء حفل توقيع مشروع القانون، حول كيفية ترتيب استقالة ماتيس من منصبه، وأراد ترامب نشر تغريدة قبل أن تبدأ ماكينة ماتيس الإعلامية بالتحرك. كتب ماتيس رسالة مطولة لترامب يشرح فيها سبب استقالته، وكان من المؤكد أن الرسالة قد كُتبت بهدف نشرها بشكلٍ واسع من دون أدنى شك، لكن ترامب لم يكن قد قرأها بعد. ويبدو أنه ترك الرسالة ببساطة على طاولة مكتب ريزولوت ويبدو أنها قد نُقلت بسبب حفل توقيع مشروع القانون.

استعدنا الرسالة، ودُهشت عندما قرأت فيها أن ماتيس أراد الاستمرار في مهامه حتى نهاية شهر شباط/فبراير، وأنه كان سيُمضي ما تبقى له من وقت بصفته وزيراً للدفاع في الإدلاء بالشهادات أمام الكونغرس، والتحدث في اجتماع وزراء دفاع الناتو الذي سيُعقد في الشهر نفسه. لكن الأكثر إثارة للدهشة بالنسبة إلى ترامب، نظراً للنبرة الحادة التي كان يتكلّم بها مع ماتيس، هو فحوى الرسالة التي يعبّر فيها ماتيس عن رفضه لسياسات ترامب.

شرحت لترامب أن التوقيت لم يكن ملائماً البتة، لكني لم أكن متأكداً من أنه قد فهم قصدي. لكنه في المقابل راح يستفيض في الحديث عن مدى نفوره من ماتيس. قال ترامب: «لقد صنعت وحشاً عندما أطلقت عليه لقب الكلب المجنون». وهو كان محقّاً بعض الشيء في كلامه هذا. (لقب ماتيس الحقيقي كان «الفوضى»). عدت إلى مكتبي عند الساعة ٥:٢٠ مساءً لكي أجري اتصالاً مع بومبيو. كانت تغريدة ترامب قد انطلقت في هذا الوقت وبدأت عاصفة ماكينة ماتيس الإعلامية بالهبوب. قال بومبيو إن ماتيس مرّ بوزارة الخارجية قبل التوجّه إلى البيت الأبيض وسلّمه نسخة من كتاب استقالته. قال ماتيس إن «الرئيس لم يعد يصغي إليّ. هذه طريقته للقول إنه لا يريدني. حان وقت الاستقالة». أما أنا فقد اعتبرت أن كلامه صحيح، ووافقني وبومبيو على هذا.

أثر كل هذا الاضطراب بشأن ماتيس، بطبيعة الحال، على القضايا السورية والأفغانية المتوازية، على الأخص لأن ماتيس جعل من الأمر الذي أصدره ترامب لمغادرة سوريا السبب الحاسم لاستقالته. وعلى الرغم من كل ذلك فقد بقيت مسألة خلافة ماتيس عالقة. أخبرني ترامب الذي كان في المكتب البيضاوي يوم السبت، أي بعد يومين من اجتماعه مع ماتيس في هذا المكتب، وعند الساعة ٦:١٥ مساءً، أنه لن ينتظر حتى استقالة ماتيس في شهر شباط/فبراير لتسمية نائب وزير الدفاع بات شاناهان لشغل منصب وزير الدفاع بالوكالة. (كان ترامب حائراً عند هذه النقطة بين تسمية شاناهان لشغل المنصب بدوام كامل أو تسمية الجنرال المتقاعد الجنرال جاك كيان). يُضاف إلى ذلك أن ترامب أراد أن يخرج ماتيس من الصورة على الفور. فلا يأتي حتى إلى البنتاغون يوم

الإثنين. أشرت على ترامب أن عيد الميلاد قريب جداً، فقال ترامب، «لن يحلّ عيد الميلاد قبل يوم الثلاثاء. يجب أن نقيله اليوم».

في يوم الأحد ٢٣ كانون الأول/ديسمبر تحدثت مع ترامب مباشرة قبل الساعة العاشرة صباحاً بدقائق، موعد المكالمة الهاتفية مع أردوغان. وكان الرئيس قد أنهى لتوه «مكالمة مثمرة» مع شاناهان، الذي يجده «مؤثراً جداً». وتساءل ترامب لماذا لم يشعر بذلك خلال لقاءاته السابقة معه، لكنه أجاب بنفسه على سؤاله قائلاً إن شاناهان، «كان مقيداً جداً في البنتاغون بسبب ماتيس»، وأضاف، «إنه يحبكما أنت وبومبيو».

لكن بما أن ماتيس قد تسلّم مهامه في الأول من شهر كانون الثاني/يناير فإنه يستطيع أن يبقى في وظيفته حتى ٣١ كانون الأول/ديسمبر، وبقي ترامب مع ذلك يدمدم بأنه يريد أن يقيله على الفور. قلت له إنني سوف أفكر في ما يمكن فعله. واتصلت بشاناهان فوراً وهو كان في سياتل مع عائلته، وقلت له إن عليه العودة إلى واشنطن فوراً، حتى لو كان في عطلة عيد الميلاد. اتصلت كذلك بدانفورد، وكان قد وصل لتوه إلى قاعدة باغرام في أفغانستان. أبلغت دانفورد بما حدث مع أردوغان بشأن سوريا، وكذلك أطلعته على استقالة ماتيس. كان ممتناً لي لأن ما من أحد نقل إليه أخبار البنتاغون. أكّدت لدانفورد أن ترامب يريده أن يبقى رئيساً للأركان، وهو أمرٌ قلته على مسؤوليتي لأنني شعرت بأنه صحيح ومناسب للتخفيف من الاضطراب الذي تسبّب به ماتيس. على الأقل في الوقت الحاضر، يبدو أننا عدنا إلى الثبات مرة أخرى.

كانت سوريا ماتزال في حال اضطراب شديد. قرّر ترامب في عطلة نهاية الأسبوع أنه يريد إجراء مكالمة أخرى مع أردوغان من أجل إيضاح نقطتين: الأولى، تحذيره من مهاجمة الجنود الأميركيين في سوريا، والثانية التأكد من مهاجمة داعش، وليس الأكراد. كانت النقطتان في محلهما، لكن الوقت قد تأخر قليلاً لإملائهما بعد المكالمة التي أجراها سابقاً مع أردوغان، والضجة الإعلامية التي تناولتها لاحقاً[1]. قال ترامب، بعد تبادل التحيات والعبارات الافتتاحية، أولاً إنه يريد من أردوغان أن يتخلص من داعش، وإنه سوف يقدّم المساعدة إذا احتاجتها تركيا. ثانياً، ضغط ترامب على أردوغان لعدم ملاحقة الأكراد وقتلهم، ونبّهه إلى أنّ عدداً كبيراً من الناس يحبونهم لأنهم قاتلوا معنا ضد داعش لسنوات طويلة. أضاف ترامب أن تركيا والأكراد يجب أن يلاحقوا معاً بقايا داعش. كان ترامب يعرف أن مثل هذه الاستراتيجية تشكّل تغييراً بالنسبة إلى أردوغان، لكنه شدّد مجدداً على مقدار الدعم الذي يلقاه الأكراد في الولايات المتحدة. تحدّث الرئيس بعد ذلك عمّا اعتبره النقطة الفاصلة: آفاق زيادة التبادل التجاري بين الولايات المتحدة

(١) راجع الصفحة ١٤٠ على الرابط التالي:
//www.govinfo.gov/content/pkg/DPCD-2018DIGEST/pdf/DPCD-2018DIGEST.pdf

وتركيا. حرص أردوغان بعد ذلك على القول إنه يحب الأكراد والأكراد يحبونه، لكنه أضاف أن قوات حماية الشعب PYD وحزب العمال الكردستاني PKK وحزب الاتحاد الديمقراطي YPG يستغلون الأكراد ولا يمثلونهم (المجموعات الثلاث المتواجدة في تركيا وسوريا، والتي يردّد أردوغان أحرفها التسعة وكأنه يتلفظ باسمه الشخصي). ولفت نظره كذلك إلى أن نظامه يضمّ نواباً ووزراء من الأكراد، وأن الأكراد يحبونه ويتعاطفون معه، بشكلٍ خاص، وأنه الزعيم الوحيد الذي يستطيع إقامة مهرجانات كبيرة في المناطق الكردية، ولا نيّة لديه في قتل أي شخص غير المنتمين إلى الجماعات الإرهابية. سبق لنا أن سمعنا كل هذا الكلام من قبل، لكن كل هذا كان دعاية نمطية لنظام أردوغان.

هل تحدّث عن المهرجانات؟ يا لهذا الموضوع الذي يستهوي ترامب! لكن لعله أدرك الآن أنه استدرج إلى مصيدة في موضوع الأكراد - أولئك الذين يخطط أردوغان لإبادتهم مقابل أولئك الذين يحبون أن يستمعوا إليه. إنه تمايز لا نستطيع مساعدة أردوغان بشأنه. طلب مني ترامب أن أعطي رأيي بتعليقات أردوغان. قلت له بشكلٍ عفوي إنه يتعيّن علينا ترك التمييز ما بين الإرهابيين وغير الإرهابيين لنقاشات الوفدين العسكريين القادمة. شعرت بأن عملية تحليل هذا السؤال لن تقودنا إلى أي مكان، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تأجيل مغادرة قواتنا لسوريا.

كانت احتفالات ليلة الميلاد ويوم العيد هادئة. عند الساعة ٩:٤٥ من ليلة عيد الميلاد، توجهت مع حراستي الخاصة إلى قاعدة آندروز، حيث كان ترامب والسيّدة الأولى، وعدد قليل من الأشخاص، يستقلون الطائرة الرئاسية متوجهين وسط إجراءاتٍ أمنية مشددة إلى العراق (والتي تسبق توقيت واشنطن بثماني ساعات). أخذت قسطاً من النوم، واستيقظت لألاحظ أن الرحلة لاتزال في نطاق السرية، وأن التدابير الأمنية كانت جيدة بحيث سنتمكن من متابعة الطيران نحو مقصدنا في قاعدة الأسد الجوية، حيث ينتظرون وصولنا. وكان من المقرّر أن نلتقي رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي، وبعض كبار المسؤولين الآخرين. استيقظ ترامب «باكراً» أيضاً، مع أنها كانت ساعة العصر بتوقيت العراق، وأمضينا وقتاً طويلاً نتحدّث وحدنا في مكتبه لأن عدداً قليلاً من المرافقين كان قد استيقظ بعد. استعرضنا أثناء الحديث ما سيقوله للجيش، ولجنود سلاح البحرية، في قاعدة الأسد، وكذلك في خطاب حال الاتحاد المقرّر في شهر كانون الثاني/يناير، وكذلك موضوع إرسال بطاقة تهنئة بمناسبة عيد رأس السنة إلى تشي جينبينغ، وما إذا كان ترامب يجب أن يحصل على جائزة نوبل للسلام. أثار ترامب كذلك مسألة الشائعة السياسية الواسعة الانتشار ومفادها أنه سوف يستغني عن بِنس في انتخابات العام ٢٠٢٠، وبدلاً منه سوف يرشّح هالي، وسألني عن رأيي في هذه المسألة. كما سرت كذلك شائعات عن البيت الأبيض تفيد بأن إيفانكا وكوشنير يفضّلان هذا الخيار، وهو الأمر الذي جرى ربطه مع ترك هالي لمنصبها في شهر كانون الأول/ديسمبر من العام ٢٠١٨ بصفتها

سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وهو ما يسمح لها بممارسة بعض النشاط السياسي في أنحاء البلاد قبل أن تتمّ تسميتها للترشح في انتخابات العام ٢٠٢٠. أما الحجة السياسية التي هي في صالح هالي فهي أن بإمكانها استعادة كسب أصوات النساء اللواتي ابتعدن عن ترامب. وقيل في المقابل إن الإنجيليين الذين يدعمون بنس ليس لهم أي جهة أخرى يتوجهون إليها في العام ٢٠٢٠. وهكذا فإن أصواتهم لن تكون معرضة لخطر الخسارة إذا ما أخذت هالي مكانه. قلت له إن الاستغناء عن شخص مخلص ليس بالفكرة الحسنة، إن ذلك من شأنه إبعاد الأشخاص الذين يحتاجهم (والذين بإمكانهم المكوث في منازلهم، حتى لو لم يصوتوا لمنافس ترامب) ولا يؤدي إلى كسب داعمين جدد بسبب عملية الاستبدال التي قام بها. بدا لي أن هذا هو ما يفكر فيه ترامب أيضاً.

هبطت طائرتنا في مطار قاعدة الأسد الجوية عند حوالي الساعة السابعة والربع مساءً بالتوقيت المحلي، ووسط ظلمة شبه كاملة وفي ظلّ إجراءات أمنية مشددة إلى أقصى حدّ. ابتعدنا عن الطائرة الرئاسية بعربات هامفي المصفحة متجهين نحو الخيمة حيث سيستقبلنا القادة العسكريون الأميركيون. اتضح لنا في هذه الأثناء أن حضور عبد المهدي ليس مؤكداً لأنه ولأسباب أمنية لم يتمّ إعلامه بوصولنا إلا منذ قليل. عرفنا بعد وقت قصير أن ثمة طائرة في طريقها إلينا من بغداد، لكننا لم نكن نعرف إن كان عبد المهدي على متنها أم لا!

كان في استقبال الرئيس والسيدة الأولى داخل الخيمة التي تمّ ترتيب طاولات وكراسٍ فيها وزينت بالأعلام، الجنرال بول لاكاميرا، قائد عمليات العزم المتأصل (في العراق وسوريا) والقائد في القوات الجوية الجنرال دان كاين (والملقّب باسم «ريزن»)، ونائب القائد، وأشخاص آخرون. كنت أرغب ببعض «العزم المتأصل» في الإدارة، وهكذا انتحيت والجنرال لا كاميرا جانباً، وطلبت منه التشديد على الخطر الإيراني في سوريا، إضافة إلى أي كلام كان ينوي قوله.

لو كان لي أن أنتقي لحظة من الزمن لإنقاذ الوجود الأميركي في سوريا (على الأقل حتى نهاية عملي في البيت الأبيض) فهذه هي اللحظة المناسبة: كنّا جالسين في هذه الخيمة على طاولة الاجتماعات التي أقيمت لهذه الزيارة والتي تصدّرها الرئيس والسيدة الأولى بينما جلس الباقون على جانبي الطاولة. انتهت المراسم التقليدية أمام رجال الصحافة الذين رافقونا وغادروا عند الساعة الثامنة مساءً. بدأ لاكاميرا وزملاؤه بما كنت متأكداً من أنهم اعتبروه جلسةً إحاطة روتينية، وكان الرئيس مستمعاً لهم. هل كان ثمة مفاجأة بانتظارهم؟! لم يذهب لاكاميرا أبعد من القول، «الواضح تماماً بأننا سوف نخرج من سوريا» عندما قاطعه ترامب بالأسئلة والتعليقات. وقال لاكاميرا في إحدى اللحظات، «يمكنني حماية مصالحنا في سوريا أثناء الانسحاب، وأستطيع أن أفعل ذلك من هنا». قال ترامب إنه أبلغ أردوغان بعدم مهاجمة القوات الأميركية في سوريا. بدأ لاكاميرا وكاين بشرح ما كانا يفعلانه الآن ضد داعش عندما

بادره ترامب بالسؤال: «أيمكنك القضاء عليهم أثناء الانسحاب». أجاب الرجلان، «أجل سيّدي»، فقال ترامب: «هذا الأمر الذي أوجهه لكما. أقضوا عليهم من هنا».

مضى لا كاميرا في شرح كيف أن الولايات المتحدة سعت إلى بناء «إمكانيات شراكة» على مدى السنوات، لكن ترامب قاطعه ليقول إنه مدّد مرات عدة المهل الضرورية لإلحاق الهزيمة بداعش. وقد تعب من هذا التمديد. سأله الرئيس بعد ذلك: «ماذا نستطيع أن نفعل لحماية الأكراد؟» تدخلتُ هنا لأشرح للضابطين أن الرئيس قد أبلغ أردوغان وبحزم بأنه لا يريد أن يصاب الأكراد الذين ساعدونا في سوريا بأي سوء. شرح لاكاميرا وكاين أنهما يستطيعان إنهاء سيطرة داعش على أراضي الخلافة في غضون أسبوعين إلى أربعة أسابيع. قال ترامب، «حسناً، إفعلا ذلك. إني أمنحكما موافقتي»، متسائلاً لماذا ماتيس وآخرون لم يستطيعوا إنهاء المهمة منذ سنة ونصف مضت. اكتشف ترامب أنه يسمع الكثير من هذه المعلومات للمرة الأولى. الأمر الذي قد يكون صحيحاً وقد لا يكون ولكن ذلك كان رأيه.

ومع تقدم النقاش، قال لاكاميرا إن قاعدة الأسد كانت ضرورية كذلك لإبقاء الضغط على إيران. ثم سأل ترامب ممتحناً: «وهل أن البقاء في العراق يضع ضغوطاً أكبر على إيران؟» أجاب على هذا السؤال سفير الولايات المتحدة في العراق، دوغلاس سيليمان، مؤكداً «أجل». ووافقه على ذلك لاكاميرا وآخرون. بدأ ترامب يختم الاجتماع بقوله إنه يريد «انسحاباً قوياً» من سوريا، كما أنه يعتبر أن استمرار وجود الولايات المتحدة في العراق «أساسي» لأسباب عدة. قررت عند هذه النقطة امتحان حظوظي عندما سألت لاكاميرا وكاين عن قيمة منطقة التنف المحظورة. كان لاكاميرا يقول: «لم أقم بعد بإحاطة رؤسائي...» عندئذ تدخلت وأشرت إلى «وجود رئيس الولايات المتحدة الأميركية أمامه وقلت: «إنك تفعل ذلك الآن». انتبه لاكاميرا لما أقصده سريعاً وحسناً فعل، ثم قال إنه يتعيّن علينا التمسك بالتنف. رد ترامب بالقول: «حسناً. سنقرر البرنامج المتعلق بهذا لاحقاً».

انتقل الرئيس والسيدة الأولى بعد ذلك بقليل إلى خيمة مزدحمة قريبة للقاء العسكريين، وستيفن ميلر، وسارة ساندرز، بينما بقيت أنا مع لاكاميرا وكاين وقادة آخرين من أجل وضع مسودة بيان نستطيع إعلانه. كتبنا في المسودة أن الرئيس والقادة، «ناقشوا مسألة انسحاب قوي ومدروس ومنظم من سوريا، والأهمية المستمرة للوجود الأميركي في العراق، والذي يهدف إلى منع بروز تهديد داعش بالسيطرة على أراض مجدداً، وكذلك من أجل حماية المصالح الأميركية الأخرى». اتفق الجميع على أن هذا البيان هو تلخيص جيد للاجتماع[1].

اعتبرتُ أن النتيجة كانت مذهلة، ليس لأننا توصلنا إلى قرار نهائي حيال النشاط العسكري

(١) راجع: ملاحظات الرئيس ترامب على القوات في قاعدة الأسد الجوية، محافظة أنبار، العراق، في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨
https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-troops-al-asad-air-base-al-anbar -province-iraq/

الأميركي في سوريا فحسب، بل لأن ترامب قدّر بشكل مختلف ما كنّا نقوم به مدركاً أهميّته. إلى متى يستمر ذلك؟ هذا أمر آخر. لكنني قرّرت أن أتحرك ما دام هذا الانطباع قويّاً. ولكن لماذا لم يسبق لمستشاري ترامب أن شرحوا له ملفي العراق وأفغانستان في وقت سابق؟ لقد فشلنا جميعاً في هذا المجال.

في الوقت الذي كنا ننجز مسوّدة البيان، بدا لنا واضحاً أن رئيس الوزراء عبد المهدي لن يأتي. وكان ذلك خطأً كبيراً يرتكبه. لقد أقنعه مستشاروه بأنه من غير الملائم أن يلتقي رئيس الوزراء العراقي الرئيس الأميركي في قاعدة عسكريّة أميركيّة مع العلم أن موقعنا كانت تحوطه من كل الجهات قاعدة عراقيّة (كانت هي بدورها لنا في ما مضى). استُعيض عن ذلك باتصال هاتفي دعا ترامب خلاله عبد المهدي لزيارة البيت الأبيض وكانت تلك مبادرة إيجابية من طرفه. ثم انتقلنا بالسيّارات إلى «هنغار» حيث ألقى ترامب خطاباً أمام الجنود الذين استقبلوه بحماسة كبيرة. إن الحماسة والتفاؤل والروح المعنوية العالية التي أظهرتها قواتنا المسلحة، حتى في قلب الصحراء العراقيّة، كانت لتحرّك مشاعر حتى الأميركيين ذوي القلوب القاسية الذين قلّما اكترثوا لعظمة بلادنا. كان هذا المشهد يجسّد بالفعل «دور أميركا الحاسم». انتهى الاحتفال عند الساعة ١٠,٢٥ مساءً تقريباً ثم انتقلنا وسط الظلام بواسطة السيّارات نحو الطائرة الرئاسيّة واتجهنا نحو قاعدة «رامشتاين» الجويّة في ألمانيا للتزوّد بالوقود.

إتصلتُ ببومبيو لابلاغه أجواء زيارة العراق. ثم تحدّثتُ مع شاناهان ودانفورد (الذي كان متواجداً في بولندا وقد غادر قاعدة الأسد الليلة السابقة). حطّت الطائرة في قاعدة رامشتاين عند الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة فجراً بحسب التوقيت الألماني حيث التقينا عدداً من القادة العسكريين ثم انتقلنا بالسيّارة إلى «هنغار» احتشد فيه عدد كبير من الجنود الذين كانوا ينتظرون لتأدية التحيّة للقائد الأعلى للقوّات المسلحة (عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل!). صافح ترامب العديد من الجنود والتقط معهم الصّور التذكاريّة على طول الشريط الذي كانت قد وضعته إدارة القاعدة. ثم عدنا إلى الطائرة الرئاسيّة متّجهين إلى قاعدة أندروز الجويّة حيث وصلنا عند الساعة الخامسة والربع فجراً في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر. وقد تأخرنا نحو عشرين دقيقة عن البرنامج المحدد.

إتصل بي ترامب في وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم ليؤكّد على ضرورة الإسراع في إنجاز «خطة الأسبوعين» للقضاء على الخلافة الإسلاميّة (داعش) في سوريا. قلتُ له إنني سمعتُ لاكاميرا وكاين يقولان إن المهلة هي «أسبوعان إلى أربعة أسابيع». لم يعترض لكنه قال: على كل حال لنسمّها «خطة الأسبوعين». وضعتُ دانفورد في أجواء الصورة التفصيليّة وقد لاحظتُ بشكل شبه فوري بعد مغادرة ماتيس أنه قادر على التعاطي مع أولويات ترامب المشوشة، وأحياناً المتناقضة، حيال سوريا (الانسحاب، سحق «داعش»، حماية الأكراد، اتخاذ القرار بخصوص قاعدة «التنف»، عدم الإفراج

عن المعتقلين، إبقاء الضغوط على إيران). لقد كانت هذه العناوين تعبّر عن فورات رئاسيّة، غير محضّرة مسبقاً، وردات أفعال سريعة لا تتيح التفكير العميق، ولم تكن بمثابة استراتيجيّة متماسكة وواضحة، إنّما مجرّد أجزاء متناثرة كان علينا تركيبها لنتلمس الطريق التي تقودنا إلى نتائج مرضية. دانفورد وأنا والآخرون كنا نخشى عودة داعش إلى مناطق سبق لها أن سيطرت عليها، ما يهدّد بتحويلها مجدداً إلى قاعدة تُستخدم لإطلاق أعمال إرهابيّة ضد أميركا وأوروبا.

كما أنني كنتُ أريد تقليص أي مكاسب محتملة لإيران، الأمر الذي لم يمنحه ماتيس الأولوية بينما فهمه دانفورد بشكلٍ أفضل. لقد ناقشنا سويّاً تطوير خطة تلحظ كل تلك الأولويّات وهو كان أمراً بالغ الصعوبة ويتفوّق على أسلوب ماتيس الذي انتقل من الموقف السابق الداعي إلى البقاء في سوريا إلى ما لا نهاية، إلى تنفيذ ما يطلبه الرئيس تماماً والانسحاب الفوري منها نكاية به. كان أردوغان يعتبر أن «الكردي الجيّد هو الكردي الميّت» رغم كل خطاباته في المهرجانات الوطنية. وقد رأى دانفورد أن الهدف العسكري التركي المباشر في سوريا هو طرد الأكراد من المنطقة الحدوديّة التركيّة-السوريّة، ومن ثم نقل مئات الآلاف من اللاجئين السوريين من تركيا إلى المنطقة الحدوديّة الجديدة التي ستصبح غير آهلة بالسكان. واقترح إنشاء قوّة مراقبة لحلف الأطلسي (الناتو) مدعومة من المخابرات الأميركيّة إشرافاً واستطلاعاً، على أن يتوفر لها غطاء جوّي وقدرة تدخل سريعة «مثل رقم هاتف الطوارئ ٩١١» في حال واجه عناصرها أي مشاكل، على أن يكون عدد العسكريين الأميركيين على الارض محدوداً جداً[(١)]. وفرحت لموافقة دانفورد السريعة على إبقاء القوّات الأميركيّة في التنف، الأمر الذي لم يكن ماتيس يريده. بدا أن ثمة مجالاً لإحراز بعض التقدّم.

اقترح دانفورد مرافقتي في رحلتي المقررة إلى تركيا في أوائل كانون الثاني/يناير على أن يبقى بعد ذلك لبضعة أيّام لإجراء محادثات مع المسؤولين العسكريين، ووافقتُ على اقتراحه. بهذه الطريقة، سيسمع الأتراك وجهة النظر الحكوميّة الأميركيّة بشكلٍ موّحد، ما سيحد من قدرتهم على استغلال التباينات بين اللاعبين الأميركيين المختلفين، وهو أمر محبب في استراتيجيّة أي حكومة أجنبيّة. أطلعتُ بومبيو على هذه المحادثات وقلتُ له إننا تفادينا نتائج سيئة للغاية في سوريا وأصبحنا على مشارف بناء رؤية مناسبة وقابلة للتطبيق. كان بومبيو يريد التأكد من مشاركة مبعوث وزارة الخارجيّة إلى سوريا في المحادثات مع تركيا وقد قبلتُ بذلك على مضض. أما سبب ذلك، فهو أن بومبيو نفسه قال لي قبل يومين من حلول عيد الميلاد إن السفير السابق لدى تركيا جايمس جيفري «لم يكن يحب الأكراد ويعتبر تركيا شريكاً يُعتمد عليه في الناتو». كانت هذه إشارات إنذار كافية عن حالة متقدمة من المشكلة المزمنة في وزارة

(١) See Zeke Miller and Lolita C. Baldor, "US pushes NATO allies to join observer force in Syria," https://apnews.com/1fa36d41b686410e84bfc986c9f56337

الخارجيّة حيث تصبح المقاربة الخارجيّة أكثر أهميّة من المقاربة الأميركيّة[1]. لقد توافقنا أنا وبومبيو وشاناهان ودانفورد على صياغة «بيان مبادىء» من صفحة واحدة، متعلق بالشأن السوري، لتلافي سوء الفهم، وهو ما اعتبرته وزارة الدفاع أمراً مهماً.

في الرابع من كانون الثاني/يناير، تلقيتُ اتصالاً من زعيم الأغلبيّة في الكونغرس ميتش ماكونيل فيما كنتُ على وشك المغادرة إلى إسرائيل، محطتي الأولى قبل التوجه إلى تركيا، وقال لي: «كنت أفكر بك»، مشيراً إلى أن «هناك مستويات عالية من القلق» في الكونغرس في ما يتعلق بالتطورات الأخيرة في سوريا وأفغانستان. وقلتُ له إن الهدف الأساسي من زيارتي هو توضيح ما سنفعله في سوريا تماماً. لقد كنتُ واضحاً في تصريح علني في السادس من كانون الثاني/يناير، أمام الصحافيين الذين رافقوني في تلك الرحلة أثناء لقاء في فندق الملك داوود في القدس «أننا نحرص على عدم تعرّض الذين قاتلوا إلى جانبنا في سوريا للخطر، لا سيّما الأكراد منهم وسائر القوى الأخرى، جرّاء انسحاب قوّات التحالف. إنّها مسألة أوضحها الرئيس تماماً في محادثاته مع الرئيس أردوغان»[2]. لقد كان ذلك ما قاله ترامب بالفعل، وعندما كررّته في إسرائيل آنذاك، كان لايزال صحيحاً. في وقت لاحق من ذاك اليوم بتوقيت واشنطن، سأل أحد المراسلين ترامب أثناء توجهه إلى كامب دايفيد، وقبيل صعوده إلى الطائرة الرئاسية، عما صرّحتُ به، فأجاب: «حاليّاً، جون بولتون موجود هناك، كما تعلمون. ولديّ نجمان رائعان هناك. جون بولتون يقوم بعمل رائع ومايك بومبيو كذلك. إنّهما قويّان ويعملان بجد... نحن على مشارف الوصول إلى نتائج مذهلة»[3]. لكن الصحيح أيضاً أن ترامب بدّل رأيه مرّة أخرى عندما تراجع الأتراك عن موقفهم بعد الاطلاع على موقفي وعلى تعليقات أخرى أدليتُ بها في القدس أثناء اجتماعي مع رئيس الوزراء نتنياهو. لكننا كنّا في بداية الرحلة.

إتصل بي ترامب حوالي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً ليلاً في السادس من كانون الثاني/يناير، وقال: «أنت صاحٍ، أليس كذلك؟»، وحتماً لم أكن صاحياً في ذلك الوقت. لقد أبلغه أحدهم أن الأتراك كانوا منزعجين من العديد من الملاحظات التي تناقلتها الصحافة على لساني. لم أقل بالطبع أي كلام لم يسبق أن قاله ترامب لأردوغان. على الرغم من ذلك، كرّر ترامب مراراً خلال ذلك الاتصال السريع: «قاعدتي تريد الخروج من سوريا». ما يعني أن زيارة تركيا ستكون ممتعة.

(١) See Bolton, Surrender Is Not an Option, throughout, on this subject

(٢) See David A. Sanger, "Bolton Puts Conditions on Syria Withdrawal, Suggesting a Delay of Months or Years," https://www.nytimes.com/2019/01/06/world/middleeast/bolton-syria-pullout.html

(٣) See "Remarks by President Trump Before Marine One Departure" January 6, 2019, https://www.white-house.gov/briefings-statements/remarks-presi dent-trump-marine-one-departure-29/

وبالفعل، في اليوم التالي، وأثناء عودتنا من القدس، سمعت سفارتنا في أنقرة أن أردوغان كان مستاءً جداً وأنه قد يلغي إجتماعه المقرر معي. في الدوائر الدبلوماسيّة كان ذلك يُعتبر ضعفاً، ولكنني اعتبرتُه بمثابة دليل على أن سياستنا في سوريا كانت صحيحة تماماً، أقلّه من وجهة النظر الأميركيّة، إن لم يكن من وجهة النظر التركيّة.

بُعيد الوصول إلى أنقرة عند الساعة ٤ ٣٥ بالتوقيت المحلي، إتصل بي بومبيو ليبلغني عن استياء ترامب من مقال نُشر في صحيفة «النيويورك تايمز» تضمّن أكثر من المعدّل الاعتيادي من الأخطاء، يتحدّث عن تناقضات في سياستنا في سوريا وذلك بالاستناد إلى تصريحات مسؤولين في الإدارة[١]. بالطبع، معظم التناقضات كانت صادرة عن ترامب نفسه، وبعضها من بومبيو الذي سبق له أن اعتمد على ما أدليتُ به (مثل القول إننا لن نسمح لتركيا بـ «ذبح الأكراد»، وهو تصريح لم ينل اهتماماً إعلاميّاً واسعاً، إلا أنه أغاظ الأتراك)[٢]. وافقنا مع ما طرحته سفارتنا وهو عدم توّسل الاجتماع مع أردوغان وأننا قد نكون وصلنا إلى النقطة التي لا يمكن تلافيها التي تصطدم فيها رغبة ترامب بمغادرة سوريا مع موقفه المتعلق بحماية الأكراد. لقد كان ذلك يفوق قدرة أردوغان على الاحتمال. ثم اتصل بي ترامب بعد نحو ساعة. لم تعجبه التقارير الصحافيّة عن الخلافات داخل الادارة ولكنه كان أكثر قلقاً حيال مثابرة وزارة الدفاع على تنفيذ «خطة الأسبوعين» لإلحاق الهزيمة بخلافة «داعش». دعوته للاتصال شخصياً بشاناهان ليطمئنّ إلى سير الخطة بنفسه وأبلغته أنني سوف ألتقي دانفورد قريباً في أنقرة وسأتابع معه هذا الأمر.

للمفارقة، كتبت «واشنطن بوست» في اليوم التالي، بلهجة آسفة، أنني وترامب متفاهمان تماماً في موضوع سوريا[٣]. سبب الأسف أن واشنطن بوست كانت تناقض القصة التي نشرتها في اليوم السابق[٤]. لقد عكست هذه التغطية الإعلاميّة المرتبكة أمرين هما غياب تسلسل الأفكار لدى

(١) راجع الهامش رقم ٢ في الصفحة السابقة.

(٢) See Associated Press, "Turkey slams Pompeo comments on 'slaughtering' Kurds," January 4, 2019, https://apnews.com/27fa54d76e8d4fa79453430f 9e2b57ae

(٣) Missy Ryan and Karen DeYoung, "'No different from my original statements': Trump denies changes to Syria exit plan," https://www.washingtonpost.com/world/national-security/no-different-from-my-original -statements-trump-denies-changes-to-syria-exit-plan/2019/01/07/d93922f2-128f-11e9-90a8-136fa44b-80ba_story.html

(٤) Karen DeYoung and Karoun Demirjian, "Contradicting Trump, Bolton says no withdrawal from Syria until ISIS destroyed, Kurds' safety guaranteed," https://www.washingtonpost.com/world/national-security /no-different -from-my-original-statements-trump-denies-changes-to-syria-exit-plan /2019 /01 /07 / d93922f2-128f-11e9-90a8-136fa44b80ba story.html

ترامب، وكتابة التقارير الصحافية بناءً لمعلومات توفرها مصادر من الدرجة الثانية والثالثة، وما يفاقم الأمر هو أن الرئيس يصرف نسبة كبيرة من وقته متفرجاً على تغطية الصحف لإدارته. من الصعوبة البالغة وصف السياسة المعتمدة في مكان معقد من العالم عندما تكون هذه السياسة نفسها عرضةً للتعديل الفوري من قبل الرئيس، استناداً لمعلومات غير دقيقة وغالباً ما يكون قد تجاوزها الزمن ونشرها كتّاب لا يعيرون أصلاً مصالح الادارة أي اهتمام. يشبه الأمر صياغة السياسة وتنفيذها داخل لعبة «الفليبر» وليس في الجناح الغربي للبيت الأبيض.

في هذه الأثناء، وعلى عكس ما ورد في بيان المبادىء، عمّم جيفري خريطة ملونة تظهر أقساماً في شمال شرق سوريا اقترح السماح لتركيا بالسيطرة عليها ومناطق أخرى يستطيع الأكراد الاحتفاظ بها. لم يعجب دانفورد ما ورد في الخريطة على الاطلاق. سألت ما إذا كان يجب أن يبقى هدفنا إبقاء الأتراك على جانبهم من الحدود مع سوريا شرقي نهر الفرات، فقال دانفورد أن ذلك هو موقفه تماماً.

قلت إنني أريد أن أرى شمال شرق سوريا على حاله من دون حضور الجنود الأميركيين: أعلم أن تلك قد تكون «مهمة مستحيلة» لكني أعتقد أن تلك ينبغي أن تكون غايتنا حتى لو كنّا غير قادرين على بلوغها. وافق دانفورد على هذا الرأي. في هذه الأثناء وصل جيفري وراجعنا معاً إعلان المبادىء الذي يمكن أن نرسله للأتراك. أضفت عبارة جديدة للتشديد على أننا لا نريد أن تتمّ معاملة الأكراد بطريقة سيئة. وأصررنا على أننا لا نقبل بأي تواجد عسكري أو غيره في شمال شرق سوريا. وافق دانفورد وجيفري على مسودة الإعلان والخريطة، اللتين أصبحتا على ضوء التطورات التي حدثت بعد خروجي من البيت الأبيض، مجرد مسألة للإهتمام التاريخي.

لم يكن مفاجئاً أن يعلمنا أردوغان نيته إلغاء اجتماعه معي لأنه كان يريد إلقاء خطاب في البرلمان. وكما علمنا لاحقاً، كان خطاب أردوغان بمثابة هجوم مخطط له مسبقاً رداً على الموقف الأميركي الذي كنتُ قد أعلنته. لم يتحرّك أردوغان قيد أنملة عن إصراره على أن تكون اليد التركيّة مطلقة في شمال شرق سوريا وهو أمر لم يكن ممكناً السماح به إذا أردنا تفادي معاقبة الأكراد. ألقى أردوغان خطاباً انتخابيّاً (على مشارف الانتخابات المحليّة التي كانت ستُقام في كل أنحاء تركيا والتي لم يحقق فيها نتائج جيّدة) قائلاً: «لا للتنازلات» وإنه من «غير الممكن عقد التسويات» حول هذه المسألة[1]. في طريق العودة، اتصلتُ ببومبيو لوضعه في أجواء اجتماعات تركيا. إتفقتُ

(١) See Australian Broadcasting Corporation, "Turkish president Recep Tayyip Erdogan says 'no concession' for Syrian Kurds, snubbing US plea," January 8, 2019, https://www.abc.net.au/news/2019-01-09/turkey-rejects-us-request-to-protect-us-kurdish-allies-in-syria/10700680

وإياه على أن مواقفنا مع تركيا حيال الأكراد «غير قابلة للالتقاء» وأن على تركيا أن تكون «حذرة جداً». وقال بومبيو إن وزير الخارجيّة التركي مولود تشاووش أوغلو كان يحاول الاتصال به وإنه كان ينوي أن يقول له: «الخيار يعود إليكم. إما أن نكون نحن على حدودكم، أو أن يكون الروس والإيرانيون (الذين كانوا سينتقلون حتماً إلى تلك المنطقة بعد انسحابنا). الخيار لكم». وقلتُ له إن ذلك الموقف يبدو لي صحيحاً.

ثم اتصلتُ بترامب أيضاً لوضعه في الأجواء. كان يعتبر أن الأتراك يعدّون العدة لاجتياز الحدود إلى الداخل السوري منذ أشهر وهو السبب الذي دفعه من الأساس للخروج من هناك قبل هجوم تركيا على الأكراد أثناء تواجد قواتنا هناك. أضاف: «أردوغان لا يكترث لداعش». وهذا صحيح. وهو اعتبر كذلك أن الولايات المتحدة ستحافظ على قدرتها لقصف داعش حتى بعد مغادرتها سوريا، وهذا أيضاً صحيح. كان ترامب يركز في تلك الأمسية على خطابه عن الجدار الحدودي مع المكسيك وهو الخطاب الأول الذي كان سيلقيه من المكتب البيضاوي. ثم قال: «لا تظهر ضعفاً أو شيئاً من هذا القبيل»، كأنه لم يدرك أنني كنتُ أصف له أموراً حدثت وانتهت. وقال: «لا نريد التوّرط في حرب أهليّة. إنهم أعداء طبيعيون. الأتراك والأكراد يتقاتلون منذ سنوات طويلة. لن نتورط في حرب أهليّة ولكننا سننهي داعش».

في هذا الوقت، علمتُ أن دانفورد كان يظن أن المسؤولين العسكريين الأتراك كانوا أقل حماسة من أردوغان للدخول إلى سوريا وأنهم كانوا يبحثون عن أسباب لتفادي إطلاق عمليّات عسكريّة على حدودهم الجنوبيّة، إنما يؤكدون في الوقت ذاته أنّهم يقومون بحماية تركيا من أي اعتداءات إرهابيّة. وقال دانفورد: «بالنسبة لهم، كانت تلك الحدود تماثل حدودنا مع المكسيك، ولكنها كانت أكثر نشاطاً». لقد ثابر دانفورد على العمل من خلال بيان المبادىء مقترحاً منطقة عازلة بمسافة نحو ٢٠ إلى ٣٠ كيلومتراً تحت مراقبة قوّة دوليّة يكون قوام معظمها من «الناتو» وحلفائه، مهمتها التحقق من عدم حصول أي عمليّات أو توّغل للأكراد إلى تركيا وبالعكس أيضاً، وهو ما تمت مناقشته في واشنطن سابقاً. وسوف تواصل الولايات المتحدة توفير الغطاء الجوي وقدرات البحث والانقاذ للقوّة الدوليّة ما سيسمح لنا بالسيطرة على المجال الجوي فوق شمال شرق سوريا، على ما اعتقدتُ أنا ودانفورد. ورغم أن دانفورد لم يشدّد على ذلك، إلا أن إمكانيّة عودة الأميركيين لقمع أي صعود متجدّد وجدّي لداعش في شمال شرق سوريا وكانت ممكنة نظراً لبقاء قواتنا في قاعدة الأسد في العراق بناءً لتعليمات ترامب. وطالما أن أولويات أردوغان كانت السياسات المحلية، من وجهة نظري، فإن هذا الترتيب كان كافياً. كان علينا الآن إقناع الأوروبيين ولكن تُركت هذه المسألة لوقت آخر. وبينما كنا نسير في هذا الخيار، أو نطور أفكاراً أخرى قد تتطلب شهوراً، استخدمناها حجة جيدة لابقاء القوّات الأميركيّة شرقي الفرات.

أما بالنسبة للأكراد، فكان جيفري سيقدّم الفكرة لقائدهم الجنرال مظلوم عبدي لمعرفة ردة فعلهم. وكان دانفورد يعتبر أن خيارات مظلوم محدودة وأنّه قد يفكّر بما يوفره له ذلك من ضمانات الآن. ثم تحدثتُ مع بومبيو الذي اعتبر أنه يجب اعتماد هذا المسار وأنه يتوجب على الآخرين في المنطقة تقديم الدعم له. الدول العربيّة ليست مغرمة بتركيا وهي تمتلك الموارد الماليّة التي ستجعل انخراط «الناتو» والجهات الأخرى في قوّة متعددة الجنسيّات أمراً أكثر سهولة. كانت نظريّة تحمّل الأعباء بالتساوي مع حلفائنا، والناتو تحديداً، ثابتة لدى ترامب وكان محقاً في ذلك. أثناء حرب الخليج ١٩٩٠- ١٩٩١ موّل الرئيس جورج بوش الأب الحرب من خلال استقطاب الدعم من الدول الإقليميّة المستفيدة مثل الكويت والسعوديّة، والدول الأبعد إنما المستفيدة أيضاً مثل اليابان. لقد حصل ذلك مع مسحة خفيفة من الإحراج وكأنه تمرين على طلب المال، وقد نجح الأمر ولم يقل أحد عن ذلك إنه كان عملاً غير أخلاقي. ليس هناك من سبب لعدم نجاح ذلك مجدداً.

لقد واصلتُ تفسير هذه المقاربة في سوريا لترامب. أثناء اجتماع عُقد في المكتب البيضاوي في التاسع من كانون الثاني/يناير لمناقشة موضوع آخر، قدّم دانفورد مطالعة تفصيليّة أشار فيها إلى أن وجود قوّة دوليّة في منطقة عازلة جنوبي تركيا هو مسألة قابلة للتطبيق، ما يتيح لنا أن نتحرر من التواجد إنما دون تعريض الأكراد والحلفاء الآخرين المناهضين لداعش للخطر، فضلاً عن الحفاظ على سمعتنا الدوليّة. وأصبح دانفورد الآن يدافع بشدة عن البقاء في التنف وهو الأمر الذي كان شدد عليه العاهل الأردني الملك عبدالله أثناء استقباله بومبيو، معتبراً أنه كلما بقيت القوات الأميركيّة في التنف، كلما كان الأردن أكثر أمناً من انتقال الصراع السوري عبر الحدود إلى داخل أراضيه. كان ترامب مسروراً أن العمل يسير قدماً في «خطة الأسبوعين إلى أربعة أسابيع»، ولو أنّه كان يأمل إنجازها في غضون أسبوعين وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً تحقيقه. بدا ترامب راضياً ولو أن ذلك لم يمنعه من الاستطراد مطوّلاً حول فشل ماتيس في تحقيق الانتصار في أفغانستان وسوريا. وكان يتساءل لماذا لانزال في هذا الوضع بعد أن خضنا الحرب الكوريّة سنة ١٩٥٠، منتقداً جحود الحلفاء القدماء الانتهازيين حول العالم. للتاريخ فقط، لقد سبق وناقشتُ مع ترامب مراراً تاريخ الانقسام «المؤقت» لشبه الجزيرة الكوريّة سنة ١٩٤٥، صعود كيم إيل سونغ، وأثره على الحرب الباردة والأمور القديمة الأخرى كما تعلمون. لكن من الواضح أنني لم أترك لديه أثراً في ذلك. لقد تكررت تلك الدوامة مراراً وكانت النتيجة دائماً هي ذاتها. كل بضعة أيّام، كان أحدهم يضغط دون قصد على أحد الأزرار، فيعيد ترامب تكرار الأسطر ذاتها وكأنه تسجيل صوتي لأحد الأفلام.

قام دانفورد بعملٍ جيّد في الدفاع عن نفسه ولم أتدخل إلا بالحد الأدنى لأنني اعتبرتُ أنه من الأفضل أن يستمع ترامب للأمر من شخص آخر على سبيل التغيير. أما الآخرون في الغرفة (بنس، شاناهان، كوتس، هاسبل، منوشين، سوليفان وسواهم) فظلوا صامتين. كان ذلك أطول

حوار أشهده بين ترامب ودانفورد الذي قام بعملٍ جيّد، وأتساءل كم كانت ستختلف الأمور لو أن ماتيس تصرّف كوزير دفاع حقيقي قادر على إدارة آليّة الوزارة الكبيرة بدل أن يكون كجنرال بخمس نجوم يصدر الأوامر لجنرالات الأربع نجوم. وإذ كنتُ أشاهد أداء دانفورد، تبيّن لي أن ثمة حكمة مخفيّة في وضع عوائق قانونيّة أمام الجنرالات السابقين لتولي منصب وزير الدفاع. لم يكن ثمة خوف من سيطرة عسكرية على القرار ولكن للمفارقة لم تقدّم قيادة البنتاغون بقسميها المدني والعسكري أداءً جيّداً عندما كان كلاهما عسكرياً. لم يناسب الدور السياسي الأوسع للوزير أولئك القادمين من خلفيّة عسكريّة، ما ترك لماتيس الاشراف على دانفورد ورؤساء أركان آخرين لم يكونوا بحاجة لإشراف عسكري إضافي. وأكد ذلك إلى أي مدى لم يكن ماتيس مقنعاً في اجتماعات غرفة العمليات أو المكتب البيضاوي. وقد يكون أسّس سمعة «المحارب - العالم» لأنه اصطحب معه إلى أرض المعركة نسخة من كتاب التأملات لماركوس أورليوس. إلا أنّه لم يكَن ناجحاً في النقاش والجدال.

تعقّدت كل نقاشاتنا حول دورنا في سوريا مع رغبة ترامب الدائمة بالاتصال بالأسد بخصوص الرهائن الأميركيين، الأمر الذي لم يحبّذه بومبيو ولا أنا. من حسن الحظ أن سوريا أنقذت ترامب حتى من نفسه بمجرّد رفضها الحديث مع بومبيو بخصوص هؤلاء. وعندما أبلغنا ترامب بذلك، رد غاضباً: «أبلغوا الطرف السوري أنّنا سنضرب الأسد بقوّة، بقوّة شديدة جداً، إن لم يعيدوا لنا رهائننا. أبلغوهم بذلك. نريد عودة الرهائن خلال أسبوع من تاريخ اليوم أو أنّهم لن ينسوا أبداً الضربة الشديدة التي سنوجّهها لهم». هذا الموقف أدى على الأقل إلى إلغاء فكرة اتصال ترامب-الأسد. أما الكلام عن ضرب سوريا فلم يتمّ تنفيذه.

لم تحقق الجهود المتصلة بتشكيل قوّة مراقبة دوليّة أيّ تقدّم. في ٢٠ شباط/فبراير، أي بعد نحو شهر، قال شاناهان ودانفورد إن وجود بعض القوّات الأميركيّةً على الأرض في «المنطقة العازلة» جنوب الحدود التركيّة على أن يتوفر لها الدعم اللوجستي في قاعدة الأسد في العراق، هو شرط ضروري مسبق لدفع الدول الأخرى لإشراك قوّاتها. لم يكن لديّ أي مشكلة إطلاقاً مع تلك الفكرة، إلا أن طرحها مع ترامب كان محفوفاً بالمخاطر حتماً. في اجتماع تحضيري عُقد في المكتب البيضاوي قبل يوم من إجراء اتصال آخر مع أردوغان، قلتُ إن البنتاغون يعتبر أنه ما لم ننشر بضع مئات من الجنود الأميركيين (وأبقيتُ الرقم مبهماً عن قصد) على الأرض، لن يكون ممكناً تشكيل قوّة دوليّة. فكّر ترامب لثانية ثم وافق على الأمر. قال أردوغان إنه يريد فعلاً سيطرة تركيّة حصريّة على ما سماه «المنطقة الآمنة» داخل شمال شرق سوريا، الأمر الذي اعتبرته غير مقبول. ومع مذياع الهاتف على مكتب ريزولوت في الوضع الصامت، اقترحتُ على ترامب أن يقول لأردوغان ببساطة إن دانفورد يتولى المفاوضات في هذا الشأن وإن وفداً عسكريّاً تركياً يزور واشنطن في اليوم التالي.

وبالتالي علينا ترك المسؤولين العسكريين من الجهتين يتابعون مباحثاتهم. وهذا ما قاله ترامب بالحرف الواحد.

ثم انتقلتُ مسرعاً إلى مكتبي لأبلغ شاناهان الأخبار الجيّدة. بعد بضع ساعات، اتصلتُ بدانفورد للتأكد من أنه سمع ما حدث، وقال: «أيها السفير، لا أملك الكثير من الوقت للكلام فنحن سنخرج الآن للمشاركة في احتفال لإعادة تسمية مبنى البنتاغون: «مبنى بولتون». لقد كان مسروراً مثلنا بحيث اتفقنا جميعاً على أن «بضع مئات» كانت تورية جيّدة (ما قد يعني ٤٠٠ جندي تقريباً من دون تحديد). كان سيوضح للأتراك أنه لا يريد أياً من جنودهم جنوبي حدودهم. إتصلتُ بليندسي غراهام وتمنيّتُ عليه إبقاء الموضوع طي الكتمان بحيث لا تكون لدى الآخرين فرصة لإلغائه، وهو ما التزم به متبرعاً بالاتصال بأردوغان الذي تربطه به علاقات جيدة ليطلب منه الدعم الكامل لقرار ترامب. للأسف، أصدرت ساندرز بياناً صحافياً دون التشاور مع أحد ممّن يعرفون الوقائع، الأمر الذي أدّى إلى التباس كبير[1]. كان علينا أن نوضح أن «بضع مئات» ينطبق فقط على شمال شرق سوريا، وليس التنف، حيث سيكون هناك نحو مائتي جندي أميركي أو أكثر، ما يجعل مجموع العدد في الشمال نحو ٤٠٠ جندي. ورغم الحيرة الإعلاميّة حول هذا الأمر، تعمّدتُ عدم إعطاء رقم محدّد. وأكد لي دانفورد أنه هدّأ من روع القيادة الأميركيّة الوسطى التي كانت قلقة من التقارير الإعلاميّة المتناقضة، وقال: «لا تقلق، البناء سوف يبقى باسمك».

هكذا كان الوضع في شمال شرق سوريا إضافة إلى بعض المطبات الأخرى على الطريق حتى تاريخ تقديم استقالتي. قُضي على خلافة داعش ولكن بقي تهديدها الارهابي موجوداً. تراجعت فرص تشكيل قوّة مراقبة متعددة الجنسيّات فيما بقي الحضور العسكري الأميركي متراوحاً حول عدد ١٥٠٠ جندي منتشرين في أنحاء البلاد. لم يكن معلوماً إلى متى سيستمر «الوضع القائم» على هذه الحال لكن دانفورد حافظ عليه حتى انتهاء ولايته كرئيس لهيئة الأركان المشتركة في ٣٠ أيلول/سبتمبر. عدائيّة تركيا استمرّت على حالها دون مراقبة ربما بسبب التراجع الاقتصادي التركي ومشاكل أردوغان المحليّة. كما أن ترامب رفض فرض عقوبات على تركيا بعد إبرام صفقة لشراء نظام الدفاع الصاروخي أس ٤٠٠ متجاهلاً حالة التذمر الواسعة في الكونغرس.

كان قد مرّ نحو شهر على مغادرتي البيت الأبيض عندما ثار ترامب في ٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩، وأمر بالانسحاب الأميركي. كانت نتيجة قراره كارثيّة على السياسة الأميركيّة وعلى مصداقيتنا حول العالم. لا أدري ما إذا كان بإمكاني تلافي تلك النتيجة لو كنت ما زلت في الإدارة،

(١) See Radio Free Europe/Radio Liberty, "White House Now Says 400 'Peacekeepers' To Remain In Syria, Up From 200," February 23, 2019, https://www.rferl.org/a/us-keeping-peacekeepers-syria-pullout-kurds-russia -iran-turkey/29786293.html

كما سبق أن فعلت قبل تسعة أشهر، ولكن ردود الأفعال السلبيّة جداً التي تلقاها ترامب من كلا الحزبين كانت متوقعة ومبررة تماماً. كان إيقاف قرار كهذا مرّة ثانية بمثابة الوقوف أمام الحافلة، ويستدعي تقديم بديل يقبل به ترامب. على ما يبدو، لم يحصل ذلك. إلا أنه تم تسجيل أنباء جيّدة بعد جهود دامت لسنوات تمثلت في قضاء البنتاغون ووكالة الاستخبارات المركزيّة على زعيم داعش أبو بكر البغدادي في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر في غارة جريئة جداً[١]

أفغانستان: دفاع متقدم

بحلول أواخر العام ٢٠١٨، كانت أفغانستان قد أصبحت دون شك بقعة مؤلمة بالنسبة لترامب وإحدى عناوين تذمّره ضد «محور البالغين» كما يحب الإعلام أن يصفه. اعتقد ترامب، مدعوماً بمبررات، أنه منح ماتيس كل الفرص التي طلبها لإنهاء طالبان وخلافة داعش. لقد تحقق الهدف في العراق وسوريا (أما إذا كان يجب أن يكون الهدف الوحيد فهذا نقاش آخر). على النقيض من ذلك، لم يكن الهدف المحدّد في أفغانستان قابلاً للتحقق في المدى المنظور. لا بل كانت الأمور تسير في الاتجاه الخاطىء. وهذا ما يثير انزعاج ترامب. كان يعتقد أنه كان على حق سنة ٢٠١٦، وأنه كان أيضاً على حق بعد وقوع الخسائر العسكريّة في العامين ٢٠١٧ و ٢٠١٨. لذلك، كان يريد القيام بما يراه مناسباً. كانت ساعة الحساب آتية.

لقد عارض ترامب استمرار الوجود العسكري الأميركي في أفغانستان لسببين مترابطين: الأول أنه رفع في حملاته شعار «إنهاء الحروب التي لا تنتهي» في البلاد البعيدة، والثاني: إساءة الاستخدام المستمرة للمساعدات الاقتصاديّة والأمنيّة الأمر، الذي ألهب غضبه جراء الانفاق غير المجدي في البرامج الفدرالية. إضافة إلى ذلك، كان ترامب مقتنعاً بأنه محقٌّ في العراق وأن الجميع بات يوافقه على ذلك. في الواقع، ليس الجميع.

لقد حاولتُ مراراً الضغط في النقاش المتعلق بـ «الحروب التي لا تنتهي» مبرراً ذلك بأننا لم نكن من بدأ تلك الحروب وأننا لا نستطيع إنهاءها بمجرّد إعلان ذلك. على مساحة العالم الإسلامي، كانت الفلسفة الراديكاليّة التي أدّت إلى وقوع أعداد كبيرة من القتلى والتدمير فلسفة إيديولوجيّة وسياسيّة ودينيّة. ومثلما قادت الحماسة الدينيّة الصراعات البشريّة في الألفيّة الماضية، فإنّها تقودها هذه المرّة أيضاً ضد أميركا والغرب عموماً، ولن تتلاشى لمجرّد أننا تعبنا منها أو لأنها غير ملائمة لتحقيق التوازن في ميزانيتنا. الأهم من كل ذلك أن هدف هذه الحرب لم يكن جعل أفغانستان أو العراق أو سوريا بلاداً أفضل وأكثر أماناً. لستُ بنّاء أوطان. ولا أؤمن بما هو في نهاية

(١) See Zachary Cohen, "Inside the dramatic US military raid that killed ISIS leader Baghdadi," https://www.cnn.com/2019/10/27/politics/bagdhadi-inside-the-raid-timeline/index.html

المطاف تحليلاً ماركسيّاً بأن الحياة الاقتصاديّة الأفضل ستحوّل الناس عن الإرهاب. الأمر يتعلق بحماية أميركا من ١١ أيلول/سبتمبر جديد أسوأ من الأول مع امتلاك الإرهابيين أسلحة نوويّة وكيميائيّة وبيولوجيّة. وطالما استمر هذا التهديد، ما من مكان بعيد كفاية حتى لا يثير قلقنا، لن يأتوا إلى أميركا على متن مراكب شراعيّة خشبيّة.

عندما وصلت إلى البيت الأبيض كان هذا النقاش قد تكرر مراراً فلم يكن أمامي لوح نظيف. كان انخراطي الأول في ١٠ أيار/مايو ٢٠١٨ (في وقت لاحق من ذلك اليوم، بعد عودة الرهائن الأميركيين من كوريا بعد منتصف الليل)، عندما زارني زلماي خليل زاد الذي كنتُ أعرفه من أيّام إدارة الرئيس جورج بوش الأب وقد خلفني كسفير لدى الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٧. قال «زال» كما كان الجميع يناديه، وهو أفغاني- أميركي خدم أيضاً كسفير لأميركا في أفغانستان سابقاً، إنه تمّت مفاتحته من قبل مجموعة تزعم أنّها تمثّل فصائل مختلفة من طالبان تريد التفاوض من أجل السلام. كان قد تحدّث إلى مسؤولين آخرين في الحكومة يستطيعون تقييم مدى صدق نوايا تلك الفصائل في ما تطرحه، لكنه أراد أن يضعني في أجواء الأمر في وقت مبكر، وقد أبلغني لاحقاً في تموز/يوليو أنّهم صادقون بالفعل. لم أرَ سبباً لعدم مواصلة المحادثات ولو أنني لم أكن أتوّقع منها الكثير. وبذلك، أصبح هو المفاوض في القناة الخلفيّة مع طالبان. وخلال شهر واحد، تطوّر دور خليل زاد ليصبح مبعوثاً خاصاً لوزارة الخارجيّة، فانضم بذلك إلى العدد المتزايد من المبعوثين الذين يُمنحون أدواراً خارج إطار الدوائر التقليديّة في الوزارة.

بسبب فورات ترامب الموسميّة حيال حضورنا العسكري في أفغانستان، تنامى شعور لدينا بضرورة عقد اجتماع موّسع لمجلس الأمن القومي أو أقله جلسة إحاطة عسكرية قبل نهاية العام. كنتُ أرغب في أن يحصل هذا الاجتماع بعد الانتخابات، إلا أن ماتيس أصّر على أن يُعقد في وقت مبكر لأسبابٍ لم أفهمها. ثم عُيّن الموعد في السابع من تشرين الثاني/نوفمبر، أي في اليوم التالي لانتخابات الكونغرس النصفيّة. كنتُ واثقاً من أن ترامب لن يكون سعيداً لخسارة الجمهوريين السيطرة على مجلس النواب بمعزل عمّا حصل في مجلس الشيوخ. هل كان ماتيس يريد قراراً حاسماً من ترامب بالانسحاب يدفعه عندئذ للاستقالة لأسبابٍ مبدئيّة؟ أم أنه كان هناك جهد مؤسساتي من البنتاغون لتحميل ترامب المسؤوليّة الكاملة، بدلاً اعتبار أن الولايات المتحدة فشلت خلال مسار الحرب أو أن استراتيجيّة مكافحة التمرّد، التي تحظى بالتأييد، والتي سقطت في أففانستان والعراق قد انهارت تماماً؟ لقد وافقني بومبيو على أنه كان يجب عقد الاجتماع في وقت لاحق من تشرين الثاني/نوفمبر إلا أننا لم نستطع الحؤول دون انعقاده في ذلك اليوم.

عند الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الانتخاب، التقيتُ خليل زاد الذي كان يعتبر أن ثمّة متسعاً من الوقت لمفاوضة طالبان وهو ما لم أعتبره صحيحاً، إذ كنتُ أتوقع أن يسحب ترامب

البساط من تحت أقدامه في اليوم التالي. أبلغني بنس أن ماتيس كان لايزال يجادل بأننا نحقق تقدّماً عسكريّاً في أفغانستان رافضاً تغيير المسار. كان بنس يدرك، مثلي تماماً، أن ترامب لم يصدّق ذلك، وأن ثمّة براهين حسيّة عديدة تثبت أن ماتيس كان مخطئاً. وهنا مجدداً، تأكدت من أنني أختلفُ مع ماتيس في العمق لأن إصراره على الاصطدام بالجدار في ملف أفغانستان (كما حصل في سوريا) كان محبطاً، فضلاً عن عدم امتلاكه لأي حجة بديلة لتلافي حصوله على الجواب «الخاطىء». لقد حضر كيلوغ اجتماع بنس- ماتيس وقال لي إن الأخير كان يكرّر ببساطة ما دأب على قوله منذ عامين. لم يكن مستغرباً أن يُحبط ترامب ممّن أسماهم «جنرالاته». كانت هذه طريقة مؤكدة للخسارة وفق غريزتي كمحام. في الحقيقة، لم يكن لديّ جواب أفضل. لذلك، كنتُ أريد مرور مسافة زمنيّة أطول بعد انتهاء الانتخابات قبل عقد هذا الاجتماع.

انعقد الاجتماع عند الساعة الثانية من بعد ظهر الثامن من تشرين الثاني/نوفمبر في المكتب البيضاوي بحضور: بنس، ماتيس، دانفورد، كيلي، بومبيو، كوتس، هاسبل وأنا إضافة إلى آخرين. افتتح بومبيو الكلام بسرعة، لكن ترامب تدخّل فوراً قائلاً: «نحن نتعرّض للخسارة وهم يعلمون ذلك». وواصل حديثه مهاجماً المفتش العام المعيّن قانونياً لأفغانستان الذي أظهرت تقاريره هدراً لأموال الضرائب، وتضمنّت أيضاً معلومات دقيقة جداً عن الحرب، كانت أي دولة أخرى حافظت على سريتها. وقال ترامب: «أظن أنه على حق، ولكن من العار أن يكشف هذه المعطيات للعموم». أما في ما يخص خليل زاد، فقال: «أسمعُ أنه مخادع. ولكنك بحاجة إلى مخادع في ملف كهذا». حاول بومبيو التحدّث مجدداً، لكن ترامب واصل حديثه: «استراتيجيتي (أي تلك التي زوّده بها جنرالاته سنة ٢٠١٧) كانت خاطئة ولم توصلني أبداً إلى حيث كنت أريد أن أصل. لقد خسرنا كل شيء. فشلنا فشلا ذريعاً إنها مضيعة للوقت. يا للعار، كل تلك الخسائر. أكره التحدّث عن ذلك» ثم أثار ترامب الاستخدام الأول لأم كل القنابل (قنبلة جي بي يو-٤٣/بي) متوّجهاً لماتيس: «تم ذلك دون علمك»[١]، متذمّراً للمرة الأخيرة (بعد عدد لا يُحصى من المرّات) من أنّها لم تحقق النتيجة المرجوّة منها. وكالعادة خلط ترامب الحقيقة بسوء الفهم والخبث. لقد سبق لماتيس أن فوّض القائد العسكري الأميركي في أفغانستان صلاحيّة استخدام قنبلة (جي بي يو-٤٣/بي)، لذلك لم يكن ثمّة حاجة لتفويض جديد. أما في ما يتعلق بنتائجها، فالمسألة لاتزال موضع خلاف داخل البنتاغون. الأمر المؤكد الوحيد هو أن ماتيس ما كان لينجح في هذا الحوار مع ترامب الذي كان يعرف ما يريد أن يعرفه ونقطة على السطر. وأنا أعرف أنني لم أكن أريد انعقاد هذا الاجتماع.

(١) See Eliza Relman, "Defense Secretary Mattis reportedly wasn't consulted before the military dropped the 'mother of all bombs,' " https://www.busi nessinsider.com/mattis-mother-of-all-bombs-2017-5

وكما كان متوقعاً، اصطدم ماتيس بجداره المفضّل حيث كال المديح لجهود أعضاء الناتو الآخرين.

«نحن ندفع للناتو» أجاب ترامب.

«لاتزال داعش في أفغانستان» قال ماتيس.

ثم قال ترامب ساخراً: «فلتهتم بهم روسيا. نحن على بعد سبعة آلاف ميل ولكننا لانزال الهدف. سيأتون إلى شواطئنا. هذا ما يقوله الجميع. إنه فيلم مرعب، وفي وقت ما علينا المغادرة». اعتبر كوتس أن قضيّة أفغانستان هي مسألة أمن حدودي بالنسبة لأميركا ولكن ترامب لم يكن يستمع إليه. وقال لي: «لن نخرج من هناك أبداً. هذا ما قام به رجل غبي يُدعى جورج بوش. قُتل الملايين من الناس وأنفقت تريليونات الدولارات ولم ننجح بعد بتحقيق أهدافنا. قالوا سابقاً ستة أشهر إضافيّة، ولانزال نتعرّض للخسارة هناك». ثم روى قصته المفضّلة عن اضطرارنا لنقل المدرسين يومياً بواسطة المروحيات إلى مدارسهم لعدم تمكنهم من الذهاب بمفردهم بسبب الخطر. وقال: «لقد كلّف ذلك ثروة. المفتّش العام كان محقاً». ثم تحوّل نحو تقرير يتحدّث عن إنشاء «فندق هوليداي إن بكلفة مليار دولار». مضيفاً: «هذا انعدام كفاءة من جهتنا. إنهم يكرهوننا ويطلقون النار علينا من الخلف، وقطعوا رأس الرجل ويديه ورجليه وأشياء أخرى (مشيراً إلى حادثة هجوم لقوات أفغانية على قوات التحالف قتل خلاله أحد أفراد الحرس الوطني من ولاية يوتاه)[1]. الهند تبني مكتبة وتعلن عن ذلك في كل مكان».

واستمرّ النقاش على هذا المنوال. قال ترامب: «علينا الخروج من هناك. لقد ذكرتُ ذلك في حملاتي الانتخابيّة. الناس غاضبون. القاعدة تريد منا الخروج. الناس المؤيدة لي ذكيّة جداً. لذلك خسر [دين] هيلر (ترشحه الجديد على مقعد الكونغرس في نيفادا). كان يدعم هيلاري». حاول ماتيس التحدّث مجدداً ولكن ترامب انتقل للحديث عن سوريا: «لا أفهم لماذا نقاتل داعش في سوريا. لماذا لا تقوم روسيا وإيران بذلك. لماذا نقاتلهم نيابة عن روسيا وإيران والعراق الخاضع لسيطرة إيران؟»

استسلم بومبيو قائلاً: «إذا كانت هذه توّجهاتك سننفذها لكن المسألة هي أننا لن نحقق الانتصار».

أجاب ترامب: «هذه فيتنام. لماذا نحمي كوريا الجنوبيّة من كوريا الشماليّة؟» قال بومبيو: «امنحنا ٩٠ يوماً فقط»، فردّ ترامب: «كلما تأخرنا هناك، كلما اعتُبرت هذه الحرب حربي. لا أحب خسارة الحروب. لا نريد أن تكون هذه حربنا. حتى لو ربحنا، لن نحصل على شيئ».

(١) See Julie Turkewitz, "Brent Taylor, Utah Major Killed in Afghanistan, Was on 4th Deployment," November 4, 2018, https://www.nytimes.com/2018/11/04/us/utah-mayor-killed-afghanistan-brent-taylor.html

حدث ما كنت أتوقعه؛ قال ماتيس بثقة: «أصبحت حربك منذ اليوم الأول لتوليك الرئاسة».

كان ترامب جاهزاً للرد: «منذ اليوم الأول لتولي الرئاسة كان عليّ أن أنهيها». واستمر النقاش على هذا المنوال إلى ما لا نهاية...

ثم قال ترامب أخيراً: «كم نحتاج من الوقت؟» فرد بومبيو: «لغاية شباط/فبراير أو آذار/مارس. سنجهّز خيارات الخروج». استشاط ترامب غضباً لأنه سمع ما كان قد سمعه مراراً. ثم عاد لانتقاد خليل زاد متسائلاً ما إذا كان توقيع طالبان على أي أمر يستحق شيئاً: «كيف سنخرج دون أن يُقتل شبابنا. كم من الآليات والمعدات علينا أن نتركها هناك؟»

تحدّث دانفورد للمرّة الأولى قائلا: «ليس كثيراً».

سأل ترامب: «كيف نخرج؟»

رد دانفورد: «سنعّد خطة».

كنتُ صامتاً طوال الوقت لأن الاجتماع برمته كان خاطئاً. إلا أنه لم يكن من مفر، فسألني ترامب: «جون، ما رأيك؟»، أجبته: «يبدو لي أن خياري يقع في المرآة الخلفيّة». وشرحتُ مجدداً لماذا علينا مواجهة الإرهابيين في ديارهم وقواعدهم، ولماذا يجعل برنامج باكستان النووي من الضروري منع إقامة الملاذ الآمن لطالبان في أفغانستان الأمر الذي قد يسرّع وقوع باكستان بين أيدي الإرهابيين. وقال دانفورد أنه يخشى اعتداء إرهابيّاً على الولايات المتحدة في المدى القريب في حال انسحبنا. انطلق ترامب مجدداً قائلاً: «خمسون مليار دولار سنوياً»، ثم قال دون التوجه إلى أحد بالذات: «لديكم مهلة حتى يوم عيد العشاق».

غادر معظم المشاركين المكتب البيضاوي وقد تغلّب عليهم اليأس، وبقيت أنا وبومبيو عندما رأينا ساندرز وبيل شاين يدخلان بسرعة ليعلنا أن جيف سيشنز قد استقال من منصبه كمدعٍ عام. كانت تلك أول استقالة من سلسلة استقالات حصلت في أواخر العام. بعد شهر واحد، سمّى ترامب بيل بار للحلول محل سيشنز. وبعد شهر أيضاً، وعلى ضوء تقرير جديد يفيد بخسارتنا أمام طالبان، انفجر ترامب غاضباً مجدداً: «كان عليّ أن أتبع غريزتي وليس جنرالاتي»، مشيراً مجدداً إلى عدم تحقيق استخدام أم القنابل الأهداف المتوخاة منه. لم يعد يرغب الآن بانتظار خليل زاد بل كان يريد إعلان سحب القوّات الأميركيّة قبل نهاية العام الثاني من ولايته الرئاسيّة أو حتى قبل ذلك. إذا انتظر حلول العام الثالث، سترتبط الحرب باسمه، بينما إذا انسحب في السنة الثانية، يستطيع القاء اللوم على أسلافه. قلتُ ببساطة إن عليه أن يحدّد كيفيّة تفادي وقوع اعتداءات إرهابيّة على أميركا بعد الانسحاب. أجاب: «سنقول إننا سنسوّي أفغانستان بالأرض إذا قاموا بالاعتداء علينا». أشرتُ إلى أننا سبق وقمنا بذلك وأننا بحاجة لجوابٍ أفضل. وقلتُ إنني قد أكون الوحيد الذي ينتابه

القلق على باكستان إذا سيطرت طالبان على الدولة المجاورة لها. لكن ترامب قاطعني وقال إنه قلق من هذا الأمر أيضاً؛ كان من المفترض أن يتطرّق الخطاب لهذه المسألة. عمليّاً، برزت النقاط الأساسيّة للخطاب فيما كنا نتحدّث: «لقد قمنا بعمل ممتاز وقضينا على الكثير من الأشرار. والآن، نحن بصدد المغادرة وسنترك خلفنا منصة مضادة للارهاب». من حسن الحظ أن مفهوم المنصة المضادة للإرهاب كان قد تم تطويره في البنتاغون، لكنّه لم يكن الخيار الأول[1].

أثناء فطوري الاعتيادي مع ماتيس وبومبيو، وقد صادف يوم ذكرى بيرل هاربور، اقترحتُ أن نسعى للإجابة على ثلاثة أسئلة: هل ستنهار الحكومة الأفغانيّة بعد مغادرتنا، وإذا كان الوضع كذلك، فبأي سرعة؟ كيف ستكون ردة فعل داعش والقاعدة والمجموعات الارهابيّة الأخرى على انسحابنا وبأي سرعة؟ وأخيراً، بأي سرعة ستتمكن المجموعات الإرهابيّة المختلفة من التحضير لتنفيذ اعتداءات على الولايات المتحدة؟

قمنا بجدولة اجتماع جديد في المكتب البيضاوي يوم الإثنين، وبالكاد كان ماتيس قد بدأ الكلام حتى بدأ ترامب بالتهجم عليه. لقد أشفقت على ماتيس، وعلى البلاد برمتها. بعد مداخلة مختصرة إنما مماثلة لما قاله في الاجتماع السابق، ختم ترامب قائلاً: «أريد الخروج قبل ٢٠ كانون الثاني/يناير. نفذّوا ذلك سريعاً». ثم انتقل للحديث عن زياراته لوالتر ريد حيث لم يتأثر ترامب بالجنود الجرحى كما يحصل مع معظم الناس الذين يقومون بزيارتهم ويتحدثون عن شجاعتهم والتزامهم بمهمتهم. إلا أن ترامب استفظع جراحهم البليغة (وغفل تماماً عن التقدّم الكبير الذي تحقق في الطبابة العسكريّة التي أنقذت العديد من الرجال الذين كان من الممكن أن يموتوا في الحروب السابقة). ثم عدنا إلى مسألة عدم تحقيق أم القنابل النتائج المتوخاة منها والعبارات المكررة سابقاً، منها «ذاك الخطاب الغبي» سنة ٢٠١٧ الذي أعلن فيه ترامب استراتيجيّة أفغانستان وتضمّن سياسة الانتقال إلى الهجوم. لمعت عينا ترامب وحدّق بماتيس قائلاً: «لقد قلتُ لك أن باستطاعتك القيام بما تريد. منحتك حريّة التصرّف الكاملة باستثناء الأسلحة النوويّة، وأنظر ما حدث». كان ترامب يشعر بالمرارة في كل مرة يُثار فيها موضوع خطابه سنة ٢٠١٧، ويتساءل المرء ماذا كان ليحدث لو أن تلك الاستراتيجيّة نجحت. أبلغني بومبيو لاحقاً، بناءً على معطياته الخاصة من وكالة الاستخبارات المركزيّة أن ماتيس، للأسف، لم يقم بشيء خلال أشهر عديدة سنة ٢٠١٧ خوفاً من أن يغيّر ترامب رأيه ويستأنف الحديث عن الانسحاب مجدداً. لقد كان بإمكاننا الاستفادة من تلك الشهور الآن.

(١) إن مفهوم «منصة مضادة للإرهاب» في أفغانستان كان محط نقاش لوقت طويل وذلك لخضوعه لتغيرات كثيرة، أنظر:
Andrew deGrandpre, "Before there's another surge in Afghanistan, Mattis and his general need to meet," https://www.militarytimes.com/news/your-military/2017/02/11/before-there-s-another-surge-in-afghanistan-mattis-and-his-general-need-to-meet/

سأل ترامب: «ما هو النصر الذي يمكن أن يتحقّق في أفغانستان؟».

أجاب ماتيس بشكلٍ صحيح: «ألا تتعرّض الولايات المتحدة للهجوم». وأخيراً، حوّل ماتيس مساره وقال: «فلنقل أننا ننهي الحرب، لا أننا ننسحب».

من دون التوجّه إلى أحد معيّن، قال ترامب مستعملاً كعادته العبارة التي توحي وكأن أمراً كبيراً على وشك الحصول: «هل أنتم جاهزون؟» وتابع: «فلنقل أننا أمضينا هناك ١٨ سنة. لقد قمنا بعملٍ رائع. إذا أتى أحدهم إلى هنا، سنواجهه كما لم يحصل أبداً من قبل. هذا ما يجب قوله». لكن ترامب عاد ووسّع الانسحاب ليشمل العراق وسوريا واليمن. ثم عاد ترامب مجدداً إلى ماتيس وقال له: «لقد أعطيتك ما طلبت. سلطة لامحدودة دون أي قيود. أنت تخسر. أنت تتعرّض للخسارة. لقد فشلت». هذا التكرار المؤلم يُظهر أن ترامب الذي يؤكد بشكل مستمر أنه الوحيد الذي يتخّذ القرارات، ليس مستعداً لتحمّل مسؤوليتها.

سأل ماتيس: «هل نستطيع تأخير الانسحاب كي لا نخسر المزيد من الرجال والديبلوماسيين؟»

فزجره ترامب قائلاً: «لا نستطيع تحمّل ذلك. لقد فشلنا. لو كانت النتائج مختلفة لما كنتُ قمتُ بذلك».

انتقلنا محبطين إلى مكتب كيلي، وتناقشنا بالخطوات التالية. قال دانفورد، الذي كان صامتاً تماماً، إنه ليس هناك من مجال لسحب الجميع بأمان ضمن المهلة الزمنية التي حدّدها ترامب، وقال أنه سيصّر على عقد اجتماع آخر لشرح أسباب ذلك. أما كيلي الذي انفجر في تلك اللحظة، فقال إن ترامب لا يكترث إلا لنفسه (وكان يفكر بعدم رغبة ترامب، أقله حتى تلك اللحظة بزيارة العراق أو أفغانستان). ثم طلب ماتيس من دانفورد سحب جميع القوات من المواقع الأفغانيّة المختلفة إلى أربع أو خمس قواعد أساسيّة على أن يغادروا منها إلى خارج البلاد، وأن يتأكد من تأمين مدارج الهبوط والإقلاع للطائرات التي ستنقل الرجال والمعدّات، وكأن جنرالاً بأربع نجوم لا يستطيع وضع هذه الخطة بنفسه. في الحقيقة، لم أكن أعلم كيف تمالك كيلي ودانفورد نفسيهما حتى لا يقولا لماتيس ما يمكنه أن يفعله بخطة الانسحاب هذه، إلا أن قاعدة «الجنرال ذي خمس نجوم» كانت قيد التطبيق. كان على ماتيس أن يهتمّ بإقناع ترامب بدل الاهتمام بالخطط التفصيليّة على الأرض في أفغانستان.

رافقت لاحقاً بومبيو إلى سيارته المركونة خارج الجناح الغربي، وقد وافقته الرأي بأن تقييم ترامب في ما يخص نظرة الجمهوريين حيال أفغانستان كانت خاطئة تماماً. وقال بومبيو: «سوف يُسحق سياسيّاً، ويستحق ذلك». لقد استنتجتُ أن الجنرالات كانوا أسرى «الكليشيهات» ويخوضون حربهم الأخيرة، ولا يتعاملون بشكل جيّد مع أداء ترامب الذي كانوا يتحمّلون مسؤوليّة جزئيّة عنه.

كشخص وصل مؤخراً، لاحظتُ أن ما اعتبره ماتيس وزملاؤه نجاحاً مثل خطاب آب/أغسطس ٢٠١٧ حول أفغانستان كان في الواقع، بالنظر إلى الماضي، مجرد أخطاء. لقد دُفع ترامب إلى موقع أبعد بكثير مما كان يرغب فيه، وما يقوم به الآن هو ردّة فعل مبالغ فيها بالاتجاه المعاكس. لم يكن «محور البالغين» الذي منحه الإعلام هيبته وحده المتورّط في هذا الخطأ، ولكن قبل أن نتعافى من هذا الخطأ، كان علينا الاعتراف بارتكازه على سوء تقدير ترامب. كان باستطاعة خليل زاد استئناف مفاوضاته، إلا أن جهوده كانت منفصلة عمّا يحدث على الأرض في بلاده. كان يبدو أن ثمّة شهرين صعبين قادمين.

لقد أبلغني بومبيو لاحقاً أنه في العشرين من كانون الأول/ديسمبر، قبل ساعات من استقالة ماتيس، تسلّم منه وثائق عديدة مع كتاب استقالته، إحداها وثيقة مهمة. كانت مسوّدة تصريح حول الخطط العمليّة للانسحاب من أفغانستان وتضمنّت توقعاً مسبقاً لما قد يقوله ترامب في خطاب حال الاتحاد المرتقب في كانون الثاني/يناير. لقد أصيب بومبيو بالذهول وأبلغ ماتيس أن ثمّة استحالة لنشر وثيقة كهذه وأنه ليس من مجال لتعديلها لتصبح مقبولة. فسأل ماتيس ما إذا كان بالإمكان إرسالها لي، فجاء ردّ بومبيو أنه يعلم أنني سأوافقه الرأي. لم يعلم بومبيو، ولا أنا، أن وزارة الدفاع قد أعّدت مسودة «أمر تنفيذي» يشرح ما ورد في مسودة البيان، وقد وُزّع على القادة العسكريين الأميركيين والسفارات حول العالم، وذلك كجزء من سيناريو استقالة ماتيس. من الواضح أننا فهمنا الأمر بشكل مبهم وملتبس في ظلّ التشوّش السائد، إلا أن ذلك أطلق العنان للروايات الصحافيّة. لقد عكس ذلك تكتيكاً قائماً على الضغينة لدى ماتيس وكأنه يقول عمليّاً: «تريد الانسحاب؟ إليك الانسحاب». لم يطلقوا عليه تسمية «فوضى» من لا شيء.

حتى بعد مغادرة ماتيس، واظبنا أنا وشاناهان وبومبيو على الفطور الأسبوعي. في ٢٤ كانون الثاني/يناير، فيما كنا نناقش وجهات نظرنا المتباينة حول بعض الملفات، أعربنا أنا وشاناهان عن قلقنا من أن خليل زاد كان يقدّم الكثير، ليس لأنه مفاوض سيء، بل لأنه كان يُطبّق تعليمات بومبيو. كانت طالبان تصّر على أن تتضمّن مسوّدة الاتفاقيّة الأميركيّة مع طالبان (والتسمية بحد ذاتها مفهوم ملتبس) نصّاً يدعو جميع القوّات الاجنبيّة (يعني نحن) للانسحاب من أفغانستان[1]. بطبيعة الحال، هذا الأمر لا يترك مجالاً للحفاظ على المنصة المضادة للارهاب التي طلب ترامب الابقاء عليها. كنتُ قلقاً من أن تكون وزارة الخارجيّة مهتمة للغاية بانجاز الاتفاق فتفقد القدرة على رؤية الصورة الأوسع، وهي مشكلة فطريّة متجذرة في الوزارة. رفض بومبيو الامر بشدة، رغم أنه سبق واعترف أن المفاوضات قد تنتهي إلى أفق مقفل في أي وقت، وهو يعكس قلة الثقة

(١) See Mujib Mashal, "U.S. and Taliban Agree in Principle to Peace Framework, Envoy Says," January 28, 2019, https://www.nytimes.com/2019/01/28 /world/asia/taliban-peace-deal-afghanistan.html

بطالبان «كشريك مفاوض»، وهو تعبير تحب وزارة الخارجيّة أن تستخدمه. كانت المشكلة الرئيسيّة في الاستراتيجيّة الدبلوماسيّة هي أن معرفة طالبان بمغادرتنا سوف تجعلها تفقد حافز التفاوض بجديّة، إذ كان بإمكانهم ببساطة الانتظار كما فعلوا سابقاً، وكما كان يفعل الأفغان عموماً طوال الألفيّة. وكما جاء في قول طالبان الشهير: «تملكون الساعات ونحن نملك الوقت». انتهى الفطور دون نتائج، لكن شاناهان اتصل بي لاحقاً ليبلغني أنه كان قلقاً من سرعة المفاوضات، التي يبدو أنها تقدّمت بشكل ملحوظ، ومن فحواها. كان بومبيو يريد التفاوض على الصفقة وإعلان النجاح. هذا كل ما في الأمر. ولقد تواصل الحوار الداخلي حول هذا الثنائيّة على مدى الأشهر اللاحقة.

تأخر موعد إلقاء خطاب حال الاتحاد لأسابيع بسبب النزاع القاسي حول الموازنة والإقفال الجزئي للحكومة ودوائرها. عُيّن الموعد أخيراً في الخامس من شباط/فبراير، والفقرة الرئيسيّة حول أفغانستان جاءت مختصرة لحسن الحظ: «في أفغانستان، تخوض إدارتي محادثات بنّاءة مع عدد من المجموعات الأفغانيّة بما فيها طالبان. ومع تقدّم هذه المحادثات سيصبح بامكاننا تقليص تواجد قواتنا والتركيز على مواجهة الارهاب»(١). لم ينل هذا التعليق اهتماماً كبيراً، إلا أنه جسّد الصراعات التي تواصلت حتى أيامي الأخيرة في البيت الأبيض. أقله كان ثمّة أمل في ذلك الوقت.

(١) See "President Donald J. Trump's State of the Union Address," February 5, 2019, https://www.white-house.gov/briefings-statements/president-donald -j-trumps-state-union-address-2/

الفصل الثامن

الفوضى كطريقةُ حياة

إذا استطعت أن تحافظ على رباطة جأشك بينما يفقد جميع من حولك
صوابهم وينحون عليك باللائمة...
روديارد كِبلينغ، (قصيدة) «إذا...»

مرّ شهر على وصولي إلى البيت الأبيض في عهد ترامب، قبل أن يتسنّى لي تقويم طرق العمل في البيت الأبيض بشكلٍ منهجيّ. ظهر القصور الوظيفي في نواحٍ كثيرة، وتكشَّف غالبًا من خلال قضايا سياسية محددة، وَصَفْتُ بعضها في هذا الكتاب.

لا بل أكثر من ذلك، فخلال الأشهر الأخيرة من عام ٢٠١٨ وأوائل العام ٢٠١٩، وفيما انتهى العام الثاني من ولاية ترامب بعد ما يقرب من ثمانية إلى تسعة أشهر على وصولي إلى البيت الأبيض- تلاقى على ما يبدو العديد من القضايا والأفراد المتباينين لدفع الإدراة بشكلٍ أعمق إلى منطقة مجهولة.

في أوائل حزيران/يونيو ٢٠١٨، على سبيل المثال، حاول كيلي اعتماد تكتيك جديد في جدول أعمال ترامب، يبدأ كل يوم في المكتب البيضاوي، عند الساعة الحادية عشرة، مع تخصيص وقت محدد «لرئيس الموظفين»، آملاً في التقليل من استرساله في الكلام خلال إحاطاته الاستخباراتية مرتين أسبوعيًّا. وطبعًا، ما وجده معظم الناس لافتًا هو أنَّ يوم ترامب «الرسمي» لم يبدأ قبل موعد الغداء تقريبًا. ولم يكن ترامب يتسكع صباحًا. بدلًا من ذلك، كان يمضي وقتًا طويلاً يعمل عبر الهواتف في مقر إقامته. يتحدثَّ إلى كلِّ أنواع الناس، أحيانًا مسؤولين حكوميين أميركيين (كنتُ أتحدثُ معه عبر الهاتف قبل وصوله إلى المكتب البيضاوي كل يوم تقريبًا بسبب ضغط الأحداث التي كان بحاجة إلى الاطلاع عليها أو كنتُ بحاجة إلى توجيهه بشأنها)، لكنَّه كان يتحدث أيضًا مطولاً إلى أشخاصٍ من خارج الحكومة. كان حالةً غير معتادة بين الرؤساء المعاصرين وفق أيٍّ تعريف.

على نقيض ذلك، كان اليوم العادي للرئيس جورج بوش الأب، على ما وصفه رئيس موظفيه الأول، الحاكم السابق جون سنونو، يبدأ على النحو التالي:

«استهل الرئيس يومه الرسمي في المكتب البيضاوي بإحاطة إعلامية استخبارية عند الساعة الثامنة صباحًا، تشمل الرئيس ونائب الرئيس ومستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت وأنا. يُستهلّ هذا الاجتماع، أي الإحاطة اليومية للرئيس، بمداخلة من قِبَل وكالة الاستخبارات المركزي، تستغرق ما بين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة. بعد ذلك، وبشكل ثابت على المفكّرة، تُخصص نصف ساعة لسكوكروفت عند الساعة الثامنة والربع، ليُطلعنا والرئيس على آخر المستجدات المتعلقة بقضايا السياسة الخارجية الناشئة عن الأحداث التي وقعت الليلة الفائتة أو المتوقعة في اليوم التالي. ننتقل من تلك الإحاطة إلى أخرى مماثلة عند الساعة ٨:٤٥ كنتُ أرأسها، وتتناول كل القضايا الأخرى البعيدة عن السياسة الخارجية. كان اجتماعي ينتهي عادةً عند الساعة التاسعة والربع[1].

لم يكن في وسعي حتى تخيّل أن أتمكن الآن من اتباع نهج منظم كهذا للتحضير ليوم آت. كان لترامب عمومًا إحاطتان استخباريتان فقط كل أسبوع، وكان في معظمها يتحدث لوقت أطول بكثير من مقدمي المعلومات، وغالبًا في مسائل لا علاقة لها بالمواضيع قيد البحث.

كان جدول ترامب أسهل حالة شاذة يمكن التعامل معها. كانت نزعته للانتقام من أصعب الأمور، كما يتضح من استهدافاته المستمرة لجون ماكين، حتى بعدما توفي ماكين ولم يعد بوسعه إلحاق الأذى بترامب. مثال آخر على حب ترامب للانتقام، كان قراره في ١٥ آب/أغسطس إلغاء التصريح الأمني لمدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق جون برينان. في الحقيقة، لم يكن برينان مكسبًا، وخلال فترة ولايته أصبحت وكالة الاستخبارات المركزية مسيَّسة أكثر من أي وقت آخر في تاريخها. نفى بريتان أي سلوك غير لائق، لكن ترامب كان مقتنعًا بأنَّ برينان متورط بشدة في استغلال استخدام قانون مراقبة الاستخبارات الأجنبية (FIS) للتجسس على حملته للعام ٢٠١٦، وقد تفاقم كل ذلك بسبب حضوره المستمر في وسائل الإعلام التي تنتقد ترامب بعد توليه منصبه.

ركزت وسائل الإعلام على مسألة إلغاء التصريح فور إعلان ساندرز ذلك خلال مؤتمرها الصحافي اليومي ظهرًا. قال لي كيلي: «إنَّ قضية برينان تلك تنفجر»، بعد أن قضى معظم وقت الظهيرة محاولاً معالجتها. «الأمر هام». في محادثة استمرت ساعة بيننا، استعرضنا ما حدث. قال كيلي إنه اعتقد أنه توصَّل بين منتصف تموز/يوليو وأواخره إلى إقناع ترامب بالعدول عن فكرة إلغاء التصاريح، لكنَّ ترامب عاد إليها لأنَّ مصادره الإعلامية المفضلة استمرت في البحث عنها. في وقت سابق من ذلك اليوم، كان ترامب يريد إلغاء التصاريح للائحة أطول من الأسماء، لكنَّه

(١) John H. Sununu, The Quiet Man: The Indispensable Presidency of George H.W. Bush (New York: Broadside Books, 2015).

استقر على الأسماء التي قرأتها ساندرز في المؤتمر، مهددًا ضمنيًا بإلغاء التصاريح في وقت ما في المستقبل. أشرتُ إلى أنَّ الفكرة كاملةً بدأت مع راند بول. كان التصريح الأمني رمزيًا إلى حدٍّ كبير، لأنَّ الحصول عليه لا يعني أنَّ برينان أو أي شخص آخر يمكن أن يدخل إلى وكالة الاستخبارات المركزية ويقرأ ما يهمه. لن يُمنح المرء حق الوصول إلى معلومات ما ما لم يكن لديه «حاجة إلى المعرفة» محددة، وأما المعلومات المهمة فعلاً، فيجب أن تُقرأ في «المقصورات» المناسبة.

قال كيلي إنَّ جدالاً دار بينه وبين ترامب في هذا الشأن، وهي ليست أول مواجهة بينهما من هذا القبيل، ولكن من الواضح أنها كانت أكثر قسوة من المواجهات السابقة. قال كيلي لترامب إنَّ تصرفه «ليس رئاسيًا»، وهو أمر صحيح، وقال لي إنَّه أسلوب «نيكسوني»، وذلك صحيح أيضًا. سألني كيلي: «هل سبق أن شهدنا على رئاسة مثل هذه؟»، فأكدت له أننا لم نفعل. اعتقدتُ أنَّ هنالك قضية ضد برينان بسبب تسييس وكالة الاستخبارات المركزية، لكنَّ ترامب حجبها بالنهج السياسي السافر الذي اتخذه. وسوف يزداد الأمر سوءًا إذا تم إلغاء المزيد من التصاريح. وافق كيلي.

عند هذه النقطة مما كان فعلاً مناقشة وجدانية مؤثرة لكلينا، أراني كيلي صورة ابنه الذي قُتل في أفغانستان في العام ٢٠١٠. وقد أشار إليه ترامب في وقت سابق من ذلك اليوم، قائلاً لكيلي: «لقد عانيت الأسوأ». ونظرًا إلى أنَّ ترامب كان يستخف بأمر الحروب في أفغانستان والعراق في ذلك الوقت، فقد ألمح على ما يبدو إلى أنَّ نجل كيلي مات من دون داع. قال كيلي: «ترامب لا يبالي بما يحدث لهؤلاء الرجال. يقول إنَّ غزو فنزويلا سيكون أمرًا رائعًا». تكلمتُ قليلاً نسبيًا خلال المحادثة، مفسحًا في المجال معظم الوقت لكيلي للتعبير عن إحباطاته التي لم اختلف معه في الرأي إلاَّ على القليل منها. لم أستطع أن أرى كيف كان ممكنًا أن يبقى بعد انتخابات العام ٢٠٢٠، وذلك رغم أن ترامب أعلن قبل أسابيع قليلة أنَّه سيفعل. عندما غادرتُ مكتب كيلي، لم أقُلْ شيئًا لأحدٍ آخر.

ومما يُعدُّ ربما أمرًا فريدًا في تاريخ الرئاسة، أنّ ترامب أثار الجدل حول حضور الجنازات، بدءًا من جنازة باربرا بوش في نيسان/أبريل ٢٠١٨، التي لم يحضرها ترامب (على الرغم من حضور أربعة رؤساء سابقين والسيدة الأولى)، ومن ثمَّ جنازة جون ماكين في أواخر آب/أغسطس. افتتح كيلي الاجتماع الأسبوعي لموظفي البيت الأبيض في ٢٧ آب/أغسطس بالقول: «أنا في وضع سيّىء اليوم»، بسبب الخلافات المستمرة مع ترامب حول ما إذا كان يجب تنكيس أعلام الحكومة الأميركية حدادًا أم لا، وفي شأن مَنْ سيحضر مختلف مراسم التشييع. لم تكن عائلة ماكين تريد ترامب في مراسم التشييع أيضًا، لذلك كان الشعور متبادلاً. اتُخذ القرار النهائي بأن يقود بنس تمثيل الإدارة في كل من احتفال القاعة المستديرة في مبنى الكابيتول، ومراسم الجنازة في كاتدرائية واشنطن الوطنية. كانت المشاركة في المراسم كبيرة، مع كل اللياقات الاجتماعية التي ترافق روتينيًا لحظات

الموت حتى. ومِنْ بين الذين ألقيت عليهم التحية جورج بوش الإبن والسيدة بوش، حيث سألني بوش بمرح: «هل ما زلت في وظيفتك بولتون؟»، أجبت: «حتى الآن»، وضحكنا جميعًا. عندما توفي جورج بوش الأب لاحقًا خلال قمة مجموعة العشرين في بوينس آيرس، أعلن ترامب يوم حداد وطني، وأصدر بيانًا رئاسيًا ملائمًا، وتحدث بحرارة مع كل من جورج بوش الابن وجيب بوش صباحًا. وشارك والسيدة الأولى في مراسم الجنازة التي جرت في الكاتدرائية الوطنية في ٥ كانون الأول/ديسمبر من دون وقوع حوادث. لم يكُن صعبًا القيام بذلك في نهاية الأمر.

خلال الجدل حول جنازة ماكين، غرد ترامب على تويتر أنَّ مستشار البيت الأبيض دون مكغان سيغادر في نهاية معركة تأكيد تعيين بريت كافانو (في المحكمة العليا الأميركية). وعلى الرغم من أنَّ مكغان كان يمازحني أحيانًا كثيرة، قائلاً: «جميعنا على بعد تغريدة واحدة فقط»، فإن ذلك كان مثالاً كلاسيكيًا عن إعلان ترامب لشيء تقرر مسبقًا، من دون إعطاء فرصة لمكغان للإعلان عنه أوَّلاً. كان يجب عليَّ أن أنتبه للأمر أكثر. وعلى ما أكد لي كيلي لاحقًا، فإنَّ التوترات بين ترامب ومكغان أصبحت لا تطاق بسبب شهادة مكغان (الصادقة) في تحقيق مولر والتعاون معه. وعلى الرغم من أنَّ محامي ترامب من خارج فريق البيت الأبيض قد وافقوا على دور مكغان، إلا أنهم فوجئوا بمدى صراحته. على أي حال، جرى البحث عن بديل على الفور.

كانت سياسة منع الهجرة غير الشرعية، وهي مبادرة رئيسة لترامب، تعتريها فوضى شديدة. فاتحني بالأمر محامي البيت الأبيض جون أيزنبرغ في منتصف أيار/مايو لمعرفة إنْ كنتُ مهتمًا بمحاولة إصلاح العملية السياسية المنهارة للبيت الأبيض بشأن الهجرة بشكل عام وعلى الحدود المكسيكية بشكل خاص. لم يكن لدي أي اهتمام بدخول تلك الحلبة من دون سندٍ كامل من مكتب المستشار في البيت الأبيض أو وزارة العدل. فدون مكغان الذي ركز في كل لحظة يقظة على التعيينات القضائية، لسبب من الأسباب، رأى «المستنقع» الذي تمثله سياسة الهجرة وقرر البقاء خارجه. كان لوزارة العدل مشاكلها الخاصة. ولكنْ، بعدَ أن تم تنبيهي، راقبت المشكلة، لكنَّني اتبعتُ مثال مكغان.

رأيتُ المشكلة في شكل مباشر في اجتماع وزاري حول الهجرة عُقِدَ في ٩ أيار/مايو، بعد يوم من انسحابنا من الاتفاق النووي الإيراني. كان على وزيرة الأمن الداخلي كريستين نيلسن وجيف سيشنز تقديم تقرير عمَّا تفعله إدارة كل منهما لإغلاق الحدود المكسيكية، يليهما أعضاء مجلس الوزراء الآخرون ليناقش كل منهم في مجاله. لكنَّ هذا الاجتماع لم يكن «إحاطة» حيث استمع ترامب بتقدير لجهود فريقه، وطرح بعض الأسئلة، ثمَّ ربت على ظهورهم. لقد تدهورت الأمور بعد انتهاء سيشنز من الكلام وتمامًا حين بدأت نيلسن بالكلام. سألها ترامب لماذا لم نتمكن

من إغلاق الحدود، فأجابت نيلسن بسرد جميع الصعوبات التي واجهتها ووزارتها. قاطعها ترامب، قائلاً أمام مجلس الوزراء كاملاً ومجموعة من المساعدين في البيت الأبيض، وصوته يعلو: «أنتِ مخطئة. لا توجد طريقة تمنعنا من إغلاق الحدود. قولي لهم إنَّ البلد مغلق. لا يتوافر لنا الأشخاص [مثل قضاة الهجرة] لمعالجة كل تلك الأمور. هذه هي الحال. يشبه الأمر دار سينما عندما تمتلئ».

كان الوضع سيئًا فعلاً، لكنَّه ازداد سوءًا. حاول كيلي دعم نيلسن، التي كانت عمليًا «ربيبته»، لكنَّ ذلك كان خطأ. عرف الجميع أنَّ نيلسن حازت وظيفة الأمن الداخلي بسبب كيلي إلى حد كبير، وجعل تدخله الأمر يبدو وكأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وهو ما سيثبت للأسف أنه صحيح أمام مجلس الوزراء في الغرفة المكتظة. حاول كيلي ونيلسن إعادة الأمور نحو سيشنز، الذي بدا أنه يقول شيئًا جديدًا ومختلفًا عن سلطة وزارة الأمن الداخلي على الحدود. كان سيشنز غير مرتاح في مناقشة القضية وعاكس نفسه على ما يبدو، قائلاً إنَّ الوزارة لم تملك السلطة التي شرح للتو أنها تملكها. ورد كيلي بصرامة: «سنفعل ما يقول المدعي العام إنه غير قانوني ونعيدهم [المهاجرين] إلى بلدانهم»، وانحرف سيشنز أكثر قليلاً. لكنَّ ترامب ظل في أثر نيلسن، التي لم تملك الفطنة لأن تظل صامتة أو تقول: «سنرد عليك في غضون أيام قليلة بإجابة أفضل». أخيرًا، وكما لو أن أحداً لم يفهم النقطة، قال ترامب: «لقد انتُخبت على أساس هذه القضية، والآن لن يُعاد انتخابي»، وهو ما قد لا يكون بعيدًا عن الحقيقة السياسية. فكَّرتُ مع اقتراب الاجتماع من نهايته أنَّ استقالة نيلسن وكيلي ليست إلاَّ مسألة وقت فحسب. ووفق تقارير صحافية كثيرة، كانت نيلسن على وشك القيام بالخطوة مباشرة بعد ذلك في مكتب كيلي. كانت هذه القضية فوضى عارمة وغير ضرورية لأنَّ هناك الكثير مما يمكن القيام به للتشدد حيال الطلبات المزورة وغير المبررة والوهمية من أجل الحصول على اللجوء في الولايات المتحدة.

وقد ساءت الأمور أكثر في ٢٠ حزيران/يونيو. في سياسة «صفر تسامح»، كان ترامب على استعداد لفصل الأطفال على الحدود عن ذويهم (أو مَنْ يدعون أنهم ذووهم، ولكنهم في الغالب متاجرين بالبشر)، مثل ما فعلت الإدارات السابقة، بما فيها إدارة أوباما. ولكن تحت الضغط السياسي، ناقض ترامب نفسه، مما أوقع نيلسن وسيشنز الوزراء في ورطة. بعد أن وُقِّع الأمر التنفيذي بإلغاء «صفر تسامح»، غادر كيلي توًا إلى منزله. أكدَّ لي في اليوم التالي رأيه بأنَّ ترامب «باع كلاً من سيشنز ونيلسن»، ولكن لم يكن لدى أحد خطة حقيقية لما يجب القيام به بعد ذلك. وقد اختلطت الهجرة أيضًا مع جهود التفاوض لتعديل اتفاقية «نافتا» (اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية) مع كندا والمكسيك والتصديق عليها؛ وبرامج المساعدة الخارجية في أميركا الوسطى؛ ومعارك ضخمة بين وزارات العدل والأمن الداخلي والصحة والخدمات الإنسانية، والخارجية،

وغيرها، حول من يتحمل مسؤولية ماذا. ترجع هذه المشاكل إلى حد كبير إلى الفوضى في صنع السياسات المحلية، وهي مشكلة لم يبدُ أنها في طريقها إلى الانحسار.

وعلى الرغم من جهودي للابتعاد عن خطر مشكلة الهجرة، فقد ظل يلاحقني. في ٤ تشرين الأول/أكتوبر، جاء لرؤيتي كوشنر الذي كان منخرطاً آنذاك بموضوع الهجرة بسبب الآثار المترتبة على جهود مراجعة «نافتا». وقال إن نيلسن كانت تتفاوض من وزارتها مع حكومة المكسيك من دون تصريح من وزارة الخارجية، وهو أمر سيّىء للعملية إذا كان صحيحاً. بعد أيام قليلة، نهار السبت، اتصل كوشنر ليقول إن ترامب اقترح عليه أن يتولى ملف الهجرة: رفض لأنه شعر أن كيلي كان يحمي نيلسن من عواقب عدم أهليتها، مما جعل المشكلة غير قابلة للحل. وسأله ترامب: «ماذا عن بولتون؟ هل يمكنه تولي الأمر؟». قال كوشنر إنه يشك في أنني سأكون مهتمًا، لكنَّ ترامب ردَّ: «جون عظيم. فهو ينجز المهمات. إنه يحضر لي كل القرارات والأمور الضرورية. إنه رائع حقًا. هل يمكنك سؤاله إنْ كان سيفعل ذلك؟». قال كوشنر إن من سيختاره ترامب، بغضّ النظر عن الاسم، سيكون في موقع قتال مع كيلي. فأجاب ترامب: «جون لا يخاف من المعارك. سيتفوق على كيلي». رائع، قلت لنفسي. يا له من سبت عظيم.

في صباح يوم الاثنين، في يوم كولومبوس، قابلتُ ستيفن ميلر، المستشار الرئيس لسياسة البيت الأبيض بشأن الهجرة. وبينما كنا نتحدث، دخل كوشنر وسأل: «هل يمكنني الانضمام إلى المؤامرة؟». كنتُ قد أرسلتُ بريدًا إلكترونيًا إلى بومبيو الذي وافق على ضرورة إدراج قضايا الهجرة المتعلقة بالمكسيك بشكل أكثر فاعلية في عملية مجلس الأمن القومي، وقد كانت معطلة منذ أشهر إن لم يكن أعوام بسبب عدم تعاون وزارة الأمن الداخلي في المقام الأول. لم ترغب الوزارة في الارتباط بالتنسيق. تمثلت وجهة نظري في أنَّ أميركا ستستفيد من هجرة أكثر شرعية وخاضعة للرقابة، في حين أن الهجرة غير الشرعية كانت تقوض مبدأ السيادة التأسيسية الذي تقرر الولايات المتحدة بموجبه مَنْ الذي يُسمح له بالدخول، وليس الراغبين في الهجرة أنفسهم. كنت واضحًا في أمر واحد: إنَّ جهد نيلسن لجلب المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لمساعدتنا في تحديد مَنْ الذي ستقرر الولايات المتحدة قبوله، كان معيبًا بشكل فاضح. لا يمكننا إلاَّ نادرًا التخلي عن مثل هذه القرارات السيادية الأساسية لهيئة دولية.

في وقت لاحق من الأسبوع، وفي اجتماع منفصل في المكتب البيضاوي حضرته نيلسن وبومبيو وآخرون، كان ترامب يستشيط غيظًا مجددًا، وقال: «نحن نقوم على الحدود بعمل أسوأ من أي إدارة سابقة. لقد ترشحت وفزت على أساس مشروعي عن الحدود. لدينا حال طوارئ وطنية»، ومن ثمَّ سعى إلى إيجاد أموال في موازنة البنتاغون لبناء الجدار الحدودي الذي وعد به منذ فترة طويلة. كان هيجان ترامب يستند جزئيًا إلى تقارير إعلامية مثيرة حول «قوافل المهاجرين غير الشرعيين» الذين

يتجهون عبر أميركا الوسطى نحو حدودنا، وهو ما اعتبره دليلاً واضحًا على عدم وفائه بما تعهد به في حملته العام ٢٠١٦. قال ترامب، مشيرًا إلى نيلسن: «أنت مسؤولة عن أمن الحدود»، ومن ثمَّ أشار إلى بومبيو وقال: «أنت لست معنيًا». كان ذلك مخالفًا تمامًا لما قاله ترامب لكوشنر يوم السبت جعلني أشعر بالسعادة لأنني لم أشارك إلاَّ بأقل قدر ممكن في هذا الموضوع. واستمرت المواجهة بين ترامب ونيلسن. وفي وقت ما، همس لي بومبيو: «لمَ ما زلنا هنا؟». سؤال جيد. كنا بحاجة إلى إيجاد مخرج من حطام القطار هذا قبل أن ينحو علينا ترامب باللائمة لانهيار سياسته المتعلقة بالحدود!

ووفق كوشنر، فإن هذا الصدام الأخير مع نيلسن أقنع ترامب بأنني يجب أن أتحكم في المشكلة. قال كوشنر: «كريستين غير قادرة عقليًا على القيام بذلك». بعد ذلك بيومين، قال لي ترامب: «تولى أنت أمر الحدود الجنوبية. هي تخسر كل قضية. إنها ضعيفة جدًا». أراد ترامب إعلان حال طوارئ وطنية وقد تحدث مع جون أيزنبرغ في هذا الشأن. «لديك تفويضي كاملاً»، قال ترامب، «فالحدود الجنوبية تأتي في المقام الأول. أنت وأنا سنتولى الأمر. أنت الرئيس اللعين». بعد ساعات قليلة، وفيما كنتُ وكيلي وحدنا في المكتب البيضاوي، قال ترامب: «طلبتُ من جون تولي مسألة الحدود والسيطرة عليها». كان الوضع يزداد خطورة. فقررت أن أطرح على ترامب العملية المطلوبة للسيطرة على قضايا الهجرة غير الشرعية. في حال وافق عليها، سأتولى المسألة، ولكنْ إذا رفضها، فلدي أعمال كثيرة أخرى عليَّ القيام بها.

صغتُ «خطة» من صفحة واحدة تضمنت إعطاء سلطة التفاوض الدولي الرئيسة لوزارة الخارجية، وإعادة كتابة جميع اللوائح ذات الصلة بالأمن الداخلي والعدل، مقترحًا تشريعاً جديداً شاملاً حول هذه المسألة، وإسناد سلطة تطوير السياسة إلى مجلس الأمن القومي، واستبدال نيلسن وسيشنز، والمزيد من الاقتراحات. كنت أكتب لجمهور مؤلف من فرد واحد، لكنني عرضت مسودات على بومبيو وميلر وكوشنر وأيزنبرغ وآخرين، وقد وافقوا عليها عمومًا. في هذه الأثناء، كانت قضية قوافل المهاجرين تتصاعد باضطراد وبشكل مؤلم أكثر. طلب ترامب في تغريدة مذهلة على تويتر صياغة الأوامر التنفيذية التي تغلق الحدود، وتزايد الجو السياسي المحموم في البيت الأبيض. وفي صباح يوم ١٨ تشرين الأول/أكتوبر، كنتُ وبومبيو في مكتبي نتحدث عن قضية خاشقجي عندما طلب منا كيلي الحضور إلى مكتبه. هناك، عُقِد اجتماع ضخم (بحضور خمسة عشر شخصًا ربما) جرى فيه البحث بمسألة حدود المكسيك، وقد لخص كيلي ما تم تناوله عندما دخلتُ وبومبيو. ثمَّ طلب من نيلسن أن تشرح خطتها. التي أقامت مرافق معالجة المعلومات لموظفي مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين على الحدود بين غواتيمالا والمكسيك، بحيث يفرز مكتب المفوضية السامية اللاجئين الشرعيين الذين يمكنهم بعد ذلك دخول الولايات المتحدة (أو بلد آخر)، مِنْ أولئك غير المؤهلين، الذين سيعودون إلى بلدانهم الأصلية.

سأل كيلي بومبيو عن رأيه، ورد ببطء، لأنه على الأرجح لا يعرف إلا القليل عما تقوله نيلسن. تدخلتُ سريعًا (وانسحب بومبيو من الحديث بسعادة) لأشير إلى أنَّ لا دور حقيقياً للمفوضية السامية لتؤديه في هذا النوع من أعمال معالجة المعلومات المتعلقة بالهجرة؛ وأن موازنتها وموظفيها مرهقون أصلاً بسبب أزمة اللاجئين الفنزوليين، من جملة أمور أخرى؛ وأنه يجب على الولايات المتحدة ألا تتعاقد من الباطن، في أي حال من الأحوال، على قرارات قبول اللاجئين في الولايات المتحدة مع الأمم المتحدة. لم تستطع نيلسن الإجابة عن هذه النقاط، لذلك واصلتُ الاستجواب في ما سيكون دور وكالة اللاجئين، بينما تعثرت في ردودها. سأل كيلي: «حسنًا، ما هي خطتك، جون؟». طبعًا، كانت خطتي شيئًا لا نية لي لمناقشته أمام حشد بحجم جمهور مدرج، قبل أن أعرضها على ترامب. قلت ببساطة: «نعم، وضعتُ خطة طلبها [ترامب]، وسأناقشها معه». تسبب ذلك في إغضاب نيلسن وأدارت لي ظهرها لي، قائلةً: «هاه!»، أو شيئاً من هذا القبيل. فقلت: «لهذا السبب بالضبط أريد أن أرى الرئيس وحده». استمرت المحادثة لبضع دقائق أخرى، وقرابة الساعة العاشرة، قلت لكيلي: «جون، يجب أن ننزل إلى المكتب البيضاوي للتحدث عن المملكة العربية السعودية»، فقط لتذكير الجميع بأن بقية العالم لايزال موجودًا. غادرتُ وبومبيو وكيلي. ويكفي القول بأن ما حدث لم يكن «مباراة صراخ بذيئة» على ما أوردت وسائل الإعلام الساذجة في ما بعد.

كنا في المكتب البيضاوي نعالج قضية خاشقجي مع ترامب عندما دخلت مادلين ويسترهوت، قائلةً إنَّ كوشنر يريد الإبلاغ عبر الهاتف عن محادثته مع وزير خارجية المكسيك. سأل كيلي بصوتٍ عالٍ: «لماذا يتصل جاريد بالمكسيكيين؟».

أجاب ترامب بصوت عالٍ كذلك: «لأنني طلبتُ منه ذلك. وإلاَّ، كيف سنوقف القوافل؟». قال كيلي، وصوته لايزال مرتفعًا: «كريستين نيلسن تعمل على حل هذه المسألة»، فصاح ترامب: «لم يتمكن أحد منكم، أنتَ والعباقرة الآخرون، من إيقاف القوافل»، عندها خرج كيلي من المكتب البيضاوي، فيما لوح ترامب بيده تعبيرًا عن لامبالاته حين إدار كيلي ظهره مغادرًا. يمكن وصف هذه المحادثة بأنها «صراخ»، وإنما لم تُستخدم فيها لغة نابية. عرض كوشنر عبر مكبر الصوت على الهاتف لاتصاله مع لويس فيديغاري، بينما كبت بومبيو غضبه بهدوء، بما أنَّ كوشنر كان يقوم مجددًا بعمله. دار حديث آخر متقطع من هنا وهناك، ثمَّ عدتُ وبومبيو إلى مكتب كيلي. (في محادثة في كانون الأول/ديسمبر مع ترامب عندما قرر من سيكون خليفة كيلي، اعترف ترامب بأنَّ سبب استبدال كيلي هو «مباراة الصراخ» التي سرَّبت عنها الصحافة الكثير من الأخبار الملفقة).

تجمع العديد من الموظفين في مكتب كيلي الخارجي. دعاني وبومبيو للدخول إلى مكتبه الرئيس؛ قال: «سأغادر هذا المكان»؛ وخرج. تحدثتُ وبومبيو مذهولين، كما أصفُ الوضع، عن مشكلة المملكة العربية السعودية، قبل أن نستوعب أنَّ كيلي عنى شيئًا أكثر من مجرد «يمكنكما استخدام مكتبي»

عندما خرج. فتحتُ الباب لأسأل عن مكان وجود كيلي، فلم يعرف أحد. قصدتُ الرواق، ورأيته يتحدث إلى شخص ما؛ سحبته إلى غرفة روزفلت التي كانت فارغة؛ وأغلقتُ الباب. كانت تلك محادثتنا الوجدانية الثانية، وكانت مؤثرة أكثر من الأولى. قال: «لقد قُدتُ الرجال في القتال، ولم أضطر أبدًا لتحمل مثل هذا القرف»، في إشارة إلى ما حدث للتو في المكتب البيضاوي.

توقعتُ استقالته، فسألت: «ولكنْ، ما هو البديل إذا استقلت؟».

قال كيلي: «ماذا لو واجهتنا أزمة حقيقية مثل ١١ أيلول/سبتمبر مع الطريقة التي يتخذ فيها القرارات؟».

سألته: «هل تعتقد أنَّ الأمور ستسير بشكل أفضل إذا غادرت؟ انتظر أقله إلى ما بعد الانتخابات. إذا استقلت الآن، فقد يسوء وضع الانتخابات برمته».

أجاب بمرارة: «ربما سيكون من الأفضل أن تجري الأمور بهذه الطريقة»، فقلت: «أي شيء ستفعله سيكون مشرفًا، ولكنْ لا شيء إيجابي في أن يحظى مَنْ هم من أمثال إليزابيث وارن وبيرني ساندرز بالمزيد من النفوذ».

أجاب بأنه ذاهب إلى أرلينغتون، حيث يُفترض أن يزور ضريح ابنه، وهو ما يفعله في أوقاتٍ عصيبة. عرفنا ذلك لأنه يحدث غالباً.

غادرت غرفة روزفلت إلى مكتب كيلي، حيث كان بومبيو لايزال ينتظر قبل أن يخرج للتحدث إلى الصحافة حول مسألة خاشقجي. بعد حديثه مع الصحافيين، تحدثنا في مكتبي عمَّا يجب القيام به، وقد غادر كيلي. كان الأمر محبِطًا. قال بومبيو: «ماتيس غائب دومًا في الخارج، ونائب الرئيس في ميسيسيبي يتكلم عن الحرية الدينية، والشيء الوحيد الذي يفكر فيه منوشين تغطية مؤخرته. وهذا يتركنا أنا وأنتَ فقط»، معبِّرًا بذلك عن قلقه من أن كيلي يمكن أن يستقيل في أي وقت. «إذا كان [ترامب] يريد أن يعرف مَنْ هم المحاربون الحقيقيون، فانظر من حولك [ويعني ذلك نحن]. وكيلي جزءٌ من ذلك». وافقته الرأي. بعد إدراك مدى سوء الأمر، قال بومبيو: «يمكن أن ينتهي الأمر على شكل استعراضٍ، أبطاله دونالد وإيفانكا وجاريد!».

في خضم كل ذلك، عرضت على ترامب في وقت مبكر من بعد الظهر خطتي عن الهجرة المؤلفة من صفحة واحدة. قرأها وقال إنه يوافق عليها، لكنَّه أضاف: «كما تعلم، لا أستطيع القيام بمعظم ما ورد فيها إلاَّ بعد الانتخابات»، وأجبتُ إنني أتفهم ذلك. سألني إن كان بإمكانه الاحتفاظ بالورقة، وطواها، ووضعها في جيب معطفه. باتت الكرة في ملعبه. ومن وجهة نظري، بقيت في ملعبه. توالت فصول قضية الهجرة، ولكنْ من دوني إلى حدٍّ كبير. لقد قدمتُ اقتراحاتي، التي كان يمكن أن تنجح كما يمكن أن لا تنجح لو تم تنفيذها كاملةً، وفي النهاية اختار ترامب مقاطع وأجزاء منها.

لكنه نفذها بطريقته الخاصة وفي الوقت الذي يناسبه، وكان ذلك من حقه. تعثرت قضايا الهجرة طويلاً، بدلاً من تشكيل سياسة متماسكة.

خلال الجدل الدائر حول الهجرة، ورد الخبر المدوي حول اختفاء الصحافي جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في اسطنبول، ثمَّ اغتياله. كان تعامل ترامب مع مقتل خاشقجي في تناقض صارخ مع طريقته المعتادة في صنع القرار.

في ٨ تشرين الأول/أكتوبر، سأل كوشنر كيف يجب أن نستجيب لتلك العاصفة المتنامية. كانت نصيحتي للسعوديين أن ينشروا الحقائق فورًا، أيًا كانت، وأن ينهوا القضية. وافق كوشنر، وتحدثنا في اليوم التالي مع ولي العهد محمد بن سلمان، مشددين على مدى الجدية التي يُنظر بها إلى هذه القضية. وقد حثثت ولي العهد على معرفة ما حدث لخاشقجي بالضبط ثمَّ نشر التقرير، قبل أن تتفجر مخيلات الناس. أثار بومبيو النقطة نفسها لاحقًا معه. كما اقترحتُ أن نرسل السفير السعودي من واشنطن إلى الرياض للحصول على الحقائق، ومن ثمَّ يعود ليطلعنا عليها. كان ذلك غير تقليدي، لكنَّ السفير كان الأخ الأصغر لولي العهد ويمكن أن يعكس بشكل مباشر ما كانت عليه الأجواء في واشنطن.

على عكس العديد من القضايا الأخرى، كان ترامب قد قرر ما سيكون رده، قائلاً في مقابلة مسجلة لبرنامج ٦٠ دقيقة ستعرض في نهاية الأسبوع المقبل إنه لن يوقف مبيعات الأسلحة إلى المملكة. يوم السبت، عندما استقبلنا القس براون في البيت الأبيض بعد إطلاق سراحه من تركيا، اقترحتُ أن يذهب بومبيو إلى المملكة العربية السعودية، بدلاً من إرسال مسؤول أقل رتبة، فأعجبته الفكرة، وراقت كذلك لترامب. لا يستطيع أحد أن يقول إننا لم نأخذ الأمر على محمل الجد. أثار ترامب الفكرة مع الملك سلمان في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر، وقال الملك إنه سيرحب بزيارة بومبيو. كان ترامب يشعر بضغط من وسائل الإعلام الأميركية، لكنَّ الضغط كان يدفعه بشكل غير متوقع نحو دعم علني أقوى للمملكة، وليس نحو دعم أقل. اشترت رحلة بومبيو العاصفة مزيداً من الوقت، مما سيتيح للسعوديين فرصة أكبر لإظهار الحقائق، لكنَّ ترامب لم يكن ينتظرها. نشر السعوديون بعد ذلك روايتهم للأحداث وفَصَلوا العديد من كبار المسؤولين. لم يرضِ التقرير السعودي معظم المحللين، لكنه عكس روايةً من الواضح أنها لن تتغيَّر. خلال هذه الفترة، دعم ترامب في التغريدات والبيانات القصة السعودية ولم يتذبذب أبدًا كل من التحالف الأميركي السعودي بشكل عام أو مبيعات الأسلحة الضخمة التي تمَّ التفاوض عليها سابقًا مع المملكة.

مع حال الرغو السائدة في وسائل الإعلام، قرر ترامب إصدار بيان دعم لا لبس فيه لمحمد بن

سلمان، والذي أملاه أساسًا على بومبيو. كان النص غير كفي تمامًا ويعرِّض ترامب نفسه للإيذاء إذا تغيَّرت الحقائق. لم يكن صعبًا إجراء بعض التعديلات في النص لتعزيز حماية الرئيس. لكنَّ بومبيو سيرفض إجراء أي تغييرات ولن يقبل حتى الاحتفاظ بالمسودة ليوم أقله لمراجعتها أكثر. قال بومبيو: «هو طلب ذلك، وسأرسل البيان»، وفق قاعدة: «حاضر سيدي، نُفِّذ الأمر». في اليوم التالي، أي ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، يوم عيد ميلادي، أراد ترامب الاتصال بن سلمان ليخبره أن البيان سيصدر، قائلاً: «إننا نقدم له خدمة كبيرة». أي معلنًا أنه «سواء فعل ذلك أم لا، نحن نقف مع السعودية».

ناقشنا هل كان ترامب سيقرأ البيان على منصة البيت الأبيض أو هل كنا سننشر النص. قال ترامب: «سيُحوِّل ذلك الأنظار عن مسألة إيفانكا. في حال قرأتُ البيان شخصيًا، ستُنسى مسألة إيفانكا». (كانت «مسألة إيفانكا» سيلاً من القصص حول استخدام إيفانكا المكثف لبريدها الإلكتروني الشخصي لأعمال حكومية، الأمر الذي كان يحاول البيت الأبيض تفسيره بأنه مختلف تمامًا عن استخدام هيلاري كلينتون المكثف لبريدها الإلكتروني الشخصي لأعمال حكومية). واشتكى ترامب: «اللعنة! لماذا لم تغيِّر هاتفها؟ يا للفوضى التي خلقتها لنا بسبب ذلك الهاتف». التفت من ثمَّ إلى بومبيو، مؤكدًا على اتصاله بولي العهد، وقال: «أخبره أنَّ الأمر لا يصدق وأنني أقوم بعمل عظيم. ثم خُذ برأيه، وسنقرر ما سنفعل». قررنا إصدار بيانٍ وترك بومبيو يجيب عن الأسئلة، ولكنْ دار جدل كبير حول ما إذا كان يجب إصدار البيان قبل أو بعد مراسم العفو عن «الديك الرومي». عذرًا، ولي العهد، ولكنْ لدينا أولوياتنا. (التقيتُ مع وزير الخارجية التركي في اليوم نفسه. صدفةٌ أُخرى). أجاب بومبيو وترامب في النهاية عن الأسئلة، وهو ما كان ترامب يريد القيام به في أي حال. كان كل ذلك «عرضًا» من تصميم ترامب، واضحًا للجميع باستثناء راند بول الذي غرد أنَّه يعتقد أنني كتبتُ البيان!

من الناحية الجيوسياسية الواقعية، كانت مقاربة ترامب النهج المعقول الوحيد. لم يبرر أحد مقتل خاشقجي، ولم يشكك أحد في أنَّه كان خطأً فادحًا. سواء كنتَ تُحب المملكة العربية السعودية والنظام الملكي ومحمد بن سلمان وخاشقجي، أم لا، فقد كانت لدينا مصالح وطنية كبرى على المحك. سيؤدي سحب الدعم فورًا إلى بذل خصومنا في المنطقة جهوداً تعويضية مضادة لاستغلال الوضع على حسابنا. كان بوتين قد قالها لي بكل صراحة في وقت سابق في موسكو (راجع الفصل السادس) في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر، إن روسيا يمكنها بيع الأسلحة للسعوديين إذا لم نفعل ذلك. لم يكن ترامب بالضرورة يقرر على أساس الواقع الجيو-استراتيجي، ولكنْ على أساس الوظائف الأميركية التي توفرها مبيعات الأسلحة، وانتهى به الأمر في المكان المناسب إلى حدٍّ ما. كان هذا النهج بالضبط الاستنتاج الذي توصلت إليه جين كيرباتريك في مقالها الشهير العام ١٩٧٩

«الديكتاتوريات والمعايير المزدوجة»: «يجب ألاَّ تكون المثالية الليبرالية متطابقة مع المازوشية، ويجب ألاَّ تكون غير متلائمة مع الدفاع عن الحرية والمصلحة الوطنية»[(١)].

أنذَرَت قضايا إدارة شؤون الموظفين، التي تُعتبر أيضًا حاسمة لتطوير السياسات، بسلسلة من التغييرات المثيرة بعد انتخابات الكونغرس في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨. تمتع جيم ماتيس وموظفون، على سبيل المثال، بقيادة بارعة للعلاقات الصحافية، ساعيًا بعناية إلى اكتساب سمعة «المحارب العالم». وهنالك قصة كنت على يقين من أن وسائل الإعلام لم تسمعها من ماتيس، وقد رواها ترامب في ٢٥ أيار/مايو، بينما عادت المروحية الرئاسية «مارين وان» إلى البيت الأبيض بعد إلقاء ترامب خطاب التخرج في الأكاديمية البحرية. قال إن ماتيس أخبره، في ما يتعلق بظهور ترامب في مناظرة تلفزيونية مع كلينتون، بعد أيام قليلة من نشر الصحافة لمقاطع فيديو مسربة تم تصويرها على هامش برنامج «أكسس هوليود»، «أنه أشجع أمر شهد إنسانًا يقوم به في حياته». كان هذا الرأي الصادر عن رجل عسكري مهمًا فعلاً. يمكن طبعًا أن يكون ترامب قد اختلق القصة، ولكنْ، إن لم يكن الأمر كذلك، فقد أظهرت أن ماتيس يعرف كيف يتملق كبير النافذين.

كان ماتيس من دون أدنى شك يواجه مشاكل صعبة بحلول صيف العام ٢٠١٨، وازداد آداؤه ضعفًا باضطراد مع مضي العام. اتصل بي ترامب حوالى الساعة التاسعة والربع مساءً من يوم الأحد في ١٦ أيلول/سبتمبر، ليسألني إن كنتُ قد رأيت مقالاً بارزًا في النيويورك تايمز عن ماتيس[(٢)] وهل «قرأته بعناية»، فأجبت بأنني فعلت. قال ترامب: «لا أحبُّ ذلك. فماتيس يفعل دومًا أمورًا من هذا النوع». قلتُ إنني أعتقد أن المقالة غير عادلة للغاية مع نائبة مستشار الأمن القومي ميرا ريكارديل، بدافع من العداء الذي كسبته من ماتيس في أيامها الأولى في البيت الأبيض، حيث قاومت جهود ماتيس لتوظيف ديمقراطيين لا تتوافق وجهات نظرهم مع وجهة نظر ترامب. سأل ترامب: «لقد منعت أيضًا ريكس من توظيف بعض المقربين منه، أليس كذلك؟»، وهذا صحيح أيضًا. «ما رأيكَ في ماتيس؟»، سأل ترامب، تماشيًا مع أسلوبه في الإدارة، والذي اعتقد الجميع تقريبًا أنه لا يفضي إلى بناء الثقة والاطمئنان بين مرؤوسيه. ولكنه كان يفعله دائماً. وحده الأحمق لن يفترض أنه بالتأكيد سيسأل الآخرين عني، كما طرح عليَّ أسئلة عن ماتيس. أعطيت إجابة جزئية، كانت صحيحة ومهمة في الوقت نفسه: قلتُ إنَّ ماتيس «جيدٌ في عدم القيام بما لا يريد القيام به» وأنه «يقدِّر رأيه تقديرًا عاليًا». بقولي ذلك، استفاض ترامب، موضحًا أنه لا يثق بماتيس، وكم هو مُتْعَبٌ

(١) See Jeane J. Kirkpatrick, “Dictatorships and Double Standards,” https://www.commentarymagazine.com/articles/dictatorships-double-standards/

(٢) See Helene Cooper, “Fraying Ties With Trump Put Jim Mattis’s Fate in Doubt,” posted at https://www.nytimes.com/2018/09/15/us/politics/jim-mattis-trump-defense-relationship.html

من القصص الصحافية المستمرة عن تفوق ماتيس بدهائه على ترامب. لم أقل هذا لترامب، لكنَّ ذلك كان أكبر جرح ذاتي متعمد يسببه لنفسه «محور البالغين» (أي وزير الدفاع جيم ماتيس، ورئيس موظفي البيت الأبيض جون كيلي ووزير الخارجية آنذاك ريكس تيلرسون). اعتقدوا أنهم أذكياء جدًا لدرجة أنَّ باستطاعتهم إخبار العالم عن مدى ذكائهم، ولن يعرف ترامب ذلك. لم يكونوا أذكياء بالقدر الذي يعتقدونه.

جاء كيلي إلى مكتبي في وقت متأخر من صباح اليوم التالي للتحدث عن المقال، قائلاً: «ماتيس يكافح من أجل حياته الآن»، وعليه كان يشير بإصبعه إلى تسريبات ريكارديل، التي أظهرت جرأةً مذهلة. شرحتُ نظرية القاضي لاري سيلبرمان حول تقييم التسريبات، أي بالسؤال: «من المستفيد؟»، ما يدل في هذه الحالة بشكل مباشر إلى كون ماتيس وشركائه هم المسربون. كان كيلي قد خدم تحت إمرة ماتيس في المارينز، وكذلك فعل جو دانفورد، وهو تراصف لافت يبدو أن الصحافة لم تلحظه أبدًا ولا يمكن لروائيّ قصص جاسوسية أنْ يُقنِع ناشرًا حتى بأنه، كان أمرًا معقولاً. ناقشتُ وترامب وكيلي المقالة مرة أخرى في وقت لاحق من ذلك اليوم، وسأل ترامب: «لم يحب ماتيس إلغاء اتفاقية إيران، أليس كذلك؟»، وكان السؤال تعبيراً عن استهانة. بعد ذلك بوقت قصير، ازدادت التكهنات مجددًا بشأن استبدال ماتيس. تساءلتُ عما إذا كانت التسريبات بدأت في المكتب البيضاوي.

ومع ذلك، بعد أسبوع واحد، عندما كنت في نيويورك للمشاركة في الاحتفالات الافتتاحية السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة، اتصل بي كيلي للقول إن السيدة الأولى أرادت طرد ريكارديل لأنَّ موظفيها اشتكوا من أنها لم تكن متعاونة في التحضير لرحلة «فلوتُس» (FLOTUS هو اختصار شائع وغير رسمي لاسم السيدة الأولى ميلانيا ترامب تستخدمه على تويتر) المقبلة إلى أفريقيا. لقد وجدت ذلك صاعقًا، وقال كيلي: «لم يتضح كيف وصلت الأمور إلى هذا المستوى». ثمَّ وصف موظفات السيدة الأولى على أنهن مجموعة تشبه ناديَ لنساء خبيثات وثرثارات. لم يقل لي أحد شيئًا آخر، واعتقدت أن القصة طُويت. كان كيلي لايزال في واشنطن بسبب «مسألة روزنشتاين»، ويقصد بذلك الروايات حول ما إذا كان نائب المدعي العام رود روزنشتاين قد اقترح يومًا تفعيل التعديل الخامس والعشرين ضد ترامب، أو أنه أنه كان يحمل ميكروفونًا في المكتب البيضاوي لجمع الأدلة من أجل تحقيق هذه الغاية. وكان ذلك سابقة في تاريخ الإدارة الرئاسية.

ذكرني وجودي في نيويورك لماذا يجب ألاَّ يكون لسفرائنا إلى الأمم المتحدة رتبة وزير (النهج الجمهوري التقليدي). أما إذا كانوا سيكتسبون تلك الرتبة، فيجب أن يخبرهم الرئيس أنه لا يوجد سوى وزير خارجية واحد. لم تُذَكِّر هالي بذلك قط، ومنْ كل ما سَمِعْتُ، بما في ذلك مباشرةً من ترامب، أنَّها وتيلرسون يمقتان وديًّا أحدهما الآخر (حسنًا، ربما ليس وديًا). برزت أدلة مبكرة على

مشكلة هالي في سوء إدارتها لمسألة العقوبات الروسية في أعقاب الهجوم الأميركي على سوريا في نيسان/أبريل. وظهرت الأدلة مجددًا في حزيران/يونيو في ما يتعلق بانسحاب الولايات المتحدة من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة. وافق ترامب على الانسحاب منه، وهو ما أوصى به جميع مستشاريه، مؤكدين ذلك في اجتماع في المكتب البيضاوي بحضوري وبومبيو وهالي. ثم سأل ترامب هالي: «كيف تسير الأمور؟»، وردَّت بالحديث عن المفاوضات التجارية مع الصين التي لم تشكِّل جزءًا من مسؤولياتها. بعد محاضرة مسهبة من ترامب عن التجارة، تضمنت كل مواضيعه المفضلة («الاتحاد الأوروبي مثل الصين، لكنه أصغر فحسب»)، سألته هالي عن رحلة أرادت القيام بها إلى الهند لزيارة الدالاي لاما. كانت الغاية من هذه الرحلة غير واضحة، باستثناء أن فرصة التقاط صور فوتوغرافية مع الدالاي لاما، دائمًا ما تكون مفيدة لسياسي طموح. لكنَّ حقل الألغام الذي ضلت طريقها فيه من خلال إثارة قضية التجارة مع الصين أظهر عدم مقدرتها السياسية: بمجرد أن تساءل ترامب كيف ستنظر الصين إلى لقاء هالي بالدالاي لاما، قُضيَ على الرحلة من أساسها. أكدت هذه الحادثة لبومبيو، إلى أي مدى سمح ترامب لهالي بتخطي حدود مسؤولياتها، ولمَا يجب أن يتوقف ذلك. على أي حال، في ١٩ حزيران/يونيو، انسحبنا من مجلس حقوق الإنسان.

قد يكون استبدال كبار المسؤولين الإداريين المغادرين أمرًا شاقًا كذلك، خاصةً مع اقتراب عهد ترامب من منتصف ولايته. كان اختيار خليفة هالي أحد تلك الماراثونات. بعد أن تشاورت هالي بمفردها مع ترامب وإيفانكا وكوشنر في مسألة «شخصية بحتة»، قالت لكيلي (ولكنْ ليس لبيوميو أو لي) في ٩ تشرين الأول/أكتوبر أنها استقالت. على الرغم من أن هذه الاستقالة ترافقت مع فترة تمديد طويلة حتى تاريخ سريانها في ٣١ كانون الأول/ديسمبر. لم يشك سوى قلة أنَّ سباق العام ٢٠٢٤ لترشح الجمهوريين الرئاسي قد بدأ الآن. نفت هالي وهي جالسةً قرب الرئيس في المكتب البيضاوي، في بيان صادم الترشح للرئاسة عام ٢٠٢٠. لتُذكِّر الجميع فحسب أنها كانت متاحة: «لا، لن أترشح العام ٢٠٢٠... أعدكم أن ما سأقوم به هو دعم حملة هذا الشخص (مشيرةً إلى ترامب)»[1]. اعتقد الكثيرون أنها بدلاً من ذلك تترشح لتحل محل بنس نائبًا للرئيس ترامب في انتخابات العام ٢٠٢٠، بدعم من كوشنر وإيفانكا، ولم تكن تلك تكهنات باطلة[2].

(١) See Ashley Parker and Phillip Rucker, "'A rising star': Haley poses a potential threat to Trump even if she doesn't run in 2020," https://www.washingtonpost.com/politics/a-rising-star-haley-poses-a-potential-threat-to-trump-even-if-shedoesnt-run-in-2020/2018/10/09/bca850d8-cbd9-11e8-920f-dd52e1ae4570 story.html

(٢) See Christina Zhao, "Nikki Haley Denies 'False Rumors' of a Possible Trump/Haley 2020 Ticket: Pence 'Has My Complete Support,'" https://www.newsweek.com/nikki-haley-denies-false-rumors-possible-trump-haley-2020-ticket-pence-has-my-complete-1455584

كان أحد شروط ترامب الأساسية هو أن تكون خليفة هالي أنثى. كانت المفضلة أوَّلاً دينا باول وهي نائب مستشار في مجلس الأمن القومي، ولأنَّ العائلة تفضلها، بدت أساسًا مرشحة قوية للمنصب. لكنَّ معارضةً هائلة نشأت ضدها، وبدأ البحث سريعًا عن مرشحين آخرين. اتفقتُ وبومبيو منذ البداية على أن السفير إلى الأمم المتحدة يجب ألاَّ يكون لديه رتبة في مجلس الوزراء، ولكنْ كان علينا أوَّلاً إقناع ترامب. قال عن باول إن رتبتها في مجلس الوزراء «ستساعدها»، مما تركني عاجزًا عن الكلام. إذا احتاج أحد ما إلى هذا النوع من المساعدة، لكان عليه أن يبحث عن عملٍ آخر. وبالإضافة إلى قضية الرتبة، ناقشت مع بومبيو طوال أسابيع الأسماء البديلة الممكنة، وتشاورنا مع كثيرين منهم لمعرفة إذا كانوا مهتمين بالمنصب. عندما تم الفرز، استنتج كلانا أن السفيرة الأميركية في كندا كيلي كرافت تمثل أكثر خيار منطقي. فضلاً عن كونها مؤهلة، فإن كرافت كانت في الإدارة، وقد خضعت لتدقيق كامل ومُنِحت تصاريح أمنية مناسبة، وكانت بالتالي مستعدة لتولي مهام جديدة بسرعة.

في تلك الأثناء، ساد في البيت الأبيض جو كامل من التآمر، حيث كان لكل فرد رأي حول من يجب أن يخلف هالي. لم أشهد في حياتي على قضية يطلب فيها مني هذا الكم من الأشخاص عدم إيلاء الثقة بالآخرين. ربما كانوا جميعاً على حق. كانت السياسة الداخلية بيزنطية، معظمها يدور على وسائل الإعلام. برزت مرشحات وسقطن، دخلن وانسحبن، ثم عُدنَ إلى السباق مجددًا، اقتربن من الهدف، اختُرن فعلاً، لنجد بعض العوامل غير المؤهلة التي تخرجهن من المنافسة وتعيدنا إلى نقطة البداية. حتى عندما اعتقدتُ وبومبيو أننا توصلنا إلى إقناع ترامب بحسم قراره لصالح أحدى المرشحات، كنا غالبًا مخطئين. كما قال بومبيو في اجتماع مجموعة العشرين في تشرين الثاني/نوفمبر: «لا يمكنك تركه بمفرده لدقيقة». كان الأمر وكأننا في قاعة مرايا. ومع مرور الأسابيع، تساءلتُ هل نحصل على مرشحة في الوقت المناسب لتثبيتها في منصبها قبل أن يُسدل الستار في ليلة رأس السنة على فترة الثلاثة أشهر المتبقية لهالي في وظيفتها.

في الواقع، لم نفعل. ليس قبل ٢٢ شباط/فبراير، عندما اتصل بي ترامب في منتصف بعد الظهر ودعاني إلى المكتب البيضاوي، حيث تصافح ترامب وكيلي كرافت لتعيينها في المنصب. لقد كنت سعيدًا، وكذلك كان بومبيو، لكنني شعرت بالانزعاج لضياع حوالى خمسة أشهر على مسألة كان يمكن حلها في غضون أيام قليلة بعد إعلان هالي استقالتها. قال ترامب لكرافت: «إنها أفضل وظيفة في الحكومة إلى جانب وظيفتي»، وهو ما كان بعيدًا في رأيي عن الصواب. لقد انتهينا، أقلّه، من مداولات السلطة التنفيذية حول هذا الأمر. عمل استغرق ما يقرب من خمسة أشهر.

مع استمرار تزايد مشاكل ماتيس، دارت التكهنات حول ما إذا كان طفح كيل كيلي كذلك. قال بومبيو: «إذا استقال ماتيس، سيستقيل كيلي أيضًا»، وكان ذلك منطقيًا. لقد تجاوز الوضع الآن خلل

الموظفين الوظيفي، لكنه كان يعني تغييرًا كبيرًا في توجهات البيت الأبيض. وكان يبدو أن مشاكل نيلسن التي لا تنتهي مع ترامب تشير أيضًا إلى رحيلها المبكر، وهو حافز آخر لكيلي للمغادرة، لكنها صمدت. في الواقع، بقيت نيلسن في منصبها حتى نيسان/أبريل ٢٠١٩، ربما لوقت طويل بعدما كان يجب عليها أن تغادر طواعية من أجل سلامتها. كما أن علاقة كيلي وكوشنر لم تكن على أفضل حال منذ الجدل حول التصريح الأمني لكوشنر.

كانت لكيلي مشاكله أيضًا، وهي لا تختلف عن تلك التي واجهتُها أنا، مع وزير الخزانة منوشين، وهو أحد الموثوقين من ترامب. في تموز/يوليو ٢٠١٨، على سبيل المثال، جادل منوشين إلى ما لا نهاية بشأن بيان صحافي أراد إصداره عن العقوبات الجديدة ضد بنك روسي سهّل المعاملات المالية الدولية لكوريا الشمالية. وافق ترامب على أن العقوبات يجب أن تنفذ، لكنه لا يريد بيانًا صحافيًا، لتجنب ردود الفعل السلبية المحتملة من موسكو وبيونغ يانغ. خشي منوشين من أن يستجوبه الكونغرس بتهمة التستر على روسيا إذا لم يصدر شيئًا. اعتقدت أنه مرهق من كثرة العمل، وبعد أيام قليلة، وافق ترامب على إصدار بيان. أخبرني كيلي غاضباً أن منوشين يهتم أكثر من أي شيء لعدم تعرضه لأي خطر، على الرغم من رغبته المفرطة في حضور اجتماعات المكتب البيضاوي والسفر حول العالم. كنتُ قبل بضعة أيام قد تحدثت مع كيلي عن جهود منوشين لحشر نفسه في اجتماعات لم يكن له دور فيها، بما في ذلك الاتصال بترامب والطلب منه دعوته. قال كيلي إنه متأكد من أن منوشين أمضى أقل بكثير من نصف وقته في مكتبه في وزارة الخزانة، وكان حريصًا على المشاركة في اجتماعات البيت الأبيض أو في رحلات رئاسية. قال كيلي بازدراء: «بالكاد يتعرف عليه الموظفون في المبنى الذي يعمل فيه».

في هذه الأثناء، بدأت تظهر نتائج جهود ماتيس الطويلة لطرد ريكارديل، والتي ترافقت مع الجهود السرية لموظفي السيدة الأولى. كنتُ في باريس لعقد اجتماعات قبل وصول ترامب لحضور الذكرى السنوية ليوم الهدنة في الحرب العالمية الأولى الموافق في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر. مساء ٩ تشرين الثاني/نوفمبر، وبينما كنتُ متوجهًا لتناول العشاء مع نظرائي البريطاني والفرنسي والألماني، اتصل بي كيلي من طائرة الرئاسة التي كانت على وشك الوصول إلى باريس. كنا على هواتف غير آمنة، لذا لم نتحدث بشكل كامل حتى حوالى منتصف الليل، وأبلغني كيلي حينها أن مكتب السيدة الأولى لايزال يحاول طرد ريكارديل. أردف كيلي: «لا علاقة لي بذلك».

ذهبتُ يوم السبت إلى منزل السفير الأميركي حيث كان يقيم ترامب لإحاطته بالمعلومات اللازمة قبل اجتماعه الثنائي مع ماكرون. كان الطقس سيئًا، وتحدثت مع كيلي عمَّا إذا كنا سنسافر كما هو مخطط له لزيارة النصب التذكارية لشاتو تيري بيلو وود والمقابر الأميركية القريبة منها

حيث دُفن العديد من القتلى الأميركيين في الحرب العالمية الأولى. كان طاقم المروحية الرئاسية يقول إن السفر إلى المدفن يُعدُّ عملاً غير حكيم بسبب الرؤية السيئة. لم يكن السقف منخفضًا جدًا بالنسبة إلى المارينز للطيران أثناء القتال، ولكنْ من الواضح أنَّ نقل رئيس الولايات المتحدة كان شيئًا مختلفًا جدًا. وإذا كان استخدام موكب السيارات ضروريًا، فقد يستغرق الأمر ما بين تسعين ومئة وعشرين دقيقة في كل اتجاه، على طرقات ليست فعلاً طرقًا سريعة، مما يشكِّل خطرًا غير مقبول لأننا لن نتمكن من إخراج الرئيس من فرنسا بالسرعة الكافية في حال حدوث أيِّ طارئ. كان قرارًا صريحاً بإلغاء الزيارة وإنما قرار صعب لأنه جاء بتوصية من أحد مشاة البحرية مثل كيلي، وهو الذي اقترح أصلاً زيارة بيلو وود (معركة بارزة في تاريخ مشاة البحرية). وافق ترامب، وتقرر بدلاً من ذلك أن يذهب آخرون في السيارات إلى المقبرة. بعد فض الاجتماع واستعدادنا للمغادرة إلى قصر الإليزيه للقاء ماكرون، تنحى ترامب بنا جانبًا. أنا وكيلي، وقال: «ابحثا عن وظيفة أخرى لميرا. جماعة ميلانيا مستعدة للحرب». افترضتُ وكيلي أننا سنجد مركزًا مكافئًا في مكان آخر في الحكومة في جو هادئ أكثر في واشنطن.

حوَّلت الصحافة إلغاء زيارة المقبرة إلى قصة، مدعيةً أن ترامب كان خائفًا من المطر، واستمتعت شامتةً في الإشارة إلى أنَّ قادة العالم الآخرين سافروا إلى أماكن مختلفة خلال النهار. طبعًا، لم يكن أحد منهم رئيسًا للولايات المتحدة، لكنَّ الصحافة لا تعلم أنَّ القواعد الخاصة بالرؤساء الأميركيين تختلف عن القواعد الخاصة بالقادة المئة والتسعين الآخرين الذين لا يقودون أعظم القوات العسكرية في العالم. أنحى ترامب باللائمة على كيلي، بشكلٍ غير عادل، في ما يشكل لحظة حاسمة محتملة في إنهاء ولايته في البيت الأبيض. كان ترامب مستاءً طوال الرحلة («إنه في حالة من الذعر الملكي»، كما قالت ساندرز)، بسبب نتائج الإنتخابات المخيبة للآمال، ولم يحدث شيء لتسير الأمور نحو الأفضل. ظل الوضع على حاله طوال ما تبقى من زيارة باريس. افتتح ماكرون اجتماعهما الثنائي بالحديث عن «جيش أوروبي»، كما كان يفعل علنًا سابقًا[1]، وهو ما كان عددٌ كبيرٌ من الأميركيين الآخرين على استعداد تام للسماح للأوروبيين الجاحدين بالحصول عليه، وذلك من دوننا. وأهان ماكرون ترامب في خطابه في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر عند «قوس النصر»، قائلاً: «الوطنية هي عكس القومية تمامًا. القومية خيانة للوطنية بقولها: «مصلحتنا أولاً. مَنْ يبالي لأمر الآخرين؟»». قال ترامب إنه لم يسمع إهانة ماكرون لأنَّ الصوت انقطع عن سماعة أذنه عند النقطة الحرجة.

سافرتُ بعد باريس إلى الإمارات العربية المتحدة ثم سنغافورة للمساعدة في دعم رحلة نائب

(١) See, e.g., BBC, "France's Macron pushes for 'true European army.'" November 6, 2018, https://www.bbc.com/news/world-europe-46108633

الرئيس إلى القمة السنوية لرابطة دول جنوب شرق آسيا. في الساعة ٢:٢٠ من صباح يوم ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر، اتصلت بي ريكارديل لتخبرني أنَّ وول ستريت جورنال نشرت قصة، من الواضح أنها تسربت من مصدر غير ودي، بأنها على وشك أن تُطرد. كانت القصة حافلة كذلك بالافتراضات عن طرد كيلي ونيلسن، لذلك اتصلتُ فورًا بترامب وآخرين، محاولاً التواصل معهم (توقيت سنغافورة متقدم بثلاث عشرة ساعة عن توقيت واشنطن)، لمعرفة ما يحدث. في هذه الأثناء، خرجت تغريدة لا تصدق من «مكتب السيدة الأولى» أن ريكارديل لم تعد تستحق العمل في البيت الأبيض. هذا غير مسبوق. كنتُ لا أزال «أهضُمُ» ذلك عندما اتصل بي ترامب عند حوالى الساعة الخامسة والنصف صباحًا. سألني: «ما هو ذلك «الشيء» الذي نشرته السيدة الأولى؟». اتصلت بويسترهوت لأحضر له التغريدة التي قرأها للمرة الأولى. وصاح: «اللعنة! كيف يمكنهم وضع هذه التغريدة من دون أن يُطلعوني عليها؟». سؤال جيد، على ما فكرت. وختم ترامب قائلاً: «دعني أُعالج الأمر». دعا ترامب لاحقًا ريكارديل وموظفي «فلوتُس» إلى المكتب البيضاوي، حيث عرضوا رواياتهم عن رحلة «فلوتُس» إلى أفريقيا والتي حاولت ريكارديل منعها من الخروج عن مسارها بسبب جهل موظفي السيدة الأولى وعدم وعيهم. لم تلتقِ ريكارديل بالسيدة الأولى من قبل؛ كانت كل الانتقادات من موظفيها. غضب ترامب عن وجه حق من التغريدة الصادرة عن «مكتب السيدة الأولى»، التي أنكر الموظفون مسؤوليتهم عنها. قال ترامب بشكل صحيح: «هذا البيان حماقة».

تحدثت إلى بنس عن ريكارديل عندما تناولنا غداءً بمفردنا. قال: «إنها رائعة»، ووعد بأن يكون داعمًا لها تمامًا. اتصل بي كيلي لاحقًا ليقول إن ترامب أعطاه تعليمات، بعد الاجتماع في المكتب البيضاوي: «جِد لها مكانًا تثبت فيه... يجب أن نبقيها في الحكومة»، وأضاف أنه قال عنها إنها «ليست شخصًا سيئًا»، على الرغم مما زعم موظفو «فلوتُس».

وتابع كيلي: «كانت الرحلة إلى باريس كارثة بالكامل»، ومؤكداً أن ترامب كان يشكو بشكل متواصل في طائرة الرئاسة في طريق العودة إلى واشنطن، وحتى بعد ذلك. واستمر يعيد النظر في ما حدث من أخطاء، إلى جانب المطالبة بإقالة ماتيس ونيلسن، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى قضية الحدود المكسيكية. قال كيلي إنه «خلَّص ترامب من مآزق عديدة»، لكنه لم يكن على يقين مما سيأتي بعد ذلك. طلبتُ منه أن يبقيني على اطلاع على المستجدات، فأجاب ببساطة: «حسنًا، يا صديقي»، مما أنبأني بأنه لم يتبقَ له الكثير من الأصدقاء في البيت الأبيض. أصدر ترامب بيانًا في اليوم التالي بأن ريكارديل ستنتقل إلى وظيفة جديدة في الإدارة، على الرغم من أننا لم نحددها نهائيًا بعد. لسوء الحظ، سمم موظفو «فلوتُس» الأجواء لدرجة أن ريكارديل قررت ببساطة وبمفردها ترك الحكومة بأكملها والانضمام ثانيةً إلى القطاع الخاص. كان الأمر برمته مروعًا بالنسبة لي، وغير عادل إلى حد ما بالنسبة لريكارديل.

لقد أجريت تقويمي الخاص لمجلس الأمن القومي بعد تسعة أشهر تقريبًا. من الناحية الجوهرية، أوفينا بمعيار «لا تُلحق الضرر»، فلم ندخل إلى أي صفقات سيئة جديدة وخرجنا من العديد منها الموروثة من الأيام الماضية (على سبيل المثال، الاتفاق النووي الإيراني، ومعاهدة الصواريخ النووية المتوسطة المدى)، لكنني شعرت أنَّ الاضطراب مقبل على جبهات أخرى.

مع اقتراب انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر، كانت «فبركة» الشائعات تسير بأقصى سرعة. ونظرًا إلى النتائج المخيبة للآمال خصوصًا، وبعد ذكرى الهدنة، انتشرت الشائعات باستمرار حول مَنْ قد يخلف كيلي. كانت إحدى النظريات الثابتة هي أن ترامب سيختار نيك أيرس. رئيس موظفي بنس. كان من غير المعتاد، على أقل تقدير، الانتقال من العمل مع نائب الرئيس إلى العمل مع الرئيس، لكن جيم بيكر انتقل من منصب مدير حملة جورج بوش الأب في عام ١٩٨٠ إلى منصب رئيس موظفي البيت الأبيض في عهد ريغان. إنَّ مهارات آيرس السياسية جعلته خيارًا منطقيًا، إذا قرر كيلي المغادرة، لرئيس يتطلع نحو حملة إعادة انتخابه، ولكنَّ السؤال الحقيقي هو هل كان آيرس يريد ذلك. سعى مقدمًا إلى تحديد شروط الدور، وبدا ترامب قابلاً للقيام بذلك، لكنه تراجع باستمرار عن النقاط الرئيسة أو رفض الفكرة الكاملة لتوصيف الوظيفة باعتبارها غير قابلة للتطبيق. وعلى الرغم من أن آيرس أغرته الوظيفة، إلاَّ أنَّ تجارب العامين الماضيين أقنعته بأنَّ المغامرة لا تستحق المجازفة من دون «اتفاق ورقي» يمكن الرجوع إليه في أوقات الأزمات. بالطبع، كان السؤال المفتوح هو هل سيكون لتلك «الورقة» يومًا أي قيمة على الإطلاق، لكنَّ هذا السؤال لن يُجاب عنه أبدًا.

وبينما كانت مسألة الموظفين تلك تُطبخ على نار هادئة، بلغت قضية ماتيس درجة الغليان. ومع ذلك، ظللتُ أتوقع تمامًا تسمية ماتيس خلفًا لكيلي، على الأرجح يوم الاثنين في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨. أخبرني كيلي ذلك الصباح في تمام الساعة السادسة والنصف صباحًا، في إحدى آخر محادثاتنا المبكرة، أن آيرس، وبعد يومين من العمل مباشرة مع ترامب كتجربة، قرر ببساطة ألاَّ يتولى الوظيفة. كان كيلي مقتنعًا أيضًا بأن ترامب يخطط لمبادلة هالي ببنس كمرشح لنائب الرئيس في العام ٢٠٢٠، مما سيضع آيرس في وضع مستحيل. على أي حال، لقد عدنا إلى المربع الأول، وعرف العالم كله ذلك. كان الخبر السار الوحيد هو أن بات سيبولون بدأ العمل كمستشار في البيت الأبيض في ١٠ كانون الأول/ديسمبر، في الوقت المناسب تمامًا. سرعان ما أصبح رحيل ماتيس علنيًا للغاية.

تنافس مرشحون كثر، من داخل البيت الأبيض و خارجه، على منصب رئيس الموظفين، لكنَّ ترامب غرد في ١٤ كانون الأول/ديسمبر أنَّ ميك مولفاني، مدير مكتب الإدارة والموازنة، سيكون رئيس الموظفين بالإنابة متى غادر كيلي. جاء كوشنر بعد ظهر ذلك اليوم ليقول إنه مسرور بالقرار

وإنّ جزئية «الإنابة» في مسمى الوظيفة كانت مجرد تمثيلية. عندما جمعت الأمور معًا لاحقًا، وجدت أنه لم تُجرَ مفاوضات حقيقية بين ترامب ومولفاني حول شروط الوظيفة، لذلك صدمني القرار باعتباره متهورًا إلى حد ما. اعتقد بومبيو أن مولفاني سيقوم بكل ما تريد إيفانكا وكوشنر منه أن يفعله، وهو ما أقلقنا جدًا، لكننا حاولنا التصرف بهدوء. سرى التسليم والتسلم بين كيلي ومولفاني في ٢ كانون الثاني/يناير.

في مقابلة في تشرين الأول/أكتوبر، في خضم أزمة أوكرانيا ومساءلة الرئيس الأميركي بهدف عزله، قال كيلي إنه أخبر ترامب: «مهما فعلت-وكنا حينها ما زلنا في صدد محاولة العثور على شخص ليحل محلي-قلتُ مهما فعلت، لا توظف رجلاً يوافق على كل شيء، رجلاً لن يقول لك الحقيقة. لا تفعل ذلك. لأنك إن قُمتَ بذلك، أعتقد أنه سيتم عزلك»[1]. نفى ترامب بشكل قاطع أن يكون كيلي قد أدلى بمثل هذا الكلام: «جون كيلي لم يقل ذلك قط، لم يقل شيئًا من هذا القبيل يومًا. لو قال ذلك لكنت طردته من المكتب. إنه يريد فقط العودة إلى واجهة الأحداث كما يفعل الجميع»[2]. وأصبحت ستيفاني غريشام التي كانت سابقًا إحدى أشد المناوئات للسيدة الأولى الآن السكرتيرة الصحافية للبيت الأبيض، بصلاحيات كاملة. وقالت: «لقد عملتُ مع جون كيلي، وكان غير مؤهل تمامًا للتعامل مع عبقرية رئيسنا العظيم»[3]. هذه الاقتباسات تتحدث كفايةً عن الأشخاص الذين نطقوا بها.

مع رحيل كيلي وتعيين مولفاني، توقفت جميع الجهود الفعالة في إدارة المكتب التنفيذي للرئيس. تلاشت استراتيجية السياسة الداخلية والاستراتيجية السياسية، ولم تكونا يومًا آليتين قويتين؛ تدهورت قرارات التعيينات أكثر، وانتشرت الفوضى العامة. أعقبت ذلك أزمة أوكرانيا. توافرت أدلة كثيرة على أن فرضية كيلي كانت صحيحة تمامًا.

---

(١) See Scott McDonald, "John Kelly's 'Yes Man' Comments on Trump Ripped Through Social Media," https://www.newsweek.com/john-kellys-yes-man-comments-trump-ripped-through-social-media-1467986

(٢) See Caroline Kelly et al., "White House: John Kelly 'was totally unequipped to handle the genius of our great President," https://www.cnn.com/2019/10/26/politics/john-kelly-trump-yes-man/index.html

(٣) See Rachel Frazin, "Grisham: John Kelly ill-equipped to work with 'the genius of our great president,'" https://thehill.com/homenews/administration/467602-grisham-john-kelly-ill-equipped-to-work-with-the-genius-of-the

الفصل التاسع

فنزويلا حرة

قدَّم نظام فنزويلا غير الشرعي، وهو أحد أكثر الأنظمة القمعية في نصف الكرة الغربي، فرصة لإدارة ترامب. لكنّها تطلبت تصميمًا حازمًا من جانبنا وضغطًا ثابتًا وشاملاً لا يلين. فشلنا في تلبية هذا المعيار. تأرجح الرئيس وتردد، مما أدى إلى تفاقم الخلافات داخل الإدارة وليس إلى حلها، وأعاق مرارًا جهودنا لتنفيذ سياسة. لم نكن أبداً مفرطين في ثقتنا بنجاح دعم جهود المعارضة الفنزويلية لاستبدال نيكولاس مادورو، وريث هوغو تشافيز. كان الأمر معاكساً. تحرك معارضو مادورو في كانون الثاني/يناير ٢٠١٩ لأنهم شعروا بقوة أن تلك الفرصة قد تكون الأخيرة للوصول إلى الحرية، بعد أعوام من المحاولة والفشل. استجابت أميركا لأن من مصلحتنا الوطنية القيام بذلك. مازال ذلك هو مصلحتنا، وسيستمر النضال.

بعد الجهود الفاشلة لإسقاط مادورو، لم تتردد إدارة ترامب في مناقشة مدى اقتراب المعارضة من الإطاحة بمادورو، وما الخطأ الذي حدث، وذلك بشكل علني وبالتفصيل. كررت العديد من القصص الصحافية تفاصيل عما سمعناه باستمرار من المعارضة خلال العام ٢٠١٩، والتي تمت مناقشتها في النص. لم تكن حالاً طبيعية من المحادثات والتبادلات الدبلوماسية، علاوةً على ما سمعناه من العديد من أعضاء الكونغرس والمواطنين الأميركيين العاديين، وخاصة أعضاء الجاليات الكوبية-الأميركية والفنزويلية-الأميركية في فلوريدا. يومًا ما، عندما تتحرر فنزويلا مجددًا، سيكون العديد من الأفراد الذين يدعمون المعارضة أحرارًا في سرد قصصهم علنًا. حتى ذلك الحين، لدينا فقط ذكريات أناس مثلي محظوظين كفايةً ليتمكنوا من سرد قصص هؤلاء، بدلاً منهم[1].

شهدت فنزويلا على مدى عقدين من الزمن تاريخًا من الفرص الضائعة، نظرًا إلى المعارضة الشديدة والواسعة الانتشار لنظام تشافيز-مادورو. بعد أن أصبحتُ مستشار الأمن القومي بزمن

(١) See, e.g., the interview with Elliott Abrams, the State Department's point person on Venezuela, in David Luhnow and José de Córdoba, "Venezuela's Government Held Talks With Government on Ousting Maduro," May 1, 2019, https://www.wsj.com/articles/venezuelas-opposition-held-talks-with-government-on-ousting-maduro-11556767656

قصير، وبينما كان مادورو يتحدث في حفل توزيع الجوائز العسكرية في ٤ آب/أغسطس، تعرض لهجوم من طيارتين بدون طيار. أظهر الهجوم، بعد فشله، انشقاقًا حاداً داخل الجيش. وأبانت الصور المضحكة للعناصر في الخدمة الذين فروا سريعاً على صوت الانفجارات، مدى «ولاء» الجيش لمادورو، على الرغم من دعاية النظام.

شكّل نظام مادورو الاستبدادي تهديدًا بسبب ارتباطه بكوبا والانفتاح الذي منحه لروسيا والصين وإيران. كان تهديد موسكو لا ريب فيه، عسكريًا وماليًا، بعد أن أنفقت موارد جوهرية لدعم مادورو، وسيطرت على صناعة النفط والغاز الفنزويلي، وفرضت تكاليف على الولايات المتحدة. لم تكن بكين متخلفة عنها كثيرًا. رأى ترامب ذلك، وأخبرني بعد مكالمة في يوم رأس السنة الجديدة ٢٠١٩ مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي أنه قلق من روسيا والصين: «لا أريد أن أشاهد ذلك مكتوف اليدين». لم تتصدر فنزويلا أولوياتي عندما بدأتُ عملي، لكن إدارة الأمن القومي الكفوءة تتطلب المرونة عند ظهور تهديدات أو فرص جديدة. كانت فنزويلا حالاً طارئة من هذا النوع. لقد عارضت أميركا التهديدات الخارجية في نصف الكرة الغربي منذ ظهور عقيدة مونرو، وقد حان الوقت لإحيائها بعد جهود أوباما-كيري لدفنها.

كانت فنزويلا تهديدًا قائماً بذاته، كما اتضح في حادثة ٢٢ كانون الأول/ديسمبر في البحر، على طول الحدود بين غويانا وفنزويلا. حاولت الوحدات البحرية الفنزويلية الصعود إلى سفن الاستكشاف التابعة لإكسون موبيل الحائزة على ترخيص من غويانا في مياهها الإقليمية. لقد قاد تشافيز ومادورو صناعة النفط والغاز في فنزويلا إلى الحضيض، وستشكل موارد الهيدروكربونات الضخمة في غويانا تهديدًا تنافسيًا فوريًا في الجوار. انتهت الحادثة بينما عادت سفن الاستكشاف بسرعة إلى مياه غويانا غير القابلة للمنازعة، بعد رفضها طلب الفنزويليين بهبوط مروحية على متن إحداها.

بعد وقت قصير من هجوم الطيارات بدون طيار، وخلال اجتماع غير ذي صلة في ١٥ آب/أغسطس، حضر موضوع فنزويلا، فقال لي ترامب بشكل قاطع: «أنجز المهمة»، مما يعني تخلص من نظام مادورو. وتابع: «إنها المرة الخامسة التي أطلب فيها ذلك». لقد وصفتُ الطريقة العقلانية التي كنا نتبعها، في اجتماع ضَمَني وكيلي فقط إلى الرئيس، لكن ترامب أصر على أنه يريد خيارات عسكرية لفنزويلا، ثم الاحتفاظ بها، لأنها «جزء فعلي من الولايات المتحدة». فاجأني بدايةً هذا الاهتمام الرئاسي في مناقشة الخيارات العسكرية، ولكن ما كان يجب أنْ أتفاجأ: على ما علمت، لقد دعا إليها ترامب سابقًا، رداً على سؤال صحافي، قبل عام تقريبًا، في ١١ آب/أغسطس ٢٠١٧، في بيدمينستر، نيو جيرسي:

> «لدينا العديد من الخيارات لفنزويلا، وبالمناسبة، لن أستبعد الخيار العسكري. لدينا العديد من الخيارات لفنزويلا. إنها جارتنا... هذا هو الحال-نحن حاضرون في كل أنحاء العالم. وقواتنا منتشرة في كل أنحاء العالم في أماكن بعيدة جدًا جدًا. فنزويلا ليست بعيدة جدًا،

والناس يعانون، وهم يموتون. لدينا العديد من الخيارات لفنزويلا، بما في ذلك خيار عسكري محتمل، إذا لزم الأمر»[1].

شرحتُ لماذا لم تكن القوة العسكرية هي الحل، خاصةً بالنظر إلى معارضة الكونغرس الحتمية، ولكن باستطاعتنا تحقيق الهدف نفسه من خلال العمل مع خصوم مادورو. قررتُ بعد ذلك أن أسلط الضوء على فنزويلا، وألقيتُ خطابًا في ميامي في ١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، غطته وسائل الإعلام على نطاق واسع، أدنتُ فيه «ترويكا الاستبداد» في نصف الكرة الغربي: فنزويلا وكوبا ونيكارغوا. أعلنتُ أن الإدارة، في سعيها المستمر لتغيير اتجاه سياسة أوباما في كوبا، ستفرض عقوبات جديدة على هافانا، وستنفذ أيضًا أمرًا تنفيذيًا جديدًا يقيِّد قدرة قطاع الذهب في فنزويلا، والذي استخدمه النظام لتعويم نفسه من خلال بيع الذهب من البنك المركزي الفنزويلي. شدَّد خطاب «ترويكا الاستبداد» علي الاتحاد بين الحكومات الاستبدادية الثلاث، ووضع الأساس لسياسة أكثر ميلاً للتقدم إلى الأمام. أعجب ترامب بعبارة «ترويكا الاستبداد»، وقال لي: «الخطابات التي تلقيها عظيمة»؛ كتب ذلك الخطاب، على ما أشرت، أحد كتاب خطاباته.

بالطبع، كان ترامب أيضًا يقول بين وقت وآخر إنه يريد أن يجتمع مع مادورو لحل كل مشاكلنا مع فنزويلا، وهو ما لم نعتقد، لا أنا ولا بومبيو، أنه فكرة سديدة. في وقت ما في كانون الأول/ديسمبر، التقيتُ مصادفةً برودي جولياني في الجناح الغربي. طلب أن يأتي لرؤيتي بعد اجتماع لمحامي ترامب، كان سبب وجوده هناك. حمل رسالة من النائب بيت سيشنر الذي طالما دعا ترامب إلى الاجتماع مع مادورو، وكذلك فعل السيناتور بوب كوركر، لأسباب يعرفانها هما جيداً. عند مناقشة الأمر لاحقًا، اقترح بومبيو أن نرسل أولاً شخصًا ما لرؤية مادورو، على الرغم من أنَّ شيئًا لم يحدث، بسبب تضاؤل اهتمام ترامب بالتحدث مع مادورو بعد ذلك.

وقع الانفجار الكبير في فنزويلا يوم الجمعة ١١ كانون الثاني/يناير. أعلن الرئيس الشاب الجديد للجمعية الوطنية، خوان غوايدو، في مسيرة حاشدة في كاراكاس أنَّ الجمعية تعتقد أنَّ إعادة انتخاب مادورو الاحتيالية بوضوح في ٢٠١٨ غير شرعية، وبالتالي غير صالحة. وبناء على ذلك، أعلنت الجمعية، المؤسسة الوحيدة الشرعية والمنتخبة شعبيًا في فنزويلا، أنَّ الرئاسة الفنزويلية شاغرة. وبموجب بند الشغور من الدستور الذي أقر في أيام هوغو تشافيز، قال غوايدو إنه سيصبح رئيسًا مؤقتًا في ٢٣ كانون الثاني/يناير، وهي الذكرى السنوية للانقلاب العسكري في العام ١٩٥٨ الذي أطاح بدكتاتورية ماركوس

(١) See New York Times, “Trump Alarms Venezuela With Talk of a ‘Military Option,’” August 12, 2017, https://www.nytimes.com/2017/08/12/world/americas/trump-venezuela-military.html and Christopher Woody, “Trump: ‘I'm not going to rule out a military option’ for Venezuela, August 11, 2017, https://www.businessinsider.com/trump-im-not-going-to-rule-out-a-military-option-for-venezuela-2017-8

بيريز خيمينيز، ويخلع مادورو من منصبه لإعداد انتخابات جديدة(١). علمت الولايات المتحدة متأخرة أنَّ الجمعية الوطنية سوف تتحرك في هذا الاتجاه. لم نلعب أي دور في تشجيع المعارضة أو مساعدتها. لقد رأوا أنَّ هذه اللحظة هي فرصتهم الأخيرة. كان كل شيء الآن على المحك في فنزويلا، وكان علينا أن نقرر كيفية الرد. هل نجلس و«نتفرج»؟ أم نتصرف؟ لم يكن لدي شك في ما يجب علينا القيام به. كانت الثورة مستمرة. طلبتُ من موريسيو كلافير كارون، الذي اخترته حديثاً مديرًا أول لمجلس الأمن القومي لنصف الكرة الغربي، إصدار بيان دعم(٢).

أطلعتُ ترامب على ما حدث، مقاطعًا اجتماعًا تجاوز مدته المقررة مع شخص من خارج البيت الأبيض. على الرغم من ذلك، غضب ترامب من مقاطعته لإبلاغه عن مجرد تغيير محتمل في فنزويلا، قائلاً إن علي أن أضع البيان باسمي، وليس باسمه. كان بإمكاني أن أذكِّره أنَّه قال قبل أقل من عشرة أيام: «لا أريد أن أجلس مكتوف اليدين»، وربما كان يجب أن أفعل ذلك، لكنني اكتفيت بإصدار البيان باسمي. رد مادورو بقسوة، وهدد أعضاء الجمعية الوطنية وعائلاتهم. وقبضت على غوايدو نفسه قوة من قوى الشرطة السرية التابعة للنظام، لكنَّها أفرجت عنه سريعًا(٣). سرت تكهنات بأن الكوبيين في الواقع هم من قبضوا على غوايدو، لكنَّ إطلاق سراحه يشير إلى ارتباك حقيقي في النظام، وتلك علامة جيدة(٤).

(١) See Siobhán O'Grady, "As Maduro clashes with opposition, Washington engages in 'careful little dance' with Venezuela," January 12, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/2019/01/12/maduro-clashes-with-opposition-washington-engages-careful-little-dance-with-venezuela/

(٢) قال المتحدث باسم وزارة الخارجية روبرت بالادينو: «لقد حان الوقت لبدء الانتقال المنظم إلى حكومة جديدة. نحن ندعم دعوة الجمعية الوطنية لجميع الفنزويليين للعمل معًا بشكل سلمي لاستعادة الحكومة الدستورية وبناء مستقبل أفضل». المرجع السابق.

(٣) See Ana Vanessa Herrero, "Venezuela Opposition Leader Is Arrested After Proposing to Take Power," January 13, 2019, https://www.nytimes.com/2019/01/13/world/americas/venezeula-juan-guaido-arrest.html

(٤) في الواقع، كان الارتباك داخل نظام مادورو، (انظر المرجع نفسه)، إشارة إلى أن القوى الخارجية كانت ربما تتدخل. إن التواجد الكوبي في فنزويلا، ولا سيما الدور الرئيسي الذي يلعبونه في إبقاء نظام مادورو قائمًا، موثق بشكل واف. كما هو متوقع، تنكر كوبا كل شيء.

See, e.g., Ethan Bronner, Alex Vasquez, and David Wainer, "How Has Maduro Survived? With Lots of Help from Cuban Operatives," April 1,2019, https://www.bloomberg.com/news/articles/2019-04-01/how-has-maduro-survived-with-lots-of-help-from-cuban-operatives; Jorge C. Carrasco, "Venezuelan Democracy Was Strangled by Cuba," May 14, 2019, https://foreignpolicy.com/2019/05/14/venezuelan-democracy-was-strangled-by-cuba/;"https://www.geopoliticalmonitor.com/author/josemiguel/"Jose Miguel Alonso-Trabanco, "Cuba's intelligence Masterstroke in Venezuela," August 9, 2018, https://www.geopoliticalmonitor.com/cubas-intelligence-masterstroke-in-venezuela/; and Adam Taylor, "How many Cuban troops are there in Venezuela? The U.S. says over 20,000. Cuba says zero." May 2, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/2019/05/02/how-many-cuban-troops-are-there-venezuela-us-says-over-cuba-says-zero/

كما غردتُ أوّل تغريدة، من جُملة تغريدات كثيرة لاحقة عن الوضع في فنزويلا، مُديناً اعتقال ديكتاتورية مادورو لغوايدو. وقد شعرتُ بتأثر لأنّ حكومة مادورو اتهمتني فورًا بقيادة انقلاب «ضد ديمقراطية فنزويلا»[1]، وهو نهج اتبعه خصوم آخرون هاجموا مستشاري ترامب. والأهم من ذلك، بدأنا في إعداد الخطوات التي سنتخذها فورًا ضد نظام مادورو، وكذلك كوبا، حاميته وموجهته على الأرجح، ونيكاراغوا. لمَ لا نطال الثلاثة في آن واحد؟ كانت عقوبات النفط خيارًا طبيعيًا، ولكنْ لمَ لا نعلن فنزويلا «دولةَ راعية للإرهاب»، وهو أمر اقترحته للمرة الأولى في ١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٨، ونعيد كوبا إلى القائمة بعد أن أزالها أوباما؟

في عهد تشافيز والآن مادورو، تراجعت عائدات فنزويلا من الصادرات المرتبطة بالنفط بشكل كبير، حيث انخفض الإنتاج نفسه من حوالي ٣,٣ مليون برميل من النفط الذي كان يُضخ يوميًا عندما تولى شافيز السلطة في العام ١٩٩٩، إلى حوالى ١,١ مليون برميل يوميًا في كانون الثاني/يناير ٢٠١٩. هذا الانخفاض الشديد الذي أسقط فنزويلا إلى مستويات إنتاج لم تشهدها منذ أربعينات القرن الماضي، أدى إلى إفقار البلاد بشكل كبير. إن دفع إنتاج احتكار النفط المملوك للدولة إلى أدنى حد ممكن، والذي دعمته المعارضة بالكامل[2]، ربما كان كافيًا لتحطيم نظام مادورو. كانت هناك العديد من العقوبات الأخرى اللازمة للقضاء على تدفقات المداخيل غير المشروعة للنظام- وخاصة الاتجار بالمخدرات مع إرهابيي المخدرات الذين يعملون في المقام الأول في كولومبيا، عبر الملاذات الآمنة في فنزويلا- ولكن ضرب شركة النفط كان الأمر الأساسي[3].

في ١٤ كانون الثاني/يناير، عقدت اجتماعاً للجنة الرؤساء في غرفة العمليات للنظر في خياراتنا لمعاقبة نظام مادورو، وخاصة قطاع البترول. اعتقدتُ أنّ الوقت حان لممارسة الضغوط وسألت: «لمَ لا نمضي للفوز هنا؟». بدا واضحًا سريعًا أنّ الجميع أرادوا اتخاذ إجراءات حاسمة، باستثناء وزير الخزانة منوشين. أراد أن نفرض القليل من العقوبات أو لاشيء منها، بحجة أننا إذا تصرفنا، فإننا نُخاطر بأن يؤمم مادورو القليل المتبقي من استثمارات قطاع النفط الأميركي في فنزويلا، مما يرفع أسعار النفط العالمية. أراد منوشين أساسًا ضمانًا بأننا سننجح، وأنّ مادورو سيسقط، إذا فرضنا

(١) See Jennifer Hansler, Flora Charner and Zachary Cohen, "US orders non-emergency personnel out of Venezuela," January 25, 2019, https://www.cnn.com/2019/01/24/politics/pompeo-bolton-venezuela-maduro/index.html

(٢) See Associated Press, "The Latest: Venezuela opposition leader backs US sanctions," January 29, 2019, https://apnews.com/aea46490266049c6a20a6aba29efc2ca

(٣) See Nick Paton Walsh, Natalie Gallón, and Diana Castrillon, "Corruption in Venezuela has created a cocaine superhighway to the US," April 17, 2019, https://www.cnn.com/2019/04/17/americas/venezuela-drug-cocaine -trafficking-intl/index.html

عقوبات. كان ذلك مستحيلاً طبعًا. لعلَّ الذكرى الوحيدة التي احتفظت بها عن منوشين في الإدارة هي هذه-على الرغم من وجود نسخ كربونية كثيرة عنها: منوشين يعارض الإجراءات الصارمة، خاصة ضد الصين. لمَ لَمْ تكن عقوباتنا أحيانًا شاملة وفعالة كما يجب أن تكون؟ لا ضرورة للبحث كثيرًا. على ما قال لي وزير التجارة ويلبر روس (وهو ممول مشهور، ومحافظ أكثر بكثير سياسيًا من منوشين الذي كان ديمقراطيًا أساسًا) في نيسان/أبريل: «إنَّ ستيفن قلق بشأن الآثار الثانوية على الشركات الأميركية أكثر منه حول المهمة»، وكان ذلك دقيقاً بالكامل. كانت حجة منوشين للسلبية اقتصادية تمامًا، لذلك كان من المهم أن يرد لاري كودلو بسرعة ليقول: «وجهة نظر جون هي وجهة نظري أيضًا». وأضاف كيث كيلوغ أنَّ بنس يعتقد أننا يجب أن «نبذل قصارى جهدنا» ضد شركة النفط المملوكة للدولة في فنزويلا. كان لهذا تأثير هائل لأنَّ بنس نادرًا ما عرض وجهات نظره في مثل هذه الحالات، لتجنب مواجهة مع الرئيس. كان بومبيو مسافرًا، لكن وكيل وزير الخارجية جون سوليفان أيد فرض عقوبات، على الرغم من أنه لم يحددها بدقة كبيرة. كان وزير الطاقة ريك بيري يؤيد بشدة فرض عقوبات صارمة، متجاهلًا مخاوف منوشين على أصول النفط والغاز الأميركية المحدودة في فنزويلا.

كان منوشين الصوت المعارض الوحيد، لذلك قلتُ إننا سنرسل إلى ترامب مذكرة قرار مجزأة؛ يجب على الجميع تضمين حججهم فيها فورًا لأننا كنا نتحرك بسرعة. عرض بنس في وقت سابق الاتصال بغوايدو للتعبير عن دعمنا، ووجدتها فكرة سديدة بعد سماع منوشين. جرى الاتصال بشكل جيد، مما زاد من ضرورة تفاعل أميركا بشيء أكبر من مجرد خطاب يمدح الجمعية الوطنية الفنزويلية. ومع ذلك، واصل منوشين حملته لعدم اتخاذ أي إجراء؛ أخبرني بومبيو أنه أجرى اتصالاً لمدة ثلاثين دقيقة مع منوشين يوم الخميس، وأنه عارض فرض العقوبات على دفعات. أجبتُ أن الفرصة متاحة لنا الآن للإطاحة بمادورو، وقد يمر زمن طويل قبل أن نحظى بفرصة أخرى مؤاتية مثل *هذه*. فالعقوبات المجزأة لن تفعل فعلها. وافق بومبيو على عدم رغبتنا في تكرار سياسة أوباما العام ٢٠٠٩، حين راقبت الولايات المتحدة قمع الاحتجاجات المؤيدة للديمقراطية في إيران من دون أن تفعل شيئًا. بدا أن بومبيو يتحرك في الاتجاه الصحيح. حتى منظمة الدول الأميركية التي كانت إحدى أكثر المنظمات الدولية احتضارًا منذ فترة طويلة (وذلك له مغزى)، «انبعثت» لمساعدة غوايدو، حيث وقف عدد متزايد من دول أميركا اللاتينية لإعلان دعمه للجمعية الوطنية المتمردة في فنزويلا.

أظهرت حقيقة بقاء غوايدو حرًا أنَّ لدينا فرصة. كنا بحاجة إلى قرار ترامب بشأن العقوبات وهل كان علينا الاعتراف بغوايدو رئيسًا مؤقتًا شرعيًا عندما عَبَرَ خط اللارجوع في ٢٣ كانون الثاني/ يناير. في الحادي والعشرين، شرحت لترامب الخطوات السياسية والاقتصادية المحتملة التي يجب

اتخاذها ضد مادورو وقلتُ إن الكثير يعتمد على ما حدث بعد ذلك بيومين. شكك ترامب في أن مادورو سيسقط، قائلاً إنه «ذكي للغاية وصارم جدًا»، وكانت هذه مفاجأة أخرى، نظرًا للتعليقات السابقة على استقرار النظام. (لقد قال قبل فترة وجيزة فقط، في ٢٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٨، في نيويورك، إنه «نظام يمكن، بصراحة، أن يطيح به الجيش بسرعة كبيرة، إذا قرر الجيش القيام بذلك»[١]). أضاف ترامب أنه يريد أيضًا الحصول على أكبر مجموعة من الخيارات ضد النظام[٢]، الطلب الذي نقلته إلى دانفورد في وقت لاحق من ذلك اليوم. ناقشتُ مع دانفورد كذلك ما قد يكون مطلوبًا إذا سارت الأمور بشكل سيئ في كاراكاس، مما قد يعرض حياة الموظفين الأميركيين الرسميين، وحتى المواطنين الأميركيين العاديين، للخطر هناك، وبالتالي ربما يستلزم الأمر إخلاء «من دون إذن» السلطات الفنزويلية لمن هم في خطر.

كلّما فكرتُ في الأمر أكثر، كلّما أدركتُ أنّ القرار السياسي بالاعتراف بغوايدو رئيسًا أصبح الآن مهمًا أكثر من العقوبات على النفط. أوّلاً، سيكون للاعتراف الأميركي آثار كبيرة على مجلس الاحتياطي الفدرالي، وبالتالي على البنوك في جميع أنحاء العالم. سيحوّل الاحتياطي الفدرالي تلقائيًا السيطرة على الأصول الحكومية الفنزويلية التي يمتلكها إلى الإدارة التي يقودها غوايدو. لسوء الحظ، كما اكتشفنا، كان نظام مادورو بارعًا للغاية في سرقة تلك الأصول أو تبديدها، ولم يتبقَ منها الكثير. لكنّ العواقب المالية الدولية للاعتراف كانت مع ذلك كبيرة، لأن البنوك المركزية الأخرى والمصرفيين الخاصين لا يستطيعون الوقوف ضد الاحتياطي الفدرالي. ثانيًا، يُصبح منطق فرض عقوبات على احتكار النفط في البلاد، وغيرها من الإجراءات التي يقاومها منوشين ووزارة الخزانة، غير قابل للنقاش، متى أقررنا شرعية غوايدو. وتحقيقًا لهذه الغاية، حددتُ موعدًا لاجتماع عند الساعة الثامنة صباحًا في ٢٢ كانون الثاني/يناير، مع بومبيو ومنوشين وويلبر روس وكادلو.

داخل فنزويلا، كانت التوترات تتصاعد. ففي الساعات التي سبقت لقاءنا، حدثت مظاهرات طوال الليل، بما يشمل «الكاسيروزيلوس»، أي التجمعات التقليدية التي تخلق ضوضاء عن طريق

---

(١) See "Remarks by President Trump and President Duqué of Colombia Before Bilateral Meeting," September 25, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-president-duque-republic-colombia-bilateral-meetings/

(٢) كان هذا بالضبط ما كنا نقوله علانية طوال الأزمة، بناء على طلب ترامب.

See, e.g., John Allen, "Bolton: All options are on the table for Trump in Venezuela," January 28, 2019, https://www.nbcnews.com/politics/white-house/bolton-all-options-are-table-trump-venezuela-n963681; and Ellen Mitchell, "Bolton says 'all options are on the table' in Venezuela as protests intensify," April 30, 2019, https://thehill.com/homenews/administration/441426-bolton-says-all-options-are-on-the-table-in-venezuela-as-protests

ضرب القدور والمقالي، في أفقر مناطق كاراكاس، القاعدة الأصلية لـ «التشافيزية». كان النقص في السلع الأساسية يتزايد، وسيطر المتظاهرون لفترة وجيزة على الطرق المؤدية إلى مطار كاراكاس. وبدا أنه لن يستطيع فتح هذه الطرق سوى «الكوليكتيفوس»، وهي العصابات المسلحة المؤلفة من «بلطجية» على الدراجات النارية استخدمها تشافيز ومادورو لزرع الرعب وترهيب المعارضة، وكانت المعارضة تعتقد أنَّ الكوبيين جهزوها ووجهوها[(١)]. لم يتدخل الجيش. وكان وزير الدفاع فلاديمير بادرينو (أحد اللاتينيين الكثيرين الذين يحملون الأسماء الأولى الروسية منذ أيام الحرب الباردة) ووزير الخارجية خورخي أريزا قد تواصلا مع المعارضة. واستكشفا مبدئيًا ما سيعنيه عفو الجمعية الوطنية عن الضباط العسكريين المنشقين إذا انتصرت المعارضة. ومع ذلك، بعد أعوام من العداء بين الجانبين، كان هنالك عدم ثقة حقيقي داخل المجتمع الفنزويلي.

مع هذه الخلفية، سألتُ إذا كان ينبغي لنا أن نعترف بغوايدو بعدما أعلنته الجمعية الوطنية رئيسًا مؤقتًا. تحدث روس أولاً، قائلاً إن من الواضح أننا يجب أن ندعم غوايدو، وأيده فورًا كودلو وبومبيو. لحسن الحظ، وافق منوشين قائلاً إننا سبق وأكدنا أنَّ مادورو غير شرعي، لذا فإن الاعتراف بغوايدو كان ببساطة الخطوة المنطقية التالية. لم نناقش ما ستكون عليه العواقب الاقتصادية؛ إما أن منوشين لم ير أن الموضوع مرتبط، وإما أنه لا يريد الدخول في جدل حول المشكلة. كلا الاحتمالين يناسبني. ناقشنا من ثمَّ خطوات أخرى: العمل مع «مجموعة ليما» غير الرسمية لدول أميركا اللاتينية كي تعترف بغوايدو (لم يتطلب منا ذلك وقتًا طويلاً)، وتعديل مستوى تحذيراتنا المتعلقة بالسفر، والنظر في كيفية التخلص من الكوبيين، ومعالجة مشكلة القوات شبه العسكرية الروسية التي قيل إنها تصل إلى فنزويلا لحماية مادورو[(٢)]. اعتبرتُ الاجتماع انتصارًا كاملاً.

في وقت لاحق من الصباح، تحدثت مع ترامب، الذي أراد الآن ضمانات بشأن الوصول إلى موارد فنزويلا النفطية بعد رحيل مادورو، محاولاً التأكد من أن الصين وروسيا لن تستمرا في الاستفادة

---

(١) See Mary Beth Sheridan, "Maduro's muscle: Politically backed motorcycle gangs known as 'colectivos' are the enforcers for Venezuela's authoritarian leader," March 14, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/the_americas/maduros-muscle-politically-backed-motorcycle-gangs-known-as-colectivos-are-the-enforcers-for-venezuelas-authoritarian-leader/2019/03/13/2242068c-4452-11e9-94ab-d2dda3c0df52_story.html

(٢) ذكرت رويترز أنَّ «المقاولين العسكريين الخاصين الذين يقومون بمهام سرية لروسيا طاروا إلى فنزويلا في الأيام القليلة الماضية لتعزيز أمن الرئيس نيكولاس مادورو في مواجهة احتجاجات المعارضة المدعومة من الولايات المتحدة، وفق شخصَيْن مقربَيْن منهم».
See Maria Tsvetkovaand Anton Zverev, Reuters, "Exclusive: Kremlin-linked contractors help guard Venezuela's Maduro—Sources," January 25, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-russia-exclusive/exclusive-kremlin-linked-contractors-help-guard-venezuelas-maduro-sources-idUSKCN1PJ22M

من صفقاتهما مع نظام تشافيز-مادورو غير المشروع. كان ترامب، كالعادة، يواجه صعوبة في التمييز بين الإجراءات المسؤولة لحماية المصالح الأميركية المشروعة، وبين ما يصل إلى حدٍّ مبالغ فيه لن تفكِّر فيه أي حكومة أخرى، وخاصةً حكومة ديمقراطية. اقترحتُ أن يثير بنس المسألة مع غوايدو في المكالمة المقرر إجراؤها في وقت لاحق من ذلك اليوم، ووافق ترامب. كما اتصلت بعدد من أعضاء وفد الكونغرس في فلوريدا الذين سيلتقون ترامب بعد الظهر لمناقشة مسألة فنزويلا، لذا كانوا مستعدين في حال طُرحت قضية النفط. قدَّم السيناتوران ماركو روبيو وريك سكوت، والنائبان لينكولن دياز بالارت ورون ديسانتس، دعمًا قويًّا لإسقاط مادورو، حيث قال روبيو: «قد تكون هذه الفرصة الأخيرة»، وإن النجاح سيكون «فوزًا كبيرًا للسياسة الخارجية». خلال الاجتماع، أوضحوا أنَّ الجمعية الوطنية تعتقد أنَّ العديد من صفقات الأعمال الروسية والصينية أُنجزت عن طريق الرشاوى والفساد، مما يسهِّل إبطالها متى تشكَّلت حكومة جديدة[1]. كانت المناقشة مفيدة للغاية، ووافق ترامب بشكل لا لبس فيه على الاعتراف بغوايدو، وهو ما كان بنس، الذي حضر الاجتماع، على استعداد تام للقيام به. أضاف ترامب لاحقًا، بشكلٍ لا يُساعد: «أريده أن يقول إنه سيكون موالياً إلى أبعد الحدود للولايات المتحدة، ولا أحد آخر».

ظل ترامب يريد خيارًا عسكريًا، وأثار الموضوع مع أعضاء الوفد الجمهوري من فلوريدا، ففوجئوا بشكل جلي، باستثناء روبيو الذي سمع به من قبل وعرف كيف يتجنبه بأدب. اتصلتُ لاحقًا بشاناهان ودانفورد لأسأل عن وجهة تفكيرهما. لم يعتقد أحد منا أنَّ الخيار العسكري مستحسن في هذه المرحلة. أما أنا، فقد أجريتُ هذه المناورة لإبقاء ترامب مهتمًا بهدف الإطاحة بمادورو فحسب، من دون إضاعة الكثير من الوقت على أمر غير مجد. سيتعين على البنتاغون أن يبدأ من المربع الأول، لأنَّ وزير الخارجية جون كيري أعلن في ظل إدارةٍ أوباما عن نهاية عقيدة مونرو[2]، وهو خطأ تردد صداه في جميع إدارات ووكالات الأمن القومي وكانت له آثار متوقعة. لكنه دليل على ما اعتقد بعض الناس أنها كانت مزحة، عندما علق ترامب لاحقًا قائلاً إنه كان علي أن أمنعه. كان على حق بشأن فنزويلا. قال دانفورد بأدب في نهاية اتصالنا إنه يقدر محاولتي مساعدته على فهم كيف ستطرح ربما مسألة تدخل جيشنا. طبعًا، كان عملي هو الجزء السهل، وختمتُ بالقول: «كل ما كان علي فعله هو إجراء المكالمة». أصبحت المشكلة الآن في ملعب دانفورد. فضحك وقال: «ألصقها بي. أنا لها!». على الأقل، كان لايزال يملك روح الدعابة.

(١) See Jessica Donati, Ian Talley and Andrew Scurria, "Venezuela's Opposition Leader Guaidó to Name New Citgo Board, Rubio Says," February 6, 2019, https://www.wsj.com/articles/venezuelas-opposition-leader-guaido-to-name-new-citgo-board-sen-rubio-says-11549501327

(٢) See Keith Johnson, "Kerry Makes It Official: 'Era of Monroe Doctrine Is Over,'" November 18, 2013, https://blogs.wsj.com/washwire/2013/11/18/kerry-makes-it-official-era-of-monroe-doctrine-is-over/

طلب مني بنس أن أنضم إليه في مكتبه لإجراء المكالمة مع غوايدو والتي بدأت حوالى الساعة السادسة والربع. أعرب غوايدو عن امتنانه الكبير لفيديو داعم وزعه بنس في وقت سابق عبر الإنترنت، وتحدث الإثنان بشكل ممتاز. عبّر بنس مجددًا عن دعمنا، وأجاب غوايدو بإيجابية، وإن بشكل عام، حول أداء المعارضة إذا انتصرت. وقال إنّ فنزويلا سعيدة للغاية بالدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة، وستعمل بتعاون معنا، نظرًا إلى المخاطر التي نتحملها. شعرتُ أنّ ذلك يجب أن يرضي ترامب. بعد المكالمة، ملتُ فوق مكتب بنس لمصافحته، قائلًا: «إنها لحظة تاريخية». اقترح أن نذهب إلى المكتب البيضاوي لإطلاع ترامب على النتيجة، ففرح بها جدًا، متطلعًا إلى البيان الذي سيدلي به في اليوم التالي.

اتصل بي حوالى الساعة ٩:٢٥ صباحًا في الثالث والعشرين ليقول إنّ مسودة البيان الذي سيصدر عندما تستند الجمعية الوطنية رسميًا إلى الدستور الفنزويلي للتحرك ضد مادورو كان «جميلًا»، مضيفًا: «ما قلت ذلك من قبل أبدًا»[١]. لقد شكرتُه وقلتُ إننا سنبقيه على اطلاع. ظهر غوايدو أمام حشد كبير في كاراكاس (الأكبر، وفق سفارتنا، في تاريخ عشرين عامًا من نظام حكم تشافيز-مادورو)، وأقسم اليمين لتولي منصب الرئيس بالوكالة. مسار التحرك تحدد ولا يمكن تغييره. دخل بنس لتبادل المصافحة، وأصدرنا بيان ترامب فورًا. خشينا انتشارًا وشيكًا للقوات المسلحة، لكنّ شيئًا لم يحدث (على الرغم من أن التقارير أشارت إلى أنّ «الكوليكتيفوس» قتلوا أربعة أشخاص الليلة الماضية)[٢]. قدّمت سفارة الولايات المتحدة في كاراكاس أوراق اعتمادها إلى حكومة غوايدو الجديدة، إلى جانب سفراء مجموعة ليما، كتعبير عن الدعم. لقد أطلعتُ ترامب على أحداث اليوم عند حوالى الساعة السادسة والنصف مساءً، وبدا ثابتًا على موقفه.

في اليوم التالي، عقد وزير الدفاع بادرينو ومجموعة من الجنرالات مؤتمرًا صحافيًا لإعلان الولاء لمادورو، وهو ما لم نكن نريده، لكنّه لم ينعكس في النشاط العسكري الفعلي حتى تلك اللحظة. اعتقدت المعارضة أنّ ٨٠ في المئة أو أكثر من العسكر، وكذلك معظم صغار الضباط الذين كانت عائلاتهم تعاني من المصاعب نفسها التي يعاني منها السكان المدنيون في فنزويلا عمومًا، يدعمون الحكومة الجديدة. وفي حين أنه لا يمكن تأكيد النسبة المئوية نظرًا إلى طبيعة نظام مادورو الاستبدادية، إلّا أن غوايدو كثيرًا ما أكد أنه حصل على دعم ٩٠ في المئة من سكان فنزويلا بشكل

(١) See "Statement from President Donald J. Trump Recognizing Venezuelan National Assembly President Juan Gaidó as the Interim President of Venezuela," January 23, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/statement-president-donald-j-trump-recognizing-venezuelan-national-assembly-president-juan-guaido-interim-president-venezuela/

(٢) See Deutsche Welle, "Venezuelan opposition leader Juan Guaidó declares himself acting president," January 23, 2019, https://www.dw.com/en/venezuelan-opposition-leader-juan-guaido-declares-himself-acting-president/a-47201512

عام[١]. أمَّا كبار الضباط العسكريون، من أمثال الذين ظهروا في المؤتمر الصحافي، فكانوا لايزالون على الأرجح فاسدين للغاية بسبب أعوام من حكم التشافيزية بحيث لا يمكنهم الخروج عن الصف. لكنهم من جهة أخرى، لم يأمروا الجيش بالخروج من ثكناته لسحق التمرد، خشية أن يتم عصيان هذا الأمر، ما سيشكل نهاية النظام. كان وزير الخارجية البريطاني جيريمي هنت، الموجود في واشنطن لحضور اجتماعات، مسرورًا للتعاون بشأن الخطوات التي يمكنهم اتخاذها، على سبيل المثال تجميد ودائع الذهب في بنك إنكلترا، مما يحول دون بيع النظام للذهب، لمواصلة بقائه في الحكم[٢]. كانت تلك أنواع الخطوات التي طبقناها للضغط على مادورو ماليًا. ولقد حثثت بومبيو على أن تدعم وزارة الخارجية بشكل أكمل الجهود ضد شركة النفط المملوكة للدولة، إذ كنتُ لاأزال أشعر بالقلق حيال صمود منوشين على موقفه، وهو ما وافق عليه. كان بومبيو منزعجًا أيضًا من الإشارات التي توحي بأن مادورو قد يشجع «الكوليكتيفوس» على تهديد موظفي السفارة الأميركية، وقال إن ترامب يشعر بالمثل كذلك[٣].

جاءت أول إشارة مقلقة من ترامب في ذلك المساء بعد الساعة الثامنة والنصف مساءً، عندما اتصل ليقول: «لا أحب ما نحن عليه»، في إشارة إلى فنزويلا. وأعرب عن قلقه من المؤتمر الصحافي الذي عقده بادرينو، قائلاً: «الجيش بأكمله وراءه». ثم أضاف: «لطالما قلت إنَّ مادورو صلب. ذلك الطفل [غوايدو]-لم يسمع به أحد من قبل»، و«الروس أصدروا تصريحات قاسية». هدَّأتُ مخاوف ترامب، موضحًا أنَّ الجيش لايزال في ثكناته، وهو أمر مهم للغاية، وأنَّ شخصيات عسكرية كبيرة تتحدث إلى المعارضة منذ يومين حول ما سيكون عليه وضعها إذا انتقلت إلى المعارضة أو تقاعدت. مازالت أمور كثيرة مشكوكاً في وضعها، وكلَّما مرَّ الوقت، كلَّما زاد احتمال تفكك الجيش، وهو ما نحتاجه فعلاً. لا أعتقد أنني أرضيتُ ترامب، لكنني أقلُّه أحلته إلى الصمت مجددًا. كان الله وحده يعلم مع مَنْ كان يتكلم أو هل أصيب للتو بحالة من الهوس لأنَّ الأمور لاتزال ملتبسة. كنتُ متأكدًا من شيء واحد: أي إظهار لتردد أميركي الآن سيحيل الجهد كاملاً إلى عدم. ارتبتُ في أنَّ ترامب يعلم ذلك أيضًا، لكنني ذُهلتُ من أنَّ سياستنا كانت قاب قوسين من التحوُّل بعد أكثر من ثلاثين ساعة فقط على إطلاقها. لا يمكن تعويض ذلك.

(١) See BBC News, April 1, 2019, "Venezuela crisis: Opposition's Guaidó awaits army support," https://www.bbc.com/news/world-latin-america-47769121

(٢) See, e.g., Patricia Laya, Ethan Bronner, and Tim Ross, January 25, 2019, "Maduro Stymied in Bid to Pull $1.2 Billion of Gold From U.K.," https://www.bloomberg.com/news/articles/2019-01-25/u-k-said-to-deny-maduro-s-bid-to-pull-1-2-billion-of-gold

(٣) See Hollie McKay, "As Venezuela crisis deepens, US embassy faces security challenges," January 26, 2019, https://www.foxnews.com/world/venezuela-political-aggression-puts-us-diplomats-at-risk

في صباح اليوم التالي، اتصلتُ ببومبيو لأخبره كيف تخلى ترامب عن قضية فنزويلا وللتأكد من أن بومبيو لم يكن على وشك اللحاق به. لحسن الحظ، سمعتُ رد فعل معاكسًا تمامًا، إذ قال بومبيو: «يجب أن نبذل كل جهد ممكن» لإسقاط مادورو». شجعني كلامه. فطلبت لاحقًا من كلافير-كاروني متابعة جماعة غوايدو للتأكد من أنهم يبعثون الرسائل، والأفضل عاجلاً، إلى صندوق النقد الدولي، وبنك التسويات الدولية، والمؤسسات المماثلة، كي يُعلنوا أنهم يمثلون الحكومة الشرعية[1]. اعتقد بومبيو أنَّ هنالك خطة عمل صُممت لتؤدي إلى سلامة الموظفين الأميركيين في كاراكاس، ما يسمح لنا بالتالي بالاحتفاظ ببعثة دبلوماسية صغيرة، وهو ما أراد القيام به. شرحتُ كيف أولت وزارة الخارجية غالبًا اهتمامًا كبيرًا بقضايا السلامة، لدرجة أنها قدمت تنازلات في القضايا السياسية، بحجة أنها مطلوبة لحماية الموظفين الرسميين. طبعًا لم أكن أجادل متجاهلاً المخاطر التي يتعرض لها موظفونا، لكنني اعتقدتُ أنَّ من الأفضل إخراجهم من فنزويلا بدلاً من تقديم تنازلات جوهرية لحكومات مثل حكومة مادورو.

بعد التاسعة صباحًا، اتصلت بترامب، ووجدته في حال أفضل إلى حد ما من الليلة السابقة. كان لايزال يعتقد أن المعارضة «هُزمت»، مشيرًا مجددًا إلى صورة بادرينو و«جميع هؤلاء الجنرالات اللامعين» الذين أعلنوا دعمهم لمادورو. أخبرته أن الضغط الحقيقي على وشك البدء، حيث فرضنا العقوبات على البترول، وسحبنا حصة كبيرة من عائدات النظام. قال ترامب: «إفعل ذلك»، وهي الإشارة الواضحة التي احتاجها لتخطي وزارة الخزانة إذا ظلت تعرقل العمل. وفي ما خص الموظفين الدبلوماسيين في كاراكاس، أراد ترامب إجلاءهم جميعًا، خشيةً من رد فعل سلبي إذا حدث خطأ ما. ومع ذلك، بدا في الغالب غير مهتم، ليتضح السبب في وقت لاحق من ذلك اليوم عندما أعلن عن اتفاق جزئي يُنهي الإغلاق الحكومي، وقد فُسِّر عبر الطيف السياسي على أنه تنازل كامل عن مشروعه لبناء الجدار الحدودي مع المكسيك. لا عجب أنه كان في مزاج غاضب.

قررتُ الاتصال بمنوشين، الذي كان مجددًا لسبب ما في كاليفورنيا، ووافق على أنه يجب علينا تطبيق العقوبات على النفط «بعد أن اعترفنا الآن بالنظام الجديد». اتصلتُ ببومبيو لأخبره بالخبر السار، وقال إنَّ وزير خارجية فنزويلا سيأتي إلى نيويورك لحضور مناقشة مجلس الأمن الدولي التي طلبناها نحن وآخرون يوم السبت. اعتقدنا أنها قد تكون فرصة لبومبيو لرؤيته بمفرده

(١) See, e.g., Reuters, "Venezuela's Guaidó considering request for funds from IMF: sources," January 25, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-guaido/venezuelas-guaido-considering-request-for-funds-from-imf-sources-idUSKCN1PJ21Q, and Lesley Wroughton. Reuters, "Latam lender replaces Venezuela's Maduro representative with Guaidó economist," March 15, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics/iadb-ousts-venezuelas-maduro-representative-replaces-with-guaido-economist-idUSKCN1QW29J

والحصول على تقويم واضح لطريقة تفكيره من دون وجود «تابعين» في الجوار لاستراق السمع، على غرار ما كنا نفعل مع الفنزويليين الآخرين في البعثات الدبلوماسية حول العالم. وبسبب يقيننا الأكيد من النقض الروسي وربما الصيني، لم نتوقع أي شيء جوهري من مجلس الأمن، لكنه كان منتدى جيدًا لتوليد الدعم لقضية المعارضة. ساعدنا موقف غوايدو لاحقًا ذلك اليوم من خلال دعوة كوبا إلى إخراج «جواسيسها وعملائها» من فنزويلا وإرسالهم إلى بلادهم[1].

اجتمع مجلس الأمن يوم السبت، ٢٦ كانون الثاني/يناير، في الساعة التاسعة صباحًا، وانتقد بومبيو بشدة نظام مادورو. أعطى الأعضاء الأوروبيون مادورو مهلة ثمانية أيام للدعوة إلى الانتخابات أو أنهم سيعترفون جميعًا بغوايدو، وهو تحسن كبير عما اعتقدنا أنَّ موقف الاتحاد الأوروبي سيكون عليه. انتقدت روسيا الاجتماع على أنه محاولة انقلاب وأدانتني شخصياً لدعوتي إلى مصادرة «على الطراز البلشفي» في فنزويلا (شرف لي!)، مما يدل على أننا نسير على الطريق الصحيحة في ملاحقة احتكار النفط[2]. وكانت مُهِمَة فعلاً الأخبار التي تفيد بأن الملحق العسكري الفنزويلي في واشنطن قد أعلن ولاءه لغوايدو. جلبت هذه الانشقاقات وغيرها مؤيدين جداً للمعارضة، وطلبت المعارضة آنذاك، في إجراء معتاد، إقناع الضباط والمسؤولين المدنيين الذين لايزالون في فنزويلا بجذب أكبر عدد ممكن منهم.

لسوء الحظ، كانت وزارة الخارجية في حال من الهلع بشأن التأكيدات التي أرادتها من مادورو على سلامة موظفينا الدبلوماسيين. لم يتعلق الأمر بمضمون الضمانات حول توفير حكومة فنزويلا حماية كافية، ولكنْ حول طريقة تبادل «المذكرات الدبلوماسية» التي تتجاهل تمامًا السياق السياسي الأوسع. كما أوقفت وزارة الخارجية إخطار مجلس الاحتياطي الفدرالي بأننا اعترفنا بحكومة جديدة في كاراكاس، وهو ما كان مذهلاً. بحلول يوم الإثنين، أعلن مكتب شؤون نصف الكرة الغربي في وزارة الخارجية ثورة مفتوحة ضد العقوبات البترولية، بحجة أن القيام بذلك سيعرض موظفي السفارة للخطر، على ما كنت أخشى. أرادت مساعدة وزير الخارجية لشؤون نصف الكرة الغربي، كيم بريير، تأجيل تنفيذ العقوبات لمدة ثلاثين يومًا، وكان ذلك كلامًا فارغًا واضحًا. في البداية، لم آخذ الأمر على محمل الجد. لكن يبدو أن حجة بريير اتسعت يومًا بعد يوم، مع أننا لم نفعل شيئًا للضغط على نظام مادورو قد يعرض موظفي سفارتنا (كان معظمهم آنذاك من موظفي الأمن،

(١) See Kirk Semple, "With Spies and Other Operatives, a Nation Looms Over Venezuela's Crisis: Cuba," January 26, 2019, Editorial Board of the Wall Street Journal, "Cuba out of Venezuela," January 24, 2019, https://www.wsj.com/articles/cuba-out-of-venezuela-11548376414

(٢) See Daniel Chang, "'End this nightmare,' Pompeo urges U.N. member nations on Venezuela's political crisis." https://www.miamiherald.com/news/nation-world/world/americas/venezuela/article225107520.html

وليسوا «دبلوماسيين») للخطر. لو كنت متشائمًا قليلاً أكثر، لكنت قد استنتجت أنَّ بريير ومكتبها يحاولان في الواقع تخريب سياستنا الأساسية.

اتصل بي بومبيو بعد ظهر السبت، غير متأكد مما يجب القيام به حيال المقاومة البيروقراطية. أقنعته بأنَّ مكتب شؤون نصف الكرة الغربي يلعب ببساطة لكسب الوقت؛ سيشكّل أي تأجيل يوافق عليه الأساس لطلب تأجيل تالٍ، فحسب. قال، أخيرًا، إنه «موافق إذا [أعلنا] غدًا» العقوبات، وهو ما قمنا به. ومع ذلك، لم يكن تمرد المكتب علامة جيدة. مَنْ يعلم ما كانت تخبره البيروقراطية للحكومات الأخرى، والوجود القوي لفرق البحث/ومجموعات الضغط اليسارية في واشنطن، ووسائل الإعلام؟ تحدثتُ مع منوشين مراتٍ عدة يوم الإثنين. لقد تكلّم مع المسؤولين التنفيذيين في شركة النفط طوال عطلة نهاية الأسبوع، وستكون العقوبات في الواقع أكثر عدوانية مما توقعه أوّلاً، وهو خبر سار. أمَّا التكهنات بأننا لن نتمكن من التصرف ضد شركة النفط المملوكة للدولة بسبب الآثار السلبية على مصافي ساحل الخليج، فقد تبين أنها مبالغ فيها؛ بعد تقدير إمكانية فرض عقوبات على البترول لسنوات، كانت هذه المصافي «في وضع جيد» لإيجاد مصادر أخرى للنفط، على حد قول منوشين؛ كانت الواردات من فنزويلا أقل من ١٠ في المئة من إجمالي عملها.

كنا سنكشف النقاب عن العقوبات في فترة ما بعد الظهر في غرفة الإحاطة في البيت الأبيض، ولكنْ طُلب مني الحضور إلى المكتب البيضاوي أوّلاً. كان ترامب سعيدًا بشأن كيف تناولت الصحافة «مسألة فنزويلا». سأل إذا كان يجب أنْ نرسل خمسة آلاف جندي إلى كولومبيا في حال احتجنا إليهم، وهو ما دونته على النحو الواجب على ورقة ملاحظاتي القانونية الصفراء، قائلاً إنني سأراجع البنتاغون بالأمر. ثمَّ قال ترامب: «لنذهب ونستمتع بوقتنا مع الصحافة»، وهو ما فعلناه عندما ولّدت ملاحظتي التي التقطتها الكاميرات تكهنات لا نهاية لها. (بعد بضعة أسابيع، أحضر لي وزير الخارجية الكولومبي كارلوس تروخيلو حزمة من الأوراق القانونية مثل تلك التي كنت أحملها في غرفة الإحاطة، كي لا تنفد مني). اعتقدنا بشكل أساسي أن عقوبات النفط كانت ضربة كبيرة لنظام مادورو، وأكد الكثيرون أن سقوطه بات الآن مجرد مسألة وقت. كان تفاؤلهم عاليًا، وتغذى في جزء كبير منه بأنهم اعتقدوا أن الموالين لمادورو مثل ديوسدادو كابيلو(١) وآخرون يرسلون أصولهم المالية وعائلاتهم إلى الخارج بحثًا عن الأمان، لكن لم يكن ذلك تصويتاً على سحب الثقة من النظام.

في ٣٠ كانون الثاني/يناير، عجَّ مكتبي بالناس، بمن فيهم سارة ساندرز وبيل شاين ومرسيدس شلاب، للاستماع إلى الاتصال الذي سيجريه ترامب مع غوايدو في حوالى الساعة التاسعة صباحًا.

(١) See Adry Torres, "Venezuelan President Maduro's right-hand man evacuates his two youngest children to China under fake names," February 25, 2019, https://www.dailymail.co.uk/news/article-6743013/Venezuelas-second-command-flies-two-children-China-using-wifes-surname.html

تمنى له ترامب حظًا سعيدًا في المظاهرات الكبيرة المناهضة لمادورو المخطط لها في وقت لاحق من ذلك اليوم، والتي وصفها ترامب بالتاريخية. أكّد ترامب من ثم على دعمه القوي للإطاحة بمادورو، وعرض في حديث جانبي أنه متأكد من أن غوايدو سيتذكر في المستقبل ما حدث، وهي طريقة ترامب للإشارة إلى اهتمامه بحقول النفط في فنزويلا. قال ترامب إنها لحظة مهمة في تاريخ العالم. شكر غوايدو ترامب على نداءاته للديمقراطية وعلى قيادته الحازمة، الأمر الذي جعلني ابتسم. حازمة؟ فقط لو كان يعلم. قال ترامب إن غوايدو يجب ألاّ يتردد في إطلاع المتظاهرين لاحقًا على الاتصال الذي جرى بينهما، وإنه يتطلع إلى مقابلته شخصيًا. رد غوايدو أنَّ الناس سيتأثرون للغاية عند سماعهم أنه تحدث إلى ترامب فيما هم يناضلون ضد الديكتاتورية. قال ترامب إنه لشرف له التحدث إليه، وانتهت المكالمة[1]. لقد كان إعلان غوايدو أنه تحدث مع ترامب دفعة قوية له بلا ريب، وهو طبعًا ما قصدناه. غرد غوايدو حول المكالمة قبل أن يفعل ترامب حتى. وأتت التغطية الصحافية مؤاتية بشكل موحد.

عند الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر، التقيتُ مع المديرين التنفيذيين لشركة النفط «سيتغو» التي تملك أغلبية أسهمها شركة النفط الحكومية الفنزويلية، لإعلامهم أننا دعمنا جهودهم، وجهود المعارضة الفنزويلية، للاحتفاظ بسيطرتهم على المصافي ومحطات الوقود التابعة لشركة «سيتغو» في الولايات المتحدة، وبالتالي لحمايتهم من جهود مادورو لفرض سيطرته. (كما أوضحت لهم ولآخرين، أننا كنا نقدم أيضًا المشورة إلى غوايدو، بناءً على طلبه، في جهوده لتعيين أشخاص في مجالس إدارة شركات النفط المختلفة التي كانت تملك في النهاية «سيتغو»، من خلال شركات تابعة). وقد أحلتُ المديرين التنفيذيين إلى ويلبر روس، الذي التقوا به في اليوم التالي، للحصول على المشورة بشأن تجنب آثار امتياز الحكومة الروسية على أسهم شركة النفط الفنزويلية التي قد تؤدي إلى فقدان السيطرة على الأصول الأميركية، وهو الموضوع الذي يعرف عنه الكثير ويدخل ضمن اختصاصه. (من موسكو، علمنا أنه يُزعم أن بوتين كان قلقًا للغاية على ١٨ مليار دولار تقريبًا مستحقة لموسكو من فنزويلا: وقد اختلفت تقديرات المبالغ الفعلية المستحقة بشكل كبير، لكنها كانت كلها مبالغ كبيرة). أخبرني المسؤولون التنفيذيون الأميركيون أنَّ الفنزويليين الموالين لمادورو في الولايات المتحدة حاولوا من دون جدوى، في وقت سابق من ذلك اليوم، تحويل أصول الشركات قبل مغادرتهم، وقد فروا على متن إحدى الطائرات التابعة لشركة «سيتغو»، متوجين إلى كاراكاس. كنت على يقين من أننا يمكن أن نتوقع المزيد من ذلك في الأيام المقبلة.

(١) كرر بيان صحافي لاحق بتغريدتي ساندرز وترامب بشكل أساس النقاط البارزة لهذا الاتصال.

See, Rebecca Morin, "Trump congratulates Venezuelan opposition leader in call," January 30, 2019, https://www.politico.com/story/2019/01/30/trump-juan-guaido-call-1136918

حتى شركة «لوك أويل»، الشركة الروسية الكبيرة، أعلنت أنها ستعلق عملياتها مع شركة النفط الاحتكارية المملوكة للدولة في فنزويلا، الأمر الذي عكس على الأقل بعض الرغبة الروسية في التحوط في رهاناتها[1]. وبعد بضعة أيام، أعلنت «بيتروتشاينا»، وهي شركة كبيرة، تخليها عن شراكتها مع الشركة الحكومية الفنزويلية في مشروع مصفاة، مما أظهر عدم ارتياح كبير[2]. وفي وقت لاحق، فإن غازبرومبنك، ثالث أكبر مقرض في روسيا، والمرتبط بشكل وثيق ببوتين والكرملين، جمد حساباته لتجنب مخالفة عقوباتنا[3]. كنا نعتقد أن غوايدو والمعارضة سيغتنمان الفرصة للتحدث مع الدبلوماسيين ورجال الأعمال الروس والصينيين، مشددين على أنَّ من مصلحتهم عدم الانحياز إلى أحد جانبي النزاع في فنزويلا. وداخل حكومة الولايات المتحدة، كنا نخطط كذلك لـ«اليوم التالي» في فنزويلا وننظر في ما يمكن فعله لينهض اقتصاد البلاد مجددًا، بعد أن سادته حالة من الفوضى الرهيبة عقب عقدين من سوء الإدارة الاقتصادية (التي استخف بها بوتين). لقد فكرنا مليًّا في الطريقة التي يمكننا فيها مساعدة حكومة جديدة على مواجهة احتياجات الشعب الفورية، كما الحاجة الطويلة الأجل لإصلاح التدمير المنهجي لما كان ينبغي أن يكون أحد أقوى الاقتصادات في أميركا اللاتينية.

علت أصوات الاعترافات الدبلوماسية بغوايدو وتتالت، وأملنا أن يثبت ذلك، حتى للموالين لمادورو، أنَّ أيامه معدودة، كما يوفر تأمينًا ضد اعتقال غوايدو وزعماء المعارضة الآخرين. لم يكن ذلك افتراضًا. اقتحمت شرطة مادورو السرية منزل غوايدو وهددت زوجته وابنته الصغيرة. لم تصابا بأذى، لكنَّ الإشارة كانت واضحة[4]. كان الأمر يشبه إلى حد كبير عملية موجهة من قبل الكوبيين، مما يؤكد مرة أخرى أنَّ الوجود الأجنبي في فنزويلا، الكوبي والروسي على حد سواء، كان حاسمًا لإبقاء مادورو في السلطة. استمرت الاحتجاجات في كلّ أنحاء البلاد، من دون أن يثنيها احتمال حدوث قمع من جهة مادورو. جرت اتصالات مستمرة مع كبار الضباط العسكريين حول الشروط التي يمكنهم بموجبها الاصطفاف إلى جانب غوايدو، ومع وزراء سابقين موالين لتشافيز،

(١) See Reuters, "Trading arm of Russia's Lukoil stops swap operations in Venezuela," February 14, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-russia-lukoil/trading-arm-of-russias-lukoil-stops-swap-operations-in-venezuela-idUSKCN1Q3225

(٢) See "PetroChina Drops Venezuela's State oil Company," February 1, 2019, https://financialtribune.com/articles/energy/96482/petrochina-drops-venezuela-s-state-oil-company

(٣) See Tatiana Voronova, "Russia's Gazprombank freezes accounts of Venezuela's PDVSA: Source," February 17, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-gazprombank/russias-gazprombank-freezes-accounts-of-venezuelas-pdvsa-source-idUSKCN1Q60BK

(٤) See Christine Armario and Fabiola Sanchez, "Venezuela opposition leader to police: Leave my family alone," January 31, 2019, https://apnews.com/c6916be2bcc147c486e8e7915272077c

وقادة النقابات العمالية، وقطاعات أخرى من المجتمع الفنزويلي، لبناء تحالفات. اعتقدنا أن الزخم لايزال قائماً في المعارضة، لكنهم كانوا بحاجة إلى تسريع وتيرة التقدم.

لقد وُضعت خطة في فنزويلا، اعتقدنا أنها واعدة، لإدخال الإمدادات الإنسانية عبر الحدود من كولومبيا والبرازيل وتوزيعها في أنحاء فنزويلا. حتى الآن، أغلق مادورو الحدود بشكل فاعل، ومكّنه من ذلك التضاريس الصعبة والغابات الكثيفة والأدغال التي جعلت عبور المعابر كلها أمرًا مستحيلاً، باستثناء نقاط التفتيش الحدودية المعترف بها والمعروفة. سيثبت مشروع المساعدة الإنسانية مخاوف غوايدو على شعب فنزويلا ويظهر أيضًا أن الحدود الدولية كانت مفتوحة، مما يعكس افتقار مادورو إلى السيطرة بشكل متزايد(١). كانت هناك أيضًا آمال في أن المسؤولين العسكريين الرئيسيين لن يتبعوا الأوامر بإغلاق الحدود، ولكنْ حتى لو فعلوا ذلك، فسيجد مادورو نفسه في وضع مستحيل لحرمان مواطنيه الفقراء من الإمدادات الإنسانية. انزعج مادورو جدًا من هذه الاستراتيجية لدرجة أنه انتقدني مرة أخرى بالاسم قائلاً: «لدي دليل على أن محاولة الاغتيال أمر بها جون بولتون في البيت الأبيض»(٢). وانضم إليه وزير الخارجية أريزا، الذي اشتكى: «ما يحاول القيام به هنا هو إعطاؤنا الأوامر!»(٣). كانت كوبا تهاجمني الآن أيضًا بالاسم، لذا ارتفعت معنوياتي.

زار الرئيس الكولومبي إيفان دوكي الرئيس ترامب في البيت الأبيض في ١٣ شباط/فبراير، وتركز النقاش على فنزويلا. سأل ترامب الكولومبيين إن وجب عليه التحدث إلى مادورو قبل ستة أشهر، وقال دوكي بشكل لا لبس فيه إن ذلك كان سيشكّل انتصارًا كبيرًا لمادورو، مما يعني أنَّ التحدث معه الآن سيكون خطأً أكبر. قال ترامب إنه يوافق على ذلك، الأمر الذي أسعدني كثيرًا. ثم سأل كيف تسير الجهود بشكل عام، وهل كان الزخم لصالح مادورو أو غوايدو. أتى هنا كلام السفير الكولومبي فرانسيسكو سانتوس فاعلاً بشكل خاص، إذ قال إنه حتى قبل شهرين، كان سيجيب أنّ مادورو يتفوق على غوايدو، لكنه ما عاد يعتقد أنَّ ذلك صحيح، موضّحًا السبب. سُجِّل هذا بوضوح عند ترامب.

ومع ذلك، كنتُ قلقًا من أنَّ حكومتنا لم تُبدِ شعورًا بالطابع الملح. انتشرت في الحكومة عقلية

(١) See Dylan Baddour and Anthony Faiola, "As U.S. amasses aid on Venezuelan border, Colombian town braces for showdown," February 17, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/the_americas/as-us-amasses-aid-on-venezuelan-border-colombian-city-braces-for-showdown/2019/02/17/7bcf57b0-3140-11e9-8781-763619f12cb4_story.html

(٢) See "'John Bolton tried to assassinate me': Interview with Venezuelan president Nicolas Maduro," https://thegrayzone.com/2019/08/06/interview-venezuelan-president-nicolas-maduro/

(٣) See Roberta Rampton, "Move Over Ayatollahs: Bolton Turns Tweets and Talons on Maduro," February 27, 2019, https://www.usnews.com/news /world/articles/2019-02-27/move-over-ayatollahs-bolton-turns-tweets-and-talons-on-maduro

معرقلَة، «من صنع أحد آخر»، توَّلدت حتمًا إلى حدًّ كبير بسبب سياسة أوباما طوال ثمانية أعوام لأنَّها لم تنظر إلى الأنظمة الفنزويلية والكوبية والنيكاراغوية على أنها عدوة الولايات المتحدة. أولِيَ اهتمام قليل أو عدم اهتمام لما يجب أن تفعله الولايات المتحدة إذا قرر سكان هذه البلدان، بشَكل غير مريح لنا، أنهم يريدون إدارة حكوماتهم. والأهم من ذلك، في رأيي، أنَّ النفوذ الروسي والصيني والإيراني والكوبي المتزايد في نصف الكرة الغربي لم يكن أولوية. واجهت إدارة ترامب في الواقع سيلاً كبيرًا من الفواتير المستحقة في أميركا اللاتينية من دون استعداد لطريقة معالجتها.

حسّنت المعارضة تفكيرها في كيفية إدخال المساعدات الإنسانية «عنوةً» إلى فنزويلا من كولومبيا والبرازيل، وحددت يوم السبت ٢٣ شباط/فبراير تاريخًا مستهدفًا. قبل أسبوع، يوم السبت تحديدًا، وقَّع حوالى ستمئة ألف شخص في كاراكاس طلبًا للمساعدة. بعد تنسيق كبير بين الوكالة الأميركية للتنمية الدولية والبنتاغون، حطت طائرات شحن من طراز سي-١٧ في كوكوتا، إحدى نقاط العبور الرئيسة على الحدود الكولومبية، وأفرغت المساعدات الإنسانية بهدف نقلها عبر الجسور التي تربط البلدين. داخل فنزويلا، استمر التحرك نحو المعارضة. تحدث علنًا الأسقف الكاثوليكي لسان كريستوبال، وكان أيضًا نائبًا لرئيس مؤتمر الأساقفة الكاثوليك في البلاد، مشيرًا تحديدًا إلى انتقال السلطة من يد مادورو. كنا نأمل أن تلعب الكنيسة دورًا عامًا أكثر نشاطًا، ويبدو أن ذلك يحدث الآن. مع اقتراب تاريخ ٢٣ شباط/فبراير، تركزت الشائعات على أنَّ قائدًا عسكريًا رفيع المستوى، من المحتمل أن يكون قائد الجيش الفنزويلي خيسوس سواريز تشوريو، قد صرح علناً أنه لم يعد يدعم مادورو. سرت شائعات مماثلة من قبل، لكنَّ الخطة الإنسانية عبر الحدود كانت العامل الرئيس في إمكانية أن يكون الخبر صحيحاً هذه المرة. في الوقت نفسه، سمَّى السيناتور ماركو روبيو تحديدًا سواريز تشوريو، فضلاً عن وزير الدفاع بادرينو وأربعة آخرين، باعتبارهم شخصيات عسكرية رئيسة يمكن أن يحصلوا على عفو إذا انشقوا عن الجيش وانضموا إلى المعارضة[1]. ساد شعور كذلك بأن انشقاق ضباط من هذا الحجم سيحمل عددًا كبيرًا من القوات على الالتحاق بهم، لتتحرك الوحدات العسكرية على ما يظهر نحو الحدود، وتتضاعف من ثمَّ وتعود إلى كاراكاس لتطويق قصر ميرافلوريس الرئاسي، البيت الأبيض في فنزويلا. لكنَّ هذه التوقعات المتفائلة لم تتحقق.

كنا نقوم بواجبنا ونؤدي دورنا، مع خطاب لترامب في جامعة فلوريدا الدولية في ميامي في ١٨ شباط/فبراير، والذي كان يمكن أن يكون تجمعاً انتخابياً بقدر ما كان الحشد متحمسًا. سارت الخطط للثالث والعشرين من الشهر بطريقة مرضية، إذ أعلن رئيس كولومبيا دوكي أنه سينضم إليه

(١) See Alex Daugherty, "Rubio says sanctioned Maduro loyalists can receive amnesty, but only if they act soon," February 11, 2019, https://www.miamiherald.com/news/nation-world/world/americas/venezuela/article226085225.html

في كوكوتا رؤساء بنما وتشيلي وباراغواي، والسكرتير العام لمنظمة الدول الأميركية لويس ألماغرو. يثبت ذلك بشكل مقنع أن ثورة فنزويلا «لم تصنع في واشنطن». ازدادت الإمدادات الإنسانية على الحدود، وبان دليل على أن قوات الأمن التابعة لمادورو كثفت مضايقاتها للمنظمات غير الحكومية داخل البلاد. غادر غوايدو كاراكاس سرًّا يوم الأربعاء متوجهًا إلى الحدود الكولومبية، حيث كان مقررًا في الأصل أن ينتظر على الجانب الفنزويلي عبور قافلة المساعدات الإنسانية عبر جسر تييندياتاس الدولي من كولومبيا. ومع ذلك، سمعنا أن غوايدو كان يفكر في العبور فعليًا إلى كولومبيا لحضور حفل موسيقي برعاية ريتشارد برانسون في كوكوتا ليلة الجمعة دعمًا لمساعدة فنزويلا، ثمَّ يعود على رأس قافلة المساعدات عبر الحدود في اليوم التالي، لمواجهة قوات مادورو في حال حاولت اعتراض القافلة مباشرةً.

لم تكن هذه الفكرة سديدة لعدة أسباب. لقد كانت دراماتيكية للغاية ولكنها خطيرة، ليس جسديًا فحسب، بل الأهم من الناحية السياسية. متى عبر غوايدو الحدود وخرج من فنزويلا، من المحتمل أن تكون عودته إليها صعبة. ما الذي سيحدث لقدرته على توجيه سياسة المعارضة ومراقبتها إذا كان معزولاً خارج البلاد، خاضعًا لدعاية مادورو التي ستقول إنه فرَّ خائفًا؟ لم تتوافر لنا طريقة للتنبؤ بنتيجة يوم السبت. يمكن أن تتأرجح من طرف إلى آخر: يمكن أن تسير الأمور على ما يرام، مع فتح الحدود بشكل فاعل، مما قد يشكل تحديًا مباشرًا لسلطة مادورو، أو قد يحدث عنف وسفك دماء في نقاط العبور، مع احتمال اعتقال غوايدو أو تعرضه لما هو أسوأ. رأيتُ أن محاولة إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود جيدة التصميم وقابلة للتنفيذ كاملةً، فيما تأتي الخطط المتكلفة غير مصممة بشكل فاعل ويمكن أن تؤدي بسهولة إلى المتاعب.

في خضم كل ذلك، ومع اقتراب قمة ترامب وكيم جونغ أون في هانوي، اختصرتُ مسار رحلتي المخطط له في آسيا، وألغيتُ بعض الاجتماعات في كوريا كي أتمكن من البقاء في واشنطن حتى الأحد لمعرفة ما يحدث في فنزويلا. على الرغم من تركيز اهتمام وسائل الإعلام على الحدود بين كولومبيا وفنزويلا، وخاصة في كوكوتا، حدثت كذلك تطورات مهمة على الجانب البرازيلي. كان «البيمونس»، السكان الأصليون داخل فنزويلا الذين يكرهون مادورو، يقاتلون قوات الحرس الوطني الحكومية. تكبد الجانبان خسائر بشرية، وأفادت التقارير أن جماعة «البيمونس» ألقت القبض على سبعة وعشرين من الحرس، بما في ذلك جنرال واحد، وأحرقت نقطة تفتيش في المطار. بحلول يوم الجمعة، سيطر أبناء مجتمع «البيمونس» أيضًا على العديد من الطرق المؤدية إلى فنزويلا[1].

(١) كانت التقارير الصحافية من هذه المناطق الحدودية النائية قليلة، لكنها أظهرت بوضوح اشتباكات مع النظام.

See Antonio Maria Delgado, "Two dead, fourteen injured after Venezuela soldiers fire at civilians near border with Brazil," February 22, 2019, https://www.miamiherald.com/news/nationworld/world/americas/venezuela/article226624859.html

في وقت لاحق من يوم الجمعة، عبر غوايدو إلى كولومبيا في هليكوبتر، يؤازره عناصر متعاطفون من الجيش الفنزويلي[١]. وكان من المتوقع أن تساعد هذه القوات كذلك في إيصال المساعدات الإنسانية عبر نقاط التفتيش الحدودية يوم السبت. خاب أملي، ولكنْ على الأقل سمعنا في تلك الليلة أنَّ حفل ريتشارد برانسون الغنائي كان أفضل من حيث الحضور بكثير من «حفلة» مادورو المنافسة في فنزويلا، وهو ما اعتبرته نوعًا من انتصار. لقد أعلن نائب الرئيس مادورو، ديلسي رودريغيز، أنَّ كل نقاط العبور الحدودية ستُغلق يوم السبت، ووردتنا معلومات متضاربة حول ما أُغلق منها بالضبط وما ظل مفتوحًا.

صباح السبت، احتشدت جموع غفيرة على الجانب الكولومبي من الحدود، وانتشرت شرطة مكافحة الشغب في تاتشيرا على الجانب الفنزويلي. استمر العنف على مستوى منخفض على الحدود البرازيلية حيث تجمعت الحشود هناك كذلك. كانت إمدادات المساعدات تتراكم منذ أسابيع في عدة نقاط تفتيش على الحدود، وأُعدَّت قوافل إضافية للوصول إلى نقاط التفتيش طوال اليوم، يرافقها متطوعون من كولومبيا أو البرازيل، ليقابلهم على الجانب الآخر متطوعون فنزويليون. كانت تلك هي الخطة، أقلّه. ازدادت حوادث رمي الحجارة، والمواجهات مع الحرس الوطني الفنزويلي، والحواجز التي نُقلَت واستُبدِلَت على مدار اليوم مع اقتراب مواعيد محاولات العبور. انشق العديد من ضباط الجيش والبحرية من المستوى المتوسط، وأفادت تقارير عن انشقاق في صفوف الحرس الوطني على طول الحدود أيضًا[٢].

وصل غوايدو إلى جسر تييندیتاس الدولي حوالى الساعة التاسعة صباحًا، مستعدًّا للعبور. أفادت التقارير طوال اليوم أنه كان على وشك العبور، لكنَّ ذلك لم يحدث، من دون تفسيرات حقيقية. في الواقع، فشلت العملية ببساطة، مع استثناءات في بعض الأماكن التي حاول فيها المتطوعون إيصال المساعدة: نجحوا على الحدود البرازيلية، ولكن ليس على الحدود الكولومبية. ظلت جماعة «البيمونس» الأكثر هجومية، حيث استولت على أكبر مطار يقع في منطقة الحدود البرازيلية وأسرت المزيد من قوات الحرس الوطني[٣]. لكنَّ مستوى العنف ارتفع بين «الكوليكتيفوس» وبعض وحدات

(١) See, e.g., AFP, "Guaidó arrives at border concert, dealing blow to Maduro," February 23, 2019, https://www.france24.com/en/20190223-venezuela-guaido-border-concert-humanitarian-aid-maduro

(٢) See, e.g., Beatrice Christofaro, "567 Venezuelan soldiers defected to Colombia, and it could be a sign that Maduro's once rock-solid power base is starting to crumble," March 2, 2019, https://www.businessinsider.com/venezuela-soldiers-defect-to-colombia-threaten-maduro-power-2019-3

(٣) See Maria Ramirez, "Soldiers held hostage, villagers killed: the untold story of Venezuelan aid violence," May 21, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-pemon-insight/soldiers-held-hostage-villagers-killed-the-untold-story-of-venezuelan-aid-violence-idUSKCN1SR1L0

الحرس الوطني ضد محاولات عبور الحدود، ولم يرتفع مستوى دخول المساعدات. جابت مظاهرات كبيرة مدن فنزويلا، وقد خُطِّط لها لتتزامن مع وصول المساعدات الإنسانية، بما في ذلك خارج قاعدة لا كارلوتا العسكرية في كاراكاس، حيث حاولت الحشود إقناع الجنود بالانشقاق، ولكنْ لسوء الحظ من دون نجاح.

وبحلول نهاية يوم السبت، وجدتُ أن المعارضة لم تفعل الكثير لتعزيز قضيتها. خاب أملي لأن الجيش لم يرد بمزيد من الانشقاقات، خاصة على المستويات العليا. وذهلتُ من موقف غوايدو وكولومبيا اللذين لم ينفذا خططًا بديلة عندما منع «الكوليكتيفوس» وآخرون شحنات المساعدات من الدخول وأحرقوا الشاحنات على الجسور. بدت الأمور غير منظمة وغير مترابطة، سواء من خلال عدم التخطيط المسبق أو نقص في الجرأة، لم أستطع التخمين فورًا. ولكن في حال لم تتحسن الأمور في الأيام القليلة المقبلة ولم يعد غوايدو إلى كاراكاس، كنت سأبدأ في الشعور بالقلق.

سمعنا أنَّ الشعور السائد بين الفنزويلين هو اعتبارهم يوم السبت نصرًا لغوايدو، الأمر الذي صدمني لأنه شعور متفائل جدًا. علمنا لاحقًا عن تكهنات تفيد بأنَّ الكولومبيين تراجعوا عن الخطة مشككين، خوفًا من الغرق في اشتباكات عسكرية على طول الحدود، وأن قواتهم لم تكن جاهزة لخوض صراع تقليدي مع قوات مادورو المسلحة، خصوصًا بعد أعوام من القتال ضد التمرد وحروب مكافحة المخدرات داخل كولومبيا. ألم يكتشف ذلك أحد قبل يوم السبت؟ كان غوايدو في بوغوتا بحلول منتصف بعد الظهر، يستعد لاجتماع مجموعة ليما يوم الإثنين. ظللت لا أحبّ فكرة عبور غوايدو الحدود في المقام الأول، ناهيك عن تجواله في كولومبيا لعدة أيام، وهو ما اعتاد مادورو الترويج له بأنَّ غوايدو يسعى للحصول على مساعدةٍ من خصم فنزويلا التقليدي.

تحدثت إلى بنس المتوجه إلى بوغوتا لتمثيل الولايات المتحدة في مجموعة ليما، وشددت على ضرورة إقناع غوايدو بالعودة إلى كاراكاس. يُعدُّ أحد العناصر الرئيسة لنجاح المعارضة حتى الآن، تماسكها، بينما كانت في الماضي مجزأة دائمًا. كل يوم يُمضيه غوايدو خارج البلاد يزيد من خطر أن يجد مادورو طريقة لتقسيمها مجددًا. وافق بنس وقال إنه سيلتقي غوايدو في ثلاثية مع دوكي. كما حثت بنس على الضغط لفرض المزيد من العقوبات على نظام مادورو، لإظهار أنَّ عليه أن يدفع ثمنًا لعرقلة المساعدات الإنسانية. ذكر ترامب في تجمع ميامي أنَّ على الجنرالات الفنزويليين الاختيار، ويمكن لبنس القول إنه يشرح وجهة نظر ترامب.

أطلعت ترامب على آخر المستجدات بعد ظهر يوم الأحد، لكنه بدا غير مكترث، الأمر الذي فاجأني. تأثر بعدد المنشقين عن الجيش الذي اقترب من خمسمئة في غضون أيام قليلة[1]. شككت

---

(١) انظر الهامش الثاني في الصفحة السابقة.

بأن تفكيره منصب على كوريا الشمالية وقمة هانوي المقبلة. وعند انتهاء المكالمة، قال: «حسنًا يا رجل»، وكانت تلك إشارته المعتادة إلى أنه مسرور بما سمع. خلال رحلتي إلى هانوي، تحدثت مجددًا مع بنس، في طريق عودته إلى واشنطن بعد خطاب حازم في بوغوتا في اجتماع مجموعة ليما، وقد قال إنَّ «جوًّا من المعنويات المرتفعة ساد في القاعة»، مما كان مشجعًا. أعجبه غوايدو: «حقيقي للغاية، ذكي للغاية، وقد ألقى خطابًا قويًا جدًا أمام مجموعة ليما». لقد ألححت على بنس نقل رأيه إلى ترامب.

اختفى تركيزنا على فنزويلا أثناء وجودنا في هانوي، ولكن ما إن عدتُ من فييتنام في ١ آذار/مارس، حتى احتلت مجددًا صدارة أولوياتي. فغوايدو الذي جال آنذاك في أميركا اللاتينية، بات يفكر جديًّا بطريقة يعاود فيها الدخول إلى فنزويلا، سواء برًا أو جوًّا إلى كاراكاس مباشرةً. أبقيت ترامب على علم بالتطورات، وقال لي يوم الأحد، ٣ آذار/مارس: «إنَّه [غوايدو] لا يملك المقومات اللازمة، ابتعد عنه قليلاً... لا تتورط كثيرًا»، كمثل مَنْ يقول: «لا تحبلي كثيراً». على أي حال، استغل غوايدو المبادرة في اليوم التالي، وسافر جوًّا إلى فنزويلا. أظهر ذلك الشجاعة التي أبداها سابقًا، ما أراحني كثيرًا. عرضت اللقطات الحية عبر الإنترنت طوال اليوم عودة غوايدو المثيرة إلى كاراكاس، مثبتةً أنها انتصار. قال له أحد مفتشي دائرة الهجرة: «أهلاً بك في وطنك، سيدي الرئيس»! وخلال رحلته من المطار وصولاً إلى ولاية مسقط رأسه، استقبلته على طول الطريق حشود تهتف باسمه، ولم تظهر أي إشارة إلى جهود الجيش أو الشرطة لاعتقاله.

مدعومًا بعودة غوايدو الناجحة، كنتُ على استعداد لأن نبذل قصارى جهدنا من أجل زيادة الضغط على مادورو، بدءًا بفرض عقوبات على الحكومة كاملةً واتخاذ المزيد من الخطوات ضد القطاع المصرفي، وكان علينا القيام بذلك كلّه في كانون الثاني/يناير، لكننا نجحنا في تحقيق ذلك في نهاية المطاف. في اجتماع لجنة الرؤساء لمناقشة خططنا، أبدى منوشين مقاومةً، لكنَّ الآخرين تغلبوا عليه، حيث شرح له بيري بتهذيب كيف تعمل أسواق النفط والغاز فعليًّا على المستوى الدولي، فيما عارض كودلو وروس تحليله الاقتصادي، وحتى كريستين نيلسن تناغمت مع فرض عقوبات أشد. ظل بومبيو صامتًا عمومًا. وقلت مجددًا إنَّ أمامنا خيارين فقط في فنزويلا: الفوز أو الخسارة. مستخدمًا تشبيهًا من أزمة قناة السويس العام ١٩٥٦، قلتُ إنَّنا نقبض على مادورو من قصبته الهوائية ونحتاج إلى الضغط عليها، ما جعل منوشين يندفع بوضوح. كان قلقاً من أن تضر الخطوات في القطاع المصرفي بشركتي «فيزا» و«ماستركارد»، اللتين يريد إبقاءهما في الخدمة حتى «اليوم التالي»[1]. أجبتُ، كما فعل بيري وكادلو، بأنه لن يكون هناك أيّ «يوم تال» ما لم نزد الضغط بشكل

(١) See Jeff Mason, Reuters, "U.S. considers sanctions to restrict Visa, Mastercard in Venezuela: official," March 14. 2019, https://www.reuters.com/article/us-usa-venezuela-sanctions/u-s-considers-sanctions-to-restrict-visa-mastercard-in-venezuela-official-idUSKCN1QV2VS

دراماتيكي، وكلّما أسرعنا كلّما كان ذلك أفضل. لم يكن الأمر تمرينًا أكاديميًا. أمّا عن قلق منوشين من الأذى الذي قد نتسبب به للشعب الفنزويلي، فقد أشرت إلى أن مادورو قتل أكثر من أربعين شخصًا خلال هذه الجولة من نشاط المعارضة، وخاطر مئات الآلاف بحياتهم في كل مرة خرجوا فيها إلى الشوارع للاحتجاج[1]. لم يفكروا في فيزا وماستركارد! أفقر الناس لا يملكون بطاقة فيزا أو ماستركارد، وقد سُحقوا تمامًا بسبب انهيار الاقتصاد في فنزويلا. حقًا، كانت هناك ثورة قائمة، وكان منوشين قلقًا بشأن بطاقات الائتمان!

في نهاية يوم ٧ آذار/مارس، وردتنا معلومات عن انقطاع هائل في التيار الكهربائي في كل أنحاء فنزويلا، تفاقم بسبب الحالة المتداعية لشبكة الكهرباء في البلاد. خَطَرَ لي أولاً أنَّ غوايدو أو أحدًا آخر يقف خلف ذلك. ولكنْ بغض النظر عن سبب الانقطاع أو مدى اتساعه أو مدته، كان يجب أن يضر بمادورو، لأنَّ النظام يمثل بالنسبة للشعب رمزًا للكارثة الإجمالية. وردت التقارير عن آثار الانقطاع ببطء لأنَّ كل الاتصالات المحلية الفنزولية قُطعَت. ما علمناه مع مرور كل يوم، أكدَّ الخراب. غرقت البلاد بأكملها تقريبًا بالظلام، وأُغلق مطار كاراكاس، وبدا أن الأجهزة الأمنية اختفت، وتحدثت التقارير عن أعمال نهب، وبدأت مجددًا الاحتجاجات الشعبية «الكاسيرولازس»، مما أظهر استياء شعبيًا دائمًا من النظام. ما مدى الضرر؟ علمنا بعد بضعة أشهر أنَّ وفدًا أجنبيًا زائرًا خَلُصَ إلى أن البنية التحتية لتوليد الكهرباء في البلاد «لا يمكن إصلاحها». حاول النظام إلقاء اللائمة على أميركا، لكن الناس فهموا عمومًا أنَّ شبكة الكهرباء الوطنية تدهورت على مدى عقدين من حكم انصار تشافيز، مثلما تفككت صناعة البترول في فنزويلا، لأنَّ الحكومة فشلت في القيام بالصيانة اللازمة واستثمار رأس مال جديد. وأين ذهبت الأموال المطلوبة لشركة النفط المملوكة للدولة وشبكة الكهرباء الوطنية؟ إلى أيدي النظام الفاسد تمامًا. إنْ لم يكن ذلك سبب كافٍ للانتفاضات الشعبية، فمن الصعب معرفة ما الذي يسبب مثل تلك الانتفاضات. واصلنا زيادة الضغط، حيث أعلنت وزارة العدل لائحة اتهام لتاجرَيْ مخدرات رئيسين فنزويليين (كلاهما من مسؤولي النظام السابقين)[2]. وتم طرد ممثلي مادورو من بنك التنمية للبلدان الأميركية الأمر الذي دعمته على نطاق واسع أغلبية أعضائه[3].

تعثرت جهود النظام في رفع مستوى التغذية في الشبكة بعد انفجار محطات الكهرباء بسبب

(١) See Reuters, "More than 40 dead, 850 detained in Venezuela violence, U.N. says," January 29, 2019, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-un/more-than-40-dead-850-detained-in-venezuela-violence-u-n-says-idUSKCN1PN16Y

(٢) See Larry Neumeister, Associated Press, "Ex-Venezuelan vice president accused of aiding drug dealers," March 8, 2019, https://apnews.com/ff89bf5c8f5445fab11e6fdf6d91640f

(٣) انظر الهامش ٢ في الصفحة ٢٦٣.

الأحمال الكهربائية المتجددة، مما عكس نقصًا واسع النطاق وطويل الأمد في الصيانة وقدم المعدات. كما أدى فقدان الاتصالات إلى إضعاف تنسيق الأنشطة على الصعيد الوطني، بما في ذلك في المدن الرئيسة مثل ماراكايبو. واصل غوايدو تجمعاته، مستقطبًا حشودًا كبيرة، ومطمئنًا الناس إلى مضي المعارضة قدمًا. أعلنت الجمعية الوطنية «حال تأهب قصوى» بشأن انقطاع الكهرباء وغيرها من الخدمات، ليس لأنها تملك السلطة للقيام بأي شيء، ولكنْ أقلّه كي تثبت للشعب أنها تفكر بالأمر، مقارنةً مع شبه اختفاء مادورو. وهي إشارة إلى استمرار فوضى النظام. استمرت الاتصالات مع المسؤولين في السلطة، حيث سعى غوايدو إلى إحداث تصدعات في القيادة لتقويض سلطة مادورو.

لسوء الحظ، عمَّت الفوضى أيضًا الحكومة الأميركية، وخاصةً وزارة الخارجية. إلى جانب ممانعة الخزانة أو تأخيرها المتعمد في اتخاذ القرارات، استغرقت كل خطوة جديدة في حملة الضغط على نظام مادورو وقتًا وجهدًا بيروقراطيًا أكثر بكثير مما يمكن لأي شخص تبريره. تعاملت وزارة الخزانة مع كل قرار عقوبات جديد وكأننا نلاحق قضايا جنائية في المحكمة، مع اضطرار إلى إثبات الذنب بما لا يدع مجالاً للشك. ليست تلك الطريقة التي تنجح فيها العقوبات؛ إنَّها تتعلق باستخدام القوة الاقتصادية الهائلة لأميركا للنهوض بمصالحنا الوطنية. وهي أكثر فاعلية عند تطبيقها بكثافة وسرعة وحسم، وإنفاذها بكافة القدرات المتاحة. لا ينطبق ذلك على طريقة تعاملنا مع العقوبات على فنزويلا (أو معظم العقوبات الأُخرى في إدارة ترامب). بدلاً من ذلك، تطلبت قرارات التنفيذ البسيطة نسبيًا حتى، جهودًا جبارة من موظفي مجلس الأمن القومي ومؤيديهم في الوكالات الأخرى، بينما وفر كل ذلك لمادورو هامشًا من الأمان. ومن الواضح أن النظام لم يقف مكتوف اليدين. لقد اتخذ باستمرار تدابير للتهرب من العقوبات وتخفيف عواقب تلك التي لا يمكنه التملص منها. كان بطؤنا وانعدام رشاقتنا عطيتين من الله لمادورو ونظامه، وداعميه الكوبيين والروس. استغل التجار والممولون العالميون عديمو الضمير كل فجوة في حملتنا للضغط[1]. كانت مشاهدة ذلك مؤلمة.

لعل القرار الأكثر إيلاماً كان في ١١ آذار/مارس، عندما قرر بومبيو إغلاق السفارة الأميركية في كاراكاس وسحب جميع موظفيها. كانت هناك مخاطر واضحة على الموظفين المتبقين، ولم يكن من الممكن إنكار بلطجة «الكوليكتيفوس». بنى بومبيو جزءًا كبيرًا من سمعته السياسية من خلال انتقاده المبرر لأخطاء إدارة أوباما خلال أزمة بنغازي في أيلول/سبتمبر ٢٠١٢. كما جرى سابقًا

(١) See, e.g., Ryan C. Berg, "Russia Is Gearing Up for a Conflict with the United States in the Caribbean," October 9, 2019, https://foreignpolicy.com/2019/10/09/russias-putin-venezuela-evade-oil-sanctions-preparing-conflict-united-states/; and Joshua Goodman, Associated Press, "Oil tankers 'go dark' off Venezuela to evade US sanctions," November 14, 2019, https://apnews.com/84cabe36652c4194ae2db852e8bab2c4

من خفض لمستويات الموظفين في سفارة بغداد وإغلاق قنصلية البصرة، صمم بومبيو على تجنب «حادثة بنغازي أخرى» أثناء ولايته. كان ترامب أكثر حساسية. ما إن أشار بومبيو إلى الخطر، حتى قرر ترامب على الفور إخلاء موظفينا، وهو ما فعله بومبيو بسرور.

قد يكون السعي لتجنب «حادثة بنغازي أخرى» مفهوماً تماماً، لكنَّ إغلاق السفارة الأميركية في كاراكاس أثبت أنه ضار بجهودنا المناوئة لمادورو. بقيت معظم سفارات أوروبا وأميركا اللاتينية مفتوحة من دون حوادث، ولكن من الواضح أن حضورنا داخل البلاد انخفض. وبسبب موقف أوباما المتسامح مع الأنظمة الاستبدادية والتهديدات الصينية والروسية في نصف الكرة الغربي، تقلص عدد «مخبرينا وجواسيسنا» بشكل كبير. والأسوأ من ذلك، أنَّ وزارة الخارجية أساءت تمامًا التعامل مع العواقب، ولم ترسل جيمي ستوري، القائم بالأعمال الأميركي في فنزويلا وبعض أعضاء فريقه على الأقل إلى كولومبيا فورًا، حيث يمكنهم العمل بشكل وثيق مع السفارة الأميركية في بوغوتا لمواصلة عملهم عبر الحدود. بدلاً من ذلك، أبقى مكتب شؤون نصف الكرة الغربي الفريق في واشنطن ليظل تحت سيطرته بشكل أوثق. لم تفعل الوزارة شيئًا لمساعدتنا في جهودنا للإطاحة بمادورو.

من ناحية إيجابية أكثر، أشارت مفاوضات المعارضة مع الشخصيات الرئيسة في النظام إلى صحة وجهة نظرهم بأن الانشقاقات التي سعينا إليها بدأت في الظهور. لم يكن سهلاً التغلب على أعوام من عدم الثقة، لكننا حاولنا أن نظهر للمنشقين المحتملين أن المعارضة وواشنطن كانتا جادتين بشأن العفو وتجنب الملاحقات الجنائية على تجاوزات سابقة. كانت تلك سياسة واقعية. كان العديد من كبار الشخصيات في النظام فاسدين، حيث استفادوا من الاتجار بالمخدرات، على سبيل المثال. ولم تكن سجلاتهم في ما يتعلق بحقوق الإنسان مثالية. لكنني شعرت بقوة أن من الأفضل تجاوز بعض هذه الأمور لتحطيم النظام وتحرير شعب فنزويلا بدلاً من التمسك بـ «المبادئ» التي أبقته مظلومًا، كما أبقت هيمنة كوبا وروسيا على البلاد. لهذا السبب، أثناء «الحرب النفسية» على النظام، غردت لأتمنى لمادورو تقاعدًا طويلًا وهادئًا على شاطئ جميل في مكان ما (مثل كوبا). لم يعجبني ذلك، لكنه كان أفضل بكثير من بقائه في السلطة. وبحسب تقييم المعارضة، واجهنا أيضًا مشكلة المراقبة الشديدة، المحتمل أن تكون كوبية، لكبار مسؤولي النظام، والتي من الواضح أنها تخيف مخططي الانقلاب المحتملين، وتجعل الاتصالات الوثيقة بينهم أكثر صعوبة.

إحدى الخدع التي فكرنا فيها لإرسال إشارات إلى الشخصيات الرئيسة في النظام تمثلت في شطب أسماء زوجاتهم وأفراد أسرهم من لائحة العقوبات، وهي ممارسة شائعة في سياسة الولايات المتحدة لإرسال إشارات للتأثير على سلوك الأفراد أو الكيانات المختارة. من المرجح ألا تحظى مثل هذه الإجراءات باهتمام كبير، لكنها رسائل قوية للمسؤولين في النظام بأننا مستعدون لتسهيل مساراتهم إما للخروج نهائيًا من فنزويلا وإما الانتقال إلى أحضان المعارضة كمتآمرين-مشاركين بدلاً من

سجناء. وبدورهم. إذا تعاونوا بعد ذلك في تسهيل الإطاحة بمادورو. سيمكّنهم الأمر من شطب أسمائهم من لائحة العقوبات. في منتصف آذار/مارس، وصلت القضية إلى ذروتها عندما رفضت وزارة المالية رفضًا قاطعًا إزالة أسماء بعض الأفراد، على الرغم من الدعم الإجماعي للاعبين المؤثرين الآخرين. اتصل بومبيو بمنوشين، ليجده مجددًا في لوس أنجلوس، وطلب منه أن يؤدي دور الخزانة الإداري وأن تتوقف إدارته عن إعادة تقييم القرارات. ومع ذلك، استمرت وزارة الخزانة في طرح أسئلة حول مفاوضات المعارضة مع شخصيات في نظام مادورو. وإعادة تقييم قرارات وزارة الخارجية حول ما إذا كان حذف الأسماء سيحقق النتائج المرجوة. كان الأمر لا يطاق. كان يفترض نقل عملية العقوبات كاملةً من وزارة الخزانة وتسليمها إلى وزارة أخرى. أخيرًا، قال منوشين إنه سيقبل توجيهات وزارة الخارجية في حال أرسلت له مذكرة تفيد أنني موافق على القرارات. كان ذلك سلوك منوشين المعتاد لـ«تغطية مؤخرته»، لكنني كنت سعيدًا بإرسال مذكرة موجزة إلى بومبيو ومنوشين وبار لتوضيح وجهة نظري بأن الخزانة لا يحق لها بسياسة خارجية خاصة بها. فَرِحْتُ بعد ذلك لأن إليوت أبرامز، وهو صديق قديم التحق بوزارة الخارجية بصفته «مبعوثًا خاصًا» آخر، أرسل لي بريدًا إلكترونيًا يقول: «رسالتك نموذجية كلاسيكية. يجب تدريسها في المدارس الحكومية!». للأسف، كان من الممكن إنفاق الوقت والجهد المبذولين هنا لتعزيز المصالح الأميركية.

لقد قمنا في الوقت ذاته بالتضييق على هافانا. ألغت وزارة الخارجية استنتاج أوباما السخيف بأن كرة القاعدة (البيسبول) الكوبية مستقلة إلى حد ما عن حكومتها. مما سمح بالتالي لوزارة الخزانة بإلغاء الترخيص الذي يسمح لدوري كرة القاعدة الرئيسي بالمتاجرة باللاعبين الكوبيين. لم يحبب هذا الإجراء المالكين بنا، لكنهم أخطأوا للأسف إذ لم يفهموا أنَّ مشاركتهم في مخطط كرة القاعدة المحترفة تعني أنهم ينامون مع العدو. والأفضل من ذلك، أنَّ عمليات الاستثناء الرئاسية الدائمة من أحكام رئيسية في قانون هيلمز-بيرتون انتهت. سمح قانون هيلمز-بيرتون لمالكي العقارات الذين يمتلكون أصولًا مصادرة من قبل حكومة كاسترو، وبيعت لآخرين، بالادعاء في المحاكم الأميركية، إما لاسترداد الممتلكات وإما لتلقي تعويض من المالكين الجدد، لكنَّ تلك الأحكام لم تنفذ إطلاقًا. سوف تنفذ الآن. وتماشيًا مع تهديداته العلنية بـ«الحصار الشامل والكامل» على كوبا بسبب شحنات النفط بين فنزويلا وكوبا، طلب ترامب أيضًا مرارًا وتكرارًا من وزارة الدفاع خيارات ملموسة حول طريقة إيقاف هذه الشحنات، بما في ذلك من خلال الاعتراض[1]. على الرغم من أن استخدام القوة العسكرية داخل فنزويلا كان

(١) See Reuters, "Trump threatens 'full' embargo on Cuba over Venezuela security support," April 30, https://www.reuters.com/article/us-venezuela-politics-trump-tweet/trump-threatens-full-embargo-on-cuba-over-venezuela-security-support-idUSKCN1S62PD

بلا جدوى، إلَّا أن استخدام القوة لقطع توريد النفط، شريان الحياة لكوبا، كان يمكن أن يكون دراماتيكيًا. لم يفعل البنتاغون أي شيء.

إلى أي حد كان تأثير كوبا سيئًا في فنزويلا؟ حتى صحيفة النيويورك تايمز فهمت المشكلة، حيث نشرت قصة رئيسة في ١٧ آذار/مارس تروي كيف استُخدِمَت «المساعدة الطبية» الكوبية لدعم مادورو بين فقراء فنزويلا، فحُجبت عن أولئك الذين لا يرغبون في تنفيذ أوامر مادورو[١]. أظهر المقال حجم اختراق كوبا لنظام مادورو وكم كانت الظروف سيئة في فنزويلا. وبالإضافة إلى ذلك، وصف علنًا جنرال فنزويلي كبير انشق عن الجيش وفر إلى كولومبيا في وقت لاحق من ذلك الأسبوع حجم الفساد داخل برنامج البلاد الطبي، مضيفًا المزيد من الأدلة على التعفن داخل النظام[٢]. كما نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالاً بعد ذلك بوقت قصير يوضح بالتفصيل فقدان مادورو للدعم بين فقراء فنزويلا، وهو ما اعتقدناه منذ بداية التمرد في كانون الثاني/يناير[٣]. ولقد حثثت على النظر في اتخاذ مزيد من التدابير لدق إسفين بين الجيش الفنزويلي والكوبيين وعصاباتهم من «الكوليكتيفوس» الذين كان يحتقرهم الجيش المحترف، وأي شيء يمكننا القيام به لزيادة التوترات بينهما، ونزع الشرعية عن الوجود الكوبي، سيُعدُّ أمرًا إيجابيًا.

بدا ترامب ثابتاً، وقال في مؤتمر صحافي في البيت الأبيض في ١٩ آذار/مارس مع الرئيس البرازيلي الجديد جايير بولسونارو: «لم نفرض العقوبات الصارمة فعلاً على فنزويلا حتى الآن». وبطبيعة الحال، استدعى هذا التعليق السؤال: «لِمَ لا؟». ماذا كنا ننتظر بالضبط؟ استمر ستوري وكلافر كارون وآخرون يسمعون من مصادر في فنزويلا بأن وتيرة المحادثات وحجمها بين المعارضة والحلفاء المحتملين داخل النظام مستمرة في الازدياد. بدت كل الأمور تسير ببطء بشكل لا يصدق لكنَّها ظلت في الاتجاه الصحيح. في الواقع، لعلَّ أدلة الانقسام داخل النظام قد دفعت إلى اعتقال مساعِدَيْن من كبار مساعدي غوايدو، ولا سيما رئيس موظفيه، روبرتو ماريرو. ألقى بنس بثقله بشدة في هذا الأمر، واقنع ترامب بالتغلب على اعتراضات وزارة الخزانة على فرض عقوبات على مؤسسة مالية حكومية فنزويلية وأربع شركات تابعة لها. أخبرني بنس في ما بعد أن ترامب قال

(١) See Nicholas Casey, "'It Is Unspeakable': How Maduro Used Cuban Doctors to Coerce Venezuela Voters," https://www.nytimes.com/2019/03/17/world/americas/venezuela-cuban-doctors.html?auth= login-email&login= email

(٢) See "US-sanctioned Venezuelan defects to Colombia, Slams Maduro," https://www.reuters.com/article / us-venezuela-politics-general/u-s-sanctioned-venezuelan-defects-to-colombia-slams-maduro-idUSKCN-1QZ1YB

(٣) See David Luhnow, "Maduro Loses Grip on Venezuela's Poor, a Vital Source of His power," https://www .wsj.com/articles/maduro-loses-grip-on-venezuelas-poor-a-vital-source-of-his-power-11553014207

لمنوشين عند إعطائه هذه التعليمات: «ربما حان الوقت لوقف مادورو عن العمل». صحيح. أذعنت وزارة الخزانة عندذاك أيضًا في إخضاع القطاع المالي الفنزويلي كاملاً للعقوبات، وهو أمر قاومَتْه طويلاً بشدة. سُررْتُ بالحصول على النتيجة المرجوة، لكنَّ الوقت الضائع في الجدل الداخلي كان يعادل رمي حبل نجاة لمادورو. في هذه الأثناء، في أواخر آذار/مارس، أرسلت روسيا قوات ومعدات جديدة، واصفةً إحدى الشحنات بأنها إنسانية، محاولةً التعتيم على ما يمثله حجم حضورها(١). بانت مؤشرات قوية على أنَّ المزيد من القوات سيُرسل خلال الأشهر القليلة المقبلة. في الوقت نفسه، مع ذلك، أخبرني وزير الدفاع البرازيلي، فرناندو أزيفيدو، أنَّ نهاية مادورو باتت منظورة. كما التقيتُ في مكتبي برئيس هندوراس خوان هيرناندیز، الذي كان متفائلاً بالمثل، على عكس الوضع في نيكاراغوا المحاذية لبلاده.

في ٢٧ آذار/مارس، وصلت زوجة غوايدو، فابيانا روزاليس، إلى البيت الأبيض لعقد اجتماع مع بنس في غرفة روزفلت، وأملنا أن يمر بها ترامب. رافقتها زوجة ماريرو وأخته، وبعد التقاط الصور التذكارية لروزاليس وبنس وتصريحاتهما للصحافة، أُدخلنا بدلاً من ذلك إلى المكتب البيضاوي. استقبل ترامب روزاليس والسيدتين بحرارة، ثم تحرك حشد من الصحافيين، لما تبين أنه حدثُ بثٍّ مباشر لمدة عشرين دقيقة. شكرتني روزاليس وترامب وبنس على دعمنا (قائلةً: «سيد بولتون، إنه لشرف لنا أن نعول عليك كما نفعل»). أدى ترامب عملاً جيدًا مع الصحافة، قائلاً، عندما سئل عن التدخل الروسي في فنزويلا: «يجب على روسيا أن تخرج من فنزويلا»، مما ترك انطباعًا قويًا وكان بالضبط ما كنتُ آمل أن يقول(٢).

وما كان مثيرًا أكثر الاهتمام هو المحادثة التي دارت بعد مغادرة الصحافة، فاستمعنا إلى روزاليس تصف حجم سوء الأمور في فنزويلا، وزوجة ماريرو تروي قصة اقتحام الشرطة السرية لمنزلها وجر زوجها إلى «الهيليكويدي»، أي مبنى القيادة العامة السيء السمعة في كاراكاس، الذي يُستخدمُ سجنًا كذلك. وبينما استمرت المناقشة، قال لي ترامب مرتين، في ما يتعلق بالروس، «أخرجهم»، وفي ما يتعلق بالنظام الكوبي، «ضعهم عند حدِّهم [في كوبا]»، ورحبت بالتعليمتين. في مرحلة ما، شدد ترامب على أنه يريد «أقوى العقوبات الممكنة» ضد فنزويلا، واستدرتُ لأنظر إلى منوشين، الذي جاء لحضور اجتماع آخر. ضحك الجميع، الفنزويليون والأميركيون، لأنهم يعلمون

(١) See Nathan Hodge and Anna-Maja Rappard, CNN, "Russia confirms its military personnel are in Venezuela," March 29, 2019, https://www.cnn.com/2019/03/28/europe/russia-venezuela-military-personnel-intl/index.html

(٢) See "Remarks by President Trump and First Lady Fabiana Rosales of the Bolivarian Republic of Venezuela before Bilateral Meeting," March 27, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-first-lady-fabiana-rosales-bolivarian-republic-venezuela-bilateral-meeting/

أن منوشين يمثل العقبة الرئيسة أمام القيام بما قال ترامب إنه يريده. سأل بنس روزاليس عما يحدث مع الجيش الفنزويلي، لكن ترامب قاطعها بالقول: «إنه بطيء جدًا. اعتقدت أنه سيكون حسم الأمر حتى تاريخنا هذا». ردت روزاليس بوصفٍ للعنف الشديد الذي تشاهده، والصلات الوثيقة بين الجيش الفنزويلي وكوبا[1]. بعد انتهاء الاجتماع مع روزاليس، قال ترامب لي ولمنوشين: «لا يمكنكما التراجع الآن»، فأجبت: «أنا وستيف نتطلع إلى ذلك فور عودته [منوشين] من الصين». كنت على يقين من أنّ منوشين يستمتع بذلك قدر ما كنت أفعل.

كانت أكثر نتيجة غير متوقعة للاجتماع هي ملاحظة ترامب أنَّ روزاليس لم ترتدِ خاتم زواج، وكم هي شابة. كانت النقطة الثانية صحيحة، على الرغم من أنها بدت حازمة، ويظهر ذلك في الطريقة التي أتت بها مع صديقتيها، لكنني لم ألحظ النقطة الأولى. لاحقًا، كلما ذُكِرَ اسم غوايدو، سوف يعلّق ترامب على «قضية» خاتم الزواج. لم أفهم أبدًا على ما يدل ذلك، لكنه ليس أمرًا جيدًا، في رأي ترامب. كان يعتقد أن غوايدو كان «ضعيفًا» على عكس مادورو الذي كان «قويًا». بحلول الربيع، كان ترامب يصف غوايدو بـ«بيتو أورورك فنزويلا» (أورورك هو نائب أميركي شاب سابق)، وهو ليس نوع الإطراء الذي يتوقعه حليف للولايات المتحدة. لم يكن الأمر مفيدًا ولكنه نموذجي للطريقة التي يشهِّر بها ترامب بلا مبالاة بمن حوله، كما هو الحال عندما بدأ ينحى عليّ باللائمة على فشل المعارضة في الإطاحة بمادورو. ربما نسي ترامب أنَّه اتخذ القرار الفعلي بشأن سياستنا في فنزويلا، إلاَّ عندما قال إنه هو الوحيد الذي اتخذ القرارات. مع ذلك، في الاجتماع مع فابيانا روزاليس، كان أداء ترامب في المكتب البيضاوي هو الأكثر تأكيدًا حتى تاريخه على سياسة الولايات المتحدة في فنزويلا. من المؤسف أن مرؤوسي الخزانة ووزارة الخارجية المعنيين لم يكونوا هناك أيضًا لرؤيته.

تمثلت إحدى مناوراتنا في سلسلة من التغريدات الموجهة مني إلى وزير الدفاع بادرينو، محاولاً تأجيج وطنيته الفنزويلية ضد الروس والكوبيين، وحثثته على «القيام بالفعل الصواب» بموجب دستور بلاده. يبدو أنَّ رسالتنا وصلت. ففي رد على سؤال أحد الصحافيين، أجاب بادرينو: «سيد بولتون، أقول لك إننا نفعل ما هو صواب. فعل الشيء الصواب هو القيام بما هو مكتوب في الدستور... فعل الصواب هو احترام إرادة الشعب»[2]. كان ذلك كل ما نحتاجه لبدء خط جديد من التغريدات بأن «إرادة الشعب» تدعو للتخلص من مادورو، وهو أمر صحيح بالتأكيد. على الأقل، يمكننا الآن القول

(١) كانت هذه التصريحات مشابهة جدًا لما قالت في حضور الصحافة. المرجع السابق.

(٢) See "Venezuelan minister tells US' Bolton 'right thing' is respecting the people's will," March 30, 2019, https://www.dailysabah.com/americas/2019/03/30/venezuelan-minister-tells-us-bolton-right-thing-is-respecting-the-peoples-will

إننا غزونا عقل بادرينو، وربما آخرين. في الواقع، قالت روزاليس لأبرامز بعد اجتماعها مع ترامب: «يتساءل النظام إذا كان التهديد العسكري الأميركي جديًّا، لكنهم يشعرون بالخوف أكثر عندما يبدأ جون بولتون بالتغريد». حسنًا، كان ذلك مشجعًا!

في فنزويلا، كانت المعارضة وشخصيات النظام الرئيسة تعمل على تطوير خطة مع محكمة العدل العليا، أي ما يعادل محكمتنا العليا، لإعلان أن الجمعية الوطنية التأسيسية. أي «الهيئة التشريعية» التابعة لمادورو التي انتخبت بشكل احتيالي وغير مشروع، غير شرعية[1]. إذا استطاعت المحكمة العليا في فنزويلا، المكتظة بأزلام مادورو ومأجوريه، ويقودها إسميًا أقوى داعميه، نزع الشرعية عن الهيئة التشريعية المزيفة التابعة لمادورو، فسوف تقوض بشكل كبير نظام مادورو في كل أنحاء فنزويلا. في الوقت نفسه، اخترق المدنيون الفنزويليون آنذاك الحواجز التي أقامها حرس مادورو الوطني على جسر سيمون بوليفار الدولي بالقرب من كوكوتا، نقطة العبور إلى كولومبيا، واستأنفوا بالتالي الاتصال بالعالم الخارجي. لقد تشتت الحرس الوطني ببساطة، وأفادت تقارير غير مؤكدة أنَّ حكام المقاطعات في العديد من المقاطعات الحدودية يتولون شؤونها، ولكنْ مؤقتًا فقط. كانت المجاميع النهائية لجهد ٢٣ شباط/فبراير أنَّ ما يصل إلى ١٤٠٠ عنصر من الجيش الفنزويلي والحرس الوطني والشرطة قد انشقوا[2]، ولم يراودنا أي شك في أنَّ الجزء الأكبر من القوات العسكرية المتبقية لاتزال تدعم بقوة مادورو.

إذا أردنا الفوز، كان علينا تصعيد «لعبتنا» بشكل كبير. في اجتماع «غير رسمي» للجنة الرؤساء

---

(١) على ما هو موثق في الحواشي السابقة، فإن الكثير من التفاصيل حول ما حدث في فنزويلا في آذار/مارس ونيسان/أبريل خصوصًا، الموصوفة في الصفحات التالية، وجدت طريقها إلى السجل العام. علمناها في الوقت الحقيقي من المعارضة، على الرغم من وجود خلافات غالبًا حول العديد من القضايا، على ما هو الحال في أي نزاع داخلي مثل هذا. بالإضافة إلى ما سبق ذكره، مراجعة:

see, e.g., Nicole Gaouellette, "Bolton says senior Venezuelan officials committed to backing Guaidó," April 30, 2019, https://www.cnn.com/2019/04/30/politics/venezuela-us-clashes-bolton/index.html. The C-SPAN tape of my April 30 interview is found at https://www.c-span.org/video/?460292-1/national-security-adviser-bolton-calls-peaceful-transfer-power-venezuela. See also the interview with Elliott Abrams in "US: Venezuelan officials who were negotiating Maduro exit have gone dark," May 1, 2019," "https://www.efe.com/efe/english/world/us-venezuelan-officials-who-werenegotiating-maduro-exit-have-gone-dark/50000262-3965957" https://www.efe.com/efe/english/world/us-venezuelan-officials-who-were-negotiating-maduro-exit-have-gone-dark/50000262-3965957#; and Uri Freedman, "How an Elaborate Plan to Topple Venezuela's President Went Wrong," May 1, 2019, https://www.theatlantic.com/politics/archive/2019/05/white-house-venezuela-maduro-failed/588454/

(٢) See John Otis, NPR, "Venezuelan Officers Who Fled to Colombia Are'Adrift' As Maduro Holds On to Power," July 22, 2019, https://www.npr.org/2019/07/16/742275893/venezuelan-officers-who-fled-to-colombia-are-adrift-as-maduro-holds-onto-power

نظمتُهُ في ٨ نيسان/أبريل. وقد أصبح منوشين الآن أكثر مرونة. اتفقنا على زيادة الضغط على روسيا سواء داخل نصف الكرة الغربي أو خارجه، في أوكرانيا أو البلطيق، على سبيل المثال، أو على خط أنابيب نورد ستريم ٢. وعرض منوشين الضغط على وزير المالية الروسي خلال عطلة نهاية الأسبوع في الاجتماعات السنوية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وعُدَّ ذلك تقدمًا. مع التقديرات لإجمالي الديون الفنزويلية المستحقة لروسيا والصين (في المقام الأول روسيا) بأنها تصل إلى ٦٠ مليار دولار، أو حتى أعلى، من الواضح أن المجازفة كبيرة، وستصبح أكبر إذا استولت المعارضة على السلطة[1]. كنت أتمنى فقط ألا يعترض ترامب على زيادة الرهان مع موسكو.

سمع كلافير كارون وستوري أنَّ يوم ٢٠ نيسان/أبريل، قبل عيد الفصح بيوم، قد يكون التاريخ المستهدف للمفاوضات لكسر النظام. حتى رئيس الشرطة السرية مانويل كريستوفر فيغويرا، على ما سمعنا، اعتقد أنَّ مادورو قد انتهى[2]. أصبحت المحادثات مع العديد من كبار القادة العسكريين الفنزويليين، بمن فيهم وزير الدفاع بادرينو، عملياتية بشكل متزايد: ليس حول ما إذا كان مادورو سيُخلع، ولكن حول كيف سيحدث ذلك[3]. تشاور هؤلاء القادة العسكريون كذلك مع السلطات المدنية العليا، وخاصة مورينو[4]، مما يبشر بالخير للمضي قدمًا ضد مادورو وأولئك الذين مازالوا يظهرون الولاء للنظام. كان هذا مهمًا، لأن التغيير الحقيقي يتطلب أكثر من مجرد خلع مادورو من منصبه. كان انطباعي أن الكثير من المفاوضات تركزت على ما ستبدو عليه فترة «الانتقال»، والتي كانت خطيرة للغاية، لأن مؤيدي التشافيزية سيظلون يسيطرون على المؤسسات الحكومية الرئيسية

(١) See MacKenzie Sigalos, "China and Russia loaned billions to Venezuela—and then the presidency went up for grabs," February 7, 2019, https://www.cnbc.com/2019/02/07/venezuela-china-and-russia-owed-debts-as-presidential-fight-rages.html

(٢) بعد انشقاقه، أصبح كريستوفر فيجويرا مصدرًا عامًا رئيسًا للمعلومات حول نظام مادورو، وتحديدًا حول الوجود الكوبي.

See, e.g., Anthony Faiolo, "Maduro's ex-spy chief lands in U.S. armed with allegations against Venezuelan government," June 24, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/the_americas/maduros-ex-spy-chief-lands-in-us-armed-with-allegations-against-venezuelan-government/2019/06/24/b20ad508-9477-11e9-956a-88c291ab5c38_story.html

يمكن العثور على مقتطفات من مقابلة كريستوفر فيجويرا مع الواشنطن بوست على الرابط التالي:

at https://www.youtube.com/watch?v=__Pk9WS06-g. See also Martin Arostegui, "Exiled Venezuelan Spy Chief Speaks Out About Corruption, Cuban Ties," https://voanews.com/americas/exiled-venezuelan-spy-chiefs-speak-out-about-corruption-cuban-ties

(٣) راجع مقابلة أبرامز، الحاشيتين، الأولى في هذا الفصل والأولى في الصفحة السابقة، وفريدمان، الحاشية الأولى في الصفحة السابقة.

(٤) المصدر نفسه.

حتى بعد الإطاحة بمادورو. فهمتُ أن التسلسل المبدئي هو أن المحكمة العليا ستعلن أنَّ الجمعية التأسيسية غير قانونية. ثم يستقيل مادورو. سيعترف الجيش بغوايدو رئيسًا مؤقتًا؛ سيتم الاعتراف بالجمعية الوطنية باعتبارها الهيئة التشريعية الشرعية الوحيدة في فنزويلا؛ وستبقى المحكمة العليا على حالها. لم يكن ذلك مثاليًا، وكانت هناك بالتأكيد مخاطر في رأيي من أن القضاء على مادورو، وإنما إبقاء النظام في السلطة. يمكن أن يكون الهدف الخفي لبعض شخصيات النظام المتورطة.

في ١٧ نيسان/أبريل، في فندق بيلتمور في كورال غيبلز، فلوريدا، تحدثتُ إلى جمعية المحاربين القدامى في خليج الخنازير في ذكرى غزوهم لكوبا قبل ثمانية وخمسين عامًا. في محاولة فاشلة للإطاحة بنظام كاسترو. كان اللواء ٢٥٠٦ للمحاربين القدامى قوة فاعلة في السياسية الأميركية الكوبية في فلوريدا وفي البلاد ككل، وكان هذا التجمع السنوي مصدر جذبٍ كبير للاهتمام، وهو أمر لم يفوته السياسيون الطموحون بأي وسيلة ممكنة إطلاقًا. تمكنتُ من أن أحضر لهم أخبارًا، أخيرًا، عن نهاية الاستثناءات للبند ٢ من قانون هيلمز-بيرتون، مما يسمح بإقامة دعاوى ضد أصحاب الممتلكات التي صادرها نظام كاسترو، والإنفاذ الكامل للبند ٤، والذي يمكن أن يرفض بموجبه منحهم تأشيرات للدخول إلى الولايات المتحدة، وهي مشكلة كبيرة للشركات الأجنبية التي تمتلك الآن الكثير من تلك الممتلكات. كان هنالك عدد من الإجراءات الأخرى الجديدة بالملاحظة التي كنا نعلنها ضد كل من كوبا وفنزويلا، وخاصة تلك التي تستهدف البنك المركزي الفنزويلي. كان التأثير العام هو إظهار إلى أي حد كانت الإدارة مصمِّمة على مناهضة «ترويكا الاستبداد». على الرغم من أنني كنت الوحيد في قاعة بيلتمور المكتظة الذي يعرف كم كان عزم مَن يجلس وراء مكتب ريزولوت ضعيفًا.

بعد تأخير لأسباب مختلفة، أصبح التاريخ الجديد المستهدف للمعارضة لتنفيذ خطتها هو ٣٠ نيسان/أبريل. شعرتُ أنَّ الوقت يمرُّ سريعًا ضد مصلحتنا. نظرًا لمخاوف ترامب الواضحة بشأن غوايدو و«قضية» خاتم الزواج. تبادرت إلى ذهني كل الأخطاء التي ارتُكبت سابقًا، مثل مغادرة غوايدو البلاد، وفشل المعارضة وكولومبيا في شباط/فبراير في شق طريقهما بالقوة عبر الحدود مع المساعدات الإنسانية، وإغلاق سفارتنا في كاراكاس. في أي حال، مع تحديد تاريخ ٣٠ نيسان/أبريل، ووقوعه قبل يوم من موعد المظاهرات الجماعية التي أعلن عنها غوايدو سابقًا في كل أنحاء البلاد في ١ أيار/مايو، لعلَّ الساعة الحاسمة على وشك أن تحلّ.

وفي الواقع، حُلَّت. اتصل بي بومبيو عند الساعة ٥:٢٥ من صباح ٣٠ نيسان/أبريل، ليقول: «تحدث تحركات كثيرة في فنزويلا»، موضحًا أنَّ من جملة أمور حصلت، أفرج الرئيس الجديد نسبيًا للـ«سيبين»، وكالة الشرطة السرية الرئيسة، الجنرال مانويل كريستوفر فيغويرا، عن زعيم المعارضة ليوبولدو لوبيز من الإقامة الجبرية التي فُرضت عليه منذ فترة طويلة. وأضاف بومبيو أنَّ بادرينو

ذهب لمقابلة غوايدو، وكان يخطط لإخبار مادورو قريبًا بأن وقت رحيله قد حان. قيل إن بادرينو كان يرافقه ثلاثمئة عسكري، مما يشير إلى أنه تحرر من الكوبيين، على الرغم من علمنا لاحقًا أن هذه المعلومات (كل من الاجتماع المزعوم والعسكريين) غير صحيحة. أمّا الجزء المتعلق بالمحكمة العليا من الخطة، (إعلان الجمعية التأسيسية غير شرعية)، فلم يحدث بعد، ولكنْ يبدو أنَّ أجزاءً أخرى بدأت تتحقق. كنتُ جاهزًا للخروج من المنزل إلى البيت الأبيض، وغادرتُ في وقت أبكر قليلاً من المعتاد، متوقعًا يومًا كاملاً من الاضطراب. في الوقت الذي وصلت إلى الجناح الغربي، كان غوايدو ولوبيز في قاعدة لا كارلوتا الجوية في وسط كاراكاس التي ورد أنها انشقت والتحقت بالمعارضة. غرَّد غوايدو برسالة مع فيديو يعلن فيها بدء «عملية الحرية»، داعياً الجيش إلى الانشقاق والمدنيين إلى الخروج إلى الشوارع للاحتجاج. ولكن بعد ذلك بوقت قصير، سمعنا أنَّ المعلومات حول قاعدة لا كارلوتا الجوية كانت غير دقيقة، وأن غوايدو ولوبيز لم يكونا في الواقع داخل القاعدة. وعلاوةً على ذلك، فالتقارير التي تفيد بأن الوحدات العسكرية التي تدعم غوايدو قد استولت على الأقل على بعض محطات الراديو والتلفزيون، تبين أنَّها غير صحيحة في غضون بضع ساعات.

استمرت التقارير المربكة والمتناقضة تَرِدُ طوال الصباح، وهو ما يُعرف بظاهرة «ضباب الحرب» في نوع الأحداث هذا، ولكنْ أصبح واضحًا جدًا أنّ العملية التي نوقشت إلى ما لا نهاية بين المعارضة وشخصيات النظام الرئيسية قد تفكَّكت. لم تصل تقارير الخدمة الإخبارية الأولى قبل حوالى الساعة السادسة والربع صباحًا، وقد سمعنا أن مورينو استدعى أعضاء المحكمة العليا لأداء دورهم المحدد، مما سيؤدي بدوره إلى انتقال بادرينو إلى العمل. ولكنْ اتضح أن القضاة لم يتبعوا ذلك. بحلول فترة ما بعد الظهر، كان تقديري أنَّ كبار قادة النظام المدنيين والعسكريين الذين تفاوضت معهم المعارضة، مثل مورينو، تراجعوا عن موقفهم لأنهم اعتقدوا أنَّ العملية أُطلقت قبل الأوان. قال الجنرال كريستوفر فيغويرا إنه نبه شخصيًا بادرينو من العجلة في التوقيت، ولكنْ كان بإمكانه ملاحظة أن بادرينو متوتر بشأن تغيير الخطط[1]. لقد تم تقديم الموعد فقط لأنَّ الكوبيين اشتموا على الأرجح ليلة الإثنين رائحة المؤامرة، مما حفز المشاركين في جانب المعارضة إلى التحرك إلى الأمام خارج تسلسل الأدوار المتفق عليه. أظهرت جميع الأدلة، في تقديري، من كان المسؤول الحقيقي في فنزويلا، أي الكوبيين، الذين أبلغوا مادورو. مع انتشار الخبر داخل مستويات النظام

---

(١) وصف كريستوفر فيجويرا الحوار: «في ٢٩ نيسان/أبريل، قال فيجويرا، إنه علم أنَّ عصابات مادورو الكولكتيفوس الخطرة، تستعد لهجوم واسع النطاق على احتجاجات عيد العمال التي قد تؤدي إلى «حمام دم». وأخبر بادرينو عن الجدول الزمني الجديد بنفسه. ورد بادرينو، حسب قول فيجويرا: ««هل أنت مجنون؟». «ماذا عن حكم المحكمة العليا؟ كيف ستفعل ذلك؟». «سيحدث ذلك»، على ما قال فيجويرا بإنه أجاب مضيفاً. «وإلاَّ، سيكون تاريخ ١ أيار/مايو دمويًا... علينا أن نتحرك بسرعة». قال فيجويرا وغيره من المتآمرين أنهم تلقوا تأكيدًا بأن مورينو كان مستعدًا لإصدار حكمه في ٣٠ نيسان/أبريل. ولكن بعد سماع شكوك بادرينو، بدأ في استدعاء شخصيات عسكرية أخرى». انظر فابولو، الحاشية (٢) في الصفحة ٢٥٥.

العليا أنَّ أمن الخطة اختُرِق، تزايد توتر رئيس المحكمة العليا مورينو، مما أدى إلى فشله في دفع محكمته إلى نزع الشرعية عن الجمعية التأسيسية التابعة لمادورو على ما هو مخطط له، وبالتالي أخاف كبار القادة العسكريين. وقد ترددوا بسبب عدم وجود غطاء «دستوري»، وأدى الإفراج عن لوبيز صباح الثلاثاء إلى زيادة قلق المتآمرين العسكريين الكبار. فكرت أن هؤلاء الجنرالات ربما لم ينووا أبدًا الانشقاق، أو على الأقل غطوا رهاناتهم كفايةً ليتمكنوا من القفز إلى أحد الاتجاهين يوم الثلاثاء، اعتمادًا على المسار الذي ستسلكه الأحداث.

لا شيء يسير على ما هو مخطط له في الحالات الثورية، ويمكن للارتجال أحيانًا أن يصنع الفرق بين النجاح والفشل. لكنَّ الأمور تداعت في فنزويلا في ذلك اليوم. لقد شعرنا بالإحباط بالتأكيد، إلى حد كبير لأننا كنا في واشنطن، بعيدين عما يجري، ولا نستطيع غالبًا معرفة الأحداث السريعة الحركة في الوقت الحقيقي. وعلى ما علمنا لاحقًا من قادة المعارضة، فبعد أن أفرج كريستوفر فيغويرا عن لوبيز من الإقامة الجبرية، قرر لوبيز وغوايدو المضي في العملية قدمًا، على أمل أن ينضم إليهما كبار مسؤولي النظام. سيسجل التاريخ أنهما كانا على خطأ، لكنهما لم يكونا غير منطقيين في الاعتقاد أنَّهما يجب أن يؤديا دورهما متى انطلقت العملية. لجأ كريستوفر فيغويرا لاحقًا إلى سفارتنا في كاراكاس، خوفًا على حياته من نظام مادورو، ثم فرَّ إلى كولومبيا؛ كانت زوجته وزوجات العديد من كبار المسؤولين في نظام مادورو قد غادرن فنزويلا سابقًا واتجهن إلى الولايات المتحدة وأماكن أخرى أكثر أمانًا.

لقد تصارعتُ ومسألة متى علي أن أوقظ ترامب، وقررتُ أن أفعل ذلك بعد وصولي إلى البيت الأبيض ومراجعة كل المعلومات المتاحة بسرعة. اتصلتُ به عند الساعة ٦:٠٧ صباحًا، فأيقظته للمرة الأولى في فترة ولايتي مستشارًا للأمن القومي. لا أعلم إنْ كان قد فعل ذلك فلين أو ماكماستر منْ قبل. كان ترامب نعسانًا جدًا، ولكن عندما أخبرته بما نعرفه، قال فقط: «واو». شددت على أَن النتيجة كانت بعيدة عن أن تكون مؤكدة. يمكن أن ينتهي اليوم مع مادورو في السجن، أو مع غوايدو في السجن، أو أي شيء بين ذلك. اتصلت ببنس عند الساعة ٦:٢٢ وبلغته الرسالة نفسها، ثم اتصلت بأعضاء آخرين في مجلس الأمن القومي والقادة الرئيسيين في الكونغرس، حيث كان الدعم شبه موحد من أعضاء جناحيه، الجمهوري والديمقراطي، لخطنا المتشدد في فنزويلا. طوال اليوم، كنتُ وبومبيو على الهاتف باستمرار في اتصال مع الحكومات الأجنبية، نُعلِمهم ما نعرفه ونلتمس دعمهم لنضال لا نستطيع التنبؤ بمدته.

لم يُبلَّغ أحد مادورو أنَّ موعد مغادرته قد حان على ما كان الحال في خطة المعارضة، ولكنْ لم يكن هناك شك في أن التمرد فاجأه، على الرغم من المراقبة الشاملة التي يتمتع بها نظامه. نُقِل مادورو إلى فويرتي تيونا، وهو مقر عسكري قريب من كاراكاس، حيث احتُجز تحت أشد الإجراءات

الأمنية لعدة أيام[1]. هل حدث ذلك لحماية مادورو أم لإجباره على البقاء في مكانه قبل أن يفر من فنزويلا، أم هو مزيج من كلا الدافعين؟ كان الموضوع موضع خلاف آنذاك ولايزال مبهمًا حتى الآن. (كان للكوبيين سبب وجيه للشعور بالقلق على مادورو؛ قال بومبيو علنًا لاحقًا إننا نعتقد أنه كان على وشك الفرار من فنزويلا في ذلك اليوم)[2]. وَرَدَ أنَّ بادرينو كان أيضًا في تيونا معظم اليوم، حسب اعتقاد المعارضة. ولكن مهما كانت الأسباب، كان الكوبيون وشخصيات النظام العليا قلقين بلا شك مما يشهدون، والذي يعبِّر بشكل صادق عن مفاهيمهم المغلوطة لدعم مادورو والنظام في فنزويلا[3].

ولقد قلقت آنذاك من أن تؤدي الانتفاضة الفاشلة إلى اعتقالات جماعية للمعارضة وحمام الدم المحتمل الذي كنا نخشاه منذ كانون الثاني/يناير. لكن النتائج الأسوأ تلك لم تحدث في ذلك الليل والنهار، ولا في الأسابيع والشهور التالية. السبب الأكثر ترجيحًا هو أن مادورو وأزلامه كانوا يعرفون جيدًا أن القمع قد يؤدي في النهاية إلى استفزاز الجيش، وأعلى ضباطه حتى، للتحرك ضد النظام. لم يكن مادورو ولا سائسوه الكوبيون على استعداد للمخاطرة بالأمر، ولايزال ذلك صحيحًا إلى اليوم.

في ١ أيار/مايو، حددتُ موعدًا لاجتماع لجنة الرؤساء لمناقشة ما يجب فعله. قدَّم الجميع اقتراحات، اعتمدنا الكثير منها، وسألوا مجددًا عن سبب عدم قيامنا بها كلها وأكثر في كانون الثاني/يناير. أصبحت واضحة اليوم للغاية آثار التباطؤ البيروقراطي، وبدا جليًا جدًا الافتقار إلى الثبات والعزيمة في المكتب البيضاوي. وعلى الرغم من أنَّ موقع طرفي النزاع ظل بشكل أساسي حيث كان قبل أحداث ٣٠ نيسان/أبريل، لم تتوافر طريقة للتظاهر بأن ذلك كان أي شيء آخر سوى هزيمة المعارضة. لقد لعبت مباراة ولم تكسب أي ساحة، وفي دولة دكتاتورية، ليست تلك أنباء جيدة إطلاقًا. لكنَّ حقيقة أنَّ إحدى الجولات باءت بالفشل لا تعني خسارة المنافسة، على الرغم من خيبة أملنا الواضحة. تقضي المهمة الآن بأن تستجمع المعارضة نفسها، وتنفض الغبار، وتمضي قدمًا مجددًا.

كان أحد الآثار الفورية أنَّ المظاهرات الحاشدة التي خطط لها غوايدو في الأول من أيار/مايو

(١) See Associated Press, "Venezuela's Maduro Calls for Military Unity After Clashes," May 2, 2019, https://www.usnews.com/news/world/articles/2019-05-01/venezuela-awaits-more-protests-after-a-day-of-turmoil

(٢) راجع الحاشية في الصفحة ٢٥٠.

(٣) Juan Forero, José de Córdoba and Kejal Vyas, "Venezuela's Opposition Came Close to Ousting the President—but the Plan Fell Apart," May 3, 2019, https://www.wsj.com/articles/how-plan-to-oust-venezuelan-leader-fell-apart-115569266837?mod+searchresults&page=3&pos+8

لم تأتِ بالحجم المطلوب. على الرغم من أنها كانت أكبر بكثير من مظاهرات النظام المضادة. خاف العديد من المواطنين من النزول إلى الشوارع لعدم تأكدهم من رد فعل النظام، مع أنَّ الصور التلفزيونية من كاراكاس أظهرت شبانًا وشابات في المعارضة يتلهفون للقتال، ويهاجمون سيارات الشرطة المدرعة التي تحاول كبح المتظاهرين. وأمضى غوايدو طوال يومه في العلن يخاطب الجماهير، داعياً إلى استمرار الاحتجاجات والإضرابات من نقابات القطاع العام، التي نجح بعض الشيء في شق صفوف عدد منها بعد دعمها طويلاً الحركة التشافيزية الموالية لمادورو. كانت حالة الاقتصاد البائسة تعني أنَّ موظفي الحكومة حتى، كانوا يعلمون بضرورة حدوث تغيير كبير قبل أن تتحسن الأمور. على النقيض من ذلك، ظل مادورو غير مرئي، ولم يخرج علنًا، وربما كان متحصنًا في فورت تيونا، ويقال إنه وضع الأساس لاعتقالات واسعة النطاق، وهو ما خشيت منه المعارضة والجمهور العام. لكنَّ ذلك لم يتحقق أبدًا، لحسن الحظ.

كان التطور السلبي غير الضروري هو قرار ترامب الاتصال ببوتين في ٢٣ أيار/مايو، للتحدث أساسًا في مواضيع أخرى غير فنزويلا، لكنه شملها في النهاية. وقد قدَّم بوتين عرضًا رائعًا للدعاية على الطريقة السوفياتية، التي اعتقدتُ أنها أقنعت ترامب إلى حد كبير. قال بوتين إن دعمنا لغوايدو قد عزز دعم مادورو، الأمر المنافي تمامًا للواقع، مثل تأكيده الوهمي أنَّ المسيرات المؤيدة لمادورو في ١ أيار/مايو كانت أكبر من تظاهرات المعارضة. وبطريقة مضمونة لجذب ترامب، وصف بوتين غوايدو بأنه شخص أعلن نفسه رئيسًا، ولكن بدون دعم حقيقي، نوعًا ما مثل هيلاري كلينتون التي قررت إعلان نفسها رئيسًة. استمر هذا المسار «الأورويلي» (الحال التدميرية كما وصفها الكاتب الانكليزي جورج أورويل)، حيث نفى بوتين أن يكون لروسيا أي دور حقيقي في الأحداث في فنزويلا. واعترف بوتين بأن روسيا باعت أسلحة لفنزويلا في عهد تشافيز قبل عشرة أعوام، واحتفظت بمسؤوليتها عن إصلاحها وصيانتها بموجب العقد الموقع في ذلك الوقت، ولكن ليس أكثر من ذلك. قال إن كريستوفر فيغويرا (على الرغم من أنه لم يستخدم اسمه، ولكن لقبه) ربما كان وكيلنا، ويمكنه أن يمثلنا. يا لها من مهزلة! كان بإمكان بوتين أن يخرج بسهولة من هذه المكالمة معتقدًا أنه يتمتع بحرية التصرف في فنزويلا. بعد ذلك بوقت قصير، على ما أبلغتنا وزارة الخزانة، تحدث ترامب مع منوشين، الذي استنتج بسعادة أن ترامب يريد أن يتهاون في فرض مزيد من العقوبات على فنزويلا.

على مرّ الأشهر القليلة التالية، تدهور الاقتصاد الفنزويلي، مواصلاً الانهيار الذي بدأ منذ عشرين عامًا، تحت حكم تشافيز ومادورو.أخبرني رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بعد زيارته لفنزويلا، أنَّه لم يرَ مستشفيات في مثل هذه الحالة المزرية منذ رحلته الأخيرة إلى كوريا الشمالية. استؤنفت المفاوضات بين المعارضة وشخصيات النظام الرئيسية. تباين تقدمها،

ومرَّت فترات طويلة بدت فيها المفاوضات معطلة. كافحت المعارضة لإيجاد استراتيجية جديدة بعد فشل ٣٠ نيسان/أبريل، مع نجاح متفاوت. تمثلت إحدى الطرق الوجيهة المحتملة في إثارة المنافسة داخل النظام للإطاحة بمادورو. إذا أثمر حشر العقارب هؤلاء في زجاجة ضد بعضهم البعض في إزالة مادورو، حتى ولو بقي «النظام» قائمًا، فقد يزيد ذلك من عدم الاستقرار ويصعد الاقتتال الداخلي، مما يتيح للمعارضة فرصًا أكثر للتصرف. أمَّا الجالية الفنزويلية الأميركية في فلوريدا المكتئبة من النتيجة، فقد ارتدت سريعًا لتخفيف الاضطهاد عن أصدقائها وعائلاتها. وأدرك السياسيون الأميركيون، من ترامب وما دونه، أنَّ الناخبين الفنزويليين الأميركيين، ناهيك عن الكوبيين الأميركيين والنيكاراغويين الأميركيين. الحاسمي الدور في نتائج التصويت في فلوريدا وأماكن أخرى، سيحكمون على المرشحين بناءً على دعمهم للمعارضة.

لكنَّ الجمود الأساسي في فنزويلا استمر. لا يمكن لأي من الطرفين إلغاء الآخر. سيكون من الخطأ القول، على ما فعل معلقون كثر، إنَّ الجيش ظل مخلصًا لمادورو. بقي الجيش في ثكناته، الأمر الذي يفيد النظام، في المحصلة، من دون شك. ومع ذلك، لا يعني ذلك، في تقديري، أنَّ الضباط العسكريين المبتدئين والأفراد المجندين يكنّون أي شعور بالولاء لنظام دمر البلاد، حيث تستمر الظروف الاقتصادية في التدهور يومًا بعد يوم. بدلاً من ذلك، يكاد يكون من شبه المؤكد في رأيي أنَّ كبار الضباط العسكريين خائفون أكثر على تماسك القوات المسلحة كمؤسسة. قد يؤدي إعطاءُ الأمر بقمع المعارضة إلى حرب أهلية، حيث يُرجح أن تدعم معظم الوحدات العسكرية النظامية المعارَضَة، ضد عدة أشكال من الشرطة السرية والميليشيات وعصابات «الكوليكتيفوس» التي توجهها كوبا. يُعدّ مثل هذا الصراع أحد التطورات النادرة التي يمكن أن تجعل الأمور أسوأ مما هي عليه فعلاً في فنزويلا. ولكنّه بالضبط السبب في أن الجيش، في الظروف المناسبة، لايزال قادرًا تمامًا على الإطاحة بالنظام، وليس بمادورو فقط، والسماح بالعودة إلى الديمقراطية.

ما يقف الآن بشكل أساسي في طريق تحرير فنزويلا هو الوجود الكوبي، مدعومًا بشكل حاسم بالموارد المالية الروسية. إذا غادرت الشبكات العسكرية والاستخباراتية الكوبية البلاد، فإنَّ نظام مادورو سيواجه مشكلة خطيرة، وربما قاضية. يفهم الجميع هذه الحقيقة، وخاصة مادورو، الذي يعتقد الكثيرون أنه مدين بموقعه رئيسًا للتدخل الكوبي في الصراع من أجل الحكم بعد وفاة تشافيز(١). بإعادة النظر في الماضي، يتضح لي أنَّ هافانا اعتبرت مادورو أكثر المنافسين الطيّعين، وقد أثبت الزمن دقة هذه الفرضية.

(١) See, e.g., Antonella Davalos, "Why Is Cuba Propping Up the Maduro Regime? A Look at the History of this Special Relationship," February 23, 2019, https://www.democracyspeaks.org/blog/why-cuba-propping-maduro-regime-look-history-special-relationship

في نهاية ذلك اليوم الأخير من نيسان/أبريل ٢٠١٩، فإنَّ ما أوقف محاولة الانتفاضة في اليوم الذي بدأت فيه هو: عِقْدان من انعدام الثقة المتبادل؛ الجبن من جانب العديد من قادة النظام الذين تعهدوا بالعمل ولكنهم فقدوا أعصابهم في اللحظة الحرجة؛ بعض الأخطاء التكتيكية من قبل المعارضة العديمة الخبرة؛ غياب أي مستشارين أميركيين على الأرض الذين كانوا «ربما»، وأشدد على كلمة «ربما»، سيساعدون على إحداث فرق؛ والضغط البارد المؤذي للكوبيين والروس. لقد عرضتُ كل هذه الأمور في ذلك الوقت، آملًا على السواء في مواصلة جهود المعارضة، وجعل السجل التاريخي واضحًا[1]. الاتهامات بعد الفشل أمر لا مفر منه. ووُجِّهَ الكثير منها، بما في ذلك من ترامب مباشرة.

ولكنْ، لا تخطئوا: اقترب هذا التمرد من النجاح. الاعتقاد بخلاف ذلك هو تجاهل لحقيقة أنه سيصبح أكثر وضوحًا فحسب مع ظهور مزيد من المعلومات في الأعوام المقبلة. في أعقاب فشل ٣٠ نيسان/أبريل، واصلت المعارضة معارضتها، ويجب أن تستمر السياسة الأميركية في دعمها. وعلى ما قال لي ميتش ماكونيل في أوائل شهر أيار/مايو: «لا تتراجع». يعود الفضل كله لأولئك الذين خاطروا بحياتهم في فنزويلا لتحرير مواطنيهم، والعار على أولئك الذين شككوا بهم. سوف تكون فنزويلا حرّة.

(١) بعد ظُهر يوم ٣٠ نيسان/أبريل، غرّدْتُ، "@vladimirpadrino, @ivanr_ HD, @MaikelMorenoTSJ": «أنتَ تعرف جيدًا الدور الذي لعبته في التخطيط لتحرك اليوم من أجل الديمقراطية في فنزويلا. يجب أن تقف الآن وتفعل ما هو مناسب لفنزويلا. نحن والعالم سنحاسبكم على هؤلاء الفنزويليين المصابين اليوم». وفي اليوم التالي، في مقابلة إذاعية مطولة مع هيو هيويت، تحدثتُ بالتفصيل عن المعاملات المعقدة بين شخصيات النظام الرئيسية والمعارضة قبل الانتفاضة.

See transcript, https://www.hughhewitt.com/ambassador-john-bolton-on-uprising-in-venezuela

الفصل العاشر

العاصفة القادمة من الصين

سوف ترسم العلاقات السياسيّة والجيوسياسيّة بين الولايات المتحدة والصين شكل الشؤون الدوليّة في القرن الحادي والعشرين. لقد كان قرار دينغ سياو بينغ تحويل السياسات الاقتصاديّة الصينيّة بعيداً عن الماركسيّة العقائدية بدءاً من العام ١٩٧٨، وقرار الولايات المتحدة الاعتراف بجمهوريّة الصين الشعبيّة (وسحب اعترافها بجمهورية الصين- تايوان) في العام ١٩٧٩، نقطتي تحول حاسمتين. إن تاريخ هذين القرارين وعواقبهما مسألة معقدة، لكن الاستراتيجية الأميركيّة والغربية عموماً بالإضافة إلى الرأي العام «المطّلع» لعدد من العقود التي تلت، ارتكزا على افتراضين رئيسيين: الأول هو أن أولئك الذين أيّدوا تلك التطورات اعتقدوا أن الصين ستتغيّر بشكل لا عودة عنه من خلال تنامي الازدهار بفعل اعتماد سياسات السوق وازدياد الاستثمارات الأجنبيّة وتعميق العلاقات المتداخلة مع الأسواق الدوليّة وقبول أوسع بالأعراف الاقتصاديّة الدوليّة. وكما جاء في الجملة المستخدمة للتعبير عن ذلك، فإن الصين ستتمتّع «بصعود آمن» وستكون «مساهماً مسؤولاً» أو «شريكاً بنّاءً» في العلاقات الدوليّة[1]. وشكّل إدخال الصين إلى منظمة التجارة العالميّة سنة ٢٠٠١ نقطة الذروة لهذا التقييم.

أما الافتراض الثاني، فجادل فيه مؤيدو النظرة الحميدة لصعود الصين بأن ارتفاع الثروة الوطنيّة الصينيّة سيؤدي من دون شك إلى نمو الديمقراطيّة. واعتبر هؤلاء أن الأنماط الوليدة للانتخابات الحرة التي رآها المراقبون في العمليات الانتخابية المحلية المعزولة التي جرت في بعض قرى الريف الصيني، ستنتشر إلى مناطق محلية أخرى ثم ترتقي إلى مستوى الأقاليم وصولاً إلى المستوى الوطني في نهاية المطاف. ورأوا ترابطاً قوياً بين نمو الحريّة الاقتصاديّة وتشكّل طبقة وسطى حقيقية، من جهة؛ وبين الحريّة السياسيّة والديمقراطيّة، من جهة أخرى. وستنطلق من ثم تداعيات نظريّة «السلام الديمقراطي»: ستتلافى الصين الدخول في المنافسة لتحقيق الهيمنة

---

(١) See, e.g., «Whither China: From Membership to Responsibility?» Speech by Robert B. Zoellick, Deputy Secretary of State, found at https://2001-2009.state.gov/s/d/former/zoellick/rem/53682.htm

الإقليميّة أو الدوليّة، ويتفادى العالم عندئذٍ السقوط في «فخ ثوسيديس»، فتتراجع مخاطر النزاع الدولي سواءً كان حارّاً أم بارداً.

إلا أن هذه المقاربات غير صحيحة من أساسها. ففي ما يتعلق بالاقتصاد، قامت الصين بالضبط بعكس ما كان متوقعاً منها بعد انضمامها إلى منظمة التجارة العالميّة. فبدل الالتزام بالأعراف القائمة، تلاعبت الصين بالمنظمة متبعة بنجاح سياسة مركنتيليّة في هيئة مفترض أنّها تختص بالتجارة الحرة. أما على المستوى الدولي، سرقت الصين الملكيّة الفكريّة؛ وأجبرت المستثمرين والشركات الأجانب، على نقل معرفتهم التكنولوجيّة إليها؛ كما مارست التمييز ضدهم. وانغمست في ممارسات فاسدة و«دبلوماسيّة الدَّين» من خلال أدوات مماثلة لمبادرة «الحزام والطريق»؛ وواصلت إدارة اقتصادها المحلي وفق أساليب الدولة التسلطيّة. لقد كانت الولايات المتحدة هي الهدف الأساسي لهذه الجوانب «الهيكليّة» في السياسة الصينيّة، لكن معها أيضا أوروبا، واليابان وعمليّاً كل الديمقراطيّات الصناعيّة بالإضافة إلى الديمقراطيات غير الصناعية التي وقعت ضحية أيضاً بالرغم من عدم امتلاكها صناعات. علاوةً على كل ذلك، سعت الصين من خلال نشاطها الاقتصادي لتحقيق مكاسب سياسيّة وعسكريّة لا تفكر فيها مجتمعات الاقتصادات الحرة بكل بساطة. وقامت بذلك من خلال شركات خاصة مزعومة لم تكن عمليّاً سوى أدوات للأجهزة الاستخباريّة والعسكريّة الصينيّة [١]، وذلك من خلال دمج مراكز نفوذها المدنيّة والعسكريّة[٢]، وانخراطها في حرب سيبرانيّة عدائيّة استهدفت المصالح الأجنبيّة الخاصة بقدر استهدافها، أو حتى أكثر، الأسرار الحكوميّة.

أمّا على المستوى السياسي، فابتعدت الصين عن الديمقراطيّة بدل أن تتجه نحوها. يقود الصين اليوم القائد الأقوى منذ ماو تسي تونغ، وهو تشي جينبينغ، ومعه الحكومة ذات السيطرة المركزيّة الأكبر. كل ديكتاتور يختبر فرصته، لذلك، لا تشكل الخلافات الداخلية في الحزب الشيوعي صاحب النفوذ الأوسع، دليلاً على ديمقراطيّة «مزدهرة». وإذا كان ثمة حاجة لدليل إضافي، فلقد قدّمه مواطنو هونغ كونغ الذين رأوا وعد «الوطن الواحد بنظامين» يتعرض لخطر وجودي. كما يتواصل على نطاق واسع الاضطهاد الإثني (ضد الإيغور وأهل التيبت) والديني (ضد الكاثوليك وحركة «فالون غونغ» الدينيّة). أخيراً، يوفر استخدام بكين لنظام «الرصيد

(١) See Remarks by Assistant Secretary Christopher A. Ford, «Huawei and Its Siblings, the Chinese Tech Giants: National Security and Foreign Policy Implications,» September 11, 2019, https://www.state.gov/huawei-and-its -siblings-the-chinese-tech-giants-national-security-and-foreign-policy -implications/

(٢) See, e.g., Kate O'Keefe et al., «China Taps Its Private Sector to Boost Its Military, Raising Alarms,» https://www.wsj.com/articles/china-taps-its-private -sector-to-boost-its-military-raising-alarms-11569403806

الاجتماعي» لتصنيف المواطنين[1] في كل أرجاء الصين، رؤية قاسية لمستقبل لا يبدو حراً للعيون الأميركيّة.

لطالما كررتُ في خطاباتي ومقالاتي قبل انضمامي إلى إدارة ترامب أن قدرات الصين العسكريّة توسعت من خلال: إنشاء أحد أفضل برامج الحروب السيبرانيّة الهجوميّة حول العالم؛ إنشاء قوّة بحريّة للمرة الأولى منذ خمسمئة سنة؛ زيادة حجم ترسانتها من الأسلحة النوويّة والصواريخ الباليستيّة، بما في ذلك برنامج خطير لصواريخ بقدرات نوويّة تُطلق من الغوّاصات؛ تطوير أسلحة مضادة للأقمار الاصطناعيّة لتعمية الرؤية عن المجسات الأميركيّة المتمركزة في الفضاء؛ تصميم أسلحة لمنع اقتراب قواتنا البحريّة وتالياً إخراجها من الساحل الآسيوي؛ إصلاح وتطوير القدرات الحربيّة التقليدية لجيش التحرير الشعبي؛ وسوى ذلك. مع مراقبة التحوّلات الصينيّة على مدى سنوات، أرى أن كل ذلك يهدّد بعمق المصالح الاستراتيجيّة الأميركيّة ومصالح أصدقائنا وحلفائنا حول العالم[2]. عمليّاً، لقد استلقت إدارة أوباما على ظهرها وتفرّجت على كل ذلك أثناء حدوثه.

لقد كانت اليقظة الأميركيّة بطيئة حيال الأخطاء الأساسيّة التي ارتكبت قبل عقود. لقد عانينا من أذى اقتصادي وسياسي واسع، ولكن لحسن الحظ اللعبة بعيدة عن أن تكون قد انتهت. مع اتساع دائرة المعرفة بأن الصين لا تلعب وفق قوانيننا «نحن»، وأغلب الظن أنها لن تفعل ذلك مطلقاً، لاتزال القدرة للرد بفاعليّة متوفرة لدينا. بغية القيام بذلك، من الضروري أن يرى عدد كافٍ من الأميركيين طبيعة التحدي الصيني وأن يتصرفوا في الوقت المناسب. إذا حدث ذلك، لا داعيَ لأن نقلق. ووفق القول الشهير للأميرال الياباني إيسوركو ياماموتو بعد هجوم بيرل هاربر: «أخشى أن يكون كل ما قمنا به هو إيقاظ عملاق نائم وتزويده بعزمٍ هائل».

يمثّل ترامب، في بعض الأوجه، القلق الأميركي المتنامي حيال الصين. هو يقدّر حقيقة أساسية هي أن القوّة السياسيّة- العسكريّة ترتكز إلى اقتصاد قوي. بقدر ما يقوى الاقتصاد، بقدر ما تنمو القدرة للحفاظ على ميزانيات عسكريّة واستخباريّة كبيرة لحماية المصالح الأميركيّة حول العالم والتنافس مع قوى إقليميّة متعددة تسعى للهيمنة. يقول ترامب علناً بشكل متكرر إن وقف النمو الاقتصادي الصيني غير العادل على حساب أميركا هو الطريقة الفضلى لهزيمة الصين عسكرياً، وهو محق في ذلك بشكلٍ أساسي. لقد ساهمت هذه الآراء بشكل فعّال في واشنطن المنقسمة بشدّة في إحداث تغييرات مهمة في النقاش الأميركي حيال تلك القضايا. ومع استيعابه فكرة التهديد

(١) See, e.g., Rachel Botsman, «Big data meets Big Brother as China moves to rate its citizens,» https://www.wired.co.uk/article/chinese-government -social-credit-score-privacy-invasion

(٢) see «National Security Strategy of the United States of America,» December 2017, https://www.white-house.gov/wp-content/uploads/2017 /12/NSS-Final-12-18-2017-0905.pdf

الصيني، يبقى السؤال الحقيقي عمّا سيقوم به ترامب. ثمّة انقسام فكري كبير بين مستشاريه في ما يخص هذا الموضوع. ففي الإدارة، هناك المسالمون الذين يعانقون «الباندا» مثل منوشين؛ المؤيدون للتجارة الحرة مثل كيفين هاست، رئيس مجلس الاستشاريين الاقتصاديين، وكادلو؛ و«الصقور» حيال الصين مثل روس ولايتهايزر ونافارو.

أما دوري فكان الأكثر عقما بين الجميع: أردتُ أن أضع السياسة التجاريّة مع الصين في إطار استراتيجي أوسع حيال الصين. كان لدينا شعار جيّد وهو الدعوة لأن تكون «منطقة الهند-الباسيفيك حرّة ومفتوحة» (لسوء الحظ تُسمى المنطقة اختصاراً بالإنكليزية FOIP، وهو الاختصار نفسه لقانون حرية المعلومات وحماية الخصوصية)[1]. على المستوى النظري، توسيع المحيط الاستراتيجي ليضم جنوب وجنوب شرق آسيا شأن مهم كي لا يبدو الأمر وكأن كل شيء يتمحور حول الصين. ولكن الشعارات ليست استراتيجيّات. وقد كافحنا لبلورة استراتيجية ولتفادي السقوط في فخ الثقب الأسود لقضايا الصين التجاريّة، وهو غالباً ما كان يحصل. بشكل مختصر على الأقل، هذا ما تحولنا إليه بشأن المرحلة المقبلة.

في الوقت الذي انضممتُ فيه إلى البيت الأبيض، كانت المباحثات التجاريّة مع الصين بكل أشكالها قائمة منذ مدة من الزمن. لقد قارب ترامب ملف التجارة والعجز التجاري كأنه يقرأ في ميزانية شركة ما: العجز التجاري يعني أننا نخسر، والفائض التجاري يعني أننا نحقق أرباحاً. التعرفات الجمركيّة من شأنها خفض الاستيراد وزيادة المداخيل الحكوميّة، وهو أفضل من العكس. في الواقع، مؤيدو التجارة الحرة (وأعتبر نفسي أحد هؤلاء قبل وخلال وبعد عملي مع ترامب) يهزأون من هذه الطروحات. ومع ذلك، يدّل العجز التجاري على مشاكل أخرى، مثل المكاسب الهائلة التي حصدتها الصين جراء سرقة الملكيّة الفكريّة ما سمح لها بأن تنافس بنجاح الشركات التي سرقت منها تلك الملكيّة الفكريّة. ولمضاعفة المشكلة، دعمت بكين أعمال تلك الشركات بهدف خفض أسعارها دوليّاً. لقد أدّت الأكلاف المنخفضة للإنتاج في الصين ودول ناشئة أخرى إلى تقلّص هائل في عدد الوظائف الصناعيّة في الولايات المتحدة. لذلك، فإن العجز التجاري كان من أعراض المشاكل الأخرى، أكثر مما كان هو المشكلة بذاتها وهو ما يتطلب اهتماماً أكبر، سواءً فهم ترامب ذلك تماماً أم لا.

في حمأة زيارات الوفود التجاريّة الأميركيّة إلى بكين والوفود الصينيّة إلى واشنطن، اتصل بي روس في منتصف نيسان/أبريل في أسبوعي الثاني في العمل، للتحدّث عن شركة الاتصالات الصينيّة زد تي إي ZTE. لقد ارتكبت هذه الشركة مخالفات هائلة لعقوباتنا على إيران وكوريا

(١) See «A Free and Open Indo-Pacific: Advancing a Shared Vision,» November 3, 2019, https://www.state.gov/a-free-and-open-indo-pacific-advancing -a-shared-vision/

الشماليّة وتمت ملاحقتها بنجاح من قبل القضاء وصارت تعمل في إطار مرسوم تعهد في القانون الجنائي[1] يراقب أعمالها وينظمها. كما أن التقرير الذي أعدّه الخبير المكلف من المحكمة أشار إلى مخالفات كبيرة قد تؤدي إلى فرض غرامات إضافيّة على الشركة ومنعها من العمل في السوق الأميركية، الأمر الذي كان روس مستعداً للقيام به. لم أنظر إلى الأمر على أنه مسألة تجاريّة، إنما قضيّة متصلة بتطبيق القانون. لو كانت زد تي إي شركة أميركيّة للاحقناها، ولم أرَ سبباً للتراجع كون الشركة صينيّة. على الرغم من ذلك، كانت وزارة الخارجية قلقة من إزعاج الصين، وكان روس يريد أن يعلم كيف يتحرّك قبل يوم واحد من الإعلان الرسمي للأمر من قبل وزارة التجارة كما سبق وتم تحديده. طلبتُ منه أن يسير قُدماً، وهو ما فعله[2].

إلا أن ترامب، وفي غضون أسابيع قليلة، لم يكن مسروراً بقرار روس وأراد تعديل العقوبات الضخمة التي كان اقترحها الأخير، الأمر الذي حصد موافقة منوشين السريعة. لقد رُوعت للأمر، ذلك أن إلغاء ترامب لما سبق أن أبلغه روس للصينيين كان بمثابة تحجيم له (وقد علمتُ بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ أن ذلك كان إجراء معتمداً في العمل من قبل ترامب)، ومسامحة لشركة زد تي إي على سلوكها الجرمي غير المقبول. وفوق كل ذلك، قرّر ترامب الاتصال بتشي جينبينغ قبل ساعات من إعلان الولايات المتحدة الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني. وتذمّر ترامب من الممارسات التجاريّة الصينيّة واعتبرها غير عادلة إلى حد كبير، مطالباً الصين بأن تشتري المزيد من المنتجات الزراعيّة الأميركيّة. وفيما أثار تشي قضيّة زد تي إي أولاً، وصف ترامب خطواتنا بأنها قويّة لا بل قاسية جداً. وقال إنه طلب من روس إعداد شيء من أجل الصين. وأجاب تشي بأنه سيكون مديناً لترامب إذا ما تحقق ذلك، فيما قال الأخير فوراً إنه سيقوم بذلك من أجل تشي. لقد صُدمت لطبيعة التنازل من دون مقابل، لا سيّما أن شركة زد تي إي كانت قد تحطمّت تقريباً بسبب العقوبات، حسبما أبلغني روس لاحقاً. العودة عن القرار غير قابلة للتفسير. هذه كانت سياسة تقودها النزوات والاندفاعات الشخصيّة.

النزوات والاندفاعات استمرت يوم الأحد ١٣ أيار/مايو عندما غرّد ترامب:

---

(١) See Department of Justice, «ZTE Corporation Agrees to Plead Guilty and Pay Over $430.4 Million for Violating U.S. Sanctions by Sending U.S.-Origin Items to Iran,» March 7, 2017, https://www.justice.gov/opa/pr/zte-corporation-agrees-plead-guilty-and-pay-over-4304-million-violating -us-sanctions-sending

(٢) See David J. Lynch, «U.S. companies banned from selling to China's ZTE telecom maker,» April 16, 2018, https://www.washingtonpost.com/news/business/wp/2018/04/16/u-s-companies-banned-from-sell-ing-tochinas-zte-telecom-maker/

«الرئيس الصيني تشي وأنا نعمل سويّاً لإعطاء شركة الاتصالات الصينيّة الضخمة زد تي إي مجالاً للعودة إلى العمل بشكلٍ سريع. لقد فُقدت الكثير من الوظائف في الصين. وزارة التجارة أُعطيت التوجيهات اللازمة لإنجاز هذا الأمر!».

منذ متى بدأنا نقلق على الوظائف في الصين؟

يوم الاثنين، سمعتُ أن نافارو كان يحاول إدخال مجموعة متنوعة من الأشخاص إلى المكتب البيضاوي لإبلاغ ترامب عن مساوىء التراجع في قضيّة شركة زد تي إي. في الجوهر، كنتُ موافقاً بوضوح، ولكنها كانت طريقة فوضويّة تماماً لصياغة السياسات. للأسف، هذه كانت بالضبط الطريقة التي يتم فيها التعاطي مع القضايا التجاريّة في الإدارة منذ اليوم الأول. حاولتُ إعادة النظام من خلال تشكيل لجنة رؤساء. للأسف، معظم الوزارات والوكالات الاقتصادية اغتاظت من إشراكها في عمليّة يديرها مجلس الأمن القومي، في إشارة إلى أن ذلك نادراً ما حدث سابقاً.. إنّهم جميعاً يفضّلون أن يجربوا حظهم مع «روليت» صناعة السياسات الراهنة على الدخول في عمليّة منظمة. كان الاستنتاج الوحيد الذي يمكن استخلاصه من تلك اللحظة أن السياسة الاقتصاديّة الدوليّة غير منظمة على الإطلاق، وأنّه من غير المتوّقع أن يتغيّر ذلك دون جهود بشريّة استثنائيّة، ناهيك عن أن الأمر يتطلب وجود رئيس مقتنع بأن هذا التغيير ضروري.

في الواقع، كانت طريقة ترامب المفضّلة للمضي قدماً هي جمع جيوش صغيرة من الأشخاص سويّاً، في المكتب البيضاوي أو في غرفة روزفلت، للنقاش حول كل هذه القضايا المعقدة والمثيرة للجدل. إنها القضايا ذاتها، مراراً وتكراراً، دون الوصول إلى قرار حاسم، أو بما هو أسوأ، اتخاذ قرارٍ ما وعكسه في غضون أيام قليلة. لقد تسبّب كل ذلك بألم في رأسي. حتى في الأوقات التي كان يتم الاتفاق فيها حول قضايا معينة، لم يُشكّل ذلك قاعدة لتطّوير سياسة أوسع. على سبيل المثال، قدّم الاقتصاديون التابعون لهاسيت نماذج دقيقة عن تأثير التعرفات الجمركيّة على الصين في حال اندلاع نزاع تجاري مفتوح معها. لقد بيّنت معلوماته أن فرض التعرفات على نحو ٥٠ مليار دولار من الصادرات الصينيّة التي كان يعمل عليها لايتهايزر سوف تعطي الولايات المتحدة أفضلية[1]. سمع ترامب ذلك وقال: «لذلك، سوف يقومون بالتفاوض». ومن المواضيع المفضلة للنقاش هو إن كانت الصين تتلاعب بسعر عملتها، ففيما اعتبر نافارو أن الصين تقوم بذلك، كان منوشين يصّر على

(١) هاسيت صرّح علناً أن «الخطوات التي إتخذناها ضد الصين كان لها تأثير سلبي كبير على أسواقهم واقتصادهم، إنما القليل من التأثير هنا في الولايات المتحدة». أنظر أيضاً Emily McCormick, «White House economist: Tariffs are hurting China much more than the US.» September 20, 2018, https://www.finance.yahoo.com/news/white-house-economist-kevin-hasset-need-fair-reciprocal-trade-155519844.html

أنها لا تفعل. لقد حاولتُ هنا أيضا أن أضبط العمليّة في هذا الإطار بالتعاون مع المجلس الاقتصادي الوطني، إلا أن ذلك فشل أيضاً. ومع مرور الوقت، لم يخفِ ترامب وجهة نظره (وللعلم فقط شاركه فيها بقوة تشاك شومر) بأن الصين تتلاعب بعملتها لتحقيق أفضلية تجاريّة، وقال لمنوشين في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر: «لقد كنتُ معك منذ شهرين. كنتُ موافقاً على تحليلك يومذاك. أما اليوم، فلم أعد موافقاً». وهكذا دواليك. واستمر الوضع على هذا المنوال.

أحد أسباب تصاعد النزاع هو أنه في الأيام الأولى للإدارة، أقحم منوشين نفسه في المفاوضات التجاريّة على الرغم من أنّه في الرئاسات السابقة كان دور وزير الخزانة محدوداً في هذا الأمر قياساً إلى دور الممثل التجاري للولايات المتحدة أو وزير التجارة. لم يكن حجم دوره المضخّم غير مألوف مؤسساتيّاً فحسب، إنما أيضاً كانت مقاربته المؤيدة للصين وحماسته للتوصل إلى اتفاق خطيرة في العمق. حتى أن ترامب لمس ذلك من وقت لآخر. في أحد الاجتماعات التي عُقدت في غرفة روزفلت، في ٢٢ أيار/مايو، صرخ ترامب في وجه منوشين قائلاً: «لا تكن مفاوضاً تجاريّاً. لاحق (تزوير عملة) بيتكوين». فصرخ الأخير رداً على ترامب: «إذا كنت لا تريدني أن أتابع ملف التجارة، حسناً، سينفّذ فريقك الاقتصادي لك ما تريد». لم يكن ذلك يعني بالضرورة أن يستعيد الممثل التجاري للولايات المتحدة دوره التقليدي كمفاوض رئيسي، ذلك أن ترامب انتقد لايتهايزر بالقول: «لم تنجح في التوصل إلى اتفاق واحد حتى اللحظة!».

في أي حال، ما الفائدة من التنظيم طالما أن ترامب كان يغرّد وحده، كما فعل في ١٤ أيار/مايو عندما كتب:

> «شركة الهاتف الصينيّة الكبرى، زد تي إي، تشتري نسبة كبيرة من قطع التبديل من شركات أميركيّة، وهذا أيضاً يعكس جزءاً من الاتفاق التجاري الكبير الذي نتفاوض حوله مع الصين (كما يعكس) علاقتي الشخصيّة مع الرئيس تشي».

لمَ كل هذا؟ الأسوأ هو الربط العلني بين مسألة تتعلق بتطبيق القانون وبين صفقة تجاريّة، فضلا عن «العلاقة الشخصيّة» التي تربط ترامب بتشي. بالنسبة لتشي، أي شكل من أشكال العلاقات الشخصيّة لم يقف في طريق تقديمه المصالح الصينيّة، تماماً كما أن العلاقات الشخصيّة لبوتين لم تعوق تقديمه للمصالح الروسيّة. لا أظن أن ترامب وصل مطلقاً إلى هذه النقطة. في هذه الحال، كانت المسألة تتمحور حول ترامب وتشي. في حالات أخرى لا تُحصى، لطالما واجه ترامب مشكلة في الفصل بين الشخصي والرسمي.

في ١٦ أيار/مايو، ضرب ترامب مجدداً: «واشنطن بوست وسي أن أن تكتبان قصصاً كاذبة

حول مفاوضاتنا التجاريّة مع الصين. لم يحصل شيء مع زد تي إي إلا في ما يتصل بالصفقة التجاريّة الأكبر. بلدنا يخسر مئات المليارات من الدولارات سنوياً مع الصين...». لقد كان هذا الربط المتواصل لشركة زد تي إي مع القضايا التجاريّة الكبرى مزعجاً ليس في ما يتعلق بالتجارة فحسب، بل في ما يتعلق بالعدالة أيضاً التي كانت لاتزال تراقب أداء الشركة في ظل مرسوم التعهد. بالطبع، بحلول ذلك الوقت، كان ترامب بالكاد يتحدّث إلى المدعي العام سيشينز، ناهيك عن الاستماع لنصائحه. عوض ذلك، كان ترامب يكتب لتشي ملاحظات بخط اليد ما جعل المكتب الاستشاري في البيت الأبيض يعاني الأمرين. ما كان ترامب يريده الآن من زد تي إي هو غرامة بقيمة مليار دولار. قد يبدو ذلك المبلغ كبيراً، إلا أنه لا شيئ مقارنة مع إقفال الشركة بشكل كامل تبعاً لما كانت تفعله وزارة التجارة. كما أن المبلغ كان أقل قليلاً مما دفعته الشركة في الأساس بموجب مرسوم التعهد بُعيد فرضه عليها[1]. لقد تم الإعلان عن التسوية التي فاوض روس في سبيلها تحت ضغط المكتب البيضاوي في شهر حزيران/يونيو. نظرياً، سيكون لشركة زد تي إي مجلس إدارة مستقل وتخضع للرقابة الخارجيّة[2]. معظم المراقبين الاقتصاديين اعتبروا أن ترامب لم يعطِ زد تي إي أمراً بتأجيل التنفيذ فقط، إنما أيضاً منحها فرصة جديدة للحياة. على ماذا حصلنا في المقابل؟ سؤال جيّد.

من ناحية أخرى، صار ترامب يرى بصورة متزايدة أن الصين تسعى للتأثير في انتخابات الكونغرس للعام ٢٠١٨ ضد الجمهوريين، والأهم بالنسبة له أنها كانت تعمل لهزيمته سنة ٢٠٢٠. ثمّة الكثير من المنطق الذي يدعم هاتين الفرضيتين لا سيّما بالنظر إلى الحرب التجاريّة وإلى الزيادة الملحوظة في الإنفاق العسكري الأميركي في ولاية ترامب. لقد أشرنا عن حق إلى روسيا والصين في البيانات العلنيّة التي أصدرناها حول الدول التي تسعى إلى التدخل في الانتخابات الأميركيّة. كانت الصين تسعى كذلك للنفاذ من حاجة ترامب الملحة بطبيعته لعقد الصفقات حتى تحولها لفائدتها الاقتصادية آملةً إقحامنا في «إتفاقات تجاريّة» دون معالجة القضايا الهيكليّة التي كانت السبب الحقيقي للخلافات الاقتصاديّة والسياسيّة بيننا. وكانت بكين تدرك حجم الانقسامات العميقة بين مستشاري ترامب بشأن الصين لأنهم كانوا يقرأون عنها بشكل روتيني في وسائل الإعلام.

(١) See Karen Freifeld, «Exclusive: U.S. may soon claim up to $1.7 billion penalty from China's ZTE - sources,» June 1, 2018, https://www.reuters.com /article/us-usa-trade-china-zte-exclusive/exclusive-u-s-may-soon-claim -up-to-1-7-billion-penalty-from-chinas-zte-sources-idUSKCN1IX5T2

(٢) Under the existing judicial rulings orders, the court-appointed monitor will be in place observing ZTE until 2022. See Dan Strumpf, «U.S. Judge Orders China's ZTE to Two More years of Monitoring,» October 4, 2018, https://www.wsj.com/articles/u-s-judge-orders-chinas-zte-to-two-more-years-of -monitoring-1538634469

لقد نظرنا إلى التدخلات الصينيّة في قضيّة الانتخابات كإحدى أكثر العمليّات تأثيراً على الإطلاق، وهي كانت أكبر بدرجات ممّا كان الديمقراطيون يعتقدون أو مما كان الإعلام مهجوساً به سنة ٢٠١٦. وإذا نظرنا إلى الأمر بمعزل عن الاعتبارات الحزبية التي تعمي البصيرة، كانت لدى الصين إمكانيات لحشد الموارد في سبيل ذلك أكثر من روسيا. لقد كانت هذه المسألة خطيرة وتتطلب رداً جديّاً. أحد الردود تمثل بمراجعة حصيفة لنزع السرية عن وثائق على أن تجري بكثير من الدقة والاهتمام كي لا يتّم تعريض المصادر والسبل الاستخباريّة للخطر، إنما بما يتيح أن نضع الرأي العام الأميركي في صورة ما يحصل. لقد أشار ترامب علناً إلى تلك المحاولات الصينيّة عندما خاطب مجلس الأمن الدولي في أيلول/سبتمبر ٢٠١٨، إلا أن الأمر لم ينل إهتماماً إعلاميّاً كبيراً[١].

أراد بنس الاستفادة من فرصة إلقائه كلمة في معهد «هادسون» لوصف عملية التأثير الصينية مرتكزاً إلى معلومات تم نزع السرية عنها في الآونة الأخيرة بالاضافة إلى معلومات أخرى واسعة المدى قيد التداول[٢]. لم تكن صياغة الكلمة سهلة إذ إن ترامب لم يكن يرغب بأن يقول نائب الرئيس ما قد يعكّر علاقته الشخصيّة المميّزة مع تشي. عدا ذلك، كان مستعداً لمهاجمة بكين لأنه اعتبر أن ما تقوم به موّجه ضده شخصيّاً. في السّر، كان ترامب يقول إن روسيا والصين هما مصدر تهديد. الأمر الذي كنتُ أتمنى لو سمعته الصحافة. لقد كان مهتماً للغاية بصياغة الكلمة النهائية لدرجة أن بنس وآيرس وأنا عقدنا اجتماعاً معه في غرفة البحرية الخاصة به قبل يوم من إلقائها وراجعناها سطراً بسطر. بالمختصر، ترامب اطلع ووافق شخصيّاً على ما قاله بنس. في اليوم التالي، اغطبتنا جميعاً لحجم التغطية الإعلاميّة. وقال بنس لآيرس ولي إنه «الخطاب الأكثر جرأة عن الصين على الإطلاق»، وأظن أن ذلك كان صحيحاً. عندما ناقشنا موضوع التغطية الإعلاميّة مع ترامب، كشف لنا أن «الرؤساء الآخرين كانوا يعتبرون أنه من غير اللائق لهم أن يتحدثوا عن المال»، مضيفاً: «إنه الأمر الوحيد الذي أجيد التحدث عنه».

مع اقتراب انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر، كان التقدّم الذي تحقق في المجال التجاري ضئيلاً، فتحوّل الاهتمام بشكل حتمي إلى بوينس آيريس حيث يعقد قادة مجموعة العشرين اجتماعاً لهم أواخر الشهر مع إمكان إقامة اجتماع بين تشي وترامب الذي نظر إلى الأمر وكأنه الاجتماع - الحلم بلقاء الرجلين الكبيرين القادرين على عقد اتفاق ضخم وتنحية الأوروبيين جانباً. هل يمكن حدوث

(١) See «Remarks by President Trump at the United Nations Security Council Briefing on Counterproliferation,» September 26, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-united-nations-security-council-briefing-counterproliferation-new-york-ny/

(٢) See «Remarks by Vice President Pence on the Administration's Policy Toward China,» October 4, 2018, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-vice-president-pence-administrations-policy-toward-china/

خطأ ما؟ قد تحدث أخطاء كثيرة من وجهة نظر لايتهايزر الذي كان قلقاً حول حجم التنازلات التي يمكن لترامب أن يقدّمها عندما لا يكون مقيّداً. في اليوم التالي للانتخابات، اجتمعتُ مع مستشار الدولة الصيني يانغ جيشي في واشنطن في إطار سلسلة اجتماعات تحضيراً لقمة مجموعة العشرين. إلتقينا في غرفة البحرية في البيت الأبيض التي احتشد فيها عدد من المشاركين من بينهم كوشنير الذي كان قال لي يوم الانتخاب: «لقد طلب مني الرئيس أن أشارك بشكلٍ أوسع في قضيّة التجارة مع الصين». كنتُ واثقاً من أن ذلك سوف يُفرح العشرات من كبار المسؤولين الذين كانوا يتدافعون لإسماع رأيهم في هذا الملف.

وكما درجت العادة مع المسؤولين الصينيين الكبار في هذا النوع من الاجتماعات، قرأ يانغ بكثير من الدقة نصّاً مكتوباً مشيراً إلى أن اجتماع مجموعة العشرين يحتّل الأولوية في العلاقة. تناقشنا في كيفيّة ترتيب الاجتماع. أمّا مساهمتي في تعزيز السلم الدولي فكانت تفترض أن يرافق كل من ترامب وتشي سبعة مساعدين وأن يتناولا العشاء في الأول من كانون الأول/ديسمبر وهو ما حصل فعلاً بعد الكثير من الأخذ والرد. كانت التجارة تحتّل صدارة الأولويات. لقد أكّد لي يانغ أن الصين تريد بناء ثقة استراتيجيّة وأن لا نيّة لديها لأن تتحدّى الولايات المتحدة أو أن تحلّ محلها. إنهم لا يرغبون بالصدام أو المواجهة، بل يبحثون عن حلول يفوز بها الطرفان (رابح - رابح). واستمرت الأمور على هذا المنوال، إلا أن المشكلة الوحيدة التي عالجناها كانت ترتيب العشاء. لقد كان ذلك عملاً شاقاً، لا سيّما أن كثراً من الجانب الأميركي كانوا يريدون الادلاء برأيهم حول هذه القضية الكبيرة.

حلت ليلة السبت، الأول من كانون الأول/ديسمبر في بوينس أيريس بسرعة. كان العشاء مع تشي النشاط الأخير قبل أن يقفل ترامب عائداً إلى بلاده. في وقتٍ متأخر من بعد الظهر، التقينا ترامب لبحث بعض النقاط المختصرة بشكلٍ نهائي. كان منوشين يعمل بكد طوال النهار مع ليو هو المفاوض التجاري الصيني الرئيسي و«قيصر» السياسة الاقتصاديّة الذي يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه الرقم ٣ في نظام تشي. شرح ليو ما كان يتوقع أن يقوله الرئيس الصيني في العشاء بما في ذلك نظرة تشي لكيفيّة تركيب الصفقة التجاريّة. ذكر منوشين كل شيء دون أن يقول صراحةً إن على ترامب القبول بذلك. يا لك من مفاوض شرس يا ستيف. لم يكن واضحاً إلى أي مدى كان لايتهايزر مشاركاً، لكن نافارو لم يكن مشاركاً على الإطلاق. وبدأ إطلاق الألعاب النارية. (كان على جدول الأعمال العشاء حديث عن روسيا وكوريا الشماليّة: لم نصل في النقاش إلى موضوع روسيا ولم نمضِ أكثر من دقيقتين في ما يتعلق بكوريا الشماليّة. تنفسّتُ الصعداء).

لايتهايزر اعتبر أن «اتفاقيّة تجارة حرّة مع الصين» هي بمثابة انتحار، فيما اشتعل منوشين حماساً بعد نجاحه في جعل الصين تشتري المزيد من فول الصويا والمعادن ومنتجات زراعيّة أخرى، تماماً كما لو كنا دولة من العالم الثالث تصدّر مواردها إلى المملكة الصينية الوسطى.

قلتُ إنني لا أعتبر أن الأرقام التي يتم تقاذفها هي المسألة الحقيقيّة. القضيّة لا تتعلّق بخلاف تجاري بل بنزاع أنظمة. إن «الأمور البنيوية» التي أثرناها مع الصين لم تكن تكتيكات تجاريّة إنما مقاربات مختلفة في الأساس حيال تنظيم الحياة الاقتصاديّة. المفاوضات يجب أن تنطلق حول هذه المسائل لنرى ما إذا كان ثمة فرصة حقيقيّة لتغيّر الصين أساليبها (وكنتُ مقتنعاً حتماً أنها لن تفعل). وافق كودلو متخذاً موقفاً بعيداً عن منوشين أكثر من أي وقت مضى، فيما لم تكن ردة فعل الثاني جيّدة. اقترحتُ في النقاش اللاحق حظر كل البضائع والخدمات الصينيّة في الولايات المتحدة إذا كانت قائمة كليّاً أو جزئيّاً على ملكيّة فكريّة مسروقة. «أعجبتني هذه الفكرة»، قال ترامب. إلا أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى منوشين. كما قلتُ إننا بحاجة للمزيد من السلطة التشريعيّة غير أنها معركة تستحق الكفاح في سبيلها. وكرّر ترامب (أكثر من مرة في الواقع) أن الفكرة نالت أعجابه، فاعتبرتُ أن ثمّة تقدُّماً قد تحقق. انتهى الاجتماع بعد دقائق من ذلك، عند الساعة الخامسة إلا ربعاً مساءً.

بدأ العشاء عند الساعة السادسة إلا ربعاً، بعد جلسة التصوير الإلزاميّة مع الصحافة، واستمر حتى الساعة الثامنة مساءً. بدأ تشي بالقول لترامب كم هو رائع، مبالغاً في إظهار عواطفه ثم قرأ بشكل منتظم ما ورد في بطاقات الملاحظات التي أُعدّت له في إطار عمل شاق دون شك أثناء التحضير للقمة. أما بالنسبة لنا، فتحدّث الرئيس دون تمهيد ودون أن يعلم أي من المشاركين عن الجانب الأميركي بما قد يتفوّه به من دقيقة لأخرى. ثمّة نقطة برزت عندما قال تشي إنّه يرغب بالعمل مع ترامب لست سنوات إضافيّة، فرد ترامب بأن الناس تقول بضرورة إلغاء الالتزام بولايتين رئاسيتين من أجله. لم يكن لي علم بهذه الثرثرة. كان ترامب يحاول أن ينافس تشي مع علمه بأنه كان عمليّاً رئيس الصين «مدى الحياة». في وقت لاحق من العشاء، قال تشي إن في الولايات المتحدة الكثير من الانتخابات لأنه لم يكن يريد أن يتحوّل عن ترامب الذي هزّ رأسه موافقاً. (وبالفعل، في محادثة هاتفيّة لاحقة في ٢٩ كانون الأول/ديسمبر، عبّر تشي عن أمل الصين في أن يحظى ترامب بولاية رئاسيّة جديدة من خلال تعديل الدستور بما يتيح له البقاء مدة أطول). كما نفى تشي فكرة «ماراثون في المئة سنة»[1] للهيمنة على العالم أو الحلول مكان الولايات المتحدة، قائلا إنّها ليست الاستراتيجيّة الطبيعيّة للصين. إنهم يحترمون سيادتنا ومصالحنا في آسيا، وكل ما يريدونه هو أن يحظى المليار و٤٠٠ مليون صيني بحياة أفضل. كم ذلك جميل.

ثم انتقل تشي أخيراً إلى المضمون، قائلاً إنّه منذ اتصالهما الهاتفي في الأوّل من تشرين

(١) اشتهرت هذه العبارة من فرضية وعنوان كتاب مايكل بيلزبيري
The Hundred-Year Marathon: China's Secret Strategy to Replace America as the Global Superpower, Griffin, reprint edition 2016.

الثاني/نوفمبر، عمل فريقا العمل بكد وتوصلا إلى تفاهم حول القضايا الاقتصاديّة الرئيسيّة. ثم شرح مواقف الصين، وهي عمليّاً ما سبق لمنوشين أن ألح علينا القبول بها: تسحب الولايات المتحدة التعرفات التي فرضها ترامب، يتوقف التلاعب التنافسي بالعملة، ونحن نوافق على ألا نشارك في السرقة السيبرانيّة (يا له من تفكير). وقال تشي إنه ليس هناك من رابحين في الحرب التجاريّة لذلك علينا إلغاء التعرفات الجمركيّة أو أقله التفاهم على عدم فرض تعرفات جديدة. «الناس تتوقع ذلك»، قال تشي. في تلك اللحظة، تملكني الخوف من أن يوافق ترامب ببساطة على كل ما طرحه تشي. اقترب من ذلك، مقترحاً بشكل أحادي أن تبقى التعرفات الجمركيّة الأميركيّة بنسبة ١٠ في المئة بدل رفعها إلى ٢٥ في المئة كما كان هدّد في وقت سابق. في المقابل، اكتفى ترامب بالمطالبة بزيادة المشتريات الزراعيّة (بما يساعده في نيل الأصوات الحاسمة من ولايات تعتمد على الزراعة). إذا تم التوافق على ذلك، يمكن خفض كل التعرفات. مشكلة الملكيّة الفكريّة تُركت لمعالجتها في موعد غير محدد. وعُيّنت مهلة ٩٠ يوماً للتفاوض وإنجاز كل شيء. كان كل ذلك يقطع الأنفاس. ثم سأل لايتهايزر ما إذا كان نسي شيئاً، فقام الأخير بكل ما يمكن القيام به لإعادة النقاش إلى الواقع مركزاً على القضايا البنيوية، ممزقاً المقترحات الصينيّة المحبذة جداً لدى منوشين.

وطلب ترامب من تشي خفض الصين تصدير الفنتانيل، وهي مادة من الأفيون، قاتلة وتثير موجة عارمة من الغضب في أميركا وتُعتبر مادة متفجرّة سياسيّاً، الأمر الذي وافق تشي على القيام به (إلا أنه لم يفعل شيئاً إزاء ذلك). كما طلب ترامب تحرير فيكتور وسينثيا ليو اللذين تحتجزهما الصين كرهينتين على خلفيّة ادعاءات ضد والدهما ليو شانغ مينغ الذي كان في الولايات المتحدة. وقال تشي، بما يبدو كأنه الجواب، إن هؤلاء هم مواطنون بجنسيّة مزدوجة أميركيّة- صينيّة. هزّ ترامب كتفيه بازدراء متجاهلاً الموضوع. هكذا تتم حماية المواطنين الأميركيين. لعل الصينيين تمنّوا لو يستمر العشاء طوال الليل.

أنهى ترامب كلامه بالقول إن لايتهايزر سيكون مسؤولاً عن عقد الصفقة مع إشراك كوشنير في الملف، الأمر الذي أدّى إلى انتعاش الوفد الصيني وارتسام البسمة على وجوه أعضائه. تستطيع الرهان على ذلك. كما أشار ترامب إلى لايتهايزر ونافارو (الذي يثير مجرد حضوره الصينيين ويزعجهم) بوصفهما من الصقور، فيما منوشين وكادلو من الحمائم كما قال عن بومبيو وعني: «إنهما لا يكترثان للمال». من الصعب معرفة ماذا استخلص الصينيون من كل ذلك. إلا أن تشي لم يرفع بالطبع بطاقة الأداء المقابلة لفريقه الموزّع على جانبه من الطاولة. كان تقليص دور منوشين الخبر الأفضل في ذلك اليوم. وفي الختام، بعد مناقشة البيانات الصحافيّة، اتجهنا جميعاً نحو المطار للمغادرة. لدى سرده الرواية لاحقاً، طالت مدة العشاء بحسب ترامب لثلاث ساعات، ثم

ثلاث ساعات ونصف، وأخيراً «لأكثر من أربع ساعات» كما أبلغ مستمعيه بكثير من البهجة مستمتعاً بالانتصارات التي حققها.

يوم الإثنين، الثالث من كانون الأول/ديسمبر، وبعد عودتنا إلى واشنطن، اجتمعنا في المكتب البيضاوي لتقييم النتائج. كان ترامب مغتبطاً ومسروراً بردة فعل أسواق الأسهم العالميّة، وكانت فكرتي عن حظر الصادرات الصينيّة القائمة على ملكيّة فكريّة أميركية مسروقة في الأسواق الأميركيّة لاتزال تنال استحسانه. إلا أن منوشين كان يكافح في دوره الجديد: «من المسؤول؟» عن المفاوضات المقبلة. تمسّك ترامب بقيادة لايتهايزر قائلاً: «لا أرى أين الخطأ في ذلك، وزارة الخزانة عملها في مجالات مختلفة تماماً». كان يريد لايتهايزر وقال: «منوشين يرسل إشارة من نوع آخر. لا أدري لماذا تريد أن تكون مشاركاً في ذلك (متوجهاً إلى منوشين). هل تريد مساعدته (أي مساعدة لايتهايزر). إذن، ثبّت الدولار». ثم ذهب ترامب بعيداً مهاجماً رئيس مجلس الاحتياط الفدرالي باول، كيس الملاكمة المفضّل لديه، لابقائه معدلات الفوائد مرتفعة. ثم استدار نحو لايتهايزر قائلا: «في هذا الأمر، أريد موقفك وليس موقف ستيف. ضاعف مشتريات الصين من المنتجات الزراعية أو أوصلها إلى ثلاثة أضعاف... إن لم نحصل على اتفاقيّة ممتازة، إنسَ الأمر. سنعود إلى حيث كنا (زيادة التعرفات الجمركيّة). شومر يحبّذ ذلك. سيتم تحصيل التعرفات بشكل أفضل بعد الأيام التسعين». ثم بدأت جولة جديدة من المفاوضات حول ما سماه ترامب مراراً: «أكبر صفقة في التاريخ. إنها ليست فقط أكبر صفقة تجارية. إنها الصفقة الأكبر على الإطلاق».

اكتملت المفاوضات مع الأدوات المسرحيّة في المكتب البيضاوي والبطولة لترامب وليو هي مع بث مباشر عبر الأخبار. مع مرور الوقت، تبيّن بوضوح عدم إمكانيّة الالتزام بموعد الأول من آذار/مارس، فتجاوز ترامب الأمر قائلاً أن «تقدّماً ملموساً» قد تحقق[1]. اعتبرتُ ذلك إشارة ضعف قياساً إلى ما كان يريده فعلاً من الصفقة. في الواقع، كانت مهلة التسعين يوماً دائماً وهميّة، إذ كان من المستحيل أن تتنازل الصين في «القضايا البنيوية» خلال أشهر بعد عقود من ممارسة ما كانت تقوم به. إلا أن التطوّر الحاسم حصل في شهر أيار/مايو عندما تراجع الصينيون عن عناصر أساسيّة عديدة من الاتفاقيّة التي تقدّم النقاش حولها، من ضمنها «المسائل البنيوية» التي كانت في عمق الخلاف. في ذلك الوقت، كنتُ منشغلاً بالخطر الإيراني في منطقة الخليج. إلا أن اتصال لايتهايزر أعاد اهتمامي بالأمر. لقد كان هذا تراجعاً جدياً لمؤيدي الصفقة، وقد أعاد لايتهايزر ومنوشين الأمر إلى ليو هي وحلفائه الذين فقدوا السيطرة على السياسة في بكين.

قصد لايتهايزر مكتبي صباح اليوم التالي، السادس من أيار/مايو عند الساعة الثامنة صباحاً

(١) See Ana Swanson and Alan Rappeport, «Trump Delays a Tariff Deadline, Citing Progress in China Trade Talks.» February 4, 2019, https://www.nytimes.com/2019/02/24/us/politics/us-china-trade-truce.html

لمناقشة الوضع. وقال إنهم في بكين تراجعوا بشكل كبير الأسبوع الفائت عن العديد من الالتزامات التي كانوا تعهدوا بها مثل تعديل الأنظمة القائمة واستبدالها بأخرى حديثة (الملكيّة الفكريّة على سبيل المثال)، وخطوات أخرى تعكس جديّتهم في القضايا البنيوية. ومن دون هذه الالتزامات. لا يبقى سوى تأكيدات نوايا لطالما فشلت في تحقيق نتائج قياساً إلى تجربة سنوات من العمل مع الصين. قال ليو هي إنّه يقترح مجرد «إعادة توازن» إلى نصوص مسوّدة الاتفاق التي تضمنّت خطوات كثيرة يُفترض أن تتخذها الصين مقابل عدد محدود من الخطوات من قبل الولايات المتحدة (مع أسباب جيّدة!). كانت النتيجة الاجماليّة التخفيف مما يجب على الصين القيام به، وأصبح الصينيون يضغطون الآن للقيام بالعديد من المراجعات غير المفيدة. كان لايتهايزر ومنوشين قد استنتجا أن ليو قد فقد السيطرة على المفاوضات وهو ما أسرّ لهما به في بكين على حد قولهما. إلا أن ليو كان سيقوم برحلته المقررة إلى واشنطن أواخر الأسبوع في سياق زيارات التفاوض المتبادلة التي تلت، ولكن لم يكن واضحاً ما إذا كان يملك شيئاً جديداً ليقدّمه أو أمراً مختلفاً ليقوله.

لم يكن ثمة أفق حقيقي للتوصل إلى اتفاق في ما وصفه منوشين أنه «جولة المحادثات الأخيرة»، خصوصاً أن الكثير من الأمور لاتزال عالقة. كان ترامب يواصل التغريد مهدداً بفرض تعرفات جديدة، لذلك، كان من الممكن ألا يأتي ليو بالمطلق. في وقت لاحق من ذاك اليوم، أعلن لايتهايزر أن الرزمة الجديدة من زيادة التعرفات ستدخل حيّز التنفيذ يوم الجمعة التي كان من الواضح أن ترامب جاهز لفرضها. وصل ليو إلى واشنطن دون أن يحمل أي جديد وانتهت المباحثات في مكاتبه في وقت مبكر. ليس ثمة اجتماع مقرر لليو مع ترامب. الحرب التجاريّة لاتزال مستعرة.

تحدّث ترامب عبر الهاتف مع تشي جينبينغ في ١٨ حزيران/يونيو، قبل قمة مجموعة العشرين للعام ٢٠١٩ المقرّرة في أوساكا حيث من المفترض أن يلتقيا. باشر ترامب حديثه بالاعراب عن اشتياقه لتشي وأن مسألة الاتفاق مع الصين هي من بين أكثر المسائل التي انخرط فيها شعبيّةً، وأنها تشكّل قيمة سياسيّة كبيرة مضافة. ومع حصول اللقاء الثنائي على هامش القمة، قال ترامب في لحظة الفوضى الإعلاميّة المعتادة في بداية اللقاء: «لقد أصبحنا أصدقاء. إن زيارتي إلى بكين مع عائلتي كانت إحدى أبرز المحطات في حياتي»[١].

بعد مغادرة الصحافة، قال تشي إن هذه العلاقة الثنائيّة هي الأهم حول العالم. وقال إن بعض الرموز السياسيّة في الولايات المتحدة (دون أن يسمّيها) تطلق أحكاماً خاطئة داعيةً الى حرب باردة جديدة بين أميركا والصين هذه المرّة. لم أكن أعلم ما إذا كان تشي يشير إلى الديمقراطيين

(١) See «Remarks by President Trump and President Xi of the People's Republic of China Before Bilateral Meeting, Osaka, Japan,» June 19, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-president-xi-peoples-republic-china-bilateral-meeting-osaka-japan/

أو إلى بعض أعضاء الوفد الأميركي المتواجدين على الطاولة، لكن ترامب افترض فوراً أنه يقصد الديمقراطيين، وقال موافقاً أن ثمّة عدائيّة كبيرة من قبل الديمقراطيين. وبشكلٍ مفاجىء، حوّل ترامب النقاش إلى الانتخابات الرئاسيّة الأميركيّة المقبلة ملمحاً إلى قدرة الصين الاقتصاديّة على التأثير في الحملات القائمة، مناشداً تشي التأكد من أنه سيفوز. كما شدد على أهميّة دور الفلاحين والمزارعين وانعكاس زيادة المشتريات الصينيّة من فول الصويا والقمح على النتائج الانتخابيّة. كان بإمكاني طباعة الكلمات التي تفوّه بها ترامب حرفياً ولكن المراجعة الحكوميّة المسبقة للنشر قررت خلاف ذلك.

ثم تحدّث ترامب عن انهيار المفاوضات في أيار/مايو وحثّ الصينيين على العودة إلى المواقع التي تراجعوا عنها. واقترح أن يعاود الطرفان الانطلاق في المباحثات من حيث توقفت في أيار/مايو لإنجاز أكبر صفقة على الاطلاق، متجاهلاً فشل الصين في القيام بأي شيء في ما يتعلق بعقاقيرالفنتانيل، بالاضافة إلى إلقائها القبض على رهائن كنديين (دون أن ننسى الرهائن الأميركيين)، وهذان الموضوعان سبق أن نوقشا في بوينس آيريس. من حيث لا ندري، أجاب تشي بإجراء مقارنة بين صفقة غير متساوية وبين «الذل» جرّاء اتفاقيّة فرساي التي أخذت مقاطعة شاندونغ من ألمانيا ولكنها منحتها إلى اليابان. وقال تشي بملامح واضحة في وجهه إنّه في حال عانت الصين من مشاعر الذل ذاتها في المفاوضات التجاريّة، فسيؤدي ذلك إلى تنامي المشاعر الوطنيّة في البلاد، مشيراً بشكل مضمر أن ذلك سيكون موّجهاً ضد الولايات المتحدة. كان واضحاً أن ترامب لم يكن لديه فكرة عمّا يشير إليه تشي مؤكداً أن اللامساواة في الاتفاقيّة لا تسير في عروق الرئيس الصيني. كانت الاستعانة بالتاريخ مسألة سهلة للغاية لترامب، فلمّح إلى أن الصين مدينة للولايات المتحدة لالحاقها الهزيمة باليابان أثناء الحرب العالميّة الثانية. ثم ألقى تشي علينا محاضرة تحدّث فيها كيف قاتلت الصين مدة ١٩ سنة معتمدة على ذاتها فقط لصدّ الاعتداءات اليابانيّة. طبعاً لم يكن ذلك منطقيّاً لأن الشيوعيين الصينيين كانوا يحاولون طوال فترة الحرب، توريط اليابان للحد من نفوذ القوميين الصينيين. وانتهت الحرب آنذاك باستخدامنا القنبلة الذريّة، لكن تشي كان يعيد صياغة التاريخ انطلاقاً من التعاليم الصينيّة التي لم يكن ترامب يفقهها.

قبيل انتهاء البحث في المسألة التجاريّة، اقترح ترامب ألا تفرض الولايات المتحدة تعرفات على الـ ٣٥٠ مليار دولار (وفق حساباته) من التجارة غير المتوازنة. إلا أنّه عاد لإغراء تشي والصين لشراء منتجات زراعيّة أميركيّة بأكبر الامكانيات المتوفرة لديهم. عندئذ، سيرون ما إذا كانت الصفقة ممكنة. وتوجه ترامب بالسؤال إلى ليو هي عمّا إذا كان ثمّة إمكانيّةٌ لعقد صفقة من حيث كنا قبل أن تتراجع الصين في أيار/مايو الماضي. بدا ليو كالغزال الواقف في منتصف الطريق وقد سُلطت عليه أضواء السيّارة، دون أن يتفوّه بكلمة، وكان واضحاً أنه لا يرغب بالاجابة. بعد صمت ثقيل، أضاء

ترامب على ارتباك ليو قائلاً إنه لم يره هادئاً إلى هذا الحد أبداً. استدار ترامب نحو تشي سائلاً إيّاه عن الجواب كونه الوحيد الذي يملك الجرأة على تقديمه. وافق تشي على أنّه من الضروري استئناف المحادثات التجاريّة مرحباً بتنازل ترامب عن عدم فرض تعرفات وموافقاً أن يمنح الفريقان المفاوضان مسألة شراء المنتجات الزراعيّة الأولوية في البحث. فهلل ترامب قائلاً: «أنت أعظم قائد في تاريخ الصين خلال الأعوام الثلاثمئة المنصرمة»، ثم ما لبث أن عدّل رأيه خلال لحظات وقال: «أنت أعظم قائد في التاريخ الصيني». وبعد أن مرّ الرجلان مرور الكرام على موضوع كوريا الشماليّة إذ كان ترامب في طريقه إلى سيول في تلك الأمسية، انتهى البحث في موضوع التجارة عند هذا الحد.

ثم عاد تشي إلى موضوع نجلي ليو مذكراً بأنه نوقش في بوينس آيريس في الأول من كانون الأول/ديسمبر، وقد وصفهما بأنهما مواطنان صينيان (بينما هما في الوقع يحملان جنسيّة مزدوجة أميركيّة- صينيّة). وكان من المفاجىء أن يقول بكل بساطة إنه ممنوع عليهما مغادرة الصين ما لم يتعاونا في قضيّة تبييض الأموال المتهم بها والدهما، مشيراً إلى أنهما بعدم تعاونهما يعرّضان الأمن القومي الصيني للخطر. ثم أشار تشي بوضوح إلى أن ليلة الأول من كانون الأول/ديسمبر كانت الليلة التي اعتقلت فيها المديرة المالية الرئيسية لشركة «هواوي» مينغ وانزهو. ثم استخلص بشكلٍ غامض أن باستطاعة الطرفين (أي الولايات المتحدة والصين) البقاء على اتصال. وبطبيعة الحال، كان تشي يتذّمر، ولو بكثير من الارتياح، من العدد غير الكافي من تأشيرات الدخول التي تُمنح للطلاب الصينيين الذين يرغبون بالمجيء إلى الولايات المتحدة!

استؤنفت المفاوضات التجاريّة مع الصين بعد اجتماع أوساكا، إلا أن التقدّم كان محدوداً جداً. بدا ترامب كأنه يود التهرب من الأمر، فغرّد في الثلاثين من تموز/يوليو، بعكس نصيحة منوشين ولايتهايزر، بما يلي:

> «تتصرّف الصين بطريقة سيئة، الأسوأ منذ ٢٧ عاماً. كان من المفترض أن تباشر شراء محاصيلنا الزراعيّة الآن، إلا أنّه ليس ثمّة إشارات أنّهم يقومون بذلك. هذه هي المشكلة مع الصين، إنّهم لا يلتزمون. لقد أصبح اقتصادنا أكبر بكثير من الاقتصاد الصيني في السنوات الثلاث الأخيرة...
>
> ... فريقي يتفاوض معهم الآن، إلا أنهم دائماً في النهاية يغيّرون الاتفاق لمصلحتهم. ربما علينا انتظار انتخاباتنا ليروا إذا وصل أحد الديمقراطيين العنيدين مثل جو (بايدن) النائم. عندئذ، سيصنعون صفقة رائعة مثلما فعلوا في السنوات الثلاثين الماضية، وسيواصلون...

... خداع الولايات المتحدة أكثر من قبل. لكن المشكلة في حال انتظارهم أنه في حال انتصرت، فإن الصفقة التي سيحصلون عليها ستكون أشد من تلك التي يتفاوضون حولها الآن... أو ربما لا يحصلون على صفقة مطلقاً. نملك جميع الأوراق، قادتنا السابقون لم يمتلكوها قط!».

مع استمرار المفاوضات، لم يكن ثمّة مؤشرات على تحرك حقيقي من قِبل الصين. دخل لايتهايزر ومنوشين إلى المكتب البيضاوي في الأول من آب/أغسطس بعد زيارتهما الصين لإبلاغ ترامب بحصيلة مناقشاتهما. لم يكن لدى ترامب شيء جيد ليقوله، فافتتح الاجتماع متوجهاً لهما بالقول: «ما كان يجب الذهاب، هذا يجعلنا نبدو ضعفاء». كان يفكر في اليوم السابق بفرض المزيد من التعرفات وقال لي مع غمزة وبسمة: «أنا أشبهك أكثر ممّا تعلم». لقد أصبح ترامب الآن أكثر اقتناعاً بأن الصين تنتظر من سيفوز في انتخابات العام ٢٠٢٠ و«أنهم يريدون أن يخسر الرئيس». ثم قال ترامب أخيراً: «أريد فرض التعرفات. إنّهم يوجهون ضربات سريعة ضدكم»، ثم إنتقلنا للنقاش حول ما إذا كنا سنفرض تعرفات على صادرات صينيّة للولايات المتحدة بقيمة ٣٥٠ مليار دولار. وقال ترامب لمنوشين: «أنت تتكلم كثيراً. لا تخف يا ستيف». لسببٍ ما، كان لايتهايزر قلقاً من أن تؤذي حربنا التجاريّة مع الصين أوروبا مما يصب الزيت على النار، ما أثار ترامب الذي كرّر مقولته المعروفة: «الاتحاد الأوروبي أسوأ من الصين ولكنه أصغر حجماً»، وقرّر فرض سلة جديدة من التعرفات على الصين عبر «تويتر» طبعاً فكتب:

«لقد عاد ممثلونا للتو من الصين حيث عقدوا محادثات بناءة للتوصل إلى صفقة تجاريّة مستقبلاً. كنا نظن أننا توصلنا إلى اتفاق مع الصين منذ ثلاثة أشهر ولكن للأسف أنها قررت إعادة التفاوض قبيل التوقيع...

... ومنذ فترة وجيزة، وافقت الصين على شراء كميّات كبيرة من المنتجات الزراعيّة الأميركيّة، إلا أنّها لم تفعل ذلك. كما أن صديقي الرئيس الصيني تشي وعد بوقف بيع الفنتانيل إلى الولايات المتحدة- وهو ما لم يحصل مطلقاً والكثير من الأميركيين مازالوا يموتون جرّاء ذلك! المحادثات التجاريّة متواصلة...

... وخلالها سوف تفرض الولايات المتحدة بدءاً من الأول من أيلول/سبتمبر، تعرفة صغيرة بنسبة ١٠ في المئة على مبلغ ٣٠٠ مليار دولار المتبقي من البضائع والمنتجات التي تأتي من الصين إلى بلادنا. هذا لا يشمل ٢٥٠ مليار دولار التي تُطبّق عليها تعرفة بنسبة ٢٥ في المئة...

... إننا نتطلع لمواصلة حوارنا الايجابي مع الصين للتوصل إلى صفقة تجاريّة شاملة ونشعر أن المستقبل بين بلدينا سيكون زاهراً جداً!».

لقد كان هذا القرار كبيراً وأثار قلق فريق ترامب الاقتصادي. وهكذا كانت الأمور في الوقت الذي تقدّمتُ فيه باستقالتي في العاشر من أيلول/سبتمبر. المفاوضات اللاحقة أدّت إلى «صفقة» في كانون الأول/ديسمبر التي كانت، في مضمونها، أقل من المتوقع.

في الأوّل من كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨، وفي الليلة ذاتها للعشاء المطوّل بين تشي وترامب في بوينس آيريس (وكما ناقشنا لاحقاً في أوساكا) ألقت السلطات الكنديّة في فانكوفر القبض على المديرة المالية الرئيسية لشركة الاتصالات الصينيّة الضخمة «هواوي» مينغ وانز هو. (كنا قد سمعنا يوم الجمعة أن التوقيف من الممكن أن يحصل السبت بعد وصول إبنة مؤسس «هواوي» مينغ إلى كندا). لقد اعتبرتُ الأمر عادياً لا سيّما أنه جاء نتيجة اتهامنا للشركة، من ضمن اتهامات أخرى، بالاحتيال المالي وإخفاء مخالفاتها لعقوباتنا ضد إيران. لقد كانت المسائل مزدحمة في بوينس آيريس، وأنا كنتُ تعلّمتُ جيّداً بعدما شاهدتُ ترامب مع أردوغان أن أمتلك كل المعطيات بين يدي قبل أن أفاتح الرئيس بأي موضوع.

مع انتشار دلالات التوقيف في الإعلام، انزعج أصدقاء الصين في الولايات المتحدة. أثار ترامب مسألة توقيف مينغ في حفل عشاء الميلاد في البيت الأبيض في السابع من كانون الأول/ديسمبر، متبجحاً بحجم الضغط الذي وقع على الصين جرّاء ذلك. وقال لي من الجانب الآخر للمائدة إننا أوقفنا للتو إيفانكا ترامب الصينيّة». كنتُ على وشك القول: «لم أكن أعلم مطلقاً أن إيفانكا جاسوسة ومحتالة»، ولكن تدخّلت آلية ضبط لساني في الوقت المناسب. أي مستثمر في وول ستريت أوحى لترامب بسلوك هذا المسار؟ أم أنه كان كوشنير الذي انخرط مع كيسنجر في غزل متبادل حيال الصين منذ الانتقال؟ تذّمر ترامب من أن «هواوي» هي أكبر شركة اتصالات صينيّة، فيما قلتُ إنها ليست شركة بل هي ذراع لأجهزة الاستخبارات الصينيّة[1]، الأمر الذي هدّأ من روعه. كانت مقاربته هذه، إضافةً إلى ما سبق وذكره في العشاء ذاته عن مجموعة الإيغور، تجعلني أعتبر أننا في قلب دائرة تفكير مختلفة من قبل ترامب في شأن التعاطي مع الصين. وتساءلتُ ما الذي جعله يقلع عن سياسة الاسترضاء والتوجه نحو المقاربة الأكثر هجوميّة مثلما فعل عندما كلّف لايتهايزر قيادة المفاوضات التجاريّة.

لقد جعل ترامب الأمور تزداد سوءاً عندما أوحى في مناسبات مختلفة بأنه بالامكان استخدام

(١) See Remarks by Assistant Secretary Christopher A. Ford, «Huawei and Its Siblings, the Chinese Tech Giants: National Security and Foreign Policy Implications,» Ibid.

قضيّة «هواوي» كأداة مساومة أميركيّة في المباحثات التجاريّة متجاهلاً الملف القضائي بحقها، فضلاً عن تجاهله للتهديد الأكبر الذي فرضته «هواوي» على سلامة الجيل الخامس 5G في شبكة الاتصالات العالميّة. لقد أدّى هذا الثقب الأسود في التجارة إلى تحويل كل الملفات الأخرى لتتمحور حول افتنان ترامب بصفقة تجاريّة كبرى. ثمّة مسائل هائلة في الأمن القومي تتعلق بـ «هواوي»، ومنها ما لا يمكن الإشارة له إلا تلميحاً في البيانات العامة. فكرة أن يكون هذا مجرّد طعم تجاري للاستدراج خيّب أصدقاءنا وأربكهم. أثار منوشين بشكل دائم مسألة الملاحقات القضائيّة في قضايا القرصنة والجرائم السيبرانيّة الأخرى وانعكاسها السلبي على المفاوضات التجاريّة، الأمر الذي صدقه ترامب أحياناً ولم يصدّقه أحياناً أخرى. في إحدى المرّات، قال لمنوشين: «ستيف، الصينيون يرون الخوف في عينيك. لذلك، لا أريدك أن تتفاوض معهم». كانت تلك أيّام جيّدة، ولكن ثمّة أياماً عديدة أخرى لم تكن جيّدة.

بالتوازي مع مواصلة المفاوضات التجاريّة، باشرنا إصدار أوامر تنفيذيّة لتأمين أنظمة الاتصالات الأميركيّة وموجودات تكنولوجيا المعلومات عموماً. كان علينا مواجهة الادعاءات حول تأثير تلك الأوامر على المفاوضات التجاريّة مع الصين، مع كل خطوة كنا نخطوها. في بعض المراحل، لم يكن بعض المسؤولين الاقتصاديين في الإدارة ينظرون إلى «هواوي» على أنّها تشكّل خطراً، إنما مجرّد منافس تجاري آخر نحاول نحن، جماعة الأمن القومي، أن نضعه في موقع ضعيف كإجراء حمائي للشركات الأميركيّة[1]. لقد تجاوزنا المقاومة خندقاً بخندق. في العديد من الاجتماعات التي عُقدت في المكتب البيضاوي، ناشدتهم أن نعتمد أسلوب تشو إنلاي في التفاوض مع تشينغ كاي تشك أثناء الحرب العالميّة الثانية حتى عندما كان الشيوعيّون وقوات القوميين منخرطين في المعارك العسكريّة، إذ كانت سياستهم «القتال أثناء التفاوض». كيف يمكن لتشي أن يعترض على اعتمادنا نصائح تشو؟ لم يناسب هذا الطرح منوشين، فيما اكتفى ترامب بالقول: «لا أختلف مع جون» لكنه تابع كلامه بتذمر وتذبذب. واصلنا رسم ضغوط دفاعية مهمة ولكن ببطء شديد بعيداً عما تتطلبه الحكمة. وبطبيعة الحال، بقي ترامب جزءاً من المشكلة، فقد سأل لايتهايزر في مرحلة معينة في نيسان/أبريل ما إذا كان يجب علينا ذكر شيء في الصفقة التجاريّة عن الحرب السيبرانيّة. كانت هذه الفكرة قريبة إلى اللاعقلانية، وربما أسوأ، إلا أنّها سرعان ما اختفت من الدوائر الرسميّة الأميركيّة، ولكن أين يمكن أن تدب مجدداً سوى في اجتماع ترامب- تشي المقبل مؤدية إلى أخطاء غير محسوبة؟

لقد واجهنا عوائق مماثلة على الصعيد الدولي عندما أردنا تحذير حلفاءنا من خطر «هواوي» والشركات الصينيّة الأخرى المملوكة من الدولة. كما نشرنا الوعي حول «مبادرة الحزام والطريق»

(١) للاطلاع على رؤية كلاسيكية لهذا الفكر المضلل، راجع: George Gilder, «Huawei Is an Asset, Not a Threat,» posted at https://www.wsj.com/articles/huawei-is-an-asset-not-a-threat-11558390913

الصينيّة الغادرة عبر اعتماد «ديبلوماسيّة الديون»، بحيث يتّم إغراء الدول المتعثرة بمنحها مساعدات وتسهيلات ماليّة ثم تتم السيطرة عليها ماليّاً، بحيث يصعب على دول العالم الثالث خصوصاً الخروج منها. لقد تحدثتُ في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨ في مؤسسة التراث عن رؤية الإدارة حيال أفريقيا وعبّرتُ عن قلقنا لاستغلال الصين لعدد من دول القارة. أما في أوروبا، فلقد انخرطت العديد من الدول في أعمال كثيرة مع «هواوي» ووجدتُ أنه من الصعب فك ذلك الارتباط. على سبيل المثال، كانت المحادثات مع بريطانيا صعبة للغاية ولكن المواقف تغيّرت لاحقاً مع وصول بوريس جونسون إلى رئاسة الوزراء وتشكيل حكومة جديدة. إنما حتى بعد ذلك، كان سلوك هذا الطريق صعباً بسبب الاعتماد الكبير على «هواوي» الذي بنته بريطانيا على مدى فترة ممتدة من الزمن. كان من المفترض أن تدفعنا هذه المخاوف المشروعة للتركيز سريعاً على كيفيّة إدخال لاعبين جدد إلى أسواق الـ 5G بدل التركيز على كيفيّة التخفيف من الاعتماد على «هواوي»[١].

اتخذّت اليابان موقفاً قويّاً[٢]. أثناء زيارة الدولة التي قام بها ترامب في أيار/مايو، قال آبي أن الصين تمثّل التحدي الاستراتيجي الأكبر على المديين المتوسط والبعيد. لقد تجاهلوا تماماً النظام والقواعد المتعارف عليها. كانت محاولاتهم الأحاديّة لتغيير الوضع القائم في بحر الصين الشرقي والجنوبي غير مقبولة. آبي شجّع ترامب على الحفاظ على الوحدة الأميركيّة- اليابانيّة ضد الصين والقيام بالمزيد. هذه كانت طريقة خوض الحوار مع حليف قريب. كما أن رئيس الوزراء الأسترالي سكوت موريسون كان يتمتّع بنظرة ثاقبة. بحيث كان ينظر إلى «هواوي» كما أنظر إليها؛ واتخدت نيوزلندا موقفاً متطرفاً إنما مناسب ولو كان مفاجئاً[٣].

كان علينا الاعتراف أننّا تأخرّنا جميعاً في إدراك المدى الكامل لاستراتيجيّة «هواوي»، إلا أنّ ذلك لم يكن عذراً لمضاعفة أخطائنا السابقة. حتى في الوقت الذي كنا نناقش كل هذه القضايا، كانت الصين تُكشّر عن أنيابها وتلقي القبض على مواطنين كنديين دون وجه حق، فقط لاثبات

(١) في المحصلة، رفضت بريطانيا الموقف الأميركي. انظر: Adam Satariano, «Britain Defies Trump Plea to Ban Huawei from 5G Network,» January 29, 2020, https://www.nytimes.com/2020/01/28/technology/britain-huawei-5G.html

(٢) See Simon Denyer, «Japan effectively bans Huawei and ZTE from government contracts, joining U.S.,» December 10, 2018, https://www.washingtonpost.com/world/asia_pacific/japan-effectively-bans-chinas-huawei-zte-from-government-contracts-joining-us/2018/12/10/748fe98a-fc69-11e8-ba87-8c7facdf6739_story.html; and «Huawei Loses key 5G Contract in Japan to Nokia and Ericsson,» May 31, 2019, https://www.straitstimes.com/asia/east-asia/huawei-loses-key-5g-contract-in-japan-to -nokia-and-ericsson

(٣) المصدر نفسه.

قدرتها على القيام بذلك[١]. لقد وقعت كندا تحت ضغوط محليّة هائلة، حيث واجه ترودو صعوبة في مقاومتها. رئيس الوزراء الكندي السابق جان كريتيان، الذي لم يكن يوماً صديقاً للولايات المتحدة، طالب بعدم التزام كندا باتفاقيّة التبادل الموقعة معنا، بكل بساطة[٢]. دعونا- بنس، بومبيو وأنا- كندا للثبات على موقفها مؤكدين دعمها بكل الوسائل المتاحة، بما في ذلك إثارة مسألة إساءة معاملة مواطنين كنديين بشكل مباشر مع الصين. كما سبقت الإشارة، هكذا كانت سلوكيّات الصين رغم إصرار البعض على الإشادة بـ «صعودها المسالم» بوصفها «شريكة مسؤولة». كيف ستتصرّف الصين إذا ما تركنا لها المجال لتبسط هيمنتها؟ هذا النقاش المتصل بالأمن القومي من المتوقع أن يمتد لوقت طويل في المستقبل، كما أن ربطه بالتجارة يُضعف موقفنا في التجارة والأمن القومي على حد سواء.

في أوائل أيار/مايو، صار روس مستعداً لوضع «هواوي» على لائحة الشركات المحظورة في وزارة التجارة، أسوةً بشركة زد تي إي، ما يمنع الشركات الأميركيّة من بيع «هواوي» أي شيء دون الحصول على تراخيص معيّنة، الأمر الذي يصيب الشركة بضربة قاسية. لقد دعمتُ هذا الإجراء بقوّة وللأسباب ذاتها التي منعنا بموجبها الحكومة الأميركيّة من شراء بضائع «هواوي» وخدماتها. لم تكن هذه الشركة تجاريّة بالمعنى المتعارف عليه، ولم يكن مقبولاً التعامل معها على هذا الأساس. في جولة مباحثات أخرى في المكتب البيضاوي في ١٥ أيار/مايو، قال منوشين أن إدراج الشركة في تلك اللائحة سوف يؤدي إلى إقفالها، وهو أمر غير صحيح، علماً أنه لم يكن لدي مانع من ذلك في حال كان صحيحاً. إنصافاً، قد يكون منوشين مرتبكاً من انهيار المفاوضات مع الصين الذي كان وقع قبل أسبوع بعد خمسة أشهر من المباحثات المكثفة وهي بدت محطمة وغير قابلة للترميم. وقال منوشين أن بيان روس متطرف جداً، فطلب الأخير تلاوته بصوت عالٍ ليقرّر الآخرون ما إذا كان ذلك صحيحاً. فقال ترامب: «تبّاً، يا له من بيان رائع. إنه ممتاز. أضف إلى جانب أحد المراجع المتعلق بإضافة «هواوي» إلى اللائحة عبارة: مع موافقة الرئيس». لم يستسلم منوشين إلا أنه أُنهك، وقال لترامب بصوتٍ متقطع: «أعطيتك نصيحتي، ولكنك اخترت السماع إلى الشخص الخاطئ».

في الاتصال الهاتفي الذي حصل بين تشي وترامب في ١٨ حزيران/يونيو (أنظر أعلاه)، ضغط

---

(١) See Anna Fifeld and Jeanne Whalen, «Canadians detained in China after Huawei arrest have now spent a year in custody,» December 10, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/canadians-detained-in-china-after-huawei-arrest-have-now-spent-a-year-in-custody/2019/12/10/3a55cd4c-1af0-11ea-977a-15a6710cd6da_story.html

(٢) See Robert Fife and Steven Chase, «Chrétien proposes cancelling Meng's extradition case to unfreeze relations with China,» October 2, 2019, https://www.theglobeandmail.com/politics/article-chretien-suggests -huawei-executives-extradition-case-should-end/

الأول كثيراً في موضوع «هواوي»، فكرّر ترامب موقفه بأنه من الممكن لـ «هواوي» أن تكون جزءاً من الصفقة التجاريّة بالتوازي مع العناصر الأخرى التي تمت مناقشتها. فما كان من تشي إلا أن حذّر من أن سوء معالجة هذه القضيّة سيؤذي العلاقات الثنائيّة برمتها. وفي سرد يعكس الكثير من الاعتداد بالذات، وصف تشي الشركة بأنها شركة صينيّة خاصة رائدة وتمتلك علاقات هامة مع شركتي «كوالكوم» و«انتل». أراد تشي رفع الحظر عن الشركة قائلاً إنه يرغب بالعمل المشترك شخصيّاً مع ترامب على هذه القضيّة، وبدا الأخير سهل الانقياد. وسرعان ما غرّد ترامب بعد لحظات على انتهاء المكالمة معرباً عن غبطته. وإذ لمس تشي ضعفاً في هذا الموضوع، واصل الضغط في قمة مجموعة العشرين قائلاً إنه علينا معالجة قضية «هواوي» كجزء من المحادثات التجاريّة. وبدّل ترامب موقفه السابق قائلاً إنه سيسمح للشركات الأميركيّة ببيع «هواوي» بشكل فوري، معاكساً موقف روس، تماماً كما عاكسه سابقاً في قضيّة زد تي إي. لحسن الحظ أننا أعدنا الأمور إلى نصابها بعد هذا الاجتماع. ولم يكن لتعليق ترامب تأثيره الفعلي على الأرض. ولكن أي انطباع تركه هذا التعليق في أذهان الصينيين عن سلوك ترامب؟ كان حظنا جيّداً أن الصين لم تتحرّك بسرعة لتسجّل تنازل ترامب قبل أن نحد من الأضرار.

أبلغتُ منوشين فحوى الاتصال بعد بضع ساعات. وبشيء من القلق، قال: «علينا أن نحمي الرئيس في قضيّة هواوي. لقد سبق أن اعتبره الناس يقايض التجارة بالأمن القومي في قضيّة زد تي إي، فإذا سمحنا له بتكرار ذلك في مسألة «هواوي» ستواجهنا ردة الفعل السلبيّة ذاتها، وربما تكون أكثر سوءاً». لقد كان ذلك صحيحاً آنذاك، ولايزال صحيحاً اليوم[1].

سبق أن أبلغني نائب الرئيس السابق دان كوايل منذ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٨ بعد رحلة له إلى هونغ كونغ أن العدائيّة الصينيّة تجاه المدينة تتزايد وأن بكين تختطف رجال أعمال لأنهم تحدّوها، ومعظم هؤلاء لم يُعرف شيء عن مصيرهم بعد ذلك. كان مجتمع الأعمال يعيش حالة من الذعر من أن يقول شيئاً إضافيّاً أو أن يكشف معلوماتٍ قد تصل إلى الصحافة العالميّة. كان كوايل يعتقد أن أحد أسباب التصرف الصيني العدائي تتّصل بتدني نسبة مساهمة هونغ كونغ في الاقتصاد الصيني إلى ٢ في المئة بينما كانت تصل إلى ٢٠ في المئة عند استلامها من بريطانيا سنة ١٩٩٧. يا لها من أرقام مذهلة.

كانت مناخات الاستياء آخذة في التصاعد في هونغ كونغ رغم أن الإعلام لم يعر ذلك أي

(١) لقد فرضت الادارة منذ مغادرتي عقوبات إضافية على «زي.تي.إي» وهواواي، ولكن السياسة العامة لاتزال غير واضحة

See, e.g., Ryan Tracy et al., «FCC Targets China's Huawei and ZTE,» https://www.wsj.com /articles/fcc-moves-to-cut-off-huawei-zte-from-subsidies-11572289868

اهتمام. وكان الشعور الغالب أن بكين تمحو باضطراد شعار «دولة واحدة بنظامين»، وأن الوقت ينفذ قبل أن تصبح هونغ كونغ مجرّد مدينة صينيّة أخرى. كانت الشرارة قانوناً اقترحته حكومة هونغ كونغ حول تسليم المطلوبين، فانطلقت مظاهرات شعبيّة هائلة في حزيران/يونيو ٢٠١٩. سمعتُ للمرة الأولى تعليق ترامب على الموضوع في ١٢ حزيران/يونيو عندما علم أن عدد المتظاهرين وصل إلى ١,٥ مليون مواطن قائلاً: «إنه حدث كبير، ولكن لا أريد أن أتدخل. نحن أيضاً لدينا مشاكلنا في مجال حقوق الانسان». لقد أدّى ذلك لإنهاء حملتي على «تويتر» للضغط على الصين كي تحترم اتفاقاتها مع بريطانيا وقد أضأتُ فيها على مدى ضعف احترام الصين للاتفاقات الدوليّة، في إشارة لأولئك المتحمسين لعقد صفقة تجاريّة.

كنتُ أتمنى لو أن ترامب نظر إلى أحداث هونغ كونغ على أنها توّفر فرصة له للتأثير على الصين، ولو لم يكن بداعي دعم مطالب المتظاهرين بالحفاظ على وضع هونغ كونغ الفريد. كان عليّ أن أكون أكثر إدراكاً. تزامنت زيارة الدولة إلى بريطانيا مع الذكرى الثلاثين لمجزرة ساحة «تيان آن مين»، ولكن ترامب رفض إصدار بيان عن البيت الأبيض في هذه المناسبة. أبلغ منوشين ترامب أنه قلق من تأثير مسودة البيان على المفاوضات التجاريّة وأنه يرغب في تبريد الأجواء. قال ترامب بشكل غير دقيق: «هذا الأمر حصل منذ ١٥ سنة، من لايزال يكترث له؟ أنا أحاول عقد صفقة. لا أريد إصدار أي شيء». قُضي الأمر.

إلا أن المتظاهرين حققوا أمراً هاماً عندما تراجع الرئيس التنفيذي لهونغ كونغ (المعيّن من بكين) كاري لام عن قانون التسليم ما أدّى إلى إنهائه عمليّاً. تواصلت المظاهرات في عطلة نهاية الأسبوع التالي ووصلت أعداد المشاركين إلى مليوني متظاهر يرددون بصوتٍ واحد «شعب هونغ كونغ» مطالبين الآن باستقالة لام.

خلال المحادثة الهاتفيّة التي جرت في ١٨ حزيران/يونيو، قال ترامب- إلى جانب حديثه عن مسألتي التجارة و«هواوي»- إنه يتابع ما يجري في هونغ كونغ، مشيراً إلى أنها مسألة داخليّة وأنه طلب من مستشاريه عدم إثارة الأمر بأي شكل أو طريقة. قدّر تشي موقف ترامب مؤكداً أن ما جرى في هونغ كونغ كان قضيّة محليّة صينية صرفة، وأشار إلى أن قانون التسليم الذي أشعل شرارة المظاهرات كان يرمي لاغلاق ثغرات قانونيّة في قوانين هونغ كونغ وأنه كان محصوراً في القضايا الإجراميّة الكبرى. وأضاف أن الاستقرار والازدهار في هونغ كونغ هو قيمة مضافة لكل من الصين والولايات المتحدة، وأن على الآخرين عدم التدخل في شؤون هونغ كونغ. لقد أذعن ترامب.

وبذلك، اختفى موضوع مصير هونغ كونغ تماماً من جدول أعمالنا.

إلا أنه في وقت لاحق من ذلك اليوم، أثناء حديثي مع بومبيو، أعلمني أن ثمّة متطلبات قانونيّة عدة قد تجبر وزارة الخارجيّة في مرحلة ما على إبداء رأيها حيال هونغ كونغ وألا مجال لتفادي ذلك. ثم تساءل: «ماذا ستقول في برامج الأحد الحواريّة، أو ماذا سأقول أنا، أو أي منا؟». بحلول منتصف شهر آب/أغسطس، تزايدت التقارير الاعلاميّة التي تتحدّث عن احتمال تدخل صيني مباشر في هونغ كونغ. أعلمتُ ترامب بما توافر لدينا من معلومات، فقال إنه قد يغرّد عن الموضوع. وناشدته أن يعتمد على المصادر العامة في حال رغب القيام بذلك، إلا أنه تجاهل التحذير كما كان يفعل غالباً. وعوض ذلك، كتب عبر «تويتر»:

> «أفادتنا معلوماتنا الاستخباريّة بأن الحكومة الصينيّة تحرّك قوّاتها على الحدود مع هونغ كونغ. على الجميع التزام الهدوء والسلامة. كثر يوجهون اللوم لي وللولايات المتحدة على المشاكل القائمة في هونغ كونغ. لا أدري لماذا؟».

هذا كل ما قيل لوقف التسريبات الآتية من «الدولة العميقة».

في ١٣ آب/أغسطس، وبعد مناقشاتنا حول بيع طائرات «أف- ١٦» إلى تايوان (أنظر أدناه)، غرّد ترامب مجدداً، فكتب عبر «تويتر»:

> «أعرف الرئيس الصيني تشي جيّداً. هو قائد عظيم يحظى باحترام كبير من شعبه. وهو رجل جيد في الحالات الصعبة. لديّ شكوك بنسبة «صفر» أن الرئيس تشي يستطيع حل قضيّة هونغ كونغ بطريقة سريعة وإنسانيّة إن أراد ذلك. اجتماع شخصي؟».

بالطبع، إزاء كل ما كان يجري في هونغ كونغ، لم يكن ثمة شكوك أن الرئيس تشي هو من يتخذ القرارات. بحلول الأول من تشرين الأول/أكتوبر، ومع اقتراب الذكرى الـ ٧٠ لقيام جمهوريّة الصين الشعبيّة، ارتفعت حدّة التوترات. لم يكن أحد ليصدّق أن بكين ستقبل استمرار المظاهرات الحاشدة في هونغ كونغ خصوصاً إذا تحوّلت إلى العنف، ما سيؤثر على مسيرة تشي. لقد حذّرت وكالة الأنباء الصينيّة «شينخوا» المتظاهرين بالقول: «النهاية قادمة»، يا له من تهديد واضح ومباشر(١).

ولكن في تشرين الثاني/نوفمبر، حوّل مناصرو الديمقراطيّة انتخابات المجالس المحليّة إلى استفتاء على مستقبل المدينة. لقد صوّت شعب هونغ كونغ بأعداد غير مسبوقة وحقق انتصاراً

(١) See Echo Xie, «Chinese state media warns 'end is coming for those attempting to disrupt Hong Kong.» September 1, 2019, https://www.scmp.com/news/hong-kong/politics/article/3025284/chinese-state-media-warns-end-coming-those-attempting

كاسحاً ضد المرشحين المؤيدين لبكين وقلب بشكل واضح كل الواقع السياسي للمجالس المحليّة. المعركة مستمرة.

كانت الصين منشغلة أيضاً بقمع الأقليّات الإثنيّة كما كانت تفعل منذ عقود في التيبت على سبيل المثال. كذلك، واصلت بكين بشكل مضطرد قمع الإيغور وهم صينيون من غير عرق الهان وغالبيتهم مسلمون. أثناء عشاء ليلة الميلاد لسنة ٢٠١٨ في البيت الأبيض، سألني ترامب لماذا علينا أن نفرض عقوباتٍ على الصين بسبب معاملتها «الإيغور» الذين يقطنون في مقاطعة تشينجيانغ الواقعة في شمالٍ غرب البلاد. حذرني روس من أن ترامب لا يريد فرض عقوبات على الصين بسبب المحادثات التجارية الجارية. كانت قضيّة «الإيغور» تشق طريقها في آليات عمل مجلس الأمن القومي، إلا أن عناصر القرار لم تكن مكتملة بعد. لقد ازداد الأمر سوءاً. في حفل العشاء الافتتاحي لمجموعة العشرين في أوساكا، الذي لم يحضره سوى المترجمين، شرح تشي لترامب أسباب تشييده معسكرات الاعتقال في تشينجيانغ. وفق ما قاله لنا مترجمنا، ترامب أبلغ تشي أن عليه مواصلة البناء لأن ذلك هو الشيء الصحيح للقيام به. ونقل لي بوتينغر أن ترامب قال أمراً مماثلاً خلال رحلته إلى الصين سنة ٢٠١٧، مما يعني أننا سنغض النظر عن فرض عقوبات على الصين بسبب ملف «الإيغور» على الأقل ما دامت المفاوضات التجاريّة جارية[1].

لم تكن قضيّة القمع الديني في الصين على جدول أعمال ترامب، سواءً تعلّق الأمر بالكنيسة الكاثوليكيّة أم بجماعة فالون غونغ، وقلما اكترث للأمر. لم يكن هذا رأيي ورأي بنس وبومبيو، ولكن الأمر يعود إلى ترامب. السفير الأميركي فوق العادة للحريّات الدينيّة الدوليّة سام براون باك ضغط على ترامب لإقامة نشاط يتعلّق بالحريّات الدينيّة في جلسة افتتاح الجمعية العامة للأمم المتحدة المرتقبة في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩، حيث تتصدّر الصين هذا الملف، وكان محقاً في ذلك.

كانت الكآبة تتملك ترامب في ما يتعلق بتايوان متأثراً بآراء مستثمري «وول ستريت» الذين سمع منهم كيف أصبحوا أثرياء جرّاء استثماراتهم في الصين. كانت المقارنة المفضّلة لترامب أن يدل بيده على طاولة صغيرة في المكتب قائلاً: «هذه تايوان»، ثم يدّل على مكتب ريزولوت الضخم قائلاً: «وهذه الصين». ولقد وردت هذه المقارنة في أشكالٍ مختلفة. هذا هو مستوى الالتزام الأميركي مع

(١) رغم أن مجلس النواب أقر قانوناً يجيز فرض عقوبات على الصين على خلفيّة قضية «الايغور»، إلا أن ذلك لم يعدل في موقف ترامب الرافض فرض عقوبات كهذه

See, Alan Rappeport and Edward Wong, «InPush for Trade Deal, Trump Administration Shelves Sanctions Over China's Crackdown on Uighurs,» May 4, 2019, https://www.nytimes.com/2019/05/04/world/asia/trump-china-uighurs-trade-deal.html

حليف ديمقراطي. كانت تايوان متحمسة جداً للتوصل إلى اتفاقيّة تجارة حرّة مع الولايات المتحدة، الأمر الذي لم يكن موضع اهتمام على الإطلاق، وهو ما لم أكن أفهمه. لقد لمست الصين ضعفاً عندنا على مستوى القمة خلال حقبة عملي بعدما سمعت كلاماً من النوع الذي يقوله مستثمرو وول ستريت. لقد ألقى يانغ جيشي عليّ المحاضرة المعتادة، أثناء اجتماعنا في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر بأن تايوان هي القضيّة الأهم والأكثر حساسيّة في العلاقات الأميركيّة- الصينيّة. من الملفت للنظر إنه قال لي إن مصلحتنا المشتركة تتمثّل في تفادي استقلال تايوان وكأننا شركاء في مؤامرة ما، الأمر الذي لم أكن مقتنعاً به حتماً. تحدّث مطولاً عن سياسة «الصين الواحدة» وقد وصّفها بشكل خاطىء لمصلحة بكين. لقد سبق للرئيس تشي أن ناشدنا في عشاء بوينس آيريس أن نكون عقلانيين في قضيّة تايوان، وقد وعده ترامب بأن يبقى متيقظاً حيال الأمر. لقد نفذنا بذلك. كنت مغطبتاً أن الحوار حول هذه المسألة كان مختصراً جداً.

عاد تشي ليفتح النقاش حول موضوع تايوان في قمّة أوساكا، وقال إنّها قضّية تتعلق بالسيادة الصينيّة والسلامة الوطنيّة، محذراً من أن علاقاتنا الثنائيّة ستتعرّض للاهتزاز برمتها بسبب هذا الملف. كما طلب من ترامب الاهتمام شخصياً بهذا الأمر بعد أن فهم على الأرجح طريقة تعاطيه فيه، ولم يكن ليقبل تغاضيه عنه. وطالب تشي الذي دائماً ما كان يثير غضبي بعدم السماح لرئيس تايوان «تساي إنغ وين» بالسفر إلى الولايات المتحدة وعدم بيع الأسلحة لتايوان معتبراً أن هذين الأمرين محوريان للحفاظ على الاستقرار في مضيق تايوان. كانت الكثير من طلبات تشي تتناقض مع أحكام قانون العلاقات مع تايوان وهو تشريع أميركي صدر سنة ١٩٧٩ ويسمح للولايات المتحدة بأن تبيع تايوان سلاحاً يمكنّها من الدفاع عن النفس، بما في ذلك صفقة مهمة لبيع طائرات «أف-١٦» لرفع قدراتها الدفاعيّة بشكل ملحوظ. في الواقع، كانت تايوان بعيدة تماماً عن فكرة التصرّف بعدائيّة. بل بالعكس لقد سبق وأبلغني دان كوايل في تشرين الأول/أكتوبر أن تايوان قلّصت قدراتها العسكريّة بشكل دراماتيكي بواقع أكثر من النصف في السنوات الأخيرة. لقد صُدمت لذلك، وهو خطأ كبير.

كان بومبيو يؤخر مناقشة حول قضيّة بيع طائرات «أف- ١٦» في الكونغرس لأنه كان قلقاً من أن ترامب، المتذمر عموماً من قضايا المبيعات لتايوان، قد يرفض السير بالصفقة هذه المرّة. بالنظر إلى ظروفنا الحساسة في ملف المبيعات العسكريّة إلى أوكرانيا، لم تكن هذه القضيّة غير واقعية. خططنا بطريقة استراتيجيّة لاقناع ترامب وأشركنا معنا عضو الكونغرس السابق عن ولاية كارولينا الجنوبية ميك مولفاني (وهي الولاية التي تضم منشآت صناعيّة رئيسية لشركة «بوينغ») في الاجتماع. وشرحنا، في اجتماع عبر المؤتمر الهاتفي مع ترامب الذي كان في بيدمينستر بعد ظهر الثلاثاء ١٣ آب/أغسطس الآثار السياسيّة السلبيّة في حال عدم إتمام الصفقة. لم يكن ثمّة دعم

مالي أميركي أو أجنبي للصفقة، إذ كانت تايوان تتحمّل الكلفة الكاملة لشراء طائرات «أف- ١٦» بسعر مبيع يصل إلى ٨ مليارات دولار، مع ما توفرّه من فرص عمل كبيرة في كارولينا الجنوبية. وقلنا أيضاً إنه من الأفضل السير بالصفقة قبل حصول تطوّرات دراماتيكيّة في هونغ كونغ. وسأل ترامب: «هل فكرتم مطلقاً بعدم عقد الصفقة؟»، والجواب المنطقي كان كلا. ثم قال أخيراً: «حسناً، نفذوا الصفقة ولكن بهدوء. لا تنوي يا جون الادلاء بخطاب حولها، أليس كذلك؟». لم أفكر بهذا الأمر، ولكن ربما كان يجدر بي ذلك.

كانت هناك تكهنات بعد مغادرتي البيت الأبيض إثر تخلي ترامب عن الأكراد في سوريا حول: عمّن سيتخلّى تالياً؟(١) كانت تايوان تقترب من احتلال رأس اللائحة، ومن المرجح أن تبقى كذلك طالما بقي ترامب في الرئاسة. إنّه مؤشر محزن.

العاصفة التالية القادمة من الصين كانت هذه المرّة على شكل جائحة «كورونا» التي وصلت في مطلع العام ٢٠٢٠. على الرغم من أن علماء الأوبئة (بالاضافة إلى خبراء الأسلحة البيولوجيّة) سوف يدرسون هذه الكارثة لوقت طويل في المستقبل، فإن بصمة حكومة الصين بأسلوبها التسلطي وأنظمتها للسيطرة الاجتماعيّة موجودة في الأمر برمته. ليس هناك أدنى شك بأن الصين أخّرت وحجبت وفبركت وشوّهت المعلومات حول أصل وتوقيت وانتشار ومدى هذا الوباء(٢)؛ وأنّها قمعت أصوات اعتراض الأطباء وسواهم(٣)؛ وأنّها أعاقت الجهود الخارجيّة لمنظمة الصحة العالميّة والجهات الأخرى للحصول على معلومات دقيقة؛ وأنّها انخرطت في حملات تضليل نشطة في محاولة للمجادلة بأن فيروس «سارس» وفيروس «كورونا» لم يكن منشأهما في الصين(٤). المفارقة أن نتائج

(١) See John Pomfret, «Trump abandoned the Kurds in Syria. Could Taiwan be next?» https://www.washingtonpost.com/opinions/2019/10/18/trump-abandoned-kurds-syria-could-taiwan-be-next/

(٢) See, e.g., Josephine Ma, «Coronavirus: China's first confirmed Covid-19 case traced back to November 17,» March 13, 2020, https://www.scmp.com/news/china/society/article/3074991/coronavirus-chinas-first-confirmed-covid-19-case-traced-back

(٣) See, e.g., Javier C. Hernández, «Chinese Tycoon Who Criticized Xi's Response to Coronavirus Has Vanished,» March 15, 2020, https://www.nytimes.com/2020/03/14/world/asia/china-ren-zhiqiang.html?searchResult Position=2

(٤) See Guy Taylor, «Surge of coronavirus lies by adversaries seeking to blame the U.S. floods web,» March 16, 2020, https://www.washingtontimes.com/news/2020/mar/15/coronavirus-lies-pushed-china-blame-virus-us-biowe/; and, Fred Lucas, «Coronavirus Coverup? Trump's National Security Advisor Puts China On Notice,» March 15, 2020, https://nationalinterest.org/blog/buzz/coronavirus-coverup-trumps-national-security-advisor-puts-china -notice-132497

هذه التعمية عن الواقع انعكست على أقرب حلفائها. على سبيل المثال، بدت إيران كأنها أكثر الدول تضرراً حيث كشفت صور الأقمار الاصطناعيّة حفر القبور تحضيراً لدفن الضحايا المتوقع وفاتهم جرّاء «كورونا»(١).

لم يكن من مفر من أن يتحوّل أداء ترامب في هذه القضيّة الصحيّة الطارئة على الصعيد الدولي إلى حملة دعائيّة، كون العام ٢٠٢٠ هو عام انتخابات رئاسيّة. ولقد حصل هذا التحوّل بشكل شبه فوري. كانت ثمّة أمور عديدة قابلة للانتقاد منها إصرار الادارة دون كلل على أنه تم «إحتواء» الجائحة وأن تأثيرها الاقتصادي سيكون محدوداً أو حتى معدوماً. في ٢٥ شباط/فبراير، أعلن رئيس المجلس الاقتصادي الوطني لاري كودلو: «لقد احتوينا ذلك، لن أقول إن الاحتواء محكم تماماً، ولكنه يقترب من أن يكون محكماً»(٢). كانت ردة فعل الأسواق لهذا النوع من التأكيدات في غاية السلبيّة، ولعله هو ما أدّى إلى إيقاظ البيت الأبيض حيال خطورة المشكلة. كان واضحاً أنّه، بالاضافة إلى المفاعيل الإنسانيّة، ستترك التداعيات الاقتصاديّة تردداتها في انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر وما سيليها. كانت ردة فعل ترامب القائمة على التهرّب من أي أمر، حتى ولو كان أزمة صحة عامة، تقلّص من مصداقيته ومصداقيّة الدولة، من خلال تصريحاته التي بدت كأنها ترمي للحد من الخسائر السياسيّة بدل تقديم النصائح المسؤولة في قضايا الصحة العامة. أحد الأمثلة الفاضحة كان تقريراً صحافيّاً كشف أن الإدارة حاولت تصنيف بعض المعلومات الصحيّة كمعلومات سريّة، وتعتبر فيها الولايات المتحدة أن تورّط الصين هو أمر زائف(٣). كانت الصين حتماً متورطة وهذا سبب إضافي لنشر المعلومات بشكل موسع وليس حجبها. هذا ما تردد ترامب في القيام به طوال الأزمة خوفاً من التأثير المعاكس على الصفقة التجاريّة الصعبة المنال مع الصين أو الإساءة إلى تشي جينبينغ المرهف الإحساس.

الاتهامات الأخرى للإدارة كانت تافهة. من تلك الشكاوى ما تناول أحد أوجه عمليّة التنظيم

(١) See Ivana Kottasová and Paul P. Murphy, March 13, 2020, «Satellite images show Iran building burial pits for coronavirus victims,» https://www.cnn.com/2020/03/13/middleeast/iran-coronavirus-mass-graves-intl/index.html

(٢) See Fred Imbert, «Larry Kudlow says US has contained the coronavirus and the economy is holding up nicely,» February 26, 2010, https://www.cnbc.com/2020/02/25/larry-kudlow-says-us-has-contained-the-coronavirus-and-the-economy-is-holding-up-nicely.html?__source=twitter%7Cmain

(٣) See Aram Roston, Marisa Taylor, Reuters, March 11, 2020, «Exclusive: White House told federal health agency to classify coronavirus deliberations– sources,» https://www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-secrecy-exclusive/exclusive-white-house-told-federal-health-agency-to-classify-coronavirus-deliberations-sources-idUSKBN20Y2LM

التي قمت بها لمجلس الأمن القومي خلال الأشهر الأولى لوجودي في البيت الأبيض. كان المنطق الإداري السليم يقوم على تحويل مسؤوليّات المديريّة التي تتعاطى في قضايا الصحة العالميّة والدفاع البيولوجي إلى الإدارة التي تتعاطى في ملف أسلحة الدمار الشامل (البيولوجيّة والكيميائية والنوويّة)، وذلك بهدف الحد من الازدواجيّة والتشابك، وتعزيز التنسيق والفاعليّة. يمكن أن تكون لخصائص الأسلحة البيولوجيّة والأوبئة أمور كثيرة مشتركة، ذلك أن الخبرات المتصلة بالطب والصحة العامة المطلوبة للتعاطي مع كلا التهديدين تسير يداً بيد. لذلك، كان دمج المديريتين يضاعف فرص العمل المشترك بفاعليّة أكبر فضلاً عن أنه يضع الأولويّة للأمن البيولوجي من خلال عمليّة إعادة تنظيم هيكلي ترتكز إلى التهديد الذي قد يكون من صنع الإنسان أو يأتي من الطبيعة. معظم الموظفين الذين كانوا يعملون سابقاً في مديريّة الصحة الدوليّة انتقلوا بكل بساطة إلى المديريّة الجديدة بعد دمجها، وهم يواصلون القيام بالعمل ذاته الذي كانوا يقومون به سابقاً. انتقل موظف واحد إلى مديريّة المنظمات الدوليّة وواصل العمل هناك على القضايا الصحيّة في نظام الأمم المتحدة والهيئات الأخرى. وأسوةً بكل مديريّات مجلس الأمن القومي، يأتي معظم الموظفين من دوائر ووكالات أخرى، ويخضعون للمداورة بعد عام أو عامين من العمل في المجلس ثم يعودون إلى مراكزهم الأساسيّة. هذه كانت عمليّة متواصلة. لقد نجح تيم موريسون، أحد كبار المدراء الذي انضم إلى المجلس بطلبٍ مني لمتابعة هذه الأمور، ومن ثم خلفه أنطوني روغيرو، في إبقاء التركيز على قضيّة الصحة العالميّة[١].

لقد أكدّتُ شخصيّاً على ضرورة إبقاء قضيّة الصحة العالميّة على رأس الأولويات وألا يتغيّر دور مجلس الأمن القومي في هذا المجال. أن تأتي الانتقادات حول عمليّة إعادة التنظيم من «خريجي» إدارة أوباما الذين كانوا أنشأوا مكتباً مستقلاً لمتابعة قضايا الصحة العالميّة، فهذا يؤكد الخلفيّة السياسيّة للانتقادات. لقد عكس موظفو إدارة أوباما النظرة القائلة بضرورة إشراك البيت الأبيض في تفاصيل القضايا العملانيّة الصغيرة، وهو كان مناقضاً لنظام سكوكروفت بأن المجلس لا يدخل في القضايا العمليّة، فضلاً عن أن فلسفة الادارة ترتكز إلى

(١) See Tim Morrison, «No, the White House didn't 'dissolve' its pandemic response office,» March 16, 2020, https://www.washingtonpost.com/opinions/2020/03/16/no-white-house-didnt-dissolve-its-pandemic-response-office/. Daniel Lippman and Meredith McGraw, «Inside the National Security Council, a rising sense of dread,» April 2, 2020, https://www.politico.com /news/2020/04/02/nsc-coronavirus-white-house-162530; and AndrewKaczynski and Em Steck, «Top administration officials said last year threat of pandemic kept them up at night,» April 3, 2020, https://www.cnn.com/2020/04/03/politics/kfile-officials-worried-over-pandemic-last-year/index.html

أن الصلاحيّات المفوّضة لإدارة البرامج والسياسات أكثر فاعليّة بدرجاتٍ من التكهن المتواصل الذي يمكن أن تقوم به الادارة العليا[١].

وكما كنتُ أتوقع، أدّت المديريّات التي أعيد تنظيمها العمل بطريقة ممتازة. وعلى أرض الواقع، تم التعامل بمهارة على مستوى التعاون بين الإدارات مع الانتشار المتجدد لوباء «إيبولا» في شرق الكونغو والمناطق المحيطة في عامي ٢٠١٨- ٢٠١٩ [٢]. بعيداً عن المراقبة المتواصلة، كان تدخلي الشخصي يقتصر على التثبت من إجراءات الحماية والسلامة لخبراء مركز السيطرة على الأمراض الذين كانوا سيدخلون إلى المناطق الموبوءة في الكونغو. ترامب نفسه أبلغ كوبرمان بضرورة أن يقوم مكتب الماليّة والإدارة بتوفير كل الموارد المطلوبة، حيث تستدعي الحاجة لإبقاء «إيبولا» خارج الولايات المتحدة، وذلك بعد اعتراض المكتب على تمويل الفرق المتجهة إلى الكونغو. بالاضافة إلى ذلك، أشرفت المديريّة على صياغة مراجعة شاملة لاستراتيجيّة الدفاع البيولوجي سنة ٢٠١٨ [٣] كما أنتجت قرارين رئاسيين هامين، الأول يتعلق بدعم الدفاع البيولوجي (استناداً إلى الاستراتيجيّة الجديدة) في أيلول/سبتمبر ٢٠١٨ [٤] والثاني يتصل بتطوير لقاحات الأنفلونزا في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩ [٥]. هذه الانجازات، وسواها من الإنجازات الأخرى غير المنظورة، تشكل حجر الزاوية لفاعليّة العمليّة التشاركيّة بين الوكالات.

(١) وافق عدد من المعلقين على عمليّة إعادة التنظيم أنظر See, e.g., Tom Rogan, «No, the Trump Administration didn't weaken US biodefenses,» March 15, 2020, https://www.washingtonexaminer.com/opinion /no-the-trump-administration-didnt-weaken-us-biodefenses; and Alexander Muse, March 14, 2020, «Fact check: Did Trump disband the US pandemic response team?» https://partisan.space/pandemic-team/. Fact checkers agreed that the dispute over the reorganization was a matter of opinion, not verifiable fact: Glenn Kessler and Meg Kelly, «Was the White House office for global pandemics eliminated?» https://www.washington post.com/politics/2020/03/20/was-white-house-office-global-pandemics-eliminated/, and Lori Robertson, «Dems Misconstrue Trump Budget Remarks,» https://www.factcheck.org/2020/03/dems-misconstrue-trump-budget-remarks/

(٢) See Alex M. Azar II, Robert R. Redfield, and Anthony S. Fauci, «On the Front lines of the Trump Administration's Ebola Response,» November 4, 2019, https://foreignpolicy.com/2019/11/04/trump-administration-ebola-response-azar-redfield-fauci-congo/

(٣) See «National Biodefense Strategy,» www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2018/09/National-Biodefense-Strategy.pdf

(٤) See «Presidential memorandum on the Support for National Biodefense,» September 18, 2018, https://www.whitehouse.gov/presidential-actions/presidential-memorandum-support-national-biodefense/

(٥) See «Executive Order on Modernizing Influence Vaccines in the United States to promote National Security and public health,» September 19, 2019, https://www.whitehouse.gov/presidential-actions/executive-order-modernizing-influenza-vaccines-united-states-promote-national-security-public-health/

عكست فكرة إجراء عمليّة إعادة هيكلة بيروقراطيّة محدودة في عهد ترامب مدى حصانة البيروقراطية التافهة في الواقع. في حدها الأقصى، كات العمليّة الداخليّة لتنظيم مجلس الأمن القومي تماثل خفقان أجنحة الفراشة في ظل تسونامي فوضى ترامب. على الرغم من ذلك، وبمعزل عن حال اللامبالاة لدى القيادة العليا في البيت الأبيض، قام موظفو مجلس الأمن القومي، وهم يدركون حجم المخاطر، بواجباتهم في ما يخص مواجهة جائحة «كورونا». وكما أفادت صحيفة النيويورك تايمز في مراجعة تاريخية في منتصف نيسان/أبريل:

«لقد تلقى المكتب المختص بمتابعة الأوبئة التابع لمجلس الأمن القومي تقارير استخباريّة في وقت مبكر في كانون الثاني/يناير توقعّت انتشار الوباء في الولايات المتحدة، وخلال أسابيع قدّم المكتب مقترحات مثل تطبيق الحجر المنزلي للأميركيين وإقفال مدن كبرى بحجم شيكاغو. إلا أن السيد ترامب تفادى اتخاذ خطوات قبل حلول شهر آذار/مارس[١]».

لذلك، كان رد فريق الأمن البيولوجي في مجلس الأمن القومي على فيروس «كورونا» تماماً كما كان يفترض أن يكون. لقد كان الكرسي خلف مكتب ريزولوت الرئاسي فارغاً.

في الأساس، وبعد احتساب كل الخسائر البشريّة والاقتصاديّة لفيروس «كورونا»، هناك استنتاجان مخيفان: الأول، إنه علينا القيام بكل ما أمكن للتأكد من أن الصين وحملاتها الحاليّة حول أصل الفيروس لن تنجح في إثبات أن تقنيّة الكذبة الكبرى لاتزال قابلة للحياة في القرن الحادي والعشرين. علينا قول الحقيقة عن سلوك الصين، وهو ما امتنع ترامب عن القيام به بشيء من الازدراء، أو أننا سنتحمل النتائج والمخاطر في المستقبل.

الثاني، بعد مرور عقودٍ على الحروب البيولوجيّة (والكيميائية) التي تم التقليل من أهميّتها على أنها «السلاح النووي للفقراء»- مثلما شاهدت دول كإيران وكوريا الشماليّة وغيرهما يحصل حول العالم- علينا التعامل مع هذين النوعين من الأسلحة من أسلحة الدمار الشامل بالقدر ذاته من اليقظة حيال الأسلحة النوويّة. وفي الواقع، هذا تماماً ما كنت أنوي القيام به من خلال قراري دمج مديريّة الأمن البيولوجي بالمديريّة المولجة متابعة أسلحة الدمار الشامل[٢]. لا تهدف إعادة

(١) See Eric Lipton, David A. Sanger, Maggie Haberman, Michael D. Shear, Mark Mazzetti, and Julian E. Barnes, "Despite Timely Alerts, Trump Was Slow to Act." April 12, 2020. https://www.nytimes.com/2020/04/11/us /politics/coronavirus-trump-response.html

(٢) تماثل هيكليّة مجلس الأمن القومي حالياً هيكليّة مؤسسة الأبحاث الطبيّة للأوبئة المعدية التابعة للجيش الأميركي
See, usamriid.army.mil

التنظيم للانتقاص من الأمن البيولوجي، إنما ترمي لإبراز المخاطر البيولوجيّة المتزايدة بالنسبة لأمن الولايات المتحدة.

الفصل الحادي عشر

الوصول إلى فندق هانوي هيلتون ومغادرة الفندق وفترة التسلية في بانمونجوم

بعد انتهاء انتخابات الكونغرس للعام ٢٠١٨، بدا أن عقد قمة أخرى بين ترامب وكيم أصبح أمراً لا مفر منه لدرجة تبعث على الكآبة. كان افتتان ترامب بفكرة الحصول على «صفقة» مع كوريا الشمالية يقوى أحياناً ويخف أحياناً أخرى، ولكن، بعد انقضاء ستة أشهر على قمة سنغافورة دون أن يتمخّض عنها الكثير، أخذ هذا الافتتان يخف بصورة متزايدة. كان من المقرر أن يجتمع بومبيو مع كيم جونغ تشول، من كوريا الشمالية، في نيويورك يوم الخميس في الثامن من تشرين الثاني/نوفمبر، وكان كيم يرغب في عقد اجتماع آخر في البيت الأبيض في نفس اليوم أو في اليوم التالي. لحسن الحظ، كان من المفروض أن أكون خلال تلك الفترة في باريس للتحضير لزيارة ترامب المرتقبة للمدينة، وبالتالي لم يكن مشهد ربيع العام ٢٠١٨ سيتكرر. والواقع أن مجرد تخيُّل عودة كيم جونغ تشول إلى المكتب البيضاوي ثانية كان لايزال يشعرني بالغثيان. ومن رأفة الله بنا أن كيم جونغ أون ألغى الرحلة. لم تكن احتمالات عقد قمة بين مون وكيم واردة، وفي أفضل الأحوال كانت القمة ستؤجل إلى العام ٢٠١٩.

لكن المسار تسارع بعد رأس السنة، فلم تكن استثارة حماس ترامب بالأمر الصعب. سافر كيم جونغ أون إلى بكين على نحو مفاجئ يوم عيد ميلاده، في الثامن من كانون الثاني/يناير، لكي يُعدّ على الأرجح للقاء آخر مع ترامب. ومن الطبيعي أن يعقب ذلك زيارة كيم جونغ تشول إلى واشنطن التي زارها، في السابع عشر والثامن عشر من كانون الثاني/يناير، وكان من المقرر أن يلتقي بترامب يوم الجمعة في الثامن عشر من الشهر. لم يعد بوسعي الانتظار، أخبرت بومبيو أني سأخضع لعملية جراحية بسيطة كان قد تقرر إجراؤها في ذلك التاريخ منذ وقت طويل؛ سألني إن كنت بحاجة إلى أي مساعدة. حمل كيم جونغ تشول معه رسالة أخرى من كيم جونغ أون، ودام الاجتماع في المكتب البيضاوي تسعين دقيقة، ما جعل العملية الجراحية، أفضل من المشاركة فيه. حضر الجلسة تشارلي كوبرمان (الذي كان قد حل مؤخراً محل ريكارديل)، وقال لاحقاً إن النقاش، كالعادة، كان طويلاً

من دون ترابط، واللغة المستخدمة فيه كانت بلا شك فضفاضة. مع ذلك لم يلحظ أي التزامات حقيقية من جانب ترامب، وفي نهاية الاجتماع قال ترامب إنه لا يستطيع رفع العقوبات قبل أن تقوم كوريا الشمالية بنزع سلاحها النووي، وإلا بدا أحمق، وهو أمر صحيح، والجيد أن ترامب لم ينس ذلك. قد لا يكون ذلك بصورة طبيعية أساساً لاستراتيجية كبرى، ولكن هذا ما كان متاحاً لنا لأداء عملنا. جرى وضع برنامج المفاوضات على مستوى المساعدين خلال عطلة نهاية الأسبوع في السويد، وكان ذلك هو الموقع الذي كنت أخشى أن تبدأ فيه الأمور بالانزلاق لتخرج عن نطاق السيطرة. والواقع أن هذا الاحتمال بدا، استناداً للتقارير الصحافية، مرجحاً أكثر من أي وقت مضىً، لاسيماً بعد أن عيَّنت سلطات كوريا الشمالية أخيراً نظيراً للمبعوث الخاص لوزارة الخارجية ستيف بيغون، وهو كيم هيوك تشول، السياسي المحنك الذي شارك في المحادثات السداسية التي جرت في عهد الرئيس بوش الإبن.

بعد تحديد مكان وزمان القمة، في هانوي بتاريخ السابع والعشرين والثامن والعشرين من شباط/فبراير، أمعنتُ التفكير مطولاً بشأن كيفية الحيلولة دون حصول تدهور. لم تفلح التعليقات الصادرة عن بيغون في ستانفورد، التي كانت تحمل في طياتها إيحاء قوياً باستعداد الإدارة لتطبيق صيغة «أفعال مقابل أفعال» التي طالبت بها كوريا الشمالية، سوى في تنامي شعوري بالقلق، وهو ما فاقمته عودة وزارة الخارجية إلى نموذج: «متحفظون وغير متعاونين» (معنا) حول كل ما يقولونه للكوريين الشماليين. كانت وزارة الخارجية قد فعلت الأمر نفسه بالضبط مع مجلس الأمن القومي أثناء المحادثات السداسية. ثمة احتمال أن بومبيو لم يكن يعي تماماً أن الأجندة الشخصية لبيغون بالتوصّل إلى اتفاق، كانت راسخة. ولكن، سواء كان بومبيو هو من طلب من بيغون إبداء هذا الحماس؛ أو أنه سمح له بأن يكون على هذا القدر من الحماس؛ أو أنه كان يجهل وجود هذا الحماس، يظل كل ذلك خارج سياق الموضوع: النتائج الخطرة كانت هي ذاتها في كل الأحوال.

وحين بدا أن المحادثات التي كان يجريها المسؤولون في وزارة الخارجية تخرج عن نطاق السيطرة حيث غلبهم الحماس للتوصُّل إلى اتفاق، وأسكرتهم التغطية الإعلامية، بدأتُ أفكر ملياً بما يمكن لي القيام به مع ترامب شخصياً لمنع حصول أخطاء في هانوي. توصّلتُ إلى نتيجة مفادها أن الإحاطات التي يجب أن تقدَّم إلى ترامب قبل ذهابه إلى هانوي ينبغي أن تكون مختلفة إلى حد كبير عن تلك المقدَّمة قبل قمة سنغافورة التي لم ينتج عنها تأثير يُذكَر. عُقدت الجلسة الأولى للإعداد لقمة هانوي في الثاني عشر من شباط/فبراير في غرفة العمليات في البيت الأبيض، بدأت الجلسة في الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة واستمرت خمساً وأربعين دقيقة. عرضنا فيلماً يبدأ بتقارير إخبارية تُظهِر كارتر وكلينتون وبوش وأوباما وهم يقولون إنهم توصلوا إلى اتفاقات عظيمة مع كوريا الشمالية. تلى ذلك عرض لسلوك سلطات كوريا الشمالية الفعلي إثر قمة سنغافورة

وكيف استمر خداعهم لنا. ينتهي الفيلم بتقرير إخباري يظهر ريغان وهو يصف القمة التي عقدها مع غورباتشيف في ريكيافيك في العام ١٩٨٦. كان مفاد الفكرة الأساسية التي أوردها ريغان أن الاتفاقات التي يمكن التوصّل إليها في حال التمسّك بالموقف أفضل من الاتفاقات التي يجري التوصل إليها في حال التخلي عن الموقف. بعد ذلك جرى نقاش سلس، وطرح ترامب أسئلة جيدة، وكانت جلسة تتسم بتركيز لافت. بعد انتهاء الجلسة قال ترامب إن الأفكار الرئيسية التي خرج بها هي: «أنا أمتلك القوة»، «لا توجد ضرورة للاستعجال»، «بإمكاني ترك المفاوضات متى شئت». أتاحت الإحاطات لترامب الاستنتاج أن قمة هانوي ليست بالعامل الذي يقرر النجاح أو الفشل؛ وأنه في حال عدم إحراز تقدم، بإمكانه العودة إلى التصرف بالأسلوب السابق بكل بساطة. ما كنت أنا لأتمكن من صياغة هذه الأفكار بأسلوب أفضل.

كان الضغط الاقتصادي الذي نمارسه على كوريا الشمالية أشد من السابق، لكن المسألة كانت شدة الدرجة لا أكثر. مع ذلك منحتنا تلك العقوبات مزية على المدى القصير. فقد كان كيم جونغ أون هو الطرف المستميت للتوصّل إلى الاتفاق لأن الضغط الذي يُمارَس عليه، على الرغم من أنه لم يكن يفي بالغرض تماماً، كان يعوق جهوده الرامية إلى تحسين الوضع الاقتصادي داخل بلاده. على المدى الطويل، يجري الزمن دائماً لمصلحة من يقوم بالتسلح النووي، لكن مفهومي لتعبير «المدى الطويل» كان في تلك اللحظة يعني أسبوعين: تجاوُز قمة هانوي دون تقديم أية تنازلات ومساومات كارثية. لو تمكنّا من تعطيل أي اندفاع للتوصّل إلى اتفاق لمجرد القول إننا توصّلنا إلى اتفاق، وهو ما كانت وزارة الخارجية ترغب به بشدة، لأحسست بالرضا. كنت قد توقعت أن يتراجع الضغط علينا لعقد اتفاق بعد انقضاء القمة الثانية بين ترامب وكيم مباشرة. كان بإمكاننا، بدل ذلك، العودة للتركيز على التهديد الخطير الذي مازالت تمثّله كوريا الشمالية، سواء أكانت ناشطة في مجال اختبار السلاح النووي والصواريخ الباليستية، أو لم تكن. شعرت بارتياح كبير لأن الإحاطة لم تكن كارثية، إضافة إلى أننا قد نكون حققنا بعض التقدم مع ترامب.

استمرت الجلسة الثانية للإحاطة، التي جرت في الخامس عشر من شباط/فبراير، بعد الساعة الثانية مباشرة، خمساً وأربعين دقيقة أيضاً. عرضنا فيلماً دعائياً من كوريا الشمالية يُظهر قيامهم بمناورات حربية معززة، على الرغم من أننا لم نكن نجري أي مناورات، بناء على أوامر ترامب. اهتم ترامب بالفيلم وطلب تزويده بنسخة عنه. تركز النقاش في الجلسة على الفكرة الأهم: معنى عبارة «نزع السلاح النووي كلياً». طلب ترامب تدوين الاستنتاجات على صفحة ورقية واحدة كنّا قد أعددناها مسبقًا. بعد مناقشة جيدة، قال ترامب، «بَيِّضْها وأعِدّها إليّ»، ممّا أوحى بأنه قد يسلِّمها إلى كيم جونغ أون في مرحلة ما. شدَّدتُ على أهمية الحصول على الإعلان عن خطٍّ مرجعي كامل من طرف كوريا الشمالية، وليس النهج التدريجي الذي كانت لتقبَل به وزارة الخارجية. كنتُ أعتقد

أن الإحاطة الثانية هذه، قد سارت أيضاً على نحوٍ جيد للغاية، وأننا أنجزنا خلالها كل ما يمكن أن نتوقعه لوضع ترامب في الإطار الذهني الصحيح، بحيث لا نقدّم تنازلات كبرى في هانوي.

حتى أنّ مكالمة هاتفية أخرى في ١٩ شباط/فبراير مع مون جاي إن، الذي أصرّ على الدفع بأجندة بلاده إلى الأمام، لم تتسبّب بأضرار جسيمة. فقد أعلن ترامب أنه الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يعقد صفقة نووية مع كيم جونغ أون، وضغط على مون لكي يجعل وسائل الإعلام تعرف بأنّ تقدُّمًا قد أُحرز، وذلك لأن وسائل الإعلام، وبشكل نموذجي، كانت تحاول تسفيه كل ما يقوم به (أي ترامب) من أفعال. كما وعدَ بإبقاء مصالح كوريا الجنوبية في باله، لكنّه شدَّد على أن كيم كان يريد اتفاقًا. كانوا كلّهم يريدون عقد صفقات. في وقت لاحق من ذلك الصباح، اجتمعتُ أنا، وبومبيو، وبيغون، وأليسون هوكر من مكتب الأمن القومي، مرة أخرى مع ترامب، الذي قال خلال الاجتماع، «إذا انسحبنا، فلا بأس»، وهي النقطة الرئيسية التي تركّزت حولها الإحاطات. قال ترامب لبيغون: «أخبِرْهم [ويقصُد الكوريين الشماليين] أنني أحب الرئيس كيم كثيرًا، ولكن أخبِرْهم أيضًا بما أريد».

بعد مزيد من المناقشات، عدتُ أنا وبومبيو إلى مكتبي للحديث بشأن قمة هانوي. بيّنت مرة أخرى، لماذا كان الإعلان عن خط مرجعي من طرف كوريا الشمالية، يشكّل نقطة البداية لأي مفاوضات واضحة. كما بيَّنتُ لماذا لم نكن قادرين على رفع العقوبات الاقتصادية، ولماذا كنّا بحاجة إلى المزيد من الضغط. شعر بومبيو بالاستياء من «تدخُّلي» في مضماره بهذه الطريقة، لكنّه لم يكن يختلف معي على الجوهر، وهو أمر نادراً ما كان يفعله عندما كنا نتحدث على انفراد. خلال الاجتماع الذي عقدته لجنة الرؤساء في وقت لاحق من ذلك اليوم، بشأن كوريا الشمالية، أزعج الضعف الواضح الذي أظهره بيغون، الكثير من الحاضرين، وخاصة شاناهان، ودانفورد، وحتى بومبيو. هل كان يدير بيغون أم لم يكن؟ أراد دانفورد أن يتأكد من أنّ أي «إعلان لنهاية الحرب» لن يكون له أثر قانوني ملزم، ما أثار بالطبع السؤال حول لماذا ندرس هذه المسألة من الأساس. لقد أخبرَنا الشماليون بأنهم لا يهتمون بها، ويرونها كشيء كان مون يريده. فلماذا كنّا نسعى خلفها إذن؟

أعقبت الإحاطة الثالثة والأخيرة بشأن كوريا الشمالية، والتي جرت في ٢١شباط/فبراير، اتصالاً هاتفياً من آبي عشية ذلك اليوم. لم يكن من الممكن لهذا الاتصال أن يساعد على ضبطها بشكل أفضل. كنّا قد أعددنا مجموعة من «أوراق الجوكر» التي قد يجلبها كيم جونغ أون إلى هانوي لمفاجأة ترامب ويجعله يقدِّم تنازلات غير ضرورية. ومرة أخرى، استغرقت الجلسة حوالى خمس وأربعين دقيقة، وكانت خاتمة ناجحة للجهود التي بذلناها طوال هذه الإحاطات. بقي أن ننتظر لنرى إن كانت كافية لمنع تقديم تنازلات كارثية لكيم.

غادرتُ إلى هانوي في وقت مبكر من يوم ٢٤ شباط/فبراير. وبينما كنّا نتوجه إلى أنكوريج للتوقُّف والتزوّد بالوقود، تلقينا مسوّدة بيان الولايات المتحدة - كوريا الشمالية. قالت أليسون هوكر

المتخصصة في ملف كوريا الشمالية في مكتب الأمن القومي، إن بيغون «أسقطَه على الطاولة» في أثناء لقاء مع الشماليين، دون تبييضه من قبل. كان كما لو أن كوريا الشمالية، هي التي صاغته، فقد كان يعدِّد «تنازلات» ترامب السابقة لكيم جونغ تشول في المكتب البيضاوي من دون طلب أي شيء في المقابل أبعد من تصريح غامض آخر بأن كوريا الشمالية توافق على تعريف «نزع السلاح النووي». لقد كان لغزًا كاملًا بالنسبة إليّ، لماذا كان بومبيو ليسمح بمثل هذا النص. ماذا لو قبل به الكوريون الشماليون حرفيًا، وبكل بساطة؟ لقد كان ذلك خطأً فادحًا آخر في العملية، وقنبلة سياسية موقوتة. طلبتُ من كوبرمان عرض المسوّدة على مولفاني وستيفن ميلر في واشنطن، ووافق مولفاني على أنه كان خطأً سياسيًا من الدرجة الأولى، وانتهاكًا متعمدًا للعملية المعتمدة بين الوكالات. كانا يسافران مع ترامب إلى هانوي على متن الطائرة الرئاسية وشرحا له المشاكل في الطريق. لم يكن ترامب على علم بالمسوّدة بتاتًا، ولذلك، لم يكن لدى بيغون تفويض من الأعلى. اتصلت أيضًا ببنس الذي كان على متن طائرة نائب الرئيس عائدًا إلى واشنطن من اجتماع مجموعة ليما في بوغوتا، وكانت لديه نفس ردّة فعلي على مسوّدة بيغون.

بعد أن كنت غارقًا في مشكلة فنزويلا قبل مغادرتي إلى هانوي، وحالما وصلت إلى فندق جي دبليو ماريوت الذي يقيم فيه الوفد الأميركي، حاولت معرفة ما يجري. كان المحضر مشوشًا للغاية، لكنّ وزارة الخارجية كانت تعمل وقتاً إضافياً لحجب كل ما يمكنها حجبه من مسودة بيغون، مستبعدة ممثلي مجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع، قبل وصول ترامب في وقت متأخر من ذلك المساء. كانت الأخبار كلّها سيئة.

في صباح اليوم التالي، الأربعاء ٢٧ شباط/فبراير، كنت مع بومبيو عندما أخبرنا مولفاني أن ترامب كان مستاء جدًا بشأن مقالة نُشرت في مجلة التايم[(١)]، تتحدث عن إحاطاته الاستخباراتية ومدى قلة اهتمامه بها أو فهمه لها. لم أكن قد سمعت بالمقالة، لكن بومبيو كان يعلم بها وقال إن التايم كانت تعمل على ملفّ عن ترامب، وربما أن ذلك قد جاء فيه. كان على استعداد لإصدار بيان، على غرار البيان الذي أدلى به قبل أشهر، وأكّد فيه أن ترامب كان يشارك بعمق في الإحاطات. لم أدلِ بتصريح كهذا من قبل، وكنت أبحث عن مخارج من غرفة الفندق، بحيث لا أكون مضطرًا للقيام بذلك الآن. لقد قطع مقال التايم تقريبًا علاقةً كانت متوترة بالأصل مع مجتمع الاستخبارات. وصف ترامب مدير الاستخبارات الوطنية، دان كوتس، بـ «الأبله»، ولاحقًا، عندما كنت أنا وبومبيو معه في المصعد، سألنا، «هل أخطأنا مع [مديرة وكالة الاستخبارات المركزية] جينا [هاسبل]؟»

ثم انتقلنا إلى غرفة أخرى جرى إعدادها لإطلاع ترامب على أحداث اليوم. كان ترامب لايزال

(١) See John Walcott, "' Willful Ignorance. "Inside President Trump's Troubled Intelligence Briefings," - https://time.com/5518947/donald-trump-intelligence-briefings-national-security

غاضبًا بسبب مقالة التايم، لكنّه بدأ بالقول لبومبيو إن تعليقات بيغون لم تكن تعجبه، كانت «مفرطة»، مشيرًا إلى مسوّدة البيان التي أطلعه عليها كوبرمان ومولفاني على متن الطائرة الرئاسية. كان المغزى واضحًا للجميع في الغرفة. بعد تعريج على مقالة التايم، انتقد ترامب بيغون مجددًا، مكررًا ما قاله قبل دقائق قليلة. (وللتسجيل، عندما رأى بيغون في صباح اليوم التالي، لم يتعرف عليه.) قال ترامب إنه يرى ثلاث نتائج محتملة: اتفاق كبير، اتفاق صغير، أو «أنسحب». رفض على الفور «الاتفاق الصغير» لأنه سيعني إضعاف العقوبات، كذلك «الاتفاق الكبير» الذي لم يكن ليحدث لأن كيم جونغ أون ظلّ غير راغب في اتخاذ قرار استراتيجي بالتخلي عن الأسلحة النووية. تكرّرت فكرة «أنسحب» مرات عدة، مما يعني أن ترامب كان على الأقل مستعدًا لها، وربما حتى يفضّلها (اترك الفتاة قبل أن تتركك). ستنهمر الانتقادات مهما فعلتُ، قال ترامب رافعًا كتفيه بلا مبالاة، فأشرتُ إلى انسحاب ريغان من المفاوضات في ريكيافيك، والدفعة المهمة التي أعطاها انسحابه للمفاوضات اللاحقة (من سخرية القدر، أن الحديث كان يتعلّق بمعاهدة الأسلحة النووية المتوسطة، التي كنا ننسحب منها). فكّر ترامب في ما سيقوله أثناء المؤتمر الصحافي الختامي («مازال واحدنا يحب الآخر، وسنستمر في المباحثات») وقال، وهو ينظر إليّ، «يجب أن تخرج وتدافع عن ذلك»..

بدا ترامب مستغرقاً بالشهادة القادمة في واشنطن، التي سيدلي بها مايكل كوهين، أحد محاميه السابقين، وهي مناسبة نادرة رأيتُ فيها مشاكله الشخصية تنزف على الأمن القومي. كنت أشعر بالارتياح لأن الإحاطات السابقة كانت لاتزال تحتل مركز الصدارة في ذهن ترامب، وأن خيار الانسحاب كان مباشرًا. قضينا بقية اليوم في اجتماعات مع قيادات فيتنام العليا، حتى عشاء ترامب مع كيم جونغ أون. في هذه الأثناء، كانت التغطية الإعلامية الصباحية في واشنطن، لا تتحدّث إلّا عن مايكل كوهين. استبعدني الكوريون الشماليون من العشاء، الذي لم يحضره سوى بومبيو ومولفاني مع ترامب، بعد اجتماع للزعيمين على انفراد. لم يعجبني ذلك، لكنني اعتبرته كلفة القيام بالعمل.

استدعاني مولفاني إلى غرفته بعد انتهاء العشاء، في الساعة التاسعة مساءً، لاستخلاص المعلومات مع بومبيو وآخرين. أراد ترامب تجنُّب الجوهر حتى صباح اليوم التالي. ولكن مع انتهاء العشاء، قال بومبيو إن كيم اقترح أن تتخلى كوريا الشمالية عن منشآتها النووية في يونغبيون، مقابل رفع جميع العقوبات التي فرضها مجلس الأمن الدولي بعد العام ٢٠١٦ [(١)]. كان ذلك حيلة «أفعال مقابل أفعال» نموذجية، تمنحهم إغاثة اقتصادية كانوا في أمس الحاجة إليها، لكن لا تعطينا إلا القليل، إذ حتى من دون يونغبيون، كان من المعروف علنًا أن كوريا الشمالية تملك العديد من المرافق

(١) - نُشر ذلك كله بشكل واف في مصادر صحافية متعددة: See, eg, Adam Taylor, "Nukes and sanctions: What actually went wrong for Trump and Kim Jong Un," March 1, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/2019/03/01/nukes-sanctions -what-actually-went-wrong-trump-kim-jong-un

الأخرى التي تستطيع من خلالها مواصلة برنامجها النووي. سألت إذا كان لدى كيم جونغ أون أوراق مخفية، لكن بومبيو لم يكن يعتقد ذلك. سألت أيضًا ما إذا كان ترامب قد أثار قضية المختطفين اليابانيين، الأمر الذي فعله، بمعنى أنه حقق التزاماته تجاه اليابان.

اعتقدت أن ذلك قد استنفد ما كان مقررًا الحديث فيه ذلك المساء، ولكن سرعان ما جاء الخبر، فقد أراد شاناهان، ودانفورد، التحدث معي ومع بومبيو بشأن أزمة متضخمة بين الهند وباكستان. بعد ساعات من المكالمات الهاتفية، مرت الأزمة، ربما لأنه لم يكن هناك أزمة من حيث الجوهر. ولكن عندما تقوم قوتان نوويتان بحشد قدراتهما العسكرية، فمن الأفضل عدم تجاهل ذلك. لم يكن أحد يهتم بذلك في ذلك الحين، لكن النقطة كانت واضحة بالنسبة إليّ: هذا ما يحدث عندما لا يأخذ الناس الانتشار النووي كالذي تقوم به إيران وكوريا الشمالية على محمل الجد.

في صباح اليوم التالي، ٢٦ شباط/فبراير، كان اليوم الكبير. وقد ظلّ ترامب ساهرًا حتى ساعة متأخر ة من الليل يشاهد كوهين وهو يدلي بشهادته، وألغى الإحاطات التحضيرية. كنت أخشى أن تنصبّ غريزته كلها في فعل شيء يطمسُ جلسات استماع كوهين في وسائل الإعلام. وهو ما كان يستطيع القيام به فقط من خلال فعل شيء دراماتيكي وغير متوقع. كان الانسحاب بالتأكيد يحقق ذلك الهدف. كذلك أيضًا، اتفاق يمكن أن يصفه بأنه نجاح كبير، حتى لو كان يحمل في طياته عيوبًا كثيرة. فالعيوب لن تُدرَك حتى وقت لاحق. ركبت أنا ومولفاني وبومبيو مع ترامب في السيارة الرئاسية، وتوجهنا إلى فندق متروبول. كان ترامب قد سمع من أحدهم أنه ينبغي لنا أن نطلب من الكوريين الشماليين التخلي عن صواريخهم الباليستية العابرة للقارات، التي باعتقادي كانت ثانوية مقارنةً بتفكيك الرؤوس الحربية النووية. فالقضاء فقط على الصواريخ العابرة للقارات لن يقلّل من المخاطر على كوريا الجنوبية واليابان وقواتنا المنتشرة فيهما ولا يحمينا من الصواريخ قصيرة المدى التي تُطلقها الغواصات قبالة سواحلنا، والتي كان الشماليون يواصلون محاولات تطويرها. كان ترامب عصبيًا ومحبطًا، وهو يتساءل أي الخيارين يشكل حدثًا أكبر، الحصول على اتفاق صغير، أم الانسحاب. كنت أعتقد أن الانسحاب كان حدثًا أكبر كثيرًا، إذا كان ذلك ما يبحث عنه. ثم تساءل ترامب عن كيفية شرح الانسحاب، وعرض بومبيو طريقةً: «لقد اجتمعت الفرق، وأحرزنا تقدمًا، ولم يكن هناك أي تجارب حتى الآن، وسنلتقي مرة أخرى على الرغم من فشل هذه القمة»، وهو ما أحبّه ترامب. لقد جعلني ذلك أسكت، ولكن طالما أن ترامب كان مرتاحًا للشرح ويريد الانسحاب، فلم أكن لأشتكي. كان يتحرك في الاتجاه الصحيح، لكنّ ورقةً مرفرفة يمكنها أن تحوّله ١٨٠ درجة. عندما وصلنا إلى فندق متروبول، لم يكن لديّ أي فكرة عن كيفية سير بقية اليوم.

في التاسعة صباحًا، عقد ترامب وكيم اجتماعًا على انفراد انفضّ بعد حوالى أربعين دقيقة. ذهبا إلى فناء داخلي، حيث انضم إليهما بومبيو وكيم جونغ تشول، لاستراحة قصيرة، كان مقرراً

أن تستمر عشر دقائق. كان كيم جونغ أون منزعجًا من الحرارة والرطوبة، لذلك دخلوا مبنىً في فناء داخلي من نوع البيوت الزجاجية، يُستخدم كمقهى، وكان مكيّفًا بلا شك. استمر النقاش، بحسب ما كنا نشاهده من نوافذ البيت الزجاجي. كان رأيي هو أن كيم لم يكن سعيدًا بشكل خاص. وقد ظلّت شقيقته في الخارج، تقف في الحرارة والرطوبة. أما الأميركيون، فلا حاجة للقول إنهم دخلوا إلى مكان قريب مكيَّف. بعد حوالى الساعة، انفضّ هذا الاجتماع، ودخل ترامب مبنى الفندق لقضاء ما وُصف بأنه استراحة لمدة ثلاثين دقيقة.

في غرف الانتظار المخصصة لنا، قام ترامب على الفور بفتح قناة فوكس نيوز لمعرفة كيف كانت عروض البرامج الليلية المتأخرة تغطي شهادة كوهين، وكذلك الأحداث في هانوي. قال بومبيو إن المناقشة التي اختُتمت للتو، شبيهة بتلك التي جرت أثناء العشاء، كانت تدور حول إغلاق كوريا الشمالية لموقع يونغبيون، مقابل تخفيف العقوبات، وهو أمر لا يؤدي إلى أي مكان. قال إن كيم جونغ أون كان «محبطًا جدًا» و«غاضبًا» لأن ترامب لم يعطه ما يريد. لم يكن هناك حديث عن الصواريخ الباليستية؛ وبقية برامج الأسلحة النووية أو الكيميائية أو البيولوجية في كوريا الشمالية؛ أو أي شيء آخر بخلاف يونغبيون. كان ترامب متعبًا وعصبيًا بشكل واضح. لقد كان جليًا أيضًا، أنه كان محبطًا لعدم وجود اتفاق مُرضٍ في متناول اليد. لقد بيّن لي ذلك أننا كنا لانزال في منطقة خطرة. مع ترامب، لم يكن أي شيء يتّخذ صفة نهائية، إلى أن يعلن عنه في مؤتمر صحافي، وفي بعض الأحيان، لا يكون نهائيًا ولو أعلن عنه. كان لايزال يبدو مرتاحًا لفكرة الانسحاب. لم يكن هناك «اتفاق كبير» يلوح في الأفق، ولم يكن يستطيع إبرام «اتفاق صغير» والدفاع عنه سياسيًا. كنت أعتقد أن غرائز ترامب بـ «التوجه نحو الحظيرة» كانت قد بدأت تفعل فعلها؛ كان يريد الانتهاء من ذلك، والعودة إلى الوطن (بالطبع، بعد المؤتمر الصحافي الكبير).

كان الاجتماع الأكبر (ترامب، بومبيو، مولفاني، وأنا، نجلس في الجانب المخصص لنا من الطاولة؛ كيم جونغ أون، كيم جونغ تشول، ووزير الخارجية ري يونغ هو، في الجانب الآخر؛ بالإضافة إلى المترجمين) مبرمجًا في الساعة الحادية عشرة صباحًا، وكنّا قد وصلنا أولًا، ثم وصل الكوريون الشماليون، وتصافحنا جميعًا. قلت لكيم جونغ أون، «سيدي الرئيس، تسرّني رؤيتك مرة أخرى». وهو ما كنت أتمنى أن يكون صحيحًا. راح الحشد الصحافي يدخل ويخرج، وسأل ترامب كيم، «هل تتسبّب لك الصحافة بأوقات عصيبة؟» قال كيم، الذي بدا مندهشاً «هذه مسألة بديهية. ليس لديّ مثل هذا العبء»، وضحك. في ما يتعلّق بحقوق الإنسان، قال ترامب بسعادة، يمكننا القول إننا تحدثنا عن حقوق الإنسان لأن الصحافة وجّهت لكيم سؤالاً. مهرجان آخر من الضحك. سأل ترامب الذي تحول الآن إلى الجدية عما توصل إليه كيم خلال فترة الاستراحة. لم يكن كيم سعيدًا لأنه سافر حتى هانوي وفي جعبته اقتراح ادّعى أنه لا يمكن مقارنته بجميع الاقتراحات التي وُضعت

على الطاولة من قِبل جميع من سبقوهما، ومع ذلك، لم يكن ترامب راضيًا. ثم استمرّ ذلك لبعض الوقت.

أثناء حديث كيم، سألني ترامب عن تعريف «نزع السلاح النووي» الذي ناقشناه في إحاطات واشنطن، وأيضًا عمّا نسمّيه صفحة «المستقبل المشرق»، وأعطيتهما له. وبدوره سلّم كلتي الصفحتين لكيم، وعرض عليه العودة به على الطائرة الرئاسية إلى كوريا الشمالية، وأن يلغي أمسيته في هانوي. ضحك كيم وقال إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، لكنّ ترامب لاحظ بسعادة أن هذه ستكون صورة لا بأس بها. سأل عمّا يمكن أن تضيفه كوريا الشمالية إلى عرضها؛ كان يعرف أن كيم لم يكن يريد إزعاجه لأنه الوحيد الذي كان في صف كيم. ردّ كيم بسهولة على الإطراء، بما أنه كان الوحيد في صف ترامب. وبلا شك من دون أي نية في التورية، ذكّرَ ترامب بأن كيم هو صاحب القرار والأمر والنهي في كوريا الشمالية. بدا كيم مستغربًا نظرة ترامب إلى الأمور بهذه الطريقة، لكنّه قال، إنه حتى الزعيم الذي يسيطر على كل شيء، فإنه مع ذلك، لا يستطيع التحرك من دون تقديم بعض التبريرات. ثم قال ترامب إنه يفهم أن كيم يريد التوصل إلى اتفاق.

مرة أخرى، شدّد كيم على مدى أهمية «تنازل» يونغبيون[1] بالنسبة إلى كوريا الشمالية، ومدى التغطية التي كانت لتحصل عليها فكرة إغلاقه في وسائل الإعلام الأميركية. ثم سأل ترامب مرة أخرى إذا كان كيم يستطيع إضافة شيء آخر إلى عرضه، كأن يطلب فقط تخفيض نسبة العقوبات بدلًا من إزالتها تمامًا[2].

كانت هذه بلا شك، أسوأ لحظة في الاجتماع. لو قال كيم جونغ أون نعم في تلك اللحظة، لتوصّلا إلى اتفاق ربما، ولكان كارثيًا بالنسبة إلى أميركا. لحسن الحظ، لم يقبَل، وقال إن ذلك يعني أنه لن يحصل على شيء، حاذفاً أي إشارة إلى رفع العقوبات.

حاول ترامب تغيير الموضوع، فسأل عن إمكانية إعادة توحيد كوريا الشمالية والجنوبية، وما

---

(١) - ذكر ارامب يونغبيون صراحة في المناقشات الصحافية اللاحقة. See, eg, Reuters, "Trump says he and North Korea's Kim discussed dismantling of Yongbyon nuclear plant," February 28, 2019, https://www.reuters.com/article/us-northkorea-usa-trump-yongbyon/trump -says-he-and-north-koreas-kim-discussed-dismantling-of-yongbyon-nuclear-plant-idUSKCN1QH0WN

(٢) - أكدت كوريا الشمالية بنفسها نسختها من العرض في مؤتمر صحافي عقد في وقت متأخر من المساء بعد القمة.

انظر على سبيل المثال: https://www.scmp.com/author/lee-jeong-ho" Lee Jeong-ho and https://www.scmp.com/author/bhavan-jaipragas" Bhavan Jaipragas, "Trump-Kim Summit 2019: North Korea stages late-night press conference to deny US president's claims about why summit ended, February 28, 2019, https://www.scmp.com/weekasia/geopolitics/article/2188052/trump-kim-summit-2019-ends-disarray-talks-break-down

هو موقف الصين من ذلك. طلب كيم، الذي بدا متعبًا من عمليات التشتيت هذه، العودة إلى جدول الأعمال.

وفي محاولة مستمرة لتحسين حزمة كيم، اقترح عليه ترامب أن يعرض إزالة صواريخه بعيدة المدى، تلك التي يمكن أن تضرب الولايات المتحدة. رأيت ذلك كرفض واضح لما قلتُه في وقت سابق بشأن مخاوف اليابان وكوريا الجنوبية من الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى، التي يمكنها أن تضربهما. ثم جاء ما لم يكن متوقعًا من ترامب: «ما رأيك، يا جون؟»

لم أكن لأفوِّت الفرصة، فقلت: «نحن بحاجة إلى إعلان مرجعي كامل عن برامج كوريا الشمالية النووية، والكيميائية، والبيولوجية، وصواريخها الباليستية (مرددًا صدى ما جاء في الورقة التي قدّمها ترامب لكيم جونغ أون)». كانت هذه خطوة تقليدية في مفاوضات مراقبة الأسلحة، وقد أدّى عدم وجود مثل هذا الإعلان إلى فشل المفاوضات السابقة.

ردّ ترامب بأن ما قلتُه للتو كان معقدًا بعض الشيء، لكنه نظر إلى كيم ليرى ردة فعله.

لم يكن كيم شاريًا، بل أصرّ قائلًا: إذا تقدّمنا خطوة بخطوة، فإن ذلك سيجلب لنا صورة شاملة في نهاية المطاف. ثم اشتكى، كما فعل في سنغافورة، من أن كوريا الشمالية ليس لديها ضمانات قانونية لحماية أمنها، وسأله ترامب عن نوع الضمانات التي يريدها الشماليون. أجاب كيم بأنه لم تكن هناك علاقات دبلوماسية، بل سبعون عامًا من العداء، وثمانية أشهر من العلاقات الشخصية، وكان واضحًا أنه لم يكن راغبًا في الرد مع ذكر تفاصيل. سأل كيم ماذا سيحدث لو دخلت سفينة حربية أميركية المياه الإقليمية لكوريا الشمالية؟ واقترح ترامب على كيم الاتصال به في هذه الحال.

بعد المزيد من الأخذ والرد، اعترف ترامب بأنهم وصلوا إلى طريق مسدود، وأنه كان من المستحيل سياسياً حله في الاجتماع الحالي.

بدا كيم الآن محبطًا بشكل واضح، لكنني كنت قلقًا. بعد أن دعّمتُ جهودي في الشرح لترامب مدى خطورة التهديد النووي الذي كانت تمثّله كوريا الشمالية، أصبح مجرّد الأمل بأن تكون سياسة تجنُّب تمرُّد شامل في الحزب الجمهوري كافيةً لإيقاف إبرام اتفاق سيئ. التفت ترامب إلى بومبيو، وطلب منه تكرار ما قاله في السيارة الرئاسية ونحن في طريقنا إلى فندق متروبول، فقدّمه بومبيو على الشكل التالي: «معرفة الحقائق هي التقدُّم الذي أحرزناه؛ لقد بات أحدنا يفهم الآخر على نحو أفضل؛ نثق بعضنا ببعض أكثر؛ لقد حقّقنا تقدُّمًا حقيقيًا في هذه القمة، ويمكننا أن نرفع رؤوسنا عاليًا». كنت سعيدًا لأنني لم أضطر إلى قول ذلك.

تحوّلنا إلى البيانات الختامية، التي أراد كيم أن تكون وثيقة واحدة مشتركة. في البداية، فضّل ترامب إصدار تصريحات منفصلة، ثم قرر أنه لن يفعل. عادت الأمور تسير في الأخذ والرد إلى أن

قال ترامب مرة أخرى إنه يريد اتفاقًا كاملًا. قال كيم بشكل قاطع إن أكثر ما يمكنه فعله، هو ما سبق واقترحه، وكان واضحًا أن ذلك لم يكن ليحدث. ثم طلب بدلاً من ذلك إصدار بيان مشترك سمّاه «بيان هانوي»، لإظهار التقدُّم الذي جرى إحرازه، مشيرًا ربما إلى أننا كنا نفكر في يونغبيون. الآن، كانت الأمور تسير مجدداً في الاتجاه الخاطئ، لكنّ ترامب كان قد أنقذني لأنني قلت إن بيانًا مشتركًا يخاطر بإظهار أننا لم نحقق أي شيء. «لست بحاجة إلى مخاطر. أنا بحاجة إلى نتائج إيجابية»، أجاب ترامب. أراد بومبيو التحدث عن تقدم: «لقد أحرزنا تقدمًا في الأشهر الثمانية الماضية، وسوف نبني على ذلك». حتى كيم لم يكن ليقبل بذلك، قائلاً إنه من الواضح أننا لم نصل إلى نقطة جيدة. تحدث ترامب بشكل قاطع وقال إنه إذا قبلنا اقتراح كيم، فسيكون التأثير السياسي في الولايات المتحدة ضخمًا، وقد نخسر الانتخابات. ردّ كيم بسرعة قائلًا إنه لا يريد أن يفعل ترامب أي شيء من شأنه أن يضرّ به سياسيًا.

واصل كيم الضغط من أجل بيان مشترك، لكنه أعرب عن أسفه لشعوره بوجود حاجز بين الزعيمين، وأحسّ باليأس. كان كيم يلعب بذكاء على مشاعر ترامب، وكنت قلقًا من احتمال نجاح ذلك. قال ترامب إنه لا ينبغي أن يشعر كيم بهذه الطريقة، ثم لحسن الحظ، ضحكنا جميعًا. شدّد كيم مرة أخرى على الأهمية التي كانت تتمتّع بها حزمة يونغبيون، فقلتُ إن كوريا الشمالية وعدت مرارًا بنزع السلاح النووي، بدءًا من الإعلان المشترك بين الشمال والجنوب للعام ١٩٩٢، لذا فقد كانوا يعرفون بالفعل، وإلى حدٍّ بعيد، ما كان مطلوبًا منهم. سأل ترامب عمّا حدث للإعلان المشترك، وشرحت له أن كلينتون قد فاوض بعد ذلك بوقت قصير على اتفاق الإطار للعام ١٩٩٤. أعرب ترامب عن أسفه لأن اقتراح كيم برفع العقوبات كان السبب في انهيار الاتفاق. ووافق كيم قائلًا إن عدم الاتفاق هو أمر مؤسف، إذ كان يعتقد أن الاتفاق سيلقى الكثير من التصفيق.

بدلاً من ذلك، خيّم داخل الغرفة صمت تام لثوانٍ عدة، واعتقدنا جميعًا أن الاجتماع قد انتهى. لكنّه لم ينته، حيث استمرّ كيم في الضغط من أجل الإشارة إلى يونغبيون التي كانت تُظهر أنه وترامب حقّقا تقدّمًا يتجاوز ما حقّقه أسلافهما. انبريت مرة أخرى، ودافعت بشدّة عن إصدار بيانين منفصلين. قلت إنهم إذا كانوا يبحثون عن نهاية إيجابية، يمكن لكل منا أن يكون إيجابيًا بطريقته الخاصة. قال كيم إنه لا يريد الإدلاء بتصريح خاص، ما جلب بضع ثوانٍ أخرى من الصمت. قال ترامب إنه يريد أن يكون كيم سعيدًا. لا توجد كلمات لوصف ذلك. أوضح ترامب أنه يريد بيانًا مشتركًا، وكُلّف كيم جونغ تشول، وبومبيو بصياغته. مع ذلك، خرج الكوريون الشماليون، تاركين الوفد الأميركي وحده في الغرفة.

بينما كنا نتجوّل، سألني ترامب «كيف يمكننا معاقبة اقتصاد بلد يبعد عنّا سبعة آلاف ميل؟» أجبت: «لأنهم يبنون أسلحة نووية وصواريخ يمكنها أن تقتل أميركيين».

«إنها حجة جيدة»، قال موافقًا. ثم مشينا إلى حيث كان يقف بومبيو، فقال ترامب، «لقد سألت جون للتو لماذا كنا نعاقب بلدًا تفصلنا عنه سبعة آلاف ميل، وأعطاني إجابة جيدة للغاية: لأنه يمكنهم أن يفجروا العالم».

قال بومبيو: «نعم يا سيدي». يوم آخر في المكتب. عاد ترامب إلى غرفته، وأفضى لي بومبيو بأن هذا الاجتماع الأكبر، كان من حيث الجوهر، إعادةً للاجتماع السابق الأصغر، حيث سعى كيم بلا كلل لصفقة يونغبيون، على أمل إضعاف ترامب وثنيه.

في غرفة الانتظار، وجدنا ترامب متعبًا، لكنه عبّر عن بصيرة صحيحة بأن «الانسحاب» في هانوي قد أوضح للعالم قدرة ترامب على القيام بذلك في مكان آخر، مثل المفاوضات التجارية الصينية. أبعد من ذلك، لم يكن لديه شهية لأي شيء آخر، حتى الغداء، الذي جرى إلغاؤه، كذلك حفل التوقيع المشترك الذي كان مبدئيًا مسجّلًا في جدول الأعمال. طلب ترامب مني ومن بومبيو الحضور إلى جانبه على المنصة في المؤتمر الصحافي، لكنني أوضحت له أنني كنت مضطرًا إلى الذهاب إلى المطار، والوصول في وقت الإقلاع المخصص لي بغية تجنُّب توقُّف طويل لطاقم العمل في ألاسكا، وقد بدا غير متحمسٍ لذلك. بعد بضع دقائق، قال لي بومبيو، «يا لكَ من محظوظ». غادرت فندق متروبول إلى المطار حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر، وعلمت بعد الإقلاع أن المفاوضات مع الشماليين بشأن بيان مشترك قد انهارت (لم يكن ذلك مستغرَبًا). طلب ترامب من ساندرز إصدار بيان باسم البيت الأبيض وحسب. تحدث بومبيو وبيغون للصحافة، محاولَين إعطاء صورة إيجابية عن القمة كما لو كانت نجاحًا، بحيث يمكن لبيغون أن يواصل مفاوضاته. في الواقع، كان يتبع النهج الفاشل للإدارات الثلاث السابقة نفسه، والمحكوم عليه بأن يؤدي إلى النتيجة الفاشلة نفسها.

على متن الطائرة باتجاه واشنطن، خلُصت إلى أن هانوي أظهرت للولايات المتحدة أنها مازالت لا تعرف كيف تتعامل مع كوريا الشمالية ومثيلاتها. فقد أمضينا ساعات لا نهاية لها من التفاوض مع أنفسنا، مضعِفين أنفسنا قبل أن يتمكّن خصومنا من التوصل إلى ذلك حتى، وهو فن راقٍ أتقنته وزارة الخارجية. كان الكوريون الشماليون وغيرهم خبراء في الاستفادة الكاملة من أولئك الذين كانوا يريدون الحصول على اتفاق، أي اتفاق، كدليل على االنجاح. كنّا الهدف المثالي. كانت السخرية الحقيقية هنا، هي مقدار الشبه بين ترامب والسلك الخارجي. لقد كان خطأً رئيسيًا إطلاعُ الصحافة باستمرار على مدى نجاح مستوى عمل المفاوضات، فقد أدّى ذلك إلى رفع توقعات وسائل الإعلام بعقد اتفاق، والمبالغة في الآثار المترتبة على عدم التوصل إلى اتفاق. ولعلّ الأهم من ذلك، هو أننا من خلال عملية الإحاطة قبل قمة هانوي، قد ساعدنا ترامب على الاستنتاج بأن الانسحاب لم يكن فشلاً، وبالتالي فقد عرقلنا مسار التفاوض غير الصحي، الذي كان بيغون يسير فيه. ولكن كما هو الحال مع كل نجاح في الحكومة، فقد كان انتصارًا مؤقتًا، وكنت أعرف أنه لن يدوم طويلًا.

إن اندفاع البيروقراطية العنيد من أجل استمرار «العملية» سيشتعل حتمًا من جديد، مثل اعتقاد ترامب الخالد بأن الجميع كان يريد التحدث معه، وأن الجميع كان «يموت من أجل اتفاق».

بعد هانوي، علمنا من مصادر صحافية كورية جنوبية، كجريدة تشوسون إيلبو اليومية، أن كيم جونغ تشول، كابد حكمًا بالأشغال الشاقة، ثم أعيد تأهيله في ما بعد؛ وأن كيم هيوك تشول، نظير بيغون، أعدم، مع آخرين عديدين؛ وأن شقيقة كيم جونغ أون، امتنعت عن الظهور علناً لفترة تكفيرًا عن الذنب؛ وأن شين هيي يونغ، مترجمة كيم الشخصية سجنت، في معسكر للمعتقلين السياسيين لأنها ارتكبت خطأً في الترجمة. على الأقل، أفضل من تقرير سابق عن أنها أعدمت لأنها فشلت في إيقاف ترامب من مقاطعة ترجمتها لكلمات كيم جونغ أون المشرقة[1]. كان من الصعب التحقق من أي من هذا، لكنّ الجميع كان يعرف أن الزعيم الكوري الشمالي كان قادرًا تمامًا على إصدار مثل هذه العقوبات. في ممارسة أخرى للصحافة المسؤولة من جانب صحيفة واشنطن بوست، غرّد أحد مراسليها على تويتر: «يبدو أن دبلوماسية [ترامب] المضطربة، بما في ذلك تبنّيه لمواقف بولتون المتطرفة في هانوي، قد تسبّبت بمقتل بعض الأشخاص[2]».

كانت ردود الفعل على قمة هانوي شبه مفاجئة بشكل موحد، إن لم تكن صاعقة وغير قابلة للتصديق. فقد اتصلت كل من كوندي رايس، وستيف هادلي ليعبّرا عن دعمهما لانسحاب ترامب، وقالت لي رايس إنها روت لبنس واحدة من نوادر بوش الإبن المفضلة لدي. كان بوش يشبّه كيم جونغ إيل بطفل يجلس على كرسي عال، ويرمي باستمرار طعامه على الأرض، والولايات المتحدة وغيرها يقومون دوماً بالتقاطه ووضعه على الصينية مجددًا. لم تتغير الأمور كثيرًا. لم يكن الشيوعيون ليتعلّموا حتى يبقى الطعام على الأرض، هذا إذا تعلموا. بعد ذلك بأيام قليلة، تحدثت مع الكوري الجنوبي تشونغ إيوي يونغ، الذي قال شيئًا مثيرًا للاهتمام. قال إنهم فوجئوا بمجيء كيم جونغ أون إلى هانوي باستراتيجية واحدة من دون خطة «ب». عكسَ تشونغ أيضًا فكرةَ مون جاي إن المنفصلة عن الواقع، أي أنه بينما كنا على حق في رفض صيغة كوريا الشمالية «أفعال مقابل أفعال»، كان استعداد كيم لتفكيك موقع يونغبيون (لم يتم تحديد ذلك بشكل واضح) خطوةً أولى ذات مغزى كبير، تظهر أن الشماليين قد دخلوا مرحلة لا رجعة فيها من مراحل نزع السلاح النووي. كانت هذه الحجة محض هراء، كما كان تأييد مون لـ «النهج الموازي والمتزامن» للصين، وهو ما بدا لي شبيهًا

(١) - See Hyonhee Shin and Joyce Lee, Reuters, "North Korea executes envoy to failed U.S. summit – media; White House monitoring," May 30, 2019, https://www.reuters.com/article/us-northkorea-usapurge/north-korea-executes-envoy-to-failed-u-s-summit-media-white-house -monitoring-idUSKCN1T02PD

(٢) - "Jackson Diehl@JacksonDiehl, "Looks like @realDonaldTrump's erratic diplomacy, including adopting maximalist Bolton position in Hanoi, got some people killed."

بصيغة «أفعال مقابل أفعال». كان تشونغ أول من توقع، بناءً على تغطية القمة في صحيفة رودونغ سينمون الكورية الشمالية (المتاحة لـ «الناس العاديين»، كما وصفها تشونغ)، أن «بعض المسؤولين [سيتم استبدالهم]»، والذي اتضح أنه أضعف كثيرًا من الحقيقة. إن ارتكاب خطأ في سياسة كوريا الشمالية الخارجية يمكن أن يكون قاتلًا، ليس لحياتك المهنية فقط، بل لك أنت نفسك.

إن المفاجأة التي شعر بها الكثير من الناس، وخاصة المعلقين الأميركيين، كانت نابعة من الجهود التي بذلتها وزارة الخارجية بلا هوادة قبل هانوي لتنذر بأننا قد نقبل بالفعل نسخة ما من صيغة «أفعال مقابل أفعال». خطب، ومقابلات هادئة مع الصحافيين والخبراء، وندوات في مراكز الدراسات والبحوث، كلها بشّرت بأننا كنا على وشك الوصول إلى «ذلك المستقبل السعيد والمزدهر» حيث كان ليتدفق من واشنطن التنازل بعد الآخر. هذا ما كان لسنوات يفهمه مفاوضو وزارة الخارجية على أنه «فن الصفقة». والأشخاص الذين لم يكن لديهم حقًا خطة «ب» بعد هانوي، هم علية القوم من الأميركيين، الذين لم يكونوا يرغبون في أي شيء أكثر من العودة إلى اتفاق الإطار الذي توصلت إليه إدارة كلينتون، أو محادثات إدارة بوش السداسية، أو استراتيجية «الصبر الاستراتيجي» لإدارة أوباما. وقد اتضح، في الطريق إلى بانمونجوم، أنهم كانوا يتمتعون بصبر أكبر من الذي كنت أقرّ لهم به.

مع مرور الوقت، كان الشمال ينتقل من حالة الشعور بالمفاجأة، إلى حالة الشعور بالغضب. في ١٥ آذار/مارس، اتّهمَتنا نائبة وزير خارجية كوريا الشمالية المفضلة لدينا، السيدة تشوي سون هوي، بومبيو وأنا بخلق «جو من العداء وعدم الثقة» في هانوي من خلال «مطالبنا المتصلّبة[1]». كان ينبغي لي إصدار بيان لشكرها. على النقيض من ذلك، قالت إن العلاقة بين ترامب وكيم «لاتزال جيدة، والكيمياء بينهما رائعة على نحو غامض». بالفعل. ثم جاء التهديد. فقد صرّحتْ تشوي بأن كيم جونغ أون قد يقرر قريبًا ما إذا كان سيستأنف تجارب الصواريخ النووية الباليستية، التي أحدثت قلقًا هائلًا لدى حكومة كوريا الجنوبية. تحدثتُ مع تشونغ في اليوم نفسه، وقال إن تصريح تشوي قد فاجأهم. ومع ذلك، كانوا يأملون في أن تكون ملاحظاتها مجرد تكرار لما قالته في هانوي أثناء مؤتمر صحافي عقدته في وقت متأخر من الليل بعد انسحاب ترامب. شاهدنا مون يواصل الضغط بقوة من أجل عقد قمة أخرى بينه وبين كيم، تركّز فقط على القضايا النووية، ربما لأنه رأى أن سياسته بخصوص العلاقة بين الكوريتين قد تأثرت.

كان لديّ شعور بأن ترامب قد بدأ يشعر بالقلق من أن موقفه كان متشدداً كثيراً في هانوي، وقد تجلّى ذلك بطرق عدة. بدأ يقول مجدّدًا، «ينبغي ألّا ننفق عشرة سنتات على المناورات الحربية»، في إشارة منه إلى تدريباتنا مع كوريا الجنوبية. في المقابل، لم يلِن أبداً في دعم حملة «الضغوط

(١) - See Choe Sang-Hun, "North Korea Threatens to Scuttle Talks with the U.S.and Resume Tests," March15,2019, https://www.nytimes.com/2019/03/15/world/asia/north-korea-kim-jong-un-nuclear.html

القصوى» الاقتصادية ضد كوريا الشمالية. عقدتُ اجتماعاً للجنة الرؤساء في ٢١ آذار/مارس لتقييم ما إذا كانت الحملة «قصوى» بقدر ما يمكنها، والتفكير في كيفية تشديدها. كانت القضية الرئيسية للنقاش، هي ما إذا كان ينبغي للولايات المتحدة أن تفعل المزيد لمنع نقل الفحم الذي تصدّره كوريا الشمالية، والنفط الذي تستورده، من سفينة إلى سفينة في عرض البحر. من الواضح، أن الشماليين كانوا يأملون في التهرب من المراقبة، عبر عمليات النقل من سفينة إلى أخرى، وقد أردت أن أعرف ما إذا كانت هناك خطوات لا تشمل استعمال القوة، تجعل من الصعب القيام بهذه التبادلات. لم يكن هناك نقاش حول عقوبات إضافية ضد كوريا الشمالية، فقط كيفية تطبيقٍ أفضل لتلك الموجودة بالفعل.

في اليوم التالي، وكان يوم جمعة، كنا في «مارآلاغو» لحضور اجتماع لترامب مع قادة خمس دول من جزر الكاريبي (جزر البهاماس، هايتي، جمهورية الدومينيكان، جامايكا، وسانت لوسيا) وهو لقاء آخر كنت قد حثثته مرات عدة على القيام به، على الرغم من اعتراضاته، لكنه قدّمه في وقت لاحق كفكرته الشخصية.

سحبني ترامب وعدداً قليل من الآخرين إلى «المكتبة» (في الحقيقة بار) خارج صالة الردهة، وقال إنه يريد التراجع عن إجراءات إنفاذ الخزانة الأخيرة ضد شركتين صينيتين لانتهاكهما عقوبات كوريا الشمالية. كنا قد وافقنا على هذه القرارات - ووقعنا عليها، أنا، وبومبيو، ومنوشين - فقد كانت تدابير إنفاذ بموجب العقوبات الحالية، وليست عقوبات «جديدة» تعرّض أو توسّع ما هو موجود بالفعل. بعد سنغافورة، استعرضنا صراحة هذا التمايز مع ترامب. ووافق على أن الإنفاذ الصارم للعقوبات القائمة سيستمر، وعملاً بهذا التفاهم، فقد قمنا خلال أكثر من تسعة أشهر منذ سنغافورة بمعاقبة عدد كبير من الشركات والأفراد لخرقهم العقوبات.

أمّا لماذا أراد ترامب التراجع عن إجراءات الإنفاذ الأخيرة هذه، فالعلم عند الله وحده، سوى أنه كان يشعر بألم كيم جونغ أون. أملى ترامب تغريدة لا يمكن قراءتها إلا كإبطال لإعلان وزارة الخزانة الأخير. حاججت بقدر ما استطعت كيلا يفعل، وقد وافقني مولفاني في ذلك. لم يكن لذلك أي تأثير. قال ترامب إن النقطة الرئيسية هي أن التغريدة كانت موجهة «لجمهور من شخص واحد» كان يحاول عقد اتفاق معه. «لن تؤثر في أي شيء آخر غير ذلك»، قال، متجاهلًا جهودي التي من الواضح أنها ضاعت سدى في الشرح الذي يقول إن الكثير من الأشخاص سيرى هذه التغريدة أيضًا، وسيفسرها حتمًا كإضعاف للعقوبات، وتبرّؤ علنيّ من مستشاريه الشخصيين، خصوصًا منوشين. لكنّ ترامب لم يكترث بمنتهى البساطة. لقد أراد توجيه رسالة إلى كيم جونغ أون، تمامًا كما أراد إرسال رسالة إلى تشي جينبينغ، عندما تراجع عن العقوبات التي فرضها روس على شركة زدتي إي الصينية للاتصالات، وذلك بعد أن جرى الإعلان عنها على الملأ. سألت ساندرز عما يجب أن تقوله

عن السبب الذي جعل ترامب يطلق هذه التغريدة، فأجاب: «أنا أحب كيم جونغ أون، وهذه العقوبات ليست ضرورية». وخرجتُ التغريدة.

بعد أن انتهينا من مناقشة التحديات الإقليمية المشتركة مع قادة منطقة البحر الكاريبي، وتوجهنا إلى المطار، رأينا في وسائل الإعلام تقارير تفيد بأن تغريدة ترامب المتعلقة بكوريا الشمالية لم تشر إلى ما كانت الخزانة قد أعلنت عنه يوم الخميس، وإنما إلى عقوبات أخرى مستقبلية غير محددة، ولم تكن بعد علنية. اتصل بي بومبيو من الشرق الأوسط، قليلاً بعد السادسة مساءً بتوقيت الساحل الشرقي، وحاولت شرح ما كان يحدث، لكنه كان لايزال محيِّرًا. ومع ذلك، فقد شعرنا بخيبة أمل شديدة بسبب ما فعلته تغريدة ترامب. وذلك اليوم، ٢٢ آذار/مارس، كان يوافق الذكرى الأولى للعرض الذي قدّمه لي ترامب بتولّي منصب مستشار الأمن القومي، سوى أنه قد بدا وكأنه حدث قبل عشر سنوات.

في صباح يوم السبت، حوالى الساعة السابعة والنصف، اتصلتُ بمولفاني، الذي ظلّ في «مارآلاغو». كان منوشين قد اتصل به بعد ظهر الجمعة للتحدث مع ترامب، بهدف إبلاغه أن إلغاء عقوبات الخزانة الجديدة سيكون محرجًا له. قام مولفاني بتمرير المكالمة إلى ترامب، وقدّم له منوشين نفس التحليل الذي قدّمتُه. وافق ترامب، بعد ساعات فقط من اختلافه تحديدًا مع النقاط نفسها، وهي الإبقاء على القرارات في موضعها. عند سماعي ذلك، سألت مولفاني إن كان التحليل الذي قدّمتُه في هذا الشأن، اليوم الفائت، لم يكن واضحًا. «لقد كنتَ واضحًا جدًا بهذا الشأن»، قال مولفاني، «ولكن في بعض الأحيان، يحتاج الأمر إلى محاولتين أو ثلاث ليمرّ». وبما يتعلق بالعقوبات «المستقبلية»، قال مولفاني إن الأمر يتعلق فقط بـ «الطريقة الخرقاء لشرح الأشياء التي تتبعها الخزانة». قررنا نحن الإثنان التشاور مع منوشين عبر مؤتمر هاتفي. قال منوشين إنه كان يحاول حماية ترامب من الإحراج بالقول إننا لن نفرض عقوبات إضافية، على الرغم من أنه وافق على أن بقية العالم قد تستنتج أننا نتراجع عن «الضغوط القصوى». ومع ذلك، اتفقنا جميعًا على أن تصحيح التصحيح (مرادفنا الجديد لـ «التراجع») سيزيد الأمور سوءًا.

على الرغم من أنني لم أكن أساسًا أحب حكاية التغطية هذه من قبل منوشين، وبينما كان النهار يمر بطيئًا، لم أستطع التفكير في أي شيء أفضل. نحن، أو بدقة أكبر ترامب، ربما بدا مرتبكًا، لكننا لم نبدُ ضعفاء جداً. تحدثت لاحقًا مع بومبيو، ووافق أيضًا على أننا يجب ألّا نفعل شيئًا. في أي إدارة أخرى، كانت هذه القضية لتشكّل قصة رئيسية، لكنها بالنسبة إلينا مرّت دون أن يلاحظها أحد. كان الإفراج عن تقرير مولر الذي أنهى قضية «تواطؤ روسيا»، يسيطر على التغطية الإخبارية. يوم الإثنين، كنت أنا وبومبيو في المكتب البيضاوي مع ترامب، وكان منوشين على الهاتف، أكدنا من جديد ما قررناه بعد سنغافورة، أي أن إجراءات التنفيذ ستستمر، لكننا لن نفرض عقوبات إضافية

على كوريا الشمالية دون موافقة ترامب. لو أن ترامب أصغى ببساطة يوم الجمعة، لكان من الممكن تجنّب كل هذه الدراما.

كانت المشكلة التي عكّرت صفو العلاقات مع كوريا الجنوبية (واليابان، وإلى حد أقل، الحلفاء الأوروبيين)، هي السؤال عن الحصة التي ينبغي أن يدفعها البلد المضيف لتغطية تكاليف القواعد العسكرية الأميركية. عمليًا، كان لدينا قواعد في كل مكان، وكان البلد المضيف يدفع بعض تكاليفها، لكنّ المبالغ والصيغ كانت متباينة، ولم يكن هناك اتفاق حقيقي على ماهية التكاليف الفعلية. في إطار تقنيات المحاسبة المبتكرة لوزارة الدفاع، يمكن تقريبًا تبرير أي «تكلفة»، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة. كما هو الحال مع قضايا التمويل العسكري الأخرى، كان ترامب يعتقد أن حلفاءنا لا يدفعون بما فيه الكفاية. هذا يتناسب مع نظريته التي لم تهتز بعد مناقشات لا حصر لها. فعلى سبيل المثال، كنا في كوريا الجنوبية للدفاع عنها وفق رؤية ترامب. لم نكن هناك من أجل «الدفاع الجماعي» أو «الأمن المتبادل» أو أي من تلك الأمور الدولية المعقدة. كنا ندافع عن ألمانيا، أو ندافع عن اليابان، أو ندافع عن إستونيا، أو أي كان. ويجب أن يدفعوا الثمن. علاوة على ذلك، كما يخبرك أي رجل أعمال جيد، يجب أن نحقق ربحًا من الدفاع عن جميع هذه البلدان، التي ليس للولايات المتحدة فيها مصلحة خاصة («لماذا نتواجد في جميع هذه البلدان؟» يسأل ترامب)، أو على الأقل ينبغي أن نضع استراتيجية مساومة أفضل، بدءًا من افتتاح المفاوضات في كل مرة يتم فيها تجديد اتفاقيات دعم البلد المضيف.

لطالما كانت لدى ترامب فكرة ثابتة تفيد بأن على الدول المضيفة أن تدفع «التكلفة بالإضافة إلى نسبة مئوية» من التكاليف الأميركية، كما قال في نيسان/أبريل، ٢٠١٨، وهو يضغط من أجل أن تحلّ القوات العربية محلّنا في سوريا (أنظر الفصل الثاني). وبمرور الوقت، اقتنع بأن «التكلفة زائد ٥٠ في المئة» تبدو قاسية للغاية، لذلك أطلق على ما كان يطلبه أسماء أخرى متنوعة، مثل «الحصة العادلة» أو «السداد الكامل والعادل لتكاليفنا[1]». ولكن مهلًا، لا تخطئوا الفهم، إذ مع ذلك، ظل المبلغ الفعلي لما يريده من الدولارات، أو على الأقل يريد بدء المفاوضات به، «التكلفة بالإضافة إلى ٥٠ في المئة». في حال كوريا الجنوبية، بموجب اتفاقية التدابير الخاصة، كان هذا المبلغ يصل إلى ٥ مليارات دولار سنويًا، وهي زيادة هائلة مقارنة بأقل من مليار دولار سنويًا تدفعها سيول. كانت الاتفاقية الحالية على وشك الانتهاء في ٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨، مما تسبّب بقلق كبير في كل من وزارة الخارجية والبنتاغون. لم يكونوا راغبين في تحميل الدول المضيفة كلفتنا، كما لو كنا

(١) See, e.g., Hiroyuki Akita, "Trump demands Japan and South Korea Pay for nuclear umbrella," February 4, 2020, https://asia.nikkei.com/Spotlight/Comment/Trump-demands-Japan-and-South-Korea-pay-for-nuclear-umbrella

مرتزقة، ولأنهم كانوا يعرفون أيضًا، أنه سيكون من الصعب الحصول على مثل هذه الزيادات الكبيرة. تصادف أن تكون كوريا الجنوبية أولى هذه البلدان بسبب تاريخ انتهاء الاتفاقية، تليها اليابان، ولكن في نهاية المطاف، كان على جميع هذه البلدان أن تواجه هذه المسألة.

ولأنني كنت أخشى من أن تهديد ترامب النهائي - سحب قواتنا من أي بلد لا يدفع المبلغ الذي يراه كافياً - كان حقيقيًا في حال كوريا الجنوبية، حاولت تطوير استراتيجية مختلفة عن مجرد رفض القيام بما كان يريده ترامب. كانت هذه مقاربة ماتيس، التي عملتْ بشكل جيد إلى أن انفجر ترامب، وفعل ما أراد فعله على أي حال. بالنسبة إلى وزارتي الخارجية والدفاع، كان سحب القوات الأميركية من كوريا الجنوبية أمرًا لا يمكن تصوُّره، لذا فإن معارضتهما المستمرة لزيادة مدفوعات الدولة المضيفة بشكل كبير، لم تفعل سوى زيادة المخاطر. لسوء الحظ، كنت أعرف أين حدود حافة الهاوية. في العام ٢٠١٨، بعد مفاوضات غير حاسمة جرت في نهاية السنة، مع ضغط تاريخ استحقاق التجديد، ٣١ كانون الأول/ديسمبر، وافقت كوريا الجنوبية على زيادة في تكاليفها أعلى كثيرًا من المستويات الحالية، لكنها لاتزال أقل من مليار دولار سنويًا. وكان ذلك يعني أن أمامنا الآن عاماً آخر للحصول على قرار يقبل به كل من ترامب وكوريا الجنوبية، على أمل تجنُّب انسحاب القوات الأميركية. هكذا سارت الأمور لعدة أشهر من العام ٢٠١٩.

من الواضح أن مون جاي إن كان لايزال قلقًا بشأن انهيار قمة هانوي، فجاء إلى واشنطن في ١١ نيسان/أبريل. التقيت أنا وبومبيو بمون أولاً في بلير هاوس في تمام الساعة التاسعة صباحاً، وحضر معه كل من وزير خارجيته، كيونغ واها، وتشونغ إيوي يونغ. بعد المجاملات المعتادة، علمنا أن الجنوب لم تكن لديه اتصالات جوهرية مع كوريا الشمالية منذ قمة هانوي؛ كان الشمال بحاجة إلى مزيد من الوقت للتعافي من نتائج هانوي. كان مون قلقًا للغاية، فابتعاد بيونغ يانغ عن كل من القضايا النووية والقضايا المشتركة بين الكوريتين، كان بالنسبة إليه خبرًا سيئًا على الصعيد السياسي، إذ كان خطابه يعد بأن سياسة «الشمس المشرقة» ستؤدي إلى نتائج ملموسة من طرف الشمال، وكان من الواضح أنها لم تكن تفعل. حاولت أن أقول أقل قدر ممكن في هذا الاجتماع. وفي اجتماع مون-ترامب، لأنني كنت أعرف على وجه التحديد أن حكومة مون كانت تبحث عن آخرين لتجعل منهم كبش فداء، وضمن الفريق الأميركي، كنتُ أنا الشخص المنطقي لكي يستهدفوني باعتباري معرقلاً. ولمَ لا؟ نظرًا لنجاح استراتيجية نظيره كيم جونغ أون المماثلة مع ترامب.

وصل مون إلى البيت الأبيض ظهرًا. وكالمعتاد، بعد مؤتمر صحافي مرتجل في المكتب البيضاوي، بقيت أنا وبومبيو مع ترامب للاجتماع في مكان أصغر مع مون، وكانغ، وتشونغ. قال ترامب إنه حصل على الكثير من التقدير للطريقة التي ظهرت بها قمة هانوي، بما أن الانسحاب كان أفضل من عقد

اتفاق سيئ. كان مون يعتقد بأن ذلك جيد، لكنه أراد شيئًا مثيرًا يولّد زخمًا لما كان يعتقد أنه يمكن أن يكون قمة القرن. حثّ على اتباع نهج دراماتيكي بشأن التوقيت، والمكان، والشكل، الذي يمكن أن يؤدي بدوره إلى نتائج دراماتيكية، واقترح الاجتماع إما في بانمونجوم أو على متن سفينة بحرية أميركية. قطع ترامب المونولوج، وكان ذلك موفقًا، إذ بدا وكأنه يغرق في النوم، مؤكّدًا أنه يقدّر أفكار مون، لكنه شدّد على أنه يرغب في أن تؤدي القمة المقبلة إلى اتفاق فعلي. الاجتماع لمرة واحدة دون عقد اتفاق ليس مشكلةً، ولكن لا أحد يريد أن ينسحب مرتين. ومع ذلك، كان مون لايزال قلقًا بشأن الشكل وليس الجوهر، ولكن ما كان في صدارة أولوياته هو التأكيد على أنه كان متاحًا ومستعدًّا للانضمام إلى كيم وترامب. لم يكن ترامب متحمسًا لذلك، وأصرّ على أنه يجب التوصّل إلى اتفاق لنزع أسلحة كوريا الشمالية النووية قبل عقد قمة أخرى.

علّقنا الاجتماع وذهبنا إلى غرفة الحكومة لتناول غداء عمل، وبعد استعراض التطورات في كوريا الشمالية، والقيام بجولة صغيرة على التجارة الثنائية، أثار ترامب تكاليف قواعدنا في كوريا الجنوبية. أوضح أن القواعد تكلفنا ٥ مليارات دولار سنويًا[(١)]، وأضاف أن الولايات المتحدة تخسر ٤ مليارات دولار سنويًا لكي تحصل كوريا الجنوبية على امتياز بيعنا أجهزة التلفزيون التي تصنّعها. لقد عرضت دول أخرى أن تدفع أكثر كثيرًا، وفي المرحلة التالية من المفاوضات، ينبغي أن تكون كوريا الجنوبية أكثر انفتاحًا. عبّر ترامب لمون عن شعوره بمدى حرصه عليه وحمايته، وأنه يحظى لديه باحترام كبير. حاول مون الرد مشيرًا إلى أن العديد من الشركات الكورية الجنوبية تستثمر في الولايات المتحدة، واحتج على أنه في ما يتعلق بتكاليف القواعد، كانت توقعات ترامب مرتفعة للغاية. سأل ترامب إن كانت الولايات المتحدة تستأجر الأرض التي تقوم عليها قواعدها، أم أنها مجانية، وهو ما لم يرد عليه مون. وبدلاً من ذلك، رد بالقول إن كوريا الجنوبية أنفقت ٢٫٤ في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي على الدفاع، الأمر الذي دفع ترامب إلى انتقاد ألمانيا بسبب نفقاتها الدفاعية غير الكافية. ثم عاد إلى كوريا الجنوبية التي تم تحريرها من الاضطرار للدفاع عن نفسها، وبالتالي، فقد منحها ذلك الحرية في البناء. على النقيض من ذلك، أنفقت الولايات المتحدة ٥ تريليون دولار مقابل امتياز الدفاع عن الجنوب، لأنهم كانوا أصعب المفاوضين على الإطلاق. كان ترامب يريد التوصل إلى صيغة عادلة بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

بعد المزيد من المناقشات حول كوريا الشمالية، سأل ترامب عن كيفية سير العلاقات مع اليابان. لقد رأينا جميعًا الصعوبات المتزايدة بين طوكيو وسيول، والتي ستسوء بسرعة في الأشهر

(١) See, e.g., Joyce Lee, Sangmi Cha, and Hyonhee Shin, Reuters, "US breaks off defense cost talks, as South Korea balks at $5 billion demand," November 18, 2019, https://www.reuters.com/article/us-southkorea-usa-talks/us-breaks-off-defense-cost-talks-as-south-korea-balks-at-5-billion-demand-idUSKBN1XT0EN

القليلة المقبلة. كان مون يحاول قلب معاهدة ١٩٦٥ بين البلدين. تهدف تلك المعاهدة، بالتأكيد من وجهة نظر اليابان، إلى وضع حد للعداوات التي خلقها الحكم الاستعماري الياباني لكوريا من العام ١٩٠٥ إلى العام ١٩٤٥، وخاصة المصاعب التي عانى منها الكوريون أثناء الحرب العالمية الثانية، وقضية «نساء الراحة» المعروفة.

قال مون إنه لا ينبغي أن يتداخل التاريخ مع مستقبل العلاقات، ولكن من وقت إلى آخر، كانت اليابان تجعل منه مشكلة. بالطبع، لم تكن اليابان هي التي تثير قضية التاريخ، لكن مون، كان يفعل لأغراضه الخاصة. كان رأيي أنه، على غرار القادة السياسيين الكوريين الجنوبيين الآخرين، كان مون يحاول جعل اليابان مشكلة عندما يشهد بلده أوقاتًا عصيبة.

سأل ترامب إن كانت كوريا الجنوبية قادرة على القتال إلى جانب اليابان كحليفين على الرغم من عدم رغبتها في إجراء تدريبات مع اليابان. أجاب مون بصراحة أن طوكيو وسيول يمكنهما إجراء تدريبات عسكرية مشتركة، لكنّ وجود قوات يابانية في كوريا سيذكّر الناس بالتاريخ. ألحّ ترامب ثانيةً، متسائلاً عما سيحدث إذا اضطررنا إلى محاربة كوريا الشمالية، وما إذا كانت كوريا الجنوبية ستقبل بالمشاركة اليابانية. من الواضح أن مون لم يرغب في الإجابة، قائلاً إننا يجب ألا نقلق بشأن هذه القضية، وأن كوريا الجنوبية واليابان ستقاتلان ككتلة واحدة، طالما لم تكن قوات الدفاع الذاتي اليابانية متواجدة على أراضي كوريا الجنوبية.

ختم مون بالقول إنه عند عودته إلى سيول، سيقترح على الشماليين قمة ثالثة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بين ١٢ حزيران/يونيو، و٢٧ تموز/يوليو. قال ترامب إن أي موعد سيكون جيدًا، ولكن فقط إذا كان هناك اتفاق مسبق. استمر مون في المحاولة، موضحًا، كما نعلم جميعًا، أنه في ما يتعلق بالقضايا النووية، لم يكن لدى دبلوماسيي كوريا الشمالية من مستوى العاملين أي سلطة تقديرية، وبالتالي أراد إجراء مناقشات على مستوى أعلى. رد ترامب ببساطة أن بومبيو وأنا سنعمل على ذلك.

وصل رئيس الوزراء آبي إلى واشنطن في ٢٦ نيسان/أبريل، وعرض تقريبًا نقيض نظرة مون. أخبر ترامب آبي بأنه تلقى تعليقات جيدة لانسحابه من قمة هانوي، الذي احترمه الناس. وافق آبي على أن النتيجة كانت إيجابية للغاية، وأن ترامب كان الشخص الوحيد الذي يمكنه أن ينسحب. وشدّد مرارًا على أنه كان من المهم الحفاظ على العقوبات (وهو ما كان يكرهه كيم)، وعدم تقديم تنازلات سهلة. كما شدّد آبي على أن الوقت كان في صالحنا، ووافق ترامب على ذلك.

للأسف، واصلت كوريا الشمالية تجاربها على الصواريخ، ليس العابرة للقارات، التي كان كيم قد وعد ترامب بعدم اختبارها، ولكن قصيرة ومتوسطة المدى التي كانت تهدد كثيرًا كوريا الجنوبية

واليابان. جرى إطلاق بعضها على شكل صليات، في ظروف تقارب ظروف الحرب، وقد سمعت بالإطلاق الأول مساء الجمعة، ٣ أيار/مايو (صباح السبت بتوقيت كوريا). اتصلت على الفور ببومبيو وشاناهان بعد أن علمت بالإطلاق الأول لأنبّههما.

بعد ذلك بوقت قصير، تم الإبلاغ عن المزيد من عمليات الإطلاق. بعد التحدث مع دانفورد، قررت الاتصال بترامب لإخباره بما نعرفه. كانت الصواريخ قصيرة المدى، لذلك لم يكن هناك تهديد فوري، لكنك لا تعرف أبدًا ما الذي يمكن أن يحدث مع الكوريين الشماليين.

بعد ذلك بقليل، اتصلت بترامب مرة أخرى، بعد المزيد من عمليات الإطلاق، للقول إنه يبدو أن الأمور قد انتهت الليلة. قال بصوت مهتاج إلى حد ما، «حافظ على هدوئك، هدىء من روعك، هدىء من روعك»، فمن البديهي أن الناس القلقين قد يفكرون في أن صديقه كيم جونغ أون كان شخصًا خطيرًا بعض الشيء. ثم، واستناداً إلى التصريحات العلنية الصادرة عن وزارة الدفاع الكورية الجنوبية، كانت تُنشر مقالات صحافية في كوريا الجنوبية، التي كانت أكثر قلقًا من غيرها بشأن الصواريخ قصيرة المدى. وبما أن وزارة الخارجية كانت لتقوم حتمًا بصياغة شيء ما يعبّر عن ردة فعلنا، فقد خلصتُ، للتأكد فقط، إلى أنني بحاجة إلى بحث الأمر مع ترامب أولاً. اتصلت به للمرة الثالثة والأخيرة تلك الليلة بعد ساعة تقريبًا، وكما توقعت، لم يكن يريد إصدار أي بيان على الإطلاق. ختم بعبارة «حسنًا يا رجل»، وهي إحدى طرقه المعتادة للقول إنه كان مرتاحًا بشأن كيفية اختتامنا لقضية معينة. بيان أم لا، فإن تجارب الصواريخ الباليستية هذه، أيا كانت مدياتها، تنتهك قرارات مجلس الأمن التي تشكل أساس عقوبات مجلس الأمن الدولي ضد كوريا الشمالية. لا يتعلق الأمر بكوني كنت معنيًا بأن قرارات المجلس غير قابلة للانتهاك لكنني كنت قلقًا براغماتياً، لأننا إذا نحّينا جانبًا الانتهاكات الواضحة على أنها غير جوهرية، فستتعلم الدول الأخرى الدرس الخاطئ وتبدأ في وصف الانتهاكات الجسيمة للعقوبات بأنها غير مهمة. كان ذلك أكثر من مجرد مخاطرة صغيرة.

ولتأكيد مخاوفي، عندما نقلت لترامب أحدث المعلومات في صباح اليوم التالي، قال «سمِّها مدفعية»، كما لو أن تسميتها كذلك ستجعلها كأنها لم تكن. غرد أيضًا قائلاً، «يعرف «[كيم جونغ أون] أنني معه ولا يريد كسر وعده لي. الاتفاق سيُبرم!» من الواضح أن ترامب يعتقد بأن هذه التغريدات تساعده مع كيم، لكنني كنت قلقًا من أن تعزّز التصوُّر بأنه كان مستميتاً للحصول على اتفاق وأن مستشاريه المدمِّرين (احزروا من) هم الذين كانوا يقفون حجر عثرة. لقد تخلينا جميعًا عن أي محاولة لوقف التغريدات. كل ما كان يمكننا فعله هو العيش معها. ومن المثير للاهتمام، أن حكومة كوريا الجنوبية باتت الآن تسمّي

الصواريخ «مقذوفات» للتقليل من خطورة القصة[١]. كل هذا بسبب وجود نظام في بيونغ يانغ كان يستجدي العالم من أجل الغذاء لشعب يُفترض أنه يتضوّر جوعًا، ولكن كان لايزال لديهم ما يكفي من الفائض للانخراط في تطوير الصواريخ والأسلحة النووية.

ثمة آخرون لم يكونوا مستكينين. اتصل آبي يوم الاثنين، ٦ أيار/مايو، ليقول إن كيم كان يزداد غضبًا من آثار العقوبات على كوريا الشمالية، لأنها كانت تعمل بشكل فعال، وأن عمليات الإطلاق الجديدة، كانت تهدف إلى قلب الموقف لصالحه من خلال تقويض الوحدة الدولية بشأن العقوبات. قال آبي إنه سيدعم تمامًا سياسة ترامب الممتازة الهادفة إلى عقد اتفاق، والحفاظ على العقوبات وتبنّي موقف عسكري متين، وهو الموقف الذي لايزال يتبنّاه علنًا. لقد فهمت ما كان آبي يحاول القيام به، لكنني تساءلت إن لم يكن القول لترامب باستمرار إن استراتيجيته رائعة يقلّل في الواقع من قدرة آبي على إبقاء قطار ترامب على السكة. في الواقع، اقترح ترامب أن يقوم آبي بإصدار بيان يؤكد فيه أن اليابان والولايات المتحدة متحالفتان تمامًا بحيث ترى كوريا الشمالية بشكل لا لبس فيه أن اليابان معنا. ثم اختتم بالالتزام بإبقاء آبي على علم بأي تطور، ولكن لا داعي للقلق، لأن عمليات الإطلاق كانت قصيرة المدى وليست صواريخ حقًا. إذا قال ذلك باستمرار، فربما يصبح ذلك حقيقةً.

في اليوم التالي، اتصل مون بترامب للتحدث بشأن عمليات الإطلاق التي نُفّذت خلال عطلة نهاية الأسبوع. كان مون، ولا غرابة في ذلك، حريصًا على التقليل من أهمية القضية، وهو ما كان ترامب قد أقنع نفسه به فعلاً.

بينما كان مون يعرّج على استياء كيم جونغ أون من المناورات العسكرية المشتركة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية، لاحظ ترامب أن مون بدا وكأنه قد فقد علاقته بكيم، الذي ألغى سفره الذي كان متوقعاً من قبل إلى كوريا الجنوبية. لم ير ترامب هذا الانهيار كخطأ ارتكبه مون، ولكن من الواضح أن شيئًا ما قد حدث. أقرّ مون بأن ما بقي من مناقشات جوهرية مع كوريا الشمالية منذ هانوي، كان قليلًا إن لم يكن معدومًا. على نحو ما، فقد تمكّن مون من تحويل ذلك إلى حجة توجب على الولايات المتحدة تقديم مساعدات غذائية مباشرة إلى الشمال، بدلاً من مجرّد السماح للجنوب بتقديمها عن طريق اليونيسف وبرنامج الغذاء العالمي[٢]. أجاب ترامب بالقول إنه سيفاجئ

(١) See Simon Denyer and Moon Joo Kim, "Kim personally supervised 'guided weapons' test, North Korea says," May 4, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/north-korea-fires-several-short-range-projectiles-south-korean-militarysays/2019/05/03/511efe92-6e0f-11e9-be3a-33217240a539-story.html

(٢) See Dagyum Ji, "South Korea to push ahead with delivery of $8 million in aid to North: MOU," May 17, 2019, https://www.nknews.org/2019/05/south-korea-to-push-ahead-with-delivery-of-8-million-in-aid-to-north-mou/

مون بإعطاء مباركته الكاملة للإفراج عن المعونات من خلال وكالات الأمم المتحدة، وطلب من مون إعلام كوريا الشمالية بأنه اقترح عليه ذلك. قال ترامب إنه كان يفعل ذلك على الرغم من المتشددين الذين يعارضون الخطوة، لأنه كان على علاقة جيدة بكيم، ولأن التوقيت كان جيدًا.

هذا الكلام عن أن الإفراج عن المساعدات يتسق مع الموقف الأميركي ليس مقنعاً كثيراً. كانت كوريا الشمالية تستطيع أن تستنتج: «مقابل إطلاقنا للصواريخ، نحصل على غذاء مجاني». كانت إشارة رهيبة، تُظهر مرة أخرى كم كان ترامب تواقاً لعقد اتفاق. شدّدتُ على بوتينغر وهوكر بأن يوضحا لكوريا الجنوبية أننا لن نقدّم أي غذاء بأنفسنا. كنّا فقط لا نعترض على موارد تزويده، ولكن أيضًا، الإصرار على أن المعونات الغذائية الموزعة في الشمال تتطلّب مراقبة دقيقة للغاية. ثم تلى ذلك إطلاق المزيد من الصواريخ خلال فصليّ الربيع والصيف، مما دلّ على ثقة كيم بأنه لن يكون هناك انتقام[1]. بل ربما المزيد من الأرُزّ. قال لي ترامب بتاريخ ٩ أيار/مايو، بعد الصلية التالية، «افرضوا عليهم عقوبات شديدة»، ثم صعد موقفه إلى «عقوبات شاملة»، ولكن دون أن نقول أي شيء علنًا. لقد جعلنا دوارة دليل اتجاه الرياح تبدو وكأنها صخرة جبل طارق.

في أواخر شهر أيار/مايو، سافر ترامب إلى اليابان، وكان أول رئيس دولة يزور اليابان في فترة ريوا (تعني «الانسجام الجميل»)، وهو الاسم الذي اختاره الإمبراطور ناروهيتو لحكمه، والتي تبدأ رسميًا في الأول من أيار/مايو، اليوم الذي تلى تنازل والده، الإمبراطور أكيهيتو عن العرش. كان ذلك تكريمًا لا يصدّق لترامب، وكان آبي يبعث برسالة واضحة تبيّن على نحو جليّ أولويّة التحالفات اليابانية. ذهبت مبكرًا، قبل بضعة أيام من أجل الاستعدادات النهائية للمناقشات المقرر إجراؤها، في اللقاء مع آبي، الذي شرح أهدافه مع ترامب. إن ما اعتقدت أنه سيكون مؤتمرًا صحافيًا هادئًا يوم السبت، ٢٥ أيار/مايو، قد تركني مع ذلك، في وضع محرج. سأل مراسل صحافيّ إذا كانت عمليات إطلاق الصواريخ الأخيرة التي نفذتها كوريا الشمالية تُعدُّ انتهاكًا لقرارات مجلس الأمن، وكنت أعرفُ جيدًا أنها انتهاك صريح، بما أنني كنتُ قد ساعدتُ في كتابة القرارين الأولين، القرار ١٦٩٥ والقرار ١٧١٨، عندما كنت سفير بلادي لدى الأمم المتحدة. لم أكن لأتجاهل ما كنت قد ضغطت من أجله بقوة في ذلك الحين. وعلى سبيل المنطق إن لم يكن على سبيل المفهوم، كان من الممكن تمامًا لعمليات الإطلاق أن تنتهك القرارات من دون أن تنتهك تعهُّد كيم لترامب، الذي يتعلق فقط بالصواريخ الباليستية العابرة للقارات. كان صحيحًا بنفس القدر أنّ ترامب بدا أحمق لعدم فهمه أنّ كيم باعه جسر بروكلين بهذا التعهد، لكننا لم نتمكن أبدًا من زعزعة يقين ترامب بأنه

(١) See David E. Sanger, William J. Broad, Choe Sang-Hun, and Eileen Sullivan, "New North Korea Concerns Flare, as Trump's Signature Diplomacy Wilts," May 9, 2019, https://www.nytimes.com/2019/05/09/world/asia/north-korea -missile.html

سجل ضربةً لصالحه ﴿ الحصول على هذا التعهُّد. بعد وقت قصير من هبوط طائرة الرئاسة ﴿ اليابان، غرّد ترامب: «أطلقت كوريا الشمالية نيران بعض الأسلحة الصغيرة، وهو ما أزعج بعض معاونيّ، وآخرين، لكن ليس أنا. كلّي ثقة بأن الرئيس كيم سيفي بوعده لي، وابتسم أيضًا عندما وصف «رجل المستنقع» (شخصية ابتكرها الفيلسوف الأميركي دونالد دافيدسون لاختبار الذكاء) جو بايدن بأنه شخص قليل الذكاء وأسوأ. لعلّ ذلك يرسل لي إشارة؟» كنت أتوقع بالفعل إن هذه الرحلة ستكون مسلّية.

يوم الإثنين، ٢٧ أيار/مايو، حضر الوفد الأميركي الزائر عرضًا عسكريًا لحرس الشرف مع الإمبراطور على أرض القصر الإمبراطوري ﴿ وسط طوكيو، وكان ذلك مبهرًا. استعرض ترامب حرس الشرف، لكن الإمبراطور لم يفعل، ما شككت ﴿ أنه كان مقصودًا لإظهار القطيعة مع التاريخ الياباني قبل الحرب العالمية الثانية. بعد لقاء خاص بين ترامب والسيدة الأولى والزوجين الإمبراطوريين، سافرنا بالموكب إلى قصر أكاساكا. القصر مبنى ضخم، بدا وكأنه قد نُقل من فرساي إلى طوكيو، وكان قد شُيِّد بعد الحرب العالمية الأولى على الطراز المعماري الفرنسي. قال لنا العديد من اليابانيين إن القصر الآن لا يحظى بأي شعبية، إذ من منا لا يكره قصرًا فرنسيًا ضخمًا ﴿ وسط طوكيو؟

حاولت أن أحوّل تركيز ترامب إلى التجارب الصاروخية لكوريا الشمالية. بينما، لم يكن هو ربما يراها مهمة إلى هذا الحد، فإن اليابانيين الذين كانوا يعيشون أقرب كثيرًا من حدود كوريا الشمالية، كانت لهم وجهة نظر مغايرة. قال: «لا أمانع ﴿ وجود أشخاص لا يتفقون معي»، وهو ما لم أكن أفكر فيه حقًا. قبل أن أتمكن من المحاولة مرة أخرى، أدخلونا غرفة كبيرة مزخرفة للاجتماع الأول، مع الزعيمين فقط، وأنا وياشي، والمترجمين. بدأ آبي بشكر ترامب للقائه ﴿ وقت لاحق مع عائلات المواطنين اليابانيين الذين اختطفتهم كوريا الشمالية على مر السنين. كانت كوريا الشمالية تنكر مرارًا عمليات الخطف لكن الدليل الذي يثبت عكس ذلك كان طاغياً [(١)]. آبي نفسه، ﴿ وقت مبكر من حياته السياسية المهنية، جعل من الدفاع عن أسر الرهائن المخطوفين قضية شخصية، لذلك فقد قدّر شخصياً لفتة ترامب. (﴿ وقت لاحق، كان أعضاء الأسر الذين التقيت بهم ﴿ واشنطن مرات عدة، واضحين ﴿ كلماتهم مع ترامب. قال أحدهم «لقد كذبت عليك كوريا الشمالية وحاولت خداعك»، وأضاف آخر، «كوريا الشمالية دولة إرهابية منذ ثلاثة أجيال». كان ترامب يجيب بحرارة قائلًا لأحد الأقارب، بشأن محاولاته لتحرير أحدأفراد أسرته، «لا تتوقف أبدًا. لا تتوقف أبدًا». ولأم مختطفة أخرى قال: «سترينها

(١) See Steven Borowiec, Asia Society, "The Sad but True Story of North Korea's Abduction Project," https://asiasociety.org/korea/sad-true-story-north-koreas-abduction-project

ثانيةً». في تصريحاتهما المشتركة للصحافة بعد الاجتماع، الذي كان بمثابة دفعة كبيرة لآبي، قال ترامب، «سنعمل معًا لإعادة المختطفين إلى ديارهم»).

بعد مناقشات إضافية مع آبي، دارت في معظمها حول الصين، عندما كنا في غرف استراحة الأميركيين، سأل ترامب لماذا لم يحضر الاجتماع الممثل التجاري الأميركي، بوب لايتهايزر. شرحتُ لترامب جدولة الموضوعات المختلفة، التي كان يتجاهلها. قال ترامب: «كان ينبغي أن يسمع لايتهايزر ذلك الخطاب [في موضوع الصين]»، ثم نظر إليّ، وأضاف: «عندما تكتب كتابك، افعل ذلك بشكل صحيح». ضحكت وقلت سأفعل، وحتى ترامب ضحك من تلك الفكرة. ها أنا قد نفّذت الطلب.

في الساعة الثالثة بعد الظهر، عقد آبي وترامب مؤتمرًا صحافيًا مشتركًا، حيث قال ترامب مرة أخرى إنه غير قلق من عمليات إطلاق الصواريخ التي نفذتها كوريا الشمالية، وآبي قال علانية، وترامب يقف بجانبه، إنه يعتقد بأنهم انتهكوا قرارات مجلس الأمن. أحبّت الصحافة الانقسام، ولكن الأهم، هو أن ذلك قد بيّن لكوريا الشمالية على الرغم من الجهود الجارية طوال اليوم لإظهار التضامن في التحالف بين الولايات المتحدة واليابان، أنّه كان من الواضح أن آبي وترامب كانا مختلفين في وجهات النظر حول كوريا الشمالية.

في حزيران/يونيو، عاد ترامب لحضور اجتماع مجموعة العشرين في أوساكا والتقى بآبي في الثامنة والنصف صباحًا يوم الجمعة الثامن والعشرين. في تصوُّري، كانت علاقة ترامب بآبي، هي أفضل علاقة شخصية تربطه بأحد قادة العالم (رفيقان في الغولف)، مع ذلك، عندما أصبح بوريس جونسون رئيسًا للوزراء في المملكة المتحدة، فقد أصبحت النتيجة تعادلًا. كان ترامب يحب الإشارة إلى أن والد آبي كان طيارًا كاميكازيًا (انتحارياً) في الحرب العالمية الثانية، وذلك لإظهار مدى بأس اليابانيين بشكل عام، ومدى بأس آبي بشكل خاص. وفق إحدى الروايات، وصف ترامب والد آبي بأنه شعر بالإحباط لأنه لم يقدر على تنفيذ مهمته المبتغاة من أجل الإمبراطور، وقد بدا أنه لم يدرك قط أنه لو نجح والد آبي ككاميكازي، لما كان هناك شينزو آبي الذي ولد عام ١٩٥٤. مجرد تفاصيل تاريخية.

مرة أخرى، شكر آبي ترامب بحرارة على لقائه بأسر المختطفين خلال زيارته الرسمية. قال آبي إن كوريا الشمالية كانت تريد اتفاقًا على وجه السرعة، مما يعني أشياء مختلفة للزعيمين. بالنسبة إلى آبي، كان ذلك يعني أنه يجب على كوريا الشمالية أن تبدأ إجراءات ملموسة تجاه نزع السلاح النووي، وليس هناك حاجة لتخفيف العقوبات. مع ذلك، قال ترامب إن كيم كان يكتب له مباشرة رسائل جميلة ويهديه بطاقات معايدة، وإن الزعيم الكوري الشمالي كان يريد أن يفعل شيئًا ما لأن العقوبات على بلده كانت مؤلمة جدًا. سأل ترامب عما إذا كانت اليابان قد فرضت نفس العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة، وروى مرة أخرى أنه عندما التقى بآبي ومون للمرة الأولى، سألهما إذا كانا يفرضان أيضًا

عقوبات على كوريا الشمالية. ردّا بأنهما لا يفعلان لأن العقوبات كانت باهظة الثمن. (سألت الكوريين الجنوبيين واليابانيين على حد سواء إذا كانوا قد سمعوا بهذه المحادثة، لكنّ أحدًا لم يسمعها، وكلهم يقولون إن اليابان وكوريا الجنوبية تطبقان بالطبع جميع عقوبات الأمم المتحدة. كان ترامب مقتنعًا بشدة بالقصة ولم يكن هناك فائدة تُرجى من سؤاله). على أي حال، شدّد ترامب على أن العقوبات تكلّف المال، ولكن لو أننا لم نضعها، لدفعنا في وقت لاحق. كان يعتقد أن كوريا الشمالية كانت ترسل إشارات على أنها قد ترغب في إغلاق أكثر من موقع نووي من مواقعها، كما عرضت في هانوي، وأنها كانت تريد اجتماعًا آخر. ثم ضحك من أنهم كانوا يكرهون بولتون وبنس وبومبيو، لكنهم كانوا يحبونه هو. ضحك آبي واليابانيون من باب الواجب، وربما مع شعور بعدم الارتياح في الغالب. قال ترامب إنه لا يبالي لأنه لم تكن هناك تجارب صاروخية أو نووية.

عقد ترامب اجتماعات ثنائية أخرى في اليوم نفسه، وهو أمر معتاد حول هذه الشؤون. وفي نقاش موجز مع ميركل الألمانية تطرّق إلى كوريا الشمالية وزيارته لكوريا الجنوبية بعد قمة العشرين. اشتكى ترامب من أن الولايات المتحدة تنشر جنودًا في كل مكان. لكنها لا تحصل على أي شيء بالمقابل. واقترح أنه قد يقابل كيم جونغ أون، الذي كانت علاقته به لا مثيل لها، في المنطقة المنزوعة السلاح، لأن كيم يريد أن يفعل شيئًا لكنه لا يعرف كيف يبدأ. أعتقد أن تلك كانت أول إشارة تدلّ على رغبة ترامب في مقابلة كيم في المنطقة المنزوعة السلاح، وهو الأمر الذي لم يكن قد سمع به من قبل أي عضو من الأعضاء الذين كانوا في الوفد الأميركي.

نحن أيضًا سمعنا عن ذلك صباح يوم السبت، فيما كنا ننتظر لتقديم إحاطة إلى ترامب تحضيرًا لليوم الجاري. أراني مولفاني تغريدة على هاتفه الخلوي، وسألني إذا كنت على علم بها، لكنني لم أكن كذلك:

> بعد بعض الاجتماعات المهمة للغاية، بما في ذلك اجتماعي مع الرئيس الصيني تشي، سأغادر اليابان إلى كوريا الجنوبية (مع الرئيس مون). بينما أنا هناك، إذا رأى رئيس كوريا الشمالية هذه التغريدة، فسألتقي به عند الحدود/ المنطقة المنزوعة السلاح لمجرد السلام عليه ومصافحته (؟)!

بدا مولفاني مشدوهًا كما كنت تمامًا، إذ كنت أعتقد أن التغريدة كانت عديمة الجدوى. في وقت مبكر من بعد الظهر، في وسط الدوامة المعتادة من الثنائيات، سحبنا مولفاني، أنا وبومبيو جانبًا ليقول إن الكوريين الشماليين قالوا إن التغريدة لا تشكل الدعوة الرسمية، التي يريدونها، والتي كان يُعدُّها. ثم تركنا مولفاني لأمر آخر، فقال لي بومبيو على انفراد، «بالنسبة إليّ لا يمثل هذا الموضوع أي قيمة مضافة. هذه فوضى كاملة»، وكان ذلك صحيحًا لكلينا. لكن الشيء التالي

الذي عرفته، هو أن ترامب وقّع على رسالة الدعوة «الرسمية» التي طلبها الكوريون الشماليون. وقد استسلم بومبيو مرة أخرى.

كان يتعامل أيضًا مع محاولات مون للدخول في ما بدا من المرجح بشكل متزايد أن يكون اجتماعًا بين كيم وترامب. لم يكن ترامب يرغب بوجود مون في أي مكان حوله، لكن مون كان مصممًا على الحضور، ليجعل منه اجتماعًا ثلاثيًا إذا استطاع. لقد استمتعت بالأمل الضعيف في أن يُفسد هذا النزاع مع مون الأمر برمته، إذ كان من المؤكد أن كيم لم يكن راغبًا في حضور مون.

كانت لدينا طائرات مختلفة، لذا فقد سافرنا من أوساكا إلى سيول بشكل منفصل، مما يعني أنني لم أستطع حضور حفل عشاء أقامه مون. عندما وصلت إلى فندقنا في سيول، رأيت أن الاستعدادات للمنطقة منزوعة السلاح قد بدت أكثر فأكثر وكأنها أمر مقضيّ. بالنسبة إليّ، كان يجب أن يقتصر أي اجتماع فعلي بين ترامب وكيم على مصافحة وصورة، على الرغم من أنه لم يكن لدي شك في أن ترامب كان بالفعل متلهفًا لإمكانية ما سيجلبه الغد. كان من المستحيل أن ينتهي اللقاء بسرعة. لم أكن بعد قد اتخذت أي قرار بشأن الذهاب إلى المنطقة منزوعة السلاح، والسفر لاحقًا إلى منغوليا في رحلة مقررة منذ وقت طويل، أو فقط الذهاب مباشرة إلى عاصمة منغوليا أولان باتور. لم أخطط أصلًا للانضمام إلى ترامب في زيارته للمنطقة منزوعة السلاح، (التي أعيدت جدولتها لأن سوء الأحوال الجوية حال دون الزيارة في رحلة ترامب الأولى إلى كوريا الجنوبية).

شعرت بالغثيان لأن تغريدة طائشة يمكنها أن تؤدي فعلًا إلى اجتماع، على الرغم من أنني كنت أعزي نفسي بالاعتقاد أن دافع ترامب الوحيد كان التغطية الصحافية والصورة لهذا اللقاء في المنطقة منزوعة السلاح، الذي يعدّ سابقة، وليس أي شيء جوهري. أراد ترامب أن تعقد إحدى القمم السابقة في المنطقة منزوعة السلاح، لكن هذه الفكرة كانت قد أُجهضت لأنها تعطي كيم جونغ أون مزية صاحب الأرض (حيث كان علينا أن نقطع نصف المسافة حول العالم)، ولأننا لم نكن نعرف بعد كيفية التأكد من أنه كان مجرد اجتماع ثنائي بين ترامب وكيم. الآن كان ذلك على وشك الحدوث. حصلت كوريا الشمالية على ما تريده من الولايات المتحدة، وحصل ترامب على ما يريده شخصيًا. لقد أظهر ذلك عدم التماثل في رؤية ترامب للشؤون الخارجية. لم يستطع معرفة الفرق بين مصالحه الشخصية ومصالح بلاده.

استيقظت يوم السبت، ٣٠ حزيران/يونيو لأفاجأ بإدراج بومبيو على قائمة حضور اجتماع المنطقة منزوعة السلاح. أرسلت له بريدًا إلكترونيًا لأسأله إن كان قد قرّر الذهاب. فأجاب: «أشعر أنه ينبغي أن أكون هناك». لم أكن أعتقد أن أي شخص ينبغي أن يكون هناك، لكني استنتجت أنه إذا ذهب، فسأذهب أيضًا. بعد تناول الإفطار مع رجال أعمال كوريين جنوبيين وأميركيين في

الفندق، سافرنا بالسيارة إلى تشونغ وا داي («البيت الأزرق») في كوريا الجنوبية، لعقد اجتماعات مع مون وفريقه. علمت في الطريق أن كوريا الشمالية لم تكن تريد اجتماعاً ثنائيًا كبيرًا بعد التقاط الصورة وتفضّل بدلاً من ذلك عقد اجتماع يضم الزعيم زائداً واحداً يستغرق حوالى أربعين دقيقة. بعد ذلك بوقت قصير، قيل لي إنهم يخططون لجعل وزير الخارجية ري يونغ هو «الزائد واحد»، ممّا يعني أن بومبيو سيكون «الزائد واحد» من جانبنا. وبالتالي، بما أنني لن أكون في الاجتماع الأساسي مع كيم جونغ أون، غادرت إلى أولان باتور بكل بساطة، للوصول في ساعة معقولة. لم أكن أرغب في الوقوف في المنطقة منزوعة السلاح بينما يلتقي ترامب وكيم، ولم يكن لدي أي ثقة بأن أي نصيحة قد أسديها لترامب مسبقًا قد يؤخذ بها. أعلمتُ مولفاني بنيتي في المغادرة، وقال إن الأمر متروك لي.

في غضون ذلك، في البيت الأزرق، وفي اجتماع ثنائي محدود للغاية، استفسر مون عن خطة المنطقة منزوعة السلاح. قال ترامب إننا لم نكن نعرف ماهية الخطة. على عكس الواقع، قال ترامب إن كيم طلب مقابلته، لكنه اقترح أن يذهب هو ومون إلى المنطقة منزوعة السلاح ليلتقوا معًا بحيث يرضي ذلك مون. هذا يتناقض بالطبع مع ما كان ترامب يقوله لنا، لذا تدخّل بومبيو مقاطعًا لوصف أحدث الترتيبات مع الكوريين الشماليين، بما في ذلك شكل اجتماع ترامب-كيم. رداً على سؤالٍ طرحه ترامب، دعَمتُ سردية بومبيو. قال ترامب إننا سنكتشف ذلك قريبًا، فربما نلتقي، وربما لا. قال مون إن القضية الرئيسية لترامب كانت التوصل إلى عقد الاجتماع. ومع ذلك، عندما يدخل كيم أراضي كوريا الجنوبية، لن يبدو الأمر جيدًا إن لم يكن مون موجودًا، مقترحاً أن يستقبل كيم ثم يسلمه لترامب ويغادر. تدخّل بومبيو مرة أخرى شارحًا أننا قدمنا رؤية مون ليلة أمس، ورفضها الكوريون الشماليون. قال ترامب إنه يفضل أن يكون مون موجودًا، لكنه لا يستطيع سوى التماشي مع طلب كوريا الشمالية (سردية عجيبة تمامًا). ألحّ مون، مشيراً إلى أنه كانت هناك عدة حالات سابقة زار فيها بعض الرؤساء المنطقة منزوعة السلاح، ولكن هذه هي المرة الأولى التي سيكون فيها الرئيسان الكوري الجنوبي والأميركي هناك. قال ترامب إنه لا يرغب في تفويت هذه الفرصة الكبيرة، لأنه كان لديه بطبيعة الحال بعض الأشياء ليقولها لكيم. وكان بإمكانه فقط التماشي مع ما قالته الشرطة السرية، بما أنها كانت تتولّى مهمة ترتيبات الرحلة (وهم آخر).

غيّر مون الموضوع، قائلاً إن المفاوضات على المستوى العملي مع كوريا الشمالية كانت دائمًا بالغة الصعوبة، ولكن باتّباع نهج صبور، كانت النتائج ممكنة. من حيث لا أدري، رد ترامب قائلاً، إنه قد يطلب أن تُعقد القمة المقبلة بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بعد الانتخابات الأميركية. عند هذه النقطة، انتقل ترامب إلى توني أورناتو، رئيس جهاز شرطته السرية، خِلتُ أنه سيسأل عن اجتماع المنطقة منزوعة السلاح، لكنّه بدلًا من ذلك، سأل عن سبب عدم حضور جاريد وإيفانكا

الاجتماع (هناك سبب وجيه لعدم حضورهما على الإطلاق) وطلب من أورناتو، جلبَهما إلى قاعة الاجتماع (لم يكن له داعٍ على الإطلاق). حتى الكوريون الجنوبيون كانوا محرَجين. ثم تابع ترامب قائلاً إنه يعتقد بأنه يفهم على الأقل، إلى حد ما كيفيّة تفكير كيم جونغ أون، وإنه يعرف أن كيم يريد رؤيته. اقترح ترامب، أنه ربما كان في وسع مون أن يدعه يذهب من سيول إلى المنطقة منزوعة السلاح، ثم يستطيعان الاجتماع ثانية في قاعدة أوسان الجوية خلال مراسم لقاء وتحية الجنود الأميركيين. لم يكن في حسابات مون شيء من ذلك، وأصرّ على أنه من الأفضل أن يرافق ترامب إلى أوب ويليت (مركز مراقبة يقع في المنطقة منزوعة السلاح، وسمّي على اسم جندي أميركي قُتل في الحرب الكورية)، ثم يمكنهما أن يقررا ما ينبغي فعله تاليًا. قال ترامب إن أي شيء يريده مون يوافقه تمامًا، ويمكنهما الذهاب إلى أوب ويليت معًا. جوابًا على سؤال آخر طرحه ترامب، أكّدتُ له أن الخطة كانت كذلك.

ثم تحوّل ترامب بشكل غير متوقع إلى تكاليف القواعد العسكرية، قائلًا إني وبومبيو قد سبق وطرحنا المشكلة مع مون. كان ترامب يحب كوريا الجنوبية، لكنّ الولايات المتحدة كانت تخسر ٢٠ مليار دولار سنويًا في التجارة معها. أراد بعض الأشخاص وضع تعرفات جمركية على كوريا الجنوبية بحيث بدلاً من أن تخسر ٣٨ مليار دولار (تميل هذه الأرقام إلى الزيادة أو النقصان)، تربح الولايات المتحدة ٣٠ مليار دولار، لكن ترامب قاوم بسبب علاقته بمون. في العام السابق، كان قد طلب مني أن أحسب مبلغ تكاليف القواعد، والعمل مع كوريا الجنوبية للتوصل إلى حصة عادلة ومنصفة، وكان هذا المبلغ ٥ مليارات دولار في السنة، أو ٥ ٥ مليار دولار (المزيد من الأرقام التي تزيد أو تنقص). ثم قال ترامب، إنه في جميع الحالات الأخرى المماثلة، وافقت الدول على دفع المزيد لتغطية تكاليف القواعد الأميركية (وهذا ليس صحيحًا، على الأقل ليس بعد)، مشيرًا إلى أنه في نهاية العام ٢٠١٨، وافقت كوريا الجنوبية على دفع أقل من مليار دولار فقط وتأجيل الحساب لمدة عام. الآن علينا أن نتوصل إلى حصة عادلة ومنصفة للولايات المتحدة، حيث كنا نخسر ٤ مليارات دولار سنويًا للدفاع عن كوريا الجنوبية ضد خطر كوريا الشمالية. كان الشمال يطوّر أسلحة نووية، وسيكون لذلك عواقب وخيمة إذا لم تكن الولايات المتحدة موجودة في شبه الجزيرة. ثم طلب من مون تكليف أحد للتعامل مع بومبيو أو معي لكي نتمكن من إنجاز الأمر، مشددًا على مدى عدائية جار كوريا الجنوبية في بيونغ يانغ. ثم قال ترامب إن الأميركيين كانوا يثيرون هذه المشكلة، وقد انتُخب على أساس حلّها.

ربما ناسيًا أن ترامب كان قد أثار رقم الخمسة مليارات دولار في البيت الأبيض في شهر نيسان/أبريل، قال مون بشأن القضايا الاقتصادية والتجارة إن الفائض قد انخفض منذ تنصيب ترامب، وإن كوريا الجنوبية كانت أكبر مستورد للغاز الطبيعي المسال من أميركا، وإن الاستثمارات الكورية في الولايات المتحدة قد زادت، وإن الميزان التجاري الثنائي كان الآن أكثر ملاءمة للولايات المتحدة.

ومع ذلك، فإن الجنوب سينخرط في مشاورات مع الولايات المتحدة، مشيرًا إلى دفع مبلغ المليار دولار الذي ذكره ترامب، والأراضي المجانية وأبنية المرافق المختلفة. وكذلك شراء الأسلحة، وكل هذه الأمور تمثّل مساهمات كبيرة في دفاعنا المشترك. عندئذ، كان ترامب يشعر بالإحباط بشكل واضح، ملوّحًا لمون بالإسراع وموزّعًا نظرات غاضبة علينا وعلى الكوريين الجنوبيين الآخرين. المزيد من الإحراج. قال ترامب إنه لا ينبغي أن تدفع الولايات المتحدة ضرائب عقارية مقابل الأرض التي تستعملها لحماية الجنوب بما أننا لا نملك الأرض، وربما نغادر عندما يسود السلام. قال ترامب إن عليه التزامًا بذلك. لا نريد تحقيق أرباح، بل مجرد تعويض من دولة ثرية جدًا لحمايتها من جارتها الشمالية.

كان ترامب الآن يلوّح بيديه، ويرفع كتفيه متجاهلاً، ويتنهد، متعبًا من الاستماع، ومن الواضح أنه كان حريصًا على الانتقال إلى أمر آخر، ولكن من الواضح أن مون لم يكن كذلك. تابع بإلحاح قائلًا إن كوريا الجنوبية كانت تنفق ٢،٤ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي على ميزانيتها الدفاعية، وهو أعلى مستوى لجميع حلفاء الولايات المتحدة. ووافق ترامب على ذلك، قائلاً إن ألمانيا واليابان كانتا في نفس القارب الذي كانت فيه كوريا الجنوبية، وإنهما لم تكونا تحت التهديد. كان ترامب يريد ٥ مليارات دولار، وطلب مني قيادة المفاوضات. كانت الولايات المتحدة جيش كوريا الجنوبية لمدة سبعين سنة، وهو الآن، كان ذاهبًا لرؤية كيم جونغ أون لكي نتمكن من إنقاذ الجنوب. قاوم مون، وبينما كان يعترف بالحجم الهائل للمساعدة الأميركية، فإنه أقام الحجة بأنه ليس من الصحيح أن سيول كانت فقط تتلقى المساعدة. فقد أرسلت كوريا الجنوبية قوات إلى فيتنام وأفغانستان، على سبيل المثال. لكن ترامب كان قد انتهى من النقاش، وطلب مني أن أتصل بشخص ما وأبدأ التعامل.

خلال الغداء، وبعد خروج الصحافة، كرر ترامب رغبة كيم الشديدة في اللقاء. سأل ترامب الجانب الأميركي مرة أخرى عن الترتيبات الخاصة بمون، متسائلًا بشكل مخادع في رأيي، لماذا لا يريد كيم تمثيلًا لكوريا الجنوبية. أجاب مون أنه لم تكن هناك محادثات ذات مغزى بين الكوريتين بسبب فظاظة كوريا الشمالية، المبنية على أساس تصوُّرها بأن وقوف الجنوب في صف الولايات المتحدة، يضعها في موقع سيئ. قال ترامب إنه سيشدد في اجتماعه الثنائي على المساعدة التي يقدمها الجنوب، وسيخبر مون بكل ما حدث بينه وبين كيم. كان ترامب سعيدًا لأن العالم كان مجنونًا بالاجتماع، وأنه طغى على قمة العشرين (في رأيه). وافق كيم على عبور الحدود وأراد إجراء مفاوضات على مستوى العمل بعد ذلك مباشرة، لذلك أراد ترامب مغادرة الغداء مبكرًا. كان ذلك كله محض هراء. لم يكن هناك شك في هوية الشخص الذي كان يحرص بشدة على عقد الاجتماع، وكان ذلك الشخص، هو الذي يتحدث، أي ترامب.

كرر ترامب أن النقاش حول تكاليف القواعد العسكرية كان مهمًا جدًا، وأنه كان يكلّفني بذلك،

سائلًا عن الشخص الذي كنت أتعامل معه من قبل، ومقترحًا أن أجد شخصًا آخر. لم يكن ذلك ليُشعِر تشونغ بسعادة كبيرة. ثم توقف وراح يسخر من التلاعب بالعملة الصينية. حاول مون إعادة النقاش إلى الضمانات الأمنية التي يريدها كيم لنظامه. وافق ترامب على أن كيم أراد ضمانًا فقط من الولايات المتحدة، وليس من الصين أو روسيا. قال ترامب إننا نضمن سلامة كوريا الجنوبية بالفعل لكننا لم نستفد منها. كان يعتقد أن الاجتماع مع كيم سيكون قصيرًا ولكن ناجح، وذلك جيد جدًا بالنسبة إلى مون. قال مون إن الشعب الكوري يحترم ترامب ويحبه، وعقّب ترامب بأنه كان يعرف أن شعبيته واسعة في كوريا الجنوبية. ثم أوضح كيف جاءت النساء الكوريات إلى نواديه وعانقنه، ثم راح يحاضر عن مدى اختلاف الأمور في كوريا منذ أن أصبح رئيسًا. كان يعتقد أن موافقة كيم على الاجتماع بناءً على تغريدة، تُعدُّ إشارة كبيرة، وأن لا أحد غيره كان يعرف كيف يصل إليه. اعترف مون بأن الجنوب قد أقام خطًا ساخنًا مع الرئيس كيم، لكن الخط كان في مقر حزب العمال الكوري، الذي لم يذهب إليه كيم قط(1). كما أن الهاتف لم يكن يعمل في أثناء عطلة نهاية الأسبوع.

على الرغم من أن غداء العمل بدأ متأخراً عشرين دقيقة، قال ترامب قبل خمس دقائق من نهايته المقررة في الساعة الواحدة من بعد الظهر إنه يريد المغادرة على الفور.

عندئذ، قررت الذهاب مباشرة إلى منغوليا وليس إلى المنطقة منزوعة السلاح. مع ذلك، أبلغت موظفي مجلس الأمن القومي بمغادرتي دون غيرهم. انتظرت بالقرب من السيارة الرئاسية لكي أتمكن من إخبار ترامب بما كنت أفعله. لقد فهمت ما هي النتائج التي يمكن استخلاصها من عدم وجودي في المنطقة منزوعة السلاح، لكنني في تلك اللحظة، لم أكن مهتمًا وما عاد يعنيني ذلك.

غادرت كوريا الجنوبية متوجهًا إلى أولان باتور في وقت مبكر من بعد الظهر لأشاهد تقارير الأحداث في المنطقة منزوعة السلاح أثناء تحليقنا. كما تنبأ ترامب في تعليقاته السابقة، والصورة التي لا تقاوَم، مشى إلى كوريا الشمالية، مع كوشنير وإيفانكا بالقرب منه. بدا كيم سعيدًا في الصور، وينبغي أن يكون. يا لها من هدية رائعة قدمها له ترامب، الذي جاء إلى المنطقة منزوعة السلاح من أجل الدعاية الشخصية. كل ذلك أشعرني بالغثيان. لم يتحسن الأمر لاحقًا عندما ذكرت وسائل الإعلام أن ترامب دعا كيم إلى البيت الأبيض. استغرق اجتماع كيم-ترامب حوالى خمسين دقيقة، واتفق الزعيمان على ضرورة استئناف المحادثات سريعًا على مستوى العمل. بالطبع، لم يكن لبيغون نظير جديد بعد. من المرجح أن نظيره الأخير راقد الآن في مكان ما، في قبر لا شاهد له، ولكن لا يهم.

(1) See, e.g., Chad O'Carroll, "Hotline between the two Koreas: why hasn'tit been used yet?" May 10, 2019, https://www.nknews.org/2019/05/hotline-between-the-two-koreas-why-hasnt-it-been-used-yet/

بعد يوم من الاجتماعات في أولان باتور، ١ تموز/يوليو، غادرت إلى واشنطن، وأعدت مشاهدة التغطية الإخبارية لاجتماع المنطقة منزوعة السلاح، وكان معظمها كما توقعت، ما عدا مقالة نشرتها صحيفة النيويورك تايمز، وكانت سيئة على نحو خاص[١]. لم تتغير سياستنا في المنطقة منزوعة السلاح، لكنّ التقرير الذي نشرته التايمز، وناقشت فيه «تجميدًا نوويًا»، كان يشبه إلى حد بعيد طريق المتاعب التي سلكها بيغون قبل قمة هانوي. كنت أعتقد أننا قد دفنّا هذا النهج عندما انسحب ترامب، ولكن هنا، ومرة أخرى، كان نهجنا سيئًا أو أسوأ من ذي قبل. كانت هناك مقالات إعلامية أخرى اعتقدت أنني اكتشفت عليها بصمات بيغون[٢]، لكن هذه المقالة كانت خارج حدود السلوك المقبول، من وجهة نظري، سواء من جانب جوهر أو شروط العملية. سألت مات بوتينغر عما كان يمكن أن يبرر هذه الهجمة الإعلامية، وخلصت إلى أن ترامب لم يأذن بالموافقة على «تجميد نووي» بعد اجتماعه مع كيم جونغ أون، على الرغم من حماسه الواضح لاستئناف المفاوضات على مستوى العمل. كتب ترامب رسالة أخرى لكيم، وكانت ناعمة في الأساس، لكنها على الأقل لم تقدم أي شيء أو أي أساس لما تم إحاطة الصحافيين به[٣]. كان بيغون قد اعتبر حماسة ترامب ترخيصًا لرسم شكل المحادثات القادمة مع كوريا الشمالية بطرق كان مصيرها الفشل طيلة ثلاثين عامًا.

في البداية، نفى بيغون لهوكر وبوتينغر أنه كان مصدر قصة التايمز، على الرغم من أن عبارة «الإنكار» صيغت بعناية، وكانت في كل الأحوال قد فقدت صدقيتها عندما تلقينا من مراسل ودود نسخة عن إحاطته الإعلامية. لم يكن التنسيق بين الوكالات مفيداً هنا. كان خارج الخط، سواء بمباركة بومبيو أم لا. كنت أعتقد أنه من المهم تصحيح الانطباع بأننا كنا نعود إلى سياسات الإدارات السابقة الفاشلة، قبل أن تخرج الأمور من أيدينا. كنت أعلم أن قول أي شيء علنًا يمثل مخاطرة، لكنّ وقت المخاطرة كان قد حان. إلى جانب ذلك، إذا اضطررت إلى الاستقالة، فلن تكون نهاية العالم. بعد صياغة دقيقة، نشرت التغريدة التالية، قبل أن تتحرك عجلات الطائرة على مدرج مطار طوكيو حيث هبطنا للتزود بالوقود:

(١) Michael Crowley and David E. Sanger, "In New Talks, US May Settle for aNuclear Freeze by North Korea," https://www.nytimes.com/2019/06/30/world/asia/trump-kim-north-korea-negotiations.html

(٢) -See, e.g., Rebecca Balhaus et al., "Trump's Twitter Invitation to Kim SetOff 24-Hour Scramble." https://www.wsj.com/articles/trumps-twitter-invitation-to-kim-set-off-24-hour-scramble-11561943026

(٣) See Straits Times, "North Korea's Kim Jong-Un receives personal letter from Trump, KCNA says," - June 24, 2019, https://www.straitstimes.com/asia/east-asia/north-koreas-kim-jong-un-receives-excellent-letter-from-trump-state-media

قرأت بفضول مقالة النيويورك تايمز هذه. لم أكن أنا أو أي من موظفي مجلس الأمن القومي قد ناقشنا أو سمعنا عن أي رغبة في «القبول بتجميد نووي من طرف كوريا الشمالية». لقد كانت محاولة بغيضة من قبل شخص يريد محاصرة الرئيس. ويجب أن تكون لها عواقب.

لم أسمع قط كلمة واحدة من ترامب بشأن هذه التغريدة. وقد كنت سعيدًا لرؤية ليندسي غراهام يعيد تغريدها بعد وقت قصير من نشري لها:

سعيد برؤية مستشار الأمن القومي بولتون يدحض بشدة رواية النيويورك تايمز التي تشير إلى أن الإدارة قد تقبل تجميدًا نوويًا كنتيجة مقبولة من طرف كوريا الشمالية.

في ٣ تموز/يوليو، تحدثت مع بومبيو في مواضيع عدة، وأثار مقالة التايمز وتغريدتي، وهو يشكو بمرارة. سأل: «لماذا لم تتصل بي؟» مضيفاً: «ما قاله بيغون - من يكترث لإنكارات بيغون - أقرب إلى الرئيس منك بكثير». كان ذلك مرعبًا، إذا كان صحيحًا. أجبت أنه بإمكاني طرح نفس السؤال عنه وعن بيغون: لماذا لم يتصلا بي؟ كانت تغريدتي لاتزال تمثل سياسة الإدارة الرسمية، بينما إحاطة بيغون لم تكن، ولم يجادل بومبيو في ذلك. قلت إنني لم أكن أستهدفه، وإن كلينا سيكون أكثر فعالية إذا تمسكنا معاً بالجوهر، وقد وافقني على ذلك. قال ضاحكًا، «إنّ فرقنا تحب هذه الأشياء، لكننا سنقدم أفضل ما لدينا إذا بدأنا التصرف بطريقة أكثر حكمة، وهو ما لاأزال أكافح من أجله».

لقد كانت هذه تنقية جيدة للأجواء، لكنني اعتقدت أن بومبيو في الغالب قلقَ من انتقادي له علنًا، الأمر الذي عززته تغريدة غراهام. ثم بشكل أكثر جدية، قال بومبيو إنه يخشى عودة ترامب إلى مغادرة شبه الجزيرة كليًا، وهو ما كان يقلقني جوهريًا بشأن قضية تكاليف القواعد العسكرية بأكملها، والتي رددت صدى ما قاله ترامب بشكل عشوائي عن أفغانستان والعراق وسوريا وأفريقيا وأماكن أخرى متنوعة. مع ذلك، كان بومبيو يعتقد بأننا «لم نترك مع كيم أي شيء خارج الحقيبة»، وهذا يعني أنه لن يظهر علنًا ما يعرّض موقفنا للخطر. من ناحية أخرى، قال بومبيو إنه حاول حثّ ترامب على الانسحاب ثانية بعد اجتماع المنطقة منزوعة السلاح، ملحًا بالقول، «لا نريد أن نفعل ما قد يفعله كيري». وأجابه ترامب «لا يهمني، نحن بحاجة إلى نصر في هذا الشأن»، على الرغم من أنه كرر أيضًا أنه لم يكن «مستعجلًا». لكن على الرغم من حديثنا، وفي غضون أيام، طلب بومبيو من بيغون عدم المشاركة في اجتماعات مجلس الأمن القومي بشأن كوريا الشمالية، كما في السابق، وهو يظهر بشأن كوريا الشمالية نفس السلوك الذي سبق له أن قام به مرارًا وتكرارًا بشأن أفغانستان. فهمت ضرورات عدم إقحام الحيّز الشخصي في الشؤون الحكومية، لكنني لم أستطع أن أفهم لماذا

لم يسعَ بومبيو إلى إيجاد حلفاء يدعمونه في هذه القضايا. عندما خرجت سياساته عن السكة، لم يكن ذلك سيئًا للبلاد فقط، بل لبومبيو، جنبًا إلى جنب مع ترامب، اللذين وحدهما كانا يمثلان هذه السياسات. لكنني، قلتُ في نفسي، في نهاية المطاف، إنها مشكلة بومبيو.

كيف رأى ترامب حفلة المنطقة منزوعة السلاح؟ «لا أحد يستطيع أن يفعل ما فعلتُ. لقد اتصل أوباما إحدى عشرة مرة ولم يلقَ جوابًا»، قال في وقت لاحق من ذلك اليوم.

في أيامي المتبقية في البيت الأبيض، كنت قلقًا بشأن التنازلات التي لم نكن ملزمين بها لكوريا الشمالية. مع ذلك، فمن المفارقة، أن الشمال كان في الغالب متصلبًا، إلا عندما كان يطلق صواريخ باليستية أو يهاجم مسؤولي الإدارة باستثناء ترامب. كما أنني شعرت بالقلق من الإمكانات الضارة لمشكلة تكاليف التمركز في كل من كوريا الجنوبية واليابان، والصدع المتنامي بين هذين البلدين، مما كان يهدد الوضع الاستراتيجي العام لأميركا في شرق آسيا.

لدى عودتي إلى واشنطن، في ١٦ تموز/يوليو، تحدثت مع بومبيو بشأن طلب آخر من ترامب بوقف التدريبات العسكرية المشتركة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية، التي أثارت غضب كيم جونغ أون الحساس دائماً. كان هذا التمرين في أغلبه شأنًا مكتبياً وكان يعني في ما مضى الكثير من خلط الأوراق وتحريك علامات القوات في صناديق من الرمل. اليوم، يُنفّذ معظم ذلك بواسطة الكمبيوتر. على الرغم من التأكيدات المتكررة بعدم وجود إنزالات لمشاة البحرية على الشواطئ، وطائرات بي ٥٢ تحلق فوقها، أراد ترامب إلغاءها. رجوت ترامب السماح لي بأن أقوم بزيارتي المخطط لها إلى اليابان وكوريا الجنوبية للتحدث عن تكاليف القواعد قبل أن يتخذ قرارًا، ووافق على ذلك. كانت الحجج الأكثر منطقية، كالحاجة إلى هذه التدريبات والمزيد من المناورات الميدانية لضمان بقاء قواتنا في حال استعداد تام، وقادرة على القتال «في الليلة نفسها» إذا لزم الأمر، قد فقدت منذ فترة طويلة جاذبيتها لدى ترامب. أخبرني بومبيو أيضًا أن كوريا الشمالية لا تتوقع إجراء أي مناقشات على مستوى العمل قبل الفترة الواقعة بين منتصف آب/أغسطس وأواخره، وهذا بعيد كل البعد عن توقعات منتصف تموز/يوليو التي قدمها بيغون وآخرون مباشرة بعد اجتماع المنطقة منزوعة السلاح.

بعد بضعة أيام، ذهبت إلى اليابان وكوريا الجنوبية للعمل على قضية تكاليف القواعد العسكرية. توقفت أولاً في طوكيو، حيث طرحت المسألة على الرغم من أن الترتيبات الجارية بالنسبة للقوات في اليابان كانت تنتهي بعد كوريا الجنوبية. كانت وزارة الدفاع، كوزارة الخارجية، بالكاد تستطيع التفكير في طلب المزيد من التمويل من الدولة المضيفة، وقال مرؤوس من القسم المدني في البنتاغون للجنرال كيفن شنايدر، قائد القوات الأميركية التي تتمركز في القواعد العسكرية

الواقعة على الأراضي اليابانية، إنه لن يتمكن من المشاركة في اجتماعاتي، على أمل الحفاظ على أظافر وزارة الدفاع نظيفة. كان السبب وراء رغبتي في أن يكون معي موظفون من وزارتي الخارجية والدفاع على وجه التحديد، هو إظهار أنه، من أجل التغيير، كان لحكومة الولايات المتحدة بالفعل موقف واحد من القضايا. بعد التأكد من هوية المرؤوس المدني الذي كان سبب المشكلة، اتصلت بدانفورد وأخبرته. لم يسمع الضابط العسكري الأعلى في البلاد أن عناصر السياسة المدنية كانوا يعطون أوامر لمرؤوسيه العسكريين بشأن الاجتماعات التي سيحضرونها. لم يكن دانفورد بحاجة إلى الإقناع، قائلاً إنه حضر اجتماعات مماثلة عندما كان قائدًا أميركيًا في أفغانستان. كل هذا يستهلك وقتًا وطاقة لا داعي لهما. حكومتك تعمل.

التقيت بياتشي أولًا، لكي أشرح لماذا كان ترامب يريد ٨مليارات دولار سنويًا، على أن يبدأ ذلك في غضون عام، مقارنةً بحوالى ٢،٥ مليار دولار، المبلغ الذي تدفعه اليابان حاليًا[١]. لم أكن أتوقع أن يكون سعيدًا، ولم يكن كذلك، لكننا كنا في بداية المفاوضات؛ يمكنهم إعداد أنفسهم، وهو إشعار أبكر كثيرًا من الذي تلقّته كوريا الجنوبية. في نهاية المطاف، كان ترامب هو الوحيد الذي يعرف قيمة المبلغ الذي قد يرضيه، لذلك لم يكن هناك أي فائدة من محاولة تخمين الرقم «الحقيقي».. وترامب نفسه، لم يكن يعرف بعد. ولكن على الأقل من خلال تنبيه اليابان وكوريا الجنوبية بأنهما يواجهان مشكلة حقيقية، منحتُهما فرصةً لإعداد ردّ.

سيطر على الجزء الأكبر من الاجتماع مع ياتشي شرحُ اليابانيين لموقفهم من الخلاف المتسارع مع كوريا الجنوبية[٢]. كانوا يعتقدون أن مون يقوض معاهدة عام ١٩٦٥ الحاسمة بين البلدين، وهي معاهدة، كان لها من وجهة نظر اليابان، هدفان. الأول، تطبيع العلاقات الثنائية خلال الحرب الباردة. والثاني، تقديم تعويض نهائي لمطالبات كوريا الجنوبية، لقاء العمل القسري والانتهاكات الأخرى (بما في ذلك «نساء الراحة» إبّان الحرب العالمية الثانية) التي ارتكبها الحكم الاستعماري

(١) -See Lara Seligman and Robbie Gramer, "Trump Asks Tokyo to Quadruple Payments for U.S. Troops in Japan," November 15, 2019, https://foreignpolicy.com/2019/11/15/trump-asks-tokyo-quadruple-payments-us-troops-japan/

(٢) - كان هناك اهتمام صحافي كبير وتعليق على هذا النزاع المستمر: See e.g., Kim Tong-hyung, "South Korea Will Keep Its Military Intelligence Pact with Japan - For Now," November 23, 2019, https://thediplomat.com/2019/11/south-korea-will-keeps-its-military-intelligence-pact-with-japan-for-now/; Simon Denyer and Min Joo Kim,"South Korea axes pact on sharing military intelligence with Japan," August 22, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/asia_pacific/south-korea-axes-pact-to-share-military-intelligence-with-japan/2019/08/22/fe57061c-c4be-11e9-8bf7-cde2d9e09055_story.html; and Victor Cha, "The Meaning of GSOMIA Termination; Escalation of the Japan-Korea Dispute," August 22, 2019, https://www.csis.org/analysis/meaning-gsomia-termination-escalation-japan-korea-dispute

الياباني. كانت اليابان ترى أن هذه المعاهدة التي استغرقت أربعة عشر عامًا من المفاوضات، تطوي صفحة الماضي كليًا.

من منظور أميركا، كان تطبيع العلاقات بين طوكيو وسيول، الحليفين الرئيسيين، حاسمًا لجهودنا في شرق آسيا لردع عدوانية روسيا وكوريا الشمالية والصين. لم يكن لدينا حلف نظير للناتو في المحيط الهادئ، فقط سلسلة من التحالفات الثنائية (التي تعتمد نموذج التمركز والانطلاق) لذلك عملنا دائمًا من أجل تعاون أكبر بين كوريا الجنوبية واليابان، ووسعناه مع دول أخرى مثل سنغافورة وأستراليا ونيوزيلندا. حتى في إدارتنا اللامبالية بشكل أو بآخر، كان مفهوم «منطقة المحيط الهادئ-الهندي الحرة والمفتوحة» وسيلة لتعزيز الروابط الأفقية بين البلدان ذات التفكير المماثل. علاوة على ذلك، من أجل عقد اتفاق ناجح مع كوريا الشمالية، كان على رأس قائمة أولويات ترامب إصراره على أن تدفع اليابان وكوريا الجنوبية جزءًا كبيرًا من التكاليف الاقتصادية. لم يكن ترامب يمنح الشمال أي «مساعدة أجنبية»، بل فقط إمكانية استثمار خاص كبير ومربح. في تلك المرحلة، كانت اليابان على استعداد لتحرير شيك كبير، في رأيي، ولكن فقط على افتراض أن كوريا الشمالية ستوقع معاهدة شبيهة بمعاهدة ١٩٦٥ بين كوريا الجنوبية واليابان، تسوّي كافة المطالبات العالقة أو المحتملة[1]. إذا كانت معاهدة ١٩٦٥ لم تطوِ الصفحة حقًا بالنسبة إلى سيول، كيف لك أن تتوقع شيئًا قابلًا للمقارنة من بيونغ يانغ؟

كانت اليابان قد استندت إلى شرط التحكيم لمعاهدة عام ١٩٦٥، ورفضت كوريا الجنوبية قبوله. كان الطرفان عالقين، لكن آبي لم يجلس ساكنًا. كان موقف كوريا الجنوبية المتشدد قد ألهب الرأي العام الياباني، لذا، بقدر ما أبدوا من دهاء وقسوة، لجأ آبي إلى قوانينهم لمراقبة الصادرات، على أساس أربع اتفاقيات دولية تهدف إلى منع انتشار الأسلحة والمواد النووية والكيميائية والبيولوجية، وبعض الأسلحة التقليدية. كانت سيول على «القائمة البيضاء» التي وضعتها طوكيو لهذه الأغراض، مما جعل التجارة مسموحاً بها في السلع الأساسية التي كانت محظورة بموجب الترتيبات الأربعة، إذ بالنسبة للبلدين، لم يكن أحدهما يعتبر الآخر مصدر تهديد من خلال التسلح النووي. كانت الولايات المتحدة أيضًا، تشارك بنشاط في هذه الترتيبات، ولديها عشرات العلاقات التجارية المماثلة لتلك التي تقيمها مع كوريا الجنوبية واليابان. ومع ذلك، نظرًا لأن سيول وطوكيو لم تطبّعا مسبقًا وبشكل رسمي علاقاتهما الثنائية في إطار مجموعة الأسلحة التقليدية (ترتيب واسينار) وبموجب الاتهامات بأن عمليات نقل غير مشروعة تجري من سفينة إلى سفينة، في إطار المجموعات الثلاث الأخرى، ربما إلى كوريا الشمالية حتى، هددت اليابان بشطب كوريا الجنوبية من القائمة البيضاء.

(١) - See Treaty between Japan and Republic of Korea, dated June 22,1965, Number8473, https://treaties. un.org/doc/Publication/UNTS/Volume% 20583/volume-583-I-8473-English.pdf

وكنتيجة مباشرة لذلك، سيتطلب التبادل التجاري بين البلدين تراخيص فردية للعديد من البضائع، خاصة في ما يتعلق بثلاث منها. كانت حساسة ومطلوبة لتصنيع أشباه الموصلات، مما يهدد صناعة الحواسيب الإلكترونية في الجنوب، وصناعات أخرى عالية التقنية.

كما لو أن هذا كله لم يكن سيئًا بما فيه الكفاية، وكردٍّ لاحق، كانت كوريا الجنوبية تهدد بإلغاء اتفاقية ثنائية مع اليابان تسمى اتفاقية الأمن العام للمعلومات العسكرية. وبموجب هذا الاتفاق، كان البلدان يتبادلان معلومات استخبارية عسكرية حيوية ومعلومات حساسة أخرى، مما سمح بقدر أكبر من التعاون الثنائي العسكري. لم تكن هذه مجرد قضية ثنائية بين اليابان وكوريا الجنوبية، لكنها كانت تؤثر بشكل مباشر أيضًا على مصالح الأمن القومي الأميركي[١]. كما قال وزير الدفاع مارك إسبر في وقت لاحق، كانت الاتفاقية «حاسمة لتبادل المعلومات الاستخبارية، خاصة في الوقت المناسب، لأي نوع من الإجراءات الكورية الشمالية[٢]». إذا قدمت سيول إخطاراً برغبتها في إلغاء الاتفاقية وانهارت الاتفاقية، فسيكون هناك تأثير سلبي مادي على ترتيبات الدفاع الثلاثي في المنطقة، في وقت لم تكن اللحظة مؤاتية. كان التوقيت حرجًا. كانت الاتفاقية قابلة للتجديد تلقائيًا كل عام، إلا إذا أعطى أحد الطرفين إشعارًا بتسعين يومًا لإلغائها، أي بتاريخ ٢٤ آب/أغسطس ٢٠١٩، الذي كان يقترب بسرعة.

كان ترامب قد أخبر مون بأنه لا يريد التورط في النزاع، لذلك لم أر الكثير مما يمكننا القيام به. لكن هذه القضية المشتعلة، الموشكة على التضخم، كانت أخبارًا سيئة. في اليوم التالي في كوريا الجنوبية، ٢٤ تموز/يوليو، استضاف السفير هاريس في مقر إقامته على وجبة الإفطار، الجنرال روبرت أبرامز، قائد القوات الأميركية في كوريا وأنا، نحن الثلاثة فقط، لمناقشة تكاليف القواعد بصراحة. أدرك هاريس، القائد السابق لقيادة المحيط الهادئ الأميركية قبل تقاعده من الجيش، مدى حساسية هذه المسألة بالنسبة إلى ترامب، بعد أن شارك في اجتماعات ٣٠ حزيران/يونيو حيث تعاون ترامب مع مون. أردت التأكد من أنني تركت هذا الإفطار مع تفهمهما بأن مجرد تأجيل المسألة، خاصة مع اقتراب نهاية العام، كان خطأ. احتجت أيضًا إلى شرح غضب ترامب من التدريبات العسكرية المكتبية القادمة، حتى يتمكنا من مساعدة أولئك الموجودين في واشنطن منا على حل المشكلة، بدلاً من التناحر بشأنها ببساطة. لا أبرامز ولا هاريس كانا يصدقان ما يسمعانه،

(١) -See "Sharing military intel with Japan 'difficult,' Moon tells visiting U.S. defense chief," November 15, 2019, https://www.japantimes.co.jp/news/2019/11/15/national/sharing-military-intel-japan-difficult-moon-tells-visiting-u-s-defense-chief/#.XmOlqKhKiF4

(٢) المصدر نفسه.

الأمر الذي أثبت إلى أي مدى كانت المحادثات مع ترامب في المكتب البيضاوي، بعيدةً عن العالم الحقيقي الخطير الذي يسكنه هؤلاء الرجال.

في نهاية المطاف، ذهبنا بالسيارة إلى البيت الأزرق للقاء تشونغ، وفريق مشترك بين الوكالات للنظر في مسألة تكاليف القواعد. كان الأمر ممتعًا بقدر ما كان في اليابان، وربما أكثر من ذلك، لأن الموعد النهائي في ٣١ كانون الأول/ديسمبر، لتجديد اتفاقية كوريا الجنوبية الثنائية لتقاسم التكاليف مع الولايات المتحدة كان يثقل علينا جميعًا. بعد مناقشات مستفيضة حول قضية التكاليف، تحوّلنا إلى النزاع بين كوريا الجنوبية واليابان. وغني عن القول إن الكوريين الجنوبيين لم يكونوا يعتقدون أنهم يمزقون معاهدة ١٩٦٥، وادعوا أنهم اضطروا للتصرف على هذا النحو بسبب قرارات المحكمة العليا في كوريا الجنوبية[1]. كانت كوريا الجنوبية تعتقد أن تهديد طوكيو بشطب سيول من قائمتها البيضاء قد بلغ حدّ «خرق علاقة الثقة» بين البلدين. كما يبدو أيضًا، أن وزارة الخارجية اليابانية قد حذفت من موقعها على الإنترنت الإشارة إلى كوريا الجنوبية باعتبارها «حليفًا استراتيجيًا»، ولم يكن ذلك جيدًا أيضًا. لهذا السبب كانت اتفاقية تبادل المعلومات العسكرية والاستخباراتية في خطر. وأضاف تشونغ، أنه على اليابان أن تدرك أنها لا تستطيع تحقيق أهدافها الدبلوماسية من دون تعاون كوريا الجنوبية. إلى جانب ذلك، كانت كوريا الجنوبية تلحق باليابان بسرعة. في حين كان الاقتصاد الياباني قبل بضع سنوات أكبر من حجم الاقتصاد الكوري الجنوبي بخمسة أضعاف، أصبح الآن أكبر بـ ٢.٧ ضعف فقط، وكان نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي متساويًا تقريبًا بين البلدين.

عندما عدت إلى واشنطن، أطلعت ترامب على مفاوضات تكاليف القواعد (كان معي بومبيو ومنوشين في المكتب البيضاوي ولكن من أجل مسائل أخرى)، فقال، كما كان يفعل. بل أكثر فأكثر وبشكل متكرر، إن طريقة الحصول على دفوعات سنوية بقيمة ٨ و ٥ مليارات دولار على التوالي، هي التهديد بسحب جميع القوات الأميركية. «هذا يضعك في وضع تفاوضي قوي». لحسن الحظ، كان راضياً عن تقريري إلى حد أنه وافق على المضي قدمًا في المناورات العسكرية المكتبية المشتركة مع كوريا الجنوبية، على الرغم من أنه لم يكن سعيدًا بذلك. وفي اليوم التالي كرّر وجهة نظره بعد سماع المزيد عن آخر صليات الصواريخ التي أطلقتها كوريا الشمالية، قائلًا، «هذا هو الوقت

(١) ٢٦- See, e.g., Brian Kim, "Korea and Japan Clash Over History and law," August16, https://www.lawfareblog.com/korea-and-japan-clash-over-history-and-law; Yosuke Onchi and Jada Nagumo, "Five things to know about South Korea's wartime labor ruling," October 30, 2018, https://asia.nikkei.com/Politics/International-relations/Five-things-to-know-about-South-Korea-s-wartime-labor-ruling; and Choe Sang-Hun and Rick Gladstone, "How a World War II-Era Reparations Case Is Roiling Asia," October 30, 2018, https://www.nytimes.com/2018/10/30/world/asia/south-korea -japan-compensation-world-war-two.html

المناسب لطلب المال»، وهذا يعني زيادة المدفوعات لتغطية تكاليف القواعد. ثم ذهب إلى المكتب البيضاوي، ليقول للآخرَين، «لقد توصل جون إلى مليار دولار هذا العام. وأنتما ستحصلان على الخمسة مليارات دولار بفضل الصواريخ». كم كان ذلك مشجِّعًا.

كان كل شيء يشير إلى أن الخلاف بين اليابان وكوريا الجنوبية يتوسع، دون تفكير واعٍ من قبل الطرفين. وعلى الرغم من عدم اهتمام ترامب، اقترحت على تشونغ أن يفكر البلدان في «اتفاقية ستاتيكو» لمدة شهر، حيث تتوقّف الدولتان عن اتخاذ أي خطوات تجعل الأمور تزداد سوءًا. على الأقل، قد يسمح ذلك بكسب الوقت للتفكير الإبداعي من أجل كسر الحلقة التي كنا فيها. كان تشونغ على استعداد للنظر في الأمر، وقلت إني سأتحدث مع اليابانيين. كانوا متشائمين ولكن على استعداد للنظر في أي شيء قد يخرجنا من الهوة التي كانوا منشغلين هم، والكوريون الجنوبيون في حفرها. بعد أيام عدة من الذهاب والإياب المكثّف، حققنا تقدمًا على مستوى وضعية الستاتيكو. في غضون ذلك واصلت كوريا الشمالية إطلاق صليات من الصواريخ قصيرة المدى، بما في ذلك في ٣٠ تموز/يوليو، إطلاق صاروخين باليستيين قصيري المدى في بحر اليابان. كنا لانزال نمتنع عن الرد. أطلعت ترامب، لكنه أجاب: «أصلًا، ما الذي نفعله هناك بحق الجحيم؟» لم يكن ذلك يبشر بالخير للحصول على مساعدة من الأعلى فيما لو قرر آبي أو مون الاتصال بترامب ثانيةً. لم تحقق اليابان وكوريا الجنوبية أي تقدُّم، بل قررت الحكومة اليابانية رسميًا شطب كوريا الجنوبية من القائمة البيضاء. ردًا على ذلك، أبلغت كوريا الجنوبية اليابان بأنها كانت تنهي اتفاقية تبادل المعلومات الاستخباراتية العسكرية وشطبتها من قائمتها البيضاء الخاصة. عند تلك النقطة، بعد أن تحطمت في قاع المحيط، استقرت الأزمة بين اليابان وكوريا الجنوبية[1].

خلال ذلك كله، عقد ترامب اجتماعًا جيدًا بشكل مدهش مع الرئيس المنغولي خالتماجين باتولغا، الذي كان يزور واشنطن. كان نجل باتولغا يقاتل مع القوات الأميركية في أفغانستان، ووقّع ترامب على صورة الشاب التي أحضرها والده معه. كان باتولغا واضحاً في كلماته عندما سأله ترامب عن رأيه في ما كان يريده كيم جونغ أون حقًا. يخشى كيم أكثر من أي شيء آخر انتفاضة شعبية بسبب نظامه الاستبدادي، قال باتولغا، مؤكدًا أن حال حياة الناس الذين يعيشون في كوريا الشمالية كانت خطيرة، وأسوأ كثيرًا بعد العقوبات.

ظل ترامب يركز على كيم جونغ أون، على الرغم من تكراره إطلاق الصواريخ، والخلاف القائم بين حليفينا الرئيسيّين في شرق آسيا. في ١ آب/أغسطس، غرّد ترامب بثلاث رسائل:

(١) - في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر علقت كوريا الجنوبية انسحابها من اتفاقية تبادل المعلومات الاستخبارية العسكرية: See, e.g., "Japan-South Korea friction flares again after GSOMIA intel pact rescue," https://www.japantimes.co.jp/news/2019/11/25/national/politics-diplomacy/japan-south-korea-bickering-gsomia/#.Xez2X-hKiF4

اختبر كيم جونغ أون، وكوريا الشمالية ٣ صواريخ قصيرة المدى خلال الأيام الأخيرة. لا تُعدُّ هذه التجارب الصاروخية انتهاكًا لاتفاقنا الموقّع في سنغافورة، حيث لم يكن هناك نقاش بشأن الصواريخ قصيرة المدى عندما تصافحنا.

قد يكون هناك انتهاك لقرارات الأمم المتحدة، ولكن...

... الرئيس كيم لا يريد أن يخيب أملي بانتهاك الثقة، ثمّة الكثير لتكسبه كوريا الشمالية - إمكانات البلد، في ظل قيادة كيم جونغ أون غير محدودة. ثمّة الكثير لتخسره أيضًا. قد أكون مخطئًا، لكنني أعتقد..

... أن لدى الرئيس كيم رؤية عظيمة وجميلة لبلده، ووحدها الولايات المتحدة، معي كرئيس، يمكنها أن تجعل هذه الرؤية تتحقق. سيفعل الشيء الصحيح لأنه ذكي للغاية، ولا يريد أن يخيّب أمل صديقه، الرئيس ترامب!

كانت تلك هي سياستنا تجاه كوريا الشمالية.

خلال حملة ٢٠٢٠، ليس هناك شك كبير في أن كوريا الشمالية ستظل محطّ تركيز رئيسيّ في البيت الأبيض. إن ما لا يمكننا التكهن به، هو كيف سيتموضع كيم جونغ أون. هل سيحاول إغراء ترامب بصفقة سيئة، مستفيدًا من السياسة الأميركية خلال السنة الانتخابية، وهو نوع النهج الذي قاد أسلاف ترامب إلى أخطاء كبيرة؟ أم أنه سوف يخلص إلى استحالة التعامل مع ترامب، وأن من الأفضل له أن ينتظر ليرى مجيء ديمقراطي مرن إلى سدة الرئاسة يكون أقلّ خبرة من ترامب في شؤون السياسة الخارجية؟ بغض النظر عن الجواب، فإن مسار كوريا الشمالية نحو التحوّل الكامل إلى دولة نووية قادرة سيستمر. وبالنسبة إلى إدارة رابعة على التوالي، تمتد لما يقرب من ثلاثة عقود، ستفشل الولايات المتحدة في وقف أخطر تهديد انتشار نووي في العالم.

وهذا يعني حتماً أن إدارة مستقبلية سيكون عليها مواجهة نظام في بيونغ يانغ، قادر على أن يتسبب لبلدنا بأضرار لا حصر لها (بغياب نظام دفاعي وطني فعّال مضاد للصواريخ، لانزال نفتقر إلى العزم على بنائه). كان من الممكن تجنّب ذلك كله لو أننا فقط سخّرنا أنفسنا للعمل في وقت سابق. منذ ما يقارب الثلاثين عامًا، لم يفعل تقدُّم كوريا الشمالية نحو الأسلحة النووية القابلة للإطلاق، سوى زيادة التهديد. ولا يسعنا إلا أن نأمل في أنه لاتزال لدينا الآن، فرصة لإيقاف ذلك التهديد قبل أن يصبح داهماً.

الفصل الثاني عشر

ترامب ضل الطريق وفقد أعصابه

كلّما تراجع اهتمام الولايات المتّحدة بإيران، وخاصّة بالنسبة إلى ترامب، أدركتُ أنّ طهران ستساعدنا في إعادتها إلى قمّة جدول أعماله. إذن، لم تكن مسألة سهلة على الإطلاق، حينما قدّم آية الله خامنئي، المرشد الأعلى لإيران، شرحًا جدّ مفيد لِما قصده المتظاهرون الإيرانيّون المنتظمون صفوفًا، عندما هتفوا: «الموت لأميركا»، بالتزامن مع «الموت لإسرائيل»، هتافات هي المفضّلة لديهم. قال خامنئي: «الموت لأميركا» وإنّما يعني «الموت لترامب وجون بولتون وبومبيو»[1]. الواقع أنّ فورة المجاهرة بالحقيقة غير المقصودة هذه، والتي تظهر، مثلاً، لِمَن يضمر قادة إيران الموت، قد ذكّرتنا بتلك الحاجة المستمرّة لممارسة «الضغوط القصوى» على طهران ليس بسبب برامج الأسلحة النووية والصواريخ الباليستيّة الإيرانية فحسب، بل أيضًا بسبب دور إيران المتواصل كمموّل مركزيّ للإرهاب في العالم، وحضورها العسكريّ التقليديّ العدوانيّ في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

إحدى القضايا المثيرة للجدل للغاية، كانت: هل يُصنَّف الحرس الثوريّ الإسلاميّ كمنظّمة إرهابيّة أجنبيّة، وهي تسمية قانونيّة تفرض عواقب محدّدة على المنظّمة التي تحملها. بالفعل، أراد ترامب هذا التصنيف، إسوةً بي وببومبيو، لأنّ التعامل مع مجموعة مدرجة على لائحة الإرهاب أو حتّى مع عملائها، فيه مخاطرة بالتعرُّض للملاحقة القضائيّة بتُهَم جنائية. آنذاك، قلق منوشين من أن يفضي هذا التصنيف لجناح النخبة في الجيش الإيراني أو حتى لفيلق القدس، ذراعه المنتشرة في الخارج، وحاليًّا في العراق وسوريا ولبنان واليمن[2]، إلى عواقب واسعة النطاق، الأمر الذي لم أفهمه. اعتقدتُ أنّ المسألة برمّتها إنّما تقضي فقط بإلحاق أكبر

(١) See Thomas Erdbrink, " 'Death to America' Means 'Death to Trump,' Iran's Supreme Leader Says," https://www.nytimes.com/2019/02/08/world/middleeast/iran-trump-death-to-america.html

(٢) See Alma Keshavarz, "A Review of Iran's Revolutionary Guards and Qods Force: Growing Global Presence, Links to Cartels, and Mounting Sophistications," https://smallwarsjournal.com/jrnl/art/a-review-of-iran%E2%80% 99s-revolu tionary-guards-and-qods-force-growing-global-presence -links -to-car

قدر ممكن من الأذى بهؤلاء. في الحقيقة، أبدت الوكالات الأخرى مواقف متنوّعة في هذا الشأن، كان الاتّجاه العامّ فيها أشبه بالتالي: ألا يسعنا ترك المسائل عند هذا الحدّ، دونما تكبُّد المزيد من العناء والمتاعب؟

جاءت المعارضة الحقيقيّة من البيروقراطية الراسخة في سراديب الحكومة. عمد محامو مكتب المستشارة القانونيّة لدى وزارة الخارجيّة، إلى تعليق الموضوع لشهور عدّة، ولم يبلّغوها بالأمر. وحذا حذوهم محامو مكتب الأمن القومي، على أمل أن تختفي القضية من تلقاء ذاتها. وفي آذار/مارس ٢٠١٩، في خضمّ اجتهادنا لإعادة تحريك الملفّ، أهدر المحامون الكثير من الوقت لدى معظم الوكالات الرئيسيّة، بسبب الخلافات حول كيفيّة تمويل جدار ترامب الحدوديّ مع المكسيك، والذي طالما شكّل حفرة قطران «لا بريا»(*) للإدارة الأميركيّة. ثمّ برزت مسائل قانونيّة، مثل: هل يسمح القانون المعمول بموجبه بتصنيف كلّ أو جزء من حكومة معيّنة، كمنظّمة إرهابيّة أجنبيّة، أو هل ينطبق القانون فقط على «الجهات الفاعلة من غير الدول» مثل «القاعدة»؟ حسم مكتب المستشار القانوني لدى وزارة العدل الجدل في آذار/مارس ٢٠١٩، وخلص إلى أنّ كيانًا حكوميًّا، مثل الحرس الثوريّ، يمكن أن يحمل هذا التصنيف، ولكن ليس حكومة بأكملها. بالفعل، حدّ الاستنتاج الحكيم هذا من الوقع المحتمل للقرار، الأمر الذي لم أعتبره قيمة مضافة. ولكنّنا آنذاك ما كنّا لنستهدف إلّا الحرس المذكور. وعليه، قد بدا المزيد من النقاش حول المفاهيم عقيمًا.

في الحقيقة، كان هناك قلق مشروع من أن يزيد أيّ تحرّك ضد إيران، من الخطر على القوّات الأميركيّة في العراق والمنطقة. بيد أنّ هذه المقولة المنطقيّة، سقطت هي الأخرى. طبعًا، فكما جرت العادة في كثير من الأحيان، رمت وزارة الدفاع عشوائيًّا لا بل جزافًا هذا الاعتراض تحديدًا، في وجه العديد من الأفكار الرامية إلى زيادة الضغط على إيران. وكان الردّ على مخاوف البنتاغون حول الضغط على إيران، بزيادة قدراتنا على حماية القوى الأميركية في العراق، على افتراض أنّنا سلّمنا جدلًا بوجوب بقاء قوّاتنا هناك. لم يكن المقصود تجاهل التهديد الاستراتيجي الأكبر لإيران، القوة النووية الطامحة، من خلال قلب أولويّات السياسة الأميركية، عبر رفع تهديدات إيران داخل العراق إلى مستوى أعلى من تهديداتها النووية والإرهابيّة في جميع أنحاء العالم. الواقع أنّ هذا الانقلاب في ترتيب أولويات المخاطر راح يزداد يومًا بعد يوم، فيما تكتسب إيران نفوذًا أكبر سواء داخل حكومة بغداد، أو من خلال تنظيمها ميليشيات عراقيّة

(*) حفرة ممتلئة بالأسفلت الطبيعي على الحدود المكسيكية تعلق فيها الحيوانات منذ العصر الجليدي الأخير وتُحفظ عظامها فيها.

شيعيّة على شكل أذرع تابعة لفيلق القدس[١]. كنت متوجّسًا، كما ينبّه التحذير الشهير، من أنّ الجنرالات لايزالون في طور خوض الحرب الماضية، بدلاً من مواجهة التهديد الحاليّ. أن نساند حكومة في بغداد كما فعلنا بعد حرب الخليج الثانية، على أمل أن تصبح فعّالة وتنال أوسع تمثيل في جميع أنحاء العراق، شيء، وأن ندعم نظامًا لا يسيطر على الأراضي الكرديّة في العراق، بل ويحظى بأدنى قدر من الدعم بين العرب السنّة، ويأخذ أوامره بشأن القضايا المصيريّة من طهران[٢]، شيء آخر تمامًا.

وكرّت سبحة «حرب العصابات» البيروقراطية، يومًا بعد يوم، في خلال النصف الثاني من شهر آذار/مارس. لكن بحلول ذلك الوقت، بتُّ واثقًا من أنّ النتيجة ما عادت موضع شكّ، على الرغم من التسريبات المدمّرة من قبل المعارضين، والتي راحت تتوقّع أوخم العواقب، جرّاء ذلك التصنيف الإرهابيّ. وأخيرًا، في ٨ نيسان/أبريل، أصدر ترامب الإعلان، مضيفًا أداة قويّة جديدة إلى جهودنا في فرض «الضغوط القصوى»[٣]. كانت «الضغوط» ستكون «أكثر شدّة» بعد، لو تمّ تطبيقها قبل ستّة أشهر أو أكثر، ولكنّها أظهرت جديّة في النيّات، أضيفت الآن إلى الآثار الاقتصادية المهولة للعقوبات نفسها المفروضة على إيران. كان الخناق يضيق أكثر فأكثر.

راح المعلّقون يذكرون بانتظام عدد المرّات التي لجأت فيها الإدارة الأميركيّة إلى العقوبات والتعرفات كأدوات للسلطة الوطنية ونفوذها. قد يكون هذا صحيحًا مقارنةً بعهود الرؤساء السابقين، ولكن لا دليل على أنّ هذه الإجراءات كانت فعّالة أو منهجيّة أو تمّ تنفيذها على أكمل وجه. لا بل كانت القصّة الحقيقيّة أكثر تعقيدًا، فبادئ ذي بدء، لم يكن ترامب ومنوشين، وزير الخزانة، مهتمّين أو حتى راغبَين في مواصلة سياسة العقوبات بحزم وثبات.

(١) يرجى المراجعة، على سبيل المثال: Tim Arango, «Iran Dominates in Iraq After U.S. 'Handed the Country Over,'» July 15, 2019, https://www.nytimes.com/2017/07/15/world/middleeast/iran-iraq-iranian-power.html; James Risen, Tim Arango, Farnaz Fassihi, Murtaza Hussain, Ronen Bergman, «A Spy Complexrevealed,» November 18, 2019, https://theintercept.com/2019/11/18/iran-iraq-spy-cables/; and NPR, «Iran's Powerful influence in Iraq,» January 4, 2020, https://www.npr.org/2020/01/04/793662756/iran-s-powerful-influence-in-iraq

(٢) المرجع السابق، والمرجع:
John Davison and Daphne Psaledakis, «Washington blacklists Iran-backed Iraqi militia leaders over protests.» December 6, 2019, https://www.reuters.com/article/us-iran-usa-iraq-sanctions/washington-blacklists-iran-backed-iraqi-militia-leaders-over-protests-idUSKBN1YA206

(٣) المرجع:
"Statement from the President on the Designation Of the Islamic Revolutionary Guards Corp as a Foreign Terrorist Organization,» 08.04.2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/statement-president-designation-islamic-revolutionary-guard-corps-foreign-terrorist-organization/

على العكس، جادل منوشين بأنّ الاستخدام المستمرّ للعقوبات والضغوط التي كنّا نمارسها على النظام الماليّ الدوليّ، ستؤدي مع مرور الوقت إلى إضعاف أداتنا هذه، حيث تسعى الدول التي تشملها العقوبات إلى التهرّب منها. وقد جادل كذلك الأمر، في أنّ استخدامنا إمكانية الوصول إلى النظام الماليّ الأميركي كإحدى أدواتنا الرئيسيّة، من شأنه أن يقوّض وضع الدولار كعملة احتياط في العالم كما ويشجّع دولاً أخرى، مثل روسيا والصين، على إجراء المعاملات باليورو أو من خلال التجارة المتبادلة وغيرها من التقنيّات. كان من المسلّم به أنّ البلدان ستحاول جاهدة التهرّب من العقوبات. الواقع أنّ السبب الحقيقيّ وراء عدم نجاح العقوبات بالقدر المتوقّع، ليس استخدامها مرارًا وتكرارًا، بل استخدامها بشكل غير فعّال، من قِبل كلّ من إدارتَي ترامب وأوباما. وفي حين أنّ الخشية من خسارة الدولار كعملة احتياطيّة، مشروعة نظريًّا، لكن الواقع يقول بأنه ما من بديل حقيقيّ منظور، للدول الفاسدة، إلّا في المستقبل البعيد. علاوة على ذلك، فإنّ حجج منوشين كانت ترقى إلى القول إن التهديد بالعقوبات، إنّما هو أكثر فاعلية من تطبيقها، الأمر المغلوط تمامًا.

في الحقيقة، الطريقة الصحيحة لفرض العقوبات هي القيام بذلك بسرعة وبشكل غير متوقّع؛ وجعلها واسعة وشاملة، وليس مجزّأة؛ ثمّ فرض تنفيذها بصرامة، باستخدام الأصول العسكريّة لمنع التجارة غير المشروعة، إذا لزم الأمر. تلك هي الصيغة التي استخدمتها إدارة بوش الأب، فور غزو صدّام حسين للكويت، في آب/أغسطس ١٩٩٠، وقد أتت بأثر مدمِّر. ومع ذلك، لم تكن كافية. على الرغم من الضعف الشديد الذي انتابه آنذاك، استمرّ العراق بتهريب ما يكفي من النفط لصموده، الأمر الذي استلزم في نهاية المطاف قوّة عسكرية لطرده نهائيًّا من الكويت. ولكن، في ما يتعلّق بوضع خريطة طريق لفرض العقوبات السريعة الشاملة، يظلّ قرارا مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة، ٦٦١، الذي يفصّل العقوبات على العراق، و٦٦٥، الذي يجيز استخدام القوّة العسكرية لتنفيذها، من الوثائق الأساسية. لكن، بدلاً من ذلك، وخاصّة في عهد أوباما، بدأ تطبيق العقوبات كما لو أنّها قرارات قضائيّة فرديّة ضدّ كيانات وأفراد معيّنين. كان هذا النهج قائماً في ظلّ عقوبات مخصصة لأغراض محدودة أكثر مما هي مخصصة للتعامل مع تهديدات ضخمة كمثل العراق في فترة ١٩٩٠-١٩٩١، ولكن، كان من الخطأ توسيع تلك الممارسة. وعوضًا عن ذلك، كان ينبغي تعديل التشريع حين يتوجَّب السماح بفرض عقوبات شاملة جذريّة، دونما تحقيقات شبه ادّعائيّة ودونما قرارات شبه قضائيّة لدى وزارة الخزانة.

لم ينقُض ترامب ومنوشين سياسات حقبة أوباما تلك؛ ومن المفارقة أنّه تمّ توسيعها وإضفاء الطابع المؤسّساتي عليها. جاءت عمليّة صناعة قرار العقوبات لتشبه تلك المقاضاة بين «جارندايس» و«جارندايس» في رواية تشارلز ديكنز الشهيرة، «المنزل الكئيب». علاوة على ذلك، كان منوشين نفسه معارضًا شرسًا للتغطية الإعلاميّة السلبيّة، لدرجة أنّه أخذ يقارب كلّ قرار جدليّ بشأن أيّ

عقوبات محتملة. بشيء من التوتّر. في الأيّام الأولى للإدارة، استمتع منوشين بالشعبيّة التي اكتسبها مع فرضه عقوبات جديدة، ولكن عندما أصبحت الأمور أكثر صعوبة وتعقيدًا، غدا هو أيضاً أكثر عصبيّة. بالعودة إلى الحكومة، وبعد حوالى اثنتي عشرة سنة، فوجئتُ برؤية حجم الدور السياسي الذي تلعبه وزارة الخزانة الآن، في ما يتعلّق بقرارات العقوبات. بدلًا من أن تكون مجرّد آليّة تنفيذيّة عمليّة، باتت وزارة الخزانة تتطلّع إلى رسم السياسات الخارجيّة، ممّا كان في رأيي غير مناسب بل وغير سليم. وهذا ما أثار أيضًا مسألة أخرى، ألا وهي: هل يجب، كما هي الحال مع وظائف أخرى منوطة بتنفيذ القانون لدى الخزانة وكانت نُقلَت في وقت سابق إلى الأمن القوميّ، أن تُرحَّل عملية تنفيذ العقوبات إلى مكان آخر: وزارة العدل، التجارة. أو حتى الدفاع؟

كان خطر تقويض الدولار الأميركي كعملة احتياطيّة عالميّة أمرًا مهمًّا من الناحية النظرية، لكنّ هذا الخطر بالذات لطالما كان موجودًا، ولو بشكل مستقلّ عن تأثيرات العقوبات الأميركية. في الواقع، أدّت عملات أخرى أدوارًا رئيسيّة في شؤون مالية دولية. كما خلق ظهور اليورو على الساحة منافسًا أكثر أهمّية. من ناحية أخرى، ربطت بعض الدول عملاتها بالدولار، فتحدّث الاقتصاديون عن «دولرة» الاقتصادات الوطنيّة، بقرار رسميّ في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى، من خلال الممارسة الواقعيّة وحسب. إذن، لم تكن التيّارات كلّها تصب في اتّجاه واحد. في الواقع، تحوّل «التهديد» لوضع الدولار إلى مجرّد حجّة أخرى «منوشينيّة»، عندما كان الأخير حريصًا على فرض العقوبات، ولو تحت طائلة مواجهة وابل الانتقادات الإعلاميّة. كما قال ويلبر روس في سياق موضوع فنزويلا، بدا منوشين في كثير من الأحيان أكثر حرصًا على الشركات الأميركية التي كانت تنام مع العدوّ، منه على إنجاز المهمّة التي كنّا نحاول تحقيقها. من النادر جداً في عالم الشؤون الدوليّة الفوضويّ، أن يكون التهديد بالفعل أقوى من الفعل نفسه. لو كانت السيوف الاقتصاديّة الأميركية مشحوذة أثناء إدارة ترامب. لكنّا أنجزنا أكثر من ذلك بكثير.

إحدى القضايا التي ينبغي أن تكون من بين الأسهل حلًّا، ولكنّها بدت في الواقع أكثرها إجهادًا واستنفادًا، كانت: إلى أيّ مدى يمكن تضييق الخناق على الصناعة النفطيّة الإيرانية؟ كان الردّ المشترك والثابت على أيّ اقتراح حول تشديد العقوبات النفطيّة ضدّ إيران (أو فنزويلا في هذا الصدد) هو أنّ أسعار النفط العالميّة ستشهد ارتفاعاً مفاجئاً. وإنّما معظم هذا الضجيج جاء من منوشين ووزارة الخزانة، أي من مصدر غير متوقّع في مجال الخبرة في أسواق النفط العالميّة. وقد أكّد رئيس المجلس الاقتصادي الوطني، لاري كودلو، كما ووزير الطاقة، ريك بيري، ورئيس مجلس المستشارين الاقتصاديين، كيفين هاسيت، مرارًا وتكرارًا، أنّ إمدادات النفط العالمية ومستوى القدرة الإنتاجية للنفط ستخفّف من تأثير الأسعار نتيجة تشديد العقوبات. ومن جهته، شدّد هاسيت على إحصائيات مثيرة للاهتمام مفادها أنّ الزيادات في إنتاج النفط

الأميركي المحلّي منذ انتخاب ترامب رئيسًا، قد قزّم نسبة الانخفاضات في مبيعات إيران جرّاء إزالة الإعفاءات عن شراء النفط الإيرانيّ والتي كانت متاحة لبعض البلدان - وعن خطأ برأيي - عندما دخلت العقوبات حيّز التنفيذ في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨. وأبعد من ذلك، أشار هاسيت إلى أنّه بالنظر إلى دور أميركا الذي تمّ تعزيزه كمُنتِج للنفط، فإنّ ارتفاع أسعار النفط أدّى بالفعل إلى تعزيز الناتج المحليّ الإجماليّ للولايات المتحدة، حتى ولو كانت لأسعار الاستهلاك المرتفعة آثار سلبية مقابلة. بشكل عام، وبالنسبة إلينا، كانت تلك معادلة متساوية، من الناحية الاقتصاديّة.

لكنّ حجج منوشين كانت ذات وزن، لأنّ ترامب كان ثابتاً في اعتقاده بأن حلفاءنا لم يقوموا يومًا بالمطلوب. ممّا كان صحيحًا فعلًا بالنسبة إلى إيران. فقد أمضت فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة سواد وقتها في محاولة إنقاذ الاتّفاق النووي الإيراني، بدلاً من الضغط على آيات الله. لا هُم ولا الأميركيون الذين دعموا اتّفاق أوباما، قد سلّموا يومًا بأنّ العقوبات الأميركية الأحادية قادرة على تدمير الاقتصاد الإيراني، على الرغم من أنّ هذا كان تأثيرها بالضبط. بل وعارضوا إثبات وجهة نظرهم بشكل أوضح من خلال فرض عقوبات أشدّ صرامة. وبناء على ذلك، أتى النجاح في تشديد العقوبات متباينًا. لو أنّنا نحن المتشدّدين أقنعنا ترامب بالضغط على منوشين، لكنّا شهدنا تقهقرًا اقتصاديًا أكثر دراماتيكيّة في إيران، بيد أنّ ذلك لم يحدث. لربّما استطاع ترامب إطلاق مبادرات بالسياسة، لكنّ افتقاره إلى التماسك والثبات والعزيمة، كان يأتي دائمًا أبدًا ليقوّضها. وهكذا كان في العقوبات على إيران.

إحدى الثغرات المهمّة لصالح إيران تمثّلت في الاستثناءات النفطيّة المُتاحة لثماني دول (تايوان والصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية وإيطاليا واليونان وتركيا) عندما بدأ سريان العقوبات المتجدّدة في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، وذلك بعد ستّة أشهر من انسحاب الولايات المتحدة من الاتّفاق النووي، المذكور أعلاه. سرعان ما أوقفت تايوان واليونان وإيطاليا عمليّات شراء النفط الإيراني، لذلك، عدم تجديدنا إعفاءات الأخيرة كان من المسلّمات. بالمقابل، وجد بيروقراطيّو وزارة الخارجية أسبابًا لا حصر لها لتمديد الإعفاءات الأخرى، مع سيطرة سياسة «الزبائنية». «لكنّ الهند مهمّة للغاية»، أو «اليابان مهمّة»، كما قال مسؤولون، مجادلين بأن نصائح «تلك» البلدان، وليس المصالح الأميركية هي التي كانت على المحكّ[1]. وفي هذا السياق، كانت الهند إحدى أسوأ الحالات، ذلك أنها كانت، مثل غيرها، تشتري النفط الإيراني بأسعار أقلّ بكثير من السوق العالميّة،

(١) "Clientitis" and other institutional problems of State's bureaucracy are discussed in Boston, Surrender Is Not an Option, on pp. 447–455.

كون إيران في أمسّ الحاجة إلى تحقيق مبيعات[1]. بالفعل، اشتكت الهند من أنّها ستكون مغبونة، ليس فقط لاضطرارها إلى العثور على مورّدين جدد، ولكن أيضًا لأنّ المصادر الجديدة ستصرّ على اعتماد الأسعار السائدة في السوق! كان طرح الهند لهذه الحجّة مفهومًا، ولكن، ما هو غير مفهوم، أن يتلقّفها البيروقراطيّون الأميركيون ويردّدوها بتعاطف.

كان بومبيو متردّدًا، عالقًا بين ضغوط متضاربة، وقد شكّك في أنّ الدول العربيّة المنتجة للنفط ستفي فعلًا بوعودها بشأن زيادة الإنتاج، وذلك للتعويض عن «خسارة» النفط الإيرانيّ الذي تشمله الاستثناءات. بالطبع والحال هذه، كان من البديهيّ أن تبلغ أسعار النفط العالميّة ذروتها. وبينما كان ترامب يتأرجح، في أيّ يوم كان وبشأن أيّ قضية كانت، راحت كفّة ميزانه تميل أكثر فأكثر إلى جانب «إنهاء الاستثناءات». فقد قالها صراحة في المكتب البيضاويّ، في ٢٥ آذار/مارس، «أنا على استعداد لقطعها»، ثمّ في ١٢ نيسان/أبريل: «زيدوا العقوبات. إلى الحدّ الأقصى. وافعلوا ذلك على الفور، بما في ذلك على النفط»، ثمّ في ١٨ نيسان/أبريل: «لا تدعوا شيئاً يمرّ». وفي مكالمة هاتفيّة مع بومبيو، لم يظهَر ترامب متعاطفًا مع رئيس الوزراء الهنديّ، ناريندرا مودي، وقد قال: «سيكون بخير». أتذكّر محادثة مماثلة تعكس عدم مبالاة ترامب بإخطار الحلفاء بقرارات الاستثناءات. في ما يتعلق برحلة أحد القادة الأجانب إلى واشنطن، والتي أثارت أيضًا مسألة إنهاء أحد الاستثناءات، كان لدى ترامب اقتراح جاهز: «افعلوا ذلك قبل أن يصل إلى هنا، وبعد ذلك سأقول إنّني لم أكن أعرف شيئًا عن الأمر»، و«افعلوها في وقت مبكر من الأسبوع. لا أريد أن يظهر أن لي صلة بالأمر».

في ٢٢ نيسان/أبريل، بعد ستّة أشهر من معارضة لا نهاية لها، ولا داعي لها، استنفدت الوقت كلّه، وقد قادها العديدون داخل الإدارة، لكن بدعم من واسع النطاق من جمهوريّي الكونغرس، أعلن البيت الأبيض عن نهاية الاستثناءات[2]. فوجئ الكثير من الإعلاميين، ممّن كانوا استمعوا إلى تسريبات البيروقراطية بعكس ذلك. كان الموظفون من عسكريّين ومدنيّين أميركيين في المنطقة في حال تأهّب حقّة للمرحلة المناسبة، وقد أوضحنا تمامًا أنّنا سنحمّل إيران مسؤولية أيّ ردّ انتقاميّ. كانت تلك خطوة مهمّة إلى الأمام، على الرغم من أنّ الإعفاءات لم يكن من المفترض منحها أساسًا.

(١) See, e.g., Florence Tan, Reuters, "Iran keeps oil prices in Asia at wide discounts against Saudi oil in January," December 10, 2019, https://www.reuters.com/article/us-oil-iran-prices/iran-keeps-crude-prices-in-asia-at-wide-discounts-against-saudi-oil-in-january-idUSKBN1OA056 and Irina Slav, "Iran is desperately trying to save its oil share ahead of US sanctions," August 15, 2018, https://www.businessinsider.com/iran-us-oil-sanctions-drive-barrel-discounts-before-november-2018-8

(٢) See Lesley Wroughton et al., "US to end all waivers on imports of Iranian oil, crude price jumps," https://www.reuters.com/article/us-usa-iran-oil/us-to-end-all-waivers-on-imports-of-iranian-oil-crude-price-jumps -idUSKCN1RX0R1

تمّ الإعلان عن العقوبات الأوّلية في أيار/مايو ٢٠١٨، ليبدأ سريانها بعد ستّة أشهر. كان ذلك أكثر من كاف لجميع الأطراف المعنيّة، للقيام بترتيبات بديلة. أمّا الخلاصة الحقيقيّة فكانت أنّ العقوبات على أيِّ معاملات «جديدة» محتملة، إنّما يجب أن تكون سارية المفعول فور إنهاء الاتّفاق النووي الإيراني. ربّما بدا ذلك مناسبًا في ما يتعلّق بالمعاملات الورقيّة العتيقة القائمة، والتي تمّ اختراقها «بكلّ براءة»، ولكن، مهلة ستّة أشهر لإنهاء هذه الصفقات، كانت سخية للغاية. لا بل أن مهلة تسعين يومًا تعتبر أكثر من كافية. منح إيران ستّة أشهر كاملة قبل الإجهاز سواء على المعاملات القائمة أو المحتملة، كان هديّة من الله، لا تستحقّها طهران. في الواقع، يجب على الإدارة المقبلة إصلاح نهج منوشين على الفور، حتى يتنبّه الجميع إلى أنّ العقوبات هي حقًّا سلاح اقتصاديّ سوف نستخدمه بفاعلية، وليس شيئًا نشعر بالذنب تجاه تعميمه.

شكّلت «الإعفاءات النووية» مجموعة أخرى من الاستثناءات التي تسمح بجدل لا ينتهي، والتي تسمح بتلقّي مساعدة غربيّة أو بالتعاون مع عناصر من البرنامج النووي «المدنيّ» المزعوم لإيران. وترجع تلك المجموعة إلى تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، تاريخ معاودة الشروع بالعقوبات، بحيث إن وزارة الخارجية وعلى الرغم من اعتراضات مجلس الأمن القوميّ، أصدرت في الأساس سبعة استثناءات من هذا القبيل. لم تكن جميعها خطيرة بالقدر عينه في مجال تعزيز العمل النووي الإيراني، لكنّ رمزيّتها السياسيّة كانت سيئة. مع دنوّ أجَل استثناءات أيار/مايو ٢٠١٩، رحنا نسعى إلى اتّفاق داخليّ في الإدارة الأميركيّة. ينهي بعضها على الأقلّ، ويقلّص مهلة بعضها الآخر إلى تسعين يومًا. لم تكن جهودنا مثمرة كما كنت آمل، غالبًا لأنّ الحكومة شنّت حرب خنادق لإنقاذ أكبر عدد ممكن من الاستثناءات. ومع ذلك، في أوائل شهر أيار/مايو، أنهينا استثناءين، ما قلّص العدد المتراكم إلى خمسة، وكان كلّ ما تبقّى محدودًا من حيث المدّة والنطاق. قبل أن أغادر، كانت نقطة ارتكاز مقاومة إنهاء الاستثناءات، قد انتقلت إلى منوشين والخزانة. راحوا يجادلون بأن رفع الاستثناءات سيضرّ بالمصالح الصينية والروسية المهمّة، ولذلك يجب علينا تمديدها. قمتُ ومنوشين وبومبيو بمناقشة المسألة أمام ترامب في المكتب البيضاويّ، في ٢٥ تموز/يوليو. بيد أنّ مخاوف منوشين بشأن الصين وروسيا، تفوّقت على محاولاتي الجاهدة لزيادة الضغوط على إيران: كان بومبيو آنذاك، صامتًا إلى حدّ كبير.

* * *

غالبًا ما اشتكى ترامب من أن الناس في جميع أنحاء العالم يريدون التحدث إليه، ولكن بطريقة ما لم يتمكنوا من الوصول إليه. لذلك، ليس من المستغرب أن يبدأ التفكير بفتح حوار مع إيران. أجرى وزير الخارجية الإيراني، جواد ظريف، سلسلة من المقابلات في نيويورك قال فيها إن ترامب

يريد الحوار، بينما أنا وبنيامين نتنياهو، وولي العهد السعودي محمد بن سلمان، كنا نحاول بدلاً من ذلك الإطاحة بنظام آيات الله[1]. يا حبذا. أبعد من ذلك، أراد الرئيس الإيراني حسن روحاني الحوار، وكذلك أراده بوتين. والجميع أراد التحدث إلى ترامب والتحاور معه. لكن أحداً ما كان يمنع ذلك. بالطبع، لم يبذل لا بوتين ولا روحاني أي جهد للتواصل معنا، وبقدر ما تحدث ظريف والآخرون لوسائل الإعلام، كانوا يتلاعبون بغرور ترامب. والنسخة الأخيرة من هذا الموضوع، الذي أتقنه كيم جونغ أون كانت تقضي بانتقاد مساعدي ترامب من خلال إقناعه بأنه هو وحده يستطيع إحداث الفرق. حاولت إيران وكوبا وكوريا الشمالية مرة أخرى في أواخر نيسان/أبريل، وكانت هناك كل الأسباب للاعتقاد بأن هذا التكتيك سينتشر. كان هذا النهج ذكيًا جدًا، لأن هذا بالضبط ما اعتقده ترامب. ما لم يستطع قبوله هو أن هؤلاء الخصوم أرادوا محاورته كي يسجّلوا من خلاله تقدّماً على صعيد الامتيازات التي تمنحهم إياها الصفقة، مقارنةً مع ما كانوا سيحقّقونه عبر المفاوضة مع مستشاريه المزعجين. قررت إخبار ترامب بذلك في اليوم الذي أخرج فيه من منصبي، والذي كان يقترب.

في اجتماعه في البيت الأبيض في نيسان/أبريل مع آبي، قال ترامب إنه لا علاقة لي ولبومبيو بإيران، وهو لم يكن لديه أي علاقة على الإطلاق مع إيران على عكس آبي. هذا ما اعتقد ترامب أن الجغرافيا السياسية الدولية كانت تدور حوله. ربما هكذا هي الحال في قطاع العقارات في نيويورك. إذا عدنا للوقت الذي أدلى فيه ترامب بهذه التصريحات، نجد أنها أول إشارة إلى أن لدى ترامب وظيفة لآبي، وهي لن تؤدي إلى نتيجة جيدة. لم تطل هذه المناقشة قبل أن يغير ترامب، الذي كان يحلق في أجواء الأخبار الاقتصادية الممتازة صباح اليوم، الموضوع فجأة فيوجه ضربة خاطفة إلى رئيس مجلس الاحتياطي الفدرالي جيروم باول واصفاً إياه «بالأحمق في الاحتياطي الفدرالي» بسبب ارتفاع أسعار الفائدة. لكن، في ٣٠ نيسان/أبريل، في مكالمة هاتفية مع ماكرون، أثار ترامب الفكرة مرة أخرى، وشجع ماكرون، الذي واصل الالتزام بالاتفاق النووي الإيراني، على اغتنام هذا الانفتاح الواضح في الموقف الأميركي. كان ترامب القائد الوحيد في العالم الذي لا يعتبر أن المحادثات تضعف موقفنا العام، على الرغم من أن الآخرين، الأصدقاء والأعداء على حد سواء، اعتبروها إضعافاً. لم يستطع ترامب أن يوقف نفسه: «أنا ثرثار، أحب الكلام». هذه هي استراتيجية إدارة ترامب الكبرى.

في الوقت نفسه، كانت إيران تستعد لحملة كبرى ضد المصالح الأميركية في الشرق الأوسط. حيث قامت بتسليح المتمردين الحوثيين اليمنيين والميليشيات الشيعية العراقية بصواريخ أكثر تطوراً

(١) See "Zarif: B-Team targeting Iranian people with economic terrorism," https://en.mehrnews.com/news/144632/Zarif-B-Team-targeting-Iranian -people-with-economic-terrorism

وطائرات مُسيَّرة عن بعد. كان فيلق القدس، الذي صنع حزب الله اللبناني فعلياً، يقدم دعماً حاسماً لنظام الأسد في سوريا، واستفادت كل من بيروت ودمشق من القدرات العسكرية المتزايدة التي قدمتها طهران (على الأقل عندما لم تكن إسرائيل تدمر الشحنات الإيرانية بضربات جوية متكررة في سوريا ولاحقاً العراق). كما قامت إيران بتوسيع مساعدتها لحركة طالبان، لتثبت مرة أخرى أنها دولة راعية للإرهاب، السني أو الشيعي بشكل متوازن، مادام أنه يخدم مصلحة إيران الوطنية(١). كرد فعل دفاعي، زاد البنتاغون الأصول العسكرية الأميركية في المنطقة، بما في ذلك التعجيل بنشر حاملة الطائرات أبراهام لينكولن وقوتها الضاربة. أصدرنا بيانًا عامًا توضيحيًا في ٥ أيار/مايو، باسمي(٢). سبب ذلك ضجة في الصحافة، وتساؤلاً حول لماذا لم يأت البيان من البنتاغون. الإجابة؟ اتصل دانفورد ليقول: «مرحبًا أيها السفير، أحتاج إلى بعض المساعدة هنا»، محاولاً الحصول على البيان من خلال بيروقراطية البيت الأبيض، والتي أصبحت أكثر تعقيدًا مثل الحكومة. قال لي دانفورد بعد ذلك ببضعة أيام، «لدينا مثل يحكى: «في الحرب، أحيانًا تكون الأمور البسيطة صعبة». كنت سعيدًا للمساعدة. حُلّ اللغز.

لم يكن التصعيد الإيراني خطوة قام بها القادة الميدانيون في فيلق القدس، بل كان تصعيدًا منهجيًا لما أسمته إيران «المقاومة القصوى»(٣) للضغوط الأميركية. أبرز هذا التحول في استراتيجية إيران، ودعمها المستمر للجماعات الإرهابية والقوات البديلة الأخرى، مخاطر أي ضعف محسوس في عزيمة الولايات المتحدة، يؤدي إلى أن تستنتج طهران أن لها اليد العليا. على مدى الأشهر الأربعة التالية، جعل سلوك ترامب الشاذ هذا الخطر واضحًا. في غضون ذلك، أعلن روحاني في ٨ أيار/مايو أنه بعد ستين يومًا ستكون إيران مستعدة لانتهاك أربعة عناصر رئيسية في الاتفاق النووي، وهي: (١) الحد من مخزونها من اليورانيوم منخفض التخصيب (المفاعلات) إلى ٣٠٠ كجم. (٢) اختصار مخزونها من الماء الثقيل إلى ١٣٠ طنًا متريًا (مع استعداد إيران لبيع أي فائض للتصدير)؛ (٣) الحد من

(١) See, e.g., Ariane Tabatabai, "Iran's cooperation with the Taliban could affect talks on U.S. withdrawal from Afghanistan," August 9, 2019. https://www.washingtonpost.com/politics/2019/08/09/irans-cooperation-with-taliban -could-affect-talks-us-withdrawal-afghanistan/; and Reuters, "In new claim, Pompeo says Iran has been working with Taliban to undermine Afghan peace effort," January 7, 2020, https://nationalpost.com/news/world/in-new-claim-pompeo-says-iran-has-been-working-with-the-taliban-to-undermine-afghan-peace-efforts

(٢) See "Statement from the National Security Advisor John Bolton," May 5, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/statement-national -security-advisor-ambassador-john-bolton-2/

(٣) See Tehran Times, "'Maximum pressure' has produced 'maximum resistance,' says Iran's Araqchi," September 23, 2019, https://www.tehran times.com/news/440423/Maximum-pressure-has-produced-maximum -resistance -says-Iran-s

مستوى تخصيب اليورانيوم إلى ٦٧, ٣ في المئة من نظائر اليورانيوم -٢٣٥ (أي التحرك نحو مستويات تخصيب أعلى تقترب من درجة الأسلحة)؛ (٤) منع مفاعل آراك الذي يعمل بالماء الثقيل من التحول إلى مفاعل منتج للبلوتونيوم، وهو بديل لليورانيوم المخصب للمواد الانشطارية في الأسلحة النووية[١]. وهدد روحاني، في رسالة موازية لبوتين، بالانسحاب من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وهو تحول مثير للاهتمام لبلد يزعم أنه لا يسعى إلى الأسلحة النووية[٢].

كانت الحدود الأربعة التي ترفضها إيران أساسية في الاتفاق النووي. إذا كان برنامجها النووي حقاً مدنيًا فقط بطبيعته، فلن تكون طهران بحاجة إلى خرق أي من القيود. كان التفسير العقلاني الوحيد لتهديد روحاني هو تقليص «وقت الاختراق» لإيران للحصول على ما يكفي من اليورانيوم عالي التخصيب لبدء تصنيع الأسلحة. لفتت المطالب الابتزازية لروحاني والمسار الناتج عنها نحو الأسلحة النووية انتباه الأوروبيين. قد تكون هذه لحظة الحقيقة لبريطانيا وفرنسا وألمانيا، لكنها لم تكن كذلك. لقد رفضوا شروط روحاني بسبب نبرته لكنهم تجاهلوا جوهر تصريحاته[٣].

في البنتاغون، قال دانفورد إنه يريد أهدافًا واضحة وأوامر واضحة إذا كان عليه أن يأخذ احتمال القيام بعمل ضد إيران على محمل الجد. جزئياً، عكس هذا حجة ماتيس: أدرجت استراتيجية الأمن القومي الصين وروسيا وكوريا الشمالية وإيران على أنها تهديداتنا الرئيسية، مما يعني، وفق كلام ماتيس، أن إيران كانت تمثل تهديدًا من «المستوى الرابع»، في إشارة إلى أنها لا تستحق الكثير من الاهتمام. على الرغم من أنه تمت كتابة هذه الاستراتيجية قبل وصولي، إلا أنني كنت أفترض دائمًا أن هذا يعني أن هذه البلدان الأربعة، مجتمعة، تمثل «المستوى الأول» من التهديدات. في هذا المستوى الأول، ربما تكون إيران في المركز الرابع، ولكن فقط لأننا لم نكن على قناعة بعد بأنها تمتلك أسلحة نووية.

جادلت بأنه إذا كانت سياستنا تهدف لمنع إيران من الحصول على أسلحة نووية، فيجب

(١) See Tamer El-Ghobashy, Michael Birnbaum and Carol Morello, "Iran announces it will stop complying with parts of landmark nuclear deal," May 8, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/iran-to-take-steps-to-reduce-its-commitment-to-landmark-nuclear-deal/2019/05/07/90cc3b1c-70fe-11e9-9331-30bc5836f48c_story.html

(٢) Ibid., and "Kremlin: Russia warned Iran against withdrawing from nuclear non-proliferation treaty," May 30, 2019, https://uawire.org/kremlin-russia -warns-iran-not-to-withdraw-from-nuclear-non -proliferation-treaty

(٣) See Michael Peel and Najmeh Bozorgmehr, "European power reject Iran 'ultimatums,'" https://www.ft .com/content/247236ba-7234-11e9-bf5c-6ccb837566c5

أن نكون مستعدين لاستخدام القوة العسكرية. ظلّ الناس على مدى خمسة وعشرين عاماً غير مستعدين لفعل ما هو ضروري لمنع كوريا الشمالية من امتلاك أسلحة نووية، وقد أوصل ذلك إلى امتلاك كوريا الشمالية بالفعل أسلحة نووية. رويت كيف قال بوش الإبن إنه «من غير المقبول» أن تمتلك إيران أسلحة نووية، وكنت أقول، «أعتقد أنه عندما يقول الرئيس إنه غير مقبول، فهذا يعني أنه غير مقبول». لقد كنت مخطئاً. ليس هذا ما قصده بوش (أو أسلافه أو خلفاؤه) حقًا. لقد قبلنا بالفعل حصول كوريا الشمالية على أسلحة نووية. لتجنب هذه النتيجة مع إيران، كان علينا أن نستمر في الضغط، اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا.

سأل دانفورد عما إذا كنت أعتقد حقًا أن سياسة «الضغوط القصوى» المعلنة من قبل الإدارة ستغير سلوك إيران. قلت إنه من المستحيل تقريبًا تصور تغيير مسار النظام الحالي، وإن الوسيلة الوحيدة لمنع إيران في نهاية المطاف من امتلاك أسلحة نووية هي تغيير النظام بالكامل. كنا أمام ما يُرجح أنه فرصتنا الأخيرة. وقال دانفورد إنه يقيّم الأمر بنفس الطريقة. كان يعتقد أن إيران لا تظن أننا جادون في استخدام القوة، سواء في القضية النووية أو حتى في الدفاع عن أنفسنا ضد الهجمات التي نشعر بالقلق بشأنها الآن من فيلق القدس في الخليج. البحر الأحمر والعراق وأفغانستان. هذا ما كان يقصده دانفورد عندما كان يشعر بالقلق من أن إيران سوف «تخطئ في التقدير»: اعتقدت طهران بأنها يمكن أن تطور أسلحة نووية أو حتى أن تهاجمنا في المنطقة دون خوف من الانتقام[1]. ربما فوجئ دانفورد وشاناهان بسماع كل هذا، فقلت، «ليس الأمر كما لو كنت أخفي وجهات نظري حول هذا على مر السنين»، وهو أمر اعترفوا به ضاحكين. كانت هذه مناقشة مفيدة للغاية. على عكس ماتيس، فكرت بأن دانفورد لم يكن يحارب هذا الاستنتاج. أراد فقط أن يتأكد من فهمنا للتبعات. وقد توضح له بالفعل أنني أعي التبعات. كان هذا على الأقل جزءًا من «المناقشة الكبرى» التي أرادها دانفورد بشأن إيران.

خلال هذه الأيام، ذهبت إلى الكونغرس بشكل متكرر لإطلاع أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ الرئيسيين، بما في ذلك ميتش ماكونيل في وقت لاحق يوم ٩ أيار/مايو، على ما نواجهه. وفي الختام، قال ماكونيل: «أنا لا أحسدك على عملك»، فقلت، «يمكنني أن أقول الشيء نفسه عن عملك». ضحك ماكونيل وأجاب: «عملك أصعب بكثير من عملي».

كان تاريخ ردودنا غير الكافية على ضربات إيران المباشرة ضد أهداف مدنية وعسكرية

---

(١) للحصول على ملاحظات عامة من دانفورد على هذا المنوال، راجع آدم تواردوسكي، ٤ حزيران/يونيو ٢٠١٩،
“At Brookings, Gen. Joseph Dunford comments on threats from China, Russia, North Korea and beyond», https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2019/06/04/at-brookings-gen-joseph-dunford-comments-on-threats-from-russia-china-north-korea-and-beyond/

أميركية في الشرق الأوسط موجوداً في السجل العام بالكامل، بدءًا من الاستيلاء على سفارتنا في طهران في العام ١٩٧٩ والهجوم المدفوع إيرانياً في العام ١٩٨٣ على ثكنات مشاة البحرية في بيروت (مما أدى إلى انسحاب القوات الأميركية والفرنسية والإيطالية من لبنان)، واستمرار غياب الانتقام الأميركي لهجمات إيران عبر الميليشيات الشيعية على سفارتنا في بغداد وقنصليتنا في البصرة في أيلول/سبتمبر ٢٠١٨. هذه السلسلة الطويلة من السلبية، التي امتدت حتى يومنا هذا، أقنعت إيران بأنها يمكن أن تتصرف في المنطقة دون عقاب فعلي.

في الوقت الذي كان هذا النقاش الأخير حول إيران جارياً داخل الإدارة، كان رأيي أن لدى البنتاغون الكثير من العمل للقيام به لتعويض عدم اهتمام ماتيس بمواجهة برنامجها للأسلحة النووية. خلال هذه الفترة من المناقشات الداخلية حول إيران، سأل أحد الصحافيين ترامب، «هل أنت راضٍ عن النصيحة التي تلقيتها من جون بولتون؟» أجاب ترامب، «نعم، جون جيد جدًا. ولديه وجهات نظر قوية في الأمور، ولكن لا بأس. أنا في الواقع ألجم جون، وهذا أمر مدهش، أليس كذلك؟ لا أحد كان يعتقد أن ذلك قد يحدث، وأكون أنا من يلجمه. لكن لا مشكلة، فلدي جهات مختلفة. أعني، لدي جون بولتون، ولدي أشخاص آخرون أكثر حمائمية منه. وفي النهاية، أنا من يتخذ القرار. أما جون فيعجبني. أنا أحصل على نصائح جيدة للغاية من جون»[1]. «هل يمكنك أن تتخيل الكلمات التي نقلتها وسائل الإعلام؟ وصفت مديرة اتصالات البيت الأبيض ميرسي شلاب لهجة ترامب بأنها «عاطفية»، فأخبرتها أنها صدمتني كونها متفائلة.

في ٩ أيار/مايو، قمنا بتحويل الإحاطة الاستخبارية المنتظمة لترامب إلى نقاش أكبر حول إيران، بحضور شاناهان ودانفورد وبومبيو أيضًا إلى جانب الطاقم العادي. بينما كنا نجلس أمام مكتب «ريزولوت»، توجّه ترامب بالتهنئة لشاناهان، مما أثار الارتباك، قبل أن يضيف ترامب، «أنا أرشحك كوزير للدفاع»، مما جلب الموافقة العامة والمصافحة، على الرغم من أن القرار تأخر كثيراً. وقد أطلع بومبيو ترامب على زيارته الأخيرة للعراق، والتي أدت في النهاية بترامب إلى تعداد أخطاء إدارة بوش الإبن: «أسوأ رئيس كان لدينا على الإطلاق»، قال ترامب. وكما الحال غالبًا عند مناقشة إيران، أثار ترامب موضوع جون كيري، إذ إن ترامب كان مهووسًا بفكرة مقاضاته لانتهاكه قانون لوغان، وهو قانون نادرًا ما عُمل به منذ عام ١٧٩٩، يحظر على المواطنين العاديين التفاوض مع الحكومات الأجنبية. بلا شك، كان كيري يحاول إقناع إيران بالبقاء في الاتفاق النووي الإيراني وانتظار ترامب حتى العام ٢٠٢٠، إلى أن يفوز ديمقراطي بالتأكيد بالانتخابات ويعيده. ومع ذلك،

(١) See "Remarks by President Trump on Ending Surprise Medical Billing," May 9, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-ending-surprise-medical-billing/

فإن مقاضاته لم تكن لتنجح. ينتهك قانون لوغان التعديل الأول، وكقانون جنائي، يعتبر باطلاً وغير دستوري بسبب عدم وضوحه، ولكنه لايزال يُستخدم في كثير من الأحيان لتخويف المتهورين. برأي ترامب، تم تهديد مايك فلين، مستشاره الأول للأمن القومي، بشكل غير عادل بالملاحقة القضائية بموجبه، وهذه كانت نقطة صحيحة، وأراد أن يمارسها ضد كيري. في اجتماع بعد آخر في المكتب البيضاوي، طلب ترامب من المدعي العام وليام بار أو من أي أحد يسمع، بدء المحاكمة. أنا واثق أن أحداً لم يقم بشيء من هذا القبيل قط. حاولت في وقت مبكر أن أوضح لترامب احتمال إعلان قانون لوغان غير دستوري إذا تم اختباره في المحكمة، لكنني فشلت تمامًا. ما دام ترامب رئيسًا، وربما بعد ذلك، سيبحث عن محامٍ مستعد لمحاكمة كيري. لو كنت كيري، لما كنت سأقلق أبداً.

بالعودة إلى الواقع، شدد دانفورد على أن إيران لا تعتقد بأننا سنرد على الهجمات التي تفكر فيها. أجاب ترامب على الفور: «إنهم لا يفهموننا جيدًا». تحدثنا عن مختلف الخيارات العسكرية وغيرها، ثم عاد بالطبع ترامب إلى كيري: «أنا متفاجئ لأنهم لا يتصلون (إيران). بسبب قول كيري: 'ستجعلونني أبدو سيئاً'، سننتصر».

فوجئ دانفورد وآخرون، وأنا منهم، بمدى تفاؤل ترامب في ضرب بعض الأهداف التي اقترحتها، حيث قال دانفورد، بشكل صحيح، «يجب أن تكون مستعدًا للخطوة التالية».

أجاب ترامب: أنا مستعد. «الرئيس كيم سيشاهد. قد ترغبان [شاناهان ودانفورد] بالتفكير في الاستعداد العسكري».

رد دانفورد، «لهذا السبب نحن هنا، سيدي الرئيس»، موضحًا تفاصيل ما هو مطلوب.

لم يوافق ترامب على تفويض مطلق، لكنه قال إنه يريد من الحلفاء العرب دفع التكاليف، وهو موضوع مألوف.

بعد أن ناقشنا كوريا الشمالية وفنزويلا وإسرائيل وسوريا وبعض الموضوعات الأخرى، انتهى الاجتماع. عدت إلى مكتبي، حيث تجمع آخرون لمتابعة الحوار. سألت شاناهان ودانفورد عما إذا كانا قد حصلا على ما يحتاجان إليه من ترامب، وكان من الواضح أنهما يعلمان بالضبط ما يريده ترامب، ما شكّل لي تحوّلاً جذرياً عن منهج ماتيس.

اتصلت بي غرفة العمليات في وقت مبكر من يوم الأحد، ١٢ أيار/مايو، للإبلاغ عن إصابة ناقلة نفط بالقرب من مضيق هرمز بنوع من الذخيرة وكانت مشتعلة. ربما تم ضرب ما يصل إلى أربع سفن. طلبت من غرفة العمليات إيقاظ كوبرمان وآخرين إذا لم يكونوا قد استيقظوا بعد. استحممت، وارتديت ملابسي، واتجهت إلى البيت الأبيض برفقة مجموعة حراستي من الاستخبارات. اتصلت بدانفورد من السيارة بعد الساعة الخامسة بقليل، ووجدت أن لديه نفس المعلومات. وصلت إلى الجناح

الغربي حوالي الساعة ٥:٢٠، واتصلت على الفور بدان كوتس للتأكد من أنه على علم. وبينما كنت أقوم بالتسكع مع كوتس، اتصل دانفورد لتأكيد أن ناقلة واحدة مشتعلة ولا يبدو أن أيًا منها أميركية أو مُسجَّلة في أميركا. تساءلت بصوت عالٍ إذا كانت إيران تختبر الولايات المتحدة عمداً بمهاجمة أصول غير أميركية. وقال دانفورد إنه يعتقد أن استفزازنا هو بالتأكيد جزء من استراتيجية إيران. كان الوقت مبكرًا، ولم تكن المعلومات مكتملة، ولكن كانت ثمة بوادر واضحة لحدث كبير.

بعد بضع مكالمات أخرى، ذهبت إلى غرفة العمليات، حيث كان الموظفون على مدار الساعة يجمعون جميع البيانات المتاحة، وحيث كان كوبرمان منذ وصوله. علمنا الآن أن السفن التي تعرضت للهجوم كانت راسية في خليج عمان، قبالة ميناء الفجيرة الإماراتي. كانت المعلومات لاتزال متقطعة وأحيانًا متناقضة، مثل تقارير عن انفجارات في الفجيرة نفسها، نفتها حكومة الإمارة على الفور وتبين أنها غير صحيحة. كانت السفن على الأرجح نرويجية وسعوديتين وإماراتية، وكانت الهجمات إما من قبل رجال الضفادع الذين ألصقوا ألغاماً بحرية بأجسام الناقلات، أو ربما صواريخ قصيرة المدى أطلقت من زوارق بحرية صغيرة. بحلول نهاية يوم الأحد، بدا خيار الضفادع الأكثر قابلية للتطبيق(١)، وقد تم تأكيد ذلك في الأيام اللاحقة من قبل أفراد العمليات الخاصة الأميركية(٢).

بحلول الساعة ٦:١٥ صباحًا، استنتجت أن الوقت قد حان للاتصال بترامب. وعلى الرغم من أن هذه كانت المرة الثانية خلال أسبوعين التي أوقظه فيها (المرة الأولى هي انتفاضة ٣٠ نيسان/ أبريل في فنزويلا)، قررت المضي قدمًا. أطلعته على ما عرفناه وسألني «ماذا علينا أن نفعل؟» قلت إننا سنواصل جمع المعلومات. ويجب أن نكون يقظين للهجمات المحتملة الأخرى، ونبدأ بالتفكير في شكل الرد العسكري. «ولكن لماذا لم نعرف عن هذا مسبقاً؟» سأل، لايزال يعتقد على ما يبدو أننا نعرف كل شيء. شرحت، كما فعلت عدة مرات من قبل، أننا لا نعلم كل شيء، وأنني سأبقيه على اطلاع. (في وقت لاحق من اليوم، متحدثًا إلى بومبيو، سيتساءل ترامب مرة أخرى عن سبب عدم معرفتنا بالهجوم مقدمًا).

تركت رسائل لمولفاني، الذي كان في كامب ديفيد مع أعضاء من مجلسي النواب والشيوخ في فترة راحة. كما طلبت من موظفي غرفة العمليات إيصالي بسفاراتنا في أوسلو وأبو ظبي و الرياض لجس نبض الحكومات المضيفة والاطلاع على ما يعرفونه. كان رأيي المبدئي أنه ينبغي لهذه الحكومات الثلاث أن تدعو إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن لتسليط الضوء على إيران. تحدثت مع بومبيو

(١) See, e.g., RFE/RL, "Saudi Arabia, U.A.E., Norway at U.N. Blame 'State Actor' for May 12 Tanker Attacks," June 9, 2019,
https://www.rferl.org/a/saudi-arabia-uae-norway-blame-state-actor-tanker-attack/29985842.html

(٢) المصدر نفسه.

في حوالي الساعة ٦:٢٥، ووافق على هذا النهج. في الساعة ٧:٣٠، اتصلت ببنس وأطلعته، بعد أن طلبت بالفعل من كوبرمان تشكيل لجنة في الساعة ٨:٠٠ صباحًا لتحديد كيفية العمل على الرد، وكان ذلك الأول من ثلاثة في ذلك اليوم. تذمّرت العديد من الوكالات بسبب الإزعاج يوم الأحد.

بحلول الساعة ٨:٠٠، كانت المعلومات لاتزال متفرقة. نفى السعوديون، لأسباب معروفة لهم، في البداية وقوع أي هجمات لكنهم ناقضوا أنفسهم في ما بعد. كنا نتشاور عن كثب مع جميع حلفائنا المتضررين، نراقب بعناية خاصة حملات التضليل الإيرانية، التي كانت جارية بالفعل. في الساعة ٨:٢٠، أكدت النرويج أن سفينتها قد أصيبت، قائلة إنه لم تقع إصابات وإن السفينة لاتزال صالحة للإبحار. ابتداء من الساعة ٨:٤٠، تحدثت إلى دانفورد ثلاث مرات متتالية بسرعة. في ذلك الوقت، كانت لدينا صور لثقب في جانب إحدى السفن، التقطه طاقم السفينة. وقد قال دانفورد بوضوح إن الثقب لم يكن ناتجاً عن طائرة بدون طيار. اتصل دانفورد مرة أخرى في الساعة ٨:٥٠ ليقول إن الحلفاء يؤكدون الكثير مما سمعناه، لكن جهود التضليل الإيرانية كانت تتصاعد، مدعية أن هناك سبعاً إلى عشر سفن مشتعلة، وأنه تم رصد طائرات أميركية وفرنسية في مكان قريب. كانت طهران تتنافس على المرتبة الأولى في الوقاحة، لكنهم كانوا يعرفون أن الكثيرين في جميع أنحاء العالم كانوا جاهزين مسبقًا لتصديقهم. تحدثنا أنا ودانفورد عما يجب فعله إذا كان الأمر برمته مجرد عملية إثبات نفوذ إيرانية. لقد كان هذا أحد الأسباب التي جعلت الحكومة الأميركية، طوال اليوم، تلتزم الصمت رسميًا. كنا حذرين للغاية من القيام بعمل قد يخدم إيران، كأن نقول شيئاً يسبب ارتفاعاً في أسعار النفط دون قصد. في الساعة ٨:٥٧، اتصل دانفورد مرة أخرى ليقول إن مسؤولي البنتاغون يتذكرون حادثة قبل عقد من الزمن عندما حاولت إيران جرنا إلى صراع من خلال وضع ألغام مزيفة أمام غريس هوبر، مدمرة الصواريخ الموجهة. كانت هوبر عالمة كمبيوتر رائدة في البحرية، وكان عملها محوريًا في تحليل الشفرات لكسر رموز العدو في الحرب العالمية الثانية، وترقت إلى رتبة أميرال خلفي. أخبرت دانفورد كيف أعادت جامعة يال كتابة التاريخ عام ٢٠١٧، حيث أعادت تسمية كلية كالهون التي كنت أدرس فيها إلى هوبر وهي أول من حاز دكتوراه في الرياضيات من جامعة يال. سألت عن صورة المدمرة التي تحمل اسمها للغرفة المشتركة في الكلية، لنرى كيف يناسب ذلك أعضاء هيئة التدريس والطلاب اليساريين. على الأقل كان لدينا شيء نضحك عليه في يوم قاتم محتمل.

كنا قلقين بشأن المزيد من الهجمات، وخاصة ضد سفاراتنا وقنصلياتنا. اتصلت بترامب مرة أخرى بعد الظهر بقليل للبحث في الأمر، كان يتجه للاعتقاد بأنه لم يكن هناك أي هجوم على الإطلاق، لذلك حاولت أن أشرح بشكل كامل كل ما سمعناه، على الرغم من أن البحث لايزال جارياً لجمع الحقائق. مع مرور الوقت، ندرت المعلومات الجديدة. في حوالي الساعة ٤:٤٥ مساءً،

مرر دانفورد تقييم البنتاغون بأن الأضرار التي لحقت بالناقلات الأربع ظهرت خفيفة، وبدعوة من الإمارات العربية المتحدة، أرسلنا فرقًا إلى الفجيرة في اليوم التالي لتقييم الأضرار. اتصلت بترامب مرة أخيرة الساعة ٥:١٥، لإطلاعه على ما كنا نعرفه ونشاهده، بالإضافة إلى رأينا بأنه لا ينبغي أن نصرّح علنًا بأي شيء قبل معرفة المزيد. قال: «نعم، أبق الأمر طيّ الكتمان قدر المستطاع، لا تقل أي شيء». لقد أراد من عرب الخليج أن يدفعوا تكاليف أي عمليات نقوم بها، متذرعاً مرة أخرى بأنه كان يجب أن نأخذ نفط العراق بعد غزوه عام ٢٠٠٣. وفي نهاية المكالمة، قال، «شكرًا، جون، إلى اللقاء»، ما أشار إلى أنه راض. غادرت إلى المنزل حوالي الساعة ٥:٣٠.

سأل على الفور في الاجتماع الاستخباري المنتظم لترامب ظهراً، «لماذا لا يتحدثون [الإيرانيون]؟ «لم يصدق ببساطة أنهم لا يريدون التحدث، ولايزال يعتقد أن بومبيو وأنا نعرقل جهودهم للتحدث معه. بناءً على ما عرفناه، لم تكن هناك ببساطة إشارة إلى أن طهران مهتمة بالتحدث معنا. كان ترامب أكثر قوة من ذي قبل، في إرادته أن تتحمل الدول العربية المنتجة للنفط «التكلفة الكاملة» لأي شيء نقوم به. بعد مناقشة المخاطر التي يتعرض لها أفرادنا في العراق، قام ترامب بالمماطلة في موضوع سوريا ولماذا يجب أن نخرج بالكامل، ناهيك بأفغانستان، ثم العراق، في الوقت الذي كان يجري تنفيذ خططه بشأن الوجود الأميركي في هذه الدول. وختم ترامب قائلاً: «اتصل ببومبيو وأخبره أن يتذكر بنغازي». من ناحية أخرى، كان ترامب واضحًا، كما أوضحت لشاناهان لاحقًا، أنه يريد رداً قوياً جدًا إذا قُتِل أميركيون، وهو شيء أكبر بكثير من مجرد الانتقام.

يتعلّق أحد التعزيزات المحتملة والمهمة لقدرات إيران ببرنامجها للصواريخ البالستية. استمرت التجارب الصاروخية بشكل متسارع في ٢٠١٨ و ٢٠١٩، على الرغم من إخفاق عدد لا بأس به من التجارب، عند الإطلاق أو بعد ذلك بوقت قصير. على الرغم من ارتياحنا للفشل، تذكرت علماء أميركيين في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، يصفون صواريخ جوبيتر وفانغارد التي كانت تنفجر على لوحة الإطلاق بأنها ناجحة «٩٠ في المئة». تعلموا من الفشل وكذلك من عمليات الإطلاق المثيرة للإعجاب. لا مفر تقريباً، مع إحراز التقدم واستمرار عمليات الإطلاق التجريبية، من أن سيزيد تهديدها للمنطقة وفي النهاية للعالم سوف تتزايد. لكن ببساطة لم يكن أمراً استطعت جعل ترامب يركز عليه استراتيجيًا، رغم جهودي المتكررة، فبعد تجربة إيران الفاشلة في إطلاق صاروخ سفير[1]، قام بالتغريد في ٣٠ آب/أغسطس:

(١) See David A. Sanger and William J. Broad. "In a Tweet Taunting Iran, Trump Releases an Image Thought to Be Classified," August 30, 2019, https://www.nytimes.com/2019/08/30/world/middleeast/trump-iran-missile-explosion-satellite-image.html.

لم تكن الولايات المتحدة الأميركية متورطة في الحادث الكارثي أثناء الاستعدادات النهائية لإطلاق مركبة سفير الفضائية في موقع الإطلاق رقم واحد في محطة سمنان في إيران. أتمنى لإيران التوفيق في تحديد ما حدث في الموقع الأول.

أثار ذلك النميمة لبعض الوقت، لأنه كان يشير إلى عكس ما قالته التغريدة بالضبط. كما قال ترامب لاحقًا، «أحب السخرية منهم». استراتيجية أكبر.

في وقت مبكر من يوم الثلاثاء، ١٤ أيار/مايو، علمنا أن إيران ضربت مرة أخرى ليلًا، وأصابت محطتي ضخ في خط الأنابيب بين الشرق والغرب في المملكة العربية السعودية[١]. على الرغم من أن الحوثيين اليمنيين أعلنوا مسؤوليتهم، كان هناك من يعتقد أن الهجوم جاء من الميليشيات الشيعية في العراق، وفي كلتا الحالين تم شنه بتوجيه من إيران وتحت سيطرتها. هذه المرة، أعلن السعوديون رسمياً عن الهجمات بسرعة، لذلك اتصلت بترامب في حوالي الثامنة والنصف. رد بهدوء لكنه قال عن إيران: «إذا ضربونا، فسنضربهم بشدة. أؤكد لك ذلك». بينما غادر ترامب البيت الأبيض إلى لويزيانا لإطلاق منشأة جديدة لتصدير الغاز الطبيعي المسال (بطريقة ما رافقه غوردون سوندلاند فضلاً عن مفوض للاتحاد الأوروبي حضر بصورة عشوائية بعد أن أقنع سوندلاند مولفاني بالسماح له بدخول طائرة الرئاسة)، سأل الصحافيون عن التقارير الإخبارية التي تتحدث عن إرسال ١٢٠ ألف جندي جديد إلى الشرق الأوسط. ورد ترامب بأن ذلك كان «خبرًا مُزيّفاً»، مضيفًا: «وإذا فعلنا ذلك، فسوف نرسل قوات أكبر من ذلك بكثير»[٢]. وبحلول ذلك الوقت، بدأ الديمقراطيون يشعرون بالقلق من أن حجم ووتيرة التهديد الإيراني كانا ينموان بشكل غير مقبول. وعززت القلق العام في وقت لاحق من ذلك اليوم «المغادرة المنظمة» لأكثر من مئة موظف غير ضروري من سفارة بغداد.

في اليوم التالي، ترأس ترامب اجتماعًا لمجلس الأمن القومي في الساعة التاسعة والنصف صباحًا لإعطاء فكرة أفضل عن تفكيره. حث دانفورد وشاناهان، بشكل ملائم، ترامب عدة مرات على النظر إلى أبعد من مجرد قرار فوري ودراسة تحركات أبعد للمستقبل. قال شاناهان إنهم يريدون تقييم تحمله للمخاطرة، ورد عليه ترامب، «لدي قدرة لا تصدق على المخاطرة. المخاطرة

(١) See Stephen Kalin and Rania El Gamal. Reuters, "Saudi oil facilities attacked. US sees threat in Iraq from Iran-backed forces." May 14, 2019. https://www.reuters.com/article/us-saudi-oil-usa-iran/saudi-oil-facilities -attacked-us-sees-threat-in-iraq-from-iran-backed-forces-idUSKCN1SK0YM

(٢) See "Remarks by President Trump Before Marine One Departure," May 14, 2019. https://www.white-house.gov/briefings-statements/remarks-president -trump-marine-one-departure-42/

جيدة»، وأتبع ذلك بمحاضرة عن آرائه حول العراق. لماذا أراد الخروج من سوريا؛ لماذا، كما قال في مكان آخر، كما في حال العراق، يجب أن نأخذ النفط في فنزويلا بعد الإطاحة بمادورو ؛ ولماذا كان يعتقد أن الصين كانت «الغشاش الأعظم في العالم»، كما أثبتت أخيراً من خلال سلوكها في المفاوضات التجارية، مسرّعة بذلك استخدام القوة الاقتصادية كأساس للقوة العسكرية. أثار ذلك موضوع حاملات الطائرات، وحديث آخر حول أنظمة البخار لدفع الطائرات من وإلى منصات حاملة الطائرات وكيف أنها متفوقة إلى حد بعيد على الأنظمة الإلكترونية المستخدمة في حاملة الطائرات «جيرالد فورد» باهظة الثمن - ١٦ مليار دولار حتى اليوم بحسب ترامب. (يمكن للقراء الذين يريدون التدقيق البحث عن التكلفة الفعلية بأنفسهم؛ لا أريد أن تبطئ الحقائق من تدفق السرد) - على الرغم من أن البحارة أنفسهم يقولون إنه يمكنهم إصلاح أنظمة البخار يدوياً من خلال ضربها بالمطرقة ولكنهم لا يجيدون إصلاح الأنظمة الإلكترونية. ينطبق هذا المنطق نفسه على القاذفات البخارية المستخدمة للمساعدة في إطلاق الطائرات، والتي أراد ترامب إعادة تثبيتها على جميع حاملات الطائرات التي انتقلت إلى أنظمة أكثر تقدمًا.

فجأة. بدأت مديرة وكالة المخابرات المركزية، هاسبل الجزء المتعلق بها من الإحاطة قاطعة الطريق على ترامب، ويمكن إعطاؤها الفضل في ذلك. لا أستطيع أن أصف ما قالته، لكن البقية منا قدروها تقديراً كبيراً عندما بدأت بقول ذلك. وأخبرنا جون سوليفان، في غياب بومبيو، عن تقليص عدد الموظفين من أفراد سفارة بغداد. ما أشعل ترامب في موضوع أفغانستان ليقول: «اخرج من هناك»، والذي اعتبرته يعني كلاً من العراق وأفغانستان، وقبل أن نكتشف ذلك، كان ترامب يسأل: «كم بقي من الوقت حتى نخرج من سوريا باستثناء هؤلاء الأربعمئة [مائتا شخص في التنف ومئتان مع قوة المراقبة المتعددة الأطراف المتوقعة]؟»

أجاب دانفورد: «بضعة أشهر فقط».

وأضاف ترامب، مشيراً إلى قنصلية أربيل: «العراق لا يعيرنا اهتماماً. أغلق الباب وغادر»، ثم ارتأى أن حاملة الطائرات [لينكولن] كانت مشهداً جميلاً. ربما التفكير في البحرية، ذكّر ترامب بالجيش والجنرال مارك مايلي، الذي سيخلف دانفورد في ١ تشرين الأول/أكتوبر. سأل ترامب عما إذا كان يجب أن نبدأ بدعوة مايلي إلى اجتماعات مجلس الأمن القومي، قائلاً إنه سيترك القرار لدانفورد. كانت الفكرة خاطئة تماماً. فقط شخص واحد يجلس على كل من المقاعد المخصصة لنا في وقت ما، و لا أحد. بما في ذلك مايلي، الذي ناقشت معه هذا الموضوع لاحقًا، يعتقد أن فكرة حضورهما معاً جيدة إلى حين أن تصبح عملية الانتقال وشيكة. رد دانفورد بهدوء: «سأغادر في أي وقت تريد، سيدي الرئيس»، ولحسن الحظ تراجع ترامب. (أخبرت دانفورد بيني وبينه، بعد الاجتماع، بأنه لم تكن هناك أي وسيلة لمغادرته قبل انتهاء فترة ولايته، أو أن يحضر مايلي

اجتماعات مجلس الأمن القومي قبل أوانه..) ظل دانفورد محرجاً وشعرت بأنه كان على وشك الخروج من غرفة العمليات الى الأبد.

بعد الحديث عن حاملة الطائرات «لينكولن»، انتقل ترامب إلى كلام مختصر عن جون كيري وقانون لوغان وقال ساخراً: «إن الإيرانيين لا يتكلمون معنا فقط بسبب جون كيري»، ولكن شاناهان، عندما رأى مدى نجاح هاسبل بعد تجاهلها ترامب ومقاطعته، استأنف الحديث عن أشياء مملة مثل المخاطر والتكلفة والتوقيت في ما يتعلق بالخيارات المختلفة التي قد ندرسها، بما في ذلك استخدام القوة. اقترح ترامب: «يجب ألّا يبدأوا ببناء أسلحة نووية». عندما حاول دانفورد أن يكون أكثر تحديدًا بشأن ما يمكن أن نفعله ومتى، رداً على هجوم إيراني، قال ترامب إن عرب الخليج يمكنهم التمويل. ظل دانفورد يحاول إقناع ترامب بالتركيز على خيارات محددة على سلم متدرج من ردود الفعل المحتملة، ولكن بطريقة ما، انتقل الحديث إلى جنوب أفريقيا وعما سمع ترامب بشأن معاملة المزارعين البيض، مؤكداً أنه يريد منحهم اللجوء والجنسية[1]. ثم استؤنفت المناقشة حول الأهداف، وكان معظمها مرضياً لي. لسوء الحظ، فإن ذكر وجودنا المتبقي من القوات في العراق دفع ترامب إلى الاستفسار، «لماذا لا نخرجهم؟ في سوريا، تخلصنا من داعش». ما سمعته بعد ذلك كان صادمًا، لكنني أتذكر بوضوح أنني سمعته يقول «لا أهتم إذا عاد داعش إلى العراق». في ما يتعلق بإيران، استمر النقاش حول الإجراءات الأميركية المحتملة، لكننا بعد ذلك انتقلنا إلى أفغانستان، حيث اشتكى ترامب من المبلغ الذي كنا ندفعه لجنود الحكومة الأفغانية، ولم ينثنِ عندما قال شاناهان إن المتوسط كان حوالي ١٠ دولارات فقط للجندي في اليوم.

بعد أسبوع واحد من الهجوم على الناقلات الأربع، في ١٩ أيار/مايو، اتصلت بي غرفة العمليات في وقت مبكر من بعد الظهر لنقل تقرير عن انفجار، ربما صاروخ كاتيوشا يهبط في حديقة الزوراء على بعد كيلومتر من سفارتنا في بغداد[2]. اتصلت بدانفورد ثم بومبيو، ولم يكن أي منهما قد سمع أي شيء عن الانفجار، لكننا اتفقنا جميعًا على أن إطلاق الكاتيوشا في بغداد لم يكن خبرًا جديداً. حوالي الخامسة مساءً، غرد ترامب:

(١) This was a long-standing refrain. See Kimon de Greef and Palko Karasz, "Trump Cites False Claims of Widespread Attacks Against White Farmers in South Africa," August 23, 2018, https://www.nytimes.com/2018/08/23/world/africa/trump-south-africa-white-farmers.html

(٢) See Alissa J. Rubin and Falih Hassan, "Rocket Hits Green Zone in Baghdad as Tensions Flare Between U.S. and Iran," May 19, 2019, https://www.ny times.com/2019/05/19/world/middleeast/rocket-baghdad-green zone.html

إذا كانت إيران تريد القتال، فستكون نهايتها الرسمية. لا تهددوا الولايات المتحدة مرة أخرى!

في اليوم التالي، اشتكى ترامب خلال الإحاطة الاستخباراتية حول القصص «الإخبارية» التي تقول إننا كنا نطلب التحدث مع قادة إيران. وغرد لاحقًا:

«وسائل الإعلام الكاذبة» نشرت كالعادة بيانًا كاذبًا من دون أي علم بأن الولايات المتحدة كانت تحاول إجراء مفاوضات مع إيران. هذا تقرير كاذب... ستتصل بنا إيران عندما تكون مستعدة وإذا كانت مستعدة لذلك. في هذه الأثناء، سيستمر اقتصادهم في الانهيار - محزن للغاية للشعب الإيراني

قال روحاني نفسه علانية، «إن وضع اليوم ليس مناسباً للمحادثات»[١].

اعتقد أن إيران تجيد التحكم بترامب، أفضل مما كان هو يفعل في المقابل. قالوا علنًا إنهم يعرفون أن ترامب يريد التحدث، لكنهم كانوا محبطين من وجود مستشارين مثلي، أو أن ترامب يريد السلام لكن مستشاريه يريدون الحرب[٢]. تمامًا مثل جهود كيم جونغ أون لفصل ترامب عن الآخرين والتعامل معه بمفرده، كانت كل هذه محاولة للتلاعب نفسياً به. لقد أزعجني أن وسائل الإعلام الأميركية أعطت صدقية لهذه التأكيدات الأجنبية كما لو كانت منطقية تمامًا، وبالتالي كانت تضخم جهود الدعاية لبيونغ يانغ وطهران. والأسوأ من ذلك هو أن ترامب بدا كأنه يأخذ القصص على محمل الجد. كان الرؤساء السابقون سيرفضون توصيفات الخصوم الأجانب لمستشاريهم، لكن يبدو أن ترامب كان له رد فعل معاكس. كان من الصعب شرح ذلك للغرباء، ولكنه طبيعي تمامًا في بيت ترامب الأبيض. في اليوم التالي على سبيل المثال، قال لي بلهجة اتهام: «لا أريد أن يطلب الناس من إيران التحدث». أجبته: «حسنًا، أنا متأكد من أنني لست كذلك!» اعترف ترامب، «لا، لن تكون».

بينما سافرت إلى اليابان للمساعدة في التحضير لزيارة الدولة التي سيقوم بها ترامب للإمبراطور، التقى به شاناهان ودانفورد لمناقشة زيادة الاستعدادات الدفاعية لقواتنا الموجودة

(١) See Reuters, "Iran's Rouhani: Today's situation isn't suitable for talks: resistance is our only choice – IRNA," May 21, 2019, https://uk.reuters.com /article/usa-iran-rouhni/irans-rouhani-todays-situation-isnt-suitable-for -talks-resistance-is-our-only-choice-irna-idUKL5N22X01X

(٢) See Michelle Nichols, Lesley Wroughton, and Phil Stewart, "Exclusive: Iran's Zarif belies Trump does not want war, but could be lured into conflict," April 24, 2019, https://www.reuters.com/article/us-iran-usa-exclusive/exclusive-irans-zarif-believes-trump-does-not-want-war-but-could-be-lured-into-conflict-idUSKCN1S02VK

بالفعل في الخليج، والتي حضرها أيضًا بومبيو وكوبرمان. قبل أن تذهب المناقشة بعيداً، سأل ترامب، «متى سنخرج من أفغانستان اللعينة؟ هل يمكنك استخدام بعضها هنا [أي الشرق الأوسط]؟» وأوضح دانفورد أن القوات في أفغانستان لديها مهارات مختلفة. قال ترامب: «هذا ماتيس اللعين»، وشرح كيف وضع ماتيس قواعد الاشتباك التي يريدها في أفغانستان، وما زلنا لم نفز هناك. تابع ترامب: «متى سنخرج من سوريا؟ إن كل ما فعلناه هو إنقاذ الأسد». حاول دانفورد أن يشرح لنا، أننا في سوريا مستمرون في القيام بما وافق عليه ترامب قبل شهور، وهو ما دفع ترامب إلى سؤال من من أصدقائنا العرب يجهز جنودًا أفضل. اندهش دانفورد، ثم بعد أن استعاد رباطة جأشه بدأ بالحديث عن أيهم يعتقد أنهم جنود أفضل، لكن ترامب سأل بعد ذلك، «أليسوا كلهم بنفس المستوى؟». وقال دانفورد إن هناك اختلافات في الثقافة. بطريقة ما، عادت المناقشة إلى الموضوع المطروح، وقبل ترامب توصيات البنتاغون ووافق على ضرورة الإعلان عنها على الفور.

على الرغم من أن ترامب لم يخبرني في ذلك الوقت، فقد طلب من آبي التوسط بين إيران والولايات المتحدة، وقد أخذ آبي الطلب على محمل الجد. نظرًا للتهديدات المتزايدة للمصالح الأميركية والحليفة في الخليج، كان هذا وقتًا غير مناسب بشكل خاص لهذا الاتجاه الخاطئ الأخير، خاصةً لأنه كان واضحًا لي أن ترامب كان يدفع آبي إلى دور علني لا يمكن أن ينتهي إلا بالفشل (الذي حدث في النهاية). كان آبي يفكر في زيارة إيران في منتصف حزيران/يونيو، قبل اجتماع مجموعة العشرين في أوساكا، مما جعلها أكثر علنية. عندما قابلت آبي نفسه أثناء وجوده في اليابان قبل زيارة الدولة التي قام بها ترامب للقاء الإمبراطور، شدد آبي على أنه لن يقوم بالرحلة إلى إيران، إلا إذا أراده ترامب أن يقوم بها وكان هناك احتمال للمساعدة. من الواضح أنني لا أستطيع القول إن المبادرة بأكملها كانت فكرة رهيبة، لكنني اقترحت أن يتحدث آبي مع ترامب بشأنها بشكل خاص وأن يبني حكمه حول كيفية المضي قدمًا.

خلال زيارة الدولة التي قام بها ترامب، بدأ آبي وترامب العمل يوم الاثنين ٢٧ أيار/مايو. في الساعة ١١ صباحًا في غرفة أساهي نو- ما في قصر أكاساكا، بحضور الزعيمين فقط، وياتشي وأنا، والمترجمين. ولخّص آبي عشاء المساء السابق مع ترامب، مؤكدًا زيارته لإيران يومي ١٢ و١٣ حزيران/يونيو. وبحلول هذه المرحلة، كان ترامب شديد النعاس. غير أنه لم يسقط قط من كرسيه ولا يبدو أنه يفوت أي شيء مهم. وبحسب الكلمات الخالدة لرقيب في تدريبات شاركتُ فيها في قاعدة فورت بولك فإنه كان «يبحث في جفونه، عن ثقوب صغيرة» أي إنه كان منتبهاً لأدقّ التفاصيل. كان ظريف في طوكيو قبل أسبوع، وقال آبي إنه استنتج أن إيران تعاني، ولديها شعور بالأزمة. وقال إنه يعتقد أن قرار ترامب بإرسال حاملة الطائرات «أبراهام لنكولن» كان فعالًا جدًا. كان على

استعداد لاتخاذ قرار الذهاب إلى إيران، لكنه تحدث أخيراً إلى بعض أصدقائنا العرب الذين انتقدوا الفكرة بشدة. أكد ترامب ألا داعي لأن يقلق آبي، لأن الولايات المتحدة هي التي تدافع عن العرب وهي التي تقرر. ولا أحد يقول لنا ما علينا القيام به ، وبعد مزيد من التبادلات، قال ترامب إن التضخم كان مليونًا في المئة في إيران، وتقلص الناتج المحلي الإجمالي بنسبة ١٠ في المئة، وأن البلاد تضررت بشدة. ثم، بطريقة ما، قال إن مون كان يتوسل إليه أن يأتي إلى كوريا الجنوبية في هذه الرحلة، لكنه رفض.

اعتقد ترامب أن إيران مستميتة وتريد أن تعقد صفقة. أراد أن يلتقي بهم على الفور، في منتصف الطريق بينهما (جغرافيًا، أعتقد أنه كان يقصد). على الرغم من أنه لم يرغب في إذلال إيران، وكان يأمل حقًا في نجاحها، كان من الواضح أنه لا يريد السماح لها بامتلاك أسلحة نووية، والتي كانت منتشرة بالفعل في جميع أنحاء العالم، وهي نقطة كررها مرتين، وحث آبي على الاتصال بالإيرانيين وإخبارهم ذلك بعد أن غادر اليابان. أراد ترامب بشكل خاص أن يعرف الإيرانيون أن عليهم ألا يستمعوا إلى جون كيري. كان يعتقد أنه يمكنه إجراء المفاوضات في يوم واحد، وليس أن تمتد على تسعة إلى اثني عشر شهرًا. بالطبع، كان ترامب على استعداد تام لخوض الحرب إذا كان عليه ذلك، ويجب على إيران أن تفهم ذلك؛ إذا لم يفعلوا، فلن يعقدوا صفقة أبدًا. كان حول ترامب عدد كبير من الأشخاص الذين أرادوا خوض الحرب الآن، لكن ذلك لن يحدث بسببه. معلّم هو ترامب، ينتقل من عقد اتفاق في يوم واحد إلى حرب شاملة في ثوان معدودة. قال آبي إنه سينقل رسالة ترامب، واختتم باقتراحه أنه بينما هو يستعد لزيارة ايران، يجب أن أقوم أنا وياتشي بوضع اللمسات الأخيرة على اقتراحنا لتسليمه إلى إيران. كانت تلك أفضل الأخبار طوال الصباح. قال ترامب إن على آبي أن يتحرك بأسرع ما يمكن. في هذه المرحلة، قبل وقت قصير من الظهر، حضر المشاركون في الاجتماع الأوسع، وبدأ آبي الاجتماع الثاني بقوله إنه عقد وترامب اجتماعًا مثمرًا للغاية مع مستشاري الأمن القومي.

أثناء سفري من طوكيو إلى لندن للتحضير لزيارة الدولة التي سيقوم بها ترامب للمملكة المتحدة، توقفنا للمبيت والتزود بالوقود في أبو ظبي، حيث أتيحت لي الفرصة في ٢٩ أيار/مايو للقاء ولي عهد الإمارات العربية المتحدة محمد بن زايد، الذي عرفته لسنوات عديدة، إلى جانب نظيري الإماراتي، الشيخ طحنون بن زايد، وغيرهما. وكرر ولي العهد عدة مرات تأكيده مدى أهمية قدومي إلى هناك، والإشارة التي أرسلتها زيارتي في جميع أنحاء الخليج. كان هو والإماراتيون قلقين للغاية من عدم ردنا على الاستفزازات الإيرانية الأخيرة، والتزايد المتسارع للصواريخ والطائرات المسيرة في أيدي الحوثيين والميليشيات الشيعية في العراق، ومساعدة إيران لطالبان وداعش في أفغانستان.

كما أنهم لم يفهموا، بعد أن سمعوا من آبي[١]، لماذا أراد ترامب التحدث إلى إيران؛ حاولت، دون جدوى، أن أشرح فكرة ترامب بأن الحديث لا يعني حقًا أو يشير إلى أي شيء آخرسوى الكلام. ولي العهد وعرب الخليج لم يوافقوا على ذلك، والأهم من ذلك أن إيران لم توافق كذلك: كلهم رأوا ذلك على أنه ضعف. (في الواقع، بعد وصولي إلى لندن، اتصل بي مستشار الأمن القومي السعودي مساعد بن محمد العيبان، الذي لم ألتق به من قبل، ليقول إن ولي عهده محمد بن سلمان، أراد مني أن أعرف مدى استيائه من زيارة آبي لإيران[٢]. حثثت ولي العهد على الاتصال بترامب مباشرة، معتقدًا أنه قد يحالفه الحظ أكثر مني). غادرت إلى لندن محبطًا كما كنت خلال سنوات أوباما عندما كان قادة الشرق الأوسط يسألون الواحد تلو الآخر لماذا يعتقد أوباما أن آيات الله سيتخلون طواعية عن الإرهاب أو الأسلحة النووية.

بعد زيارة الدولة الى المملكة المتحدة، استضاف البريطانيون ثم الفرنسيون احتفالات الذكرى الخامسة والسبعين لانطلاق عملية النورماندي في الخامس من حزيران/يونيو في مدينة بورتسماوث، التي انطلقت منها العديد من قوات الإنزال، ثم في النورماندي نفسها في ٦ حزيران/يونيو. بعد احتفالات النورماندي، أقام ماكرون مأدبة غداء لترامب، وإيران كانت الموضوع الرئيسي. ركز ماكرون على «الموعد النهائي في ٨ تموز/يوليو» للإنذار الإيراني لأوروبا لتوفير الفوائد الاقتصادية التي تعتقد طهران أنها مستحقة بموجب الاتفاق النووي، أو ستبدأ إيران بخرق القيود الرئيسية فيه. في أعراف الاتحاد الأوروبي، تشير هذه الانتهاكات إلى موت الصفقة. بالإضافة إلى ذلك، من وجهة نظري، أراد ماكرون المشاركة بعمل آبي، كما أراد معرفة ما نستطيع التنازل عنه، وهل سنكون مستعدين لتخفيف العقوبات؟ وماذا نريد من إيران؟ الحد من أنشطتها العسكرية في سوريا واليمن؟ بعد أن شرح مرة أخرى آثار إعادة فرض أميركا للعقوبات على إيران، هاجم ترامب كيري لانتهاكه قانون لوغان وإقناعه إيران بعدم التفاوض. قال منوشين إنه يمكننا بسهولة تطبيق العقوبات وإيقافها في ما يتعلق بإيران، وهو أمر غير صحيح تمامًا من حيث فاعلية العقوبات وغير مصرح به تمامًا وفق أي شيء قاله ترامب في تلك المرحلة. ربما كان يتحرك في هذا الاتجاه، لكن منوشين كان مثل القواد، يستسلم دون حتى التفكير في ردود الفعل التي تنفجر في جميع أنحاء العالم إذا خُففت العقوبات، أو حتى كان يسأل عما سنحصل عليه في المقابل. قال ماكرون صراحة إنه قلق من أن إيران سترفض رفضاً قاطعاً المفاوضات، وهو أمر شبه مؤكد، وبالتالي ينقذنا من أنفسنا. كانت هذه المحادثة بأكملها كارثة. كانت زيارة آبي لإيران سيئة بما يكفي، لكن إضافة الأوروبيين

(١) See Michael MacArthur Bosack, "Success or failure for Abe in Tehran?" June 18, 2019, https://www. japantimes.co.jp/opinion/2019/06/18/commen tary/japan-commentary/success-failure-abe-tehran/#.Xn-97SIhKiF4.

(٢) المصدر نفسه.

تزيد الطين بلة. كانت لديهم أجندة مختلفة تمامًا، وهي إنقاذ الصفقة النووية بأي ثمن، وليس العمل بجدية لحل المشكلة الأساسية. بالطبع، إذا واصلت إيران إجراءاتها العدائية وضربت أهدافًا أميركية أو حليفة جديدة، فإن أي رد فعل عسكري أميركي سيوقف أي دبلوماسية يابانية أو أوروبية. هذا ما حال دون تفكيري بالاستقالة حتى الآن.

أثناء عودتي إلى أندروز، اتصل كوبرمان بعد الساعة السادسة مساءً بقليل حسب توقيت واشنطن. قبل ساعات قليلة، تم إسقاط طائرة مُسيَّرة أميركية من طراز كيو-٩ ريبر (نسخة عن الطائرة ام كيو-١ بريداتور) بالقرب من الحديدة في اليمن، بواسطة صاروخ أرض-جو من المحتمل أن يكون أطلق من قبل الحوثيين (أو إيرانيين من أراضي الحوثيين). أعلن الحوثيون مسؤوليتهم، لذلك حدد كوبرمان اجتماعاً للجنة نواب رؤساء الوكالات والوزراء الذين يشاركون في اجتماعات مجلس الأمن القومي، في الساعة الثامنة صباحًا يوم الجمعة للنظر في كيفية الرد.[(١)] كما اتضح، لم نفعل شيئًا عملياً، لأن الجيش، وبشخص نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة بول سيلفا، أصر على أننا غير متأكدين من الذي أسقط بالفعل ريبر ومن ارتكب الهجمات الأخيرة. تقييمي لا يمكن أن يكون أكثر من عكس ذلك. تصرف سيلفا كمدع عام يطالبنا بإظهارالحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك «المعقول»، وهو ما كنا قريبين منه هنا، والتركيز هنا على كلمة «معقول». من سيفعل ذلك غير إيران أو حلفائها؟ ولكن الأهم من ذلك، أننا لم نكن نقوم بمحاكمات جنائية. كنا في عالم سيّىء حقيقي حيث المعرفة غير كاملة. بالطبع، يتضمن هذا العالم الحقيقي أيضًا خبراء بيروقراطيين في ألا يفعلوا ما لا يريدون القيام به، وهذه مشكلة قوية بشكل خاص مع رئيس تتغير وجهات نظره أحيانًا كل ساعة. كما لو أن هذا لم يكن سيئًا بما فيه الكفاية، كان مدنيو وزارة الدفاع يحاولون أيضًا الضغط على إسرائيل حتى لا تتخذ إجراءات للدفاع عن النفس، والتي أخبرني بومبيو أنه تدخل شخصيًا، وعن حق، لوقف محاولتهم تلك. روح ماتيس كانت حاضرة.

اتصل بي ياتشي في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الجمعة ٧ حزيران/يونيو، ليراجع نقاط محادثات آبي خلال زيارة إيران، والتي تضمنت اقتراحًا كان يمكن أن يأتي من ماكرون أو ميركل، وكان سخياً للغاية لإيران. كانت اليابان مصابة بالفصام بشأن إيران وكوريا الشمالية، لينة مع الأولى (بسبب النفط) وقاسية مع الأخيرة (بسبب الواقع القاتم)، وكافحت مرارًا، بنجاح متفاوت، لجعل اليابانيين يرون مدى تشابه التهديدين. أدركت اليابان تمامًا أن «الضغوط القصوى» هي الاستراتيجية الصحيحة للتطبيق ضد كوريا الشمالية، ولو كانت دولة

(١) See Reuters, "US blames Iran for helping Houthi rebels shoot down drone in Yemen," June 16, 2019, https://www.reuters.com/article/us-mid east-attacks-usa-drone/us-blames-iran-for-helping-houthi-rebels-shoot -down-drone-in-yemen-idUSKCN1TH0LA

من الاتحاد الأوروبي قد اقترحت على بيونغ يانغ ما كان آبي يقترحه على طهران، لكان قد رفضه بشكل قاطع ودون تردد. أردت أن أبقي أكبر مسافة ممكنة بين اليابان والأوروبيين، لأنني اعتقدت أن أهدافهم كانت مختلفة جدًا وغير متناسقة في الواقع. إن إضعاف العقوبات ضد كيم جونغ أون كان سيشجعه فقط على الصمود في شروط أفضل في ما يتعلق بالجانب النووي، تمامًا مثلما كان تخفيف الضغط على إيران سيفعل الشيء نفسه في طهران، وقد شرحت كل ذلك لياتشي بالتفصيل. لقد أطلعت ياتشي على التهديدات الإيرانية التي واجهناها، فقط لكي يعرف مدى خطورتها، مستخدماً إسقاط الطائرة بدون طيار ريبر والهجمات الأخرى المذكورة أعلاه لتوضيح النقطة. وأخبرت ياتشي أيضًا عن مدى اهتمام ترامب برحلة آبي، ومدى صعوبة ذلك، ومدى أهمية القيام بالأمر بطريقة صحيحة. لم أكن لأقوض مهمة آبي، لكنني كنت مصمماً على عدم إعطاء تفويض مطلق، خاصة مع تعثر فرنسا ومنوشين في محاولة إنقاذ خطة العمل الشاملة المشتركة (الاتفاق النووي الإيراني).

يوم الإثنين ١٠ حزيران/يونيو، تحدثت إلى ترامب حول الكيفية التي كانت تسير بها خطط آبي. في مناقشتنا، أوضح ترامب أن فكرة آبي «مقبولة فقط اذا أبرمت إيران الصفقة»، وهذا يعني ألا تنازل الآن، بل فقط بعد أن تتخلى إيران بشكل مرض عن الأسلحة النووية. كان هذا تمييزًا حاسمًا، لكن ترامب نفسه واجه صعوبة في الحفاظ عليه، في ما يتعلق بكل من إيران وكوريا الشمالية. اتصلت ببومبيو لأخبره بالخبر السار، وقال: «أعتقد أن هذا هو المطلوب»، قاصداً أننا كنا خارج الخطر، على الأقل في الوقت الحالي. ومع ذلك، كان أقل تفاؤلاً مني وقلقاً من أن يحصل في إدارة ترامب ما فعلته إدارة أوباما عندما أعطت إيران «المال على ألواح تحميل». واستناداً إلى محادثاته مع وزير الخارجية الياباني، أعرب عن قلقه من أنهم غير مستعدين لقبول ما نقله ترامب إلي في وقت سابق. بالنسبة لكلينا، مع تقارب تطورات إيران وكوريا الشمالية في حزيران/يونيو وتموز/يوليو، كانت المخاطر تتفاقم. في ما يتعلق بإيران، أخبرني بومبيو أن أكثر من عشرة وزراء خارجية اتصلوا به بمجرد أن أصبحت مهمة آبي معلنة، معتقدين أن حملة «الضغوط القصوى» قد توقفت وعارضين المساعدة في التوسط. كان ذلك دليلاً إضافياً على أن ترامب وحده من بين قادة العالم يعتقد أن التحدث إلى الخصوم هو حيادي في المضمون. كما قال بومبيو، إذا كنت تريد فقط صفقة نووية مع إيران، فلا تهتم بمدى روعتها، ولا تهتم أيضًا بالصواريخ الباليستية، ودعم الإرهاب، أو أمور كثيرة أخرى، فهذه الصفقة موجودة بالفعل وهي الاتفاق النووي الإيراني! كانت كوريا الشمالية بنفس السوء. كنا، على حد تعبير بومبيو، «في منطقة الخطر» من تقويض ترامب التام لسياساته الخاصة. لم نكن متأكدين مما استخلصته بقية العالم من حال الفوضى والارتباك

لدينا، لأنه في الوقت الحاضر، كانت وسائل الإعلام بما فيها النيويورك تايمز وغيرها[1]، تركز على الانقسام بيني وبين ترامب في موضوعي كوريا الشمالية وإيران. كانت الصورة الأوضح هي الانقسام بين ترامب وترامب.

في ذلك المساء، اتصل آبي بترامب لمراجعة نص عرضه النهائي لإيران، والذي كان أقل ضرراً بالدرجة التي استطعنا الوصول إليها. ومع ذلك، سأل آبي عن برنامجه المقترح، قائلاً إنه يفهم أن الولايات المتحدة كانت متشككة من تقديم هذه الفكرة إلى إيران في الوقت الحالي. لم يرد ترامب ببساطة على تعليق آبي، ما أشار للجميع إلى أنه سيكون سعيدًا إذا لم يثرها آبي مع إيران. لم أصدق حسن حظنا. لم يكن هذا مجرد تفادي رصاصة، بل تفادي صاروخ عابر للقارات.

في يوم الخميس ١٣ حزيران/يونيو، في منتصف الليل، اتصلت بي غرفة العمليات لنقل المعلومات التي تفيد بأن ناقلتي نفط في خليج عمان تعرضتا لهجوم. أبلغت سفينتا «فرونت ألتير» و«كوكوكا كاريجيز» (الأخيرة يابانية الملكية) عن حرائق وتسرب مياه محتملة على السفينتين، وكانت سفينة تابعة للبحرية الأميركية في طريقها لتقديم المساعدة. لم يكن هناك أي دليل فوري على من قام بالضربة، ولكن لم يكن لدي شك في ذلك. بعد ثلاث ساعات، أصبحت الحرائق أكثر خطورة، وأخلت السفن التجارية القريبة، واحدة منها كانت «هيونداي دبي»، طاقمي السفينتين. اقتربت سفن البحرية الإيرانية من «هيونداي دبي» وطالبت بتسليم البحارة إن كانت هي من أنقذهم، وهذا ما حدث. (نشرت القيادة المركزية الأميركية في وقت لاحق هذه الحقائق على موقعها على الإنترنت، رافضة ادعاء إيران الفاضح بأن قواتها البحرية أنقذت أفراد طاقم إحدى السفينتين)[2]. وصلت إلى البيت الأبيض في الخامسة وأربعين دقيقة صباحًا، بعد أن سبقني كوبرمان إلى هناك، وذهبت على الفور إلى غرفة العمليات. كانت «رويترز» قد أفادت بالفعل عن الحدث، كما بثته قناة الجزيرة، لذلك كانت الأخبار تنتشر بسرعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

غادرت لحضور الاجتماع المقرر مسبقًا في غرفة «تانك» في البنتاغون. أراد شاناهان ودانفورد مناقشة استراتيجية بشأن إيران، والتي قلت إنها جيدة، لكننا الآن ننظر في «هجوم على سوق النفط العالمية» لا يمكننا تجاهله ببساطة. كان فيلق القدس يواصل تسلّق سلّم التصعيد، ولمَ لا؟ هم بالتأكيد

(١) See, e.g., Peter Baker et al., "Trump Undercuts Bolton on North Korea and Iran," https://www.nytimes com/2019/05/28/us/politics/trump-john-bolton-north-korea-iran.html?searchResultPosition=3

(٢) See "U.S. Central Command Statement on June 13 Limpet Mine Attack in the Gulf of Oman," June 13, 2019, https://www.centcom.mil/MEDIA/STATEMENTS/Statements-View/Article/1875666/us-central-command -statement-on-june-13-limpet-mine-attack-in-the-gulf-of-oman/

يرون أن الولايات المتحدة لا تفعل أي شيء ردًّا على ذلك. ومع ذلك، قمنا بوضع مجموعة من الرسوم البيانية المعتادة في البنتاغون (تسمى «حصائر الأمكنة» بسبب حجم الورق المستخدم). كانت تحتوي على خطوط وأعمدة وسهام، وباختصار كانت كلها فنية للغاية. أخيرًا، قلت إنه لا يمكن فصل أولويات سياستنا المختلفة مع إيران (النووي، الإرهاب، والعدوان العسكري التقليدي)، ولا يمكننا على وجه الخصوص فصل برنامج إيران النووي عن كل سلوكها الخبيث الآخر، كان هذا تحديداً خطأ أوباما بشأن الاتفاق النووي. لماذا العودة إلى إطاره التحليلي الفاشل؟ جادلت مرة أخرى بأنه، سواء كان هذا «وضعنا النهائي» المعلن (مصطلح بيروقراطي مفضل) أم لا، فلن تكون هناك صفقة «جديدة» مع إيران ولن يكون هناك «رادع» قائم مادام النظام الحالي قائماً في إيران. سواء أحببنا ذلك أم لا، فإن بناء السياسة على واقع مختلف عن الواقع القائم لن يقودنا إلى أي «وضع نهائي» نسعى إليه. ومازال من غير المنظور ما إذا كان هذا النقاش مثمرًا أم لا، أو ما إذا كان سيؤدي فقط إلى مجموعة أخرى من الرسوم البيانية المتقنة.

أثناء عودتي إلى البيت الأبيض، اتصلت بترامب. أخبرته عن اجتماعنا في غرفة «تانك» وأيضاً ما كان يحدث في خليج عمان، والذي بث بعضه قناة فوكس نيوز. قال ترامب: «هدِّىء من روعك»، وكان هذا مرة أخرى النهج الخاطئ، لكنه عبر عن وجهة نظره بأنك إذا تظاهرت بأن أشياء سيئة لم تحدث، فربما لن يلاحظها أحد آخر. في الوقت الذي وصلت إلى الجناح الغربي، كانت معلوماتنا لا لبس فيها أن هذا كان هجومًا إيرانيًا. لقد اندهشنا جميعًا لمشاهدة فيلم البحارة الإيرانيين يقتربون من «كوكوكا» ويزيلون لغماً لم يتم تفجيره من بدن السفينة[1]. كم هم وقحون؟ لقد أطلعت بنس الذي كان في مونتانا، وعاد في وقت لاحق من اليوم، على ما يحدث.

أكدت نتائج الاجتماع الذي دار بين آبي وخامنئي، مناقشات غرفة «تانك». أخذ خامنئي ملاحظات بينما كان آبي يتحدث لكنه قال في النهاية أن لا رد لديه، وهذا كان مهينًا. علاوة على ذلك، كان خامنئي أشد بكثير مما كان روحاني في اليوم السابق. أظهر هذا حماقة ماكرون وآخرين (بمن فيهم ترامب) يريدون التحدث إلى روحاني وليس إلى «المرشد الأعلى». أليس واضحاً ما يعنيه اللقب؟ علاوة على ذلك، حتى قبل أن يستقل آبي طائرته عائداً إلى اليابان، وخلافاً لطلبه الصريح بعدم الإعلان عن الاجتماع، أصدر خامنئي سلسلة طويلة من التغريدات، الاثنان الأهم من بينها من وجهة نظرنا هما:

---

(١) هذا المرجع يحتوي على رابط للفيلم: "U.S. Central Command Statement on June 13 Limpet Mine Attack in the Gulf of Oman," June 13, 2019, https://www.centcom.mil/MEDIA/STATEMENTS/Statements-View/Article/1875666/us-central-command -statement-on-june-13-limpet-mine-attack-in-the-gulf-of-oman/

ليس لدينا أي شك في حسن نية وجدية شينزو آبي لكن في ما يتعلق بما ذكرتموه عن الرئيس الأميركي، لا أعتبر ترامب شخصًا يستحق تبادل الرسائل معه؛ ليس لدي رد له. لن أرد عليه.

نحن لا نعتقد على الإطلاق أن الولايات المتحدة تسعى إلى مفاوضات حقيقية مع إيران. لأن المفاوضات الحقيقية لن تأتي أبدًا من شخص مثل ترامب. الأصالة نادرة جدًا بين المسؤولين الأميركيين

كان الاستنتاج واضحًا: فشلت مهمة آبي. قامت إيران بصفع آبي فعليًا على وجهه، حيث هاجمت سفنًا مدنية بالقرب من إيران، كانت إحداها مملوكة لليابانيين، بالتزامن مع اجتماع آبي مع خامنئي. ومع ذلك، كان اليابانيون في حالة إنكار، وربما حاولوا حماية آبي من الإذلال الذي دفعه إليه ترامب.

التقيت مع بومبيو وترامب في الثانية عشرة والربع، وأريته تغريدات خامنئي. قال: «شرير»، «شرير جداً»، قبل أن يبدأ حديثاً طويلاً حول كيف كان كيري يمنعه من التفاوض مع إيران. أراد ترامب الرد على تغريدات خامنئي والذي جاء على النحو التالي:

رغم أني ممتن لآبي لذهابه إلى إيران للقاء آية الله علي خامنئي، أشعر شخصياً أنه من السابق لأوانه حتى التفكير في إبرام صفقة. إنهم ليسوا مستعدين، ونحن لسنا كذلك! تشير تقديرات الحكومة الأميركية إلى أن إيران مسؤولة عن هجمات اليوم في خليج عمان...

صباح الجمعة، أعطى آبي ترامب قراءة شخصية عن رحلته، قائلاً إنه لم ير أي استعداد من روحاني أو خامنئي لإجراء حوار مع الولايات المتحدة مادامت العقوبات الاقتصادية سارية. اشتكى آبي على الأقل من أن إيران نشرت خبر الاجتماع على الفور، لكنه مع ذلك كان يعتقد أن روحاني أراد حقًا إجراء حوار مع الولايات المتحدة، وفي قالب شاعري روى كيف كان روحاني يسير خلفه في الردهة بعد اجتماع خامنئي، ويقول إن رفع العقوبات سيكون محفزاً لفتح مثل هذا الحوار. الأسوأ في الأمر، ظل آبي منغمسًا في فكرة أن إيران وكوريا الشمالية حالتان مختلفتان تمامًا، قائلاً إننا بحاجة إلى نهج مختلف تجاه إيران. كان على أعينهم غشاوة. قال ترامب إن آبي يجب ألّا يشعر بالذنب لأنه فشل تمامًا وبشكل مطلق[1]، لكنه تراجع بعد ذلك، ربما ظنًا منه أنه كان قاسيًا، قائلاً

(١) تمت مشاركة وجهة نظر ترامب على نطاق واسع. على سبيل المثال، Ishaan Tharoor, "Shinzo Abe's mission to Iran ends in flames," June 14, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/2019/06/14/shinzo-abes-mission-iran-ends-flames/

إنه يمازحنا. لم يكن يتوقع أن ينجح آبي، ولم يفاجأ على الإطلاق في النتيجة. التفت إلى ما كان يدور في ذهنه حقًا، قائلاً إنه يقدر حقًا الجهد، ولكن ما هو أكثر أهمية بكثير له شخصيًا أن تشتري اليابان المزيد من المنتجات الزراعية الأميركية. كانت الولايات المتحدة تفعل الكثير لليابان، دافعت عنها وفقدت الكثير من المال في التجارة. اعترف آبي بأنه كان يفكر في ما يجب فعله، وقال ترامب إنه كلما كان بإمكانه فعل ذلك أسرع كان ذلك أفضل، على الفور مثلاً. بعد ذلك، بالعودة إلى إيران، قال ترامب إن آبي ليس بحاجة إلى تنكب عناء التفاوض معهم بعد الآن، بالنظر إلى التصريحات الشريرة للغاية التي أصدرتها إيران بعد اجتماعات آبي. سيقوم ترامب بإجراء المفاوضات بنفسه، والتي غرّد عنها بعد المكالمة مباشرة[١].

كان لدينا اجتماع لمجلس الأمن القومي من المقرر أن يبدأ مباشرة بعد اتصال آبي، ولكن كان الوقت قد تأخر. بدأ ترامب بتلخيص مناقشته مع آبي، وبعد الحديث عن انتهاك كيري لقانون لوغان، نظر ترامب إلى سيبولوني وأيزنبرغ، قائلاً: «يرفض المحامون القيام بذلك. لا استطيع فهم الأمر. إنه لأمر سخيف ألّا تفعلوا ذلك». أراد شاناهان ودانفورد الحصول على فكرة أفضل عن «نية» ترامب، وأثناء قيامهما بذلك أظهرا مجموعة جديدة من الرسوم البيانية مع بعض الإحصائيات العامة المثيرة للاهتمام حول مشتريات النفط من دول مختلفة من الشرق الأوسط والتي تظهر واردات عالية جدًا من الشرق الأوسط للصين وكوريا الجنوبية واليابان والهند واندونيسيا[٢]. كنت أعرف ما هو قادم: لماذا لم تفعل هذه الدول المستوردة المزيد، ولماذا لم تدفع هي والدول المنتجة للنفط في الشرق الأوسط المزيد لحماية شحناتها النفطية؟ بحلول الوقت الذي وصل شاناهان ودانفورد إلى الرسم البياني الرابع أو الخامس، بدأ ترامب يفقد الاهتمام، قائلاً، «دعنا نذهب إلى صفحة ماذا تريد أن تفعل؟». ناقشنا الخيارات المختلفة ولكن لم نتوصل إلى استنتاجات. ثم عاد ترامب للخروج من سوريا وأفغانستان، وجعل دول الخليج العربية تدفع ثمن ما قررنا القيام به. شرحت، كما فعلت من قبل، أن إدارة بوش الأب جمعت دعماً كبيراً لدفع ثمن حرب الخليج عام ١٩٩١. أكد بومبيو لترامب أنه سيتصل بالدول الإقليمية المناسبة.

(١) See Conor Finnegan, "Iran's Ayatollah Khameini said he rejects Trump's offer to talk," June 13, 2019, https://abcnews.go.com/Politics/irans-ayatollah-khamenei-rejects-trumps-offer-talk/story?id=63687413

(٢) الإحصاءات المتاحة للجمهور توضح النقطة نفسها، على الرغم من أنها تختلف اعتمادًا على الفترة الزمنية المستخدمة. على سبيل المثال، رويترز:
"Factbox: Asia region is most dependent on Middle East crude oil, LNG supplies", 08.01.2020, https://in.reuters.com/article/asia-mideast-oil-factbox/factbox-asia-region-is-most-dependent-on-middle-east-crude-oil-lng-supplies-idINKBN1Z71VW

غادر ترامب، وواصلت أنا المحادثة مع بنس، وبومبيو ودانفورد، وشاناهان. أراد دانفورد أن يكون على يقين من أن ترامب قد فهم أنه إذا ألحقنا خسائر بشرية بإيران، فإن «الوقف» الإيراني لقتل الأميركيين سينتهي. سألت، «أي وقف؟» بالنظر إلى عدد الأميركيين الذين قتلتهم إيران، بدءًا من ثكنات المارينز في لبنان عام ١٩٨٣. كانت قضية الضحايا في ذهن الجميع في هذا الاجتماع وغيره من الاجتماعات مع ترامب. قال بنس إنه يعتقد أن من الواضح أن ترامب «يريد خيارات متحركة»، وهكذا قرأته أنا أيضًا. كانت هذه واحدة من قائمة طويلة ومتنامية من المناقشات حيث لم يكن هناك شك في أن ترامب كان يريد التفكير في مثل هذه الخيارات - ليس لأنه قرر شيئاً ما - لكنه شعر بالإحباط لعدم وجود خيارات أخرى أمامه. كان لايزال هناك عمل كبير قبل الاجتماع التالي يوم الاثنين. لكنني اعتقدت على الأقل أنه لا يمكن لأحد أن يقول إننا أخطأنا بأننا لم ندرس آثار استخدام القوة العسكرية بشكل شامل.

في يوم الاثنين ١٧ حزيران/يونيو، لم نكن قد توصلنا إلى قرار بعد. استفادت البيروقراطية والمسؤولون الرئيسيون من نفاد صبر ترامب وقُصر مدة تركيزه لتأخير الرد على الهجمات على الناقلات. ودفع ذلك الأمور إلى أبعد من النقطة التي بدا فيها العمل العسكري مناسبًا. لم يكن لدى المعرقلين خطتهم الخاصة، لكنهم اعتمدوا بنجاح على التأخير لإحباط أي بديل. الأهم من ذلك، أنهم استمروا في عدم فهم أن الفشل في التحرك لم يمكّن إيران من تعزيز طموحاتها للهيمنة في الخليج فحسب، بل علّمها أيضًا الدروس الخاطئة حول الردع. لم يتأثروا بـ«ضبط النفس» الأميركي، لكنهم كانوا مقتنعين بشكل متزايد بأننا لم نكن عقبة على الإطلاق. كنا ببساطة نقف عقبة في طريق أنفسنا.

ولإثبات هذه النقطة حتى قبل اجتماع مجلس الأمن القومي الساعة العاشرة صباحًا، أعلن متحدث باسم منظمة الطاقة الذرّية الإيرانية أن إيران لن تنتظر حتى ٨ تموز/يوليو لانتهاك قيود رئيسية في الاتفاق النووي لكنها بدأت بالفعل في ذلك. ستخرق إيران قيد حدود تخزين اليورانيوم المنخفض التخصيب (٣٠٠ كيلوغرام) في غضون عشرة أيام، والقيد المفروض على المياه الثقيلة المخزنة (١٣٠ طنًا) في غضون شهرين إلى ثلاثة أشهر[1]. يمكن أن يبدأ التخصيب إلى مستويات اليورانيوم ٢٣٥ فوق قيد الاتفاق النووي البالغ ٣،٦٧ في المئة في غضون أيام أو ساعات، لأن ذلك لا يتطلب سوى تغييرات ميكانيكية في أنظمة التتابع في أجهزة الطرد المركزي التي تقوم بعملية التخصيب. من الواضح أن إيران كانت تنوي زيادة الضغط على الأوروبيين، الذين كانوا يستميتون

(١) See Laurence Norman and Gordon Lubold, "Iran to Breach Limits of Nuclear Pact, as USto Send More Troops to Mideast," https://www.wsj.com/articles/iran-to-breach-limits-of-nuclear-pact-putting-bid-to-save-deal-in-doubt-11560765015

في محاولة إنقاذ الاتفاق النووي، ولكن الأهم من ذلك، كانت طهران تثبت أيضًا أن هدفها الرئيسي كان برنامج الأسلحة النووية. وردًا على سؤال حول ما إذا كانت إيران ستنسحب من الاتفاق النووي، قال المتحدث «إذا واصلنا هذه الوتيرة، فسيحدث ذلك بالفعل»[١].

التقيت شاناهان ودانفورد وبومبيو في مكتبي قبل اجتماع مجلس الأمن القومي لاستعراض الخيارات التي أعدها البنتاغون. لسوء الحظ، فقد أحضروا بشكل أساسي نفس مجموعة الطروحات التي ناقشناها يوم الجمعة، والتي قال عنها ترامب في ذلك الحين، «كان يجب أن نستهدف شيئًا فورًا بعد إصابة الناقلات. الجيش لم يعطني خيارات». افتتح بومبيو اجتماع مجلس الأمن القومي قائلاً إنه يحرز تقدماً مع دول الخليج العربية بشأن تمويل عمليات مستقبلية: «أنا واثق من أنها ستكتب شيكات مهمة». قال ترامب «يجب عليهم». أضاف: «لم نعد بحاجة إلى نفطهم. لا أريد أن تمتلك إيران أسلحة نووية». بحلول ذلك الوقت، كانت لديه أفكاره الخاصة حول الأهداف التي يجب ضربها، وكانت جميعها أبعد بكثير من الخيارات التي اقترحتها وزارة الدفاع. ربما أدرك ترامب ذلك أو لم يدركه، لكنه كان يشير إلى نقطة مهمة حول كيفية «إعادة بناء الردع»، وهي عبارة مفضلة لدى البنتاغون. فضل رؤساء هيئة الأركان المشتركة القيام بذلك من خلال رد «متناسب» على طريقة «العين بالعين»، بحيث لا يمكن لأحد أن ينتقدهم بسببه. ولكن، في رأيي، كان من الأرجح أن رداً غير متناسب - مثل مهاجمة مصافي النفط أو جوانب من برنامج الأسلحة النووية الإيراني - ضروريًا لإعادة بناء الردع. كان الهدف هو إقناع إيران بأنها ستواجه تكاليف أعلى بكثير مما كانت تفرضه علينا أو على أصدقائنا إذا استخدمت القوة. حتى الآن، لم تدفع إيران أي تكاليف على الإطلاق. حتى أوباما هدد بمهاجمة إيران على الأقل. على الرغم من أن جدية تصريحاته كانت موضع تساؤل[٢]. للأسف، هذا ما كنا نفعله: عدم البحث عن خيارات أخرى. اتفقنا فقط على زيادة عدد الأفراد الذين يقومون بالاستعدادات الدفاعية للقوات الأميركية في المنطقة، وقد واجهنا مشكلة حتى في إصدار بيان صحافي بهذا المعنى بحلول نهاية اليوم. علاوة على ذلك، طغت على تلك الأخبار المتواضعة عملية تجاوز إيران العاصفة لقيود الاتفاق النووي. كانت طهران لاتزال تتجه نحو الأسلحة النووية، بينما نحن كنا نتفرج.

في اليوم التالي، في مقابلة مع مجلة تايم، وصف ترامب الهجمات الأولى وتلك الحديثة بأنها «صغيرة

(١) Laurence Norman and Gordon Lubold، المرجع السابق.

(٢) See Mark Landler, "Obama Says Iran Strike Is an Option, but Warns Israel," March 3, 2012, https://www.nytimes.com/2012/03/03/world/middleeast/obama-says-military-option-on-iran-not-a-bluff.html

جدًا»[1]. تساءلت لماذا أزعج نفسي بالقدوم إلى الجناح الغربي كل صباح. استدعى ذلك عملياً أمراً أكثر خطورة. وكمجرد بداية يوم الأربعاء، أطلقت صواريخ في البصرة، على الأرجح من قبل الميليشيات الشيعية، استهدفت المقرات المحلية لثلاث شركات نفط أجنبية (إكسون، وشل، وإيني)، مما أدى إلى وقوع العديد من الإصابات ولكن لم يسقط قتلى[2]. وكان رد الحكومة العراقية هو الإعلان عن حظر الهجمات من أراضيها ضد الدول الأجنبية[3]. كان الأمر سيكون جيداً لو عامل العراق القوات العسكرية لإيران وحلفاءها الشيعة على أراضيه على قدم المساواة مع الولايات المتحدة، لكن ذلك كان مستحيلاً، بالنظر إلى هيمنة إيران في بغداد. رفضنا الاعتراف بهذا الواقع، حتى مع استمراره في التوسع، كما كان يفعل منذ عدة سنوات. ولم تبد واشنطن في ذلك الصباح أي اهتمام بالرد على الهجمات الصاروخية. بالتأكيد كان قائد الحرس الثوري الإيراني الجديد، حسين سلامي، وقائد فيلق القدس، قاسم سليماني، يبتسمان ابتسامات عريضة.

الخبر الأكبر في ذلك اليوم هو أن شاناهان سحب ترشيحه لمنصب وزير الدفاع. ظهرت تقارير عن اضطرابات عائلية سابقة تسببت بها زوجته السابقة، ولم يرغب في إثارتها في جلسات تأكيد تعيينه في المنصب. كانت مأساة كبيرة، كان لديه رغبة في حماية عائلته من مزيد من التعاسة، كان في وضع لا يحسد عليه. قرر ترامب على الفور ترشيح وزير الجيش مارك إسبر (زميل بومبيو في ويست بوينت) للمنصب، واتصل به على الفور من المكتب البيضاوي. بالعودة إلى مكتبي، اتصلت بإسبر لأهنئه والبدء بترشيحه الرسمي. في اليوم التالي، أتى إسبر إلى البيت الأبيض في وقت متأخر بعد الظهر لالتقاط صور مع ترامب، وتحدثنا عن أزمة إيران الحالية أثناء انتظار الاجتماع والصور.

بعد ذلك، عدنا أنا وإسبر إلى مكتبي، حيث تلقى مكالمة مفادها أن محطة كهرباء تابعة لمنشأة تحلية مياه سعودية أصيبت بصاروخ حوثي. غادر إسبر على الفور إلى البنتاغون، واتصلت بدانفورد، الذي لم يكن قد سمع بعد بالهجوم. مشيت إلى المكتب البيضاوي في الساعة ٦:٢٠ مساءً

(١) See Tessa Berenson, "Exclusive: President Trump Calls Alleged Iranian Attack on Oil Tankers 'Very Minor,'" https://time.com /5608787/iran-oil-tanker-attack-very-minor/. https://time.com/5608787/iran-oil-tanker-attack-very-minor/

(٢) See Alissa J. Rubin, "2 Rockets Strike Oil Fields in Southern Iraq," June 19, 2019, https://www.nytimes.com/2019/06/19/world/middleeast/iraq-rocket-attacks-basra.html. https://www.nytimes.com/2019/06/19/world /middleeast/iraq-rocket-attacks-basra.html

(٣) See Bethan McKernan, "Iraq rocket attack: oil firms begin evacuating staff from Basra site," June 19, 2019, https://www.theguardian.com/world/2019/jun/19/iraq-rocket-attack-basra-injured-foreign-oil-companies

لإخبار ترامب، وسأل عما إذا كان يجب أن نجتمع على الفور للنظر في ما يجب فعله. كنت قلقاً من أن هذا التقرير قد يكون مخطئًا أو مبالغًا فيه، لذلك قلت إننا يجب أن ننتظر حتى صباح الخميس للنظر في ما يجب فعله.[١] اتصلت بدانفورد وبومبيو، وأخبرتهما بأننا سنجتمع في الصباح التالي.

في حين بدت الضربة على منشأة الشقيق لتحلية المياه أمرًا كبيرًا في ذلك الوقت، كان الأمر الأكبر بكثير هو اتصال غرفة العمليات في تلك الليلة حوالي التاسعة وثلاثين دقيقة لإبلاغي أن إيران أسقطت طائرة بدون طيار أميركية أخرى، وهي الثانية في أقل من أسبوعين، وهذه كانت من نوع «آر.كيو ٤ إي غلوبال هوك» وقد أسقطت فوق مضيق هرمز. كان من المقرر بالفعل تناول وجبة الإفطار الأسبوعية مع شاناهان وبومبيو صباح الخميس، وتمت إضافة إسبر ودانفورد بعد الهجوم على محطة تحلية المياه، لذلك كنا مستعدين بالفعل للتشاور. اجتمعنا في صباح اليوم التالي، ٢٠ حزيران/يونيو، الساعة السابعة صباحاً في غرفة البحرية. أفاد دانفورد أولاً بأنه بناءً على طلب السعوديين، كان لدى قائد القيادة المركزية فرانك ماكنزي فريق متجه إلى مصنع الشقيق لتقييم الأضرار وتحديد الأسلحة التي أصابت المنشأة (والتي، كما هي الحال مع العديد من هذه المصانع السعودية، عملت أيضًا كمحطة توليد للطاقة). اتفقنا على أن يقدم ضابط من القيادة المركزية إحاطة عامة في أقرب وقت ممكن من أجل نشر الخبر على نطاق واسع.

الأهم من ذلك بكثير كان رد فعل دانفورد على إسقاط الطائرة بدون طيار «غلوبال هوك». فوصف تلك الحادثة، التي أسفرت عن تدمير أصول أميركية تقدر بشكل مختلف في وسائل الإعلام بتكلفة تتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ مليون دولار[٢]، بأنه «مختلف نوعياً» عن الهجمات الأخرى في القائمة الطويلة من الهجمات والاستفزازات على مدى الأشهر العديدة الماضية، والتي لم نفعل شيئاً رداً عليها. كان دانفورد مقتنعاً تمامًا بأن طائرة المراقبة الموجهة عن بُعد كانت دائمًا في المجال الجوي الدولي، على الرغم من أنها حلقت على الأرجح عبر منطقة حددتها إيران من جانب واحد على أنها فوق مياهها، ولكن لا يعترف أحد بأنها إيرانية سوى إيران. اقترح دانفورد ضرب ثلاثة مواقع على طول الساحل الإيراني. هذه المواقع الثلاثة، على الرغم من أنها ربما لم تشارك في إسقاط

(١) أصدرت سارة ساندرز بيانًا قصيرًا مفاده أن ترامب تم إطلاعه على الهجوم في ذلك المساء.
See Saudi Desalination Plant Struck by Missile from Yemen, U.S. Drone Shot Down–Reports," June 20, 2019, http://sustg.com/saudi-desalination-plant-struck-by-missile-from-yemen-u-s-drone-shot-down-reports/

(٢) See, e.g., Henry Fernandez, Fox News, "US navy drone shot down by Iranian missile cost $130M," June 20, 2019, https://www.foxbusiness.com/politics/us-navy-drone-shot-down-iranian-missile-cost

«غلوبال هوك»، تُعتبر متناسبة مع خسارتنا[1]. كانت إحدى نقاطه الرئيسية أنه اعتقد أن هذا الرد «نسبي» وغير «تصعيدي». وبالضبط لأنني اعتقدت أننا بحاجة لرد أكبر بكثير لإعادة الردع، اقترحت إضافة عناصر أخرى إلى قوائم الخيارات التي تمت مناقشتها سابقًا مع ترامب بعد هجمات الناقلات. استمر الأخذ والرد لبعض الوقت، على الرغم من أننا جميعاً كنا نريد الانتقام، إلا أنني وبومبيو أردنا رداً أقوى من ذلك الذي أراده دانفورد وشاناهان. إسبر، الجديد في القضية، كان صامتًا إلى حد بعيد. في نهاية المطاف، توصلنا إلى حل وسط بتدمير المواقع الثلاثة والعديد من الإجراءات الأخرى. قلت إنني أريد أن أتأكد من أننا جميعًا متفقون، وذلك لأخبر ترامب أن مستشاريه سيقدمون توصية بالإجماع. كان هذا أمراً جيداً للرئيس. في حين كان واضحاً أن لديه القرار النهائي، لا يمكن لأحد أن يقول إنه سيكون ضعيفًا جدًا أو متشدداً جداً بشأن إيران إذا ما اختار توصيتنا. ولن تكون هناك فرصة للتسلية المفضلة لوسائل الإعلام لفضح الصراع بين مستشاريه. أكدت التقارير الصحافية اللاحقة، نقلاً عن مصادر مجهولة، أن دانفورد لم يوافق على قرار ترامب[2]. هذا ببساطة ليس صحيحاً. وافق دانفورد والجميع في وجبة الإفطار.

بينما كنا نتحدث، قرر ترامب مقابلة قادة الكونغرس الذين كان من المقرر عقد اجتماع معهم في وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم قبل اتخاذ قرار نهائي. اتصلت به فور مغادرته الإفطار لشرح محادثتنا وقلت إن كبار مستشاريه اتفقوا على الرد، وإننا نعتقد أن إجماعنا سيكون مفيدًا له. وافق ترامب على الفور، وكان لدي شعور واضح بأنه يعلم أن عليه فعل شيء ردًا على تدمير «غلوبال هوك». لا مجال إلا لرد عسكري. كانت تغريدته قبل اجتماع مجلس الأمن القومي واضحة: «ارتكبت إيران خطأ فادحًا للغاية!» قال مولفاني في وقت لاحق إنه يعتقد أيضًا أن ترامب سيتصرف وأنه أراد إحاطة قادة الكونغرس لتوفير تغطية سياسية لأي شيء قرر القيام به.

بدأ اجتماع مجلس الأمن القومي بالفعل في الوقت المحدد في الساعة ١١ صباحًا، مما يدل على أن ترامب أخذ ذلك على محمل الجد. حضرت أنا، وبنس، وإسبر، وشاناهان، ودانفورد، وبومبيو، وهاسبل، ومولفاني، وسيبولوني، وأيزنبرغ. ولأننا كنا قد عقدنا العديد من اجتماعات مجلس الأمن القومي والمحادثات الأخرى بين الأشخاص الرئيسيين في الأسابيع السابقة، لم تكن القضايا جديدة

(١) See, e.g., Michael D. Shear, Eric Schmitt, Michael Crowley, and Maggie Haberman, "Strikes on Iran Approved by Trump, Then Abruptly Called Back," June 20, 2019, https://www.nytimes.com/2019/06/20/world/middleeast/iran-us-drone.html?smid=nytcore-ios-share and James LaPorta and Tom O'Connor, "Donald Trump Decided to Strike Iranian Missile System, Then Changed His Mind," June 21, 2019, https://www.newsweek.com/us-military-strikes-iran-drone-1445116

(٢) See, e.g., Peter Baker et al., "Urged to Launch an Attack, Trump Listened to the Skeptics Who Said It Would Be a Costly Mistake," posted at https://www.nytimes.com/2019/06/21/us/politics/trump-iran-strike.html

أو تفتقر إلى أسس جوهرية للنظر والنقاش المسبقين. عرضت القضايا التي تواجهنا، ثم طلبت من دانفورد شرح ما حدث لطائرة «غلوبال هوك»[٣]. قال إن مركبتنا غير المأهولة تكلف ١٤٦ مليون دولار[٤]: وإنها كانت تحلق طوال مهمتها في المجال الجوي الدولي، بما في ذلك عندما أسقطت: وكنا نعرف موقع البطارية التي أطلقت الصاروخ الذي دمرها، بناءً على الحسابات والتجارب المشابهة للتحقيقات في تحطم الطائرات[٥]. ثم قدم دانفورد الاقتراح الذي اتفقنا عليه في وجبة الإفطار، وهو ضرب ثلاثة مواقع والإجراءات الأخرى. البقية منا الذين حضروا الإفطار قالوا إننا اتفقنا مع دانفورد. وقال أيزنبرغ إنه يريد «النظر فيه»، لكنه لم يبد أي تحفظ حول المشاكل القانونية التي يمكن مواجهتها. لم يسأل بأي شكل من الأشكال عن مستوى الخسائر التي قد تنجم عن هذه الضربات. سأل ترامب عما إذا كانت المواقع روسية، وكم كانت باهظة الثمن، وأكد له دانفورد أنها روسية الصنع ولكنها ليست باهظة الثمن مثل طائرتنا بدون طيار[٦]. ناقشنا احتمال إصابات روسية، وهو أمر مشكوك فيه ولكن ليس مستحيلاً. وقال دانفورد إن الهجمات ستكون في وقت متأخر من الليل، بحيث يكون عدد الأشخاص الذين يديرون الموقع صغيراً، على الرغم من أنه لم يذكر رقمًا دقيقًا. كما لم يطلب منه أي شخص حاضر فعل ذلك.

كان من الواضح لي من طريقة ترامب أنه يريد ضربة أكبر مما اقترحناه. وعندما سأل عن

(٣) كما أصدرت القيادة المركزية الأميركية (CENTCOM) بيانات عامة.
https://www.centcom.mil/MEDIA/STATEMENTS/Statements-View/Article/1881682/us-central-command-statement-iranians-shoot-down-us-drone/
https://www.centcom.mil/MEDIA/STATEMENTS/Statements-View/Article/1882519/us-air-forces-central-command-statement-on-the-shoot-down-of-a-us-rq-4/

(٤) كما ذكرسابقًا، اختلفت التقديرات حول المعدات التي تحملها كل طائرة بدون طيار. كان اقتباس دانفورد حول التكلفة هنا ضمن النطاق المذكور سابقًا. كانت التقديرات العامة الأخرى تصل إلى ٢٢٠ مليون دولار.
See, Lily Hay Newman, "The Drone Iran Shot Down Was a $220M Surveillance Monster," June 20, 2019, https://www.wired.com/story/iran -global-hawk-drone-surveillance/

(٥) أصدرت القيادة المركزية الأميركية خريطة تبين الموقع الذي يعتقد أنه تم من خلاله إطلاق صواريخ سام الإيرانية.
Amy McCullough, Jennifer-Leigh Oprihory, and Jennifer Hlad, "CENTCOM: Iranian SAM Shoots Down US Drone Over Strait of Hormuz," June 20, 2019, https://www.airforcemag.com/centcom-iranian-sam-shoots-down-us-drone -over-strait-of-hormuz/

(٦) تمتلك روسيا علاقات عسكرية مكثفة ومبيعات وتعاون مع إيران، وكثيراً ما تنطوي على عناصر تدريب ومساعدة. انظر، على سبيل المثال،
Michael Eisenstadt, "Russian Arms and technology Transfers to Iran: Policy Challenges for the United States," https://www.armscontrol.org/act/2001-03/iran-nuclear-briefs/russian-armstechnology-transfers-iranpolicy-challenges-united; and Maxim A. Suchkov, "Intel: How Russia is deepening military ties with Iran to counter the US," June 30, 2019, https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2019/07/intel-russia-deepening-military-ties-iran-counter-us.html

هذا الاحتمال بطرق مختلفة، قلت: «يمكننا أن نفعل كل ذلك في وقت واحد، أو على شكل مجزأ. يمكننا أن نفعله كما تشاء»، فقط حتى يفهم ترامب أننا لا نستطيع منعه من النظر الى خيارات أخرى من خلال تقديم توصية متفق عليها. إن استعادة صدقية الولايات المتحدة، وردعنا الذي لا يكاد يذكر ضد الدولة المارقة التي تطمح إلى الأسلحة النووية، وذات الطابع الديني والعسكري، كان يمكن أن يبرر القيام بأكثر من ذلك بكثير، لكنني لم أشعر أنني بحاجة إلى تقديم هذه الحجة. كنت على يقين من أن ترامب سيوافق على الأقل على الحزمة المتفق عليها في الإفطار. عارض دانفورد أي شيء آخر غير فكرة الإفطار، على الرغم من أنه كان واثقًا جدًا من نجاح هذه الحزمة، كما كنا جميعًا. استمر النقاش، على الرغم من أن بومبيو جلس صامتًا في الغالب. قال ترامب في إحدى المرات: «بولتون كمعتدل» لأنني كنت أدعم حزمة الإفطار، وضحك الجميع. وانتقلت إلى مسألة التمويل، فقلت: «ستكون هذه عملية مربحة»، ووصف بومبيو مرة أخرى جهوده المشجعة لجمع الأموال حتى الآن، والتي كان يسعى فيها أيضًا إلى المشاركة العسكرية الفعلية في الدوريات البحرية المشتركة وما شابه ذلك. وسيغادر في عطلة نهاية الأسبوع لإجراء المزيد من المشاورات في المنطقة. قال ترامب: «لا تتحدث عن المحادثات، فقط أطلب المال والدوريات»[1].

ثم انطلق ترامب للحديث عن قانون كيري/لوغان، الذي بدونه لم يكن هناك اجتماع رسمي بشأن إيران. اختتمت المناقشة بتلخيص القرار، الذي كان حزمة الإفطار. وافق ترامب وأراد أن ينشر بيانًا، يملي فيه أننا «سنرد بشكل طفيف على خطأ الإيرانيين». بما أن الانتقام كان يجب أن يكون مفاجأة لإيران، لم يوافق أحد آخر، وضاعت الفكرة في المراوغة. سأل ترامب عن موعد الضربة، وقال دانفورد إنهم يقدرون عند الساعة التاسعة مساءً بتوقيت واشنطن (الذي كان يقصد به وقت الوصول إلى الأهداف). قال دانفورد أيضاً: «أيها السيد الرئيس، سنعلمك إذا حاولوا قتل أميركيين رداً على ذلك، وقال ترامب: «لا أعتقد ذلك. أنا قلق على جنودنا في سوريا. أخرجهم». أجاب دانفورد: «نريد أن نصل إلى هذه النقطة»، ورد ترامب: «سوريا ليست صديقتنا».

كانت هناك ثلاثة جوانب مهمة حول القرار الذي تم التوصل إليه للتو: (١) كنا نضرب أهدافًا عسكرية فاعلة، كما هو موضح أعلاه، وليس مجرد أهداف رمزية. (٢) كنا نضرب داخل إيران، عابرين خطاً أحمر إيرانياً، وبالتأكيد سنختبر تأكيداتهم المتكررة أن مثل هذا الهجوم سيقابل برد شامل. و (٣) كنا نضرب أهدافًا من المحتمل أن تؤدي إلى إصابات، وهو السؤال الذي واجهناه، بعد

---

(١) أصدرت القيادة المركزية الأميركية (CENTCOM) بيانا بعد فترة وجيزة من الهجوم على تطوير «عملية الحارس»، والذي كان يهدف إلى توظيف الدوريات البحرية في وحول الخليج من خلال جهد تعاوني متعدد الأطراف.

See "U.S. Central Command Statement on Operation Sentinel," July 19, 2019, https://www.centcom.mil/MEDIA/STATEMENTS/Statements-View/Article/1911282/us-central-command-statement-on-operation-sentinel/

أن سمع ترامب أن الهجمات التي أمر بها تعني قتلى إيرانيين (وربما قتلى روساً). بعد ذلك، كانت نظريات متفاوتة حول قرار ترامب المذهل بإلغاء الضربة، لكنني أعتقد بقوة أن ترامب كان يعرف بالضبط ما كان يفعله عندما اتخذ القرار.

كانت لدينا جلسة إحاطة مقررة مع الكونغرس. وصلت بيلوسي إليها متأخرة عشرين دقيقة. انتظر ترامب مع بقيتنا في غرفة الحكومة، وكانت هناك محادثة متكلفة (حتى لا نقول أكثر). أثير موضوع شركة هواوي، وقال تشاك شومر: «لديك ديمقراطيون إلى جانبك»، في ما يتعلق بالصلابة ضد هواوي. السيناتور مارك وارنر، الديمقراطي البارز في لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ، قال: «لا يوجد أمان مع شبكة هواوي. يمكن أن نفقد الصدقية مع حلفائنا إذا استخدمناها في التجارة [بمعنى فرض تنازلات تجارية صارمة من بكين مقابل إلغاء عقوبات هواوي]». كان وارنر محقًا في ذلك. لكن ترامب يعتقد أن كل شيء كان مفتوحًا في المفاوضات التجارية. وأخيراً عندما دخلت بيلوسي، شرح ترامب الوضع. سأل آدم شيف، الرئيس الديمقراطي للجنة المخابرات الدائمة التابعة لمجلس النواب، عن خططنا. تهرب ترامب قائلاً: «إنهم [الإيرانيون] يريدون التحدث»، لكنه ألقى باللوم على انتهاك كيري لقانون لوغان لثنيهم. كان الديمقراطيون قلقين من استخدام القوة العسكرية، لكن ترامب كان يسوق فكرة «الضربة، ولكن ليس الضربة التي ستكون مدمرة للغاية». قال ترامب في وقت لاحق: «عدم القيام بأي شيء هو أخطر خطوة»، مما دفع جيم ريش إلى التدخل: «أوافق»، ووافق جميع الجمهوريين.

سأل مايك ماكول (جمهوري، تكساس) ما إذا كان بإمكاننا تدمير المواقع في إيران التي جاء منها الهجوم. آمل ألا يكون أحد قد ابتسم عندما أجاب ترامب: «لا يمكنني التعليق، لكنك ستكون سعيدًا». سأل ميتش ماكونيل: «كيف يختلف هذا عن النوبات الدورية الأخرى على مدار السنوات الماضية؟» رد ترامب بشكل صحيح: «الأمر ليس بسبب هذا الحادث. إنه المكان الذي يريدون الذهاب إليه. لا يمكننا السماح لهم بالحصول على الأسلحة النووية». وأضاف دانفورد: «ما هو مختلف نوعيًا هو أنه هجوم مباشر من إيران. وهذا هو السبب»».

انتهى هذا الاجتماع الساعة ٤:٢٠، وتسارعت الاستعدادات للهجوم. بما أنني توقعت أن أكون في البيت الأبيض طوال الليل، ذهبت إلى منزلي في حوالي الساعة ٥:٣٠ لتغيير ملابسي والعودة. وأكد دانفورد أن الساعة ٧:٠٠ مساءً كانت النقطة الحاسمة لاتخاذ القرار الأخير بشأن الهجوم على المواقع الإيرانية الثلاثة، لذا اكتشفت أن لدي الكثير من الوقت قبل ضربة الساعة ٩:٠٠ مساءً. اتصلت بترامب من مركبة للخدمة السرية في حوالي ٥:٣٥ وأخبرته أن كل شيء يسير على الطريق الصحيح. قال: «حسنًا، لنقم بذلك». لقد تحدثت إلى شاناهان في الساعة ٥:٤٠ حول نوع البيانات التي سيدلي بها هو ودانفورد في البنتاغون بمجرد انتهاء الهجمات وما إذا كان يجب عليهما الإجابة

عن الأسئلة أو مجرد قراءة البيانات المكتوبة. وصلت إلى المنزل، وغيرت ملابسي، ورجعت على الفور، حيث تعرضت لزحمة سير خانقة على بولفار جورج واشنطن. عندما كنت في طريقي، اتصل شاناهان ليخبرني أن خبر الهجوم على سفارة المملكة المتحدة في إيران كان خاطئاً، وأنه و دانفورد قررا تأجيل موعد الضربة الى ١٠:٠٠ مساءً. كان مصدر هذه المعلومات ضابط اتصال بريطانيًّا في هيئة الأركان المشتركة، لكن شاناهان قال إن بومبيو يقوم بالتحقق من ذلك (وقرر أنه كان حادث سيارات تافهاً). لم أستطع أن أصدق أن البنتاغون قد غيّر وقت الهجوم بمفرده، لا سيما بناءً على المعلومات الضئيلة المشمولة. اتصلت بترامب لأقول إننا قد نضطر إلى تأجيل الهجوم لمدة ساعة، على الرغم من أننا ما زلنا نتحقق من الأمور. لم يفهم ترامب أيضًا سبب اضطرارنا إلى تأخير الأمر، لكنه لم يعترض.

اتصلت بدانفورد بعد إنهاء المكالمة مع ترامب وقيل لي إن الاثنين يتحدثان. وبسبب شعوري بالقلق الآن من أن شاناهان ودانفورد قد أصابهما الخوف، اتصلت ببومبيو (الذي كان في مقر إقامته) لمقارنة المعلومات. كان يعتقد أن شاناهان ودانفورد كانا مذعورين وسلوكهما مضطرباً. لقد قالا له إن علينا الانتظار يومين، لنرى ما إذا كان بإمكاننا جعل البريطانيين ينضمون إلى الانتقام بعد الهجوم على سفارتهم (على الرغم من الأحداث اللاحقة، لم تتقدم هذه الفكرة أبعد من ذلك). الامر ازداد سوءاً. عندما كنت أتحدث مع بومبيو، اتصلت غرفة العمليات لتقول إن ترامب يريد إجراء مكالمة جماعية مع كلينا، ومع شاناهان ودانفورد. وصار ترامب على السمع عند الساعة ٧:٢٠ تقريباً (كنت أعبر ببطء جسر روزفلت عبر بوتوماك) ليقول إنه قرر إلغاء الضربات لأنها لم تكن «متناسبة». قال: «مئة وخمسون مقابل واحد»، واعتقدت أنه ربما كان يشير إلى عدد الصواريخ التي قد نطلقها مقارنة بالصاروخ الإيراني الذي أسقط «غلوبال هوك». وبدلاً من ذلك، قال ترامب إن شخصاً أخبره أنه قد يكون هناك مئة وخمسون إصابة إيرانية. قال ترامب: «هذا عدد كبير جداً من أكياس الجثث»، وأوضح أنه لم يكن على استعداد لهكذا عدد من القتلى بسبب طائرة واحدة بدون طيار - «غير متناسب»، قال مرة أخرى. حاول بومبيو التفكير معه ولم يوفق. قائلًا إنه يمكننا ضربهم لاحقًا، قطع ترامب المناقشة، وكرر أنه لا يريد أن يظهر الكثير من القتلى على شاشة التلفزيون. حاولت أن أغير رأيه، لكني لم أستطع. قلت إنني اقتربت من البيت الأبيض وسوف آتي إلى المكتب البيضاوي عندما أصل.

في تجربتي الحكومية، كان هذا أكثر شيء غير منطقي رأيته على الإطلاق من قبل أي رئيس. تذكرت سؤال كيلي لي: ماذا سيحدث إذا دخلنا في أزمة حقيقية والرئيس هو ترامب؟ حسنًا، لدينا الآن رئيس، وقد تصرف بشكل غريب، تمامًا كما كان كيلي يخشى. عندما وصلت إلى مدخل البيت الأبيض على جادة ويست إكزيكيوتيف، بعد الساعة السابعة والنصف بقليل، كان كوبرمان في

الخارج لاستقبالي قائلاً إن الضربة ألغيت. ذهبت إلى مكتبي لأضع حقيبتي وذهبت مباشرة إلى المكتب البيضاوي، حيث وجدت سيبولوني، أيزنبرغ، وأحد موظفي مولفاني. لقد أجريت محادثة سريالية تمامًا مع ترامب، علمت خلالها أن أيزنبرغ، بمفرده، قد ذهب إلى المكتب البيضاوي برقم «مئة وخمسين ضحية»، وهو رقم تم رسمه في مكان ما في وزارة الدفاع (حيث علمت المزيد في اليوم التالي)، بحجة أنه من غير القانوني الانتقام بهذه الطريقة غير المتناسبة. كان هذا كله هراء مطلقًا، سواء ما يسمى برقم الضحايا، والذي لم يتحقق منه أي مسؤول كبير، أو الحجة القانونية، التي استندت إلى بيان خاطئ بصورة فادحة عن مبدأ التناسب. (بعد الحدث، عمم المعلقون اقتباسًا من ستيفن شويبل، كبير القضاة الأميركيين السابق في محكمة العدل الدولية، أنه «في حالة اتخاذ إجراء لغرض محدد يتمثل في وقف هجوم مسلح وصده، فإن هذا لا يعني أنه يجب أن يكون الإجراء متناسبًا إلى حد ما مع الهجوم»)[1]. قال ترامب إنه اتصل بدانفورد (ربما كانت اللحظة التي حاولت فيها الاتصال به) بعد أن تحدث إليه أيزنبرغ، ولم يعترض دانفورد على القرار. أخبرني دانفورد في اليوم التالي أن هذا غير صحيح، لكن الضرر حدث بالفعل. كانت تعوزني الكلمات، التي يجب أن تكون واضحة للجميع في المكتب البيضاوي. حاولت أن أوضح أن أرقام «الضحايا» المزعومة كانت تخمينية بالكامل تقريبًا، لكن ترامب لم يصغ. كان يفكر في صور مئة وخمسين كيسًا من الجثث، ولم يكن هناك أي تفسير للقيام بذلك. لم يقدم أي مبرر آخر، ببساطة كرر قلقه بشأن الصور التلفزيونية للإيرانيين القتلى. قال ترامب أخيرًا: «لا تقلق، يمكننا دائمًا الهجوم لاحقًا، وإذا فعلنا ذلك فسيكون الأمر أكثر شدة»، وهو وعد يستحق ما دفعته مقابل ذلك بالضبط.

ذهبت إلى مكتبي واتصلت ببومبيو الساعة ٧:٥٣ مساءً في مقر إقامته. كان كلانا في نفس الحال المزاجية. وصفت المشهد في المكتب البيضاوي، وحرضت بومبيو على أيزنبرغ. الذي كان، حين تولى بومبيو إدارة وكالة المخابرات المركزية، قد عرقل إجراء للوكالة بنفس النوع من التوسط غير المسؤول ونصف المدروس. لم يغفر له بومبيو قط. أكد كوبرمان، الذي كان في مكتبه بجوار مكتبي طوال الوقت، أن أيزنبرغ لم يحاول التحدث معه، ولم يحاول الاتصال به، ولم يحاول العثور على سيبولوني أو مولفاني. هرع ببساطة إلى المكتب البيضاوي ليخبر ترامب أنه كان على وشك قتل مئة وخمسين إيرانيًا. كان هذا غير دقيق تمامًا، ولم تتم تنقيته، ولم يتم النظر فيه، ولكن مجرد نوع من «الحقيقة» التي أشعلت اهتمام ترامب، كما حدث هنا. لا توجد عملية صنع قرار، نقطة. قال بومبيو: «هذا أمر خطير حقًا»، بينما ناقشنا أخطاء اليوم، وعلى الأخص إهمال قرار ارتكز إلى تحليل وتقييم إجماعي للبيانات ذات الصلة ببساطة لأن أيزنبرغ، في اللحظة الأخيرة، دون استشارة أي

(١) See Schwebel, Judge Stephen, Nicaragua vs. U.S., 1986 I.C.J. 14, 259) June 27), quoted in "Draft Articles on State Responsibility–Comments of the Government of the United States of America", U.S. State Department, http://www.state.gov/documents/organization/28993.pdf, March 1, 2001

شخص، اعتقد أن ترامب يجب أن يسمع «حقيقة» لم تكن حقيقة على الإطلاق، حقيقة كانت خاطئة تمامًا. وكما قال بومبيو، «هناك أوقات تريد فيها فقط أن تقول «أنتم أيها الناس فكروا في الأمر».

بعد أن أنهيت مكالمتي، أخبرني كوبرمان أن بنس عاد إلى البيت الأبيض، وكان لايزال يتوقع الضربة في الساعة التاسعة مساءً. وأراد أن يعرف ما حدث. ذهبت إلى مكتب نائب الرئيس في حوالي الساعة الثامنة، وتحدثنا لمدة عشرين دقيقة. كان بنس مذهولاً كما كنت. وافق على النزول إلى القاعة لرؤية ترامب ومعرفة ما إذا كان هناك أي طريقة للعودة عن قرار إلغاء الضربة، ولكن من الواضح أنه لم يكن كذلك. غادرت إلى المنزل حوالي الساعة الثامنة وأربعين مساءً.

لقد فكرت في الاستقالة عدة مرات من قبل، لكن هذا بالنسبة لي كان نقطة تحول. إذا كانت هذه هي الطريقة التي سنتخذ بها القرارات في الأزمات، وإذا كانت هذه هي القرارات التي يتم اتخاذها، فما هي الفائدة؟ عملت في البيت الأبيض أكثر من أربعة عشر شهرًا بقليل. لم أكن أنوي المكوث طويلاً.

يوم الجمعة ٢١ حزيران/يونيو، مع انتشار قصص إعلامية مشوشة[١]، قال مولفاني إنه تحدث مع سيبولوني و أيزنبرغ في الليلة الماضية، وأن أيزنبرغ قد اعترف بأنه لم يتحدث إلى أحد قبل وصوله إلى المكتب البيضاوي، مؤكداً أنه لم يكن هناك وقت قبل اللحظة الحاسمة. لم يكن لدى أيزنبرغ أي تفسير لظهور حجة وزارة الدفاع فقط في اللحظة الأخيرة، ولإثبات مدى بعده عن الحلقة، لم يكن يعلم أن الهجوم قد تأخر بالفعل لمدة ساعة. كان هناك متسع من الوقت لإصدار حكم مدروس أكثر. استنتج مولفاني من إجابات أيزنبرغ المشوشة وعدم إدراك سيبولوني أن سلوك أيزنبرغ كان «غير مقبول». كان هناك عدد من الأخطاء العملية «غير المقبولة» يوم الخميس، وخطأ أيزنبرغ هو الأسوأ.

تحدثت مع بومبيو بعد ذلك، وقمنا باسترجاع أسوأ لحظات اليوم السابق. حول الفكرة الهزلية للهجوم على سفارة المملكة المتحدة في طهران، كتب وزير الخارجية جيريمي هنت (الذي ايقظه بومبيو للحصول على الحقائق) في رسالة إلكترونية إلى بومبيو يقول: «يسعدني دائمًا التحدث معك، ولكن لماذا أيقظتني في منتصف الليل؟ هل صدم أحد الحمقى بوابة سفارتنا بسيارته؟ لا جديد في عالمنا!» لا يستحق هذا الأمر الخيالي ذلك. تحدثنا مرة أخرى في وقت لاحق من الصباح، وقال بومبيو، محللاً أحداث الخميس: «لا أستطيع أن أفعل ما يريده [ترامب] مني. إنه غير عادل إلى حد بعيد. لا أستطيع فعل ذلك. نضع شعبنا في خطر. وأنت تعرف ماذا سيحدث عندما ألتقيه اليوم لتناول طعام الغداء؛

(١) See, e.g., Michael D. Shear et al., "Strikes on Iran Approved by Trump, Then Abruptly Pulled Back," https://www.nytimes.com/2019/06/20/world/middleeast/iran-us-drone.html ; and Michael D. Shear, et al., "Trump Says He Was 'Cocked and Loaded' to Strike Iran, but Pulled Back," June 21, 2019, https://www.nyt.com/2019/06/21/us/politics/trump-iran-attack.html

سوف يحرجني. سيقول: «مايك، أنت تعرف أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب القيام به، أليس كذلك؟» سألت بومبيو كيف يخطط للتعامل مع هذا الإحراج، والذي ليس سببه حيرة ترامب بشأن قراره ولكن لأنه أراد من بومبيو قبول وجهة نظره. رد بومبيو: «سأقول: سيدي، هذه وجهة نظر، ولكن اسمحوا لي تقديم وجهة نظري، فلو كنت أباً لابن في قاعدة الأسد الجوية لشعرت بالخطر أكثر، وذلك في محاولة لإضفاء الطابع الشخصي عليه. أود أن أقول، إذا تركنا هذا دون رد، فإن خطر إيران النووية يرتفع». كان هذا كله صحيحًا، لكن كلينا لا يعتقد أنه سيؤثر على ترامب. لم يحاول مطلقاً أن يتطابق مع وجهة النظر هذه، ربما لأنه لم يعد مهتماً، أو لم يكن أصلاً.

قال بومبيو إنه ظل مستيقظًا حتى الساعة الثانية صباحًا، فقد كان منزعجاً جداً. ورأى أن الإجماع في إفطار الخميس كان قوياً بما يكفي ليكون الأساس لقرارالضربة. إلغاء هذا القرار يقوض جميع حججنا حول إيران. قال: «ترامب حر في أن يقرر ما يريد، ولكن لا يمكنني أن أحدد كيف أنفذ ما يريده. يمكننا الاستمرار في إخبار الناس أننا قلقون بشأن برامج الصواريخ الإيرانية، ولكن من سيصدقنا؟» كان هناك المزيد، لكن تعليق بومبيو هنا كشف في الواقع عن اختلاف كبير بيننا. لم أكن جاهزاً لإعطاء ترامب الحرية في ما يقرر، لأن الكثير منه كان خطأً فادحًا. لقد طلبت أن نستمر في قول ما قلناه. برزت لدينا للتو الأزمة التي توقعها كيلي وكان ترامب يتصرف بشكل غير منطقي بقدر ما كان يخشى. اتفقنا على عدم الاستقالة دون الاتصال بعضنا ببعض أولاً، وهي المرة الأولى التي يطرح فيها هذا الموضوع. لن أصف هذا على الإطلاق بأنه تبادل طويل حول إيجابيات وسلبيات الاستقالة، وهو ما لم يكن كذلك، ولكن من الواضح أن الموضوع كان معلقًا في الهواء.

أجرى ترامب مكالمة هاتفية مع محمد بن سلمان، وقبل ذلك، سألني عن رأيي حول بيان كان يفكر في نشره عبر التويتر. لم أعترض، وفكرت في نفسي: «لم لا؟ سارت الأمور بشكل خاطئ للغاية في اليوم السابق، كيف يمكن لبعض التغريدات أن تجعل الأمرَ أكثر سوءاً؟» ها هي:

> أبرم الرئيس أوباما صفقة يائسة ورهيبة مع إيران – قدم لهم ١٥٠ مليار دولار بالإضافة إلى ١,٨ مليار دولارنقداً! كانت إيران في وضع صعب وساعدهم على اجتياز المتاعب. فتح لهم طريقاً حراً إلى الأسلحة النووية، وقريبًا. وبدلاً من القول شكراً، صاحت إيران...
>
> ... الموت لأميركا. لقد أنهيت الصفقة التي حتى لم يصادق عليها الكونغرس، وفرضت عقوبات شديدة. إنهم دولة ضعيفة اليوم أكثر مما كانت عليه في بداية رئاستي، عندما كانوا يتسببون في مشاكل كبيرة في جميع أنحاء الشرق الأوسط. هم الآن مفلسون.

> يوم الاثنين أسقطوا طائرة بدون طيار تحلق فوق المياه الدولية. كنا على وشك الهجوم على ثلاثة مواقع مختلفة الليلة الماضية وعندما سألت، كم سيموت؟ أجابني أحد الجنرالات بأن مئة وخمسين شخصاً سيسقطون. وكان ذلك قبل عشر دقائق من الضربة فأوقفتها.
>
> ... الضربة لا تتناسب مع إسقاط طائرة بدون طيار. أنا لست في عجلة من أمري، أعيد بناء جيشنا، وهو جديد، وجاهز للانطلاق، لا شك أنه الأفضل في العالم. العقوبات مؤلمة وأضفنا إليها المزيد في الليلة الماضية. لا يمكن لإيران أبداً امتلاك أسلحة نووية، لا ضد الولايات المتحدة، ولا ضد العالم.

أفترض أنني فكرت فعلاً: «إذا أراد أن ينشر شيئًا سخيفاً لهذه الدرجة، فمن أكون أنا لأعترض؟». اعتقدت أن الناس سيعرفون بعد تلك التغريدات أن ترامب هو المسؤول عن الموضوع برمته، لأنهم سيستطيعون تمييز ما حدث. كان مؤلماً طرح كل هذا في العلن، ولكن لم يكن هناك من يمنع ترامب من أن يكشف عن نفسه.

اتصلت بدانفورد في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة للحصول على روايته لما حدث. قال إنه كان مستيقظًا حتى الساعة الواحدة صباحًا محاولاً تعقب موضوع «الضحايا» في حال ما إذا غير ترامب رأيه مرة أخرى عندما يستيقظ صباح الجمعة. لم يكن دانفورد سعيدًا، قال إن ترامب وصفه بشكل أساسي بأنه «كسول» خلال اجتماع غرفة العمليات لأنه اعتقد أن خيارات الرد عند دانفورد كانت قليلة جدًا، ثم ألغى الانتقام كليًا لاحقًا لأنه كان كبيرًا جدًا! نقطة جيدة. وحول قضية الضحايا، قال دانفورد، بعد اجتماع غرفة العمليات بوقت طويل، سأل محامو البنتاغون عن الخسائر البشرية المحتملة في إيران. قال دانفورد: «لا نعرف»، وهو ما قاله في غرفة العمليات. ثم بحث المحامون عن جدول التنظيم الذي يقدر عدد الأفراد في الأهداف التي اخترناها وخلصوا بطريقة ما إلى أنه سيكون خمسين شخصًا لكل بطارية. قال دانفورد: «هؤلاء هم المحامون»، مما يعني أنه لم يشارك أي شخص ممن لديهم خبرة قتال مباشر أو مسؤولية قيادية في هذا «التقدير»[1]. على حد علم دانفورد، فإنه مع تحرك الهجوم نحو الإطلاق، لم تكن هناك مشكلة قانونية. لم يضىء أحد ضوءاً أصفر. في الساعة ٧:١٣ مساءً، قال دانفورد، إن ترامب اتصل ليقول إن عدد القتلى يمكن أن يكون مئة وخمسين إيرانيًا. قال دانفورد إنه أجاب: «لا، ليس مئة وخمسين». أولاً، قال دانفورد، إنهما بالواقع موقعان بدلاً من ثلاثة لأن أحد المواقع

(١) See Peter Baker. Eric Schmitt. and Michael Crowley. "An Abrupt MoveThat Stunned Aides: Inside Trump's Aborted Attack on Iran." September 21. 2019. https://www.nytimes.com/2019/09/21/us/politics/trump-iran-decision.html

التي حددناها قد تم نقله بالفعل، ولم نكن متأكدين من مكانه. وهذا يعني أن الوفيات المحتملة كانت مئة على الأكثر، حتى حسب تقديرات المحامين. بالنسبة للموقعين المتبقيين، قال دانفورد إنهم قدروا بأن يكون هناك خمسون شخصًا لكل موقع كحد أقصى وحاولوا الشرح لترامب لماذا تكون الأعداد في المواقع ليلاً حسب توقيت ايران أقل بكثير. لم يستطع تقبل الفكرة، قائلاً: «إن ذلك لا يعجبني. إنهم لم يقتلوا أياً من شعبنا. أريد إيقاف ذلك ليس مئة وخمسين شخصاً».

ثم شرحت لدانفورد ما حدث من وجهة نظري، عندما أسرع أيزنبرغ إلى المكتب البيضاوي بتقدير المحامين. شعرت بأن دانفورد يهز رأسه بدهشة على الطرف الآخر من الهاتف. قال: «أريد فقط أن يفهمها الرئيس. لم يكن يريد فهمها الليلة الماضية. هناك عواقب عندما يحدث ذلك...» ثم قال دانفورد: «والتغريدات هذا الصباح. إنه يقول للإيرانيين: افعلوا ما تريدون مادمتم لا تؤذون الأميركيين. هذا يعني أنهم يستطيعون فعل كل شيء آخر يريدونه». كان ذلك صحيحًا تمامًا.

قال ترامب في وقت لاحق من الصباح إن تغريداته كانت «مثالية» وأضاف: «إن في طهران كما هنا تماماً. يجتمع الناس في غرف يناقشون هذا» وهذا مثال آخر على غرور ترامب. فهو يقول: «الإيرانيون مستميتون للحديث معنا». ثم علمنا لاحقًا أنه انتدب راند بول للتحدث إلى الإيرانيين. عندما أخبرت بومبيو يوم السبت، كان ببساطة عاجزًا عن الكلام، وكان لديه نفس رد فعلي: من المثير للحيرة أن يعهد ترامب بأي شيء حساس لبول، ناهيك بشيء يمكن أن يحدد مصير رئاسته[١]. أخبرت بومبيو أنني سألتقي نتنياهو يوم الأحد في القدس. وقد يكون أداءً بارزًا إذا قلت ما اعتقدته حقًا، وبالتالي أكون قد أنهيت بالتأكيد خدمتي في منصب مستشار الأمن القومي. قال بومبيو مازحاً: «سنكون اثنين في هذه الحال». بعد عدة محادثات يوم الجمعة، اعتقدت أن بومبيو كان جادًا بشأن هذا. لو كان كذلك، لكنا قد قمنا بشيء لم يحدث سابقاً إذا استقلنا في نفس الوقت. وفي حين أن ذلك كان لايزال مستبعداً، إلا أننا صرنا أقرب بكثير مما كنا عليه من قبل. كان الصحافيون يسألون ترامب عني، وقال أثناء مغادرته إلى كامب ديفيد يوم السبت: «أنا اختلف كثيراً مع جون بولتون... يقوم جون بولتون بعمل جيد للغاية لكنه يتخذ موقفًا أشد من موقفي بشكل عام. لدي أشخاص آخرون أكثر اعتدالاً، المهم أنا»[٢]. كان على المرء أن يتساءل كم من الوقت يجب أن أبقى. على أي حال، غادرت إلى إسرائيل بعد ساعات قليلة، حيث لم يكن هناك سبب لعدم

(١) See Maya King, "Trump: Rand Paul to help with Iran negotiations," July 19, 2019, https://www.politico.com/story/2019/07/19/rand-paul-iran-trump1423779

(٢) See "Remarks by President Trump Before Marine One Departure," June 22, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-marine-one-departure-49/

القيام بذلك، مادامت الضربة قد أُلغيت. في إسرائيل، راجعت أين تقف الأمور في الموضوع الإيراني. ركز نتنياهو وفريقه على أحدث المعلومات التي تم الحصول عليها من الغارة الإسرائيلية الجريئة على الأرشيف النووي الإيراني، والتفتيش اللاحق للوكالة الدولية للطاقة الذرية على موقع توركوز آباد، والذي كشف عن يورانيوم معالج بواسطة الإنسان[١]. لم يكن اليورانيوم المخصب، ولكن ربما «الكعكة الصفراء» (أكسيد اليورانيوم في شكل صلب)، وهو بالتأكيد دليل يناقض ادعاءات طهران المتكررة بأنه لم يكن لديها برنامج أسلحة نووية[٢]. حاولت إيران تطهير تركوز آباد، كما كانت قد حاولت تطهير لافيزان في العام ٢٠٠٤ وغرف الاختبار المتفجرة في بارشين بين العامين ٢٠١٢ و٢٠١٥، لكنها فشلت مرة أخرى[٣]. وبالتأكيد يمكن أن يكون هذا إثباتاً جيداً أن إيران حافظت على «خطة آماد» للأسلحة النووية بعد أن كان من المفروض عليها إيقافها في ٢٠٠٤، ومن المؤكد أنها ستضع طهران في موقف دفاعي دوليًا.

بالعودة إلى واشنطن، كان البنتاغون يعارض خصوصاً العقوبات التي قرر ترامب أخيراً فرضها على مكتب المرشد الأعلى. كان البنتاغون يصر على اجتماع مجلس الأمن القومي قبل المضي قدماً، وهو توقيت سيّىء مادمت أنا وبومبيو خارج البلاد. ومع ذلك، عُقد اجتماع، شاركت فيه عبر الأقمار الاصطناعية من مبنى القنصلية الأميركية السابقة في القدس، والتي أصبحت حالياً السفارة «المؤقتة». وقال إسبر ودانفورد إنهما قلقان من أن العقوبات المقترحة ستعرقل قدرتنا على التفاوض

---

(١) See David E. Sanger and Ronen Bergman, "How Israel, in Dark of Night, Torched Its Way to Iran's Nuclear Secrets," July 15, 2018, https://www.nytimes.com/2018/07/15/us/politics/iran-israel-mossad-nuclear.html

(٢) See Reuters, "Chronology on Iran's Nuclear Program," August 8, 2019, https://www.nytimes.com/2005/08/08/international/chronology-of-irans-nuclear-program.html; AFP, "'Uranium particles' detected at undeclared site in Iran: IAEA," November 11, 2019, https://www.france24.com/en/20191111-uranium-particles-detected-at-undeclared-site-in-iran-iaea-1; and Alexander Ma, "Investigators found uranium particles at a secret facility in Iran, suggesting a further rejection of the nuclear deal," November 12, 2019, https://www.businessinsider.com/iran-nuclear-watchdog-uranium-secret-facility-bbc-2019-11

مثل أي منتج من منتجات التعدين، تتم معالجة اليورانيوم ميكانيكيًا وكيميائيًا قبل استخدامه في الواقع، وفي حالة اليورانيوم، قبل أن يتم تخصيبه. يفصل الطحن اليورانيوم عن الخام المرتبط بالتسرب الكيميائي، وينتج التنقيح اللاحق مادة U_3O_8، أو الكعكة الصفراء، وهي الطريقة التي يتم بها تخزين وشحن اليورانيوم عادة قبل استخدامه في دورة الوقود النووي. قبل أن يتم تخصيب اليورانيوم، يتم تحويله كيميائيًا من مادة صلبة إلى غاز، عادة ما يكون UF_6، قبل حقنه في أجهزة الطرد المركزي. بالطبع، تعرف إسرائيل على وجه اليقين ما هو شكل اليورانيوم لأنها حصلت على وثائق مسروقة، كما تفعل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، التي جمعت عينات، ولكن الاحتمال هو أن اليورانيوم في توركوز آباد كان كعكة صفراء، وليس شيئًا آخر في دورة الوقود النووية.

(٣) See RFE/RL, "Israel Accuses Iran Of Having 'Secret Atomic Warehouse' Near Tehran," September 28, 2018, https://www.rferl.org/a/israeli-prime-minister-netanyahu-accuses-iran-having-secret-atomic-warehouse-outside-tehran/29514107.html

مع إيران. (بومبيو الذي كان غير قادر على المشاركة بسبب السفر، قال إنه أخبر إسبر لاحقًا عن «تأثره» بقلق البنتاغون، لكنه يستطيع التعامل مع ذلك).

تدخل ترامب ليقول: «حتى أعداؤنا رحبوا بإلغاء الهجوم». (بلا مزاح!) «لقد كسبنا نقاطاً وزاد رصيدنا. كان أكبر عمل رئاسي منذ عقود. ونجح مخططنا بشكل جيد جدّاً». أصر منوشين على الأمر التنفيذي الذي صاغه، ليس لمعاقبة خامنئي في الواقع ولكن فقط أعضاء مكتبه، والذي اعتقدته خطأ. رد ترامب: «سيكون أكثر فاعلية إذا قمنا بتصنيف المرشد الأعلى»، وهو الأمر الذي لا شك فيه. وتبع ذلك نقاش أكثر غموضاً، وقال ترامب: «نحن حقّاً لم نعلم ما سيكون تأثير العقوبات. في الواقع، أعتقد أنها ستساعد في المحادثات. ستؤكد الأغلبية ذلك. ولم لايكون [قائد قوة القدس قاسم] سليماني؟ ضع اسمه هناك». عندما اقترح شخص ما أن سليماني قد يكون مشمولاً بالفعل بعقوبات أخرى. قال ترامب: «ضع اسمه على أي حال. جون. هل ستضع اسمه هناك؟»

قلت: «نعم يا سيدي».

«هلا كتبت اسم المرشد الأعلى هناك؟».

قلت مرة أخرى: «نعم يا سيدي».

قال ترامب: «لا أعرف ما إذا كان ذلك جيداً أم سيئاً، لكني أريد القيام بذلك. افعلها. يجب أن يكون لديهم سبب للتفاوض. أضف ظريف، لكي أطمئن أكثر». وخلص ترامب إلى: «اجعلها [العقوبات] قوية وقوية للغاية»(١).

ومن خلال إثارة هذه القضايا ومحاولة عرقلة مشروع الأمر التنفيذي، جعل دانفورد وإسبر موقفهما أسوأ. لقد نالا ما يستحقانه، اعتقدت أنا أيضاً أن ترامب كان يظهر للآخرين أنه على الرغم من قراره البائس مساء الخميس، وعلى الرغم من اعتراضاتي، كما يعلم الجميع، لم يكن على وشك طردي بعد. لقداعتبرت نتائج اجتماع مجلس الأمن القومي نصراً شبه كامل. (ولاحقاً أقنع وزير الخارجية بول الرئيس ترامب بتأجيل عقوبات ظريف لمدة ثلاثين يوماً). أتساءل عما إذا كان قد بت الموضوع مع وزير الخارجية جولياني. ومع ذلك، بحلول نهاية تموز/يوليو، كان ترامب، الذي عكس مساره مرة أخرى، مستعداً للإذن بفرض عقوبات على ظريف، وهو ما فعلناه). وفي واشنطن. غرّد ترامب على حسابه عبر تويتر:

(١) See U.S. Department of the Treasury, Treasury Designates Iran's Foreign Minister Javad Zarif for Acting for the Supreme Leader of Iran, July 31, 2019, https://home.treasury.gov/news/press-releases/sm749

> إن القيادة الإيرانية لا تفهم كلمتي «لطف» و«رحمة» اللتين لم يعرفوهما قط. للأسف، الشيء الذي يفهمونه هو القوة والقدرة، والولايات المتحدة هي حتى الآن أقوى قوة عسكرية في العالم، حيث تم استثمار ١,٥ تريليون دولار على مدى العامين الماضيين فقط...
>
> ... الشعب الإيراني الرائع يعاني بلا سبب على الإطلاق. إن قيادتهم تنفق كل أموالها على الإرهاب، والقليل على أي شيء آخر. لم تنس الولايات المتحدة استخدام إيران للقنابل اليدوية المتفجرة التي تسببت في مقتل ٢٠٠٠ أميركي وجرح الكثير...
>
> ... بيان إيران الجاهل والمهين للغاية، الذي نُشر اليوم، يُظهر فقط أنهم لا يفهمون الواقع. إن أي هجوم من قبل إيران على أي شيء أميركي سيقابل بقوة كبيرة وساحقة. في بعض المجالات ستعني الإبادة. لا مزيد من جون كيري وأوباما!

كما لو أن كارثة إسقاط الطائرة «غلوبال هوك» لم تكن كافية، فقد واجهنا على الفور هجمة دبلوماسية من ماكرون. بمبادرته المضللة، كان يعمل مع روحاني بجد حتى لا تخترق إيران الحدود الحاسمة للاتفاق النووي في أنشطتها النووية. كان ماكرون يرى بلا شك تخفيف العقوبات على إيران مفتاحاً لبدء المفاوضات، وإلا فإن الاتفاق النووي الثمين للاتحاد الأوروبي سيكون في طريقه إلى الفشل. من دون تنازل الولايات المتحدة، من وجهة نظر ماكرون، لن تجلس إيران إلى طاولة المفاوضات، وهو أمر جيد لي. استعدادًا لإجراء مكالمة مع ماكرون يوم الاثنين، ٨ تموز/يوليو، أطلعت أنا وبومبيو الرئيس ترامب على ما يمكن توقعه، حيث قال بومبيو إننا اعتقدنا أن ماكرون «سيقترح تنازلاً جدياً فقط لبدء المفاوضات»، وهو «ما فعله كيري وأوباما تحديداً، فكرة سيئة». رد ترامب: «يمكننا إبرام صفقة في يوم واحد. لا يوجد سبب حقيقي لتخفيف العقوبات. بمجرد القيام بذلك، يكون من الصعب العودة إليها»، وهذا صحيح تمامًا. دار النقاش لبعض الوقت، وظهر موضوع أنشطة إيران لتخصيب اليورانيوم. قال ترامب: «قد نحتاج إلى ضربها»، ثم عاد إلى التساؤل بلا فائدة عن الموعد الذي سيتولى فيه مايلي المسؤولية من دانفورد: «هل يجب علينا إشراك مايلي؟ قد نحتاج إلى القيام بذلك في غضون أسبوعين. إذا وضعت عشرين توماهوك في المدخل، فأنا لا أهتم بما يقولون، هذا سيّىء». كان هذا صحيحًا أيضًا، على الرغم من أنه لم يكن لدي أي فكرة عن المدخل الذي كان يدور في خلده، أو من أين جاء بالرقم «عشرين».

ما لم أعرفه أنا وبومبيو (ولا أي شخص آخر في وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومي)،

وبالتأكيد لم نوافق عليه، هو أن منوشين كان يتفاوض بهدوء مع وزير المالية الفرنسي برونو لو مير لفعل ما لا يريد فعله ترامب. علمت هذا من مولفاني، الذي قال إن منوشين اتصل به ليبلغنا بأن لدينا صفقة مع إيران، والتي كررها لي منوشين لاحقًا. لم أعرف لا أنا ولا بومبيو أي شيء عن مناقشات منوشين مع لو مير (على الرغم من أن منوشين ادعى أنه تم الاتفاق بطريقة أو بأخرى خلال غداء ترامب–ماكرون في مناسبة ذكرى إنزال النورماندي. إلى جانب ذلك، كان هذا يشبه إلى حد بعيد المفاوضات التجارية لمنوشين مع الصينيين. كانت الصفقة تتم دائمًا أو تكون على وشك الإتمام. يبدو أن منوشين لم ير قط مفاوضات إلا من خلال تقديم تنازلات كافية لإبرام صفقة. عندما تحدث ترامب مع ماكرون، أدهشني ربما أن ترامب لم يكن يعرف أن منوشين كان يحاول التخلي عن أوراقه عندما أثار ماكرون مفاوضات منوشين – لو مير. بعد خطاب ترامب حول كيري وقانون لوغان، سأل ماكرون مباشرة عن التنازلات التي يمكن أن يقدمها ترامب، مما يدل بدقة على عقليته لتقديم تنازلات لإيران دون الحصول على أي شيء في المقابل. على الرغم من أن ترامب كان يتملص في البداية، إلا أنهما ناقشا قبل إنهاء المكالمة فكرة تخفيض كبير في العقوبات النفطية والمالية على إيران لفترة وجيزة، وبدا أن ترامب يميل بوضوح إلى هذا الاتجاه. كان هذا بالضبط ما كنت أنا و بومبيو نكافح من أجل منعه.

كارثة أخرى. بعد اللقاء المعتاد للسفراء الجدد لتقديم أوراق اعتمادهم، بقيت لأطلب منه شرح عرضه إلى ماكرون. استهزأ ترامب بماكرون لكنه قال إنه من النوع الذي يمكن أن يعقد الصفقة. وقال إنها فقط بعض العقوبات النفطية لفترة وجيزة، وهو أفضل من المقترحات الأخرى التي ناقشها مع ماكرون. وهذا ما نقلته على الفور إلى نظيري الفرنسي الجديد، إيمانويل بون. قال ترامب: «أنا لا أمانع في النفط. يمكنك دائمًا إعادة تشغيل هذه [العقوبات]». كان هذا، بالطبع، عكس ما قاله لي ولبومبيو في وقت سابق، مما دفع بومبيو إلى القول إنه سيدعو غراهام، كروز، وتوم كوتون لإثارة معارضة الجمهوريين للمفاوضات. أرسلت إلى بومبيو تسجيل المكالمة وتحدثت معه في وقت لاحق من اليوم. كان التنازل في تخفيف عقوبات النفط له لا يصدق، كما كان الأمر لي، لأنه أظهر أن ترامب لم يفهم الضرر الذي سيحدث لجهود «الضغوط القصوى» الشاملة من خلال جعل العقوبات تتأرجح صعوداً وهبوطاً مثل منظّم التيار. مرة أخرى، كان بومبيو مستعدًا للاستقالة، وقال إنها مسألة وقت فقط قبل أن يقوم كلانا بذلك. قال: «قد نطفئ هذا الحريق، لكن النار التالية ستكون أسوأ...»، ولزم الصمت. كل ما يمكننا فعله هو الأمل في أن تأتي إيران لإنقاذنا مرة أخرى.

لم أكن سلبيًا تمامًا في هذا الصدد، وشجعت نتنياهو على الاتصال بترامب في ١٠ تموز/يوليو لشد عزيمته[١]. في غضون ساعتين، غرد ترامب:

(١) See p. 64 in https://www.govinfo.gov/content/pkg/DCPD-2019DIGEST/pdf/DCPD-2019DIGEST.pdf

> لطالما عملت إيران على «التخصيب» سرًّا، في انتهاك تام للصفقة الفظيعة التي أبرمها جون كيري وإدارة أوباما بقيمة ١٥٠ مليار دولار. تذكروا أن تلك الصفقة ستنتهي في غضون سنوات قليلة. ستزداد العقوبات بشكل جوهري قريباً!

كنا نعمل على تطوير برنامج مرافقة السفن التجارية في الخليج، والمعروف باسم «عملية الحارس»، بمشاركة السعوديين والإماراتيين، وكذلك البريطانيين والأوروبيين الآخرين. الأمر الذي سيثبط على الأقل هذا الشكل من التدخل الإيراني في أسواق النفط العالمية[1]. في وقت سابق، في ٤ تموز/يوليو، استولت قوات البحرية الملكية البريطانية، بناء على طلب من حكومة جبل طارق، على ناقلة «غريس ١» المملوكة لإيران لانتهاكها عقوبات الاتحاد الأوروبي على سوريا. رداً على ذلك، حاولت إيران في ١٠ تموز/يوليو الاستيلاء على الناقلة البريطانية «بريتيش هيريتايج١» في مضيق هرمز. وفي ١٣ تموز/يوليو، استولت على الناقلة الإماراتية «راية» تحت العلم البنمي؛ ثم في ١٩ تموز/يوليو، حصلوا أخيرًا على ما يريدون، واستولوا على الناقلة السويدية «ستينا إمبيرو١» التي ترفع علم المملكة المتحدة. من الواضح أن إيران كانت تهدف إلى مبادلة «غريس ١» (التي أعيدت تسميتها الآن «أدريان داريا ١») بـ«ستينا امبيرو١»، على الرغم من أن الناقلتين لم تكونا متكافئتين. لسوء الحظ، كانت المقايضة هي ما يبحث عنه البريطانيون.

من الواضح أن اللعبة كانت ستستمر إلا إذا قمنا بتنفيذ «عملية الحارس»، التي أثبتت أنها أكثر صعوبة مما كان متوقعًا لأن العديد من البلدان ترددت في الانضمام. كان جزء من التردد بلا شك بسبب غريزة الاسترضاء، لكن جزءًا منه كان بسبب عدم اليقين بشأن عزم الولايات المتحدة وبقائها على موقفها بسبب تحركات ترامب غير المنتظمة. حتى حكومة بوريس جونسون لم تصمد نظرًا لإخلاصها في إنقاذ الصفقة النووية الإيرانية ورغبتها في ألا يشغلها أي شيء آخر عن الضرورة الوجودية لتحقيق خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فقامت بالإفراج عن «غريس ١» بموجب التزام بعدم إفراغها شحنات النفط في سوريا، وهو وعد يستحق بالضبط ما تلقته لندن في مقابله. إنهم ببساطة لم يريدوا الدخول في صراع. درس سيّىء آخر، لا شك أنه تمت ملاحظته في طهران.

في اليوم التالي، ١١ تموز/يوليو، اتصل بي نظيري الفرنسي الجديد إيمانويل بون من باريس، بعد أن عاد لتوه من إيران. وقال إن خامنئي نفسه رفض جهوده بشكل قاطع. كانت الصيغة الإيرانية

(١) See note 50 above; and Simon Newton, "Operation Sentinel: The Naval Task- force Protecting Gulf Shipping," November 15, 2019, https://www.forces.net/news/operation-sentinel-naval-taskforce-protecting-gulf-shipping

هي «المقاومة القصوى للضغوط القصوى»، وهو بالضبط الخط الذي بدأت إيران في استخدامه علانية[1]. في حين أن تخفيف العقوبات يمكن أن يسمح بإجراء مفاوضات، كان برنامج إيران للصواريخ الباليستية خارج التفاوض تمامًا، كما أوضح ظريف. كان روحاني حازماً بنفس القدر: اعتقدت إيران أنها ستفوز في النهاية، وكانوا مستعدين لمواجهة التصعيد الأميركي بأي وسيلة متاحة. عندما قال بون إن ماكرون طلب هدنة اقتصادية، قال روحاني إنه أيضاً يريد ذلك، لكن وحده رفع العقوبات الأميركية بالكامل هو الذي سيعيد إيران إلى الامتثال للاتفاق النووي، وهو أمر سخيف. وللتوضيح فقط، شدد روحاني أيضًا على أن المرشد الأعلى وافق على هذا الموقف[2]. لقد وعدت بإبلاغ ترامب بتقريره وذهبت لرؤيته حوالي الساعة الثالثة والنصف مساءً. رد ترامب: «هذا كل شيء. اسحبوا العرض.أفرضوا العقوبات. استعدوا لضرب المواقع [...] [تم حذف مقطع هنا تطلبته عملية التصريح الأمني السابقة للنشر]» التي ناقشناها مطولاً. ثم عاد ترامب إلى موضوع الخروج من سوريا. عندما غادرت المكتب البيضاوي، كان منوشين ينتظر في الخارج، لذلك انتهزت الفرصة لأخبره بالخبر السار عن انهيار الجهد الفرنسي مع إيران.

في ذلك الوقت، كان راند بول يعمل على جلب ظريف من نيويورك إلى واشنطن للقاء ترامب[3]، كما فعل كيم جونغ تشول من كوريا الشمالية في العام السابق. تحسبًا لذلك، أعددت في المنزل نسخة مطبوعة من خطاب استقالتي من جملتين، مكتوبًا بخط اليد في حزيران/يونيو، لإحضارها في لحظة عند الضرورة. كنت جاهزاً.

على الرغم من الرفض الإيراني، استؤنفت جهود ماكرون لتقديم تنازلات لإبقاء الاتفاق النووي على قيد الحياة دون هوادة. وهذا لم يحسن الاتفاق النووي، بل أدى إلى تدهوره أكثر فأكثر، بطرق يائسة وخطيرة وبشكل متزايد، لمجرد إبقاء قشور الاتفاقية على قيد الحياة. كان ليكون من المضحك لو لم يخضع ترامب لتخريب سياسته المعلنة. مر ترامب بلحظات عاد فيها إلى المسار، كما هي الحال عندما رفض علانية مناورة راند بول في ١٩ تموز/يوليو[4]. قال لي في اليوم التالي: «راند بول ليس

(١) See, e.g., "'Maximum pressure' has produced 'maximum resistance,' says Iran's Araqchi," September 23, 2019, https://www.tehrantimes.com/news/440423/Maximum-pressure-has-produced-maximum-resistance-says-Iran-s

(٢) See Reuters, "Macron says he warned Iran's Rouhani about breaking nuclear commitments," June 27, 2019, https://www.reuters.com/article/us-iran-nuclear-france/macron-says-he-warned-irans-rouhani-about-breaking-nuclear-commitments-idUSKCN1TS0YU

(٣) انظر الهامش رقم ١ صفحة ٤٠٦.

(٤) See "Remarks of President Trump Before Boarding Marine One," July 19, 2019, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-marine-one-departure-53/

الشخص المناسب للتفاوض على هذا. إنه رجل سلام. تملصت من ذلك أمس، هل لاحظت؟» لم أسمح لهذه الفرصة بالمرور دون ذكر أن مارك ليفين، في برنامجه الإذاعي في الليلة السابقة، قال إن سياسة بول الخارجية كانت في الأساس مماثلة لسياسة إلهان عمر، عضو الحزب الديمقراطي وهي راديكالية من مينيسوتا. ولاحقاً في مكالمة مع ماكرون، شرح ترامب الإجراء الدفاعي الذي اتخذته «يو إس إس بوكسر»، وهي سفينة هجومية برمائية، والتي أسقطت طائرة بدون طيار إيرانية كانت تقترب بشكل غير مقبول من السفينة(١). على الأقل كنا لانزال ندافع عن أنفسنا، على الرغم من أن تكلفة الطائرة الإيرانية كانت تافهة مقارنةً بتكلفة طائرة «غلوبال هوك» التي تم إسقاطها. لم يكن لدى ماكرون شيء جديد ليقدمه، وواصل ترامب التأكيد أنه سيتحدث مباشرة مع الإيرانيين. بقي موقف ماكرون دون تغيير.

يبدو أن ترامب كان يفهم ذلك من وقت لآخر، كما في ٨ آب/أغسطس، عندما قال لي عن ماكرون: «إنه يخرب كل شيء يلمسه». ذلك كان كلاماً صائباً. ناقشنا أنا وبومبيو بصورة متواصلة مشاركة ماكرون، وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، بعد اجتماع مع ترامب، اقتحم بومبيو مكتبي، وقال ضاحكًا: «لقد حلت مشكلتك. لقد غرد عن ماكرون الآن، ابحث عن هذه التغريدة»، وهو ما فعلته بسرعة، ووجدت أنه قبل دقائق فقط، كتب ترامب:

> إيران في مشكلة مالية خطيرة. إنهم يريدون بشدة التحدث إلى الولايات المتحدة، لكنهم يتلقون إشارات مختلطة من جميع أولئك الذين يزعمون أنهم يمثلوننا، بما في ذلك الرئيس الفرنسي ماكرون... أعلم أن نوايا إيمانويل جيدة، مثل جميع الآخرين، لكن لا أحد يتحدث باسم الولايات المتحدة إلا الولايات المتحدة نفسها. لا يحق لأي شخص أن يمثلنا بأي شكل من الأشكال.

كنت أنا وبومبيو نسير الآن في الممرات، معتقدين خطأ أن جهود ماكرون قد ماتت بالفعل. لم تكن كذلك.

كان ذلك واضحًا مع تسارع الاستعدادات لقمة الدول الصناعية السبع الكبرى في بياريتز أواخر آب/أغسطس. على الرغم من الشائعات عن أن فرنسا دعت روحاني للحضور كضيف، نفى بون مرارًا وتكرارًا أن يكون هذا صحيحًا. ولم يكن ذلك صحيحًا - لقد دعوا ظريف. كان ترامب غير متحمس أبداً لحضور قمة أخرى للدول السبع بعد «المسرحية» في شارليفوا في ٢٠١٨، وأخبرني هو وآخرون عدة مرات أنه سيصل متأخرًا ويغادر مبكرًا. كان الفرنسيون يضغطون علينا لتحقيق «إنجازات» في

(١) See Mosheh Gaines et al., "U.S. Marines jam an Iranian drone in the Gulf, destroying it," July 18, 2019, https://www.nbcnews.com/politics/national-security/trump-says-u-s-navy-ship-shot-down-iranian-drone-n1031451

قمة السبع وغير مفيدين في المسائل اللوجستية والأمنية، الأمر الذي كان يؤدي بفرق الخدمة السرية والبيت الأبيض إلى التشتت. من الناحية الجوهرية، كان بون وآخرون واضحين أن إيران كانت على رأس أولويات ماكرون، وهو أمر كان مثيراً للقلق بشكل واضح. لم يكن ماكرون يقبل كلمة رفض، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن منوشين كان لايزال يشجع مع لو مير فكرة أن هناك صفقة يجب القيام بها.

لم يكن ترامب مهتمًا بقمة السبع بحيث كان من الصعب علي وعلى كودلو تحديد موعد مؤتمر صحافي له، لكننا فعلنا أخيراً يوم الثلاثاء ٢٠ آب/أغسطس، قبل أربعة أيام من بدء القمة. استمع ترامب إلى قائمة طويلة من الشكاوى من كودلو، الخدمة السرية، وبعثة البيت الأبيض السباقة، لذلك قرر الاتصال بماكرون من المكتب البيضاوي. تم الاتصال حوالي الساعة الخامسة مساءً. بتوقيت واشنطن[١]. ترك ترامب الأشخاص الآخرين يوجهون شكواهم إلى ماكرون ثم بدأ بالشكوى من سوء معاملة ماكرون له في زيارات سابقة (مثل الإهانة الشهيرة حول القومية مقابل الوطنية في حفل يوم الهدنة في تشرين الثاني/نوفمبر). فقاطعه ماكرون ليقول إنها الحادية عشرة مساءً حسب توقيت فرنسا، وإنه طلب مكالمة هاتفية قبل يومين. انفجر ترامب، متوقفًا مؤقتًا عن المكالمة للتوجه إلي وقال: «لم يتم إخباري بذلك، اللعنة، بولتون. كان يجب أن تخبرني. أسمع ذلك من الجميع. أعطني تلك المكالمات اللعينة». قلت إن ماكرون لم يفعل ذلك في الواقع، لكن ذلك لم يثنِ ترامب. وبحسب ما ورد، اتهم ترامب في وقت سابق مايكل فلين بحجب مكالمة هاتفية معه من بوتين[٢]. ربما اعتقد ترامب أنه لايزال ضحية مؤامرة مستمرة.

كدت أخرج من المكتب البيضاوي في ذلك الحين، لكن ذلك كان سيتطلب الاستقالة، وهو ما كنت على وشك القيام به بالتأكيد. لم أكن أرغب في القيام بذلك في هذه المرحلة، لكنه وماكرون كانا مخطئين. كان بون على مر عدة أيام يرسل إلي عبر البريد الإلكتروني يسألني عن موعد وصولنا إلى بياريتز، وأرسلت بريدًا إلكترونيًا بأننا ما زلنا نعمل على ذلك، بحثًا عن وقت للاستماع من ترامب عن ماذا يفضل. في اليوم السابق، طلب بون من ماكرون إطلاع ترامب على اجتماعه الأخير مع بوتين في موسكو. اقترحت تحديد جدول زمني بمجرد أن نعقد جلسة التخطيط لمجموعة السبع مع ترامب، حتى يتمكن الزعيمان من مناقشة القضيتين. وافق بون، وهو أمر منطقي وفعال تمامًا لكلا الجانبين. بالطبع، لم أخبر بون أنه، في تقديري، لم يكن ترامب حتى ذلك الحين يولي أي اهتمام لقمة السبع.

استمرت المحادثة مع ماكرون حتى الساعة السادسة مساءً. عندما انتهت، بقيت لاتخاذ قرار بشأن ما إذا كان ترامب سيسافر إلى الدنمارك بعد القمة. كان ترامب قد هدأ في ذلك الوقت، وبدأ

(١) See p. 75 in https://www.govinfo.gov/content/pkg/DCPD-2019DIGEST/pdf/DCPD-2019DIGEST.pdf

(٢) Peter Bergen, Trump and His Generals, Penguin Press, New York, 2019, pp. 69–70

في إملاء تغريدة عن سبب عدم ذهابه إلى الدنمارك قائلاً إنه سيفعل ذلك في المستقبل. عندما كنت أغادر المكتب البيضاوي، تلقيت ورقة من كوبرمان تقول إن طائرة مُسيَّرة أخرى من طراز إم كيو-٩ قد أسقطت، على ما يبدو من قبل الحوثيين فوق اليمن[١]. بينما كنا ما زلنا نتلقى معلومات، أعلن الحوثيون مسؤوليتهم في وسائل التواصل الاجتماعي، لذلك عدت لإخبار ترامب. رد ترامب على الفور: «أريد الانتقام. أحضر لي بعض الخيارات لاحقًا»، والتي قلت إننا سنفعلها.

بالعودة إلى مكتبي، أخبرت كوبرمان بما قاله ترامب لي في مكالمة ماكرون، وقال كوبرمان: «يجب على ترامب أن يعتذر لك». فقلت: «هذا لن يحدث أبدًا».

ومع ذلك، في اليوم التالي، بعد الإحاطة الاستخباراتية المنتظمة، بقيت لأعرض لترامب تبادل الرسائل الإلكترونية المطبوعة بيني وبين بون، مما يدل على أن مكالمة ماكرون - ترامب المحتملة كانت تحت السيطرة بشكل جيد وبالتأكيد لم يتم حجبها عنه. لم أكن أتوقع أن يقرأ ترامب رسائل البريد الإلكتروني، أكثر من قراءته لمعظم الأشياء الأخرى، لكنني أريده أن يعرف أنني تحدثت بصدق عندما قلت إنني لم أمنع ماكرون من الاتصال به. رد ترامب: «ما كان يجب أن أصرخ عليك. أنا آسف. أنا أكن لك الكثير من الاحترام. لكن الناس لا يتمكنون من التواصل معي». كانت هذه الجملة الأخيرة غير دقيقة في ذلك الوقت كما كانت في المساء السابق، لكن الأمر لم يكن يستحق الجدل باختصار.

غادرت إلى بياريتز في وقت مبكر من يوم الجمعة ٢٣ آب/أغسطس، وحلقت طوال النهار ووصلت إلى هناك في وقت مبكر من المساء لوضع الاستعدادات لوصول ترامب منتصف نهار يوم السبت. وصل إلى فندقه في الواحدة وثلاثين دقيقة، وسمعنا بشكل غير متوقع أنه سيتناول الغداء مع ماكرون في الساعة الثانية بعد الظهر، وهو أمر لم يكن مقرراً من قبل. كنت قد التزمت بعقد اجتماعات أخرى، قمت بإلغائها على عجل، للوصول إلى فندق دو باليه، حيث كان يقيم قادة مجموعة السبع. عندما وصلت، كان ترامب وماكرون يجلسان إلى طاولة على الشرفة الأرضية في مؤتمر صحافي. تحلق آخرون من الوفدين الفرنسي والأميركي حول طاولة منفصلة في مكان قريب. والذي لم أعرفه حتى اليوم التالي، يوم الأحد، هو أن إيران كانت تقريبًا الموضوع الوحيد بين ماكرون وترامب، على وجه التحديد ما إذا كان على ترامب لقاء ظريف، الذي كان في طريقه إلى بياريتز، ربما من باريس، حيث كان ينتظر منذ لقاء ماكرون في اليوم السابق. أخبر ترامب آبي لاحقًا أن الغداء الثنائي مع ماكرون كان أفضل ساعة ونصف قضاها على الإطلاق.

(١) See Helene Cooper, "American Military Drone Shot Down Over Yemen," August 21, 2019, https://www.nytimes.com/2019/08/21/us/politics/american-drone-yemen.html

صباح الأحد، تناول ترامب و رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون الإفطار، وكان أول لقاء بينهما منذ أن أصبح جونسون رئيسًا للوزراء. حتمًا، طرح موضوع العراق، وشارك جونسون في بعض السخرية الودية بقوله: «أتفق مع الرئيس في أن بناء الديمقراطية كان خطأ. هل انتهينا من عصر تغيير النظام، جون؟» ضحكت وقلت: «حسنًا، هذا موضوع حساس»، لكنني أوضحت أن السعي إلى «تغيير الأنظمة» في ظروف معينة لم يكن مثل «تعزيز الديمقراطية» أو «بناء الدولة». ثم قال ترامب فجأة: «لقد قام جون بعمل جيد. عندما يدخل إلى غرفة، يلاحظ ذلك تشي جينبينغ وهؤلاء الآخرون»، مما تسبب ببهجة عامة. بينما التفت إلي، ابتسم، وقال: «هذا صحيح». كان هذا لطيفا لكنه لم يكن ليستمر.

واستمرت اجتماعات مجموعة السبع خلال الغداء يوم الأحد حتى «انفجرت القنبلة». حيث انتشرت شائعات في مركز بلفيو للمؤتمرات بأن ظريف كان على متن طائرة وعلى وشك الهبوط في بياريتز. وفيما كنا نحاول الحصول على الحقائق، تلقيت بريدًا إلكترونيًا من بومبيو يطلب مني الاتصال به على الفور، وهو ما فعلته حوالي الساعة ٣:٤٠ بعد الظهر. وأبلغني عن مكالمة كان قد أجراها للتو مع نتنياهو بشأن غارة جوية إسرائيلية في سوريا في الليلة السابقة، موجهة ضد التهديدات الإيرانية لإسرائيل، وهو أمر غير نادر لأنه، على عكس إدارة ترامب، لم تتردد إسرائيل في قمع التهديدات بشكل استباقي[1]. ناقشنا كيف يجب أن نمضي قدمًا في ضوء الضربة الإسرائيلية، ثم أخبرت بومبيو بما سمعته عن ظهور ظريف في بياريتز، والذي لم يكن يعرف عنه شيئًا. شرحت أنني على وشك العودة إلى بلفيو وسأبقيه على اطلاع. هناك، قمت بتتبع مولفاني، وقال إنه لم يكن على علم بأي اتصال محتمل مع ظريف، على الرغم من أنه سمع الشائعات نفسها التي سمعتها. أرسلت ملاحظة إلى اجتماع قادة مجموعة السبع عبر المشرفة الأميركية كيلي آن شو، لتمريرها إلى ترامب، تصف ما كنا نعرفه عن مكان ظريف. أعادت ملاحظة تقول إن ترامب قد قرأها وأخبرها أن ماكرون قد دعاه لمقابلة ظريف اليوم. وكتبت: «يريد ترامب بالتأكيد القيام بذلك».

جلست وحدي في غرفة اجتماعات ثنائية غير مستخدمة لجمع أفكاري. أخبرت موظفي مجلس الأمن القومي بالتواصل مع طيارينا لإنشاء مسار رحلة بديلة في وقت لاحق من ذلك اليوم أو الاثنين. بدلاً من الذهاب إلى كييف والمحطات الأخرى قبل وارسو، كنت أرغب في خط طيران للعودة إلى قاعدة أندروز المشتركة. ولم أقل لماذا، ولكن إذا التقى ترامب بظريف، كان ميلي إلى العودة إلى الوطن والاستقالة. لم أكن أرى أي سبب لمواصلة بقية الرحلة إذا علمت أنني سأستقيل عندما أعود إلى البيت الأبيض. قررت أنني قد أفعل ذلك الآن وأنتهي من الأمر.

(١) See David Halbfinger, "Israel Says It Struck Iranian 'Killer Drones' in Syria," August 24, 2019, https://www.nytimes.com/2019/08/24/world/middleeast/israel-says-it-struck-iranian-killer-drones-in-syria.html

الغريب، كان لدينا اجتماع ثنائي لترامب مع رئيس الوزراء الأسترالي سكوت موريسون، حيث لم يتم التطرق إلى إيران، وركبت في موكب ترامب إلى فندق دو باليه، لأتحدث معه بشكل خاص حول اجتماع ظريف هذا. في ذلك الوقت، وصلني بريد إلكتروني من بومبيو، الذي تحدث مرة أخرى مع نتنياهو. كان نتنياهو قد سمع عن اجتماع ظريف المحتمل وكان يضغط من أجل الاتصال بترامب في الخامسة والنصف مساءً بوقيت بياريتز، الذي كان يقترب بسرعة. بعد وصولي إلى الفندق، تحدثت مرة أخرى مع بومبيو أثناء انتظار لقاء ترامب في جناحه. أخبرته أنني سأفعل ما بوسعي لمكالمة نتنياهو، لكنني كنت عازمًا على بذل محاولة أخرى لثني ترامب عن الاجتماع مع ظريف. كان نتنياهو وسفير إسرائيل رون ديرمر يتصلان بي أيضًا، لذا طلبت من بومبيو أن يخبرهما بأنني أتحرك بسرعة وسنناقش معهما النتيجة. في طابق ترامب، وجدت مولفاني وكوشنير. كان كوشنير على الهاتف مع ديفيد فريدمان، السفير الأميركي في إسرائيل، وأخبر فريدمان أنه لن يسمح لمكالمة نتنياهو بالمرور (عرفنا الآن من كان يوقف كل تلك المكالمات لترامب!). عندما أنهى المكالمة، أوضح كوشنير أنه أوقف هذا والجهود السابقة التي بذلها نتنياهو لأنه لا يعتقد أنه من المناسب أن يحدد زعيم أجنبي لترامب مع من يجب أن يتحدث.

أخبرت مولفاني أنني بحاجة إلى إطلاع ترامب على النشاط العسكري الإسرائيلي خلال الليل في سوريا[1]، وكذلك حول إيران. قال مولفاني إن ترامب أخبره في السيارة إلى الفندق بأن ماكرون استغل غداء السبت مع ترامب لتوجيه دعوة للقاء ظريف. قام ترامب بعد ذلك بدعوة منوشين إلى طاولته لمناقشة قضية ظريف وليقترح أن يجتمع منوشين مع ظريف بدلاً من ترامب. وقال مولفاني إن ترامب أخبره أيضًا أن كوشنير يعرف عن اجتماع ظريف المحتمل. ذهبت إلى جناح ترامب في حوالي الساعة ٥:٢٥ برفقة مولفاني وكوشنير. بدأ ترامب بالسؤال عن سبب عدم رغبتي في إجراء برامج حوارية يوم الأحد (!). لقد شرحت له أن منوشين، كودلو، ولايتهايزر قاموا بها بشكل صحيح في ذلك اليوم بسبب جهودنا لإعادة تركيز مجموعة السبع على القضايا الاقتصادية بدلاً من القضايا السياسية. قبل ترامب التفسير، الذي كان له على الأقل فضيلة أن يكون صحيحاً.

ثم وصفت لترامب العملية العسكرية الإسرائيلية. أثار ترامب موضوع ظريف، وقال إنه يريد مقابلته، وسأل: «هل تعتقد أنها فكرة جيدة؟» أجبت: «لا يا سيدي»، ثم حددت لماذا لم يكن هذا هو الوقت المناسب للقاء، ناهيك بتخفيف العقوبات الاقتصادية، وبتوفير خط الائتمان الذي اقترحته

(١) See David Halbfinger, "Israel Says It Struck Iranian 'Killer Drones' in Syria," August 24, 2019, https://www.nytimes.com/2019/08/24/world/middleeast/israel-says-it-struck-iranian-killer-drones-in-syria.html

فرنسا من ٥ إلى ١٥ مليار دولار وكان منوشين يتفاوض بشأنه مع لو مير[١]. قلت إنه بمجرد أن نرفع الضغط عن إيران، سيكون من الصعب جدًا إعادة ذلك (تمامًا مثل كوريا الشمالية). حتى القليل من الإراحة الاقتصادية قطع شوطًا طويلاً في دعم الدول في ظل عقوبات صارمة، ولكن لم يكن لدينا طريقة لمعرفة مقدار التغيير السلوكي الفعلي الذي سنحصل عليه من إيران. سأل ترامب مولفاني وكوشنير عن رأيهما. اتفق معي مولفاني. لكن كوشنير قال إنه يفضل عقد الاجتماع لأنه لا يوجد شيء نخسره. لم تكن قدرة هؤلاء الأشخاص على تركيز الاهتمام تزيد عن الصفقة التي أمامهم. ثم، كما لو أن ضوءًا انطفأ في رأس ترامب، قال: «لن يحصلوا على أي خط ائتمان حتى يتم الانتهاء من الصفقة بأكملها. أنا لا أوافق على أي شيء لمجرد دفعهم للتوقف عن انتهاك [الاتفاق النووي]». هذا، بالطبع، كان عكس ما يقترحه ماكرون. على الرغم من أن تعليق ترامب كان أفضل مما كنت أخشى أن ينتهي به المطاف، إلا أنني واصلت الضغط عليه حتى لا يلتقي ظريف. قال ترامب: «ما زلت أعتقد أنني سأراه، ستكون في جلسة خاصة، ربما مجرد مصافحة». وحثثته مرة أخرى على عدم القيام بذلك، وانتهى الاجتماع.

في الردهة، تحدثت أنا ومولفاني وكوشنير لبضع دقائق أخرى. أوضحت أن ماكرون كان لديه تصور خاطىء إذا كان يعتقد أن أي مؤسسة مالية ذات سمعة طيبة تنتظر لمد خط ائتمان لإيران. اتفقنا جميعًا على الأقل على أن ماكرون كان ابن عرس (كان هذا تعبيري) وأنه سيحاول أن يحصل على الفضل في أي اجتماع يحدث. خرجت مقتنعاً أكثر بأن مولفاني لم يعرف أي شيء عن هذه الفوضى حتى تحدثت معه في مركز بلفيو في وقت سابق بعد الظهر. اتصلت ببومبيو للمرة الثالثة حوالي الساعة السادسة والربع مساءً لتحديث معلوماته. عندما أنهيت تقريري قال بومبيو: «إذن، لدينا منوشين وجاريد، ديمقراطيان يديران سياستنا الخارجية» الأمر الذي أدهشني كم هو صحيح، وأضاف: «لدينا مشكلة جوهرية هنا، ومشكلة عملية ضخمة»، كلاهما واضح. «إنها رغبة الرئيس في عقد هذا الاجتماع، وهو يجوب العالم حتى يجد شخصًا يتفق معه» (صحيح أيضًا). أجبت أنه إذا تم الاجتماع، فسأستقيل بلا شك، وأنه حتى لو لم يتم ذلك، فقد أستقيل على أي حال. قال بومبيو: «أنا معك». انتظرت حتى المساء خبراً عن اجتماع ترامب مع ظريف، متوقعًا أن أكون مستيقظًا لسماع الأخبار في مرحلة ما، لكنها لم تأت قط.

في اليوم التالي، الاثنين ٢٤ آب/أغسطس، استنتجت، بشكل مثير للدهشة، أنه لم يكن هناك اجتماع. من المؤكد أنه لم تكن هناك تغطية إعلامية للاجتماع، على الرغم من أن وزير

(١) See John Irish and "Parisa Hafezi, "France Pushes for $15 billion credit line plan for Iran, if US allows it," September 3, 2019, https://www.reuters.com/article/us-iran-usa-france/france-pushes-15-billion-credit-line-plan-for-iran-if-us-allows-it-idUSKCN1VO1AF

الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان التقى ظريف لأكثر من ثلاث ساعات، وانضم إليه في وقت ما ماكرون[1]. أخبر الفرنسيون كيلي آن شو أن ماكرون أعطى ترامب قراءة تفصيلية لتلك المحادثات في غرفة ترامب ولكن يبدو أنه لم يخبر أي شخص آخر. عندما تحدثت إلى مولفاني قبل أول اجتماع ثنائي لترامب في ذلك الصباح، قال إنه لا يعتقد أنه كان هناك اجتماع مع ظريف. لقد أرسلت هذه الأخبار بالبريد الإلكتروني إلى بومبيو في حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحًا، قائلاً إنني لا أستطيع استبعاد مكالمة هاتفية، ولم أكن متأكدًا أيضًا مما إذا كان كوشنير أو منوشين قد التقيا أو تحدثا مع ظريف، لإنشاء قناة مستقبلية للتواصل. (كانت هذه الفرضية الأخيرة شيئًا اعتقدت أنه أثار قلق كبار المسؤولين الإسرائيليين وغضبهم، وهذا ما أثار حفيظة بومبيو بالطبع).

لا أعرف ما إذا كنت قد تحدثت مع ترامب وحدي عن لقاء ظريف، لكن القرار كان كافياً لي للسفر إلى كييف بدلاً من العودة إلى الوطن. ومع ذلك، إلى متى يمكن أن يستغرق الأمر قبل أن يرتكب ترامب خطأً سيئًا حقًا ولا رجعة فيه؟ مرة أخرى، أجلنا فقط، وربما ليس لفترة طويلة، يوم الحساب.

(١) See, e.g., Peter Baker, “Iranian Official Makes Surprise Appearance on Side- lines of G7 Summit,” https://www.nytimes.com/2019/08/25/world/europe/g7-iran-trump-biarritz.html

الفصل الثالث عشر

من مهمّة مكافحة الإرهاب في أفغانستان إلى تفادي كارثة في كامب ديفيد

كنت أعلم تمامًا ما الذي أريد تحقيقه في أفغانستان، وقد شاركني كبار مستشاري ترامب الآخرين، هدفين متعادلين من حيث الأهمية بالنسبة إلينا: الأول، منع عودة ظهور محتمل لتنظيمَي داعش والقاعدة وما يصاحبه من تهديدات لتنفيذ هجمات إرهابية ضد أميركا؛ والثاني، توخّي الحذر واليقظة التامّة في ما يتعلّق ببرنامجَي الأسلحة النووية في إيران في الغرب وباكستان في الشرق. كان هذا هو برنامجنا لمكافحة الإرهاب[1] والذي أردنا متابعته في أوائل عام ٢٠١٩ [2]. وتلخّص التحدي الأصعب في الحصول على موافقة ترامب للمضيّ قدماً نحو هذين الهدفين، ثم ضمان التزامه بقراره. فإذا جرى تقديمهما بطريقة سيئة، أو كان التوقيت غير مناسب، نكون قد خاطرنا في احتمال وقوع ترامب في نوبة غضب أخرى، حيث قد يطالبنا بسحب الجميع على الفور؛ بينما عدم تقديمهما على الإطلاق إنّما يعني ضمننا الانسحاب من الأساس.

شكّلت مفاوضات زلماي خليل زاد المستمرّة مع حركة طالبان مزيداً من التعقيد، حيث رأى بومبيو أنّه كان ينفّذ تعليمات ترامب بالتفاوض على توقيع اتفاقية سلام، يُخفَّض بموجبها وجود القوات الأميركية في أفغانستان إلى الصفر. كنت أرى أنّ هذه السياسة سيئة بلا شكّ، فمن الناحية النظرية، عارضت حكومة الولايات المتحدة أيّ تسوية من هذا القبيل ما لم تكن «مستندة إلى

---

(١) كان مفهوم مواصلة برنامج مكافحة الإرهاب في أفغانستان أساسيًّا في بداية إدارة ترامب، كما كان الحال لسنوات عديدة. يرجى مراجعة:

Brian Dodwell and Don Rassler, «A View from the CT Foxhole: General John W. Nicholson, Commander, Resolute Support and U.S. Forces-Afghanistan,» February, 2017, https://ctc.usma.edu/a-view-from-the-ct-foxhole-general-john-w-nicholson-commander-resolute-support-and-u-s-forces-afghanistan/

(٢) أصرّت الجهة المراجعة قبل النشر على إدراج الملاحظة التالية: «بين شباط/فبراير وآذار/مارس ٢٠٢٠، وقعت الولايات المتحدة اتفاقية مع حركة طالبان، ولكنّ ما يلي في هذا الفصل يتطرق إلى مناقشة السياسة بينما كنت أشغل منصب مستشار الأمن القومي في عام ٢٠١٩».

شروط»، ما يعني أنّنا لن نصل إلى الصفر إلّا إذا: أولاً، توقفت العمليات الإرهابية في البلد؛ ثانياً، مُنع تنظيما داعش والقاعدة من إنشاء قواعد عمليات؛ ثالثاً، كان لدينا وسائل مناسبة للتحقق من ذلك. نظرت إلى هذه الفكرة على أنّها ساذجة إلى حدّ محزن بالفعل، تماماً مثل وجهات نظر البنتاغون بشأن الحدّ من التسلّح؛ وكأننا نوقّع اتفاقية مع عصابة من الفاسدين، ونضمن التزامهم بها. كم هذا جميل!

في الواقع، أصرّ بومبيو منذ البداية على أنّ البنتاغون هو الذي أراد توقيع اتفاقية مع حركة طالبان، للحدّ من التهديدات التي قد يتعرض لها الجنود الأميركيون بينما نخفّض من وجودنا. من دون اتفاقية مماثلة، تكون المخاطر على القوات الأميركية المتقلصة، كبيرة للغاية. ولكن مجدداً، رأيت أنّ وجهة النظر هذه طفولية إلى حدّ ما. لم أفهم قطّ لماذا قد يعطينا توقيع الاتفاقية أيّ حماية حقيقية من قبل مجموعة من الإرهابيين لم نثق بهم يومًا. إذا استنتج كلّ من حركة طالبان وتنظيمَي داعش والقاعدة من خلال الأدلّة الواضحة تماماً على تراجع ملموس للقوات الأميركية، أنّنا نعمل على الانسحاب التدريجيّ، الأمر الذي يزيد المخاطر على قوّاتنا المتناقصة، فما الذي يمكن أن يستنتجه أولئك الإرهابيون من وثيقة تقول صراحة إنّنا نتجه إلى صفر وجود عسكريّ بحلول شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٠؟

كان «الاستناد إلى شروط» في السياق الأفغاني مثله مثل الأفيون. فقد جعل هذا بعضنا (وأنا لست من ضمنهم) يشعرون بالرضا، لكنّ ذلك لم يكن سوى شعور مؤقّت وأجوف، في نهاية المطاف. كنت أشكّ في أن يكون هناك أي اتفاقية مع حركة طالبان يمكن أن نجدها مقبولة، بالنظر إلى سجلّ الأخيرة الحافل. إذا كان «الانسحاب الكامل» هو هدفنا، فإنّ انتهاكات «الشروط» لن تغيّر هذه النتيجة، نظراً إلى رأي ترامب. وبمجرّد أن نستهلّ هبوطنا السريع إلى الصفر، سنصل إلى هذه النتيجة. لكن إذا كانت المفاوضات المستمرّة ستتيح لنا الوقت للتحضير، ثمّ الحفاظ على وجود مستدام لمكافحة الإرهاب، فلنفعل ذلك.

رأيت أنا وشاناهان ودانفورد وبومبيو، أننا كلّما أبكرنا في إطلاع ترامب على كيفية نجاح هذه العمليات عملياً، كان ذلك أفضل. كان من المقرّر عقد جلسة إحاطة يوم الجمعة، ١٥ آذار/مارس، وبدأت الاستعدادات لها بجدية. ولأننا نعلم حجم المخاطر، عقدنا جلسة تحضيرية في غرفة البحرية يوم الجمعة الذي يسبق جلسة الإحاطة. ومن الغريب أنّ بومبيو كان قد فوّض جون سوليفان للحضور نيابة عنه. ربما لم يكن يريد الكشف عن الوضع الفعليّ للّعبة الدبلوماسية الحاليّة مع طالبان، قبل إطلاع ترامب، الأمر الذي يتماشى مع ممارسته لمبدأ «مشاركة أقلّ قدر ممكن من تفاصيل المفاوضات». لم يزعجني غيابه، لأنني خلصت إلى أنّ الدبلوماسية الأفغانية لن تهمّنا كثيراً على المدى الطويل، على أيّ حال. لم أفكّر أبعد من كيفية جعل العرض التقديميّ لوزارة الدفاع أمام ترامب يوم الجمعة التالي، فعّالاً

قدر الإمكان، وبالتالي إقناع الأخير بأنّنا بحاجة إلى الحفاظ على موارد كافية بالعديد والعتاد لمكافحة الإرهاب في البلد. وكعادة البنتاغون في جلسات الإحاطة، فقد أعدّ رسوماً بيانية وشرائح من شأنها أن تُظهر كل شيء أكثر تعقيداً من اللازم، حتى حينما تنقل أخباراً «جيّدة» إلى ترامب، مثل التخفيضات الكبيرة في عدد الجنود، والتكاليف التي سيحققها الجيش. لقد دعوت شاناهان ودانفورد إلى إيلاء اهتمام وثيق لردود أفعال ترامب أثناء الجلسة وليس مجرّد الانكباب على قراءة الشرائح والرسوم البيانية. كان هذا هو أسلوب ماتيس، وقد سمعت قصصًا، سواء أكانت صحيحة أم لا، حول قلّة انتباه ترامب لجلسات الإحاطة الطويلة والمستفيضة التي كان يقدمها ماكماستر. لا حاجة للخوض في ذلك مرة أخرى. اعتقدت أنّ الجميع قد وافقني على ذلك، ولكنّ الاختبار الحقيقيّ كان سيأتي في الأسبوع التالي.

في صباح يوم ١٥ آذار/مارس، اتّصل ترامب بالرئيس الإثيوبي آبي أحمد علي (الذي حصل في شهر تشرين الأول/أكتوبر على جائزة نوبل للسلام للعام ٢٠١٩) معزيًّا بضحايا حادثة تحطّم الطائرة الإثيوبية الأخيرة (ما أدّى إلى وقف جميع طائرات بوينغ ٧٣٧ ماكس في جميع أنحاء العالم). بينما كنت أتحدث إلى ترامب، بانتظار بدء مكالمته، تطرّق إلى أفغانستان وقال: «علينا الخروج من هناك». لم يكن طرحه ذاك نذير خير لبدء النهار. ثم عاودت الاتصال به بعد مكالمة آبي، للتوضيح أنّ جلسة الإحاطة ستتضمن بمعظمها عرض البنتاغون لكيفية إعادة تعريف المهمة الأفغانية بناءً على تعليماته في خفض الوجود الأميركي. سألني ترامب: «لن يضرّ هذا بالمفاوضات، أليس كذلك؟»، وكان قلقاً من أنّ تقليص أعدادنا قد يشير إلى الضعف، فكانت إجابتي بالنفي. ثمّ طلب منّي مرافقته في السيارة الرئاسية، إلى البنتاغون، إلى جانب بنس، ما أتاح فرصة أخرى لجسّ النبض ومعالجة أيّ مخاوف، لكنّ المحادثة تحوّلت خلال الرحلة عموماً إلى مسألة كوريا الشمالية.

في غرفة «ذي تانك» في البنتاغون، قال شاناهان إنّ جلسة الإحاطة ستوضح كيفية الحفاظ على عمليات مكافحة الإرهاب وغيرها من الأمور التي تتفاوض عليها حركة طالبان الآن، وقد قاطعه ترامب على الفور ليسأل: «هل نضعف موقفنا في المفاوضات بالقول إننا سنخفّض قوّاتنا؟». ومن الجدير بالذكر، أنني كنت اتصلت بشاناهان وبومبيو مباشرة بعد محادثتي السابقة مع ترامب، وكانت أجوبتهما حاضرة. وقد أضافا أنّ التوقيت كان ممتازاً بالفعل. كما هي الحال في كثير من الأحيان، فإنّ القضاء على المعارضة غالبًا ما يجعل الناجين أكثر حماساً للتفاوض. ثمّ أشار ترامب إلى مدى سوء القادة السابقين (لم يكن منصفاً بذلك، ولكنها كانت شكوى متكررة)، ناهيك عن أداء ماتيس، على الرغم من موافقة ترامب على قواعد العمل التي طلبها الأخير. سأل ترامب: «كيف تسير المفاوضات؟»، فقاطعه ردّ بومبيو على الفور، طارحاً الفساد المستشري بين المسؤولين الأفغان، وخاصّة الرئيس الأفغاني غني، وثرائه الفاحش المزعوم، على الرغم من أنّه قد خلط بين غني

والرئيس السابق حامد كرزاي، كما يفعل دائماً. أومأت إلى دانفورد، آملًا ألّا يلاحظ أحد، ليتدخّل قائلًا إنّ الحدّ من العنف الذي تحقّقه استراتيجيتنا الحالية، يعني أنّه يمكننا تنفيذ مهمتنا الحالية لمكافحة الإرهاب والمهام الأخرى على أرض الواقع، بموارد منخفضة، حتى من دون موافقة حركة طالبان. قال دانفورد لترامب: «لقد استمعنا إليك»، وهي عبارة تتوافق مع مرحلة ما بعد ماتيس. وأضاف أنّه يمكننا التعامل مع أيّ إضعاف للحكومة الأفغانية، إذا ما حدث ذلك، والتركيز على تنظيمَي القاعدة وداعش، بصفتهما يشكّلان التهديدات الإرهابية الحقيقية على أميركا. أشرت إلى أنّ حكومة مركزية ضعيفة هي الأمر المعهود في أفغانستان عبر التاريخ، ولن تكون أمراً جديداً بالنسبة إلى السكان.

أوضح دانفورد كذلك الحاجة إلى الحفاظ على وجود لمكافحة الإرهاب، في المنطقة الأوسع. وقال ترامب، عندما بدأ دانفورد في شرح رسومه البيانية وشرائحه ليوضح كيف سيتم تجهيز عملياتنا الجارية في أفغانستان بالعديد وكيف ستُحدّد تكاليفها: «لايزال هناك الكثير من العناصر»، لكنّه لحسن الحظ أضاف: «إنّ عدم وجودنا هناك هو أمر خطير، لأنّهم (أي الإرهابيين) يميلون إلى تشكيل أنفسهم هناك وهدم المباني»، وهذا بالضبط ما كان المغزى. كرّر ترامب أحد مواضيعه المفضلة، وهو أنّ إعادة بناء مركز التجارة العالمي كان سيكون أقلّ تكلفة من القتال في أفغانستان، متجاهلاً عن سوء دراية، خسارة الأرواح الجسيمة في هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، وليس فقط تكلفة إعادة البناء. كما وقد تجاهل بذلك حقيقة أهمّ ألا وهي أنّ انسحاب ترامب، إذا ما تلاه هجوم إرهابيّ، سيكون مدمّراً على الصعيد السياسي. تابع دانفورد قائلاً إنّ ضغطنا العسكري منع الإرهابيين من إعادة تشكيل خلاياهم وقد كان ذلك بمثابة بوليصة تأمين بالنسبة إلينا. لم يكن لديه جدول زمنيّ دقيق يأخذه في الاعتبار، لكنّ البنتاغون، كما قال، سيسمح لعملية المصالحة الدبلوماسية بتحديد التوقيت المذكور. اعتقدت أنّنا نقترب هنا من حقل ألغام، يعيد طرح ذاك السؤال من جديد، عمّا إذا كان ينبغي أن نكون في أفغانستان في المقام الأوّل. تأرجح النقاش لبعض الوقت، حيث سألني ترامب عن سبب قتالنا في العراق وأفغانستان وليس في فنزويلا، الأمر الذي على الأقلّ، أوضح للجميع في القاعة، ما ينوي فعله حقاً.

بعد الخوض في المزيد من الدردشة، تطرّق شاناهان إلى خفض التكاليف الذي سيستلزمه الحفاظ على قدرة مكافحة الإرهاب، ولكن قبل أن يذهب بعيداً، قاطعه ترامب ليشكو من رفض الكونغرس تمويل الجدار الحدوديّ المكسيكي. ثمّ سأل بعد ذلك: «لماذا لا يمكننا الخروج من سوريا وأفغانستان؟ ما كان ينبغي أن أوافق على المئتين الأخريين في سوريا، وهي بالفعل أربعمئة على أيّ حال». أوضح دانفورد أمله في أن تساهم دول الناتو الأخرى في قوات المراقبة المتعددة الأطراف في سوريا، وردّ ترامب، «نحن ندفع للناتو على أيّ حال»، الأمر الذي استثار بدوره شكوى أخرى

منه حول أردوغان وما كان يفعله في تركيا. ثمّ بعد خمس وأربعين ثانية بالضبط من عودتنا إلى وضعنا في أفغانستان، سأل ترامب: «لماذا نحن في أفريقيا؟»، وسرعان ما أوضح أنّه يريد الانسحاب من أفريقيا بشكل كليّ، متحدثاً لبعض الوقت بالتفصيل عن ديوننا الوطنية البالغة ٢٢ تريليون دولار، ثم عن مشكلات العجز في ميزان التجارة لدينا، ثم اشتكى، مرة أخرى، حول كيفية تلقي نيجيريا ١٫٥ مليار دولار سنوياً من المساعدات الخارجية، كما قال إنّ رئيس نيجيريا أكّد له ذلك في زيارة سابقة، على الرغم من أنّهم يرفضون شراء المنتجات الزراعية الأميركية. بعد مزيد من النقاش حول أفريقيا، عاد ترامب إلى أفغانستان قائلاً: «خفّضوها، أي التكلفة السنوية، إلى عشرة مليارات دولار وبسرعة»، (وهو رقم مستمدّ من صافي الموارد التي تتطلّبها خطتنا لاستمرار الوجود الأميركي). وقد أدّى ذلك إلى ذكر تكاليف القواعد العسكرية الأميركية في كوريا الجنوبية وإلى أيّ مدى يجب أن تساهم سيول في تحمل النفقات. وقال ترامب بفرح جليّ، إنّنا انتزعنا ٥٠٠ مليون دولار إضافية من الجنوب في خلال المفاوضات في نهاية عام ٢٠١٨ (كان الرقم في الواقع حوالي ٧٥ مليون دولار، كما يعرف الجميع في غرفة ذي تانك). كان لايزال يريد أن يكون إجماليّ ما تدفعه كوريا الجنوبية مساوياً للتكاليف التي تتكبدها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى ٥٠ في المئة. وبغضّ النظر عن خلافاتنا السياسية مع العراق، ذكّرنا ترامب بأنه بعد أن دفعنا الكثير لبناء قواعدنا هناك، فإنّنا لن نغادر.

بعد أقلّ من ساعة بقليل، وبينما كنّا على وشك الانتهاء، سأل ترامب دانفورد أمام الجميع، «كيف حال الوزير بالوكالة؟»، ومن الواضح أنّ دانفورد فوجئ بذلك السؤال، وسرعان ما أجاب: «هنا تحديدًا يمكنني القول إنّه يعمل عملاً رائعاً»، فضحك الجميع. لم أكن أريد سوى الخروج من باب القاعة، لذلك وقفنا أنا وبومبيو ببساطة، وبدأنا في جمع أوراقنا معاً. ثمّ نهض آخرون، وسرنا جميعاً إلى مدخل البنتاغون من جهة النهر، حيث كان موكب السيارات ينتظر. استقللت أنا وبنس سيارة الرئيس مع ترامب، حيث دار معظم نقاشنا حول توقّف طائرات بوينغ ٧٣٧ ماكس عن تسيير الرحلات. عند العودة إلى الجناح الغربي، اتصلت بشاناهان لتهنئته على النتيجة والقول له إنّه يجب أن يأخذ استراحة لبقيّة اليوم. لم يبدُ ذلك رائعاً، وهذا ما قلته لدانفورد أيضاً عندما اتصلت به بعد بضع دقائق، لكنّه كان فوزاً بالتأكيد. قال دانفورد: «يعتقد ترامب الآن أنّنا نستمع إليه، وهو ما لم يصدّقه من قبل»، وقد كان ذلك صحيحاً بشدّة. رأى بومبيو أيضاً، عندما تحدثت إليه في اليوم التالي، أنّ جلسة الإحاطة تلك كانت بمثابة فوز لنا.

ومع ذلك، لم تكن المشكلة قد حُلّت بعد، وكذلك مسألة المفاوضات مع حركة طالبان. خلال وجبة إفطار يوم ٢١ آذار/مارس، أحضر شاناهان ودانفورد رسماً بيانياً يوضح كيف ابتعدت وزارة الخارجية بشتّى الطرق، عمّا يعتقده البنتاغون المبادئ التوجيهية التفاوضية المتفق عليها.

وأكثر ما أقلقني هو أنّ الأهداف التفاوضية لوزارة الخارجية كانت منفصلة تماماً عمّا اعتبرته أهدافنا الحقيقية، وهي القدرة الكاملة على منع عودة الإرهاب، واليقظة تجاه الأخطار النووية لإيران وباكستان. لم تكن مستويات الموارد التي وافق عليها ترامب ضمنياً خلال جلسة الإحاطة التي عُقدت في البنتاغون، قريبة حتى ممّا قد نحتاجه في أزمة كبرى، ولكن، برأيي، سيكون لدينا على الأقلّ العديد من القواعد في أفغانستان، بالإضافة إلى إمكانية زيادة قدراتنا بسرعة. لكنّ بومبيو وخليل زاد كانا لايزالان يتفاوضان كما لو كنّا ننسحب بالكامل. ربما نكون قد بدأنا هناك في تشرين الثاني/نوفمبر، لكنّنا لم نفعل سوى تأخير أنفسنا مسافة طويلة، وعليه، شعرنا بالقلق أنا وشاناهان ودانفورد من إمكانيّة فقدان التقدم الذي أحرزناه. في غضون ثلاثين دقيقة من الإفطار، اتّصلت بترامب وقلت إنّ قرار السماح لخليل زاد ووزارة الخارجية بالتصرّف باستقلالية تامة في المفاوضات، يعود إليه وحده، ولكنّني كنت أعتقد أن الأمر خطير على ما قال ترامب إنه يريده. وردّ ترامب حول خليل زاد: «لا أعلم حتى من هو. افعل ما تراه مناسباً».

في صباح ذلك اليوم نفسه، التقيت بخليل زاد، وهو شخص عرفته لما يقرب من ثلاثين عاماً، كما ذكرت سابقاً. قال لي إنّ بومبيو أمره بعدم التواصل معي لأنّني كنت أُضعف موقف الأخير أمام ترامب. لم يكن ذلك صحيحاً، وتساءلت عمّا إذا كان الدافع الحقيقي لبومبيو هو أن يحصل على الفضل كلّه في ما يتعلق بأفغانستان، وهي ظاهرة شائعة في واشنطن. أمّا إذا افترضنا جدلاً أنّه محقّ، فقد كان الأمر في غير محلّه. لم أكن أعتقد أنّ هناك أيّ فرصة فعلية في أن تؤدي المفاوضات إلى نتيجة مقبولة. لذلك لم أكن أتحرّق للحصول على «الفضل» في النتيجة. ووافق خليل زاد على لقاء غير رسمي مع جميع المسؤولين المعنيين لحلّ سوء التفاهمات، قبل مغادرته واشنطن لاستئناف المحادثات مع حركة طالبان. وجدتُ هذا القرار جيداً، لكن بعد عدّة أيام، اتصل بومبيو ليشكو من أنّ كبار مسؤولي البنتاغون بالإضافة إلى كبيرة مدراء مجلس الأمن القومي لجنوب آسيا ليزا كيرتس، يتدخلون مع خليل زاد، وأنّه ينبغي تركه وشأنه. تُشكّل هذه الاجتماعات عادة من خلال «التنسيق بين الوكالات»، لكنّ بومبيو اعتبرها تدخلاً. ولا عجب إذن أن يكون لدينا مشكلات إدارية داخلية في أفغانستان.

في خضمّ هذه المشكلات، تلقينا خبراً واحداً جيداً واستثنائياً، وذلك في ١٢ نيسان/أبريل، حينما أصدرت «غرفة ما قبل المحاكمة» للمحكمة الجنائية الدولية رأياً مكوناً من ٣٢ صفحة ترفض فيه طلب المدّعي العام بفتح تحقيق في سلوك أفراد الجيش والاستخبارات الأميركية في أفغانستان. كنت تحدثت عدّة مرات إلى عضو الكونغرس السابق، بيت هويكسترا، سفيرنا في هولندا، حيث مقرّ المحكمة في لاهاي، ووجدته متفاجئاً مثلي من نجاحنا في وقف هذا الخطأ القضائي. لطالما عارضت

المحكمة[1] وقد ألقيت خطاباً في أوائل فترة ولايتي للجمعية الفيدرالية في واشنطن، حول سبب رفض الإدارة للمحكمة كمسألة مبدئية، والخطوات التي كنّا على استعداد لاتّخاذها ضد المحكمة إذا قررت استهداف المواطنين الأميركيين[2]. اتصلت بترامب في الساعة التاسعة والربع صباحاً لأخبره عن القرار، فقال: «أصدر كلمة قوية بهذا الشأن»، وقد أسعدني فعل ذلك.

بالنسبة إلى الاجتماعات بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، كنت أقلّ قلقاً من ذي قبل بشأن مضمونها، وبالتالي لم أستعدّ لها بقدر ما فعلت قبل تقديم العرض أمام البنتاغون، لأنّني اعتقدت أنّنا ربحنا تقريباً المعركة الأهم في نظر ترامب. لن تنسحب الولايات المتحدة بالكامل من أفغانستان ولكنّها ستحافظ على وجود متواصل لقوّاتها من أجل مكافحة الإرهاب وغيرها من الأهداف. إذا اتّضح في يوم ما أنّ ترامب قد عكس مساره وقال ببساطة إنّنا سننسحب على الفور (وهذا ما كان يفعله خلال نوبات غضبه وبصورة دورية)، فإنّ ذلك القرار لن يكون وقفًا على الوضع الراهن للمحادثات. باختصار، لم يعد الموقف العسكري الأميركي مرتبطاً بعملية السلام، هذا إن كان كذلك أساساً. لذا لم يكن في ذهني أن هناك ضغطاً محدداً على خليل زاد باتّجاه تحقيق أيّ نتائج، ولا تاريخ فعلياً محدداً لإنهاء المفاوضات.

لكن بحلول الأول من شهر تموز/يوليو، علمت وزارة الدفاع أنّ خليل زاد كان على وشك الإعلان عن اتفاقية مع حركة طالبان، من دون إبلاغ أيّ شخص في واشنطن بمضمونها. وبالطبع، وليس عن تهوّر، اتصل إسبر ببومبيو، زميله السابق في الأكاديمية العسكرية «ويست بوينت»، ليقترح عليه إعادة الاتفاقية إلى واشنطن لمراجعتها. سمع كوبرمان من رئيس موظفي إسبر أنّ بومبيو «قد أشعل إسبر» كما ومرؤوسيه بعبارات واضحة جداً لتدخلهم في المفاوضات الأفغانية. قال بومبيو، الذي غالباً ما كان يصرخ كما قيل لنا، إنّ خليل زاد كان ينفّذ تعليمات، متكتّمًا عن الجهة التي تصدرها، لإبرام اتفاقية من دون إشراف خارجي. أمّا بالنسبة إلى شاناهان، فقد حاول أن يكون عقلانياً ولكنّه فشل، والآن جاء دور إسبر. عندما تحدثت إليه في اليوم التالي، كانت مخاوفه تتمحور أكثر في الواقع حول المسائل الفنية، مثل اهتمامه المشروع، بسلامة القوّات الأميركية المنسحبة، بدلاً من اهتمامه بالوضع السياسي. قالها إسبر بلباقة: «تحرك مايك بعض الشيء»، ولكن مع مواصلة حديثنا، اتّضح أن هناك انفصالاً كبيراً بين هدف وزارة الخارجية، وهو «صفر قوات أميركية»، ورغبتي أنا والبنتاغون في الحفاظ على عملياتنا لمكافحة الإرهاب وقدراتنا الأخرى. كان إسبر مهتماً وعن حقّ في إمكانية تأثّر الأداء الفعلي للعمليات العسكرية، إذا فقدنا موطئ قدم لنا في أفغانستان.

(١) See Bolton, Surrender Is Not an Option, pp. 85–87

(٢) See Ken Bredemeier, "US: No Cooperation with ICC Probe of Alleged Afghan War Crimes," https://www voanews.com/usa/us-no-cooperation-icc-probe-alleged-afghan-war-crimes

لقد أبرزت هذا الفصام التام في النقاش مع خليل زاد، في ١٩ تموز/يوليو. كان هدفي هو التوصّل إلى اتفاق داخل حكومة الولايات المتحدة بين مختلف أنماط التفكير، وحلّ نقاط الانفصال التي برزت في مداولاتنا الداخلية. لا سيّما أنّ التعليمات التي كان يتلقاها خليل زاد من ترامب (أو بومبيو، لا يهمّ) في ذلك الوقت، هي خفض القوات الأميركية لتصل إلى الصفر، بينما كان لديه أيضاً تعليمات من ترامب لدعم قدرات مكافحة الإرهاب بما يتفق مع ما تم إطلاع ترامب عليه في إحاطة وزارة الدفاع، من دون تحديد موعد نهائي بشكل أساسي. تمثّلت الصعوبة في إقناع حركة طالبان والحكومة الأفغانية بموافقتنا على توجّهنا إلى الصفر في مهمتنا الحالية، بينما نعمل في الوقت نفسه على خلق مهمة معدّلة لدعم قدرات مكافحة الإرهاب. وافق خليل زاد بسرعة، قائلاً إنّه يفهم تماماً ما يتوقّعه ترامب، لذلك اعتبرت الأمر تقدّمًا ملحوظًا. كان هدفي هنا هو التأكّد من أنّ حكومتنا متوافقة في ما بينها، في السياق الذي وجدنا أنفسنا فيه خلال تلك المرحلة. كان بإمكاننا فعل ذلك في وقت أبكر وبسهولة أكبر، لو سمح بومبيو لخليل زاد بإجراء هذه المحادثات بوتيرة أكبر، ولم يكن علينا ترتيبها مثل لقاءات الجواسيس. على أيّ حال، استمرّت المحادثات مع حركة طالبان على مسارها خلال الصيف.

في يوم الأربعاء، ١٤ آب/أغسطس، سمع كوبرمان لأول مرة من رئيس موظفي إسبر، حول اجتماع مُزمَع عقده يوم الجمعة بشأن أفغانستان، في نادي بيدمينستر للغولف الخاص بترامب، حيث كان يقيم لمدّة أسبوع تقريباً. كان هذا أمراً جديداً بالنسبة إلينا، لذلك في الساعة السابعة وعشر دقائق من صباح اليوم التالي، اتصلت بمولفاني الذي كان أيضاً في نيو جيرسي، وذلك لمعرفة ما يحدث. قال إنّه سمع عن اجتماع يوم الجمعة، وسأل ويسترهاوت عن ذلك. وقد قالت الأخيرة إن الاجتماع هو مع ذلك «الرجل من أفغانستان» (أي خليل زاد) وبومبيو. وقال مولفاني: «يمكنك القدوم، هل سيأتي مسؤولو وزارة الدفاع أيضًا؟»، أجبت بأنني أعتقد ذلك، وانتهت المكالمة. أظهر كلّ هذا مجدداً كيف كانت وزارة الخارجية تعامل بقية فريق الأمن القومي. لم يراودني أيّ شك في أنّ حركة طالبان كانت تزداد سعادةً بشروط الاتفاقية المستجدة، والتي رأيتُ أنّها لا تنوي اتّباع معظمها. كنت أفترض أنّ بومبيو يريد أن يوقّع ترامب على الاتفاقية بأدنى قدر ممكن من المعارضة الداخلية، لكنّ المفاوضات التي لا تنتهي أسفرت عن نتيجة جعلتني اعتقد أنا وكثيرون غيري أنّها ستحمل عواقب سلبيّة شديدة على أميركا. في الواقع، تتمثّل مهمة مستشار الأمن القومي في التنسيق بين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع وأعضاء مجلس الأمن القومي الآخرين. وإذا لم أستطع أداء هذا الدور، فلا فائدة من بقائي. في غضون ذلك، يمكنني القول إنّني «نجحت» على الأقلّ في تلقي دعوة إلى اللقاء المذكور.

تحدثت إلى بومبيو في وقت لاحق من ذلك الصباح، طارحاً اجتماع بيدمينستر من ضمن القضايا الأخرى. قال الأخير إنّنا «لم ننته» من المفاوضات، على أمور مثل طبيعة وقف إطلاق النار،

والحدّ من العنف بشكل عام من جانب حركة طالبان، ومهمة مكافحة الإرهاب، وهي أمور كلها مازالت دون حل. قلت له إنّني ذاهب إلى الاجتماع، ربما على متن طائرة نائب الرئيس مع بنس، وسألته متى ينوي الذهاب. وساد الصمت. من الواضح أنّه لم يتوقع أن يحضر جيش صغير اجتماع بيدمينستر، وبالأخصّ أنا. كما اتّضح أنّ هاسبل وسيبولوني، ومارك شورت (رئيس موظفي نائب الرئيس) وكيلوغ، قد حضروا هم أيضاً، إلى جانب مولفاني وإسبر ودانفورد.

اتّصل بي ليندسي غراهام بعد أن سمع عن اجتماع بيدمينستر، حيث أكّد لترامب يوم الأربعاء الحاجة إلى الإبقاء على قوات كافية لمواجهة التهديد الإرهابي، إلى جانب أهداف أخرى. ومع ذلك، كان قلقاً للغاية بشأن التقارير الصحافية التي تشير إلى أنّ الاتفاقية مع حركة طالبان لا تحتوي على مثل هذه الشروط، وطلب منّي التحدث إلى جاك كين، الجنرال المتقاعد ذي الأربع نجوم وهو معلّق يظهر بصورة منتظمة على شبكة فوكس. اتّصلت بكين أثناء انتظار الإقلاع من أندروز وحثثته على الاتصال بترامب مباشرة، نظراً لأنّه تحدث إليه مرارًا وتكرارًا حول هذه القضايا. وإذا كان لديه وقت للتحدث إلى ترامب بشأن أفغانستان، فهذا هو الوقت المناسب. طلب منّي بنس الانضمام إليه في مقصورة الطائرة، حيث أوضحت له المخاطر المتعلقة بالاتفاقية المقترحة كما فهمتها، بالإضافة إلى الأثر السياسي السلبي الجسيم الذي يمكن أن يطال ترامب، مشيراً إلى أنّ غراهام وآخرين كانوا صريحين بالفعل في آرائهم بهذا الصدد. هبطت طائرتنا في مطار موريستاون، نيو جيرسي، وتوجّهنا إلى بيدمينستر في موكب.

بدأ الاجتماع بعيد الساعة الثالثة بعد الظهر بقليل، حيث قال بومبيو: «لم ننته تماماً مع حركة طالبان»، ولكنّه بعد ذلك، وضع الشروط العريضة لاتفاقية بدت وكأنّها منجزة تقريباً. وقد تناقض وصفه ذاك بشدة مع ما قاله لي على الهاتف في وقت سابق من ذلك اليوم. طرح ترامب أسئلته، لا سيّما حول ذلك البند المتعلق بتبادل الأسرى والرهائن بين حركة طالبان والحكومة الأفغانية، والذي بدا من الناحية العددية أكثر ملاءمة لطالبان، مقارنة بنا. لم يعجب ذلك ترامب على الإطلاق، وقد بدأ في الغوص بالحديث عن الرئيس الأفغاني غني ومنزله الفاخر في مدينة دبي، ذلك المنزل الذي كنّا علمنا من خلال بحث فعلي، أنّ ملكيته لا تعود إليه. لكن لا يهم، لأن بومبيو أشار إلى حقيقة أنّ غني أصبح رئيساً وهو مَن يسيطر الآن على القوات المسلّحة للحكومة. ثم سأل ترامب سؤالاً متوقعاً: «من يدفع لهم؟» أجاب إسبر على الفور، وهو الجديد على هذا المشهد: «نحن ندفع لهم»، وبردّه هذا، جعل ترامب يدخل في حديث مكرّر: كيف أنّ ماتيس كان يقول دائماً: «يقاتل هؤلاء الجنود بشجاعة من أجل بلدهم»، إلى أن سأله ترامب من الذي يدفع لهم، واكتشف أنّ التكلفة الإجمالية (بما في ذلك العتاد والإمدادات الأخرى) بلغت حوالي ٦,٥ مليار دولار سنوياً. واختتم ترامب قائلاً: «إنّهم الجنود الأعلى أجراً في العالم». ثم دخل في مسألة «النيران الصديقة»، حيث هاجم جنود الحكومة

الأفغانية القوات الأميركية، قائلاً: «نعلّمهم كيفية إطلاق النار، ثم يأخذون الأسلحة ويقولون أوه، شكراً لك يا سيدي، ويقتلون رجالنا». ثم تطرّقنا إلى الانتخابات الأفغانية وتحدّثنا مجدّدًا عن سبب عدم إعجاب ترامب بهذا المسؤول الأفغاني الكبير أو ذاك. لو استطاع ترامب فقط أن يميّز بأنّ الرئيس الحالي غني لم يكن نفسه الرئيس السابق كرزاي، لوفّرنا على أنفسنا الكثير من العناء.

مع استمرار النقاش، قال ترامب في مرحلة معيّنة: «إنّ عقد اتفاقية سيئة هو أسوأ من الانسحاب. وأفضّل عندها عدم توقيع أيّ اتفاقية». اعتقدت أنّ هذا التعليق أعطى بصيصاً من الأمل، ولكن قبل أن نذهب أبعد، انتقل ترامب مجدداً إلى الشكوى من التسريبات، بما في ذلك أنّ شبكة «سي إن إن» تحدثت مسبقاً عن انعقاد هذا الاجتماع بالذات. وقال: «يجب إعدام هؤلاء الناس، إنّهم مجرد أوغاد». ثم لاحظ لاحقاً أن «ليس بالأمر السيئ أن تكون الأخبار قد انتشرت» طالما أنّنا نتحدث عن أفغانستان. ثم أدّى ذلك إلى واحدة من المناورات القانونية المفضلة لدى ترامب، وهي أن تقوم وزارة العدل باعتقال الصحافيين، وإبقائهم في السجن لمدّة، ومن ثم مطالبتهم بالكشف عن مصادرهم، وعندها فقط، ستتوقف التسريبات. طلب ترامب من سيبولوني الاتصال ببار لنقاش تلك المسألة، وقد وافق الأول على إجراء تلك المكالمة. وتابع ترامب: «تعجبني الرسالة التي أمرّرها، فإذا تربّصوا بنا، سوف ندمّر أمّتهم بأكملها، لكن ليس بالأسلحة النووية. إنّهم يكرهوننا أيضاً، وتريد حركة طالبان استعادة أرضها. نحن ذهبنا لوضع يدنا عليها، وهُم لديهم محتالون فاسدون في أعلى مستويات الحكومة».

واصلنا النقاش، لكنّني شعرت أنّ ترامب بات شارد الذهن. شيء ما كان يزعجه، لكنّني لم أستطع استنتاج ماهيته. وفجأة، بدأ بالحديث مجدداً حول الانسحاب، وقال: «أريد الانسحاب من كل شيء»، منتقداً برامجنا العسكرية في أفريقيا، وقد سارع إسبر ودانفورد للتأكيد أنّ قواتنا هناك قد تمّ تخفيضها بالفعل. ثم عاد إلى قمة الناتو ٢٠١٨، وكيف هدّد هو بالانسحاب (وهو ما لم يكن صحيحاً تماماً)، وكَم أنفقنا في أوكرانيا. ثم سرد مرة أخرى محادثته الأولى مع أنجيلا ميركل، وحتى أنّها سألته ما الذي سيفعله بشأن أوكرانيا قبل تهنئته بالفوز. وكان ردّ ترامب أن سألها ماذا ستفعل في أوكرانيا[1]. ثم سأل: «هل نحتاج حقاً قاعدة «فورت ترامب» في بولندا؟»، أجبته بأنّه وافق على ذلك في عدة محادثات مع الرئيس البولندي، أندجي دودا، وبأنّ البولنديين كانوا يتحملون نفقات بنائه، بالإضافة إلى أنّه كان ذاهباً إلى بولندا في الأول من أيلول/سبتمبر لإحياء الذكرى الثمانين للغزو النازي، الأمر الذي لم يوقفه. وقال إنّه لا يتذكر موافقته على إنشاء قاعدة «فورت ترامب»، الأمر الذي يشير إمّا إلى ضعف ذاكرته أو إلى قدرته على تجاهل أيّ أمر لا يريد تذكره.

(١) كان تبادل الحديث ذاك مع ميركل، والمنمّق إلى حد ما من وقت إلى آخر، عنصراً أساسياً لدى ترامب أثناء تبادله الأحاديث مع القادة الأجانب. وسيظهر مجدداً في سياق أوكرانيا كما يشير إليه الفصل التالي.

حاول إسبر التوضيح أنّ القوات في بولندا ستكون متناوبة وليست دائمة، لكنّ ترامب كان انتقل إلى نقطته التالية، وهي التدريبات الحربية الجارية في كوريا الجنوبية. قال لي: «ما كان عليك السماح لها بالاستمرار»، لقد قال ذلك على الرغم من أنّه وافق عليها، ومع العلم بأنّها تدريبات محاكاة، وليست مناورات ميدانية. وأضاف: «أحاول أن أصنع السلام مع شخص مجنون»، وهنا اعترف على الأقل بأنّ كيم جونغ أون ربما يعاني مشكلة نفسيّة إلى حدّ ما. ثم قال أخيراً: «إنّ تدريبات الحرب هذه كانت خطأً كبيراً، لم يكن يجدر بي الموافقة عليها. انسحبوا من هناك إذا لم نحصل على صفقة بقيمة خمسة مليارات دولار (لدعم كوريا الجنوبية للقواعد الأميركية). نحن نخسر ٣٨ مليار دولار في التجارة في كوريا، فلنخرج إذاً». كما أنّه سأل عدة مرات عن موعد انتهاء التدريبات الحالية، الواقع في ٢٠ آب/أغسطس، وقال: «اعملوا على إنهائها خلال يومين. لا تمدّدوا حتى ليوم واحد».

ثم قال ترامب، كما لو كان قد قرّر بالفعل الموافقة على اتفاقية بومبيو وخليل زاد: «فلنثر الجلبة بخصوصها، وكأنّها اتفاقية عظيمة. إذا اقترفوا أيّ أمر سيّىء (وهو ما فسّرته على أنّه في حال خرقت حركة طالبان الاتفاق)، فسوف نمزّق بلدهم اللعين إلى مليون قطعة. (لم أعتبر ذلك استراتيجية عسكرية مدروسة جيداً، ولكن ببساطة، كان هذا تحليل ترامب المعهود). وأنا لا ألوم الجيش لأنّكم لم تستحصلوا على العتاد المناسب». كانت هذه النقطة الأخيرة لتفاجئ ماتيس، والذي كان ترامب يؤكّد له باستمرار أنّه فعل ذلك بالضبط. ثم تطرّق إلى موضوع غرينلاند، ولكنّه سرعان ما عاد إلى أفريقيا، قائلاً «أريد الخروج من أفريقيا والعديد من الأماكن الأخرى بقدر الإمكان، أريد جنودنا على أرضنا. أخرجوهم من ألمانيا، سأخبر ألمانيا أنّ عليها الدفع فوراً». ثم عاد إلى موضوع قاعدة «فورت ترامب»، وحاول إسبر للمرة الثانية التوضيح أنّ القوات الأميركية هناك ستكون متناوبة، أي أنّها ستخرج وتعود ولن تتمركز هناك في واقع الأمر. ثم قال: «لقد تم انتخابي للانسحاب من أفغانستان ومناورات الحرب هذه. لدينا ٥٢ ألف جندي في أوروبا... إنّ الناس مفتونون جداً بحلف الناتو». ثم انتقل إلى كشمير وقال «أريد الاتصال بمودي يوم الإثنين، لدينا نفوذ هائل... بسبب أعمال التجارة».

حاول بنس العودة للحديث عن إعلان الاتفاقية الأفغانية، وسأل عمّا إذا كان ينبغي أن يكون في الأسبوع المقبل. قال ترامب: «لا تذكر الانسحاب في البيان، ولكن وضّح أنّنا سنصل إلى الصفر في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٠، أي قبل الانتخابات مباشرة. يمكننا دفع العملية إلى ما بعد الانتخابات، فكيف سيكون صدى ذلك سياسياً؟». قال دانفورد إنّه يمكننا تخفيض مستويات الموارد المقترحة التي جرى إطلاع ترامب عليها في إحاطة البنتاغون (كما نوقش في ما سبق) والتوقّف عند ذلك الحد. أكّد بومبيو مجدداً على وجوب الالتزام بالانسحاب الكامل في الاتفاقية، لأنّ حركة طالبان أصرّت

على ذلك، وكان ذلك هو قلب المشكلة. قلت قبل نهاية الاجتماع بقليل إنّني لم أر نصَّ الاتفاقية في الواقع، وأجاب بومبيو: «صحيح، لقد جرى حصرها في نطاق ضيّق، ولكن، ستكون هناك تسريبات بمجرّد أن نمضي في توزيعها» على نطاق واسع، وقد مثّل هذا مشكلة أخرى. حاول بومبيو إبقاء الأمر برمته بينه وبين خليل زاد وترامب (مع أنّ ترامب قد قال عندما بدأ الاجتماع، إنّه مرّ وقت طويل منذ أن رأى خليل زاد للمرّة الأخيرة). لقد ضمن بومبيو امتلاك الاتفاقية بالكامل من خلال إبقائها في نطاق ضيّق. كان ذلك جيداً بالنسبة إليّ، إذا كان هذا ما يريدانه فعلًا هو وترامب، فقد يحتفظان لأنفسهما بتلقّف ردّ الفعل السلبي. انتهى الاجتماع حوالى الساعة الرابعة وخمسين دقيقة مساءً، من دون اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان سيصدر بيان خلال الأسبوع المقبل أم لا. ويرجع ذلك جزئياً إلى أنّ المسائل الهامة لاتزال بحاجة إلى حلّ، هذا إذا كان ذلك ممكناً أساساً.

التقيت خليل زاد يوم الاثنين بناء على طلبه لمتابعة اجتماع بيدمينستر. من الواضح أنّه وبومبيو قد توصّلا من خلال نتائج اجتماع يوم الجمعة، إلى أن يكون لديهما تفويض مطلق لمواصلة المفاوضات، وقد أخبرت خليل زاد أنّ ذلك برأيي، ينطوي على مبالغة. من قبلهما. فعلى أيّ حال، لم يكن لديّ شك كبير في أنّ ترامب احتفظ بالحقّ في رفض أيّ شيء لا يعجبه، حتى اللحظة الأخيرة وما بعدها. أرادني خليل زاد أولاً أن أقرأ الوثائق التي جرى الاتفاق عليها عموماً، لكنّه قال إنه لن يتمكن من ترك نسخ منها. شكرته على ذلك ولكنّني أعدتها إليه من دون قراءتها، قائلاً إنّني لا أقبل أن يستعجلني أحد في أمور مماثلة. أردت الحصول على الوقت الكافي لدراسة المستندات، ولم أغيّر رأيي حتى بعد أن قال خليل زاد إنّ إسبر ودانفورد وهاسبل قد وافقوا جميعاً على مقاربته المقترحة. بدا مذهولاً من رفضي، لكنّني كنت واضحاً تماماً بأنني لن أستوعب في عشر دقائق ما عمل عليه هو وبومبيو لمدة عشرة أشهر. قلت له إنّني لن أتمكن على الإطلاق من معرفة السبب وراء رغبة بومبيو في الاحتفاظ بسرية الاتفاقية ضمن هذا النطاق الضيّق، والتذرّع بحجّة منع التسريب، لعدم إظهارها لأيّ شخص. سألت خليل زاد لماذا لا يريد بومبيو حلفاء، علماً أنّنا جميعاً نعلم أنّ المخاطر السياسية التي تلفّ هذه الاتفاقية إنّما تتأتّى من أكثرية الجمهوريين، فضلاً عن الديمقراطيين؟ إذا كان يريد الاحتفاظ بالفضل له، يمكنني أن أفهم ذلك، ولكن، لن يكون هناك «فضل» كبير عند انهيار الاتفاقية، وقد أخبرني بومبيو نفسه أنّه يعتقد أن هذا الانهيار حتمي. أين المنطق في ذلك؟ لم يجبني خليل زاد، وأعتقد أنّه لم يفهم هو أيضاً سبب ممارسة عمله، تحت القيود الكثيرة المفروضة من قبل بومبيو.

ناقشنا بعد ذلك ما الذي سيحدث في المفاوضات، وشرحت له لماذا من غير المرجح أصلاً أن الانسحاب «المستند إلى شروط»، والمرتبط بخفض القوات الأميركية إلى الصفر، ستتم تلبية شروطه بالفعل. يمكننا تكرار عبارة الانسحاب «المستند إلى شروط» ما أردنا، ولكن في الواقع، سيتمّ اعتبار هذه الاتفاقية بمثابة سحب الرهانات والانسحاب (وهو ما كان ترامب يفضله على الرغم

من معارضتنا جميعاً)، مع كل الفوضى التي ستتبع ذلك. فهم خليل زاد وجهة نظري لكنّه قال إنّ هذا أفضل ما يمكننا فعله. تمثّل رأيي الشخصي الراسخ في أنّني لا زلت مستعداً لخفض القوات إلى حدّ معيّن، من دون توقيع أيّ اتفاقية (ولو كان ذلك على مضض، ففي حين أنّ تلك الأعداد التي جرى إطلاع ترامب عليها سابقاً قد تكون أفضل ما يمكننا الحصول عليه منه، فقد بقيت مقتنعاً بأنّها كانت منخفضة جداً). ومع ذلك، قال خليل زاد إنّه لايزال يعتقد أنّ ترامب، وبومبيو بلا شك، يريدان وثيقة موقعة، ونقطة على السطر. ومن باب تأملي دائماً للأفضل، طلبت من خليل زاد أن يبقى على اتصال بمجرد عودته إلى المفاوضات.

خلال تناولي الغداء في وقت لاحق من ذلك اليوم مع إسبر وبومبيو، قال الأخير إنّه شعر بـ «قلق» ترامب، وهذا ما كنت أراه أيضاً. لم يرغب ترامب في إيقاف المفاوضات، لكنّه كان قلقاً على نحو واضح من أن يعرّض نفسه لمخاطر سياسية أكثر ممّا يتوقع، وعلى الأرجح ليس لسبب وجيه. بعد بضعة أيام، في ٢٧ آب/أغسطس، تواصل بومبيو معي في كييف، ليقول إنّ خليل زاد قد أنجز الاتفاقية من جميع جوانبها ويتوقّع أن يأتي بالوثائق النهائية. ومن المثير للاهتمام، أنّه رأى أنّ ترامب يميل نحو خياري المتمثل في خفض القوات إلى مستوى مهمة مكافحة الإرهاب (أي ٨٦٠٠ جندي، وهو الرقم الذي يذكره ترامب اليوم على الملأ)[1] من دون التوقيع على الاتفاقية. في الواقع، اعتقد بومبيو أنّ ترامب يرى مقدار الكارثة التي يمكن أن تحدث عند رؤية مستوى «صفر» في وثيقة الاتفاقية، خاصّة بالترافق مع عبارة الانسحاب «المستند إلى شروط» والمتروكة لسبيلها، وقد كان ذلك تحليلي بلا شك، وهذا ما جهدت للتحدّث عنه باستفاضة وبقدر استطاعتي في بيدمينستر. وفي ما يتعلق بما إذا كان الجيش يمكن أن يستغني عن الـ«حماية» التي تمنحها الاتفاقية، قال بومبيو إنّه يعتقد أنّ قائد الجيش يفضّل إجراء الاتفاقية، ولكن يمكنه التعايش مع الأمر في كلتي الحالين. وهذا ما حسم الأمر بالنسبة إليّ. وقد قال ترامب أيضاً في مقابلة إذاعية مع بريان كيلميد من قناة فوكس: «سنحتفظ بوجودنا هناك، لكنّنا نعمل على تخفيض هذا الوجود بقدر كبير، وسنكون دائماً حاضرين. سيكون لدينا معلومات استخباراتية دقيقة... لكنّنا سنخفّض العداد إذا ما وقّعنا الاتفاقية. لا أعلم إن كان ذلك سيحدث... أنت تعلم موقفي من هذه الأمور يا بريان»[2]. في ٢٩ آب/أغسطس، اتصلت ببومبيو وأنا على متن الطائرة في طريقي إلى وارسو، وقال إنّه تلقّى الكثير من المكالمات من وزراء خارجية حلف الناتو ومن الأمين العام، ستولتنبيرغ، بعدما أدلى ترامب بهذه التصريحات.

(١) يرجى مراجعة:

“Trump: US to keep 8,600 troops in Afghanistan after Taliban deal,»August 29, 2019, https://thehill.com/policy/defense/459281-trump-us-to-drawdown-to-8600-troops-in-afghanistan

(٢) المرجع السابق ذاته، ويمكن الاستماع إلى تسجيل للمقابلة الكاملة على: https://radio.foxnews.com/2019/08/29/president-trump-talks-china-trade-afghanistan-and-fox-news-with-brian-kilmeade-on-fox-news-radio/

في وقت لاحق من ذلك اليوم، وبسبب إعصار دوريان، ألغى ترامب زيارته إلى بولندا، قائلاً إنّ بنس سيقود الوفد بدلاً منه. لذلك، تمّ عقد اجتماع رئيسي حول أفغانستان عن طريق الإنترنت في يوم الجمعة ٣٠ آب/أغسطس، من خلال ربط بنس من الخارج، وخليل زاد من الدوحة، كما أظنّ، وأنا من خلال مشاركتي عبر الفيديو من وارسو، وجميع الحاضرين الآخرين في غرفة العمليات، بمن فيهم كوبرمان الذي عكس لي المزاج السائد في الغرفة لاحقاً. كان من المقرّر أن نغطي ليس فقط أفغانستان ولكن أوكرانيا أيضاً. لذلك كان الرهان كبيراً خلال تلك المكالمة، التي لم تبدأ في الواقع حتى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة مساءً، حسب توقيت وارسو. وتلك مفارقة مضحكة إذ كانت صحيفة «واشنطن بوست» المجتهدة، على وشك نشر قصة (وقد فعلَت) تقول فيها إنّني استُبعدت من اجتماعات أفغانستان الرئيسية (كان هؤلاء الناس يقولون أشياء سيئة على نحو غير معتاد). بدا النقاش الأوليّ يشبه إلى حدّ كبير ذلك الذي جرى في بيدمينستر، حينما افتتحه ترامب قائلاً: «تريد حركة طالبان استعادة أراضيها فحسب»، خالطاً بين الرئيس غني والرئيس السابق كرزاي وقيمة صافي ثروة كلّ منهما.

ثم سألني ترامب: «هل ستوقّعها يا جون؟»، وأجبته: «لن أفعل، سيدي الرئيس». أوضحت له أسبابي مجدداً حول حاجة ترامب إلى خفض القوات إلى ٨٦٠٠ جندي وعدم خفضها أكثر، بالإضافة إلى القوات المرافقة وقوات التحالف، إذا كان هذا ما يريد فعله، ومن ثم انتظار المزيد من التطورات، مثل الانتخابات الأفغانية. كان من المستحيل إعطاء الثقة لحركة طالبان، ولم يكن هناك آلية للتنفيذ. لم تكن هذه صفقة عقارية في نيويورك. ثم أوضح خليل زاد أنّ هذه الاتفاقية هي التي قال ترامب إنه يريدها. تابع إسبر أنّه يرى أنّني طرحت الكثير من النقاط الجيدة، لكنّ وزارة الدفاع تريد توقيع الاتفاقية، فبعد كل شيء، كان الانسحاب سيحصل «استناداً إلى شروط». طرح ترامب سؤاله الرئيسي المعتاد: «ما مدى السوء الذي ستجعلني هذه الاتفاقية أبدو عليه؟ سيرمي الديمقراطيون في سلة المهملات اتفاقية عظيمة». اقترح إسبر جلب قادة الكونغرس للتشاور. ثم سأل ترامب: «هل هذا النوع من الاتفاقيات قابل للتسويق؟»، أجبته بأنّني لا أعتقد، ويعود ذلك برأيي، وفي جزء كبير منه، إلى أنّ حركة طالبان لن تلتزم بها، وكان الجميع يعلم ذلك.

ثم أذهل ترامب المجتمعين بقوله: «أريد التحدث إلى زعماء حركة طالبان، فليأتوا إلى واشنطن». لقد كنت في ذروة سعادتي لأنّني كنت أجلس في غرفة آمنة في عمق أوروبا الشرقية وليس في غرفة العمليات عندما سمعت ذلك الحديث. سأل ترامب بنس عمّا يراه مناسباً، وأجاب بنس بحذر قائلاً: «ينبغي التفكير ملياً قبل اتخاذ مثل هذا القرار، لقد انتهكوا كثيراً شعبهم واضطهدوه، هل تغيروا بالفعل؟». ثم ذكر ترامب حفيد بيلي غراهام، وهو قيادي برتبة رائد خدم في أفغانستان، قال: «لقد استولينا على أرضهم»، ثم سأل ترامب دانفورد: «لماذا هو برتبة رائد فقط؟، إنّه حسن المظهر، ويملأ مركزه». ثم ناقشنا كيف سيكون رد فعل الكونغرس على التزام الولايات المتحدة

بسحب قواتنا بالكامل وما الذي سنفعله مع الحكومة الأفغانية المنتخبة حسب الأصول، أياً كان رأي ترامب بشأن غني.

قال ترامب: «أريد غني هنا أيضاً، إلى جانب زعماء طالبان، دعونا نجتمع معهم قبل التوقيع على الاتفاقية. أريد أن ألتقي بهم، وليس عن طريق مكالمة هاتفية».

قال خليل زاد: «سيرحّبون بهذا الاقتراح».

ثم نظر ترامب نحو الشاشة في غرفة العمليات، وقال: «ما هو رأيك يا جون؟».

كان حدسي ينبئني بأنّ هذا الاجتماع يمكن أن يوقف الاتفاقية العالقة، بينما يتصارع طالبان والحكومة الأفغانية مع تداعياتها، أو على الأقل يؤخّرها لفترة طويلة بما يكفي، بسبب الوقت الذي تستغرقه الأطراف الأفغانية في تحديد مواقفها. سيعطينا ذلك بعض الوقت لإيجاد طريقة أخرى لعقد الاتفاقية. لذلك قلت: «لا أمانع، طالما أنّ عليهم المرور عبر أدقّ أجهزة الاستشعار المغناطيسي في العالم، قبل أن يلتقوا بك».

وقال ترامب محقاً: «والكيميائي أيضاً».

لا أحد سوى ترامب يمكن أن يفكّر في لقاء بين رئيس الولايات المتحدة وأولئك السفاحين، ولكن من خلال ذلك، قد يهدّد ترامب الاتفاقية عينها التي كان بومبيو يدفع باتجاهها. وأضاف ترامب: «قد يأتون أو لا يأتون».

قال بومبيو: «نحن بحاجة إلى التفكير في الأمر».

ثم تدخّل بنس فسأل: «هل ستقابل غني أولاً؟».

أجاب ترامب: «فقط في حال علم غني أنني سألتقي أيضاً مع طالبان لاحقاً».

كانت الفكرة التالية لترامب هي البدء في خفض أعداد القوات على الفور. لم يؤيد أحد فكرته، على الرغم من أنّ خليل زاد هو الوحيد الذي تكلم ضدّها صراحة. قال ترامب: «توجّهي هو أنني لا أتطلع للانسحاب. سألتقي غني أولاً، وقد يكون ذلك بمثابة ضربة موفقة. سوف ترغب طالبان في التحدث إلى دونالد ترامب بشأن السلام. يجب أن نقول للصحافة إنّ الرئيس وافق على الاجتماع، بل ويتطلع إليه». شعرت أنّ بومبيو وآخرين في غرفة العمليات كانوا على وشك الانهيار، وصلني ذلك حتى من خلال اتصالي عن بعد (وقد وافقني كوبرمان لاحقاً). أضاف بنس: «إذن، لنلتقِ بغني والآخرين من الحكومة الأفغانية»، فأجابه ترامب: «نعم، وقبل الاجتماع مع طالبان».

عند ذلك، نهض ترامب وهمّ بالمغادرة. لكنّني سألته بصوت عالٍ من وارسو، «ماذا عن أوكرانيا؟» وانتقلنا بالاجتماع إلى شأن أوكرانيا، الذي سأصفه بالتفصيل في الفصل التالي.

ما استخلصته بعد المكالمة هو أنّ ترامب اقترح مقابلة طالبان لأنّه كان يبحث عن بدائل لتوقيع اتفاقية بومبيو وخليل زاد. من الواضح أنّه لم يوافقني تماماً على أنّه لا ينبغي توقيعها، لكنّه رأى المخاطر السياسية الواضحة في حال وقّع عليها، إن لم يكن هناك شيء آخر. في مواجهة ذلك الاختيار غير السعيد، سعى لتجنب المأزق وإيجاد طريقة ليقلّد نفسه دور البطولة. ما الخطأ الذي قد يحدث؟ راحت المعركة تستعر.

بالعودة إلى واشنطن، سمع كوبرمان من دان والش، واحد من نوّاب مولفاني، وذلك يوم الأربعاء بعد عيد العمّال، أنّ ترامب يريد عقد اجتماعات مع زعماء طالبان وغني في كامب ديفيد. من الواضح أنّني استبعدت عن خطأ ترتيبات هذا الاجتماع، مفترضاً أنّ اللوجستيات ستكون معقّدة لدرجة أنّ التأخير أمر لا مفرّ منه، فضلاً عن احتمال توجّس زعماء طالبان بشأن فخّ محتمل، وبالتالي رفض الدعوة بالكامل. لذلك، كانت الفكرة التي ذهبت إلى حدّ أنّ ترامب قد يفضّل كامب ديفيد لإجراء ذلك اللقاء، جدّ محبطة حقاً. لم أكن أرغب في حدوث تلك الاجتماعات، ولم أرد المضي قدماً في الاتفاقية، ولكن يبدو لي الآن أنّنا في صدد إجراء كليهما. في اليوم التالي، أي في الخامس من أيلول/سبتمبر، جاء مولفاني إلى مكتبي قبل الساعة الثامنة صباحاً، ليخبرني شخصياً أنّ الأمور متجهة لعقد الاجتماعات في كامب ديفيد. كان يخطّط للذهاب إلى هناك مع ترامب يوم السبت، واقترح أن آتي يوم الأحد مع البقية (بومبيو وإسبر ودانفورد وخليل زاد). كان بومبيو يتولّى ترتيبات السفر لزعماء طالبان، بينما القطريون يستقبلون سفّاحي طالبان. وما أثار اهتمامي أيضاً هو أنّ بومبيو بدا وكأنّه يتراجع عن الاتفاقية، ربّما أدرك أخيراً أنّ هناك خطراً سياسياً عليه إذا استمر في كونه أقوى مؤيد لها[١].

كان والش استباقياً بشأن الحديث حول المخاطر الجسدية لهذا اللقاء وضيق الوقت للتخطيط بصورة ملائمة، لكنّ ترامب كان عازماً على المضي قدماً. وقد أعرب عن قلقه من أنّ الإجراءات الأمنية المتشددة للغاية ستسيء إلى كرامة طالبان. أدّى ذلك التصريح إلى اجتماعات عاجلة وشبه فوضويّة منذ الصباح الباكر في ما بيننا، لمناقشة كيفية حماية ترامب من ضيوفه «الكرام». هناك شيء واحد اتفقنا عليه أنا ومولفاني وكوبرمان ووالش، وهو أنّ بنس لن يذهب إلى كامب ديفيد، مهما كلّف الأمر. ثمّة الكثير بعد، ممّا لا يمكنني وصفه هنا، ولكن يكفي القول إنّه لم يكن أحد في مبنى الجناح الغربي متحمساً لذلك الهرج والمرج، باستثناء شخص واحد.

وسط هذه المحادثات، سمعنا أنباء من أفغانستان حول تفجير انتحاريّ في كابول، قُتل فيه عشرة أشخاص، بينهم أميركي وأحد أفراد قوات الجيش الروماني، بالإضافة إلى العديد من

(١) See Kimberly Dozier, "Exclusive: Secretary of State Pompeo Declines to Sign Risky Afghan Peace Deal," https://time.com/5668034/pompeo-afghanistan-peace-deal/

الجرحى[١]. من شبه المؤكد أنّه كان هجوماً من قبل حركة طالبان، وبالنظر إلى نشاط إيران الأخير في أفغانستان، فربما كان جهداً مشتركاً. جاء مولفاني إلى مكتبي قبل الساعة التاسعة صباحاً بقليل، ليقول لي: «إذا كانت قراءتي لترامب دقيقة، أعتقد أنّ هناك فرصة لا تقل نسبتها عن ٢٠ في المئة لإلغاء اجتماع الأحد. إذ قال ترامب على الفور: «لا يمكننا أن نعقد الاجتماع»»، وقد بدا لي ذلك أكثر من ٢٠ في المئة. ربما لم يكن قد فات الأوان، لكنّني أشرت إلى أنّه بمجرد أن يلتقي ترامب بغني وطالبان، فإن هذه الاتفاقية ستنحسب عليه للوقت الكافي الذي تسوء خلاله الأمور، بحيث لا يعود قادراً على فصل نفسه عنها. في الواقع، كانت التعليقات قد بدأت تذهب نحو مدى سوء الصفقة الكامنة أساساً، على الرغم من عدم معرفة أيّ شخص خارج الإدارة بأي شيء عن الاجتماع مع طالبان، وناهيك عن عقده في كامب ديفيد. وهكذا، كانت هناك على أقل تقدير، فرصة لتأجيل الأمور أكثر، مع بروز احتمال لإلغاء الاتفاقية بالكامل. علاوة على ذلك، في حال عُقد الاجتماع، فسيكون ذلك في الثامن من أيلول/سبتمبر، أي قبل ثلاثة أيام من الذكرى السنوية لهجمات ١١ أيلول/سبتمبر التي شنّها تنظيم القاعدة، والتي قدّمت لها حركة طالبان المساعدة والدعم. كيف يمكن لأيّ شخص أن يفوته ذلك؟

اتفقت أنا ومولفاني على رؤية ترامب في أقرب وقت ممكن، وتبين أن الاجتماع سيعقد في الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة، مع بومبيو وآخرين، بمن فيهم منوشين، لسبب أجهله. قبل أن نجلس في المكتب البيضاوي، قال ترامب: «لا أريد عقد الاجتماع، أصدروا بياناً يقول: كان لدينا اجتماع مقرّر، لكنّهم قتلوا أحد جنودنا وتسعة آخرين، لذلك قمنا بإلغائه. يجب أن يكون هناك وقف لإطلاق النار، وإلّا فلا أريد التفاوض. ينبغي علينا التغلب عليهم بمواجهة صاعقة مباغتة، وضربهم بقوّة. إذا لم يتمكّنوا من تنفيذ وقف إطلاق النار، فلا أريد توقيع أيّ اتفاقية»، وهذا ما حسم الأمر. تحدثت إلى بومبيو بعد عودته إلى وزارة الخارجية لمعرفة ما إذا كنّا قد فهمنا المغزى ذاته، حيث لم يتم إلغاء الاجتماع مع طالبان فحسب، بل ومع غني أيضاً. فأكّد لي أنّ هذا ما سمعه فعلاً من ترامب. كما وصلنا إلى نتيجة، كما كنا قد فعلنا مولفاني وأنا، مفادها أنّه لا ينبغي علينا الإدلاء بأي تصريح حول إلغاء الاجتماع مع طالبان. من الأفضل ألا نقول شيئاً وأن نأمل ألا يتسرّب ذلك إلى العلن. كانت هناك تقارير إعلامية في أفغانستان تتحدث حول قدوم غني إلى واشنطن، لكنّ الصحف الأميركية لم تستشفّ السبب الحقيقي. ربما سيبقى الأمر على هذا النحو[٢].

(١) See Phil Stewart and Jason Lange, Reuters, "Trump say he cancelled peace talks with Taliban over attack," September 7, 2019, https://ru.reuters.com/article/idUSKCN1VS0MX

(٢) See Pamela Constable, and Siobhán O'Grady, "Afghanistan's Ghani to visit Washington as peace deal limps and violence surges," September 6, 2019, https://www.washingtonpost.com/world/asia_pacific/afghanistans-ghani-to-travel-to-washington-as-peace-deal-limps-ahead-and-violence-surges/2019/09/06/215e1c5e-d07c-11e9-a620-0a91656d7db6_story.html

ولكن لا بالطبع، فقد غرّد ترامب على موقع «تويتر» مساء السبت السابع من أيلول/سبتمبر، ومن دون سابق إنذار، قائلاً:

«لم يكن الجميع على علم بأنّه كان من المقرر أن ألتقي سراً مع كبار زعماء طالبان ومن ثم مع الرئيس الأفغاني، كلّ على حدة، في كامب ديفيد يوم الأحد. كانت الخطّة أن يصلوا إلى الولايات المتحدة الليلة. لسوء الحظ، ومن أجل خلق قوة ضغط مزيفة، اعترفوا...

بتنفيذ هجوم في كابول أودى بحياة أحد جنودنا العظماء و ١١ شخصاً آخر. ألغيت الاجتماع على الفور كما ألغيت مفاوضات السلام. أيّ نوع من الناس هم ليقتلوا العديد فقط من أجل تعزيز موقفهم التفاوضي؟ الواقع أنّهم لم ينجحوا في ذلك، بل...

جعلوا الأمور أسوأ! إذا لم يتمكنوا من التوافق على وقف إطلاق النار خلال محادثات السلام الهامة هذه، بل ويقتلون ١٢ شخصاً بريئاً، فهُم على الأرجح لا يملكون القوة للتفاوض على اتفاقية هادفة على أيّ حال. كم من العقود بعد ينوون الاستمرار في القتال؟».

لم يستطع كبح جماحه، وقد فاضت وسائل الإعلام يوم الأحد بروايات حول الكارثة التي كانت وشيكة في كامب ديفيد. وادّعت حركة طالبان بتهوّر أنّ الولايات المتحدة «ستتضرر أكثر من أي طرف آخر» من إلغاء الاجتماع، وكان ذلك ادعاءً زائفاً تماماً، ولكنّه كان يعني أيضاً أنّ الانتخابات الرئاسية في أفغانستان ستجرى في موعدها، أي في ٢٨ أيلول/سبتمبر، وهذا ما حصل. لم يحصل الرئيس الحالي غني، ولا الرئيس التنفيذيّ في أفغانستان، عبد الله عبد الله، على أغلبية مطلقة، ممّا استلزم إجراء جولة جديدة من المرجح أن تُقرّر في العام ٢٠٢٠. بالتالي، ولسوء الحظ، بدلاً من تقوية يد الحكومة، أدخلت تلك الجولة الجديدة أفغانستان بدائرة عدم اليقين السياسي مرة أخرى. ومع ذلك، بقي تصميم الأفغان الذين أرادوا حكومة منتخبة بدلاً من الحكم الديني، قوياً، ما أضاف على أقل تقدير بعض القوة إلى أولئك المصممين على تجنب مبايعة طالبان.

* * *

كانت تلك هي آخر مشاركة فعلية لي في أفغانستان. ومنذ استقالتي، استأنف ترامب المحادثات مع طالبان، والتي أتت سلبيّة بل ووخيمة بالنسبة إلى الولايات المتحدة، تماماً كما كانت من ذي قبل. وإلى جانب كارثة الانسحاب في تشرين الأول/أكتوبر من سوريا، وهو خطأ مطلق واضح من جانب ترامب شخصياً، أصبحت المعارضة السياسية للاستسلام في أفغانستان أقوى فأقوى. ومع

ذلك، وقّعت الولايات المتحدة وحركة طالبان، يوم السبت، ٢٩ شباط/فبراير ٢٠٢٠، اتفاقية بدت من وجهة نظري شبيهة إلى حد كبير بتلك التي أخفقت في شهر أيلول/سبتمبر. وبما أنّ الشؤون الرئاسية مازالت تُنقل عبر منبر «تويتر»، نشرتُ تغريدة في ذلك الصباح أوضّح معارضتي من خلالها، قائلاً: «إنّ توقيع هذه الاتفاقية مع حركة طالبان يمثّل خطراً غير مقبول على سكان أميركا المدنيين. إنّها اتفاقية على غرار أسلوب أوباما، تُضفي شرعية على حركة طالبان، فترسل رسالة مضلّلة إلى إرهابيي داعش والقاعدة، وإلى أعداء أميركا بشكل عام». ردّ ترامب بطريقته المعتادة في مؤتمر صحافي بعد ذلك ببضع ساعات، قائلاً عنّي: «كانت لديه فرصته، ولم ينتهزها»[1]. بيد أنّ الفصل السابق يوضح العكس، إذ إنّ ترامب هو الوحيد الذي دفع نحو هذه الاتفاقية مع أفغانستان. وسيثبت الزمن من هو الطرف المحقّ، وقد لا تظهر التبعات الكاملة للاتفاقية إلا بعد ترك ترامب منصبه. ولكن يجب ألا يكون هنالك جدل حول الحقيقة التالية: سيكون ترامب هو المسؤول عن العواقب، سياسياً وعسكرياً.

(١) See "Remarks by President Trump, Vice President Pence, and Members of the Coronavirus Task Force in Press Conference," February 29, 2020, https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-vice-president-pence-members-coronavirus-task-force-press -conference-2/

الفصل الرابع عشر

نهاية الأنشودة الرعوية

لو أن أحدهم تخيل سيناريو لمعركة تنال من شرعية الرئيس الأميركي، فلربما كانت أوكرانيا آخر أرض في العالم يتصورها مسرحاً لتلك المعركة، ولكن ذلك بالضبط هو ما جرى في العام ٢٠١٩. في أزمة اندلعت بُعيد استقالتي بأيام. لا يمكن أن يكون توقيت الاستقالة أفضل من ذلك. لم أكن فقط مشاركاً وشاهداً على الكثير من تفاصيل تلك الكارثة أثناء تجليها فحسب، بل كنت سأصبح، طوعاً أم كرهاً، كما يبدو شاهداً على رابع محاولة جدية يشهدها التاريخ الأميركي لعزل رئيس من منصبه. طوال فترة ممارستي لمهامي، كان ترامب يريد أن يفعل ما يود فعله. بناءً على ما يعرفه وعلى ما يراه الأفضل لمصالحه الشخصية. وفي موضوع أوكرانيا، بدا أنه أضحى مسيطراً على مقاليد الأمور.

تفرض روسيا ضغوطاً سياسية واقتصادية جمة على أوكرانيا. وفي العام ٢٠١٤، أقدمت موسكو على ضم شبه جزيرة القرم بشكل غير شرعي بعد تدخل عسكري، في أول تغيير في الحدود الأوروبية بالقوة العسكرية منذ العام ١٩٤٥. وبقيت القوات الروسية منتشرة في جميع أنحاء منطقة دونباس شرقي أوكرانيا، ودعمت، بل في الواقع وجهت القوات الانفصالية هناك. وثبت من هذا الخلاف الروسي الأميركي الكبير أن الفشل في العمل في وقت أبكر على ضم أوكرانيا إلى حلف الناتو أدى إلى ترك هذا البلد الكبير، والمهم للغاية، فريسة لسعي بوتين لإعادة الهيمنة الروسية داخل المجال الذي كان يمثله الاتحاد السوفياتي السابق. وخلال قمة الناتو التي شهدتها بوخارست في نيسان/أبريل ٢٠٠٨، حاولت إدارة بوش الإبن وضع جورجيا وأوكرانيا على سكة عضوية الناتو، وهي خطة عارضها الأوروبيون، وخاصة ألمانيا وفرنسا. وسرعان ما ظهرت العواقب مأسوية في آب/أغسطس، عندما غزت القوات الروسية جورجيا، وأضحت مقاطعتان من أراضيها تحت سيطرة موسكو، حتى يومنا هذا. وبدأت معاناة أوكرانيا لاحقاً، ولكن على نفس المنوال. فرض الغرب عقوبات، إلا أن روسيا لم تنسحب أو تعدل عن سلوكها الحربي بشكل جوهري خلال إدارة أوباما، مستشعرة ذاك الضعف الواضح الذي عرفه العالم عن إدارته.

ورث ترامب الكارثة، إلا أنه لم يعرها كثيراً من الاهتمام خلال أول عامين من فترة رئاسته، على نحو رسمي على الأقل. وفي العام ٢٠١٧، قام تيلرسون بتعيين كيرت فولكر الذي أعرفه وكان مسؤولاً سابقاً في الاستخبارات الخارجية، ممثلاً خاصاً للمفاوضات الأوكرانية. وكان أول لقاء يجمعني بفولكر بعد هذا التعيين في العاشر من أيار/مايو ٢٠١٨، حين وصف لي دوره وأولوياته. ووقتها، كان يناصر «سياسة عدم الاعتراف» بضم روسيا لشبه جزيرة القرم وبوجودها العسكري في دونباس. على طول حدودها. وكان فولكر يزورني على نحو دوري طوال فترة وجودي الباقية في البيت الأبيض، ويطلعني على جهوده. ووجدته مهنياً ومعيناً خلال اجتماعاتي مع نظرائي الأوروبيين بشأن أوكرانيا والقضايا ذات الصلة.

كانت أولى مهامي في أوكرانيا تحت إدارة ترامب في العام ٢٠١٨، عندما سافرت إلى كييف للاحتفال بيوم ٢٤ آب/أغسطس؛ يوم إعلان استقلال أوكرانيا عن الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٩١. وقد حضر جيم ماتيس هذا الاحتفال في العام ٢٠١٧، وشعر بمثل ما شعرت به من أهمية أن تؤكد الولايات المتحدة عزمها على دعم استمرارية استقلال أوكرانيا وقابليته للحياة. وبالنظر إلى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، بالإضافة إلى الدعم الروسي الواضح وسيطرة موسكو على قوات «المعارضة» في شرق أوكرانيا، فإن هذه المخاوف كانت حقيقية وليست افتراضية.

حضرت من جنيف في الليلة السابقة على الاحتفال، بعد أن التقيت نظيري الروسي نيكولاي باتروشيف حول قضايا روسية أميركية مشتركة، وأخبرتهم بكل سعادة بأنني آت من سويسرا إلى أوكرانيا لحضور احتفالاتها. كانت الابتسامات تملأ الجو. وسواء كان الأمر يتعلق بنيّة روسية، أم لا، فإن أوكرانيا كانت في ذيل جدول أعمال اجتماعي مع باتروشيف، ولم يكن لدينا الوقت الكافي لمناقشة ذلك الملف قبل مغادرة كلينا مقر البعثة الأميركية إلى مطار جنيف. وعلى سبيل التعويض عن غياب مناقشة حقيقية، والتأكيد على مدى اهتمامنا بأوكرانيا، قلت له، «أود التشديد على كل ما قلناه من قبل في هذا الشأن، وما زلنا نعنيه!». ولم يعقب باتروشيف.

وفي ٢٤ آب/أغسطس، جمعني إفطار عمل ورئيس الوزراء الأوكراني فلاديمير غرويسمان، وتحدثنا في شؤون الاقتصاد الأوكراني وجهود روسيا المتزايدة للتدخل في سير انتخابات العام ٢٠١٩ المقبلة. وقال غرويسمان إن أوكرانيا تمثل خطاً فاصلاً لبوتين، وإذا أمكن له تجاوز هذا الخط بنجاح، فسيكون محصناً ضد أي عقاب تفرضه عليه أوروبا أو دول العالم، الأمر الذي

يرتب مخاوف مشروعة بالكامل للولايات المتحدة(١). حضرت ذلك الإفطار ماري يوفانوفيتش، سفيرتنا لدى أوكرانيا، وعدد من العاملين في السفارة، ورافقوني طوال اليوم. وعقب الإفطار، توجهنا إلى المنصة لمشاهدة العرض في جادة خرشتشاتيك، التي كانت قد شهدت احتجاجات الميدان الأوروبي في ٢٠١٣ و٢٠١٤، والتي أطاحت بنظام يانوكوفيتش الموالي لروسيا. وقفت على المنصة مع الرئيس بترو بوروشينكو وثمانية أو عشرة من أعضاء حكومته، إلى جوار المدعي العام يوري لوتسينكو، في مفارقة ساخرة في ضوء ما سوف يشهده المستقبل. وعلى الرغم من أن المشهد ذكرني باستعراضات عيد العمال في الساحة الحمراء في موسكو خلال الحرب الباردة، إلا أن العرض كان على النقيض من ذلك سياسياً. وجاء خطاب بوروشينكو معادياً لروسيا بعمق، وصفق الجميع بحرارة عندما تعهد بتأسيس بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية المستقلة (عن موسكو).

وخلال العرض، شكرني بوروشينكو أكثر من مرة على أنظمة التسليح والعتاد العسكري الذي قدمته الولايات المتحدة، وذلك أثناء مرور ذلك العتاد أمامنا، وعلى وحدة الحرس الوطني في تينيسي التي سارت في العرض مع بقية قوات الناتو الأخرى المنتشرة في أوكرانيا في مهام تدريب لجيشها. وبعد ذلك، انطلقنا إلى قصر مارينسكي، الذي شيد في عهد الإمبراطورة كاترين العظيمة وأشرفت زوجة بوروشينكو على ترميمه مؤخراً، ليشهد حفل الاستقبال الكبير الذي أقامه بوروشينكو. التقيت بوروشينكو هناك ظهراً، وفي معيته وزير الخارجية بافلو كليمكين، ومستشار الأمن القومي كوستيا يليسييف، وآخرون. دار النقاش حول أمن أوكرانيا، لا سيما في مواجهة روسيا وتهديداتها المختلفة، ليس فقط عسكرياً، بل أيضاً لناحية جهود موسكو لتخريب الانتخابات الأوكرانية في العام ٢٠١٩. كانت رغبة بوروشينكو هي شراء المزيد من الأسلحة الأميركية، فأوضحنا له مخاوفنا بشأن بيع

(١) أدلى غرويسمان بتعليقات مماثلة في السابق، ففي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، قال أمام لجان مجلس العموم الكندي في أوتاوا: «يجب على المجتمع الدولي مواصلة تطبيق العقوبات وفرض عقوبات أشد صرامة بغية ردع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن شن أي عدوان آخر، وتكرار تجربة ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في العام ٢٠١٤ في دول شرق أوروبا الأخرى. لا بد أن تكون العقوبات بحجم لا يمكنهم احتماله». انظر أماندا كونولي، "Ukrainian PM urges 'unbearable' consequences for Russian aggression." https://ipolitics.ca/2017/10/31/ukrainian-pm-urges-unbearable-consequences-for-russian-aggression/. See also the June 26, 2018, op-ed by Danish Prime Minister Lars Lokke Rasmussen and Groysman, entitled "A new Ukraine rising," https://euob server.com/opinion/142167:

ورد فيه: «أملنا أن تظهر النهضة الإصلاحية التي تشهدها أوكرانيا الجديدة لروسيا التي تعيش بأفكار القرن التاسع عشر أن لا تسامح مع عدوانها ولا قيمة له في أوروبا القرن الحادي والعشرين». انظر أيضاً «المؤتمر الصحافي للسفير جون بولتون، مستشار الأمن القومي، بالمركز الإعلامي لإدارة الأزمة الأوكرانية»:

https://ua.usembassy.gov/national-security-advisor-ambassador-john-boltons-press-conference-at-ukrainian-crisis-media-centerucmc/

شركات أوكرانية تصميمات محركات طائرات متقدمة للصين، وهي مخاوف ازدادت حدة على مدار العام قبل زيارتي التالية إلى كييف.

بعد الاجتماع، رافقني بوروشينكو إلى غرفة أخرى لعقد اجتماع على انفراد، طلب خلاله تأييد الولايات المتحدة لحملة إعادة انتخابه، كما كانت له طلبات أخرى ناقشته فيها، وبطريقة أتاحت لي تجاوز طلب الدعم في الانتخابات من دون أن أكون فظا حين قلت له لا. فقد كانت رغبة بوروشينكو الحقيقية هي أن تعاقب أميركا إيغور كولومويسكي، رجل الأعمال الأوليغارشي الذي يدعم يوليا تيموشينكو، التي كانت في تلك المرحلة على الأقل المنافسة الرئيسية لبوروشينكو في انتخابات ٢٠١٩. وعلى الرغم من أن تلك المحادثة لم تتناول تلك الحقيقة، إلا أن كولومويسكي كان يدعم أيضاً فولوديمير زيلينسكي، الذي كان يتصدر آنذاك استطلاعات الرأي، ولكنه لم يؤخذ على محمل الجد، باعتباره مجرد ممثل (قد يجد القارئ الليبرالي هذا الكلام مضحكاً. فرونالد ريغان، أحد أعظم رؤساء الولايات المتحدة، كان ممثلاً). قلت لبوروشينكو إنه إذا كانت لديه أدلة على ما يقوله عن كولومويسكي، فعليه أن يتوجه بها إلى وزارة العدل. أطلعت يوفانوفيتش على فحوى تلك المحادثة بينما كنا ننتقل إلى مقر الحدث التالي، وهو مؤتمر صحافي أمام ممثلي وسائل الإعلام الأوكرانية.

أما آخر اجتماع، فكان في الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد الظهر لتناول القهوة في مقر يوفانوفيتش الرسمي، في حضور عدد من القيادات البرلمانية، من بينهم تيموشينكو، التي كنت التقيتها خلال إدارة الرئيس بوش الإبن وفي ما بعد. ولم تكن وزارة الخارجية الأميركية راغبة في أن ألتقي تيموشينكو على انفراد لأنهم يرونها مقربة جداً من روسيا، على أنهم لم يخبروني بذلك صراحةً، على الرغم من أنهم يفعلون ذلك في مثل هذه الحالات دوماً. لذلك، كان هذا الاجتماع المشترك أقرب ما أمكنني الوصول إليه من اجتماع ثنائي معها، وهو يفي بالغرض لأن تيموشينكو، بصفتها المرشحة الرئاسية الوحيدة بين أولئك القادة البرلمانيين، هيمنت على النقاش، على نحو بدا متوقعاً. وأخبرتني أنها قرأت كتابي «الاستسلام ليس خياراً»، وهي طريقة مضمونة دوماً لجذب انتباه المؤلف، وألمحت إلى نصيحة السيناتور كايل بالحفاظ على الزخم القوي دائماً وبلا هوادة، مثل فرقاطة حربية رمادية كبيرة. كانت مستعدة جيداً. في تلك المرحلة، كان زيلينسكي وحده يتمتع بوضع جيد في استطلاعات الرأي، وانحصر أمل باقي المرشحين في اقتناص المرتبة الثانية خلال جولة الانتخابات الأولى، للدخول في جولة الإعادة المتوقعة. وبعد هذا الاجتماع، توجهنا إلى المطار ومنه إلى أندروز.

ولقرابة ثلاثة أشهر، بقيت بعيداً عن الشأن الأوكراني، حتى ظهيرة الأحد ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر، يوم وردتني أخبار صدام في البحر بين روسيا وأوكرانيا. فقد حاولت سفن

حربية أوكرانية وزورق قطر مصاحب لها دخول بحر آزوف عبر مضيق كيرتش الذي يفصل بين شبه جزيرة القرم وروسيا، والذي أقامت روسيا جسراً فوقه أخيراً. وكانت معلوماتنا الأولية هي أن سفينة تابعة للبحرية الروسية صدمت سفينة أوكرانية، ولكننا عرفنا لاحقاً أن الروس أطلقوا ما كانوا ربما يريدون أن تكون طلقات تحذيرية، فأصابت طلقة أو أكثر السفن الأوكرانية. ولكن لا يمكن أن يكون كل هذا الذي جرى مجرد حادث عرضي. فقد استولى الروس على السفن الأوكرانية الثلاث وأسروا طواقمها (وأصيب بعض أفراد البحرية الأوكرانية، بحسب التقارير)، على الرغم من أنه لم يكن واضحاً إلى من تتبع المياه الإقليمية التي كانت فيها السفن عند أسرها. ولأن معظم المعلومات وردتنا من سفارتنا في كييف، فقد كنا نسمع الجانب الأوكراني من الرواية، بدايةً على الأقل.

قررت الاتصال بترامب، خاصة وأن احتمالات التصعيد قائمة. أردت أن أتأكد من علمه بأننا نراقب الوضع، في حال بدأ الصحافيون في طرح الأسئلة. وكان رده الأول «ماذا يفعل الأوروبيون حيال ذلك؟» وكان جوابي بالطبع «لا شيء»، مثلنا تماماً. (أصدر الاتحاد الأوروبي بياناً في وقت لاحق، لكنه كان كالمعتاد، من دون صدىً). رأى ترامب في البداية أن أوكرانيا كانت مبادرة بالاستفزاز، وهو أمر محتمل على الأقل، نظراً لقرب انعقاد الانتخابات الرئاسية. ولكن كان هناك احتمال أيضاً أن الروس كانوا يبحثون عن مواجهة ربما يحاولون من خلالها وبطريقة ما إضفاء الشرعية على «ضمهم» لشبه جزيرة القرم، وهي الخطوة التي لم يعترف بها سوى عدد قليل جداً من الدول. ولم يكن ترامب مهتماً بالإسراع بالقيام بأي خطوة، حتى لو ثبت أن روسيا هي المخطئة. وبحلول المساء، بدا بوروشينكو مستعداً لإعلان الأحكام العرفية، وهي خطوة بدت ردة فعل مبالغاً فيها بالنسبة لحادثة وقعت في البحر. وأرادت وزارة الخارجية إصدار بيان قوي اللهجة ضد روسيا، وقد منعت ذلك بسبب ما قاله ترامب قبل ساعات قليلة. وعلاوة على ذلك، كان هناك توقع بأن ينعقد اجتماع لمجلس الأمن الدولي يوم الاثنين، والمفارقة أن روسيا هي من وجهت الدعوة لانعقاده، وبالتالي سوف يكون هناك تصريح أميركي، الأمر الذي يمنحنا المزيد من الوقت للحصول على الوقائع.

هاتفني يان هيكر، مستشار الشؤون السياسية الألماني، في السابعة والنصف صباح الإثنين، وكان أول أمر أثاره حادث مضيق كيرتش. وجدت الألمان حذرين، وأن هيكر يعتقد أن بوروشينكو سعيد بما جرى بسبب المكاسب السياسية التي كان يتوقعها؛ حيث سوف يظهر في صورة المرشح الرئاسي القوي المناهض لروسيا، حسبما تكهن هيكر، منوهاً إلى أن البرلمان الأوكراني (الرادا) سينعقد خلال ساعتين ونصف الساعة لمناقشة مشروع قانون اقترحه بوروشينكو لإعلان الأحكام العرفية لمدة ستين يوماً. ويعني سن هذا القانون استدعاء مئة ألف من جنود الاحتياط للتدريب،

كما يمنع ممارسة أي نشاط سياسي أثناء سريانه. وبالنظر إلى وجود قانون أوكراني آخر يتطلب فترة لا تقل عن تسعين يوماً من الحملات الانتخابية قبل عقد الانتخابات الوطنية، فإن مشروع قانون بوروشينكو يعني تأجيل انتخابات ٣١ آذار/مارس، وهو أمر يصب في صالحه بالتأكيد، خاصة مع تراجعه في استطلاعات الرأي(١). وأخبرني هيكر أن ألمانيا تعارض تأجيل الانتخابات؛ خاصة في ظل تضارب روايتي كل من أوكرانيا وروسيا بشأن ما جرى، والتباس الحقائق. وكان من المزمع أن تتحدث ميركل مع بوروشينكو قريباً، وبالفعل، وبينما كنا نتحدث، تم استدعاء هيكر إلى مكتب ميركل للتباحث، فأخبرني أنه سيعاود الاتصال بي مرة أخرى بعد انتهاء الاجتماع(٢).

في تلك الأثناء، أخبرني بومبيو أنه تحدث للتو مع ترامب حول الإحاطة التي كان من المقرر أن يقدمها هو وماتيس للكونغرس في غضون أيام قليلة، في ما يتعلق بتشريع يمنع تقديم مساعدات للمملكة العربية السعودية لحربها في اليمن. وخلال تلك المكالمة، أثار ترامب قضية مضيق كيرتش، ورأى أن بوروشينكو ربما افتعل الحادثة لأغراض سياسية. وقال ترامب: «دع الأوروبيين يعتنون بهذا الأمر، لا أريد أن أتدخل فيه». ولم يطرح بومبيو على ترامب طلبه الحصول يوم الأحد على بيان من البيت الأبيض، بل أخبره أن موظفيه يحاولون تخفيف لهجة مسودة بيان نيكي هالي أمام مجلس الأمن، حيث كانت تنوي مهاجمة موسكو بضراوة بسبب الحادث. (كانت ترغب في أن تستفيد من المرات القليلة المتبقية لها في الظهور أمام الكاميرات خلال ما تبقي من فترة شغلها للمنصب الأممي). وأخبر بومبيو ترامب أنه سوف يحرص بالتعاون معي على أن تنصاع هالي لتعليماته. واقترحت أن نتعامل مع بيان هالي المرتقب باعتباره قناة تصل من خلالها وجهة النظر الأميركية بدلاً من وجود أكثر من وجهة نظر، ووافقني الرأي. وقال بومبيو إنه سيتصل بهالي ويطلب منها أن «تلتزم بخطوط عامة محددة»، وكان طلباً منطقياً. ومن ثم، اتصلت بترامب وأخبرته بما اتفقت عليه مع بومبيو بشأن بيان هالي، وقد استحسن هذا، وأطلعته أيضًا على موقف ألمانيا ومشروع قانون فرض الأحكام العرفية في أوكرانيا.

بينما كنت أنتظر اتصال هيكر، حاولت التواصل مع سيدويل في لندن وإتيان في باريس لأتبين تقييمهما للوضع. ولم يكن إتيان في باريس، ولكن سيدويل عاود الاتصال سريعاً، وقمنا بمقارنة ما لديه وما لدينا. سمع سيدويل بأن كندا، التي تترأس مجموعة السبع حتى نهاية العام ٢٠١٨، بصدد

(١) This proposed legislation was already the subject of public debate in Ukraine. See Andrew E. Kramer, "Ukraine, After Naval Clash with Russia, Considers Martial Law," https://www.nytimes.com/2018/11/25/world/europe/ukraine-russia-kerch-strait.html

(٢) See Reuters, "Merkel expressed concern about situation in Ukraine in call with Poroshenko: spokesman," November 28, 2018, https://www.reuters.com/article/us-ukraine-crisis-russia-germany/merkel -expressed-concern-about situation-in-ukraine-in-call-with-poroshenko -spokesman-idUSKCN1NV22U

إعداد مسودة بيان، ولكنه لم يكن بجعبتنا حتى اللحظة. فأخبرت سيدويل بما قاله ترامب خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية حتى يتمكن البريطانيون من دراسة رأيه(١).

وفي الساعة ١١:٠٥ صباحاً، هاتفني بومبيو وهو يستشيط غضباً. قال إنه اتصل بهالي، وأخبرها بما اتفقنا عليه، وإنها وافقته الرأي. ثم علم لاحقاً أنها بادرت بالاتصال بترامب تشتكي إليه. وقرأت على ترامب مجموعة مختلفة تمامًا من نقاط البيان، والتي قبل ترامب بها. أراد بومبيو إجراء مكالمة جماعية تجمع ثلاثتنا للتوصل إلى بيان موحد، ولكن قبل أن يتم ترتيب هذه المكالمة، اتصل ترامب وأخبر بومبيو أن نقاط بيان هالي جيدة وأنه لا يريد أن تهاجمه الصحافة لاتخاذه موقفاً ليناً في هذه الأزمة. شعرت وبومبيو بارتياح تام، لأن لدينا الآن تصريحًا أقوى يمكننا أن ننسبه إلى ترامب، لكننا كنا نعلم أن هالي كانت مدفوعة في موقفها برغبتها في عدم تعرضها لهجوم من الصحافة. بُعيد ذلك، وبينما كنا في المكتب البيضاوي لجلسة الإحاطة الاستخباراتية المعتادة، قال لي ترامب، «أنت تعرف أن بيان [هالي] كان أقسى قليلاً مما قلته، لكن هذا أمر لا بأس به. ربما تريدونه أقسى على أي حال، أليس كذلك؟». أخبرته بأنني موافق على البيان، معقباً بأننا طالبنا روسيا بالإفراج عن السفن والطواقم الأوكرانية. وهنا اعترض ترامب قائلاً، «لا تطالبوا بإطلاق سراح الطواقم. فهم إن لم ينصاعوا لذلك الطلب، نصبح نحن في موقف مثل موقف الرهائن في إيران. وأنا لا أريد ذلك». قلت إنني سأخبر هالي، ولكنني عندما خرجت من المكتب البيضاوي، كان الأوان قد فات وأدلت ببيانها. وجاء البيان مماثلاً لموقف العديد من البلدان الأخرى، لذلك رأيت أننا لا نقف في موقف لا يعجب ترامب. على أي حال، فقد استفزت الحادثة ترامب على إعادة سرد إحدى قصصه المفضلة، والتي تتعلق بأول مكالمة هاتفية تجمعه بميركل، عندما سألته عما سيفعله بشأن أوكرانيا، فأجابها بسؤال عما ستفعله هي بشأن أوكرانيا.

ولاحقاً، عندما استعرضت الموقف مع بومبيو، كان من الواضح أننا نشهد مجدداً نموذجاً لأسلوب عمل هالي عندما كان تيلرسون وزيرا للخارجية، بكل إرادة حرة ومن دون انصياع لأوامر أحد. وسيتغير ذلك الوضع في غضون شهر، مع رحيلها، ووجدت وبومبيو أن خليفتها، أيا كان هو، لن يعمل بنفس طريقتها. وصفها بومبيو في محادثة لاحقة بأنها «خفيفة كالريشة».

هاتفني هيكر عند الواحدة والنصف لنكمل ما كنا نتحدث فيه، وقال إنه خرج للتو من اجتماع شارك فيه ممثلو أوكرانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا، وإن روسيا تقول إن السفن الأوكرانية لم توجه الإشارة المطلوبة لعبور مؤقت يتضمن اختراقاً لمياه دولة أخرى (وهو أمر جائز بموجب القانون الدولي

(١) See, "Canada led joint G7 statement condemning Russian aggression in Ukraine, says Freeland," November 30, 2018, https://www.thestar.com/news/canada/2018/11/30/canada-led-joint-g7-statement-condemning-russian-aggression-in-ukraine-says-freeland.html

لأغراض مثل التدريبات العسكرية)، وهي حجة بدت سخيفة. وخلال محادثة ميركل مع بوروشينكو، قال إنه قام بتعديل مشروع قانون الأحكام العرفية الذي ينظره البرلمان، ليقلص الفترة من ستين إلى ثلاثين يوماً، بما سمح بإجراء انتخابات آذار/مارس كما هو مقرر لها. وكان هذا تقدماً، على الرغم من أن الأحكام العرفية تساعد بوروشينكو سياسياً، مع بقاء احتمال تمديد فترة الثلاثين يوماً لاحقاً (وهو ما لم يحدث). وكان من المزمع أن تتحدث ميركل إلى بوتين في غضون ساعة لتحثه على تخفيف التصعيد من كلا الجانبين، ولتطلب منه تحديداً أن يتباحث مع بوروشينكو مباشرة[١].

وفي صباح الثامن والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر، سافرت من أندروز إلى ريو دي جانيرو للقاء جايير بولسونارو، الرئيس البرازيلي المنتخب حديثاً، قبل انعقاد قمة مجموعة العشرين في بوينس آيرس. اتصلت بترامب من الطائرة في حوالي الساعة الخامسة وأربعين دقيقة صباحاً، لأسأله عما إذا كان لديه مزيد من الأفكار بشأن لقاء ثنائي مع بوتين على هامش قمة مجموعة العشرين، خاصة وأن روسيا ماتزال تحتجز السفن وأطقم البحرية الأوكرانية. فقال ترامب إنه يعتقد أنه سيكون من المريع أن يلتقي بوتين في هذه الظروف، وأن الصحافة حينئذ لن تتناول إلا قضية أوكرانيا. وقال إن عليّ أن أوصل رسالة إلى بوتين فحواها أنه يود الاجتماع به، ولكن على روسيا أن تبادر أولاً بالإفراج عن البحارة والسفن، حتى تركز قمتهما على قضايا رئيسية وليس على أوكرانيا. وتواصلت مع باتروشيف في موسكو بعد حوالي ساعتين وأوصلت له رسالة ترامب، فقال إنه سينقلها على الفور إلى الرئيس بوتين، وأنه يعتقد أن بوتين سيأخذها بعين الاعتبار بكل تأكيد. وعلى الرغم من أنه كان يعرف أنني أعرف طبيعة الموقف الروسي، إلا أنه كرره على مسامعي تفصيلاً.

وصلت إلى البرازيل حوالي الساعة ١١ مساءً بتوقيت ريو دي جانيرو. هاتفني ترامب مرة أخرى ليخبرني إنه سيلتقي بوتين بشرط أن يعلن الأخير في نهاية القمة عن إطلاق سراح السفن وأطقمها، بحيث يعطي ترامب الفضل في قراره هذا. وبسبب اختلاف التوقيت، لم أتصل بموسكو. وعلاوة على ذلك، فإن تغير موقفنا في هذه المرحلة يعني أن ترامب يبدو متلهفاً لهذا اللقاء، والحق أنه كان كذلك على الأرجح. وفي صباح اليوم التالي، تحدثت مع أنتوني غودفري، نائب رئيس بعثتنا الدبلوماسية في موسكو (في ظل غياب هانتسمان)، وأخبرني أن الروس يتهمون أطقم السفن بالتعدي على مياههم الإقليمية، وهو ما لم يبشر بأي خير، على أقل تقدير. هاتفني باتروشيف وأنا في الطائرة إلى بوينس آيرس، وقال أن لديه رسالة يريد مني أن أنقلها من بوتين إلى ترامب، مفادها أنه بسبب «التعدي غير القانوني» على الحدود الروسية فإننا إزاء قضية جنائية، تستدعي إجراء

(١) See, Andrew Osborn and Anton Zverev, "European politicians call for new sanctions on Russia over Ukraine," November 27, 2018, https://www.reuters.com/article/us-ukraine-crisis-russia-germany/europe-an-politicians-call-for-new-sanctions-on-russia-over-ukraine-idUSKCN1NW0WW

تحقيقات. وزعم الروس أنهم، بالاستناد إلى الوثائق التي استولوا عليها من السفن والمعلومات التي أدلى بها البحارة، تعرضوا لاستفزاز عسكري، في عملية أدارتها أجهزة الأمن الأوكرانية. ولذلك، والكلام هنا لباتروشيف، تتخذ روسيا جميع الإجراءات القانونية ومن المستحيل الإفراج عن السفن وأطقمها[١]. وقال إنه مقتنع بأننا كنا لنفعل الشيء نفسه، في مقارنة بين إجراءات موسكو وسياسات ترامب بشأن حدودنا مع المكسيك. وألقى علي محاضرة حول خطواتنا في الأسابيع الأخيرة بشأن هذا الموضوع، ومواضيع أخرى.

كانت رسالة باتروشيف واضحة ولا مجال للخطأ في تفسيرها، إلا أنني سألته عن المدة التي سوف تستغرقها الإجراءات ضد أطقم البحرية الأوكرانية. فقال إنه لا يستطيع أن يعطيني إجابة دقيقة ولكنه وعدني بأن يسأل ويقول لي. قلت إنني سأتحدث إلى ترامب وأرى ما إذا كانت هناك إمكانية لعقد قمة ثنائية. واتضح لي أن ترامب كان متأخراً (كعادته)، لذلك لم أتمكن من مهاتفته وهو في طائرة الرئاسة حتى الساعة ١١:٢٠ صباحاً، بتوقيت واشنطن. وحكيت له ما نقله باتروشيف لي من بوتين، والذي اعتبرته «رفضاً قاطعاً». سألني ترامب، «ماذا كنت لتفعل لو كنت مكاني؟»، فقلت إنني كنت لأطلب إلغاء الاجتماع. وافقني ترامب الرأي، قائلاً: «لا يمكننا التخلي عن أي شيء». وبعد ذلك بوقت قصير، كتب تغريدة بهذا المعنى، قبل حتى أن أتمكن من العودة إلى باتروشيف، الذي رفض ساخطاً الرد على مكالمتي، تأكيداً على مدى انزعاجهم.

وفي بوينس آيرس، التقيت يوري أوشاكوف، مستشار بوتين الدبلوماسي، عدة مرات لأتبين فرص عقد قمة بين بوتين وترامب، ولكننا خلصنا إلى استحالة ذلك، بالنظر إلى مواقف الجانبين العلنية بشأن حادثة مضيق كيرتش. على أن ترامب تحدث مع بوتين في حفل عشاء قادة مجموعة العشرين، ولم يكن يوجد أي أميركي آخر بين الحضور سوى السيدة الأولى. واستعانا بمترجم بوتين، ولم يتسن للقائم على المراسم من جانبنا الذي كان يسير خلف ترامب أن يسمع ما دار من حوار. ولم يتحدث الروس عن مضمون الاجتماع في صحافتهم، وأخبرني ترامب في صباح اليوم التالي أنه صارح بوتين بوضوح بأنه لم يكن يتصور أن يلتقي كلاهما في اجتماع رسمي قبل حل أزمة حادثة مضيق كيرش وعودة السفن وأطقمها إلى أوكرانيا، الأمر الذي بدا بعيد المنال لبعض من الوقت.

(١) عرف الرأي العام بتفاصيل هذه النظرية الروسية تجاه الأزمة مع تقديم روسيا للقضية جنائياً بعد ذلك بفترة قصيرة. انظر: باتريك ريفيل، "Russia brings captured Ukrainian sailors to court," https://abcnews.go.com/International/russia-bringing-captured-ukrainian-sailors-court/story?id=59440311; Patrick Reevell, "Russia extends detention of captured Ukrainian sailors," https://abcnews.go.com/International/russia-brings-captured-ukrainian-sailors-court/story?id=60398214, and Radio Free Europe/Radio Liberty, "Russian Court Jails Captured Ukrainian Sailors for Two Months," https://www.rferl.org/a/west-rallies-behind-ukraine-calls-on-russia-release-detained-sailors-kerch-azov/29623124.html

وخلال قمة جمعت ترامب وميركل لاحقاً، ألمح ترامب إلى أن وجود رئيس أوكراني ميّال في سياساته إلى روسيا كفيل بنزع فتيل حرب عالمية ثالثة. وأرى أن الروس كانوا ليمتدحوا رأياً كهذا.

خيّم الهدوء على أوكرانيا في انتظار إجراء الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية في ٣١ آذار/ مارس، لكن أموراً أخرى بدأت في الظهور. فقد اشتكى ترامب من سفيرتنا يوفانوفيتش لبعض الوقت، ونوّه إليّ في ٢١ آذار/مارس خلال مكالمة هاتفية تناولت عدداً من المواضيع أنها كانت «تتحدث عنا بفظاظة مثل المجانين» وأنها لا تهتم إلا للمسائل المتعلقة بالمثليين والمتحولين جنسياً وثنائيي الجنس، وأضاف، «إنها تتفوه بكلام سيّىء عني وعنك»، مصراً على أنه يريد طردها «اليوم». قلت له إنني سأهاتف بومبيو. الذي كان في جولة في الشرق الأوسط؛ وحاولت الوصول إليه عدة مرات ولكنني فشلت بسبب جدول اجتماعاته واختلاف التوقيت. وبعد اجتماع اللجان الرئيسية في وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم، تنحيت بنائب وزير الخارجية جون سوليفان جانباً لأنقل له رأي ترامب، حتى يتمكن من إبلاغ بومبيو. وكان سوليفان يعرف أن ترامب يريد طرد يوفانوفيتش، لذلك فهم لحظتها أن سماع نفس تعليمات ترامب مجدداً ينم عن جدية الأمر.

وبعد بضعة أيام، في ٢٥ آذار/مارس، دعاني ترامب للحضور إلى المكتب البيضاوي، لكنني وجدته في غرفة البحرية الصغيرة مع رودي جولياني وجاي سيكولو (محام آخر خاص به)، وكانوا يتناقشون بارتياح حول ردود الفعل بشأن تقرير مولربشأن التدخل الروسي في الانتخابات. وفي هذا الاجتماع، علمت أن جولياني كان مصدر الحكايات عن يوفانوفيتش، وقال إنها محمية من جورج كينت، نائب مساعد وزير الخارجية في المكتب الأوروبي (لا أعتقد أن جولياني يعرف مسمى منصب كينت على وجه الدقة؛ وقد أوضحه بومبيو لي في ما بعد). وكرر ترامب إصراره على طرد يوفانوفيتش على الفور. وهاتفت بومبيو في أواخر الظهيرة في هذا الشأن، الآن بعد أن علمت أن الأمر جاء من جولياني. وأخبرني بومبيو إنه تحدث مع جولياني من قبل، ولم يجد أي حقائق تدعم مزاعمه، على الرغم من أن بومبيو مقتنع بأن يوفانوفيتش، مثلها مثل تسعين في المئة من العاملين في الخارجية، منحت صوتها لكلينتون. وقال إنها كانت تحاول الحد من تفشي الفساد في أوكرانيا، وربما كانت تلاحق بعض موكلي جولياني. كما قال بومبيو إنه سوف يتصل بجولياني مرة أخرى ومن ثم يتحدث إلى ترامب. وفي صباح اليوم التالي، اتصلت بترامب بشأن عدة أمور وسألته عما إذا كان قد تحدث مع بومبيو في موضوع يوفانوفيتش. وعرفت أنه لم يفعل، ولكنه كرر كلامه وقال إنه «سئم حديثها السيئ عنا» وقولها عنه أنه في الطريق للعزل من منصبه، وكلام من هذا القبيل. وقال، «هذا سيئ بحق». هاتفت بومبيو حوالي التاسعة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً لإبلاغه بتفاصيل هذه المحادثة. فاحتج مرة أخرى بأن ادعاءات جولياني لم تكن صحيحة وقال إنه سيتصل بترامب. وذكرت ذلك لترامب في وقت لاحق من اليوم، حتى يعرف أنني لم أتجاهل طلبه.

وسواءً كانت مزاعم جولياني ذات صلة بانتخابات أوكرانيا، التي انعقدت يوم الأحد ٣١ آذار/ مارس، أم لا، فقد حل زيلينسكي في المركز أولاً وبوروشينكو ثانياً، بعد فرز جميع الأصوات، مما يعني أنهما سوف يخوضان جولة الإعادة في ٢١ نيسان/أبريل. وبعد ذلك بوقت قصير، ناقشت مع الفرنسي إتيان والألماني هيكر كيف سنمضي قدماً. وعلى الرغم من أننا اتفقنا في وقت سابق على الاكتفاء بوضع المراقب من بعيد، إلا أن هيكر أخبرني بأن ألمانيا سوف تدعو بوروشينكو إلى زيارة برلين، على الرغم من مخاطر رد فعل عنيف من أوكرانيا في حال فاز زيلينسكي في جولة الإعادة. كما أخبرني إتيان أن فرنسا قررت، قبل جولة الإعادة، دعوة كل من بوروشينكو وزيلينسكي إلى باريس، وكان ذلك موقفاً أكثر حيادية. ولم يكن أحد منا يعرف الكثير عن أهلية زيلينسكي ليصبح رئيساً، وكانت هناك مخاوف بشأن مدى قربه من الأوليغارشي كولومويسكي، مما قد يثير الكثير من الأقاويل عن قضايا الفساد. تحوم حولنا ادعاءات مقلقة، لذا كان من الحكمة أن نستمر في نهج عدم التدخل. وبدا لي أن هناك تضليلاً في تغيير ألمانيا وفرنسا لنهجهما وحماسهما للانخراط في هذا الملف. وكنا مجمعين على أن زيلينسكي يدخل جولة الإعادة بفرصة كبيرة من واقع استطلاعات الرأي، التي تستند إلى حد كبير إلى معارضته للفساد المتفشي في أوكرانيا.

استمر الدعم الشعبي لزيلينسكي، وفي يوم عيد الفصح، ٢١ نيسان/أبريل، انتصر على بوروشينكو بنسبة ٧٣ في المئة من الأصوات. وكنا قد جهزنا «حزمة مكالمات» لترامب في حال قرر تهنئة زيلينسكي في ذلك اليوم، وهو ما فعله حوالي الساعة الرابعة والنصف مساءً بتوقيتنا. وكنت قد أبلغت ترامب قبل المكالمة بأن زيلينسكي قد يدعوه إلى حفل تنصيبه (ولم يكن الموعد تحدد رسمياً بعد)، فقال ترامب إنه سوف يرسل بنس نيابةً عنه. وجاءت المكالمة قصيرة، أقل من خمس دقائق، لكنها حارة للغاية، وبدأها ترامب قائلاً، «أريد أن أهنئك على عملك الجيد». ورد زيلنسكي، «شكرا جزيلا لك»، وقال إنه يثمن تلك التهنئة، «كنت مثالاً رائعاً لنا». وقال ترامب إن لديه العديد من الأصدقاء الذين يعرفون زيلينسكي ويحبونه، مضيفاً، «ليس لدي شك في أنك ستكون رئيساً رائعاً». ووجه زيلينسكي الدعوة لترامب لحضور حفل تنصيبه، وأجابه ترامب بأنه «سينظر في مواعيده»، مردفاً، «سوف يكون هناك ممثل كبير للولايات المتحدة في ذلك اليوم العظيم». وبدوره، وجه ترامب الدعوة لزيلينسكي لزيارة البيت الأبيض، قائلاً، «نحن إلى جوارك دوماً». وألح زيلينسكي على زيارة ترامب، وقال إن أوكرانيا بلد عظيم وشعبها لطيف وطعامها جيد، وما إلى ذلك من أوصاف. فقال ترامب إنه بصفته المالك السابق لمسابقة ملكة جمال الكون فإنه يعرف أن أوكرانيا حاضرة بقوة في هذه المسابقة على الدوام. واختتم زيلينسكي المكالمة قائلاً بالإنكليزية، «سأتمرس كثيراً على اللغة الإنكليزية» (حتى يتمكن من التحدث بها عندما يلتقيان). ورد ترامب، «أعجبني هذا جداً. فأنا أعجز عن التمرس على لغتكم».

وعقب تلك المحادثة بيومين، أي في ٢٣ نيسان/أبريل، تم استدعائي إلى المكتب البيضاوي

ووجدت ترامب ومولفاني على الهاتف، يتناقشان في أمر يوفانوفيتش مرة أخرى مع جولياني، الذي كان مايزال يضغط من أجل إقالتها. وكان قد أخبر ترامب بأنها تحدثت إلى الرئيس المنتخب زيلينسكي لتخبره بأن ترامب يريد إيقاف بعض التحقيقات التي يجريها مدعون أوكرانيون. ويعتقد جولياني أن يوفانوفيتش تحمي هيلاري كلينتون، التي يُزعم أن حملتها موضوع تحقيقات جنائية أوكرانية، كما كانت هناك علاقة ما لهنتر، نجل جو بايدن، بتلك التحقيقات أيضاً. وكلام جولياني نوع رخيص من الهرطقة. فهو لم يقدم أي دليل على مزاعمه. وقلت إنني تحدثت مع بومبيو بشأن يوفانوفيتش وسأعود إليه مرة أخرى. لم يستطع ترامب أن يصدق أن بومبيو لم يطرد يوفانوفيتش حتى الآن، على الرغم من أن هذه هي رغبته التي لا يريد أن يسائله أحد فيها. وطلب مني ترامب أن أعرف على الفور من بومبيو ما يجري، وأن أتصل بزيلينسكي لأوضح له أن يوفانوفيتش لم تعد تتحدث باسم الإدارة الأميركية. وبطبيعة الحال، ونظراً لأننا لا نعرف يقيناً ما قالته له، فقد تحيرت حول ما يجب عليّ أن أخبر زيلينسكي أن يتجاهله.

عدت إلى مكتبي وهاتفت بومبيو عند حوالي الرابعة مساءً. فقال إنه قرر بالفعل تقليص فترة يوفانوفيتش من أواخر تشرين الثاني/نوفمبر أو أوائل كانون الأول/ديسمبر لتنتهي في الأول من حزيران/يونيو، وأنه أبلغ ترامب بذلك ولم يعترض. وأراد بومبيو أن نغلق هذا الملف. فأخبرته بأن الرئيس في غاية الحنق لأنها لم تغادر منصبها فوراً، فتنهد بومبيو بنفاد صبر، وكرر كلامه حول محادثاته السابقة مع جولياني، الذي عجز عن ذكر تفاصيل للمزاعم التي أثارها، غير أنه ظل يثير الأمر مع ترامب على مدى الأشهر العديدة الماضية. ولكن بومبيو أخبرني أيضاً أنه لدى البحث في شأن تلك السفارة، أصبح لدى وزارة الخارجية الآن العديد من القضايا التي سوف ترسلها إلى وزارة العدل والتي تؤكد تورط يوفانوفيتش وسلفها في بعض الأنشطة غير المحددة وغير الموصوفة والتي قد تكون إجرامية. واختتم بومبيو المكالمة بقوله إنه سيأمرها بالعودة إلى واشنطن في تلك الليلة. ومع هذا القرار بعودة يوفانوفيتش إلى الوطن، لم يكن هناك جدوى من مهاتفة زيلينسكي (وهي المهاتفة التي لم أكن أرغب فيها على أي حال)، لذلك لم أتصل به.

وأطلعت أيزنبرغ على أحدث تطورات موضوع يوفانوفيتش. وبُعيد ذلك، جاء مولفاني إلى مكتبي برفقة سيبولوني وإيميت فلود، وهو أحد محامي مكتب مستشار البيت الأبيض الذي يتولى أمر تحقيق مولر. وطرحت أمراً قد طرحته من قبل، إما مع سيبولوني أو أيزنبرغ، عما إذا كان جولياني يواجه مشاكل أخلاقية بموجب قانون المسؤولية المهنية للمحامين لاستغلاله علاقة محام بموكله في تعزيز مصالح موكل آخر، وهي دينامية أظن أنها كانت حاضرة في معاملاته ممثلاً لترامب. وقلت إنني أعتقد أن ذلك يعد مخالفة أخلاقية، لكنهما لم يوافقاني الرأي، وقالا أنها تصرفات غير مستحبة، ولكنها لا تصل إلى حد انتهاك الأخلاقيات القانونية.

وكنت في وقت سابق من ذلك اليوم ذهبت إلى وزارة العدل لتناول الغداء مع بيل بار، الذي أعرفه منذ منتصف الثمانينات، قبل إدارة بوش الأب. وقد أصبح بار مدعياً عاماً (مرة أخرى) في منتصف شباط/فبراير، وكنا نحاول منذ ذلك الحين تحديد موعد مناسب للقاء والتحدث عن عملنا في إدارة ترامب. ورغبت على وجه الخصوص في أن أخبره باعتزامي تحسين مستوى التنسيق بين مصالح الأمن الوطني والنيابة العامة حين تتقاطع وحيث يمكن أن تتضارب. فقد كنا بحاجة إلى قرارات واعية حول أولويات الولايات المتحدة في مثل هذه الحالات، بدلاً من تسويتها بشكل عشوائي. ولأنه مهتم جدًا بالقضايا الأمنية، فقد كان بار قادراً تماماً على تحسين علاقات العمل بين الإدارات والوكالات المعنية.

ولكنني أردت، على وجه التحديد، أن أطلعه كذلك على ميل ترامب لتقديم خدمات شخصية لقادة ديكتاتوريين معجب بهم، مثلما كانت الحال مع القضايا الجنائية لكل من هالكبنك، زد تي إي. وربما هواوي، وغيرها مما لا نعرف. فقال بار إنه قلق للغاية بشأن المظاهر التي يصنعها ترامب، وخاصة ما قاله لإردوغان بشأن هالكبنك في بوينس آيرس خلال اجتماع قمة مجموعة العشرين، وما قاله لتشي جينبينغ عن زد تي إي وغيرها. وكنت تحدثت في هذا الموضوع مع سيبولوني وأيزنبرغ لمدة ساعة تقريباً في ٢٢ كانون الثاني/يناير، بعد فترة وجيزة من حلول سيبولوني محل مكغان في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨. وقتها، تحدثنا في العديد من المواضيع؛ هالكبنك، زد تي إي، عميل تركي اعتقلته إسرائيل (وتم الإفراج عنه بوساطة ترامب خلال إقامته في ترنبري في تموز/يوليو حيث أجرى اتصالات مع نتنياهو)، مسألة رفع العقوبات الأميركية عن الأوليغارشي الروسي أوليغ ديريباسكا (والتي رفعت بالفعل في أوائل نيسان/أبريل)، هواوي، الآثار المترتبة على المفاوضات التجارية الصينية، ومآزق ترامب القانونية الشخصية. ولم يكن لدي أي شك في سلطة الرئيس الدستورية التي تخوله تحديد الأولويات بين مسؤوليات السلطات التنفيذية المتضاربة، مثل سلطات إنفاذ القانون والأمن الوطني. ومع ذلك، وفي ظل الأجواء الحماسية التي تخيم على واشنطن نتيجة مزاعم تواطؤ روسيا، لم يكن من الصعب توصيف كل ذلك سياسياً. ولم يكن أحد يعرف يقيناً بما إذا كانت هناك مشاكل أخرى أكثر إثارة للجدل لم تطف على السطح بعد. ولم يكن سيبولوني يعرف بتفاصيل كل تلك المواضيع من قبل، لذلك كان مندهشاً للغاية من نهج ترامب في إنفاذ القانون، أو بالأحرى عدم إنفاذه.

وحتى في وقت سابق، في العاشر من كانون الأول/ديسمبر، وبسبب ما قاله ترامب في حفل الميلاد عن هواوي والإيغور، تحدثت إلى بومبيو حول هذه المشاكل، وكذلك حول تسوية بعض القضايا القانونية الشخصية لترامب. وبدا لي كأن عرقلة العدالة أسلوب حياة، وهو ما لا يمكننا قبوله. وعلاوة على ذلك، فإن التساهل مع الشركات الصينية التي تنتهك العقوبات الأميركية أو تغش

شركاتنا أو تعرّض البنية التحتية للاتصالات لدينا للخطر لا يمكن وصفه إلا على أنه استرضاء لأعدائنا، وهو ما يتعارض تماماً مع مصالحنا. وقلت إنها أمور لا يصلح معها سوى الاستقالة، وهو ما وافقني عليه بومبيو. لم يصل ذلك إلى حد صياغة خطاب الاستقالة بعد، ولكنه دق أجراس الإنذار.

هاتف ترامب بوتين في الثالث من أيار/مايو، متعللاً، من دون أسباب واضحة، بأن بوتين «يستميت» لمكالمة منه. والواقع، أن ترامب كان هو من «يستميت» للتحدث إليه، لأنه لم يجر محادثة حقيقية مع بوتين منذ أن تسبب حادث مضيق كيرتش في إلغاء لقائهما خلال قمة مجموعة العشرين في بوينس آيرس. وعلى الرغم من أن ترامب كان قد أعلن في ذلك الحين عن تعليق أي اجتماعات بينهما حتى الإفراج عن السفن والأطقم الأوكرانية، إلا أن مهاتفته لبوتين رفعت هذا التعليق، الذي استمر منذ أواخر تشرين الثاني/نوفمبر، بشكل غير رسمي، بينما ماتزال روسيا تحتجز السفن والبحارة. وجرى النقاش بينهما حول أوكرانيا لفترة وجيزة ولكن من دون جدية. وتساءل بوتين عما إذا كان إيغور كولومويسكي سيستعيد ممتلكاته في أوكرانيا، بالنظر إلى دعمه المالي لحملة زيلينسكي الناجحة. وقال بوتين إن زيلينسكي كان مشهوراً في روسيا كونه ممثلاً تلفزيونياً، ولديه الكثير من العلاقات هناك. ولكن بوتين أردف أنه لم يفصح عن سياسته بعد. وقال إنه لم يتحدث بعد مع زيلينسكي لأنه لم يتم إعلانه رئيساً بشكل رسمي حتى الآن، فالنتيجة النهائية لم تعلن حتى الساعة. ولم يكن قصد بوتين واضحاً، سواءً كان يعني مصير الرادا (البرلمان) القائم حالياً أو ما إذا كان زيلينسكي سيدعو إلى انتخابات برلمانية مبكرة[1].

وفي ٨ أيار/مايو، بدأت وتيرة الاهتمام بالملف الأوكراني في التسارع. وفي حوالي الساعة الخامسة وأربعين دقيقة مساءً، طلب مني ترامب الحضور إلى المكتب البيضاوي، حيث كان يجتمع مع جولياني ومولفاني وسيبولوني وربما آخرين. كان الموضوع هو أوكرانيا، ورغبة جولياني في مقابلة الرئيس المنتخب زيلينسكي لمناقشة التحقيق الذي تجريه بلاده إما حول جهود هيلاري كلينتون للتأثير في انتخابات العام ٢٠١٦ أو شيء ما يتعلق بهنتر بايدن وانتخابات العام ٢٠٢٠، أو ربما كليهما. ولم أعر ما سمعته الكثير من الاهتمام، لأن التعليقات كانت متداخلة وملتبسة. وحتى بعد أن خرجت إلى العلن، فإنني أجد صعوبة في فصل خيوط نظريات المؤامرة المتعددة بعضها عن البعض

(١) See "Telephone conversation with US President Donald Trump," http://en.kremlin.ru/events/president/news/60469

وأشار تقرير صحافي لاحق إلى معرفة روسيا بزيلينسكي: «يرغب فريق السياسات الخارجية [لزيلينسكي] في نقل ساحة حرب الأفكار من أوكرانيا إلى روسيا، مستغلاً شعبية زيلينسكي لدى الشعب الروسي، وهو النجم الكوميدي الشهير السابق، الذي تحظى أعماله بنسب مشاهدة عريضة في روسيا». Andrew E. Kramer, "In Ukraine, a Rival to Putin Rises," https://www.nytimes.com/2019/08/04/world/europe/ukraine-president-putin-russia.html?searchResultPosition=1

الآخر. وكانت تعليمات ترامب واضحة؛ أن أتصل بزيلينسكي وأحرص على أن يلتقي جولياني في كييف الأسبوع المقبل. وأقسم جولياني أن ليس لديه موكلون متورطين في هذا الشأن، وهو الأمر الذي أجد صعوبة في تصديقه، لكنني ما زلت آمل أن أتجنب السقوط في هذه الفوضى. وكانت الصحافة تتناول خبر إقالة يوفانوفيتش، ومن المؤكد أنها سرعان ما سوف تعرف بأمر زيارة جولياني إلى أوكرانيا. كما قال جولياني إنه يلاحق مسؤولاً في وزارة الخارجية الأميركية، لقبه كينت، وزعم أنه يتآمر مع جورج سوروس ومعادٍ جداً لترامب. وكنت قد سمعت الاسم من قبل مرتبطاً بيوفانوفيتش ولكني لم أعرفه من آدم.

سُعدت بأنني استطعت الهروب والعودة إلى مكتبي في الواحدة وخمس وخمسين دقيقة، ورأيت ألا أبادر بالاتصال بزيلينسكي، على أمل أن ينسوا الأمر برمته. وما كدت أستقر في مكتبي حتى دخل عليّ جون سوليفان ومارك شورت، وقالا إن ترامب أرسلهما من اجتماع الشؤون التجارية الأسبوعي في غرفة روزفلت للتحدث عن كينت. (وكنت أجد في تلك الاجتماعات التجارية الأسبوعية فوضى كبيرة لدرجة أنني كلفت كوبرمان بحضور أغلبها، وهو عقاب لا يستحقه، ولكن الحياة صعبة). لم يكن سوليفان يعرف من هو كينت، ولكنه وصف المشهد في غرفة روزفلت، حيث تحدث ترامب معه همساً بينما كان بوب لايتهايزر يستعرض سلسلة من الرسوم البيانية حول قضايا تجارية مختلفة، من الواضح أن ترامب لم يعرها انتباهاً. وبعد أن أنهى كلامه مع سوليفان عن كينت، عاد ترامب إلى لايتهايزر لبضع ثوان قبل أن يقول بصوت عال لسوليفان، «إذهب وتحدث إلى بولتون حول كينت». ثم قال لشورت، «أرشده إلى مكان جون». وهكذا صارا أمامي هنا. غادر شورت، وشرحت لسوليفان فحوى آخر نقاش حول أوكرانيا أجريته للتو في المكتب البيضاوي، وطلبت منه التحدث إلى بومبيو في أقرب فرصة. وكان بومبيو سيصل إلى واشنطن في التاسعة من صباح اليوم التالي، فقال سوليفان إنه سيطلعه على ما لديه حينئذ.

وبقيت مسألة رحلة جولياني إلى أوكرانيا عالقة لبضعة أيام دون قرار واضح. وحضر إليّ سيبولوني وأيزنبرغ يوم ١٠ أيار/مايو، وسط تزايد اهتمام الإعلام بإقالة يوفانوفيتش (على الرغم من قلة اهتمام الصحافة الرئيسية بالخبر)، وفي ظل جذب جولياني قدراً كبيراً من الاهتمام. وفي مقابلة مع صحيفة النيويورك تايمز، نشرت في ذلك الصباح[1]، قال، «لا نتدخل في انتخابات، بل نتدخل في تحقيق، وهذا من حقنا.. لا شيء غير قانوني حيال ذلك.. قد يرى شخص أن هذا غير لائق. وأن هذه ليست سياسة خارجية؛ أنا أطلب منهم إجراء تحقيق يقومون به بالفعل بينما هناك من يطلب منهم التوقف عنه. سأعطيهم أسباباً تدعو لعدم إيقاف التحقيق

(١) See Kenneth P. Vogel, "Rudy Giuliani Plans Ukraine Trip for Inquiries That Could Help Trump," https://www.nytimes.com/2019/05/09/us/politics/giuliani-ukraine-trump.html

لأن هذه المعلومات ستكون مفيدة للغاية لموكلي، وقد تكون مفيدة لحكومتي». واتفقنا ثلاثتنا على أنه لا يمكن السماح لجولياني بالذهاب إلى أوكرانيا، ولكن كل هذه الفوضى فرضت جدلاً حول الشخصية التي يمكنها تمثيل إدارة ترامب في حفل تنصيب زيلينسكي، بالنظر إلى ما سوف يلحق بها من دعاية سلبية.

لذلك، كانت مشاركة بنس أمراً مشكوكاً فيه، ومعقداً، لأن موعد حفل التنصيب لم يتحدد بعد. ويوم ١٦ أيار/مايو، فوجئت سفارتنا في كييف بقرار الرادا تحديد يوم ٢٠ أيار/مايو، الأمر الذي لم يترك لنا الكثير من الوقت للتثبت من الجداول الزمنية واختيار أعضاء الوفد الأميركي. وفي ذلك الحين، كان ترامب قد حسم الأمر وقرر عدم ذهاب بنس، وقرر بومبيو عدم الذهاب لأسبابه الخاصة. وبحلول نهاية اليوم، بدا أن وزير الطاقة ريك بيري سيكون رئيس الوفد، وهو اختيار منطقي بسبب ما يحوم حول أوكرانيا من قضايا تتعلق بالطاقة، وأهمية التعاون بين كييف وواشنطن في مواجهة استغلال موسكو لمصادر الطاقة في جميع أنحاء أوروبا الوسطى والشرقية. وبرغم سعي جوردون سوندلاند، السفير الأميركي لدى الاتحاد الأوروبي، لإلحاقه بالوفد الأميركي، ولكنني لم أجد لحضوره سبباً مشروعاً وحذفت اسمه مراراً. ولكنه التحق في النهاية بالوفد، لأن مولفاني أصر على ذلك، كما علمنا. ولم يتضح لنا سبب اختيار الرادا لهذا الموعد المبكر، لكن مراقبينا هناك يعتقدون أن حزب بوروشينكو قرر المخاطرة بإجراء انتخابات برلمانية مبكرة، في اعتقاد بأن زيلينسكي سيعجز عن أن يكون على مستوى التوقعات المتزايدة حوله. وقد تبين أن هذا خطأ في التقدير من قبل مستشاري بوروشينكو وأعطى دفعة كبيرة لزيلينسكي.

والحقيقة أن تنصيب زيلينسكي في العشرين من أيار/مايو كان مفاجأة دفعت بوروشينكو إلى خيار الانتخابات البرلمانية المبكرة. ولم يتم تحديد موعد دقيق لها، ولكن كان من المتوقع أن تجري خلال تموز/يوليو. وكما أصبح الأمر واضحًا بشكل متزايد، ليس بالنسبة لي وحدي ولكن للآخرين أيضاً، ومنهم فيونا هيل، مستشارة مجلس الأمن الوطني لشؤون أوروبا وروسيا، أن ترامب مقتنع تماماً بما يقوله جولياني عن أن رواية «التواطؤ الروسي»، التي اخترعها خصومه السياسيون الأميركيون، أديرت من خلال أوكرانيا. وبعبارة أخرى، كان ترامب مقتنعاً بفكرة أن أوكرانيا كانت مسؤولة عن تنفيذ مساعي موسكو لاختراق الانتخابات الأميركية. وهو ما يعني بوضوح أننا لن نبادر بإظهار الود لأوكرانيا، بغض النظر عن خطط منع المزيد من السيطرة الروسية على الأوضاع هناك.

وفي ٢٢ أيار/مايو، وبعد كلمة ألقيتها في حفل تخرج أكاديمية خفر السواحل في نيو لندن، كونيتيكت، غادرت من أندروز إلى اليابان، للتحضير لزيارة الدولة التي سيقوم بها ترامب، وهي الأولى في عهد الإمبراطور الجديد ناروهيتو. وبعد ذلك بيومين، ومن طوكيو، هاتفت كوبرمان، الذي كان قد حضر اجتماع ترامب في وقت سابق من ذلك اليوم (كان اليوم في واشنطن هو ٢٣ أيار/مايو)

مع الوفد الذي حضر حفل تنصيب زيلينسكي؛ بيري، سوندلاند، فولكر، والسيناتور رون جونسون. وكما حكى لي كوبرمان، فقد قال ترامب، «لا أريد أن تكون لي أي علاقة بأوكرانيا. لقد هاجموني. ولا أفهم السبب. اسألوا جو دي جينوفا، فهو يعرف كل شيء عما جرى. حاولوا أن ينالوا مني. إنهم فاسدون. وأنا لن أتورط معهم». وقال إن كل هذا يتعلق بجهود حملة كلينتون، وبمساعدة هنتر بايدن، للنيل من ترامب في انتخابات عامي ٢٠١٦ و٢٠٢٠.

وحاول فولكر أن يتدخل بكلام يتعلق بأوكرانيا، ولكن ترامب قال له، «لست مهتماً أبداً».

وقال بيري إن صنع دولة فاشلة ليس بالأمر المحمود، مفترضاً انهيار الحكومة هناك، فقال له ترامب، «تحدث إلى رودي وجو».

وحاول بيري مجدداً، «امنحني تسعين يوماً»، فقاطعة ترامب قائلاً، «حاولت أوكرانيا النيل مني. ولست مهتماً بمساعدتهم». على أن ترامب خفف من لهجة ردوده وأخبره أن من الممكن لزيلينسكي أن يزوره في البيت الأبيض، لكن فقط بعد أن يخبروه بشعور ترامب إزاء هذا الموضوع. وسرعان ما عاد إلى حدته قائلاً، «أريد خادم انترنت اللجنة الوطنية الديمقراطية اللعين هذا». حسناً.. أمامك تسعون يوماً. ولكنني غير مهتم أبداً للقائه». وبعد ذلك، اتفق بيري وكوبرمان على عدم توجيه أي دعوة إلى زيلينسكي إلا بعد الانتخابات البرلمانية هناك في تموز/يوليو، لرؤية ما إذا كانت لديه أي فرصة للحكم بفعالية. (كان اعتقاد العديد من قادة الدول المجاورة لأوكرانيا، ومنهم المجري فيكتور أوربان، هو أن مستقبل زيلينسكي في الحكم غير واعد بالمرة، وهو رأي لا يتعارض مع رأي بوتين الذي كان يرى طريقاً مسدوداً). كما كانت هناك شائعات بأن بيري سوف يغادر الإدارة في المستقبل القريب، لذا فإن رقم الـ «تسعين يوماً» كان يتطابق مع نظرية أنه يريد أن يحقق أي شيء يحسب له في أوكرانيا. وأخبرني السيناتور جونسون بعد عدة أسابيع، في ما يتعلق باجتماع ترامب، أنه «صدم بشدة من رد فعل الرئيس». أما أنا فقد اعتدت منه ذلك.

ومع ذلك، وخلال الأسابيع التالية، استمر سوندلاند، الذي من الواضح أنه غير مكتف بمهامه لدى الاتحاد الأوروبي في بروكسل، في الضغط من أجل زيارة مبكرة لزيلينسكي إلى واشنطن. ولم يهتم بومبيو لذلك كثيراً. وكان من الواضح أنه لم يكن عازماً على كبح جماح سوندلاند، على الرغم من إصراره الطبيعي على أن يتقدم السفراء بتقاريرهم إليه (وهو ما كانوا يفعلونه عادةً من خلال الأمناء المساعدين)، وألا يتجاوزوه وصولاً إلى الرئيس. وكان ذلك هو النهج طوال تولي بومبيو لوزارة الخارجية؛ تجنب الصراع. وأمكن لترامب حل مشكلة الزيارة قبيل مغادرته إلى المملكة المتحدة في حزيران/يونيو بتأكيده أنها لن تكون قبل حلول الخريف، وهو الحل السليم من وجهة نظري. كما كانت الدول الأوروبية الرئيسية تتوجس من مستقبل زيلينسكي. وزار كل من وزير الخارجية الألماني هيكو ماس ووزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان الرئيس زيلينسكي في كييف في أواخر أيار/

مايو، لكنهما لم يتوصلا بشأنه إلى استنتاجات محددة. وعندما التقى ترامب الرئيس الفرنسي ماكرون في ٦ حزيران/يونيو، بدا أن ماكرون ميّال إلى زيلينسكي، وهو نفس إحساس ميركل عندما التقت ترامب خلال قمة مجموعة العشرين في أوساكا. ومع ذلك، ووفق مكالمة ترامب الأخيرة مع بوتين، لم يكن هناك ما ينم عن استعداد بوتين لعقد مناقشات جادة حول شبه جزيرة القرم أو دونباس، بالتأكيد ليس قبل انتخابات الرادا.

وحسبما أذكر، فإن النقاش التالي مع ترامب بشأن أوكرانيا لم يكن قبل ٢٥ حزيران/يونيو. وكنت في إسرائيل للقاء نتنياهو ولاجتماع ثلاثي مع باتروشيف وبن شابات، ولكنني حضرت اجتماعاً لمجلس الأمن القومي عبر مؤتمر الفيديو من قنصليتنا السابقة في القدس، بالقرب فندق ديفيد سيتادل، حيث كنت أقيم. وكان موضوع الاجتماع، الذي عُقد في واشنطن في غرفة العمليات وبحضور الطاقم المعتاد، هو مناقشة مسائل أخرى، ولكن في مرحلة ما من الاجتماع، عرج ترامب سريعاً إلى مشروع نورد ستريم ٢، واشتكى من موقف «حلفائنا الأوروبيين الكبار» وخفض ألمانيا لإنفاقها على الدفاع، «تقول أنجيلا [ميركل] إنها ستخصص [٢ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي] بحلول العام ٢٠٣٠، وتذكر ذلك يا جون»، هكذا قال لي وهو يراني في إسرائيل عبر الشاشة بينما هو في غرفة العمليات[1]. وقال، «أنا أستمع إلى مستشاري على عكس ما يعتقد الناس»، وضحك ترامب، وكذلك ضحكت، ثم عاد ليصيح، «الجميع يريد أن ينال منا بشأن التجارة. ولكن هذا سيكون أفضل حزيران/يونيو منذ سنوات. وستكون هناك الكثير من أموال الرسوم الجمركية الكثير التي تتدفق». ثم انتقل إلى ملف أوكرانيا وبرنامج مساعدة بقيمة ٢٥٠ مليون دولار لشراء الأسلحة. سألني، «هل وافقت عليه، جون؟ «فقلت إنه توجيه من الكونغرس تمضي وزارة الدفاع في تنفيذه. وتساءل ترامب، «ما هذا الغباء؟ ألمانيا لا تنفق على الدول المجاورة. وتقول لي أنجيلا نحن لا ننفق على الدول المجاورة. جون، هل توافق على هذا الأمر لأوكرانيا؟»[2] لم أجب مباشرة، وأنا قلق من السبب الذي جعل ترامب ينتبه فجأة لهذه المساعدة العسكرية بالذات. وبدلاً من ذلك، اقترحت أن يطرح إسبر

(١) كثيراً ما يستعيد ترامب كلمة ميركل وأن ألمانيا لن تصل إلى اتفاق الناتو في العام ٢٠١٤ على أن يصل إنفاق أعضاء الحلف على الدفاع إلى ٢ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول العام ٢٠٢٤ وان هذا سوف يتحقق لها في العام ٢٠٣٠. فمثلاً، وخلال قمة الناتو التي انعقدت في بروكسل خلال حزيران/يونيو ٢٠١٨، اشتكى ترامب علانيةً من موقف ألمانيا: «خطة ألمانيا لزيادة نفقاتها على الدفاع لتصل إلى مستهدف الناتو وهو ٢ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول العام ٢٠٣٠ ليست كافية. بمقدورهم تنفيذ ذلك في الغد». انظر: إيوين مكاسكيل: "Angele Merkel hits back at Donald Trump at Nato summit," https://www.theguardian com/us-news/2018/jul/11/nato-summit-donald-trump-says-germany-is-captive-of-russians.

وكانت ميركل قد أعلنت تحقيق ألمانيا لهذا الهدف في ٢٠٣٠ بغض النظر عن تحديد الناتو للعام ٢٠٢٤. انظر: غاي شازان، "Merkel warns Europe can't defend itself without Nato," https://www.ft.com/content/4a208660-10f8-11ea-a225-db2f231cfeae

(٢) شدد ترامب على هذه النقطة في ٢٤ تموز/يوليو، خلال مكالمة هاتفية مع زيلينسكي.

كل هذه الأسئلة حول الناتو وتقاسم الأعباء الخاصة بأوكرانيا خلال اجتماع وزراء دفاع الناتو المقرر في الأيام القادمة. وكانت هذه على الأرجح هي المرة الأولى التي سمعت فيها مناقشة حول تقديم مساعدة أمنية لأوكرانيا. ولكن المسألة المهمة هنا هي كيف اكتشف ترامب ذلك، ومن طرح فكرة استخدامها وسيلة ضغط ضد زيلينسكي وحكومته الجديدة. لم أعرف أبداً إجابات هذه الأسئلة، ولكن مولفاني، بصفته مدير مكتب الإدارة والموازنة، كان بالتأكيد أحد المصادر المحتملة. والنقطة الأساسية التي عرفتها من هذه المحادثة هي أن المساعدة الأمنية لأوكرانيا كانت عرضة لخطر أن تبتلعها نظريات المؤامرة الأوكرانية الخيالية.

وفي العاشر من تموز/يوليو، التقيت في مكتبي نظيري الأوكراني، أولكسندر دانيليوك، الأمين الجديد لمجلس الأمن القومي والدفاع. وكان دانيليوك إصلاحياً موالياً للغرب. وقد سبق له شغل منصب وزير المالية في عهد بوروشينكو، ولكنه استقال لأنه لم يكن يعتقد أن حكومة بوروشينكو ملتزمة بتنفيذ إصلاح حقيقي[1]. وطلب بيري وسوندلاند وفولكر حضور الاجتماع (هل قضى سوندلاند بالفعل أي وقت في بروكسل؟)، واتضح لي فوراً أن الثلاثة يحاولون الضغط عليّ لدعوة زيلينسكي إلى البيت الأبيض قبل انتخابات تموز/يوليو البرلمانية. ولأنني كنت أعرف، وكان ينبغي لهم أن يدركوا ذلك بعد اجتماعهم في المكتب البيضاوي يوم ٢٣ أيار/مايو مع ترامب، أن الرجل لا يريد أن يكون له أي علاقة بالأوكرانيين من أي طيف (متأثراً، على نحو خاطئ، بالهراء الذي يكرره جولياني على مسامعه)، فلم أشأ أن أجاريهم. وكان من الواضح أن دانيليوك يريد علاقة أوثق معنا، وهي رغبة أيدتها بشدة وكان من الأسهل أن نتناقش بشأنها. ولكن دانيليوك فوجئ ولم يبد ارتياحاً لعدم موافقتي على زيارة زيلينسكي، وذلك بسبب الموقف المناقض الذي اتخذه الآخرون في الاجتماع، ولكنني لم أكن لأشرح للأجانب أن الثلاثة الحاضرين يتدخلون في ما لا يعنيهم. وكلما قاومت أكثر، كلما ضغط سوندلاند أكثر، لنجد أنفسنا في مجال أقاويل جولياني الذي كنت أعتبره مجالاً من المحظور تناوله.

وفي جلسات الاستماع اللاحقة في الكونغرس، شهدت فيونا هيل أنه بعد الاجتماع وصورة مع دانيليوك وعدد كبير من المسؤولين الأميركيين في الاجتماع، طلبت منها الدخول إلى اجتماع عقده سوندلاند بمفرده في غرفة البحرية مع الأوكرانيين وآخرين كانوا في الاجتماع بمكتبي. وقد أذهلني مدى سذاجة الضغط من أجل عقد لقاء بين ترامب وزيلينسكي وجهاً لوجه حتى يتسنى حل «مشاكل جولياني»، وهو النهج الذي بدا أن مولفاني يشارك فيه من خلال اجتماعاته المتكررة مع

(١) See Matthias Williams, "Ukraine's sacked finance minister says no will in cabinet for gas price hike," June 8,2018, https://www.reuters.com/article/us-ukraine-danylyuk/ukraines-sacked-finance-minister-says-no-will-in-cabinet-for-gas-price-hike-idUSKCN1J4288

سوندلاند. وطلبت منها أن تنقل هذا الأمر برمته إلى مكتب مستشار البيت الأبيض؛ ونقلت عني بدقة ما قلته، «أنا لست جزءًا من أي صفقة مشبوهة يجهز لها سوندلاند ومولفاني». وكان رأيي أن المسألة كلها سياسة سيئة، مشكوك فيها قانونياً، ومن غير المقبول أن تكون مسلكاً لمؤسسة الرئاسة. فهل كان لها دور في استقالتي لاحقاً؟ أجل، ولكنها عامل من ضمن عوامل أخرى ساهمت في اتخاذ قراري بالرحيل. وفي وقت سابق، شهدت هيل، بأنني كنت قد وصفت جولياني بأنه «قنبلة يدوية سوف تنفجر في الجميع»، وهو وصف أراه صحيحاً حتى اليوم. واستمر ضغط بيري وسوندلاند على وجه الخصوص، وخاصة على دانيليوك لكي يقنعني على الأقل بإجراء مكالمة هاتفية بين ترامب وزيلنسكي قبل انعقاد انتخابات الرادا. وواصلت صدهم، خشية أن تأتي المكالمة بنتائج عكسية.

كنت متوجهاً إلى اليابان وكوريا الجنوبية صباح السبت، ٢٠ تموز/يوليو، أي قبل يوم من انعقاد تلك الانتخابات البرلمانية، لمناقشة قضايا تتعلق بتكلفة القواعد العسكرية. وهاتفت كوبرمان من الطائرة، بعد أن اتضح أن أي مكالمة سيجريها ترامب لن تكون قبل انتخابات الرادا، وطلبت منه الاتصال بدانيليوك وإخباره بطريقة مهذبة أن يتوقف عن الاستماع إلى سوندلاند. وأخبرني كوبرمان بعد ذلك بوقت قصير أن دانيليوك كان ممتناً جدًا لتلقي تلك الأخبار، مثله مثل بيل تايلور، القائم بأعمالنا في كييف، والذي كان يعرف كما كنا نعرف أن سوندلاند كان يتصرف بمفرده ولمصلحته. والأكثر إثارة للاهتمام أن دانييلوك قال إن لقاء ترامب وزيلنسكي (أو المكالمة بينهما) لم تكن فكرته بل فكرة سوندلاند. فالأمر برمته فوضى مصطنعة. وجاء أداء فريق زيلينسكي جيداً في الانتخابات، وحصلوا على ٤٣ في المئة من إجمالي الأصوات، وهو ما يكفي لمنح حزبه والمرشحين المستقلين المؤيدين له أغلبية فاعلة في الرادا. وتمنيت أن تكون هذه خطوة مهمة نحو إعادة الأمور لتجري في قنواتها الملائمة.

عدت من آسيا في المساء السابق لمكالمة ترامب الشهيرة في ٢٥ تموز/يوليو مع زيلينسكي. وأطلعته سريعاً على المستجدات قبل المكالمة في التاسعة صباحاً، والتي توقعت أن تكون تكراراً لمكالمة التهنئة الشكلية التي أجراها ترامب مساء يوم فوز زيلينسكي في جولة الإعادة الرئاسية. وأوضحت له أن أوكرانيا استولت للتو على ناقلة نفط وطاقمها الروسي رداً على ما قامت به روسيا في حادثة مضيق كيرتش عام ٢٠١٨، في خطوة تنم عن الوجه الحقيقي لزيلينسكي وفريق إدارته الجديدة. وكان سوندلاند، الذي لم أعلمه بتفاصيل مكالمة الإحاطة هذه (وإلا كانت لتصبح المرة الأولى في فترة منصبي التي أشارك فيها أي سفير تفاصيل مثل هذه الإحاطة)، قد تحدث إلى ترامب من خلال مولفاني في السابعة والنصف صباحاً حول أمور لا أعرفها.

«تسجيل المكالمة» التي جمعت ترامب وزيلينسكي، والذي استمعت إليه، معتاد وقام بإعداده موظفون في مجلس الأمن القومي. والآن وبعد أن خرج للعلن، فإنني أقول إنه ليس «تفريغاً» مثل ذلك

الذي يقوم به صحافي عن شهادات في المحاكم. فبعد فترة وجيزة من التحاقي بالبيت الأبيض، وفي ١٨ أيار/مايو ٢٠١٨، التقيت أيزنبرغ لمناقشة عملية إعداد سجلات المكالمات هذه وكيف تطورت. وقررنا ترك الآلية كما هي، وبموجب قانون السجلات الرئاسية، فهي ليست من الأشياء التي يجب الاحتفاظ بها للأجيال القادمة. وحتى اندلاع ذلك الجدل بشأن أوكرانيا، لم أكن أعلم أننا حدنا عن تلك السياسة، بما في ذلك إجراءات «التخزين». ولم أكن أعتقد في ذلك الوقت أن تعليقات ترامب في المكالمة تعكس أي تغيير كبير في الاتجاه؛ وقد كان الربط بين المساعدة العسكرية وأوهام جولياني يختمر بالفعل. ولم تكن المكالمة حجر زاوية بالنسبة لي، بل كانت ببساطة مجرد لبنة أخرى في جدار. ذلك هو ما أتذكره عما كان مهماً في المحادثة، ولم يكن من واقع سجل المكالمة.

في البداية، تقدم ترامب بالتهنئة إلى زيلينسكي على الفوز بانتخابات الرادا، وشكره زيلينسكي، معقباً، «عليّ أن أترشح أكثر، حتى نتحدث سوياً أكثر. نحاول تجفيف المستنقع في أوكرانيا. واستعنا بأناس جدد، وليسوا من الوجوه السياسية القديمة».

قال له ترامب، «نقوم بالكثير لأجل أوكرانيا، أكثر بكثير مما تقدمه الدول الأوروبية، والتي يجب أن تقدم المزيد، مثل ألمانيا. وهم يكتفون بالكلام فقط. وعندما أتحدث إلى أنجيلا ميركل، أجدها تتحدث عن أوكرانيا ولكنها لا تفعل أي شيء. الولايات المتحدة كانت جيدة جداً مع أوكرانيا، ولكن الأمر ليس متبادلاً بسبب الأمور التي حدثت [نظريات المؤامرة التي نسجها جولياني]».

وأجابه زيلينسكي، «أنت محق تماماً، ألف في المئة. تحدثت والتقيت مع ميركل وماكرون، وهما لا يقومان بما يجب عليهما فعله. ولا يفرضان عقوبات [ضد روسيا]. ويجب أن يكون الاتحاد الأوروبي أكبر شريك لنا، لكن الولايات المتحدة هي التي تقوم بهذا الدور، وأنا ممتن جدًا لك على ذلك. تقوم الولايات المتحدة بالكثير بشأن العقوبات». ثم شكر الولايات المتحدة على مساعداتها الدفاعية، قائلاً إنه يريد شراء المزيد من صواريخ «جافلين» المضادة للدبابات.

وانتقل ترامب إلى الموضوع الرئيسي، «أود منك أن تسدي إلينا معروفاً، لأن بلادنا مرت بالكثير من المشاكل، وأوكرانيا تعرف عنها الكثير. أريد معلومات عن كراود سترايك [شركة خدمات سيبرانية تستعين بها اللجنة الوطنية الديمقراطية]. خادم الإنترنت الذي يقولون أن أوكرانيا تمتلكه. أود أن يتصل بك المدعي العام لدينا ونصل إلى قعر هذا الموضوع. ولقد انتهى الأمر برمته أمس مع جلسة مولر [جلسة الاستماع المتلفزة[١]]: إنه عاجز وغير كفء. آمل أن تتمكن من الوصول إلى أساس هذه المسألة».

---

(١) See Julie Hirschfeld Davis and Mark Mazzetti, “Highlights of Mueller’s Testimony to Congress,” https://www.nytimes.com/2019/07/24/us/politics/mueller-testimony.html

وكان رد زيلينسكي: «هذا أمر مهم للغاية بالنسبة لي كرئيس، ونحن على استعداد للتعاون مستقبلاً، وفتح صفحة جديدة في علاقاتنا. لقد استدعيت للتو السفير الأوكراني لدى الولايات المتحدة، وسوف نبعث بغيره إليكم تأكيداً على جدية التقارب بيننا. وأريد أن تكون العلاقة بيننا شخصية الطابع. وأقول لك بصفة شخصية بأن أحد مساعديّ تحدث للتو إلى جولياني. وسوف يسافر إلى أوكرانيا وسوف نلتقي. ولسوف أحيط نفسي بأفضل الأفراد. سوف نستمر في شراكتنا الاستراتيجية. وسوف يجري التحقيق بانفتاح وبكل صراحة. هذا ما أعد به بصفتي رئيس أوكرانيا».

وقال ترامب: «كان لديكم مدع عام جيد. والسيد جولياني رجل محترم للغاية. وإذا كان بإمكانه الاتصال بكم مع المدعي العام، وإذًا أمكنك التحدث إليه، فسيكون ذلك عظيماً. ولقد كانت سفيرة الولايات المتحدة السابقة لديكم سيئة. وكان الأشخاص الذين كانت تتعامل معهم سيئين. وهناك الكثير من الكلام عن وقف إبن بايدن الملاحقة القضائية [لأولئك الذين صاغوا ونفذوا عملية التواطؤ الروسي]. وهو مايزال يتبجح بأنه أوقف الملاحقة. وهو ما يبدو فظيعاً».

فقال زيلينسكي: «بما أن لدينا أغلبية مطلقة في البرلمان، فإن المدعي العام المقبل سيكون مرشحي مئة في المئة. وسوف يبدأ عمله في أيلول/سبتمبر. وسوف ينظر في أمر الشركة. وغرض التحقيق هو استعادة النزاهة. فإذا كان لديكم أي معلومات إضافية يمكنكم تزويدنا بها، فإنني أرجو أن تقوموا بذلك. وفي ما يتعلق بالسفيرة الأميركية في أوكرانيا، يوفانوفيتش، فيسعدني أنك أخبرتني بأنها كانت سيئة. وهذا ما أوافق عليه مئة في المئة. كان موقفها تجاهي أبعد ما يكون عن الإيجابية. ولم تكن لتقبل فكرة أن أكون رئيساً».

وأجابه ترامب: «سوف أخبر جولياني وبار، المدعي العام. وأنا على ثقة من أنكم سوف تتوصلون إلى آلية تعاون. وأتمنى لكم حظاً طيباً. أوكرانيا بلد عظيم. ولدي العديد من الأصدقاء الأوكرانيين».

وبدوره، قال زيلينسكي أن لديه العديد من الأصدقاء الأوكرانيين الأميركيين. وأضاف، «أشكرك على توجيه الدعوة لزيارة واشنطن. وأنا جاد للغاية بشأن القضية. وهناك إمكانيات عديدة للتعاون بين بلدينا. نريد استقلالية في مجال الطاقة».

وقال ترامب: «لا تتردد في الاتصال بي. وسوف نتفق على موعد للزيارة». ودعا زيلينسكي ترامب لزيارة أوكرانيا، منوهاً إلى أن كليهما سيكون في وارسو في الأول من أيلول/سبتمبر للاحتفال بالذكرى الثمانين لغزو ألمانيا لبولندا، واندلاع الحرب العالمية الثانية، مما يعني إمكانية أن ينتقل ترامب من هناك إلى كييف، وهو ما رفضه ترامب بأدب.

بالنسبة لي، كانت هذه التعليقات الرئيسية التي تناولتها مكالمة الخامس والعشرين من تموز/

يوليو، والتي أثارت لاحقاً الكثير من الاهتمام، الذي تستحقه، سواء كانت تستدعي عزل الرئيس من منصبه أو تبعات جنائية أو غيرها. فعندما اقترح أنصار بوش الأب في العام ١٩٩٢ أن يطلب من الحكومات الأجنبية المساعدة في حملته الانتخابية الخاسرة أمام بيل كلينتون، رفض بوش وجيم بيكر الفكرة تماماً[١]. أما ترامب، فأقدم على نقيض ذلك بالضبط.

وفي الأسبوع التالي، ضغطت وزارتا الخارجية والدفاع لاعتماد ما يقرب من ٤٠٠ مليون دولار كمساعدات أمنية إلى أوكرانيا، وطلبتا عقد اجتماعات رفيعة المستوى، في إجراء بيروقراطي صرف. وبالطبع، لم يكن البيروقراطيون يعرفون أنني وبومبيو وإسبر ناقشنا هذا الموضوع بهدوء لبعض الوقت، وأننا بذلنا جهوداً مع ترامب لإقناعه بتخصيص هذه الأموال، وهي كلها باءت بالفشل. (بحلول وقت استقالتي، قدّرت أننا تحدثنا إلى ترامب، سواءً أحاديث فردية أو جماعية، ما بين ثماني وعشر مرات لنيل موافقته على صرف الأموال). وإذا اعتقد البيروقراطيون أن لجنة الرؤساء ستغير رأي ترامب، فمعنى ذلك أنهم لم يولوا الانتباه اللازم لكي يفهموه طيلة عامين ونصف العام. وأخبرت تيم موريسون، الذي حل محل فيونا هيل، بأن تتوقف وزارتا الخارجية والدفاع عن التركيز على عقد الاجتماعات، ولكنني كنت أرغب في تجهيز الأموال في حال موافقة ترامب على صرفها. ولكي يحدث ذلك، كنا بحاجة إلى إعداد الأوراق اللازمة، حتى نتأكد من أننا يمكن أن نخصص المساعدة الأمنية قبل نهاية السنة المالية في ٣٠ أيلول/سبتمبر. وبموجب قواعد الموازنة المعمول بها، والتي تنطبق على التشريع المخصص لهذه الأموال، فإن صرفها يتوقف ما لم يتم التخصيص في هذه المرحلة. ولهذا السبب بدأت البيروقراطية تتعجل الإجراءات. وقد يتساءل المرء بالطبع عن السبب الذي منع البيروقراطية من القيام بهذا في وقت مبكر من السنة المالية، بدلاً من الانتظار حتى اللحظة الأخيرة ومن ثم إلقاء تبعات مشاكلهم التي نجمت عن ذلك على غيرهم. وهو تساؤل وجيه، ولكن هذه هي الطريقة التي تعمل بها؛ البيروقراطية، أي ببطء شديد مؤلم، ثم تلوم الآخرين عندما تفشل.

وفي الأول من آب/أغسطس، تحدثت مع بار حتى أطلعه على ما قاله ترامب لزيلينسكي بشأن جولياني، وما تحدث به ترامب عن بار نفسه. واقترحت عليه أن يبحث عمن يكبح جولياني قبل أن يخرج عن السيطرة كلياً. كما تناقشنا حول موقف هالكبنك، ومسألة معاقبة تركيا بعد شرائها أنظمة الدفاع الجوي الروسية إس-٤٠٠. وقال بار إنه ينتظر رداً من مستشار هالكبنك على عرض التسوية الأخير الذي قدمته وزارة العدل. (وفي الخامس عشر من تشرين الأول/أكتوبر، وبُعيد

(١) See Peter Baker, "'We Absolutely Could Not Do That': When Seeking Foreign Help Was Out of the Question," https://www.nytimes.com/2019/10/06/us/politics/trump-foreign-influence.html?searchResultPosition= 3

مغادرتي الإدارة، قدمت وزارة العدل لائحة اتهام قوية ضد هالكبنك في نيويورك، بعدما رفضت عرض التسوية النهائية الذي قدمه مستشار البنك)[1].

واصلت مع إسبر وبومبيو تبادل الأفكار حول كيفية إقناع ترامب بالموافقة على صرف المساعدة الأمنية قبل ٣٠ أيلول/سبتمبر. وكان بإمكاننا مواجهة ترامب بشكل مباشر، محاولين دحض نظريات جولياني والقول إنه من غير المسموح الاستفادة من سلطات الحكومة الأميركية في تحقيق مكاسب سياسية شخصية. كان هذا بإمكاننا، وربما كنا سنفشل، وربما كلفتنا المواجهة مناصبنا باعتبارنا كبار مستشاري ترامب. لذا، كان المسار الصحيح هو أن نفصل بين المساعدة الأمنية لأوكرانيا وتلك الأوهام المتعلقة بالشأن الأوكراني، أي الحصول على الموافقة على المساعدة العسكرية، ومن ثم التعامل مع جولياني وأوهامه لاحقاً. والواقع أنني اعتقدت أن هذا المسار الثاني، المتعلق بجولياني، قد بدأ فعلاً من خلال مكتب مستشار البيت الأبيض وبعد ذلك مع بيل بار. ولم يكن هناك أي فائدة من تشجيع المزيد من الجعجعة بلا طائل في مستويات البيروقراطية الأدنى. ولن يكون لأي من ذلك تأثير على اتخاذ ترامب لقراره، بل وربما تسرب الموضوع إلى الصحافة فيتزايد عناد ترامب رافضاً اعتماد المساعدة. كان هذا على الأقل تقييمي للموقف في ذلك الحين، وهو تقييم أعتقد أن إسبر وبومبيو وافقاني عليه.

لقد قدرنا تمامًا الآثار المترتبة على اقتراب الموعد النهائي، لكننا كنا نعلم أيضًا أن مجال المناورة لدينا محدود، خاصة في ظل نظريات المؤامرة التي لا يجري الحديث عنها حول انتخابات عامي ٢٠١٦ و٢٠٢٠. وعرفنا جميعاً ما كان يفكر فيه ترامب، ولهذا السبب اعتقدنا أن من الضروري تحريك الملف بحيث نقتنص القرار منه فقط في التوقيت المناسب. فمن شأن إساءة التوقيت أن تؤدي إلى رفض تقديم المساعدة إلى الأبد. وهكذا، عندما أثار ترامب قضية أوكرانيا خلال مناقشة ملف أفغانستان في بيدمينستر يوم الجمعة ١٦ آب/أغسطس، وسأل كم أنفقنا هناك، كنت قلقاً من أن تؤدي حماوة النقاش حول أفغانستان إلى ضياع المساعدة لأوكرانيا نهائياً. ولكن إسبر فاجأني برده، قائلاً إن القائم بأعمال مدير الإدارة والموازنة روس فويت «أوقف ذلك»، قاصداً أنه أوقف محاولات منع الإفراج عن المساعدة. وهو ما يعني أن القرار تم اتخاذه وألا مزيد من المناقشات حوله، وهو ما لم أصدقه بالتأكيد. ولحسن الحظ، دخلت أوكرانيا مجال كلام ترامب المسترسل وخرجت منه دون حوادث أخرى.

وبطبيعة الحال، كان مكتب الإدارة والموازنة قد دخل الصورة، ظاهرياً لأسباب تتعلق بالميزانية،

---

(١) انظر البيان الصحافي لوزارة العدل في هذا الشأن:

https://www.justice.gov/opa/pr/turkish-bank-charged-manhattan-federal-court-its-participation-multibillion-dollar-iranian

ولكن السبب الأرجح هو استعانة ترامب بمولفاني لوقف أي جهود لوزارتي الخارجية أو الدفاع لتحريك أموال تشرفان عليها. كما كان مكتب الموازنة يحاول إلغاء ما يربو على ٤ مليارات دولار من المساعدات الاقتصادية الأجنبية (وهي ذات صلة بوزارة الخارجية وليس البنتاغون)، وهو أمر يجري بشكل سنوي. وكما حدث في العام ٢٠١٨، تراجع القائمون على الميزانية في نهاية المطاف، ويرجع ذلك في الغالب لتفادي حرب مفتوحة مع الكونغرس كانت لتندلع في حال قرر ترامب المضي قدماً في عملية الإلغاء. وقال مولفاني وآخرون إن الخلاف حول المساعدة الأمنية لأوكرانيا كان متعلقًا بإلغاء المساعدة الاقتصادية، ولكن هذا كان تبريراً بأثر رجعي.

أوشك الوقت أن ينفد، واقترحت على بومبيو وإسبر أن أجس نبض ترامب مرة أخرى، ومن ثم ننسق ثلاثتنا لاجتماع يجمعنا به، واتفقنا على ذلك. وفي صباح اليوم التالي، ٢٠ آب/أغسطس، سألت ترامب عن رأيه بشأن المساعدة الأمنية لأوكرانيا، فقال إنه لا يؤيد إرسال أي شيء حتى يتم تسليم جميع مواد التحقيق الروسي المتعلقة بكلينتون وبايدن. ولأن هذا قد يستغرق سنوات، فإن هذا يعني ضآلة احتمال تقديم المساعدة العسكرية. ومع ذلك، ومع نفاد الوقت، قلت له إنني أطلب مع إسبر وبومبيو عقد اجتماع في هذا الشأن في وقت لاحق من الأسبوع، ووافق على لقائنا. وبسبب صعوبات جدولة مواعيد بومبيو وإسبر، ولأنني غادرت صباح الجمعة لحضور قمة الدول السبع في بياريتز، فقد أنبت كوبرمان في اجتماع ٢٣ آب/أغسطس لمناقشة موضوع أوكرانيا. ولسوء الحظ أن ذلك كان خلال اجتماع قرر فيه ترامب مرة أخرى عدم الرد على إسقاط إيراني-حوثي لطائرة أميركية دون طيار، هي الثالثة خلال الأشهر الأخيرة. ولذلك كانت فترة مناقشة المساعدات الأوكرانية قصيرة. وقال ترامب، «دعوني أفكر في الأمر لبضعة أيام. وسأتحدث مع قادة آخرين في قمة الدول السبع حول هذا الموضوع». وقال إسبر، الذي سوف يحضر اجتماع وزراء دفاع حلف شمال الأطلسي، إنه سيضغط على الأعضاء الآخرين لبذل المزيد من الجهد حول أوكرانيا، وهو ما من شأنه أن يساعد أيضاً. وعلى الرغم من أن هذا خفف من سوء الموقف، إلا أن الوقت مايزال هو الأزمة.

وخلال قمة مجموعة السبع، بدت فرنسا وألمانيا أكثر تفاؤلاً باتخاذ بوتين خطوات لتقليل حدة التوتر مع أوكرانيا، مثل تبادل الرهائن وأطقم السفن المحتجزين في تشرين الثاني/نوفمبر. ولأن قمة بياريتز كانت مشحونة بتفادي كوارث خطرة مع إيران، فلم يشغل الملف الأوكراني إلا حيزاً صغيراً نسبياً (على الرغم من أن معظم أعضاء مجموعة السبع الآخرين عارضوا بشدة دعوة روسيا إلى المشاركة في قمة مجموعة السبع التي تستضيفها الولايات المتحدة في العام ٢٠٢٠). وبعد قمة بياريتز، واقترابي من حسم قرار الاستقالة، سافرت إلى كييف لمقابلة زيلينسكي شخصياً، بالإضافة إلى أعضاء رئيسيين في فريقه الرئاسي. وكنت أرغب في

ضمان نجاح لقاء زيلينسكي وترامب القادم في وارسو، وهو لقاء لا يمكن تجنبه. وعندما سافرت إلى كييف في ٢٦ آب/أغسطس، تحدثت مع فولكر عن احتفالات يوم الاستقلال الأوكراني قبل يومين، ورأى أن زيلينسكي أدارها بشكل جيد. وشدد فولكر على أن زيلينسكي لم يكن يرغب في الانخراط في شؤون السياسة الداخلية الأميركية، على الرغم من ارتياحه للتحقيق في كل ما جرى في العام ٢٠١٦، قبل توليه الحكم.

وفي كييف، التقيت دانيليوك مرة أخرى، يرافقني القائم بالأعمال بيل تايلور والعديد من مسؤولي مجلس الأمن القومي، لمناقشة موسعة حول آلية عمل مجلس الأمن القومي الأوكراني، والتعامل مع الروس في شبه جزيرة القرم ودونباس. ثم قمت مع تايلور بوضع إكليل من الزهور على نصب تذكاري لما يقرب من ثلاثة عشر ألف أوكراني قتلوا في الحرب الجارية مع روسيا. وفي اليوم التالي، تناولنا الإفطار مع إيفان باكانوف، الذي كان حينها قائماً بأعمال رئيس جهاز الأمن الأوكراني، والذي تولى المنصب رسمياً بعد ذلك بأيام قليلة. وكان باكانوف مسؤولاً عن إصلاح الأجهزة الأمنية، وهي مهمة هائلة، ولكن قناعة مسؤولي سفارتنا كانت أنه الشخص المناسب لهذه المهمة. ودار الكثير من حديثنا، كما هو الحال مع دانيليوك في اليوم السابق، حول أنطونوف وموتور سيتش، وهما شركتان رئيسيتان في مجال الفضاء كانتا عرضة لخطر التحول إلى ملكية صينية (أو أجنبية أخرى)، الأمر الذي سيجعل من المستحيل على الولايات المتحدة أن تتعاون معهما. وكانت هاتان الشركتان (والعديد من الشركات الأخرى) إرثاً منذ العهد السوفيتي، أسسهما الخبراء الاقتصاديون الشيوعيون دون سبب محدد، لكنهما آلتا إلى أوكرانيا المستقلة وصارتا من الأصول المهمة التي لا تريد التخلي عنها. ووجدت أنني أمام مصلحة استراتيجية يجب أن تمثل أولوية لدى صناع القرار في الولايات المتحدة.

وعقب ذلك، كان اللقاء مع وزير الدفاع المكلف أندريه زاغورودنيوك، الذي عقد العزم على إجراء إصلاحات مهمة في الجيش الأوكراني، في خضم الصراع المسلح المستمر مع روسيا وقواتها الحليفة في منطقة دونباس. وكان يفضل استغلال المساعدة الأمنية الأميركية المحتملة ليس في شراء الأسلحة من الشركات الأميركية وحسب، على الرغم من أنه ينوي بالتأكيد القيام بذلك، ولكن في الاستعانة بالخبرات الأميركية في بناء الكفاءات المؤسسية للجيش الأوكراني أيضاً. ومن خلال ذلك، يكون قد ضاعف الآثار الإيجابية للمساعدة مستقبلاً. (وفي نهاية اليوم، التقيت الجنرال رسلان خومتشاك، رئيس هيئة الأركان العامة الأوكرانية، وناقشت معه الموقف في دونباس وشبه جزيرة القرم باستفاضة. وكان خومتشاك بدوره مؤيداً متحمساً للمساعدة العسكرية الأميركية؛ حيث شدد على ضرورة تغيير ثقافة الجيش الأوكراني، ومن ذلك تقديم التدريب باللغة الإنكليزية وإصلاحات أخرى تكفل التحرر من نفوذ موسكو. كما كان قلقاً جداً من الجهود الروسية لبناء قوة

عسكرية في المنطقة، الأمر الذي قد يشكل تهديداً مباشراً لكل من بولندا وأوكرانيا. وهي مسائل خطيرة وجدت أن كلاً من زاغورودنيوك وخومتشاك يأخذانها على محمل الجد).

ثم توجهنا إلى مبنى الإدارة الرئاسي لاجتماع مع أندريه بودان، رئيس طاقم موظفي زيلينسكي، ورسلان ريابوشابكا، أحد نوابه. وكان بودان المحامي الشخصي لزيلينسكي، وكذلك محامي الأوليغارشي إيغور كولومويسكي. وكان هناك توتر واضح بين بودان ودانيليوك، الذي التحق بنا بعد ذلك بقليل، وكان من نتيجة هذا التوتر أن استقال دانيليوك في منتصف أيلول/سبتمبر من منصبه كمستشار زيلينسكي للأمن القومي[1]. ورافق دانيليوك كل من إيفان باكانوف، فاديم بريستايكو (وزير الخارجية المعين)، وأيفاراس أبراموفيشيوس (رئيس الشركة القابضة المملوكة للدولة والتي كانت تسيطر فعليًا على الشركات الصناعية العسكرية في أوكرانيا، ومنها موتور سيتش وأنطونوف) إلى الاجتماع. وأكد بودان أن أوكرانيا تعوّل على دعم الولايات المتحدة لتنفيذ برنامج الإصلاح. وعلى الرغم من أن زيلينسكي حاز الأغلبية المطلقة في الرادا، إلا أن معظم أعضاء البرلمان الجدد، إلى جانب الدائرة المقربة من زيلينسكي، يفتقرون إلى خبرات الحكم. لذلك كان اختيار مجلس الوزراء على أساس الخبرة التكنوقراطية، وتواجد وزراء من عدد من الأحزاب السياسية الأخرى، وبعض المسؤولين المخضرمين مثل بريستايكو، الذي كان آنذاك سفير أوكرانيا لدى الناتو، ويضغط باتجاه انضمامها للحلف.

تناولنا طيفاً عريضاً من القضايا، وبعدها جمعني اجتماع منفرد مع بريستايكو على مدار خمس وأربعين دقيقة حول السياسة الخارجية. ومن اللافت أن أوكرانيا كانت ترى، وهو نفس رأي مكتب المستشار القانوني لوزارة الخارجية، أن انسحابنا من معاهدة الصواريخ النووية المتوسطة المدى يعني بطلان المعاهدة بأكملها. وبالتالي، فإن أوكرانيا، التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي وبالتالي فهي مقيدة بالتبعية بالمعاهدة، أضحت حرة في تطوير أنظمة الصواريخ الخاصة بها بعيداً عن التزامات المعاهدة[2]. وبالنظر إلى الوضع بعد ضم شبه جزيرة القرم وكون دونباس في خطر، لم يكن هذا بالأمر الهين بالنسبة لأوكرانيا أو أوروبا أو الولايات المتحدة. ومهما كان رأي أوروبا الغربية، فإن أوكرانيا ودول أوروبا الشرقية الأخرى لديها وجهات نظرها الخاصة حول كيفية الرد على قدرات الصواريخ الروسية المتوسطة المدى.

بانتهاء الاجتماع الأكبر، قبل اجتماعي مع بريستايكو، تنحيت بريابوشابكا جانباً للتحدث معه

(١) See "Senior Ukrainian Security Official Quits," https://www.rferl.org/a/senior-ukrainian-security-official-quits/30187540.html

(٢) See, Polino Sinovets and Oleksii Izhak, "Ukraine's Position on the INF Treaty Suspension," May, 2019, https://www.researchgate.net/publiation/337161190_Ukraine's_Position_on_the_INF_Treaty_Suspension

على انفراد. ولم يكن الرجل قد تحدث كثيراً خلال الاجتماع، وحدست أن ذلك يعود إلى حكمة وحسن تقدير للأمور. ولأن ريابوشابكا يستعد لتولي ما يعادل منصب المدعي العام في الولايات المتحدة، فالأرجح أنه أقرب شخص في إدارة زيلينسكي للتعامل مع نظريات المؤامرة التي يتبناها جولياني، وهو من سيلجأ إليه بيل بار عند أي نقاش مشروع بين الحكومتين. وكانت هذه محادثتي الوحيدة في أوكرانيا حول مسألة جولياني، وكانت وجيزة للغاية. وقد شجعت بريابوشابكا على التحدث مباشرة مع بار ووزارة العدل بمجرد توليه منصبه، كون هذه أفضل طريقة لمنع طغيان الخيال على الواقع. ولم أذكر له اسم «رودي جولياني»، أملاً في أن يكون لهذا الإغفال المتعمد صداه الأكبر. وهو حدس سوف تثبت الأيام مدى صحته.

بدأ الاجتماع مع زيلينسكي في الثانية عشرة والنصف بعد الظهر واستمر حتى حوالي الثانية. ومن الجانب الأوكراني، كان هناك كل الذين شاركوا في الاجتماعات السابقة. ومن الجانب الأميركي كان بيل تايلور، ومسؤولون في مجلس الأمن القومي، والعديد من مسؤولي السفارة. وكان أداء زيلينسكي مثيراً للإعجاب طوال الوقت، ويبدو على دراية بالقضايا. وقد استهل الاجتماع بتوجيه الشكر لنا على استمرار فرض عقوبات القرم وعدم اعترافنا بضم روسيا لها. عندئذ قلت لنفسي، فقط لو كان يعلم كم كنا قريبين من التخلي عن كل ذلك! وناقشنا ملفات شبه جزيرة القرم ودونباس وعملية السلام الفاشلة وفق صيغة النورماندي، ورغبته في أن تلعب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة دوراً أكبر في حل النزاع بين روسيا وأوكرانيا. وعلى الصعيد المحلي، قال زيلينسكي إن محاربة الفساد هو محور حملته الرئاسية وعلى رأس أولوياته. وقد حصل حزبه «خادم الشعب»، المسمى على اسم مسلسله التلفزيوني الشهير، على ٢٥٤ مقعداً في البرلمان، وقال إن الحزب سيتقدم بقرابة ٢٥٤ مشروع قانون إصلاحياً مع بداية الدورة البرلمانية، بمعدل مشروع لكل عضو حتى يكون مكلفاً به. وشدد زيلينسكي على أن وقت الوعود انتهى والأوان هو أوان تنفيذها.

وقال إن ما دفعه إلى إجراء أول مكالمة مع بوتين كانت محاولة إطلاق سراح البحارة الأوكرانيين. وهو عازم على استعادة دونباس في أقرب وقت ممكن وإنهاء حالة الحرب في إطار اتفاقيات مينسك. وكان لدى زيلينسكي تصور محدد لوقف إطلاق النار، ليبدأ من بلدة معينة ومن ثم يتوسع. وقال إنه لن يمارس أي ألاعيب دبلوماسية، ولكن أوكرانيا بحاجة إلى خطوات مقابلة من جانب روسيا؛ فهو يرغب في حل المشكلة، وعدم تركها تجرجر لسنوات. وكذلك ناقشنا القضية الصعبة المتعلقة بما سيحدث في حل تم حل مشكلة دونباس من دون شبه جزيرة القرم. ولم يكن لدى أحد، بما في ذلك الولايات المتحدة، نهج للتغلب على هذه المعضلة، ولكن زيلينسكي شدد على أن الغرب ككل ملزم باستمرار العقوبات المرتبطة بأزمة القرم، وليس إنهاء الحرب في دونباس فقط. وبعد مناقشة

موضوعات تتعلق ببيلاروسيا ومولدوفا، والمشاكل المشتركة مع روسيا والمرتبطة بالفساد، كان ختام الاجتماع. ولم نتناول أياً مما يتعلق بهيلاري كلينتون، جو بايدن، أو أي شيء له علاقة بجولياني. وإذا لم يثبت ذلك ماهية المصالح الأميركية الحقيقية، وما الذي يجب أن يثيره زيلنسكي في اجتماعه مع ترامب في وارسو، فأنا لا أعرف بأي طريقة أخرى للقيام بذلك.

غادرت كييف وأنا على ثقة بأن زيلينسكي أحاط بحجم المهمة المنوطة به، في الداخل والخارج، وكذلك حال فريقه الرئاسي. هؤلاء أشخاص يمكننا العمل معهم، ما دمنا لا نريد أن نضيع في مستنقعات الأزمات. وحدثني تايلور، الذي حضر جميع اجتماعاتي باستثناء ذاك الذي جمعني وريابوشابكا على حدة، قبل أن أغادر إلى المطار، ليسأل عما يجب أن يفعله بشأن مواضيع جولياني. وتعاطفت مع أزمته، ولذلك شجعته على أن يكتب «برقية شخصية» إلى بومبيو ليخبره بكل ما يعرفه. ومن النادر أن تكون هناك خطابات رسمية يرسلها رئيس بعثة دبلوماسية باسمه مباشرة إلى وزير الخارجية، فهي لا تكون إلا في ظروف استثنائية، مثل تلك التي كنا فيها. وإلى جانب ذلك، كان أوان تشجيع بومبيو على خوض هذه المعركة بجد قد فات. وقد أدت شهادة تايلور اللاحقة في الكونغرس إلى أن يكون أحد أهم الشهود في تحقيقات عزل الرئيس[1] في مجلس النواب.

وفي ٢٩ آب/أغسطس، سافرت من كييف إلى مولدوفا وبيلاروسيا، مواصلاً رحلاتي في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة. فكنت أريد أن أبين لروسيا أن تركيزنا مستمر على محيطها ولا نكتفي بترك تلك الدول وحدها في صراعاتها مع موسكو. ولو كنت بقيت في البيت الأبيض لفترة أطول، لكنت نفذت خططاً أكثر جوهرية لعلاقات الولايات المتحدة مع الدول السوفييتية السابقة، ولكن لم يقدر لهذا أن يحدث. وفي مينسك على وجه الخصوص، وعلى الرغم من سجل ألكسندر لوكاشينكو في مجال حقوق الإنسان، أردت أن أثبت أن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة اليدين وبيلاروسيا تعود إلى روسيا، الأمر الذي كان بوتين قد بدأ يفكر فيه بجدية. وكان من عناصر استراتيجيتي لقاء جرى ترتيبه مع البولنديين في وارسو يوم السبت، ٣١ آب/أغسطس، وجمع بين مستشاري الأمن القومي في بولندا وبيلاروسيا وأوكرانيا والولايات المتحدة. وكنت أهدف من ذلك إلى أن ينشغل الكرملين في الغرض من هذا الاجتماع لفترة. ومن الواضح أنني كنت أفكر في ما يتجاوز مجرد عقد اجتماعات إضافية، ولكن من شأن هذا الاجتماع أن يؤكد للجمهوريات السوفييتية السابقة الأخرى أنه ليس علينا وعليهم أن يكونوا سلبيين في حال وجود عدوان روسي أو

(١) فيما يتعلق بشهادة تايلور المحررة، انظر:

https://www.nytimes.com/interactive/2019/10/22/us/politics/william-taylor-ukraine-testimony.html

لتقرير صحافي، انظر مايكل د. شير وآخرين، "Ukraine Envoy Testifies Trump Linked Military Aid to Investigations," https://www.nytimes.com/2019/10/22/us/trump-impeachment-ukraine.html?action=click&module=Top%20 Stories&pgtype=Homepage.

تهديدات لحكوماتها. هناك الكثير مما يمكننا القيام به، دبلوماسيا وعسكريا. وبعد استقالتي، بدا لي أن الإدارة وآخرين ينتهجون النهج نفسه(١).

وأثناء الرحلة من مينسك إلى وارسو، هاتفت بومبيو لإطلاعه على ما جرى في الزيارة إلى أوكرانيا ومولدوفا وروسيا البيضاء. ونقلت له على وجه التحديد ما قاله لي تايلور بصراحة في كييف؛ لقد ترك القطاع الخاص ليعود إلى الحكومة مؤقتاً كقائم بالأعمال في بلد كان سفيراً إليه (وهي حال نادرة، بل أعتقد أنها لم تحدث من قبل)، بسبب قوة دعمه لإقامة علاقة وثيقة بين أوكرانيا والولايات المتحدة. وقال، «لن أكون رجلكم هنا»، إذا اتخذنا نهجاً غير مبالٍ أو معادٍ تجاه أوكرانيا، وهو ما أكد بومبيو أن تايلور قاله له بشكل صريح قبل توليه ذلك المنصب في الربيع، بعد إقالة يوفانوفيتش. ولم يكن لديّ ولا لدى بومبيو أي شك في أن استقالة تايلور كانت شبه مؤكدة في حال رفض تقديم المساعدة العسكرية.

وسألته عما إذا كان من الممكن اتخاذ قرار بشأن أموال المساعدة العسكرية قبل أن يغادر ترامب إلى وارسو. ورأى بومبيو إمكانية ذلك، وأشار إلى أنه سيجد فرصة أخرى على متن طائرة الرئاسة، والتي كانت ستغادر أندروز ليلة الجمعة وتصل إلى وارسو صباح السبت. وكان من المقرر عقد الاجتماع مع زيلينسكي صباح الأحد، لذلك كان هناك بعض الوقت على الأقل في وارسو. وكان جيم إنهوف، رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، يحاول الوصول إليّ، وراجعت مع بومبيو عدة خيارات بشأن الكونغرس كنا نفكر فيها ونناقشها بهدوء للخلاص من أزمة الموعد النهائي، ٣٠ أيلول/سبتمبر. فقد تكون هناك سبل لكسب مزيد من الوقت، على الرغم من استحالة ذلك مع اقتراب نهاية السنة المالية، ولكن يمكن تحقيقه هنا بطرق متنوعة بسبب الدعم الساحق من كلا الحزبين لتقديم مساعدة أمنية لأوكرانيا.

في تلك الليلة، علمنا أن ترامب لن يسافر إلى بولندا بسبب اقتراب الإعصار دوريان من فلوريدا، وأن بنس سينوب عنه، ولن يصل إلى هناك حتى صباح الأحد. وتخلف بومبيو وإسبر بدورهما عن الرحلة، وأصبح جدول أعمال قمة وارسو في حال من الفوضى لأن بنس سيصل متأخراً بأربع وعشرين ساعة عن الموعد الذي كان محدداً لوصول ترامب. وبالتالي، سوف يكون اجتماع زيلينسكي عقب مراسم الاحتفال بالذكرى الثمانين للهجوم النازي على بولندا، وليس قبلها. كل هذا يمكن القيام به، ولكن من الواضح أنه يعني أن قرار ترامب بشأن المساعدة العسكرية لأوكرانيا سوف يبقى عالقاً. الوقت بدأ ينفد منا.

(١) See Yaroslav Trofimov, "A Russian Ally's Solo Course Alters Western Calculations," https://www.wsj.com/articles/a-russian-allys-solo-course-alters-western-calculations-11572958804?mod=searchresults&page=1&pos=1

وفي مساء الجمعة، ٣٠ آب/أغسطس، بتوقيت وارسو، شاركت من وارسو عبر الفيديو في اجتماع لمجلس الأمن القومي حول أفغانستان في غرفة العمليات في حضور ترامب ومعظم أعضاء المجلس الآخرين. وكما سبق لي أن وصفت، فقد كانت المناقشة حول أفغانستان تستهلكنا جداً، حتى أن ترامب هم بمغادرة الغرفة ولم أدرك أن الاجتماع كان ينفض. ووجدت نفسي أصيح في الشاشة، «انتظر، ماذا عن أوكرانيا؟» وهنا جلس الجميع مجدداً. وقال ترامب، «لا يهمني حلف الناتو على الإطلاق. وأنا على استعداد لأن أقول لهم إذا لم تدفعوا، فلن ندافع عنهم. أنا أريد أن يتم سداد ثلاثمئة مليون دولار [كان يقصد مئتين وخمسين مليون دولار، جزءاً من المساعدة المخصصة لأوكرانيا] من خلال الناتو». وبالطبع، لم يكن أي من ذلك ممكناً مادياً، بما يعكس افتقار ترامب المستمر لفهم آلية تخصيص تلك الأموال، ولكن ذلك لم يكن بالأمر الجديد. وقال «أوكرانيا جدار بيننا وروسيا»، وهو يعني في ما أعتقد أنها حاجز أمام توطيد العلاقات بين موسكو وواشنطن. ثم قال لبنس، «اتصل بستولتنبيرغ [الأمين العام للناتو] واطلب منه أن يدفع الناتو. قل له الرئيس معك، ولكن يجب أن يأتي المال من الناتو»، وهو الأمر الذي لم يكن له أي معنى. وقال ترامب: «انتظر حتى اجتماع الناتو في كانون الأول/ديسمبر»، ليوحي، بالنسبة لي على الأقل، أنه سوف يعلن انسحابنا من تقديم الدعم العسكري.

ولم يكن ذلك بالنبأ السار، على الرغم من أن كوبرمان أخبرني أن السيناتور إنهوف تحدث مع ترامب لما يقرب من نصف الساعة بعد انتهاء اجتماع مجلس الأمن القومي، بشأن مسألة تقديم المساعدة الأمنية. وفي النهاية، قال له ترامب، «بنس سوف يخفف من لهجة رسالتي»، أياً كان ما يعنيه بذلك. وأخبرني السيناتور رون جونسون بعد ذلك بأيام قليلة أنه تحدث أيضاً إلى ترامب، وأكد على وجهة نظر سياسية مفادها إجماع الكونغرس على تقديم الدعم لأوكرانيا. ولم يكن متأكداً من أنه قد حفز ترامب، ولكنني كنت أعرف أن عدداً متزايداً من أعضاء مجلس النواب والشيوخ يرغب في لقاء ترامب أو الاتصال به لهذا الغرض. قد تكون السياسات الفجة أفضل مع ترامب من الحجج الموضوعية. على أي حال انتهى الاجتماع بشكل غير حاسم.

هاتفني بنس مساء السبت أثناء توجهه إلى وارسو لكي يناقشني بشأن ترامب، «ظننت أنني سمعته يقول إنه يعلم أنها نهاية السنة المالية، ولم يكن هناك أي إخطار مسبق [لأوكرانيا] بأننا نريد وقف اعتماد الأموال، ولكن لديه مخاوف حقيقية. أعتقد أنني أعرف الرئيس جيداً بما يكفي لأن أقول بأنه يقصد دعونا نقوم بذلك، ولكن ادفعوا حلفاءنا للقيام بالمزيد في المستقبل». وكنت آمل بأن تكون هذه هي الرسالة التي سوف يوصلها في وارسو. ومع ذلك، لا يعرف أي منا حتى الآن ما سوف يجري. ووصل بنس إلى وارسو صباح الأحد، قبل الموعد المحدد بقليل؛ قبيل العاشرة صباحاً. واندهشت لما عرفت أن سوندلاند سافر على متن طائرة نائب الرئيس وتمكن أيضاً من التطفل على

اجتماع الإحاطة الذي رتبه طاقم نائب الرئيس، على الرغم من جهود فريق الإعداد للزيارة لإبعاده. وشهد سوندلاند في وقت لاحق أنه تمت «دعوته في اللحظة الأخيرة». ولكنه دعا نفسه على الرغم من جهود منعه من قبل فريق نائب الرئيس. وخلال اجتماع الإحاطة، أخبرت بنس بشكل مختصر عن تفاصيل رحلتي إلى دول أوروبا الشرقية الثلاث، وخاصة اجتماعي مع زيلينسكي والأوكرانيين في كييف. وفي وقت لاحق، شهد سوندلاند بأنه قال في هذا الاجتماع إن المساعدات لأوكرانيا مرتبطة بإجراء «التحقيقات» التي طلبها ترامب وجولياني، وإن بنس قد «اهتم لتعليقاته». على أنني لا أتذكر أن سوندلاند تحدث بأي شيء في ذلك الاجتماع.

لم يكن هناك متسع من الوقت قبل أن ننطلق إلى ساحة بيلسودسكي، حيث الاحتفال، وحيث أقام البابا يوحنا بولس الثاني قداس ١٩٧٩ الشهير الذي يعتقد العديد من البولنديين أنه كان إيذاناً ببداية نهاية الحرب الباردة. ولم نعد إلى الفندق حتى الساعة الثانية والنصف، متأخرين جداً عن الموعد المحدد بسبب تعقيدات الخدمات اللوجستية لجميع القادة الذين حضروا الحفل. وفي فرصة أخرى أبلغت مع بنس، دون حضور سوندلاند، أنني مضطر لمغادرة اجتماع زيلينسكي (الذي بدأ في الثالثة والنصف، متأخراً ساعة تقريباً) قبل الثالثة وأربعين دقيقة. وركزت وبنس على مسألة المساعدة الأمنية، وصارحني بأننا لا نمتلك رداً بعد. وما أن وصل زيلينسكي، حتى بادر الصحافيون بطرح أسئلة حول هذا الموضوع، والتي تفاداها بنس بأكبر حنكة ممكنة. وغادر الصحافيون، وكذلك فعلت حتى لا تفقد طائرتي موعد إقلاعها من مطار وارسو المزدحم. ولذلك، لم أسمع حتى وقت لاحق، حين اتصل موريسون بي، بأن زيلينسكي قد فتح موضوع المساعدات الأمنية بمجرد مغادرة الصحافة. وأخذ بنس يلف ويدور حول الموضوع، ولكنه عجز عن منع الانطباع بأن لا تأكيد بشأنها حتى الآن. ولحسن الحظ أن سوندلاند لم يتطرق إلى موضوع جولياني خلال الاجتماع مع زيلينسكي، على الرغم من أنه ضغط علينا كي نطرحه. ولكن موريسون قال إن سوندلاند تنحى جانباً بأحد مستشاري زيلينسكي، أندري يرماك، الذي تولى ملف «الشؤون الأميركية» والتقى جولياني من قبل. لم يكن موريسون على دراية تامة بما كانا يتناقشان فيه، ولكنني لم أعتقد كثيراً أن الأمر يتعلق بشبه جزيرة القرم أو دونباس، ناهيك عن تبعات وقف العمل بمعاهدة الصواريخ. ولاحقاً، عرفت من موريسون أن سوندلاند أثار قضايا جولياني مع يرماك.

وبعد إجازة هادئة في عيد العمال، قضيت يوم الثلاثاء في البيت الأبيض للحاق بما فاتني. عندما وصلت هاسبل وفريق الإحاطة الاستخباراتية، قالت لي قبل الاجتماع مع ترامب:

- لا يمكنك أن تفعل ذلك مرة أخرى!

- سألت: «ماذا؟» فأجابت «أن تبتعد لأسبوع».

وضحكنا لملاحظتها. وفي الرابع من أيلول/سبتمبر، هاتفت بنس، وهو مايزال في أوروبا في منتجع دونبغ للغولف، الذي يمتلكه ترامب في أيرلندا، والذي صار موضوع أحدث فضيحة. كان بنس معجباً بزيلينسكي، وأبلغ ترامب بذلك، وقال، «توصيتي وتوصية مستشاريك هي أن نمضي قدماً بتقديم مئتين وخمسين مليون دولار». كما ألح بنس على ترامب ليلتقي زيلينسكي خلال الجمعية العامة للأمم، وقال إنه يعتقد «وهذا بيني وبينك فقط» أن ترامب يبحث عن تحقيق الصدى الإعلامي المناسب لما كنا نأمل أن يكون هو القرار السليم. أضاف بنس: «لم يغلق زيلينسكي باب النقاش [في اجتماعهما]، لذلك أغلقته بالنيابة عنه»، وهو ما بدا لي تصرفاً إيجابياً. وفي غضون ذلك، بدأت الصحافة تنتبه إلى وجود العلاقة بين حجب المساعدة العسكرية لأوكرانيا وهوس ترامب بمجريات الانتخابات في ٢٠١٦ وكذلك في ٢٠٢٠، متجسداً في ملاحقة هيلاري كلينتون وجو بايدن(١). واستمر ضغط كلا الحزبين لأجل منح المساعدات (وكنت أتمنى أن ينجح هذا الضغط في ظل فشل كل المساعي السابقة). ولكن الإعلام لم يتفهم خبايا ما كان يحدث منذ فترة سبقت المكالمة في ٢٥ تموز/يوليو بوقت طويل، إلا بحلول نهاية أيلول/سبتمبر(٢).

وخلال عطلة نهاية الأسبوع، استمرت عملية تبادل الأسرى بين زيلينسكي وروسيا، وهو حدث إيجابي بحد ذاته، والذي ألمح ترامب إلى أنه على ما يبدو قد يكون كافياً لاعتماده المساعدة الأمنية. وتحدثت وبومبيو في هذا الموضوع صباح يوم ٩ أيلول/سبتمبر، وتحدثنا مع إسبر هاتفياً لاحقاً في ذلك اليوم، في استمرار الضغط لإيجاد مخرج تشريعي يمنحنا المزيد من الوقت. وبعد ظهر الأربعاء، قرر ترامب منح المساعدات لأوكرانيا(٣).

في ذلك الحين، كنت قد تركت منصبي وصرت مواطناً عادياً. ففي حوالي الثانية والربع من ظهيرة الاثنين ٩ أيلول/سبتمبر، هاتفني ترامب للحضور إلى المكتب البيضاوي، حيث التقينا وحدنا. واشتكى من التغطية الصحافية لأفغانستان وإلغاء اجتماع كامب ديفيد مع طالبان، ناهيك عن رد الفعل السلبي الكبير، بين صفوف الجمهوريين بالتأكيد، تجاه الاتفاق ودعوة طالبان إلى كامب

(١) See, e.g., Editorial Board, "Trump tries to force Ukraine to meddle in the 2020 election," https://www.washingtonpost.com/opinions/global-opinions/is-trump-strong-arming-ukraines-new-president-for-political-gain/2019/09/05/4eb239b0-cffa-11e9-8c1c-7c8ee785b855 story.html

(٢) See, e.g., Greg Miller et al., "Giuliani pursued shadow Ukraine agenda as key foreign policy officials were sidelined," found at https://www.washingtonpost.com/national-security/giuliani-pursued-shadow-ukraine-agenda-as-key-foreign-policy-officials-were-sidelined/2019/09/24/ee18aacc-deec-11e9-be96-6adb81821e90 story.html

(٣) See, e.g., Patricia Zengerle, Reuters, https://www.reuters.com/article/us-usa-ukraine/trump-administration-reinstates-military-aid-for-ukraine-idUSK CN1VX213

ديفيد. وبطبيعة الحال، كانت معظم ردود الفعل السلبية بسبب تغريداته غير الحكيمة. وربما كان من المستغرب أن لا شيء قد تسرب عن كل هذا قبل أن ينشر تغريداته تلك، والتي أفشت القصة. وكان غاضباً من تصويره على أنه أحمق، وليس من أنه هو الذي تحدث على هذا النحو. ولكنه قال، «الكثيرون لا يحبونك. يقولون إنك مصدر تسريبات ولا تتحلى بروح الفريق». ولم أكن لأسكت على هذه الاتهامات. وقلت له إنني كنت هدفاً لحملة تسريبات سلبية ضدي خلال الأشهر العديدة الماضية، ويسعدني أن أتحدث عنها بالتفصيل، ويسعدني أيضاً أن أخبره بمصدر تلك التسريبات. (كنت أعتقد أنها في الغالب بتوجيه من بومبيو ومولفاني).

أما بالنسبة للزعم بأنني مصدر تسريبات، فقد طلبت منه الاطلاع على كل القصص الإيجابية عني في النيويورك تايمز، واشنطن بوست، وغيرهما، والتي كشفت في كثير من الأحيان عن مصدر التسريب، وأنه لن يجد فيها ما يسيء لي. وسأل ترامب على وجه التحديد عن تسريب الاجتماع مع طالبان، وذكّرته بأنني قلت فقط أنه يجب على موفدي طالبان المرور عبر كاشف مغناطيسي قوي. وما قلته هو أنني لم أكن لأوقع على الصفقة التي تعقدها وزارة الخارجية، وعندئذ أشار ترامب بإصبعه نحوي وقال، «أوافق على هذا». ثم أردف قائلاً، «لديك طائرتك الخاصة». فأوضحت له أن ليس لدي واحدة. وقد سافرت على متن طائرات عسكرية في جميع الرحلات الرسمية، متبعاً نفس السياسة التي مارسها أسلافي والعديد من كبار المسؤولين الآخرين المعنيين بالأمن القومي. ولست أنا من وضع هذه القواعد، بل اتبعتها وحسب. وكنت أعلم أن هذه بالتحديد شكوى من مولفاني، الذي كان مصدراً للكثير من هذا الهراء. فقال ترامب، معلقاً على شكوى أخرى من مولفاني، «لقد استعنت بكل افرادك هناك [يقصد موظفي مجلس الأمن القومي]». وبالطبع كانت شكوى ترامب المعتادة أن أغلب موظفي مجلس الأمن القومي من «الدولة العميقة».

عندئذ، نهضت قبالة مكتب ريزولوت، وأنا أقول له:

- إن كنت تريد مني ترك منصبي، فلسوف أتركه.

- لنتحدث في هذا الأمر صباحاً.

كان ذلك هو حواري الأخير مع ترامب. تركت المكتب البيضاوي في حوالي الثانية والنصف وعدت إلى مكتبي. وأخبرت كوبرمان وتينسلي عن ذلك الحوار وقلت إنها نقطة النهاية بالنسبة لي. وقدمت خطاب استقالتي القصير، الذي كتبته قبل عدة أشهر، إلى مساعدتي كريستين صمويليان، لتضعه مع بقية الأورق التي سوف تعرض على الرئيس. وأخبرت الجميع بأنني عائد إلى المنزل للتفكير في الأمر، ولكنني عقدت العزم على تأكيد الاستقالة في اليوم التالي. وفي ضوء ما يحيط بهذا الأمر من جدل، أود أن أشير إلى أن كوبرمان قال لي يوم الثلاثاء إن دان والش، أحد مساعدي

مولفاني، اتصل به في وقت متأخر من يوم الاثنين، وهو عائد مع ترامب على متن طائرة الرئاسة من تجمع سياسي في كارولينا الشمالية. كان ترامب قد غادر إليه بعد اجتماعي معه مباشرة. وكان ترامب لايزال يتحدث حول استخدامي للطائرات العسكرية، وهو أمر حاول والش شرحه له دون جدوى، وقال ترامب لوالش، «أخبره أنه لن يحصل على طائرة أخرى ما لم أوافق على ذلك بنفسي». ويتضح من كلام ترامب أنه كان حتى وقت متأخر من يوم الإثنين مايزال يعتقد أنني سأبقى وأنني سأتقدم بطلبات استخدام طائرات عسكرية بعد اجتماعي معه يوم الثلاثاء.

وصباح الثلاثاء، ١٠ أيلول/سبتمبر، حضرت في توقيتي المعتاد، وبادرت بتسوية بعض الالتزامات المتبقية، ثم غادرت لأكون في المنزل عندما يعلم الجميع باستقالتي. وطلبت من كريستين تسليم خطاب الاستقالة إلى المكتب البيضاوي الخارجي ونسخ لكل من بنس، مولفاني، سيبولوني، وغريشام عند الحادية عشرة والنصف صباحاً. وكنت واثقاً من أن ترامب لم يكن يتوقع هذه الخطوة، حيث غرّد في حوالي الساعة ١١:٥٠ صباحاً للتعريف بالقصة وفق رأيه هو أولاً. وتعلمت من ذلك أنه كان عليّ أن أسبق بخطوة، لكني كنت قادراً على الرد بالحقائق. وأعرف ما انتهى إليه الأمر. المهم أنني صرت حراً من جديد.

الفصل الخامس عشر

خاتمة

بعد استقالتي من منصب مستشار الأمن القومي، في العاشر من أيلول/سبتمبر ٢٠١٩، لم تكن ملحمة إجراءات عزل ترامب، التي برزت لاحقاً، لتخطر بالبال. لم أكن يومها أعلم شيئاً عن الشكوى التي تقدمت بها الجهة التي كشفت المعلومات، والتي أصبحت الآن معروفة، ولا أسلوب التعامل معها في أوساط الفرع التنفيذي، لكن الشكوى المذكورة والتغطية الإعلامية التي حظيت بها لاحقاً غيَّرتا المشهد السياسي في واشنطن على نحو غير متوقع تماماً. وفي ما يتصل بالجهة التي كشفت المعلومات، ليست لدي أدنى فكرة.

مع ذلك، وكما أظهر الفصل السابق، كنت أعرف أكثر مما أود معرفته عن الطريقة التي كان ترامب يتعاطى بها مع المسألة الأوكرانية. وفي الوقت الذي كان اهتمام الأمة بكاملها يتركز على الأحداث التي بدأت تتكشف والمتعلقة بالعزل، كان تفكيري منصباً على تحديد مسؤولياتي الشخصية والدستورية في ما يتصل بتلك المعلومات. هل كان سلوك ترامب يرقى إلى مرتبة الجرم الذي يستدعي العزل؟ وجدت الأمر مزعجاً بعمق، ما دفعني للتعبير عن قلقي للمستشار في البيت الأبيض بات سيبولوني ومعاونيه وللنائب العام بيل بار، ودفعني لمناقشة إحساسي بالقلق في أحاديثي الخاصة مع بومبيو ومنوشين. لكن أهمية الحفاظ على السلطة الدستورية للرئيس وعلى ما يسميه هاملتون «الحيوية في الفرع التنفيذي»، لم تكن بالشأن الذي يستهان به. وفي المعركة الحزبية الطاحنة التي حصلت لاحقاً، سرعان ما بدأ المنادون بصحة موقفهم، من كلا طرفي المعركة، يخبرون العالم عن مدى سهولة اتخاذ الخيارات. لم يكن هذا رأيي.

لم أكن أنا أو أي من وكلائي القانونيين، وهم فريق ممتاز برئاسة تشاك كوبر، صديقي القديم وزميلي في وزارة العدل في إدارة الرئيس ريغان، ندلي بأية تصريحات للصحافة لأسباب وجيهة ووافية. ففي خضم النزاع بشأن العزل، سرعان ما فقدَ النقاشُ السياسي في أميركا القليل المتبقي من حس التعقيد والصرامة الفكرية، ومحاولتي شرح آرائي لم تحقق الفائدة المتوخاة مقابل الوقت والجهد المبذولين، إذا أخذنا بعين الاعتبار النتائج المتوقعة. كان للعديد من المشاركين الآخرين في

النزاع حول العزل أجنداتهم الخاصة التي غالباً ما كانوا يتابعونها في وسائل الإعلام بنشاط يفوق نشاطهم في متابعتها في عالم الواقع. ولذلك كانت التغطية الإعلامية حتماً في أغلب الأحيان خاطئة إلى حد كبير، إذ كانت تعكس الأجندات التي لا تخفى للعديد من الفاعلين الآخرين، والتحيُّز المعتاد لوسائل الإعلام وكسلها وافتقارها للثقافة والحرفية، إضافة إلى العجز عن التركيز لفترة طويلة. شعرت آنذاك، وما زلت أشعر حالياً، بأنني غير ملزم بتصحيح الأخطاء التي يرتكبها المراسلون بشأني؛ لأني إن فعلت ذلك فلن يتسنى لي الوقت للقيام بأي شيء آخر. كنت أعتقد أنه ستكون لي كلمة في سير الامور في الوقت المناسب (كانت هذه إحدى التعليقات القليلة التي صرحت بها للصحافة في عدة مناسبات) وكنت مرتاحاً لفكرة انتظار الوقت المناسب. كان اعتقادي طوال الوقت، كما تقول أغنية هاميلتون، أنني «لن أبدد طلقتي»، لمجرد إرضاء الصحافة التي تعوي، أو إرضاء الذين يعوون من المؤيدين للعزل أو المدافعين عن ترامب.

كانت آرائي الجوهرية في شأن العزل مختلطة دون شك. الأهم، منذ بداية إجراءات مجلس النواب، هو أن المؤيدين لعزل ترامب في ما يتصل بالمسألة الأوكرانية كانوا يرتكبون خطأً في إجراءات العزل. فقد بدوا محكومين بضرورة التحرك بسرعة والتصويت على بنود العزل بهدف تفادي التداخل في برنامج الديمقراطيين للترشيح الرئاسي أكثر منه بضرورة استكمال تحقيق شامل. ولم تكن تلك المقاربة لتُعتبَر جدية من الناحية الدستورية. وإذا كان ترامب يستحق العزل والإدانة، فإن الشعب الأميركي يستحق بذل جهد جدي ومتقن لتبرير العقاب الاستثنائي المتمثل في إزاحة رئيس منتخَب عن منصبه. الأمر الذي لم يحصل. وقد تكون الضرورات الملحة والمفهومة للديمقراطيين، التي فرضتها الروزنامة الانتخابية، قد طرحت أسئلة سياسية عويصة ومشاكل لوجستية صعبة أمام مؤيدي العزل، لكن ذلك حصل نتيجة خطأهم. فلم تكن تلك القيود المفروضة ذاتياً على الجدولة الزمنية ترقى إلى المستوى الدستوري إطلاقاً، ناهيك عن المستوى الذي يعادل عزل الرئيس، الأمر الذي يُعتبَر إحدى أخطر المسؤوليات الدستورية الملقاة على عاتق الكونغرس. لم تكن المسائل المتعلقة بتنظيم البرنامج تبرر القرارات التكتيكية التالية التي اتخذها مؤيدو العزل، من نوع عدم السعي لفرض إصدار مذكرة استحضار للشهادة في المحكمة، أو لإعداد سجل لا يكون «وافياً» فقط بل ملزم أيضاً. والواقع أن ذلك كان، بمعنى ما، صورة مطابقة لما كان مؤيدو العزل يتهمون ترامب بارتكابه: لَيّ السلطات الحكومية الشرعية بحيث تناسب هدفاً غير حكومي وغير شرعي.

كانت عواقب هذه المقاربة الحزبية التي انتهجها مجلس النواب ذات طبيعة مزدوجة. أولاً، قلّصت تلك النتائج مجال التحقيق في العزل إلى حد كبير وحالت دون سبر تورط ترامب غير الملائم في قضايا أخرى- جنائية ومدنية، دولية ومحلية- لا ينبغي أن تخضع للتلاعب من قبل الرئيس لأسباب شخصية (سياسية أو اقتصادية، أو من أية طبيعة كانت). هذا لا يعني أن لدي أية شكوك

بشأن سلطة الرئيس على وزارة العدل، بموجب المادة الثانية. المقصود هنا أن الالتزام الدستوري للرئيس بأن «يحرص على تطبيق القوانين بإخلاص» يعني أن القوانين يجب أن تطبَّق بإنصاف. ولا يحق للرئيس أن يسيء استخدام السلطات القانونية الممنوحة له من قِبَل الحكومة الوطنية بأن يعتبر مصلحته الشخصية هي المرادف للمصلحة الوطنية، أو بأن يختلق الذرائع للتغطية على سعيه لتحقيق مصلحته الشخصية تحت مسمى المصلحة الوطنية. ولو أن مجلس النواب لم يركز فقط على الجوانب الخاصة بأوكرانيا في مجال اختلاط الأمور لدى ترامب في ما يتصل بمصلحته الشخصية (سواء منها السياسية أو الاقتصادية)، بل ركز أيضاً على النمط العام لسلوكه- بما في ذلك حملات الضغط التي شملت هالكبنك وزدتي إي وهواوي وغيرها- لكانت قد أتيحت للمجلس فرصة أفضل لإقناع الآخرين بأنه قد جرى ارتكاب «جرائم وذنوب كبيرة». والواقع أنني أواجه صعوبة في تحديد أي قرار مهم اتخذه ترامب، خلال الفترة التي توليت فيها منصبي، لم يكن مدفوعاً بحسابات إعادة انتخابه.

ثانياً، كانت الإجراءات المتسرعة، المترافقة مع المزاج الهستيري للعديد من مؤيدي العزل، التي لم تكن لتتحمّل أي انحراف عن مُقترَح تنحية ترامب عن منصبه بأية طريقة ممكنة مهما كان نوعها، كانت تعني أن الديمقراطيين في مجلس النواب لم يكونوا بوارد الأخذ بخيار تطوير محضر دقيق فعلياً-أو محضر كامل بالحد الأدنى. كانت النتيجة هي إشعار بعض الجمهوريين في مجلس النواب، ممن كانوا ميالين على الأقل إلى التفكير ملياً ببنود العزل بما في ذلك الجوانب الأشمل من سلوك ترامب، بالنفور، بالمعنى الحرفي للكلمة. ومنذ الأيام الأولى لإجراءات مجلس النواب، كان ذلك يعني أن المسألة بكاملها قد تكون قضية حزبية إلى حد يبعث على الشعور بالمرارة، وهو ما ثبتت صحته في نهاية المطاف. كان ذلك صحيحاً على نحو خاص في ما يتعلق بالبند الثاني من العزل («إعاقة عمل الكونغرس»)، الذي كان يتسم بالطيش في ظاهره. وما كان ينطبق على مجلس النواب كان ينطبق أيضاً على مجلس الشيوخ، ما يعني أن الخطوط رُسمت على أساس حزبي، وهو ما يجعل تبرئة ترامب في مجلس الشيوخ أمراً مؤكداً حتى قبل أن يبدأ التصويت النهائي في مجلس النواب على العزل. لم يكن هذا السيناريو هو السيناريو المحتوم منذ البداية، لكنه أصبح كذلك بسبب القرارات التي اتخذها مؤيدو العزل داخل مجلس النواب بكامل وعيهم.

يمكن القول، بكل بساطة ووضوح، إن ذلك يُعتبَر سوء تصرف مهنياً. وهذا ما كنت قد توصلتُ إليه منذ البداية. وكما هو متوقَّع، وصلني أنا ونائب مستشار الأمن القومي تشارلي كوبرمان استفسار من اللجنة الدائمة في مجلس النواب لشؤون الاستخبارات لمعرفة مدى استعدادنا لتقديم شهادتنا. وكما حصل أيضاً مع محاميّ الشهود الآخرين الذين مثلوا أمام اللجنة المذكورة. طلب كوبر مذكرات استدعاء للشهادة، وصدرت مذكرة خاصة بكوبرمان كما ينبغي. وعلى الفور أعلم

البيتُ الأبيض كوبرمان بأن الرئيس يأمره بأن يطلب إثارة «حصانة تقديم الشهادة»، وكان ذلك توجيهاً أكثر صرامة من التوجيهات الصادرة إلى الشهود الآخرين الذين استدعتهم اللجنة، كما أمره بعدم الذهاب إلى الجلسة المحددة في المذكرة لتقديم الشهادة. وسرعان ما أقام كوبر دعوى باسم كوبرمان يطالب فيها بالتوجيه القضائي بشأن أي من الأمرين المتناقضين يجب عليه أن يطيع، وهذا تماماً ما كنت سأفعله لو وجدت نفسي في مكان كوبرمان. أوضحتْ المرافعات العديدة التي قدمها كوبر باسم كوبرمان أنه لم يكن يدافع عن الوقائع الموضوعية الأساسية لأي من الفرعين التنفيذي أو القضائي والمتعلقة بالمسار الذي يجب أن يتبعه، بل كان يطالب فقط بالتوجيه القضائي.

جرى تقديم التطورات اللاحقة على نحو خاطئ بأساليب لا يمكن تصورها، لكن البيان الذي أصدرته في السادس من كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠، يقدم أفضل موجز لتلك الأحداث ولأفكاري بهذا الشأن:

«حاولت، في خضم الجدل الحالي بشأن العزل، الوفاء بالتزاماتي كمواطن وكمستشار سابق للأمن القومي. لقد وجد زميلي، الدكتور تشارلز كوبرمان نفسه في مواجهة مذكرة استدعاء لتقديم الشهادة من لجنة تابعة لمجلس النواب، من جهة، وأمر رئاسي بعدم تقديم الشهادة، من جهة أخرى، وقام بالتماس الحل من القضاء الفدرالي لهذا التضارب الدستوري. وبعد قيام المحامي الخاص بي بإبلاغ اللجنة التابعة لمجلس النواب بأني سأسعى لالتماس حل قانوني لتلك المسائل الدستورية، اختارت اللجنة عدم إرسال مذكرة استدعاء للشهادة إلي. مع ذلك، اتخذتُ قراراً علنياً بالاسترشاد بنتيجة قضية الدكتور كوبرمان.

«لكن الرئيس ومجلس النواب عارضا الجهد الذي يقوم به انطلاقاً من أسس تتعلق بنطاق الصلاحية، وعارضا واحدهما الآخر بشأن الوقائع الموضوعية. وصل الأمر بلجنة مجلس النواب حد سحب مذكرة الاستدعاء للشهادة التي كانت قد أرسلتها إلى الدكتور كوبرمان في محاولة متعمدة لجعل القضية باطلة ولتجريد المحكمة من صلاحياتها القانونية. وفي الثلاثين من كانون الأول/ديسمبر، قدم القاضي ريتشارد ليون رأياً مدروساً بعناية يقضي ببطلان القضية، وبالتالي تفادى الوصول إلى المسائل المتعلقة بفصل السلطات.

«أنهى مجلس النواب مسؤوليته الدستورية بأن تبنى مادة العزل المتعلقة بالمسألة الأوكرانية. حان الآن دور مجلس الشيوخ للوفاء بالتزامه الدستوري بمحاولة العزل، ولا يبدو أن بالإمكان التوصّل إلى حل قانوني نهائي للتساؤلات الدستورية التي لم تتم الإجابة عنها حتى الآن، قبل أن يقوم مجلس الشيوخ بالتصرف.

«بالتالي، وبما أن شهادتي عادت ثانية لتكون مادة للنقاش، توجب علي القيام بحل المسائل

الجدية المتعارضة بأفضل طريقة ممكنة، انطلاقاً من التفكير الجدي والدراسة المتأنية. وقد توصلت لقرار مفاده أنني، في حال إصدار مجلس الشيوخ مذكرة استدعاء للشهادة، سأكون مستعداً للإدلاء بشهادتي».

رفض مجلس الشيوخ، بالطبع، الاستماع إلى أي شاهد، ومضى في محاولة تبرئة ترامب مما ورد في بندي العزل الذي كان قد تبناه مجلس النواب. ولو كانت الأغلبية في مجلس الشيوخ قد وافقت على استدعاء الشهود، ولو أنني تقدمت بشهادتي، فإني على قناعة، مع الأخذ في الاعتبار الجو السائد آنذاك بسبب سوء التصرف المهني الذي أبداه مجلس النواب في مسألة العزل، بأن ذلك لم يكن ليحدث فرقاً كبيراً في النتيجة التي سيتوصل إليها مجلس الشيوخ.

برز حدثٌ خلال فترة الإجراءات التي كان يقوم بها مجلس الشيوخ استقطب الكثير من الاهتمام، وهو تسرُّب ما قيل إنه معلومات مستقاة من مخطوطة هذا الكتاب وصلت إلى صحيفة النيويورك تايمز. أصدر كوبر، في رد فعل على ذلك التطور المقلق والمزعج، بياناً يوم السبت الواقع في السادس والعشرين من كانون الثاني/يناير، ٢٠٢٠، أرفق به رسالة الإحالة (التي تحمل تاريخ الثلاثين من كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩) المرافقة لمخطوطة الكتاب لدى إرسالها إلى مجلس السلامة الوطنية لمراجعتها قبل النشر. كان الهدف من المراجعة هو ضمان عدم نشر أية معلومات سرية. ومع أننا لم نكن نعتقد أننا مطالبون بتقديم المخطوطة إلى المجلس المذكور، قمنا بتقديمها زيادة منا في الحرص ولأني كنت قررت ألا يتضمن الكتاب أي شيء يُعتبَر سرياً من الوجهة القانونية. كنا ولغاية تلك اللحظة نخفي حقيقة تقديمنا المخطوطة، لكن التسرب الحاصل كان يتطلب منا إصدار رد فعل علني. ورد في بيان كوبر:

«من الواضح، للأسف، من المقال المنشور في صحيفة النيويورك تايمز الصادرة اليوم أن عملية المراجعة قبل النشر شابها الفساد وأن المعلومات قد اطلع عليها أشخاص غير أولئك المعنيين بمراجعة المخطوطة. وكنا قد قدمنا المخطوطة... بعد أن تلقينا تأكيداً بأن 'عملية مراجعة المواد المقدَّمة محصورة بالمسؤولين والموظفين الحكوميين المكلفين عادة بمسؤولية المراجعة' وبأن 'محتوى مخطوطة السفير بولتون لن تتم مراجعته من قِبَل أي أشخاص، أو كشف مضمونه بطريقة أخرى لأي أشخاص، لا يُكلَّفون عادة بعملية المراجعة'».

قال كوبر أيضاً لصحيفة واشنطن بوست: «يمكنني القول دون أي لبس إنه لا شأن لنا بتسريب

أية معلومات تخص مخطوطة جون»[1]. وفي اليوم التالي، أي في السابع والعشرين من كانون الثاني/ يناير، أصدرنا البيان التالي: «يود السفير جون بولتون و شركة سايمون اند شاستر ووكالة جافلين ليتيراري التصريح وبكل وضوح بأنه لم يكن هناك إطلاقاً أي تنسيق مع النيويورك تايمز أو مع أية جهة أخرى في ما يتعلق بانتشار معلومات حول كتاب السفير بولتون، «ذا روم وير إت هابند»، على المواقع الإلكترونية التي تبيع الكتب. وأي تأكيد بعكس ذلك هو مجرد تخمين لا أساس له من الصحة». ومهما كانت هوية الجهة التي قامت بالتسريب، وهذا سؤال يبقى ولسوء الحظ دون جواب، فإنها ليست بالطبع جهة صديقة لي.

أوضحت تبرئة ترامب لاحقاً نتيجة منطقية أخرى لسوء التصرف المهني الذي مارسه مجلس النواب. كان رأي الديمقراطيين أن إجراءات العزل بذاتها، ستبقى إلى الأبد وصمة عار في تاريخ فترة رئاسة ترامب، وبذلك برروا تصرفاتهم في مجلس النواب. لكنهم تجاهلوا، ولسبب غير مفهوم، الحقيقة الواضحة بأن العاقبة المحتومة للجهد الفاشل الذي بذلوه في عملية العزل تعني أن باستطاعة ترامب المطالبة بالانتقام والتصرف على هذا الأساس، وهذا بالضبط ما فعله ترامب. لكنه كان يناقض تماماً ما قصده مؤيدو العزل في مجلس النواب، كما يُعتقَد، ومع ذلك مضى هؤلاء دون تفكير إلى الحد الأقصى، وبذلك أزالوا وسيلة أخرى من وسائل «الحماية»، وهو التعبير المستخدَم عادة، وحدّوا من استغلال ترامب للسلطة الحكومية. عندما سئل يوغي بيرا عن رأيه في فريق نيويورك ميتس لكرة القاعدة التعيس الحظ، أجاب: «أليس الجميع هنا لا يتقنون هذه اللعبة؟»

ما من شك بأن فكرة العزل، في جزئها الأكبر، هي مجرد وسيلة حماية دستورية نظرية. وسيلة الحماية الحقيقية هي الانتخابات التي سيجد ترامب نفسه في مواجهتها في تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠٢٠. إذا فاز في الانتخابات، فإن التعديل الثاني والعشرين يمنع (ويجب أن يستمر في منع) وجود أية قيود انتخابية إضافية على ترامب. وفي حين يركز الليبراليون والديمقراطيون على العزل، ينبغي على المحافظين والجمهوريين أن يشعروا بالقلق بشأن إزالة وسيلة الحماية السياسية الخاصة بترامب الذي يجد نفسه مضطراً لمواجهة إعادة الانتخاب. وكما تُظهِر هذه المذكرات، تستند معظم قرارات ترامب الخاصة بالأمن القومي إلى أسس سياسية أكثر مما تستند إلى أسس فلسفية أو استراتيجية أو إلى أسس تتعلق بالسياسة الخارجية والدفاع. وبنظرة أشمل، عندما وجد ترامب نفسه في مواجهة أزمة فايروس كورونا، قال: «عندما يكون الشخص رئيس الولايات المتحدة، تكون

(١) انظر Karen DeYoung and Josh Dawsey, "Bolton book roils Washington as onetime allies turn on Trump's former national security adviser," https://www.washingtonpost.com/national-security/bolton-book-roils-washington-as-onetime-allies-turn-on-trumps-former-national-security-adviser/2020/01/27/f8ab83d8-4145-11ea-b503-2b077c436617_story.html

السلطة مطلقة، وهذا ما يجب أن تكون عليه الأمور»[١]. هدد بحل الكونغرس وأورد، على نحو خاطئ، بنداً دستورياً لم يسبق أن جرى تطبيقه[٢]. ولا يمكن لأحد من المحافظين أن يقرأ الدستور دون أن تتملكه الدهشة إزاء تلك التأكيدات.

ما من شك بأن السياسة حاضرة أبداً في العمل الحكومي، لكن ترامب في ولاية ثانية سيكون أقل تقيُّداً بالسياسة مما كان عليه في الولاية الأولى. وقد تكمن المفارقة في أن الديمقراطيين سيجدون أنهم، بوجود ترامب الساعي إلى ترك «إرث» في ولايته الثانية، يشعرون برضا أكبر وأعمق مما يشعر به المحافظون والجمهوريون. وهذه فكرة جديرة بالبحث.

* * *

كما لو أن إجراءات العزل لم تكن كافية، وجدت نفسي، أيضاً، في مواجهة تحدٍّ مرعب يتمثّل في التصدي لرئيس حالي مصمم على منع نشر كتاب يروي تجربتي في البيت الأبيض. تصرف ترامب كما يمكن أن نتوقع منه، إذ أصدر أوامره بالاستيلاء على الوثائق الشخصية للمحامين العاملين معي والوثائق الأخرى غير السرية واحتجازها، رغم الطلبات العديدة المقدَّمة لاسترجاعها؛ وحجب حسابي على تويتر؛ مع تهديدات صريحة بفرض الرقابة[٣]. وبذلك تراوحت ردود فعله بين التصرف بجلافة دون أي إحساس بالرأفة والتصرف بشكل مخالف للدستور. وماذا كان رد فعلي...كيف كانت استجابتي؟ فلتبدأ اللعبة إذاً.

كانت إحدى المقاربات «الشرعية» ظاهرياً في هجوم ترامب هي عملية مراجعة الكتاب قبل النشر، وهي عملية بيروقراطية مضنية، قامت بها الحكومة الأميركية لكني وافقت عليها مرغماً كي يتسنى للكتاب أن يرى النور. قبل أن أعمل في البيت الأبيض، وخلال فترة عملي هناك،

(١) "Remarks by President Trump, Vice President Pence, and Members of the Coronavirus Task Force in Press Briefing," April 13, 2020, whitehouse.gov /briefings-statements/remarks-president-trump-vice-president-pence -members-coronavirus-task-force-press-briefing-25/

(٢) "Remarks by President Trump, Vice President Pence, and Members of the Coronavirus Task Force in Press Briefing, April 15, 2020, www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-vice-president-pence -members-coronavirus-task-force-press-briefing-26/

(٣) يروى أن ترامب قال أثناء مأدبة غداء ضم مذيعي تلفزيون، في الرابع من شباط/فبراير، ٢٠٢٠: «سوف نحاول منع نشر الكتاب». انظر

Josh Dawsey, Tom Hamburger, and Carol D. Leonnig, "Trump wants to block Bolton's book, claiming most conversations are classified," https://www.washingtonpost.com/politics/trump-wants-to-block-boltons-book -claiming-all-conversations-are-classified/2020/02/21/6a4f4b34-54d1-11 ea-9c47-59804be1d-cfb_story.html

وقعت العديد من التعهدات بعدم كشف ما أطلع عليه من أسرار، على غرار العديد من المسؤولين الحكوميين الآخرين، كي تتاح لي إمكانية الوصول إلى المعلومات السرية بوصفي مستشاراً للأمن القومي[1]. ما من شك بأن أي شخص تتوفر له معلومات سرية يقع على عاتقه التزام دائم بعدم كشفها أمام أشخاص غير مخولين بالاطلاع عليها، وهو أمر لم أكن أنوي القيام به عندما كتبت مخطوطة الكتاب. فقد كان هناك الكثير مما يمكن أن يقال دون الاضطرار إلى كشف مواد سرية.

في أفضل الأحوال، تجري صياغة نصوص التعهدات بعدم الكشف عن الأسرار، بشكل غامض، في ما يتصل بالظروف التي تخضع فيها مخطوطة كهذه للمراجعة قبل النشر، وهو أمر مقصود لضمان عدم كشف أية معلومات سرية. على سبيل المثال، أنا لم أقدم مخطوطة كتاب «الاستسلام ليس خياراً» للمراجعة قبل النشر في العام ٢٠٠٧، وكما أذكر، لم يقدم كولن باول كولن باول مذكراته[2] «رحلتي الأميركية» للمراجعة. في المقابل، قال لي جيمس بيكر، بعد فترة وجيزة من نشر كتابه «سياسات الديبلوماسية» في عهد الرئيس كلينتون[3]، إنه يتمنى لو أنه لم يقدم الكتاب للمراجعة. فقد روّعه عدد الاعتراضات التي برزت لأن ما قاله، ولنقل حول سياسة الولايات المتحدة تجاه الصين، لم يعكس سياسة إدارة كلنتون. كانت النتيجة تأخير نشر الكتاب لفترة طويلة. كانت كل تلك التجارب تفيد بعدم المخاطرة وتعريض المخطوطات للرقابة المتأصلة في عملية المراجعة الحكومية، ولاسيما في ظل رئاسة مثل رئاسة ترامب.

في المقابل، كان واضحاً منذ البداية، وانطلاقاً من الظروف التي أحاطت بتركي العمل في إدارة الرئيس، والظروف السائدة خلال فترة تأليف الكتاب، أن ترامب لن يدخر وسعاً لمنع نشر الكتاب، على الأقل إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية التي ستجري في العام ٢٠٢٠. في ضوء هذا العداء غير المسبوق، ونصيحة تشاك كوبر القانونية الحكيمة، قررت تقديم الكتاب للمراجعة قبل التصريح بالنشر على الرغم من قناعتنا بأننا لم نكن مضطرين لذلك لأن المخطوطة لم تكن تحوي أية مواد سرية من حيث التعريف المشروع. ولكن في عهد ترامب، لم يكن من الوارد تطبيق القواعد الطبيعية.

جرت عملية المراجعة بحرفية ودماثة ودقة، لكنها بالطبع لم تجر بالسرعة المتوخاة (وينبغي

---

(١) الوثيقة الأساسية هي «تعهد بعدم كشف المعلومات السرية Classified Information Nondisclosure Agreement" Standard Form 312 (Rev. 7-2013)، وقعتها في الخامس من نيسان/أبريل، ٢٠١٩، و«تعهد بعدم كشف معلومات حساسة مجزأة Sensitive Compartmented Information Nondisclosure Agreement," Form 4414 (Rev. 12-2013)، وقعت الأولى منها أيضاً في الخامس من نيسان/أبريل، ٢٠١٩. ولم يكن هناك أي ادعاء بأن المواد الواردة في مخطوطة كتابي تنطوي على إشارة إلى المعلومات المقصودة في التعهد الثاني

(٢) Colin Powell, with Joseph E. Persico, My American Journey, Random House, New York, 1995

(٣) James A. Baker, III, with Thomas M. DeFrank, The Politics of Diplomacy: Revolution, War and Peace 1989-1992, G.P. Putnam's Sons, New York, 1995.

الاعتراف هنا أن أزمة كوفيد-١٩ تركت تأثيرها على التوقيت). أجريتُ العديد من التعديلات على المخطوطة كي أحصل على الإذن بالنشر، لكن الجزء الأكبر من التعديلات لم يغير، من وجهة نظري، شيئاً في الوقائع التي أوردتُها. اضطررت في بعض الحالات إلى إضافة عبارة مثل «من وجهة نظري» (انظر الجملة السابقة)، كي أوضح أني أعبر عن رأيي ولا أعتمد على أية معلومات بالغة الحساسية. في حالات أخرى، طُلب مني تصوير الوقائع التي أناقشها بدرجة أعلى قليلاً من التجريد، على سبيل المثال، عندما وصفتُ الأهداف العسكرية المحتملة في إيران بأسلوب أكثر عمومية عما كان عليه في المسودة السابقة. وبالتالي يمكن للقراء أن يتخيلوا بأنفسهم ما يدور في ذهني وفي أذهان الآخرين، بمن فيهم ترامب، فعلياً.

وهنا يبرز نوعان من التعديلات. النوع الأول، طُلب مني حذف علامات الاقتباس في كل مرة، تقريباً، كنت فيها أروي أحاديث جرت بين ترامب وزعماء أجانب أو بيني وبين نظرائي الأجانب ومسؤولين آخرين كبار. في العديد من الحالات كان ذلك كل ما فعلته، حرفياً: حذفت علامات الاقتباس. وفي حالات أخرى عديدة، كان علي إعادة صياغة بعض العبارات لكي يُفهَم منها أني توقفت عن إيراد الاقتباسات المباشرة، حيث كان ينبغي تعديل الضمائر الشخصية، وما يشبه ذلك، كي يصل المعنى الأساسي بصورة أوضح. وهناك حالات قليلة، مُنعتُ فيها من إيراد معلومات كنت أتصور أنها ليست سرية، لأنها كانت تكشف معلومات لا يمكن وصفها إلا بأنها تسبب إحراجاً لترامب، أو لأنها قد تشير إلى سلوك قد لا يكون مقبولاً. أخطط للاستمرار في القتال من أجل نزع صفة السرية عن تلك المقاطع، أو الحصول على حق استخدام الاقتباسات المباشرة في الطبعات اللاحقة من هذا الكتاب أو في كتابات أخرى.

وبإمكان القراء الاطمئنان إلى أنني قدمت في هذا النص، وبكل ما أمكنني من دقة وأمانة، جوهر أحاديث ترامب مع الزعماء الأجانب، وأحاديثي أنا أيضاً. في بعض الحالات، بإمكان القارئ إضافة علامات الإقتباس من عنده إلى بعض المقاطع المعينة؛ ولن يكون بذلك مجافياً للحقيقة. واللافت أنني لم أطالَب تقريباً بتعديل مناقشتي للأحاديث التي كانت تدور بين ترامب ومساعديه. والسبب في هذا الخروج الغريب عن المألوف هو أن المقصود من المراجعة الخاصة بالسرية الحيلولة دون اضطرار الزعماء الأجانب إلى إنكار ما قاله لهم ترامب. فبدل إنكار الاقتباسات المباشرة، يتعين عليهم إنكار إعادة الصياغة. ثمة احتمال أن يكون هناك تفسير لهذا التباين في المعاملة، لكني لا أدركه. وقد يكون ترامب فعلياً أقل مني إعجاباً به.

كانت مجموعة التعديلات الأساسية الثانية تتطلَّب زيادة الهوامش في الكتاب بمعدل ثلاثة أضعاف تقريباً. وكان الهدف من هذا الإجراء تقديم دليل نفي على أني لم أعتمد على مادة مصنفة سرية لتقديم المعلومات الواردة في النص. ما من شك بأن عملية إضافة الهوامش كانت مضنية، ولكن في كل مرة أوردت فيها اقتباساً، كنت أحاول تفادي حذف المادة الأساسية، وكانت تلك التسوية مبعث سرور لي على الدوام.

يرى عدد من المعلقين أن العملية الحكومية لمراجعة الكتب قبل النشر تشوبها مواطن ضعف دستورية: احتمال العرقلة والرقابة والاستغلال، إضافة إلى الضرر الذي يلحق بالنقاش الجاري في الوقت المناسب حول قضايا سياسية عامة مهمة. بإمكانك إضافة اسمي إلى قائمة النقاد، ولاسيما عندما تكون العملية بين يدي رئيس يكره النقد إلى حد يجعل فكرة حظر الكتب تخطر بباله بصورة طبيعية وبكل هدوء.

هناك فكرة أخرى جديرة بالمناقشة، وهي لا تتعلق بعملية السماح بالنشر بل بفكرة تأليف كتاب من هذا النوع بعد ترك المنصب الحكومي مباشرة. فقد شجب عدد من النقاد الكتاب، دون أن يقرأوه بالطبع، بوصفه كتاباً يكشف الأسرار وهو في أفضل الأحوال غير لائق، وبتعبير ترامب نفسه كتاب يعبر عن الخيانة. تناولتُ هذه المواضيع بالتحديد عام ٢٠١٤، عندما كتبتُ مراجعة لكتاب مذكرات روبرت غيتس[١] «الواجب، وزير في حرب»، تناولت فيها الانتقادات الموجهة إلى غيتس والشبيهة بالانتقادات التي أتعرض لها أنا حالياً:

«طرح منتقدو غيتس فكرتين أساسيتين. واحدة سياسية والأخرى أخلاقية. قالوا، أولاً، لم يكن من اللائق أن يؤلف كتاباً يتناول فيه إدارة مازالت في سدة الحكم، إضافة إلى حرب أفغانستان (وهي موضوع رئيسي في الكتاب) التي مازالت مستمرة، والأمر الأكثر إثارة للسخرية، نشر الكتاب في الوقت الذي تقوم فيه وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون برفع وتيرة حملتها الرئاسية المتوقعة للعام ٢٠١٦.

«ثانياً، قالوا إن غيتس خان ثقة الرئيس أوباما وثقة زملائه الآخرين في المناصب العليا في وزارة الدفاع وفي الإدارة عندما كشف أحاديثهم ومواقفهم وانفعالاتهم على الملأ...

«باعتقادي أن كبار المسؤولين السابقين مُلزمون فعلياً بتفسير ما قاموا به عندما كانوا يشغلون مناصبهم الحكومية.... وبالنسبة لقدامى المسؤولين الحكوميين يبدو واضحاً، وعلى نحو مزعج، أن الأشخاص الذين لم يسبق لهم أن كانوا 'في الداخل' يجدون صعوبة، إن لم نقل استحالة، في فهم ما يجري والأسباب الكامنة خلف ما يجري. وغالباً ما تكون التقارير الصحافية و'الروايات الآنية' مفتقرة إلى النظرة المعمقة وإلى فهم أسلوب العمل الحكومي. بالتالي، تُعتبَر المذكرات مهمة لكشف المستور أمام الأشخاص الذين لم يدخلوا معترك العمل الحكومي، وهذا ما فعله غيتس.

وفي ما يتعلق بالتوقيت الذي اختاره غيتس، أعتقد أن الانتقادات لم تكن منصفة وليست في محلها. فلا يوجد وقت أنسب للكتابة لمؤلف يستشرف المستقبل من الوقت الذي تكون فيه ذاكرته

(١) Book Review of Duty: Memoirs of a Secretary at War, by Robert Gates, American Review (Australia), May, 2014, Number 16, Page 54, reprinted at https://www.algemeiner.com/2014/04/24/robert-gates-memoir-is-a-jaw -dropping-read-review/

مازالت حية، أي بعد تركه العمل الحكومي مباشرة، وإذا كان هذا التوقيت غير مناسب للإدارة الموجودة في سدة الحكم، أو لزملاء سابقين، فإن تلك هي مشكلتهم، ولا علاقة للكاتب بها. لا يوجد وقت ملائم، وخصوصاً بالنسبة للأشخاص المعرضين لانتقادات مدمرة، كتلك التي يوجهها غيتس إلى أوباما. تخيلوا ماذا كان سيقول أولئك الذين ينتقدون توقيت غيتس لو أن الكتاب صدر في أيلول/ سبتمبر عام ٢٠١٢.

«والواقع أنه لو كان هناك أي انتقاد يوجَّه إلى غيتس في ما يتعلق بالتوقيت، فهو أن الكتاب لم ينشر قبل انتخابات العام ٢٠١٢، حين كان كشْف آراء أوباما حول أفغانستان وعدم اكتراثه بالحرب العالمية على الإرهاب، يمكن أن ينطوي على مغزى مهم. على سبيل المثال، كان بإمكان المقترعين أن يستفيدوا من معرفة الأفكار التي كانت تدور ببال غيتس، خلال اجتماع مجلس الأمن القومي الذي عقد في آذار/مارس من عام ٢٠١١، في غرفة العمليات في البيت الأبيض، وهو يستمع إلى قائد الأركان: 'الرئيس لا يثق برئيس أركانه، ولا يطيق كرزاي، ولا يثق باستراتيجيته الخاصة، ولا يعتبر الحرب حربه. الموضوع بالنسبة له يتمحور فقط حول الانسحاب'.

«السؤال الأصعب والأهم هو معرفة إن كان غيتس قد انتهك الأسرار المضمرة للرئيس ولزملائه الآخرين في المناصب العليا. هذا الانتقاد يوازي، في بعض الطرق، تبرير 'الامتياز التنفيذي، (أي الامتياز الذي يخوّل الرئيس إخفاء الأسرار من أجل المصلحة العامة)'. أي أن الرئيس يجب أن يكون قادراً على تقبُّل النصح الصريح من مرؤوسيه، لكن هذه الصراحة غير ممكنة، بكل بساطة، إذا كان متوقّعاً أن تصبح هذه الأسرار متاحة للجميع لاحقاً. وبما أن نزاهة اتخاذ القرار في الجهاز التنفيذي مصونة من كل الاتجاهات الممكن تخيلها، فإن كونها معرضة للانكشاف من قبل الأشخاص الذين ينصحون الرئيس مباشرة، ليس بالأمر البسيط.

«لكن هذه المقارنة مع الامتياز التنفيذي تبدو دقيقة ظاهرياً فقط. فتاريخ الأحداث الماضية بكامله يشكل تهديداً للامتياز المذكور، وكان الأشخاص الموجودون داخل أروقة السلطة يسربون أخبار المعارك داخل الإدارات منذ أن بدأ هاملتون وتوماس جيفرسون بنشر دعايات ضد بعضهما في الصحف الحزبية. أما الرئيس واشنطن فقد تدبر الأمر بصورة جيدة. علاوة على ذلك، التبرير الحقيقي للامتياز التنفيذي هو الدفاع في مواجهة تطفل الكونغرس أو السلطة القضائية، وبالتالي فإن أساسه المنطقي مختلف عن التوقعات البشرية العادية بأن الثقة لا تدوم إلى الأبد. وفي ما عدا وضع المعلومات المصنفة سرية، وهي ليست موضع نقاشنا هنا، يدرك الأشخاص الناضجون في معترك سياسة الولايات المتحدة أنهم دائماً تحت الأنظار. لا يسري في السياسة قانون الصمت، عدا ربما في شيكاغو».

مازلت أتمسك بهذه الآراء حتى اليوم.